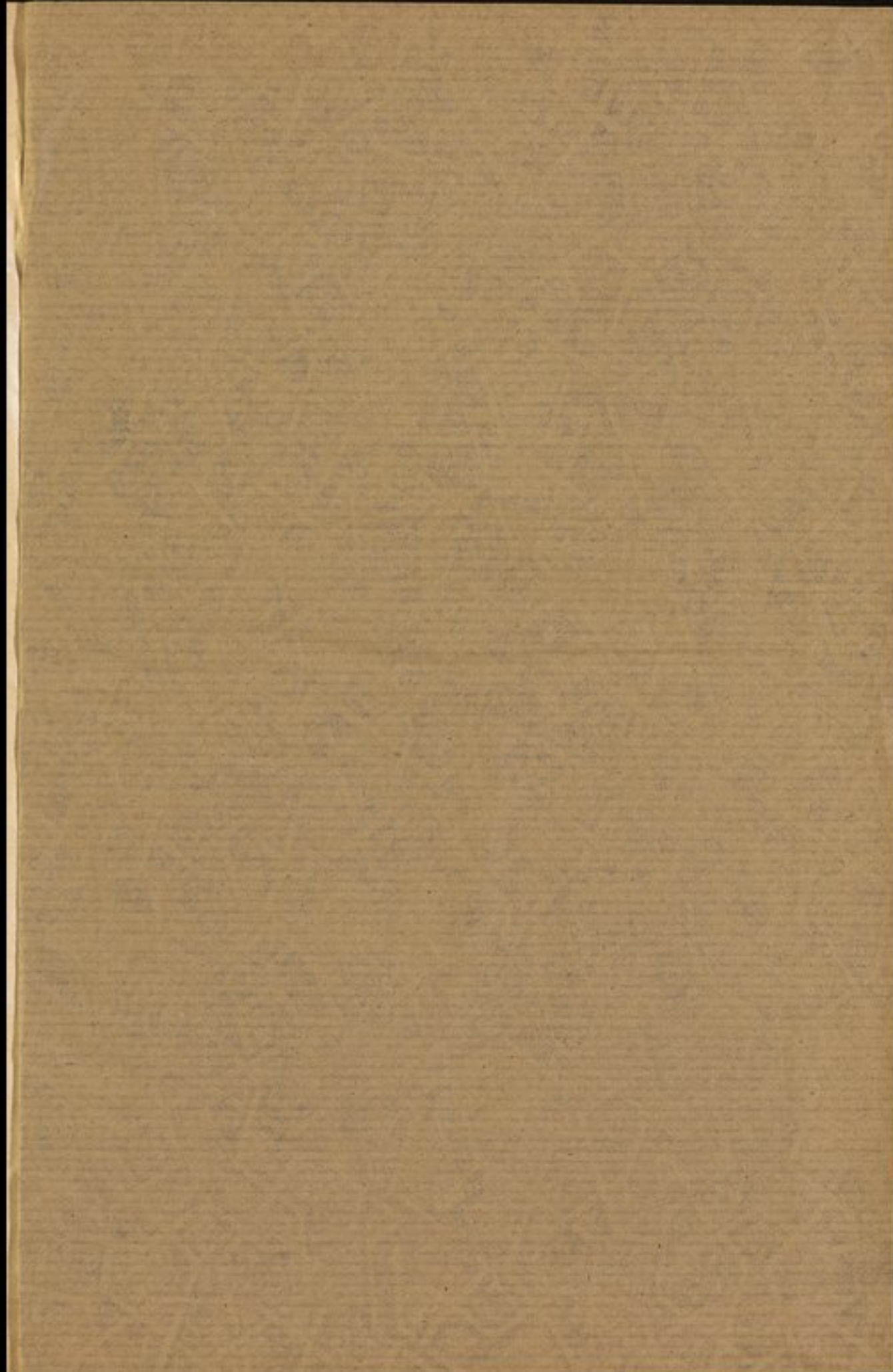




THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY

—◆—
GENERAL LIBRARY





الجواهر

في تفسير الفرائد الكثر

لشمس علي عجمي بفتح الميم وأرغاب الألف بابهراً

تأليف

الأستاذ الحكيم شيخ طنطاوي جوهرى

للمدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقاً

متع الله المسلمين بحمائه آمين

الجزء التاسع عشر

الطبعة الثانية

١٣٥٠ هـ - رقم ١٧١

حقوق الطبع محفوظة

طبع مطبعة

مصطفى الباني الحلبي وأولاده بمصر

بشارته محمد أمين عمران

BP
130.4
J27

« وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ »

قرآن كريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة فاطر

(هي مكية)

(آياتها ٤٥ - نزلت بعد الفرقان)

مقدمة في مبادئ السور

لقد اتصلت هذه السورة بالسورة التي قبلها فإنه جاء في آخرها « وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياءهم من قبل إهم كانوا في شك مرعب » فهو لاء شاكون في أمر البعث وقلوبهم محجوبة ونفوسهم محبوسة ، وذلك لأن النفوس الضعيفة التي تنزل إلى هذا العالم ولم تستعد بعد إلى فهم العالم اللطيف والملائكة والأرواح والبعث والحشر ، تكون كل آمالها موجهة إلى عالم المادة فلا تبغى به بديلا .
جاء ابتداء هذه السورة مبشرا للطيبين بالملائكة الذين هم يبشرونهم عند الموت ويوم القيامة ويحبونهم ويلهمونهم مدة الحياة بالحيرات لأجل استعدادهم .

ابتداء الله سورة الفاتحة بأن الحمد لله لتربيته لجميع العوالم وفي الأنعام بتفصيل العالم المادي الى ظلام وضياء ولطيف وكثيف وفي الكهف بالنصرف في العالم العقلي بالديانات وإنزال القرآن لتجعل للقلوب وجهة شريفة كما ازدانت المادة بالأنوار في سورة الأنعام وفي سورة سبأ بأن العالم المادي يتصرف فيه من حيث النتائج الحاصلة فيه إدخالا وإخراجا في الأرض وتبيننا للتنوع والتفنن في المادة بالأثمار والأزهار والنعم التي لانهاية لمداها ولا حد لأقصاها وتسخير الأولين لنفع الآخرين كثرًا في الأرض ودفنا في الترى وبنينا في العصور القديمة ثم ظهورا في الأجيال للتأخرة . وهكذا عالم السماء فيه التصرف المناسب له . ثم أبانه أيما تبيان في هذه السورة . فكما كان الإدخال في الأرض والإخراج منها بعضه من فعل الإنسان الأول للإنسان الآخر في سبأ هكذا في سورة فاطر يكون صعود الملائكة إلى عالم السماء ونزولهم إلى عالم الأرض نفعًا للعباد وتسخيرًا لمنفعتهم بالتدبير في النظام وتبليغ الوحي والإلهام . وكما يختلف السكان من نوع الإنسان والمؤلمون والمعلمون الأول في آرائهم وعقولهم وآثارهم يختلف الملائكة في درجاتهم ومقدار قواهم ولا يعرف الناس ذلك إلا بمقياس وهو الطائر ذو الجناحين وذو الأربعة وفوق ذلك .

فتبين من ذلك أن الحمد في الفاعحة على مجمل وفي الأنعام لتفصيل الكفيف واللطيف وفي السكهم لتزيين العقول بالعلوم كما زينت المادة بالعجائب البهجة وفي سبأ بأنواع الجمال الأرض من نبات ونحر وبما خزن الأولون للآخرين من مال وكال ، وفي سورة الملائكة بنهاية النهايات ، وزينة الأرض والسموات وهو عالم الملائكة الذي إليه تنجبه الأنظار بل هو مرمى أهل الجنة ليتخلصوا من المادة ويصلوا إلى مقام السكهم فكان العالم المجمل في الفاعحة فصل بعدها في الأمور المادية وفي العقلية، وانتهى بأرقى العقلاء وهم الملائكة وليس بعد ذلك من نهاية لنوع الإنسان . ولذلك يقول تعالى في سورة سبأ «وله الحمد في الآخرة» ومعلوم أن الحمد لا يكون إلا على النعم ولا تعرف النعم إلا بالعلم وقد ذكر العالم للمادى والعنوى في المحامد المختلفة كأن الإنسان لا يصل إلى العالم الأعلى عند سدره المنتهى ويشاهد عالم الملائكة إلا بعد المرور على درجات هذه العوالم دراسة وتفكيراً ثم ينتهي إلى عالم الجمال . انظر هذا الترتيب . انظر كيف أخرج هذا المعنى إلى سورة الملائكة . انظر كيف لم يذكره في سورة الفاعحة ولا في سورة الأنعام ولا في السكهم ولا في الكهف ولا في سبأ بل ألع في سبأ إلى أن الحمد لله في الآخرة وحده وأظهر القصود في سورة فاطر، وإذا شئت منها آخر في هذا أخصر أقول لك : الحمد في فواتح السور جاء لمقدمتين وخاتمة المقدمة الأولى : حمد على نعم ظاهرة في العالم المشاهد في الفاعحة والأنعام . المقدمة الثانية حمد على نعمة العلم والحكمة في السكهم وعلى حسن الترتيب في انتقاله من الأولين إلى الآخرين ومن العلماء للجهلاء فإن بعض ما يبلغ في هذه الأرض الإلهامات للعقلاء والوحي للأنبياء وبها يخرج أنواع الأعمال الصالحات والنافع العامة التي بها زينة الدنيا فأما النتيجة فهي العوالم المفقطورون على الحكمة والعلم إذ هم الذين بهم ينزل العلم والوحي في الأرض ويخرج للفوائد العامة وهم ينزلون من السماء بالعلوم فيلهمونها للناس ويعرجون بأعمال الناس فالولوج في الأرض والخروج منها نتائج النزول من السماء والصعود فيها من حيث التأثير ومقدمات من حيث الدرس والتفكير . فالعوالم السفلية نتائج العوالم العلوية من حيث النظام ولسكنها لا يتوصل إليها إلا بعد المرور على العوالم السفلية طبقة طبقة فتدرس العالم المشاهد كما في الفاعحة والأنعام ثم العالم العقول بالتفكير وترك آثاراً لمن بعدنا وحينئذ نستحق الرقي إلى عالم السموات مع الملائكة .

هذا ما حضر لي في نظام هذه الآيات بالنسبة لما قبلها من المحامد في أوائل السور . فانظر مناسبتها لما بعدها في هذه السورة . فانظر كيف يقول سبحانه «إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه» ثم انظر كيف خص خشية الله بالعلم الناظرين في السموات والأرض والألوان والجمال ثم أوضح درجات العاملين، فمنهم المقتصد والمتوسط والسابق . ولا ريب أن السابقين هم القربون في جنات النعيم والقرب إنما يكون بالعلم والعمل جعل الله الذين ورثوا الكتاب (ثلاثة أقسام) وجعل الملائكة ذى أجنحة مثنى وثلاث ورباع . فذكر ثلاث درجات أيضاً وأعقب ذلك بأنه يزيد في الخلق ما يشاء وأنه إذا فتح للناس رحمة فليس يحسبها أحد فللملائكة درجات وللذين ورثوا الكتاب درجات والدرجات ليست واقفة عند حد فإن باب الزيادة مفتوح لمن هو أهل من نوع الإنسان . إن ذكر الملائكة في أول السورة مقدمة لصعود الكلم الطيب ورفع العمل وارتقاء درجات المؤمنين كما تتابعت درجات الملائكة . إن عالمنا الذي نعيش فيه عالم دراسة فليدرس الناس في الدنيا وعلى قدر دراستهم يكون مقامهم بعد الموت، أفلم ينظر الناس كيف كانت الأمم تعلم التلاميذ في المدارس وإذا أتموا دروسهم وضعوهم في أعمال تناسب ما كانوا يدرسونه؟ وما مثل الناظرين في العوالم المادية والعنوية المذكورة في أوائل السور البدوءة بالحمد وفي الآيات الآتية في هذه السورة المحيية للنظر في اختلاف الألوان في الجبال والحيوان والإنسان إلا كمثل التلاميذ الذين يدرسون في المدارس السياسة ليعرفوا نظام الممالك وسياستها ثم يكونون من رجال السياسة، هكذا هؤلاء الحكماء والفكرورون إذا ماتوا كانت نعوسهم عاكمة على

ذلك الجمال وعجائب العالم كأنهم ملحقون بالملائكة ينظرون في التدبير العام الإلهي مفكرين في فاطر السموات والأرض جاعل للملائكة رسلا الخ . انتهت المقدمة .

(تقسيم السورة)

فلأجعل الكلام على هذه السورة في (ثلاث مقامات : المقام الأول) في تفسير البسملة (المقام الثاني) في تفسير الألفاظ (المقام الثالث) في تفسير السورة مراعى فيه تقسيمها .

المقام الأول

(في تفسير البسملة وقوله تعالى « إن ربنا لغفور شكور » وقوله « والذي أوحينا إليك

من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه إن الله بعباده خبير بصير »)

لقد يبدو للناظر أول وهلة أن هنا تباعدا فباين هذه الثلاثة ، وهي البسملة والآيتان بعدها وأنها ليست في مقام واحد وأنا أشرح المقام شرحا تاما فأبين أولا كيف يكون الله رحما وغفورا وشكورا وخيرا وبصيرا مع أن العبد يكون كذلك فهو رحيم رحمن ، وخبير وبصير ، وغفور وشكور ، ثم كيف كان اشتراك الخالق والمخلوق في الاسم اشتراكا لفظيا اشتبه على الجهال من البدعة في الأمم الإسلامية ، فضلوا باعتقادهم الألوهية في بعض أناس من الأئمة كما تقدم في هذا التفسير ، ثم كيف كان الإسلام هو المحصن للحقيقة وحده ومظهرا وحدانية الإله موافقا في ذلك حقائق الديانات القديمة مخالفا لظواهرها ، وكيف كان هذا الموضوع مما يجب إيضاحه لأنه ألبس على كثير من جهلاء المسلمين وبعض خاصهم .

لقد تقدم في أوائل سورة الروم ولقمان والسجدة عند تفسير البسملة تفسير موجز لبعض أسماء الله الحسنى وأن اشتراك الأسماء بين الخالق والمخلوق لم يكن إلا بالاسم . فإن صفات العبد لامناسبة بينها وبين صفات الله والأسماء دالات على صفات فلا اشتراك لفظي لا غير وهذا واضح هناك وضوحا تاما ، ولكني أريد أن أبين هنا أمرا لامناص لي من تبيانه لأن الأمم الإسلامية اليوم يتناقل فيها الناس أقاويل عن الصوفية ملتبسات مهوشات على العقول مشيرات للشكوك وكثير من الصالحين الجهلاء يوجهون وجوههم تلقاء أناس مشهورين فيعتقد فيهم كأنهم غياث لهم وملجأ وكان الربوبية حلت فيهم وانتهت إليهم كما هو مشهور ومذكور فأقول : يروى في الآثار للفقهاء « تخلقوا بأخلاق الله . إن لله كذا وكذا خلقا من تخلق بواحد منها دخل الجنة » ويقول الشيخ أبو علي الفارمدي إن شيخه أبا القاسم السكركاني قال : إن الأسماء التسعة والتسعين اسما تصير أوصافا للعبد وهو بعد في السلوك غير واصل . وقال بعضهم : أنا الحق . وقال أبو يزيد البسطامي إن صح ماروى عنه : سبحاني ما أعظم شأنى . ويشاع على السنة الناس أن الأستاذ الأكبر (محي الدين) يقول :

الرب عبد والعبد رب فليت شعري من المعذب

وأمثال هذا كثير ينقل عنه . ولقد اعتقد كثير من الفرق الإسلامية في بعض الأئمة من آل البيت الألوهية وتقدم في هذا التفسير أن الصوفية : في آخر أمرهم مالوا إلى التشيع وتدخلوا مع الإمامية وهناك اعتقدوا اعتقادهم كما قدمته في هذا التفسير . فهذه مجامع المصائب التي حلت بهذه الأمم الإسلامية وهي التي أضعفت العقائد وأوجبت التفريق . فأنا الآن أبين الحقائق تبيانا واضحا وأشرحها شرحا وافيا بمعونة الله عز وجل فهو الذي وفقني وهو الذي شرح صدرى وهو الذي هداني لهذا وما كنت لأهتدى لولا أن هداني الله فأقول : إن كل علم لا يبحث عن تاريخه فهو قليل الفائدة يحفظه الناس ولا يدركون سره ولا يسبرون غوره ، ومسألة الله وخلقها والرب والعبد قديمة العهد منذ الخليفة . فهل لك أيها التكي أن أحدثك عنها حديثا جميلا يشرح صدرك لتعلم أن ما دخل على عقول المسلمين حديثا لم يكن رمية من غير رام ، بل إن المسلمين لما خالطوا

الأمم فرموا علومهم فنقلوا فلسفتهم وعقائدهم وهناك تدخلت بينهم وهم لا يشعرون . ألم أقدم لك في هذا التفسير أن علوم الصابئين دخلت في أمم الإسلام حتى إن البونى أدخل دعوات الكواكب السبعة في دين الإسلام ووزع آيات القرآن على تلك الكواكب ، ألم أبين لك سابقاً أن بعض فرق الشيعة مثل ابن الصباح القائم في أواخر القرن الخامس عكفوا على حساب الجمل وحسبوا آيات القرآن به وأدخلوا حساب الأسماء في التعاليم والدعوات ولكن ابن الصباح اتخذ له سبيلاً آخر تقدم إيضاحه ومنع الناس من قراءة العلوم وشوقهم إلى الأخذ عن الإمام من آل البيت إلى آخر ما تقدم ، ألم أذكر لك أن الأوقاف من مثلث ومرمريع ومخمس إلى التسع كانت تكتب عند قدماء المصريين وبقية الصابئين للتقرب بها للكواكب فنقلها المسلمون إلى دين الإسلام وطبقوها على الآيات ، وهامى هذه الكتب تباع وتقرأ في أقطار الإسلام وثلاثة أرباع المعلمين في ديار الإسلام عاكفون عليها مغرورون بها وهم لا يعلمون أن هذه أديان منسوخة جاهلة ودين الإسلام هو الذي نزل لإبطالها .

إذا عرفت هذا سهل عليك أن تفهم ما سأورد لك من علوم قديمة تناقلتها الأمم جيلاً بعد جيل وقرناً بعد قرن ، والأمم الإسلامية أدخلتها في الدين وأكثر الناس لا يعلمون ، فهذا كان هو السبب في الانتكاس على الرأس وسقوط كثير من الأمم الإسلامية في هذه الجهالة العمياء ، ومق عرفت الحقائق في أمثال هذا التفسير فهناك يكون الارتقاء والسعادة العظمى لأمم الإسلام .

اعلم أنه لم يبق مجال للريب أن لكل دين قديم (وجهين : أحدهما) سرى والآخر ظاهري كدين البرهمية في الهند والمهرمسية في مصر والوثنية في اليونان ، فظواهر كل هذه الديانات إشراك وتثليث وطقوس ورموز صعبة الحل وأسماء وهياكل فهذه الظواهر كلها قد جعلوها للعامة معتقدين أنهم إن يعقلوا إلا المحسوسات فأما الرؤساء فإنهم جميعاً كما دل عليه الكشف الحديث الذي كشفه علماء الفرنسيين والانسكيز مجمعون في جميع هذه الديانات على أن الله واحد سرمدى ، يقول (مانو) الفيلسوف الهندي : (الله هو الكائن بنفسه الذي لا يمكن أن تصييه الحواس للمادية بل الروح فقط ، وهو المنزه عن أجزاء منظورة أولى سرمدى روح الكائنات التي لا يمكن العقل أن يدركه على ما هو عليه) .

وقال (كولوكا) الهندي وهو من أشهر مفسري أسفار (الفيدا) والأكثر اعتباراً عند الشعب الهندي « إن الأقدمين مع تأليههم لقوى الطبيعة المتعددة لم يكونوا يعتقدون إلا إلهاً واحداً فقط هو مبدع وعلّة الكائنات وهو أزلي غير هيولي حاضر في كل مكان سعيد (هذه الكلمة لا تجوز في ديننا) منزه عن كل كدر وهم وهو الحق بالذات ومنبع كل عدل وحكمة للدبر الككل والرتب نظام العالم . لا شكل له ولا صورة ولا حد ولا نسبة » .

وكان من عادة (البراهمانا) عند قبوله التلميذ في الدرجة الثانية أن يقول له هكذا « تذكر يا بني أنه لا يوجد إلا إله واحد فقط رب الكون وعلّة الكائنات والواجب على كل برهمن أن يعبد في الباطن . واعلم أن هذا السر يجب كتمه عن العامة والجهلاء وإن كاشفت به أحداً يحل بك البلاء » .

ويقولون « إن الله وحده هو الموجود الحقيقي الثابت الحياة وهو الذي خلق المادة وبث فيها الحياة » . ويسمون هذه الثلاثة الجوهر (الله) والمادة والحياة ومن هذا نشأ التثليث . فليس التثليث عند تلك الأمم أن الله ثلاثة بل معناه أن الموجودات كلها ثلاثة ، واحد هو الله واثنان هما المادة وحياتها ، فالمادة ظاهرة وحياتها لانكون إلا بنفوس وعقول وهي التي تعبر عنها الشرائع بالملائكة .

هذه هي علوم الأمم السابقة ، فجهلهم كانوا يعتقدون التثليث وقد جاء علم الأرواح الحديث الذي امتلأت

به أوروبا فأفاد أن توهم الجهلاء التثليث هو رأى مادي بشرى لا إلهى ، فالعلوم الروحانية اليوم منطبقة على
التعاليم السرية عند الأمم القديمة ومنطبقة تمام الانطباق على دين الإسلام .

وبالجملة فالأمم الهندية والأمم المصرية كان جهالمهم يكفون بقشور الألفاظ والأصنام والهياكل وحكاؤهم
يعتقدون أن الله واحد ويحبونه حبا جما ويبحثون فى أسرار الطبيعة ونظامها العجيب غراما برهم الواحد
الأحد ومنفعة لعباده باستخراج كنوز الطبيعة التي يعرف بعضها اليوم نساك الهند فى الغابات .

هذا ملخص ما عرف فى الكشف عن هاتين الأمتين ، فإذا سمعت أن الديانة البرهمية عندهم مؤسسة
على التثليث وأن (برهم) عندهم هو الأزلى الواحد الأحد المنزه عن المادة وأن (براهما) و (فيشنو) و (سيفا)
صفاته فهو الخالق الحافظ لحلقه القلب لهم من حال إلى حال وأن هذه الثلاثة إله واحد ، فأعلم أن الكشف
الحديث أظهر أن هذا التثليث وإن رجع إلى الصفات فليس له وجود البتة فى (سفر الرعيفيد) القديم ،
فهو اختراع اخترعه البراهمة ثم جعلوا لكل واحد من هؤلاء الثلاثة هيكلًا خاصا وعبودها ثم أكثروا
من الأصنام فى بلاد الهند وما جاورها من الصين واليابان لأن عقول الناس إذا أدركت الحقائق لا تنقاد إلى
الرؤساء كما أن البيعة إن لم نضع العطاء على عينها لا تنتفع بها فى إدارة الطاحون ولا الساقية .

وإذا سمعت فى كلام طيباوس الحكيم اليونانى كما تقدم فى (سورة الشعراء) تحت عنوان (بهجة العلم
والطب) إنه يقول مانصه (إن هذا العالم هو إله محسوس على مثال الإله المقول) وقد قلنا هناك إن هذه العبارة
فى ديننا كفر وهو قصد بها أن العالم آثاره وهو يدل على حكمته وقدرته . انتهى بالمعنى .

فأعلم أن ذلك القول يقرب من أقوال البراهمة ، وقد قلت لك هنا إن الأمم الإسلامية سرت لهم ظواهر
العلوم والاعتقادات فنطقوا بها تارة واعتقدوها الجهلاء تارة أخرى . فمن قال منهم (أنا الحق) ومن قال
(سبحانى الخ) فليس معناه أن الله هو نفسه عين عبده فإن هذه غير معقولة وليس عند أولياء المسلمين من
الأسرار ما ينافى العقل فليس من أسرار الولاية أن يقال باجتماع النقيضين ولا بالمحاللات العقلية ، فهل يقول
الولى إن النفى والاثبات يجتمعان . أو يقول العدم والوجود يكونان معا . كلا . ثم كلا وإذا قال أبو يزيد
البسطامى : انسلخت من نفسى كما تنسلخ الحية من جلدها فنظرت فإذا أنا هو . فليس معناه أنه هو نفس
الله بل معناه أنه انسلخ من شهوات نفسه وهواها وهما فلم يبق فيه متسع لغير الله ولم يكن له عم سوى معرفة
الله تعالى . قال : فإذا لم يحل فى القلب إلا جلال الله وجماله حتى صار مستغرقا به يصير كأنه هو لا أنه هو
تحقيقا . قال الامام الغزالي فى كتاب (القصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى) مانصه :

وفرق بين قولنا كأنه هو وبين قولنا هو هو . لكن قد يعبر بقولنا هو هو عن قولنا كأنه هو كما أن
الشاعر تارة يقول كأنى من أهوى وتارة يقول أنا من أهوى وهذه منزلة قدم فإن من ليس له قدم راسخة
فى المعقولات ربما لم يتميز أحدهما عن الآخر فينظر إلى كمال ذاته وقد تزين بما تلاه فى من جليلة الحق فيظن
أنه هو فيقول أنا الحق وهو غلط غلط التصارى حيث رأوا ذلك فى ذات عيسى فقالوا هو الإله بل غلط من
ينظر إلى مرآة قد انطبع صورة ملونة فيها فيظن أن تلك الصورة هى صورة المرآة وأن ذلك اللون لون المرآة
وهيات بل المرآة فى نفسها لالون لها وشأنها قبول صور الألوان على وجه يتخيل إلى الناظرين إلى ظاهر
الأمر أن ذلك هى صورة المرآة حتى أن الصبي إذا رأى إنسانا فى المرآة ظن أن الانسان فى المرآة فكذلك
القلب خال عن الصور فى نفسه وعن الهيئات وإنما هيئته قبول معانى الهيئات والصور والحقائق فما يحل به يكون
كالمتحده لا أنه متحد به تحقيقا ، ومن لا يعرف الزجاج والحجر إذا رأى زجاجة فيها خمر لم يدرك تباينهما فتارة
يقول لا خمر وتارة يقول لازجاجة كما عبر عنه الشاعر حيث قال :

رق الزجاج وراقت الخمر فتشابها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

وقال ماملخصه في خاتمة ذلك الكتاب : (وتحقيق الأمر في قول القائل إن معاني أسماء الله تعالى صارت أوصافا للمخلوق لا يخلو من أحد أمرين إما أن تكون نفس أوصاف الله من العلم والقدرة والرحمة والشكر صارت أوصافا للعبد وإما أن تكون أمثالها هي التي صارت أوصافا للعبد لا أعينها ، فإذا قلنا بالأول أي أن صفات الله نفسها صارت للعبد ، فهذا لا يكون إلا بالاتقال أي إنتقال نفس صفات الله من الله للعبد فيكون هذا العبد خالقا للسموات والأرضين وهو أزلى أبدي عليم بكل شيء مرسل الأنبياء الخ وإما أن يكون بغير الانتقال وهذا يكون بأحد أمرين إما بالاتحاد أي اتحاد ذات الله للعبد حتى يكون هو هو فنكون صفاته صفاته وإما بطريق الحلول . فهذه الأقسام الثلاثة تفصيل للقسم الأول وهو أن تكون نفس أوصاف الله هي نفس أوصاف العبد . فأما القسم الثاني وهي أن تكون أوصاف العبد مماثلة لأوصاف الرب ، فذلك المماثلة إما مماثلة مطلقة من كل وجه بحيث يكون هذا العبد قادرا على كل شيء مثل الله تعالى ، وإما أن تكون للمماثلة عبارة عن الاشتراك من حيث الاسم في عموم الصفات دون خواص المعاني ، فهذان قسبان آخران فنكون الوجوه خمسة والصحيح منها واحد فقط والباقية باطلة وهو أن يثبت للعبد من هذه الصفات أمور تناسبها على الجملة وتشاركها في الاسم ولكن لا تماثلها مماثلة تامة فبقيت الأربعة الباطلة .

(١) فإذا قلنا إن صفة العبد تماثل صفة الرب مماثلة تامة بأن يكون محيطا بجميع المعلومات خالقا لجميع المخلوقات لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم كما أن الله عزيز حكيم فإذن يكون العبد خالق نفسه لأنه من جملة ما في السموات والأرض ، ثم إذا ثبتت هذه الصفات لعبدين فإن كلا منهما يكون قد خلق صاحبه فكل منهما خالق من خلقه وكل ذلك خرافات وجهالات وترهات .

(٢) وإذا قلنا إن الصفات العالية انتقلت من الله للعبد فذلك محال عقلا لأن انتقال الصفات على وجه العموم مستحيل وهل تفارق الصفة موصوفها كأن ينتقل بياض زيد إلى عمرو وعلم خالد إلى إبراهيم ؟ وهل تقوم الصفة إلا بموصوفها ولو أن صفات الربوية انتقلت من الرب إلى العبد لصار الرب إذذاك ليس ربا لأن صفات الربوية قد فارقت ، فإذا هورب وليس رب في آن واحد وهو محال .

(٣) وإذا قلنا إن العبد اتحد مع الرب فعناه أن العبد هو نفس الرب بل إن قولك إن زيدا صار هو نفس عمرو محال واتحاد شيء بشيء محال لأنهما إما موجودان أو معدومان أو أحدهما موجود والآخر معدوم أو بالعكس ولا خامس لهذه الأقسام فإذا كانا موجودين فمستحيل أن يكون أحدهما عين الآخر بل كل منهما منهما موجود وقد يتحد مكان الموجودين وهل اتحاد مكان إثنين يوجب اتحاد الاثنين . كلا . بل كل منهما موجود فإن العلم والإرادة والقدرة قد تجتمع في ذات واحدة ولا يتباين محالها ولا تكون القدرة هي العلم ولا الإرادة ولا يكون قد اتحد أحدهما بالآخر وتكون التفاحة ناعمة ذات رائحة جميلة وهي حمراء .

فهنها صفات ثلاث اختلفت وإن اتحد محلها ، فاتحاد المحل لا يوجب اتحاد ما يحل فيه فإذن الأمور الموجودة يستحيل أن يكون أحد هو عين الآخر وإن كان أحدهما موجودا والآخر معدوما فلا اتحاد لموجود بمعدوم والاتحاد بين شيئين مطلقا محال فهل يصير هذا البياض أو السواد ذلك البياض أو السواد مثلا كما يستحيل أن يقال ذلك السواد هو ذلك البياض فالشيئان من نوع واحد لا يتحدان كما لا يتحد الشيئان من نوعين مختلفين (٤) وأما الحلول وهو الرابع من الأقسام الأربعة الباطلة فهو أن يقال الرب حل في العبد أو العبد حل في الرب تعالى الله عما يقول الجاهلون علوا كبيرا ، ولوضح هذا لم يوجب الاتحاد ولا أن يتصف العبد بصفات

الرب فإن صفات الحال لا تصير صفات المحل بل تبقى صفة الحال كما كان .
واعلم أنه لا معنى للحلول إلا بأحد أمرين : إما النسبة بين الأجسام وأمكنها كالنسبة بين زيد ومكانه
الجالس هو فيه وذلك لا يكون إلا بين جسمين ومن لا جسم له لا يكون له حلول بهذا المعنى ، وأما بالنسبة
بين العرض والجوهر فالعرض لا قوام له إلا بالجوهر كالبياض والسواد بالنسبة للموصوف فيعبر عنه بأنه حال
فيه ولا جرم أن الله لا قوام له إلا بنفسه ، ولا جرم أن كل ما قوامه بنفسه لا يمكن أن يحل فيما قوامه بنفسه
حلول العرض في الجوهر ، فإذا كانت العبدان لا يحل أحدهما في الآخر فكيف يعقل الحلول بين العبد والرب
تعالى ، إذن بطل الحلول . وانتقال الصفات والاتحاد والاتصاف بأمثال صفات الله على التحقيق ولم يبق إلا
المشاركة في الاسم فقط فأنه رحيم وشكور الخ على الحقيقة والعبد كذلك ولكن على معنى الاشتراك في الاسم
ثم إن معنى قولهم (إن العبد مع الإتيان بجميع ذلك سالك لا واصل) فيبانه أن السلوك تهذيب الأخلاق
والأعمال والعارف والوصول هو أن يتكشف له جلية الحق ويكون مستغرقا به وينسلخ من نفسه بالكيفية
ويتجرد له فيكون كأنه هو ، والولاية يستحيل أن تخالف طور العقل . وإذا كشف الولي بأن فلانا يموت
غدا فهذا من الممكنات . ولكن إذا كشف بأن الله يخلق للمستحيل فذلك غير ممكن . ومن المستحيل أن
أن يكشف بأنه هو صار نفس الله وصفاته كصفاته من كل وجه إنتهى ما أردته من الكتاب المذكور للإمام
الغزالي رحمه الله تعالى مع حذف وإيضاح تارة واختصار أخرى .

واعلم أيديك الله أني أطلت الكلام في هذا المقام لأنني أعلم أن الأمة الإسلامية قد دخلت فيها آراء غريبة
فلكم سمعت من أناس يقولون إن شيوخنا هم نفس الإله واذكر منهم رجلا كان معي ببلدة الجزيرة يسمى
عبد الشافي وله أستاذ كان موظفا بمحافظة مصر . فهذا كان يقول إن الله هو نفس أستاذي فأما نفس الله
فلا يعقل أن يكون موجودا إلا على هذه الشريطة . وهكذا نسمع من وقت لآخر أن صوفيا يقول : (إن
شيخي يتصرف في أحوال الناس بل هو الله) ونسمع أمم النصراري يقولون : (إن عيسى هو الله أو ابن الله
والأمم المصريون والبوذيون الذين ذكرتهم آنفا كانوا هم أول ناشرين لهذه الآراء عند عامتهم وهي مضطربة
فأنحطت مداركهم ثم تحولت محورة إلى بلاد الإسلام فاستبدل الجهال من المسلمين جهلاء الشيوخ بالأصنام
واستغنوا بالصالحين من بني آدم عن الكواكب وأصنامها وعن اللائكة وكل هذه لا تنزع من الصدور إلا
بالعلم والحكمة وأمثال ماسطرناه في هذا المقام .

هذا واعلم أيها الذي أيديك الله أن الله عز وجل رتب العالم العقلي كما رتب العالم الحسي وجعل الحسي
كأنه نموذج للعقلي (ياسبحان الله وبأسعده الله . اللهم إني أحمدك على العلم وعلى الحكمة وعلى التوفيق وأعلن
للدلائم موقنا أن من أتجه إليك وهو مخلص فإليك تعلمه والعلم هو غاية السعادة في الدارين) هانحن أولاد نرى
الإنسان وأنواع الحيوان درجات بعضها فوق بعض أفليس الطير والدين ركبون الطيارات قد تمتعوا بالهواء
الجميل عند طيراتهم ؟ أفليس في الأرض حشرات دنيئات لاتعيش إلا في التراب ؟ وهكذا أمثال الحيات والعقارب
والقيران فهذه مسجونات حقيرات ولكنها من صنعك كل هؤلاء . وهؤلاء يمدحهم الله بالنعمة والنعمة
ولكن فرق ما بين درجة الإنسان والطير في الجو وبين درجة القيران والصرابير في خفيات الأرض . هذا
من جهة الأحوال الجسمية . أما من جهة الأحوال العقلية فإننا إذا وازنا بين الإنسان والبهائم نجد فرقا شاسعا
فله عقل ولها شيء . سموه غريزة . فكما رأينا البون شاسعا بين مراتب الحيوان فهكذا كان البون شاسعا بين
معتقدات طوائف الناس . فمنهم من يرى إلهه حجرا ومدرا ، ومنهم من يرتقي فيراه شمسا وكوكبا . ومنهم من
يراه فوق المادة ومنهم من لا يرى إلهها وإنما يرى نفسه فقط وهو الملحد (والعباد بالله) فكما تبين الحيوان

في أحواله الجسمية والفكرية اختلاف الإنسان وتبين في معتقداته والبون هناك كالبون هنا شاسع في الحالين .
نوع الله الحيوان ونوع المعتقدات وهكذا نراه نوع أنواع النبات ولكل فائدة كالدواء وكالغذاء وكالعاكمة
وكالسم ، إن أرضنا والله معرض للصور أوهى صور متحركة (السينما توغرافيا) عالم يشرح صدر الحكيم إذ
يراه أمامه صور متحركة والجاهل جامد القرعجة ، وبينما الحكيم للفكر يفرح بسعة الحكمة في نظام المادة
يذيرى من جهة أخرى أنه عالم متأخر فسكان أرضنا جعلت محل تربية لأرواح ضعيفة تباينت أقدارها الناقصة
وأحوالها الطبيعية واستعداداتها لحشرت في هذه الأرض وربيت على مقتضى درجاتها وسبغت على هذه
الدرجات وأمرهم والله عجب ، قوم ترام يسجدون للصنم فعقولهم لم تعرف صفات الله ولكنهم في الوقت
نفسه عرفوا نظام الدنيا وآخرون أتبع لهم تنزيه الإله ولكنهم لا يزالون ضعيفي الإدراك في صنعه وإبداعه
فهذه الأمم جمعا أبناء التقاليد صرعى الأوهام والأوهام التي هي سبب ضعفهم قد جاء أوان خذلانها بنشر
العلوم العقلية في الأمم كلها في العالم العقلي . فسكا أتبع للأطباء في العالم كله اليوم أن يقتلوا المخلوقات الدرية
القائلات للإنسان والحيوان والأرض قد كثر فيها التطهير بالمواد لقتل للكروبات فعاث وتكاثر الحيوان
والإنسان فهكذا ترى الآراء العقلية تنشر والحرافات تضمحل بنسب مطردات في عوالمنا الأرضية . وكما أن
الحشرات والكروبات لم يدها نوع الإنسان وإن سطا عليها بالعقاقير وقللها هكذا أضائل الإنسان وإن سطا
عليها العلم قللها لا تزال باقية في الأرض ، فإذا رأينا بعض علماء الأمريكان والإنجليز وغيرهم يرون الإسلام
دينا صحيحا وأكثر للمستشرقين كذلك ويدخلون فيه ويعلمون وينشرون مبادئهم وأكثر أبناء الإنجليز
يودون لو يسلون ولكن يخافون من ذوبهم كما أخبرنا بذلك (اللورد هيدلي) فإن أكثر القوم غافلون
وهكذا إذا رأينا أمم الإسلام أولئك الذين صفت عقائدهم ونسوا الأصنام والعبودات الباطلة فإنه لا يزال كثير
منهم لا يعلم أن النظر في مصنوعات الله من الفلك والطبيعة والحيوان والنبات مقربات لله موجبة لحبه والغرام
بعماله والهيام بلقائه وإن عرف كثير منهم ذلك . فهذا النوع الإنساني هذه شئنته ، ملكة التقليد ولكنه
كالدينا التي عاش فيها فهم كالتوب الخلق كقارفع يوما فأنخرق . حظ الحكيم من هذه المناظر أن يفرح بجمال
الحكمة ونظام الدنيا ويرى أن الله حكيم في صنعه إذ جمع في أرضنا بين أرقى عالم وهي النفوس الشرقات
الفرحات بنظام ربها للتعطشة للقائه الباحثات عن رحمته وبين النفوس النائمة اللاتي كأنها حجرية لاتعي
ما يراد بها ؛ فالحكيم في الأرض في جنة وهو الشاهد وأهل الأرض مشهودون وهو السعيد بما يشاهد وهو
من أصحاب الأعراف الذين يعرفون كلا بسماهم فإذا رأى عقلا قاصرا ألقمه بحيوان دنيء . وإذا وجد عقلا
كبيرا ألقمه بالملك وهناك يدرك أن هذه الدنيا هي جنته وأنها ما هي إلا معرض ومجئلي أو سوق الصور العقلية
والحسية يلبس كل مخلوق صورته التي عشقها أوهى معمل تصنع فيه أدراكات مختلفات تقوم بالطرق تارة والصقل
أخرى وهذا يرمز له سورة الضحى ، فالنم والضلال والفقر رمز للرزايا والنسكبات في هذا العالم الأرضي
وهذه الرزايا جعلت مقومات لأمعذبات لأن الرحيم الحكيم يضع الأمور مواضعها فيجعل المصائب مقومات
كما تقوم الآلات بطرقها فإذا قومت فقدحان صقلها وهذا هو الرموز له بالايواء والهداية والغنى وشرح الصدر
ووضع الوزر ورفع الذكر ، فالمصائب ثلاثة والنعم ضعفها وهذه النعم للإنسان العام مقابلات للصقل في الآلات .
إن الدنيا دار كبيرة فيها وليمة عظيمة قد أعدها ملك لرعيته ورتبهم درجات في إعداد الطعام ورتبهم
ونظمهم فهم يأكلون وكل بأصحابه مقرون و « كل حزب بما لديهم فرحون » وبعد انقضاء هذه الوليمة يرجع
كل منهم إلى داره التي خرج منها . وهذا هو تفسير « بسم الله الرحمن الرحيم » فرحمته شاملة تعطى كلا
ما يليق له . انتهى السلام على (اللقمان الأول) في تفسير البسملة والحمد لله رب العالمين . كتب صباح يوم
الأحد (١٦) فبراير سنة ١٩٣٠ م .

المقام الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا أُولَى أَجْنِحَةٍ مَثْنَى
وِثْلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنْ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ
مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *
يَا أَيُّهَا النَّاسُ أذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ * وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ
وَالِلَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا
يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ * إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ
لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّمِيرِ * الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ * أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنْ لَمْ يَضِلُّ
مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ *
وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ * مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ
الطَّيِّبُ وَالنَّعْمُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ
وَمَكْرُهُمْ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ
أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ
عُمْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا
عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا
وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَآخِرَ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ

تَشْكُرُونَ * يُوَجِّعُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوجِّعُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ
مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ * إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا
لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّتُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ
أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ *
وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ * وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِهْلِهَا لِتُحْمَلَ
مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ * وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ *
وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ * وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ
إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ * إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ إِنَّا
أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا * وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ * وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ
فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ *
ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ
سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ
إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ * إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا
وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ * لِيُؤْتِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ
شَكُورٌ * وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ
بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ * ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ
وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ * جَنَّاتٌ عَدْنٍ
يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ * وَقَالُوا
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ

مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَسَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ
 لَا يَقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ * وَهُمْ
 يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم
 مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ * إِنَّ اللَّهَ
 عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلَائِفَ
 فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يُزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مُتَّعًا
 وَلَا يُزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا * قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ كُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا
 فَهُمْ عَلَىٰ يَدْتِهِ مِنْهُ بَلَىٰ إِنْ يَدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا * إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا
 غَفُورًا * وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى
 الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا * اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا
 يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَعْلَاهِ ، فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ
 تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا * أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ
 عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ
 وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا * وَلَوْ يُوَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ
 ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ، فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ
 بِعِبَادِهِ بَصِيرًا .

(التفسير اللفظي)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله فاطر السموات والأرض) خالقهما ومبتدعهما على غير مثال سبق (جاعل الملائكة رسلا)
 إلى الأنبياء (أولى أجنحة) ذوى أجنحة . وليس معنى الأجنحة في العالم المادى إلا ما يقدر به على الطيران .
 فأما في عالم الأرواح فهو ما تمتاز به الملائكة من القوى والقدر الروحانية التي لانسبة بينها وبين القوى المادية
 (مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء) يزيد في خلق الأجنحة ما يشاء كما يزيد في أرجل الحيوان ما يشاء

حتى بلغت فوق العشرين . هكذا في عقول الآدميين ورفيقهم النفس . ويروي « أنه عليه الصلاة والسلام رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح » (إن الله على كل شيء قدير) فيزيد كل ما هو أهل للزيادة مادية أو معنوية كعقول الآدميين (ما يفتح الله للناس) ما يطلق لهم (من رحمة) مطر ورزق وعافية (فلا تمسك لها وما يمنعك) وما يمنع (فلا مرسل له من بعده) من بعد إمساكه (وهو العزيز الحكيم) فيما أرسل (بأيتها الناس اذكروا نعمة الله عليكم) احفظوها واعرفوا حقها (هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأتى تؤفكون) فمن أي وجه تصرفون عن التوحيد إلى الشرك ! (وإن يكذبوك) فتأس واصبر (فقد كذبت رسل من قبلك وإلى الله ترجع الأمور) فيجازيك وإياهم (بأيتها الناس إن وعد الله) بالحشر والجزاء (حق) لا خلف فيه (فلا تفرسكم الحياة الدنيا) فيذهلكم نعيمها (ولا يفرسكم بالله الفرور) الشيطان (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) في نقائدكم وأفعالكم وقوله (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا) أي أفمن زين له سوء عمله بأن غلب هواه على عقله حتى انتكس رأيه فرأى الباطل حقا والقيبح حسنا) كمن لم زين له بل وفق حتى عرف الحقائق فاستحسانه واستقباحه على مقتضى الحق وذلك قدر مقدور (فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء) على مقتضى الاستعداد (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) أي فلا تهلك نفسك عليهم للحسرات على غيرهم . وقوله (فتشير سحابا) على حكاية استحضار تلك الصورة العجيبة الدالة على كمال الحكمة (فسقناه إلى بلد ميت) أي نسوقه (كذلك النشور) أي مثل إحياء اللوات نشور الأموات (من كان يريد العزة فله العزة جميعا) أي من كان يريد العزة فليتعزز بطاعته بخلاف الكفار عباد الأصنام (إليه يصعد السكام الطيب والعمل الصالح برفعه) أي أن الله يقبل السكام الطيب وهو التوحيد والتذكر والدعاء وقراءة القرآن . ومن الذكر « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » وكذلك يرفع الله العمل الصالح ، فإذا صعد السكام الطيب بنفسه إلى الله فالعمل الصالح برفعه الله والمراد بصلاحه الإخلاص فيه فما لا إخلاص فيه لا يقبل وذلك كأداء القرائن . واعلم أن هذا المعنى به يعرف للسلون أن العلوم والمعارف والتحقق من نظام هذه العوالم لا يخرج عن كونها من السكام الطيب . إن هذه المعارف من حيث نظمها وترقيتها للمعكر الإنساني من جملة السكام الطيب بل قولنا « لا إله إلا الله » وما عطف عليه لاسيلا إلى صعودها إلى الله إلا إذا صعدت النفس في المعارف . فالتسبيح والتحميد والتوحيد درجات للسالكين في العلم ، فالتسبيح درجة والتوحيد أعلى والتحميد أعلى وذلك العلو ليس يكون إلا بالعلوم . فإذا رأيت في بعض الأحاديث أن سبحان الله ثوابها عشر درجات ولا إله إلا الله عشرون درجة والحمد لله ثلاثون درجة فليس ذلك لمجرد نطق اللسان بل العلم والمعرفة فإذا أيقن بذات مبرأة من المادة فهو أول الإيمان . ثم إذا عرف أن العالم كجسم واحد يديره مدير واحد كان ذلك أرقى . ثم إذا عرف أن جميع من في هذا الوجود منه وإليه وأصبح ذلك ملكة راسخة في النفس بتكرار البرهان والنظر . فهناك تكون الدنيا والآخرة عند الإنسان نظاما جميلا ويعرف مالا يعرفه كثير من العلماء والعامة وإذ ذلك يتمتع بالسعادة العلمية ، ومتى خلس من الدنيا كان ذلك أوفر سعادة له هذا هو المقصود من التسبيح والتذكر . وهذا معنى صعود السكام الطيب لله فالصعود هنا أن يكون إلا بصعود النفوس من الجهالة إلى العلم ومن العمى إلى الهدى .

بهذا فلنفهم كلام الله سبحانه وتعالى ، فأما الذكر المجرد من العلم فذلك درجة العباد والصالحين وهؤلاء أواخر المراتب في دين الإسلام . ألم تر إلى قوله تعالى « أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين » فهؤلاء الذين ذكرتهم لك الآن هم الصديقون ، فأما الصالحون فهؤلاء يكون كل مقصودهم وهمهم العمل بهذا نفهم السر في قوله تعالى أن السكام الطيب يصعد بنفسه والعمل برفعه الله

إشارة إلى أن السكام الطيب أفضل من العمل الصالح . وبعبارة أخرى العلم والحكمة أفضل من الأعمال والحمد لله على التوفيق .

ثم قال تعالى (والذين يمكرون السيئات) أى للمكرات السيئات كقريش في دار الندوة إذ تشاوروا في أمر النبي صلى الله عليه وسلم من حيث الحبس والقتل والإجلاء (لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو بيور) يفسد ولا ينفذ لأن الله مقدر الأمور والله سبحانه يحفظ الصالحين من الأبيات وتابعهم (والله خالقكم من تراب) إذ خلق آدم منه ، وأيضا الأغذية التي تتحول إلى الأجسام كلها من التراب والأغذية تصير دما ومن الدم النطفة ولذلك قال (ثم من نطفة) نطفة الآباء (ثم جعلكم أزواجا) ذكرانا وإناثا بقدر معلوم بحيث يكاد الفريقان يستويان عددا فلولا لم يكن كذلك لفتى نوع الإنسان وهكذا كل حيوان ، لحفظ النوع لا يتم إلا بتلك المساواة ولا تكون المساواة إلا بتدبير وعلم وهذا معنى قوله (وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه) أى إلا معلومة له ولولا لم يسكن كذلك وكانت للصادقة العمياء هي القائمة في هذه العوالم لم يترتب العدد في الزوجين ولم يحفظ التوازن في الإنسان والحيوان وهؤلاء الذكور والإناث يعيشون على الأرض أياما محدودة ، ولو أن الأعمار طالت مئات السنين وتناست الذرية وكثرت لكان على القدم ألف قدم ولكانت الحياة الدنيا نارا وجحبا إذ يكثر الناس وتقل الحيرات فلذلك تفاوتت الأعمال في جميع الأعصار وكانت بمقدار بحيث لا تطول فوق ما تقتضيه الحكمة فاعتدل النظام بالمرض والموت والوباء والحرب . هذا هو نظام الأرض العجيب وهو قوله تعالى (وما يعمر من معمر) أى ولا يمد في عمر من مصيره إلى السكبر (ولا ينقص من عمره) من عمر المعمر أى لا يجعل ناقصا (إلا في كتاب) وهو اللوح المحفوظ . ذلك لحفظ الموازين في الأرض حتى ينتظم العمران فلولا لم يسكن ذلك بمقادير لا يختلط الجابل بالنابل وساء مصير العمران إذ يكثر الناس وتزدحم الأرض ويشد السكرب وليس ذلك عسيرا على الله (إن ذلك على الله يسير) هين بغير كتابة (وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج) الفرات التي يكثر العطش والسائغ الذي يسهل أمحارده والأجاج الذي يحرق بملوحته ، وفي قراءة « سيغ » بالتشديد والتخفيف ، ذلك ضرب مثل المؤمن والكافر (ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها) هذا استطراد لصفة البحرين ، يقول الله تعالى هما وإن خرج من كل منهما السمك واستخرج الأوؤل والمرجان من الملح فليسا متساويين فيها هو المقصود الأعلى فأحدهما قد دخل فيه ما أفسده وهو الملح فغيره عن القصود منه وهو سقى الأنعام والنبات فإذن الكافر كالملح والمؤمن كالعذب بل البحر الملح أفضل من الكافر إذ يستخرج منه الدر والمرجان والكافر لا فضل له . واعلم أن هذا القول منطبق على ما شاهد في الناس ، فهم شركاء في المعروف الظاهر ولكن العقول متفاوتة متفاوتا كثيرا حتى إن التلميذين من مدرسة واحدة وأب وأم يختلفان أخلاقا اختلافا كثيرا وقد يكون أحدهما أعزرا علما والآخر بليد الطبع وهذا مؤمن وهذا كافر (وترى الفلك فيه مواخر) أى تشق الماء بحرها لتبتغوا من فضله أى من فضل الله بالنقلة فيها والتجارة والمجور متعلق بمواخر (ولعلكم تشكرون) الله على ما آتاكم من فضله . ولما كان بين الفلك في البحر والشمس والقمر في مدارها مناسبة باعتبار أن كلا منهما ومن جميع الكواكب ساجحات في تلك المدارات ، ساجحات في تلك العوالم الشاسعات ، أردفه بذكر الليل والنهار وتسخير الشمس والقمر إذ قال (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) أى يدخل الليل في النهار فيكون النهار أطول من الليل ساعة فأكثر إلى عشر إلى غير ذلك ، ويدخل النهار في الليل فيكون الليل أطول من النهار كما تقدم انظر هنا في (سورة البقرة) وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى (لمنتهى دوره أو منتهاه أو يوم القيامة) ذلكم الله ربكم له الملك (أى الفاعل لتلك الله الخ) والذين

تدعون من دونه ما يعلكون من قطمير) وهي لعافاة النواة وهي القشرة الرقيقة التي تكون على النواة (إن تدعوم) أي الأصنام (لا يسمعوا دعاءكم) لأنهم حماد (ولو سمعوا) فرضا (ما استجابوا لكم) أي ما أجابوكم أو ما نفعوكم (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) بإشراككم (ولا يثبتك مثل خير) ولا يخبرك بالأمر مخبر مثل خير به أخبرك وهو الله تعالى (بأيتها الناس أنتم الفقراء إلى الله) وإنما عبر بالفقراء لبيان كثرة حاجات الناس فإنه كلما كان الخلق أعلى مرتبة وأدق تركيباً وأحسن صنعا كان أكثر حاجة فالحاجة على مقدار الرفعة في هذا العالم ، ولذلك ترى الحيوان أقل حاجة من الإنسان والنبات أقل منهما فالفقر في الإنسان أبين ، لأن الإنسان مدني بالطبع ، وإذا كان الإنسان أكثر الخلوفاً حاجة فهو في أشق حياة ويقابله الله عز وجل الذي هو التقى على الإطلاق (وهو التقى الحميد) فهو المستغنى على الإطلاق للنعيم على سائر الموجودات فله عليهم استحقاق الحمد (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) يقوم آخرين أطوع منكم أو بعالم آخر غيره ما تعرفونه ، ذلك أن الله حميد والحمد على النعم ولا معنى للحمد إلا على معرفتها وعلمها والأمم التي لا علم عندها لا تعرف نعم الله فلا حمد لها والناس خلقوا ليتلقوا النعمة من مبدعها فإذا جهلوا النعمة أذهبهم وأتى بخلق جديد ، إما لاحتلال البلاد واستعمارها كما رآه في أمريكا وأستراليا إذا استؤصل السكان الذين هم أهل البلاد إلا قليلاً حتى إن رجال الحكومة الإنجليزية في الحرب العامة أرادوا أن يجندوا من بقي من أهل البلاد في أستراليا فقبل في مجلس الأعيان . كلا لا تجندوا منهم بل يجب أن يبقى هذا العنصر للأجيال المقبلة في التاريخ هكذا لما بطن المسلمون في القرن السادس وجاهلوا نعم الله ولم يعطوا النعمة حقها أزال ملكهم وسلط عليهم التتار والغول فقتلهم وأزالوا ملكهم ، أقرأه في (سورة الكهف) عند ذكر يأجوج ومأجوج وهكذا الدول قديماً وحديثاً وهكذا أرضنا هذه متى جاء أجلها مزقت كل ممزق وخلق غيرها في أجيال لا ندرها فأمما سكانها فهم في جنة أو في نار (وما ذلك على الله بعزيز) بمتعذر أو متعسر (ولا تزر وازرة وزر أخرى) لا تحمل نفس آثمة إن نفس أخرى ما لم تكن أصلتها فإنها تحمل وزرها ووزرا مثل وزر من ضلوا بها ولكن هذا وزرها هي بالإضلال فأموزر النفس الضالة فلا يحمل عنها (وإن تدع) نفس (مثقلة) أثقلتها الأوزار نفساً أخرى (إلى حملها) ثقلمها أي ذنوبها التي أثقلتها لتحمل عنها بعض ذلك كما قد يفعل في الدنيا (لا يحمل منه شيء) لأن كل امرئ مشغول بأمر نفسه (ولو كان) للدعو (ذا قرين) ذا قرابة قريبة كآب أو ولد أو أخ (وإنما تنذرك) أي ينفع إنذارك يا محمد (الذين يخشون ربهم بالغيب) أي حال كونهم غائبين عن عذابه أو عن الناس في خلواتهم (وأقاموا الصلاة) لأنهم هم المنتفعون بذلك الإنذار (ومن تزكى) ومن تطهر من دنس المعاصي (فإنما يزرئ نفسه) إذ نفعها (وإلى الله الصير) فيجازيهم (وما يستوى الأعمى والبصير ، لا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحياء ولا الأموات) أي وما يستوى الصنم والله ولا الباطل والحق ولا الثواب والعقاب ولا المؤمن والكافر أو العلماء والجهلاء وهو أعم ، والحرور الحر وقد غلب على السموم وزيادة لا في نفي الاستواء لمزيد التأكيد في المواضع الثلاثة (إن الله يسمع من يشاء) هدايته فيوفقه للهداية (وما أنت بمسمع من في القبور) ترشيح لتمثيل المصيرين على الكفر بالأموات (إن أنت إلا نذير) فما عليك إلا الإنذار ، أما الإسماع بالهداية فلا حيلة لك فيه عند من طبع على قلوبهم (إنا أرسلناك بالحق) أي إرسالاً مصحوباً بالحق (بشيراً) بالوعد الحق (ونذيراً) بالوعيد الحق (وإن من أمة) أهل عصر (إلا خلا فيها نذير) من نبي أو عالم ينذر عنه أي إلا خلا فيها نذير وبشير فلكل جيل أناس يبشرون ويخوفون لتنظيم شئون الناس (وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات الشاهدة على نبوتهم (وبالزبر) أي الصحف كصحف إبراهيم عليه السلام (وبالكتاب المنير) كالنوراة والإنجيل (ثم أخذت الذين كفروا

فكيف كان نسكهم (أي إنكارى عليهم بالعقوبة أي انظر يا محمد كيف كان تغييرى عليهم بالعذاب حيث لم يؤمنوا) ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً أي المطر (فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها) أجناسها من الرمان والتفاح وما أشبهها ، ومعلوم أن أصنافها كثيرة أو ألوانها كالحمرة والصفرة والخضرة الخ (ومن الجبال جدد بيض وحمر) أي طرق مختلفة اللون جمع جدة كجدة ومدد (مختلف ألوانها) بالشدّة والضعف (وغرايب سود) أي شديد السواد كما يقال (أسود غريب) تشبيها بلون الغراب وكأنه قيل : ومن الجبال ذو طرق مختلفة اللون ومنها غرايب متحدة اللون وغرايب تأكيد لسود ومن حقه أن يتبع المؤكّد ولكن أضمر المؤكّد بالفتح قبله والذى بعده تفسير للمضمّر كأنه قيل : وسود غرايب سود ، وذلك لزيادة التأكيد بالإظهار تارة والإظهار أخرى (ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك) كاختلاف الثمار والجبال ، يشير ذلك إلى دراسة الجبال والثمار والناس والدواب والأنعام من حيث ألوانها وهيئاتها وأشكالها واختلافها صغرا وكبرا وطعوما وروائح وخواص وتراكيب ونظما ومشكلا من مدور وأسطواني وهرمي ومخروطي وطبا وغذاء ودواء وفاكهة حلوة وزيتية وعطرية ومرة ومائية وحمضية وغير ذلك مما قرأته في هذا التفسير وما لا حصر له في العلوم التي دونها الأولون والآخرون ، ولو أنك نظرت إلى لون واحد من الألوان كالخضرة وتصفحت أنواع النبات نباتا نباتا لم تجد نباتين يتفقان في لون الخضرة ، قف بالحقول وقتس على ما فيها من زرع وشجر زرعه الإنسان أو أنبتة الله رغما منه وانظر هل تجد خضرة ماثلة لخضرة ؟ كلا . وإذا أحصى العلماء أنواع النبات نحو (٣٣٠) ألفا فليست تجد اثنين اتفقا خضرة وقس على ذلك الأشكال والروائح والطعوم ، قف بالحقول واقرا كتاب الله الذي سطره في أرضه . هناك تقرأ آيات التناء والحمد بحسمة ظاهرة لعينك وقلمك على ذلك يحضك القرآن ؛ انظر كيف يقول « ألم تر أن الله أنزل من السماء » كأنه ينكر علينا ألا نرى ذلك إن ذلك يفتح باب المكر متى فتح هذا الباب دخلت منه العلوم فمن هذا الباب تسكون العلوم ويتفرع فرعان : فرع لرقى الأمم ، وفرع لرقى العقول وهما متحاذيان ، فالعمارة يتسع نطاقها والأرواح تزيد أجنحتها إلى المقام الأعلى وتلحق بعالم الملائكة ، وإلا فلماذا خلقنا الله في الأرض ، ولماذا نوع هذه الأنواع وشكل هذه الأشكال .

يا عجباً إنك يا الله خلقت النبات وأرخته من الغناء وأنزلت عليه الماء وفتحت له الأنابيب الشعرية يتمتع كما يشاء من خصب الأرض وعناصرها فيصطنع ما يشاء ويختار : وخلقت الحيوان وأغدقت عليه النعم وكسوته بالريش والجلد الغليظ والوبر والشعر والصوف ومددت له مواثد الرزق وبسطت له بساط الأمن ورغد العيش وقيأته في ظلال أشجارك وأسكنته في كهوف جبالك وهيآت له في أشجارك مساكن وعلمته بلا معلمين ورببته بلا مربين فلا يحتاج لربي يرسل له ولا مدارس تفتح إليه ولا كليات لتخرج المعلمين ولاوزارة لسير التعليم . فهو في رغد من العيش في جناتك الفسيحات في أرضك . هذا يا الله فعلك مع هذه المخلوقات . أما الإنسان فإنه حرم من تلك النعمة نعمة الاكتفاء بما نظمت من الطبيعة فأرسلت له الرسائل له الرسائل ، وكونت له المعلمين وخلقت له المدرسين وأنزلت المرض والهموم بساحاته وفتحت له باب البحث ليخرج من ظلماته ويستعد لسعادته ونوعت له الأنواع وحسنت له الأشكال ووازنت بين حاجته النفسية والمخلوقات الأرضية بحيث جعلت لسكل داء دواء ، ولسكل حاسة مطلوباً ، ولسكل شهوة ما يناسبها وأنصبت وأتمتته . هل كل هذا لهوانه عليك ؟ كلا . ثم كلا إنك يا الله فعلت ذلك به لأنه أكرم عليك من أخويه الحيوان والنبات تريد أن يعرف نظمك الأرضية ليظهر بأجنحة معارفها إلى ساحاتك العلوية ويقتنص من مخايب علومها وخزائن حكمها وجواهر بحورها ما ينفعه في سفرته الترامية الأكناف البعيدة اللطاف .

لهذا وحده آزمات الديانات؟ ولهذا وحده خلق الناس، ولهذا وحده جاء القرآن، ولهذا كانت فلسفة الأولين وحكمة الآخرين ولهذا سيعلو من بعدنا من المسلمين إذا قرءوا هذا وأمثاله من تصنيف علماء المسلمين ذلك هو باب المحبة والعشق إذ لا محبة إلا بعلم صفات المحبوب، ولا علم عند الناس إلا ما وصل إليهم من مصنفاته الهبة وحكمه العالية وبدائعه البهجة، وكلما ازداد المرء نظرا زاد قلبه ولها وحبا والمحبة يخشى المحبوب وبها به، والخشية على مقدار الكمال، فالحب والخشية متلازمان. وكيف يحب الإنسان ماهان في نظره وارتقاء المحبة يتبعها ارتقاء الخشية ألا ترى أنك كلما ازددت من علم عالم أحسست بروحانية تجذبك إليه وخشية تشاك منه وهذا قوله تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء)، قال تلامذتنا رحمهم الله إن شرط الخشية معرفة الخشي والعلم بصفاته وأفعاله، فمن كان أعلم به كان أخشى منه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «إني لأخشاكم الله وأتقاكم له».

المسلمون بغفلتهم عن هذه العلوم أضاعوا أعظم قسط من الدين، ألم يسلب الله عنهم الملك ويعطيه لغيرهم؟ ذلك لأنهم لم يدرسوا نظامه الموجب للخشية كما يوجب الحب، إن الآية دالة على أنه لا يخشى الله إلا العلماء فهم وخدمهم المختصون بالخشية. فهل لك أيها الدكي القاري. لهذا التفسير أن تحت المسلمين وتحص للموحدين على التفكير والنظر. قل للعلماء اقرءوا سائر علوم الطبيعة والفلك. وقل للجهلاء فكروا في كل جبل وشجر وزرع، وتأملوا واذكروا الله على مقدار طاعتكم، وقل للعلماء الذين فليغرسوا في عقول التلاميذ في إبان صغرهم تلك المحاسن والبدايع وليبينوا لهم بعض العجائب الغريبة التي تحدث في نفوس الجيلة وصغار الطلبة تعجبا فإن ذلك يفتح لهم باب الفكر. إن ذلك هو علم التوحيد. إن ذلك هو علم الدين. إن ذلك هو حب الله. إن ذلك هو الموصل لله. إن ذلك هو المرقى للأمم، حُب الله وخشيته وارتقاء الأمم في الدنيا وعلو درجاتهم في الجنة ووصولهم إلى رؤية الله تعالى وتمتعهم بالنظر لوجه الله الكريم، كل ذلك بهذه العلوم فليقب التعليم في الإسلام شرقا وغربا وليغير منهج الدراسة وليعلم المسلمون أنهم لاسعادة لهم في الدنيا ولا في الآخرة إلا بما ذكرناه فقد أُنذرت وحذرت فليستمع الفكرون وليصيح الناصحون وحسبنا الله ونعم الوكيل. ولما كان في الناس من لا يابى هذه العوالم ولا يفكر فيها فقلت خشيتي لله ودام على ذلك ومنهم من أناب ورجع ففكر بعد الغفلة أعقبه بقوله (إن الله عزيز) في ملكه وسلطانه يقهر من لا يخشى الله لغفلة عن صنعته (غفور) لمن تاب وخشى الله بعد الغفلة وذلك فتح لباب الرجاء، فنحن معاشر المسلمين إذا كنا فرطنا في معرفة هذه العوالم فيما مضى فآله وعدنا بالغفران وهو يقبل التائبين. ولما كان المقصود من نزول القرآن وإظهار هذه العجائب إنما هو الأمة الإسلامية أردفه سبحانه بالكلام على درجة العاملين فيها فقال (إن الذين يتلون كتاب الله) يداومون على قراءته مع التفكير المقصود منه ويدرسون هذه العوالم المذكورة قبل هذه الآية دراسة تشمل العالم كله من سموات وأرضين وجبال وزروع (وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا) في السنونة (وعلانية) في القروض (برجون تجارة) رأس مالها وأعمالها النفوس والأموال فالنفوس للعلوم والتفكير والصلاة والأموال للاتفاق والتفنن للبيع هو الثواب والجنة والسفر بها إلى الله تعالى فهي تجارة (لن تبور) لن تسكد ولن تهلك بالحسران وهي تنفق وتروج عند الله (ليوفهم أجورهم) أي أجور أعمالهم (وزيادهم من فضله) على ما يقابل أعمالهم (إنه غفور) لفرطتهم (شكور) لطاعتهم أي مجازيهم عليها وللآية وجه آخر كما سيأتي وهو الأظهر. ذلك أن يكون التالون لكتاب الله الصلون للنفقون هم الصالحون ودرجتهم أقل من العلماء المذكورين قبلهم (والذي أوحينا إليك من الكتاب) أي القرآن (هو الحق مصدقا) حال مؤكدة (لما بين يديه) من الكتب السماوية (إن الله بعباده خبير بصير) عالم بالبوطن والظواهر

فلو كانت أحوالك الروحية يا محمد لا تنفق مع هذا الكتاب لم ينزل عليك (ثم أورتنا الكتاب) يقول الله أوحينا إليك القرآن ثم أورثناه أي حكمتنا بتوريثه (الذين اصطفتنا من عبادنا) يعني علماء هذه الأمة من الصحابة ومن بعدهم أو الأمة بأسرها فهم خير الأمم (فمهم ظالم لنفسه) بالتقصير في العمل به أو بالكفر ، أو من رجحت سيئاته على حسناته ، أو التالي للقرآن الذي لم يعمل به ، أو أصحاب الكبائر أو الجهال (ومنهم مقتصد) يعمل في أغلب الأوقات أو يكون مرثيا بالعمل ، أو من استوت حسناته وسيئاته ، أو التالي للقرآن العالم به أو أصحاب الصغائر (ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله) يضم التعليم والإرشاد إلى العمل ، أو المؤمن المخلص ، أو من رجحت حسناته على سيئاته ، أو من باطنه خير من ظاهره ، أو التالي للقرآن العالم به العامل بما فيه ، أو الذي لم يرتكب صغيرة ولا كبيرة ، أو العالم . واعلم أن هذه العاني لا تنافي بينها ، فكل خصلة من الحاصل فيها سابقون ومقتصدون ومقصرون . فالسابقون يدخلون الجنة بغير حساب والمقتصدون يحاسبون حسابا يسيرا . وأما الذين ظلموا فهم يحبسون في المحشر ثم يرحمون . ثم أشار إلى إرثهم الكتاب واصطفاؤهم فقال (ذلك هو الفضل الكبير . جنات عدن) مبتدأ (يدخلونها) خبر والضمير للذين (يحلون فيها) خبر ثان (من أساور) جمع أسورة جمع أسوار أي بعض أساور مصنوعة (من ذهب) وقوله (ولؤلؤا) عطف على محل من أساور أي يحلون أساور ولؤلؤا (ولباسهم فيها حرير . وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن) من خوف العاقبة ومن أجل المعاش والآفات والوساوس الشيطانية (إن ربنا لغفور) للمذنبين (شكور) للطيبين (الذي أحلنا دار المقامة) دار الإقامة (من فضله) من إنعامه وتفضله (لا يمننا فيها نصب ولا يمننا فيها لعوب) كلال إذ لا تكايف فيها وقد نفي ما يتبع النصب من الكلال بعد نفيه للمبالغة (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم) لا يحكم عليهم بموت ثان (فيموتوا) فيستريحوا (ولا يخفف عنهم من عذابها) لأنهم كلما نفذت جلودهم بدلوا جلودا غيرها (كذلك) أي مثل ذلك الجزء (نجزى كل كفور) مبالغ في الكفر أو كفران النعم (وهم يصطرون فيها) يستغيثون قائلين (ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل) فهم متحسرون على ما أضاعوا أيام حياتهم فأجابهم الله قائلا (أو لم نعلمكم ما يتذكر فيه من تذكر) يوبخهم الله سبحانه على أعمار تنقض بلا تفكير ولا اعتبار كأنه يقول : أهملناكم ولم نعلمكم تعميرا يتذكر فيه من تذكر وهو يتناول كل عمر وإن قصر إلا أن التوخيخ في التطاول أعظم . فإذا قيل هو ثمان عشرة سنة أو أربعون سنة أو ستون سنة فذلك ليس حصرا (وجاءكم النذير) الرسول عليه الصلاة والسلام أو الشيب ، يقول الله عمرناكم وجاءكم النذير (فذوقوا) العذاب (لما للظالمين من نصير) يدفع العذاب عنهم (إن الله عالم غيب السموات والأرض) لا يخفى عليه خافية فيهما ، ثم علله بقوله (إنه عليم بذات الصدور) وإذا علم دقائقها فعمله بغيرها أولى (هو الذي جعلكم خلائف في الأرض) يلقى إليكم مقاليد التصرف فيها (فمن كفر فعليه كفره) أي جزاء كفره (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقننا ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا) القت أشد البغض والحسار يكون في الآخرة (قل أرايتم شركاكم) أي ألهتكم التي أشركتموهم في العبادة (الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض) أي أخبروني عن هؤلاء الشركاء وعمما استحقوا به الشركه أروني أي جزء من أجزاء الأرض استبدوا بخلقه (أم لهم شرك في السموات) أم لهم مع الله شركه في خلق السموات (أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه) أي أمعهم كتاب من عند الله ينطق بأنهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب . ولما نفي أنواع الحجج في ذلك أضرب عنه بذكر الأسباب الداعية إلى ذلك وهو تفرير الأسلاف والرؤساء للأخلاف والتابعين فقال (بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضا إلا غرورا) بأن يقولوا لهم إن هؤلاء شعفاء عند الله يشفعون لهم بالتقرب إليه (إن الله يمك

السموات والأرض) كراهة (أن تزولا) لأن الإمساك منع لهما عن الزوال من الوجود ومن مداراتهما .
 لجميع العوالم من الأرض ومن الشمس والأقمار والسيارات تجرى في مدارات خاصة ولولا الليزان الذي
 وضعه الله في السموات والأرض الذي يعبر عنه علماء العصر الحاضر بالجاذبية لاختل النظام ولتخطمت هذه
 الكرات المشاهدة وزالت نظمها وساءت حالها فبالميزان اتزنت وبالنظام ثبتت في أماكنها واستقرت في
 مداراتها (ولئن زالتنا) على سبيل الفرض (إن أمسكها من أحد من بعده) أي ما أمسكها أحد من بعد
 الله أو من بعد الزوال (إنه كان حلما غفورا) لا يعجل بالعقوبة حيث أتى من يستحقون العذاب إلى أجل
 مسمى ولم يهد الأرض والسموات عليهم هذا . هذا ، ولقد كانت قريش قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم تقول :
 لعن الله اليهود والنصارى أنهم الرسل فكذبوهم (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) أي جاهدين في أيمانهم (لئن جاءهم
 نذير ليكفون أهدى من إحدى الأمم) أي من واحدة من أمم اليهود والنصارى (فما جاءهم نذير) وهو محمد
 صلى الله عليه وسلم (مازادهم) النذير (إلا نفورا) تباعدا عن الحق ، وقوله (استكبارا في الأرض ومكر السيء)
 مفعول لأجله (ولا يحق) ولا يحيط (للكر السوء إلا بأهله) وهو الماكر كما حصل لقريش في الغزوات (فهل
 ينظرون) ينتظرون (إلا سنة الأولين) سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم (فلن نجد لسنة الله تبديلا ولن نجد
 لسنة الله تحويلا) فلا تغير سنة الله في انتقامه من المكذبين فلا يجعل غير التعذيب بدله ولا ينقلها من المكذبين
 إلى غيرهم وهكذا سائر السنن (أولم يسروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) يستشهد
 عليهم بما كانوا يشهدونه في سيرهم إلى الشام واليمن والعراق من آثار الماضين (وكانوا أشد منهم قوة
 وما كان الله ليحزهم من شيء) أي ليسبقه ويفوته (في السموات ولا في الأرض إنه كان علما) بكل شيء .
 (قديرا) على كل ممكن (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا) من العاصي (ماترك على ظهرها) ظهر الأرض
 (من دابة) من نسمة تدب عليها (ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى) وهو يوم القيامة (فإذا جاء أجلهم فإن
 الله كان بعبادهم بصيرا) فيجازيهم على أعمالهم . انتهى التفسير اللفظي .

لطيفة في هذه الآية

يقول الله : لو أني آخذت الناس بظلمهم وكنت طالبا منهم ما فوق طاقتهم بحيث يكونون أبرارا فضلا
 في جميع أعمالهم لم أخلق ما على الأرض من حيوان وبالنالى لم أخلق نباتا ولا معدنا لأن النبات مقدم على
 الحيوان والحيوان مقدم على الإنسان والقصود الأعظم هو الإنسان ولذلك كان عدده قليلا على سطح الأرض
 فهو كالسمع والبصر والحواس في جسم الإنسان ، فلو أني أؤاخذهم بظلمه لمنعت وجود الدواب وما تقدم عليها
 وهكذا الإنسان ، ولكن هذا الإنسان في عالم ليس مرتقيا كثيرا فكان أهله غير كاملين ، ومتى تقاوا من
 الأرض نظرت في أمرهم ووضعهم في أماكنهم المعينة لهم قبل صعودهم من الأرض وإذا كنتم أعدتكم
 للأجنة في الأرحام قوايل ومراضع وأعددت أنا لهم اللب في الأمهات وحنفت الأمهات عليهم فهكذا في العالم
 الذي سترحلون إليه جعلت الملائكة يستقبلون الراحلين من عالمكم ويعاملونهم معاملة الآباء للأبناء أو معاملة
 السجانين للسجونيين على حسب للراتب والدرجات ، فهذا العالم ليس آخر مراتب الإنسانية بل هناك درجات
 ودرجات . فلذلك تركنا على الأرض دوابها وإنسانها ونباتها ومعادنها لأنها مرحلة من مراحل الوجود فليس
 يطلب منها غاية السكال «إن الله كان بعبادهم بصيرا» انتهى المقام الثاني .

المقام الثالث

(في تفسير السورة مراعى فيه تقسيمها)

أذكر في هذا المقام ما كنت كتبت منذ سنين في تفسيرها العام، إذ جعلت ملخص السورة مانثلاً أمام القطن اللبيب فأقول وبالله التوفيق :

اعلم أن هذه السورة تشتمل على (سبع مقاصد) وفيها يلي بيانها :

- (١) وصف قدرة الله بإبداع العالم الحسى والعقلى ، وبأنه منعم متفضل ، وهو توطئة لما بعده .
- (٢) تذكير الناس بالنعم كي يشكروها وإفهامهم لها عسى أن لا يكفروها .
- (٣) تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم بقصص الكاذبين الأولين للنبيين والمرسلين .
- (٤) نداء عام للناس أن يتخلوا عن الرذائل فلا يقربوها ويتخلوا بالفضائل فيلبسوها ، فلا يمتطون غوارب الهواجس ، ولا يتبعون آثار الشياطين ، ولينظروا فيما أبدع الله من الآيات ، وما أحكم في الأرض والسموات .
- (٥) ضرب الأمثال لما سلف من القسمين وإيضاح الطائفتين الكافرة والمؤمنة .
- (٦) تقسيم المؤمنين من حيث النظر إلى (قسمين) علماء محققون ، وصالحون متقون . ثم تقسيمهم من حيث العمل إلى ثلاثة أقسام .
- (٧) وصف الكأس التي يتجرعها الكافرون والتي يشربها المؤمنون والثمرات التي جنبها من جنة عالية أو نار حامية .

﴿ المقصد الأول ﴾

قال تعالى « الحمد لله فاطر السموات والأرض » إلى قوله « وهو العزيز الحكيم » . فطر الله السموات والأرض وأبدعها بلا مثال احتذاء ولا مرشد هداء ، وفصل العالم (نوعين) حياً يراه البصرون . وعقلياً لا يدركه إلا السبصرون من ملائكة ذوى أجنحة تقويها على أن تصعد إلى العلا وتنزل إلى الترى لتنظيم العوالم ووحى الأنبياء وإلهام العلماء وإنذار الألباء وتذكير الصلحاء وتبشير الأتقياء ، وكل له من نعمة يزيد بها ورحمة يرسلها حتى رأينا المحسوسات من الماديات يمتاز بعضها بجمال وآخر بقوة وسلطان وآخر بعبالة الجنان كما ترى من الفرق بين الكوكب والندر والحصى والصخر والقييل والدر والبر والبحر والنخلة والقطير والتمر والنقير . ذلك لأنه يزيد في الخلق ما يشاء ، وإذا منح من لدنه رحمة جرت إلى مداها وإن أمسك فمن ذا ينالها أو يراها ؟

﴿ المقصد الثاني ﴾

قال تعالى « يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم » إلى قوله « فأنى تؤفكون » ما أظهر مراد هذه الآية وما أسهل فهمها على البتدئين .

﴿ المقصد الثالث ﴾

قال تعالى « وإن يكذبوك » إلى قوله « وإلى الله ترجع الأمور » يقول لمن كذبك الجاهلون فكف من نبي كذب ورسول أودى فصبر فرجع الأمر لله فكانت عاقبته النجاة وعاقبتهم الهلاك والعذاب .

﴿ المقصد الرابع ﴾

قال تعالى «يا أيها الناس إن وعد الله حق» إلى قوله «إن ذلك على الله يسير» أبان في مبدأ القول نظام العالم إجمالا وأن منه محسوسا ومعقولا وغائبا ومشهودا . وطلب شكر النعمة والحمد لله على إفضاله وطيب قلب الداعي عن بصيرة ليشرح فؤاده ويوضح مراده . أخذ يذكر الناس بآيات الأنفس والآفاق ويقول لا يفرنكم القريب العاجل . ولا يحجبكم بهرج زينة الحياة عما وعدناكم بعد اللوات . وإياكم أن تغرکم العاجلة فتدروا الآخرة . وإياكم أن تقرّبوا الشهوات فما أشد سعيها وما أكثر ضررها . وهل يستوى من استحسن قبيح الذنوب ومن أدرك ما فيها من العيوب . كلا . ألا إن القدر عم كليهما والقضاء سجل كتابهما فلا تهلك نفسك من الحسرة ولا تكن جزعا بالمرّة . فإذا خلصت السرائر وتزكت القلوب ونارت الضمائر فما أحرأها أن تنظر السحب وعجائبها وكيف تسيرها الرياح وتزجرها وتسقي الأرض فتنبت أشجارها وينمو زرعها . ذلك عجب نقش على طرسه ونطق لسان حاله بوصف الله بالحكمة البالغة والقدرة الشاملة وأن لا تعجزه الرمم البالية أن يردّها حية صالحة وكيف لا يقدر على إحياء الأموات من أحياء الأرض اللوات، إن في ذلك آيات ، فمن اشترأب إلى العز فكيف يطلبه من سواه . أورام الشرف فمن ذابيهه إلا الله . وهل لغيره عزة فيعطها أو ممالك من نفسه فيهب منها ويسديها ؟ فاطلب العزة بالعلوم وفهمها والأعمال وإتقانها ، والعلم بلا أعمال أشجار بلا أثمار . الإيمان صاعده والعمل الصالح يقوى دعائه ويثبت فضائله إلا أن العمل الصالح يرفع الإيمان وبهما يسعد الإنسان . وإذا كان الطين والتراب ترقيا بالأسباب وصعدا بالاصطناع إلى أن صاروا ذكرانا وإناثا وبنين وبنات ونساء والذات وعقولا فاضلات، فهكذا ترقى النفوس إلى الملك القدوس وتصعد الأرواح إلى معارج القلاح .

﴿ المقصد الخامس ﴾

قال تعالى « وما يستوى البحرين هذا عذب فرات سائغ شرا به وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون» إلى قوله « فكيف كان تكبير» . لما أبان سبحانه المؤمن والكافر وحكم ييطان مكر أحدهما وفساده ورفع أعمال الأول وورشاده أتبعه بضرب الأمثال كما هي سنة القرآن فضرب المثل تابعا لبيان الحقيقة ولإنارة الحجة فشبههما بالبحرين هذا عذب فرات يكسر العطش بعذوبته وهذا ملح أجاج يحرق بملوحته ومن كليهما نصيد السمك وفيهما تسير السفن وتغوص على الدر وهكذا . هما يشبهان في ذاتهما الأعمى في الضلالة عن طريق الرشاد والبصير في الهداية وصفاتهما أشبه شيء بالظلمات والنور ودارهما في المال كالظل الظليل وحر السموم . ثم ارتقى إلى نهاية التمثيل وغاية التحقير والتبجيل فبما هما أحياء وأمواتا ورتب عليه أن قال « وما أنت بسمع من في القبور» . ومن عجب أن يتخلل هذه الأمثال أمور ذات بال كالاستطراد بذكر الحلية ولبسها ولحوم السمك وأكلها وسير السفن وحملها والتجارة وعلومها وشكر الله على نيلها ثم الانتقال من السبب إلى السبب ومن السفلى للأعلى ، فكذلك للسفن المواخر في البحار من علاقة بالسكوكب السيار والفلك الدوار . وهل تهب الرياح في البطاح إلا بإرسال الحرارة الشمسية فتمدها وهي تسوق السفائن وقد انتفخت القلوع وجرى السفين في البحر للملح أو النهر العذب وهما يجريان في مطارح شعاع الشمس والنجوم ولولا الحرارة لكان النهر ثلجيا والرياح راكداً والسفن راسيات غير مسافرات .

فلذلك ذكرا لإبداع إبلاج الليل في النهار وإبلاج النهار في الليل باقتراب الشمس وابتعادها، فلقد يكون

النهار ستة أشهر والليل مثله ، وقد يتبادلان الزيادة والنقصان من ساعة إلى يوم إلى أيام إلى شهور . ومن عجب أن لا يزيد أحدهما إلا ما نقص من الآخر ولا يتساويان إلا في يومى الاعتدال كما أنهما متساويان على مدى الزمان في خط الاستواء ، فالليل والنهار مستويان إذا حسبناهما على مدار السنة ومختلفان في فصول الصيف والشتاء والحريف والربيع ، وهل لأحد غير الله فهما من قطمير ؟ ما أشد فقر الإنسان بل هو أفقر الحيوان وسائر المخلوقات .

إن الفقر للإنسان مقصور عليه ، فهذه البحار وحليتها والأنهار وسحمتها والسفن وحملها والرياح وقوتها والعواصف وثورتها والكواكب ودورتها والشمس وحرارتها . كل ذلك يحتاجه الإنسان وعلى المسلمين أن يعلموا ويعملوا ما يصلحون به حياتهم ويحبون قوتهم ويرفعون رءوسهم بين العالمين ، وهل بعد قول الله تعالى « وتستخرجون حلية تلبسونها » بناء الخطاب بيان ؟ لقد جهل المسلمون في هذه الأيام معادن الشرف وأما كفن الفنى والنعمة فناموا على وساد الراحة ولم يفكروا فى المرجان النابت فى قبعان البحار وغفلوا عن الدر الخزون فى أصدافه . وقليل من المسلمين اليوم من استيقظ لهذه الأفعال . فهذه المعانى هى التى تخلت خمسة الأمثال للفريقين المؤمنين والكافرين وهذه من أعاجيب القرآن ومن هنا فلتفهموا عجايبه ولتدركوا غرابه فلم يبق إلا تصور حال المؤمنين لشدة العناية بهم .

﴿ المقصد السادس ﴾

قال تعالى « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها » إلى قوله « ذلك هو الفضل الكبير » . هنا قسم المؤمنين إلى طائفتين وأرجعهم إلى قسمين : فمنهم المفكرون والحسكاه والمحققون الذين تغافلوا فى هذه العوالم فعرفوها وذاقوا لذة العلم واستحلوها وتبينوا اختلاف الأشكال والألوان وتفاوت الثمار وتخطيط الصخور فى الجبال وتباين أشكال الحيوان وعجائب النبات ودرسوا العلم وعقلوه فعرفوا الله ونصروه . فهل يخشى الله سواهم أو يعرف مقدره إلا هم ؟ ومنهم الذين تلوا الكتاب وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فأولئك هم الصالحون . والأولون هم العلماء الوارثون فأولئك أقرب إلى الله فى عليين وهؤلاء فى رياض الجنة فرحين . ثم إن المؤمنين أجمعين إما سابقون علمون متقون معلمون ، وإما مقتصدون عاملون فى أكثر الأوقات . وإما ظالمون مقصرون فى الأعمال . فهذا تمام الوصف الذى وصف به المؤمنون فلم يبق إلا ذكر الجزاء للفريقين من مؤمنين وكافرين وهو :

﴿ المقصد السابع ﴾

قال تعالى « جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير » إلى قوله « إنه عليهم بذات الصدور » . وصف الجنة وحليها من أساور من ذهب مرصعة باللؤلؤ وحلل الحرير وما يعلنون من السرة ويظهرون من الفرح واللذة ووصف أهل النار بالاستغاثة والاصطراخ وتبئيسهم من الرجوع للحياة الدنيا وتبكيهم بتقصيرهم أيام الإيمان . ثم ختم السورة بمجهرتين زهراوين وباقوتتين حمراوين من إتيان النظام واصطلاحه العام ومن تدمير الناس وإفسادهم فى الأرض فهو مصلح وهم مفسدون . ولقد كانوا خلفاء فى الأرض وما أجدرهم أن يتخلقوا بأخلاقه ويسيروا على الصراط المستقيم فانه عز وجل نظم جواهر النجوم الزاهرات والكواكب السيارات وربطها بأسباب وأرسل لها من لدنه رحمة فأمسكتها بحجة حفظتها فدارت فى مداراتها وجرت فى أماكنها واجتذبتها جذبا لطيفا بمواسك من التعاشق سماه علماء المحسوسات [جاذبية] وتلك المواسك تمسكها لئلا تزول عن مداراتها وتختل فى نظامها ولولا ذلك لتفرقت أبدى سبا ، وطاحت شذر منذر ، فباد الوجود وهلك للوجود وذلك قوله تعالى « إن الله يمسك السموات »

لى قوله « حلينا غفورا » وإيضاح الجوهرة الثانية إن الناس أفسدوا وما أصلحوا وعجزوا أن يعقلوا عجائب النظام وبدائع الإتيان فأتخذوا قه أندادا وعبدوا أوثانا فباؤوا بالغضب صاعرين ورجعوا بالملت محرومين وإذا عاهدوا عهدا نبذوه وإن حلفوا أن يتبعوا رسولا إن جاءهم لم يتبعوه وطباعهم الكبرياء وشأنهم الإباء، فهلا ساروا في الأرض فدرسوا أحوال الأمم الظالمة والأجيال البائدة وهم كانوا أكثر منهم عددا وأعز منهم نفرا طحنهم الثرى بكله ومزقهم بطوله « فتلك بيوتهم خاوية » وجماعاتهم للأقدار جائية، ألا إن عاقبة البقى لهم ودائرة السوء تدور عليهم، ولولا رحمة الله الواسعة أحاطت بهم لأبدنا كل نسمة، ولكننا نؤخرهم إلى أجل معدود لأن رحمتنا أوسع وفضلنا أعم، فليتعمتوا أياما في ساحات رحمتنا، ولنورد لهم موارد الهلاك بدلنا جريا على ناموسنا العام وعدلا في النظام وذلك قوله تعالى « وهو الذي جعلكم خلائف في الأرض » إلى قوله « إلا غرورا » وقوله « وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم » إلى آخر السورة .

﴿ آيات العلوم أربع عشرة ﴾

وهي قوله « الحمد لله فاطر السموات » إلى قوله « فأني تؤفكون » وقوله « الله الذي أرسل الرياح » إلى قوله « من قطمير » وقوله « ألم تر أن الله أنزل من السماء » إلى قوله « إن الله عزيز غفور » وقوله « إن الله يمكس السموات » إلى قوله « حلينا غفورا » وقوله « أو لم يسيروا في الأرض » إلى قوله « فإن الله كان بعباده بصيرا » .

(العلوم) - علم الحساب والجو والرياح وازراعة وعلم الحياة وعلوم البحار والسفن وهي لا تيسر إلا بعلم الملك والهيئة والتقويم والتعارف البرى والبحرى والهوائى ومعرفة الجاذبية العامة وجغرافية البلاد وتاريخ الأمم للاعتبار . فهذه العلوم مما يجب وجوبا كفاثيا أشارت لها هذه السورة ، ولقد تركها المسلمون وقم غيرهم بها ، فالعذاب عليهم جميعا واقع في الدنيا والآخرة ماله من دافع مالم يسمعوا قول الناصحين وكل مالم حق يتم النظام العام في ديار الإسلام .

﴿ آيات الأخلاق سبع ﴾

وهي قوله « يا أيها الناس إن وعد الله حق » إلى قوله « أصحاب السعير » وقوله « يا أيها الناس أتمموا فقرائكم » إلى قوله « وإلى الله الصبر » وقوله « إن الذين يتلون كتاب الله » إلى قوله « غفور شكور » . الأخلاق تزكية النفس من الرجز وتخليصها من الإثم واعتبار أن الحياة الدنيا طريق والآخرة مقروان على كل أمرى، إنع ، وأن يقوى المرء إرادته ولا يتسكل على أحد إلا الله بالعمل الصالح، فليذكر المرء السكسل وليدأب في العمل وليخش الله وليقم الصلاة اه .

﴿ مقال عام : في قوله تعالى « ما يفتح الله للناس » الخ ﴾

وفيه (مقامان : المقام الأول) فيما يفتح الله به على الناس ، وهو إما فتوح باستخراج مافى العناصر الأرضية من منافع وعجائب ، وإما بكشف خسيرات كانت خافية على الناس في الطبيعة فظهرت لهم . (المقام الثانى) ما يمسكه الله فلا يفتح للناس رحمة بهم وهو أعلم بما ينفعهم . ففي المقام الأول (فصلان : الفصل الأول) فيما فتح الله به على الناس باستخراج مافى العناصر الأرضية وذلك .

﴿ جوهرة : في قوله تعالى « ما يفتح الله للناس من رحمة فلا يمسك لها » ﴾

(العناصر)

اللهم إنك أبدعت نفوسا من النور وكوتها من الجمال فأشرفت وابتهجت وبها أضاءت حواسنا واستنارت مدننا وأشرفت الأرض بنور ربها كما أشرفت أرواحنا فالأرض مشرقة وأرواحنا مشرقة والسكن إشراق العوالم

التي تحيط بنا على (قسمين) : إشراق ظاهر تدركه الحواس وإشراق باطن لا تدركه إلا العقول ، فأما الإشراق الظاهر الذي تدركه الحواس فقد اشترك فيه الحيوان والإنسان . فأما الإشراق الباطن الذي اختص بالإنسان فهو ما خزنته في عناصر المادة من النور المتراكم للتأثير المستور عن أعيننا الخبوء الذي منعه عن الإبصار ولم تعطه للناس إلا بعد طلبه والجهد في تحصيله وشوقت نفوسا ونفوسا إلى استخراجهِ والإستضاءة به . ماذا تقول يا الله في عوالمك التي أحاطت بنا ، ماذا تقول في جمال رائع وحسن باهر ماذا تقول وقد أودعت في هذه الدنيا عجائب عجائب تحس بها حواسنا ولا نفقهها عقولنا إلا بعد النصب والعب ونسمعك تقول « قل الحمد لله سيركم آياته فتعرفونها » ونسمعك تقول أيضا « قل هل يستوى الذين لا يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب » .

أنت وعدتنا أن نعرف وقرنت الوعد بأن أمرتنا بالحمد والحمد يستوجب معرفة النعمة ومعرفة النعمة لانتم إلا بمعرفة سابقة ، فالمعرفة شرط للحمد فلا بد من المعرفة حتى يتم الحمد . نحن نحمد على ما نعرف وهذه المعرفة تستدعي معرفة أخرى وهذه الأخرى يتبعها الحمد وهكذا معرفة معها حمد يتبعها أخرى . إذن شرط المعرفة اللاحقة أن تتقدمها معرفة سابقة بحث عليها ، فإذا لم تكن معرفة سابقة عدنا اللاحقة وهذه حال المسلمين في القرون التأخرة ، نظروا الهواء والماء والملح فلم يظنوا فيها خيرا إلا ما تعرفه العامة ولم يبحثوا عن سر هذه المخلوقات مع أنك ذكرت في قصة سليمان المذكور في مقام آخر أنك سخرت له الريح . فالريح سخرت لسليمان ثم قلت « وإن له عندنا زلزال وحسن مأب » إذن الذي سخرت له الريح أعطاه الله زلزالا وأعطاءه حسن مأب . فلننتظر في الهواء الذي به يكون الريح . نظرنا فوجدنا أن هذا الهواء مركب من نيتروجين وأوكسوجين ومعهما بخار الماء وكربون (غم) فلفظ نيتروجين كلمة إنجليزية يرادفها بالفرنسية آزوت فهذان العنصران منهما يتركب الهواء والنيتروجين نحو أربعة أخماس الهواء فكل أربعة أجزاء من النيتروجين معها جزء واحد من الأوكسوجين . ومعلوم أن الأوكسوجين أحد جزئي الماء أيضا .

هذا النيتروجين الذي هو أهم أجزاء الهواء . ذلك الهواء الذي يحمل السحاب وبه تسير السفن في البحار ويهب على بيوتنا فيطرد المواد والحيوانات الدرية الضارة بنا وهكذا ينثر ضوء الشمس على الأرض ولولاها لكان ضوءها خاصا بما يحاذي قرص الشمس وبه يكون لون الجو أزرق فلولاها لكان سوادا حالكا . أقول : هذا النيتروجين الذي في هذا الهواء الذي هذه صفاته هو أهم جزء في حياة النبات وفي حياة الحيوان هو المكون لعضلات الحيوان ولأهم أجزاء النبات . فالهواء الذي أهمه هذا العنصر يحيط بالناس من يوم أن خلقوا على الأرض ولم نعرف عنه شيئا إلا ما ذكره الله في القرآن من أن الريح وهو الهواء المتحرك سخر لسليمان وقد مدحه الله ولم يذمه حتى إذا ارتقى الإنسان وكثر علمه وازدهرت الأرض رأينا السهاد الذي به يسمد الزرع أهم أجزائه هذا النيتروجين . وقد وفق العلماء في الدنيا لقتل الثورات المهلكة للإنسان في الطاعون والأمراض والله رحيم فليس من المعقول أن يوفق الناس لتقليل الطاعون ثم هو لا يعطيهم غذاء . كلا . فإن هذه الأرض كلها مشرقة بنوره . فعقولنا من نوره والأرض مشرقة بنوره ، هنالك بحث العلماء في الدنيا عن الأسمدة غير المعروفة لنا وهي فضلات الحيوان المشتملات على مقدار كبير من النيتروجين ، فماذا فعلوا ؟ وجدوا مناجم في (جزيرة شيلي) وفيها مادة تسمى (نترات الصوديوم) فهي مركبة من النيتروجين والصوديوم وقد استخراجوا منها (٧٠) مليون طن ولكن علموا أن هذا المورد قليل لا بد من فئاته ، فمن أين يأتيون بالسهاد الذي يكفي الأرض ؟ لأن نوع الإنسان كثير والدواب كانت فضلاتها تكفيه قديما أما الآن فلا .

فاذا نفذت مقادير النيتروجين المركب مع غيره من جزيرة شيلي هنالك يكون قحط عظيم في العالم لايقفه الماء والطربل يقفه السماد . هنالك وفق انه عالما ألمانيا اسمه (فرتزهاير) فقال في نفسه : [نحن نحتاج إلى النيتروجين ولولا لهلك كثير من الناس في المستقبل فهل من طريق بها نثبت هذا العنصر ونستخرجه من الهواء حتى تنعى مزروعاتنا به] فكما نرى أن جزيرة شيلي فيها التترات أى مركبات النيتروجين وزبل البقر مثلا فيه ذلك . هكذا نراه في نفس الهواء وهذا مخزن لاينفذ . هنالك رجع إلى الكهرياء وقال في نفسه : [لا بد من استخدام الكهرياء] تلك الكهرياء التي لم تسكن إلى عهد قريب إلا مجرد لعبة وتسلية وهي التي لما خطب فيها (فاراداي) خطبة قالت له سيدة : هب أن أبحاثك هذه وتجاربك صحيحة كما تقول فما الفائدة المرجوة منها عملا ؟ فقال : إن قيمة هذه الاكتشافات هي كقيمة طفل ولد حديثا لاحول له ولا طول ولكنه سيصير يوما من الأيام رجلا ذا بأس شديد ، ولما زاره (غلادستون) الشهير ومعه كبار رجال الدولة واطلع على أبحاثه سأله : ما الفائدة العملية من هذه التجارب فأجابه قائلا : [لايمضى زمن طويل حتى نجنى منه الدولة التي ترأسونها للبالغ السكثيرة من الضرائب] ولقد تحق قوله ، فمن استخدمها في ارتقاء الصناعة والزراعة (فارتزهاير) الذي نحن بسدد السلام عليه بعد ذلك بنحو قرن وهو في زماننا حتى يرزق فماذا فعل ؟ رجع إلى الكهرياء التي جعلوا لها فرنا اسمه (الفرن الكهريائي) وهذا الفرن الكهريائي آلة غريبة بديعة مدهشة كأنها السحر الحلال ، فهو مبرد ومسخن ، أما التبريد فإنه يبرد الغازات تبريدا يصير به تحت الصفر إلى درجة (٤٥٩) ومعنى التبريد إلى هذه الدرجة أن (فهرنهيت) الألماني لما وضع آلة مقياس الحرارة (الترمومتر) في مخلوط للملح والجليد هبط زئبقه (٣٢) درجة عن درجة الجليد فنوم أنه بلغ أدنى درجات الحرارة فدعاه تلك الدرجة درجة الصفر . ولكنه بعد ذلك ثبت أن الصفر المطلق هو تحت صفر (فهرنهيت) بنحو (٤٥٩) درجة هذا معنى ما قلته لك إن الفرن الكهريائي يبرد إلى هذه الدرجة التي هي غاية البرودة وبهذه الطريقة أمكن العلماء تحويل الغازات أجساما صلبة ، وفي أمريكا يردون الغازات التي تشبه الهواء فتجمد كما يجمد الماء بالتبريد ويبيعونها بمصر مثلا .

هذا هو التبريد ، أما التسخين فإن الحرارة بلغت (١٤٠٠٠) فوق الصفر وهذه أعلى من حرارة الشمس (٣٠٠٠) درجة إذن الحرارة التي يتحكم فيها الصانع بالفرن الكهريائي نحو (١٤٤٥٠) درجة . فهذه الدرجات يتحكم الصانع في الأجسام لأن الحرارة تمنع تماسك الأجسام وتباعد دقائقها فتتحول إلى بخار ثم ترجع التترات إلى عناصرها الأولية ثم تطير من تلك العناصر بعض كهارب لأن الأجسام كلها ترجع إلى الكهرياء والجزء من تلك الكهارب المحللة يعادل جزءا من (١٨٠٠) من ذرة الهيدروجين ، وهذه أصغر وحدة في هذه الدنيا ، فهذا الفرن الذي هو أشبه بالسحر حولوا السكر بون إلى اللسان وحولوا الفحم إلى الجرانيت المستعمل في أفلام الرصاص ، وهذا الفرن نفسه هو الذي استعمله (فرتزهاير) في استخراج النيتروجين من الهواء واستعماله بدل السماد الطبيعي من الدواب ومن جزيرة شيلي وبه أصبح العالم الإنساني الآن لايعنى من نفاذ السماد من الأرض .

ومن أعجب العجب أن ألمانيا في أيام الحرب انفصلت عن العالم فتمنع عنها (نترات شيلي) أي المركبات النيتروجية الآتية من شيلي التي كانت تعتمد عليها في تسميد أرضها ، فلولا استعانة هذا العالم بعلم الكيمياء بطريق الفرن الكهريائي وجعل هذا الغاز الهوائي جسما جامدا تسمد به الأرض ما بقيت ألمانيا تدافع عن نفسها خمس سنين وهذا النيتروجين للركب كما يتفع سمادا يتفع في مركبات الكيماوية كالنشادر ومادة تسمى (التريك) وما اشتق منهما في صنع المفرقات في الحرب ، فهذا النيتروجين نفع ألمانيا زمن الحرب في تسميد زرعها وفي قتال عدوها ، وبهذا العالم أمكنها أن تعيش خمس سنين وحدها منعزلة كما تقدم هذا هو

الهواء وفوائده التي تنفع في غذائنا وفي قتال عدونا فالأمر يرجع إلى التبريد والتسخين ، فهذا غاز وبهذا الفرن يرجع جامدا بعمليات لا يصح ذكرها لصعوبتها ومثالها سهل : إننا نرى البخار أخف من الماء نحو (١٧٢٨) مرة والهواء أخف من الماء (٨٠٠) مرة ومع ذلك نرى البخار صار ماء والماء صار ثلجا والثلج نخلطه بالملح فنزل درجته فيكون أبرد، إذن البخار الذي هو أطف وأخف من الهواء صار صلبا هكذا هذا النيتروجين الذي هو جزء من الهواء الذي هو أغلظ وأثخن من البخار صار صلبا . فهذا أمر أمكن فهمه لنا في هذا التفسير بدون أن ننظر الفرن الكهربائي . ومع صعوبته أذكر الطريقة إجماليا فوق ماضيته من المثل ليقترب على الأذكياء فيفرضون بتعمة العلم فأقول :

طريقة ذلك أنهم يطلقون الحرارة الكهربائية في مزيج الأوكسجين والنيتروجين (وبعبارة أخرى) في نفس الهواء لأن الهواء أهم أجزائه هذان العنصران ، فهذه الحرارة يتحدان أي تكون بينهما ألفة تامة كالألفة بين الأوكسجين والأودروجين إذ يتسكون منهما الماء ويقال لهذا التحد هنا (فوق أكسيد النيتروجين) كما قيل فيما تركب من الأوكسجين والأودروجين ماء فإذا عولج (فهو إكسيد النيتروجين) بالماء صار (حامض النيتريك) إذن النيتروجين عومل مرتين مرة مع الأوكسجين ، ومرة مع الماء حتى صار حامض النيتريك . هنالك تستخدم الأفران الكهربائية ويعمر في أنابيب يحيط بها الماء البارد ويعامل بالجير ويباع النانج في الأسواق باسم (ملح الروبيج) أو ملح الهواء وباللسان الكيميائي (نترات السكسيوم) وهذه الطريقة تستعمل في البلاد ذات المنابع الكهربائية الرخيصة كبلاد (روج) التي تسكثر فيها مهابط الماء التي تستخدم في توليد الكهرباء من غير نفقات طائلة ، والشركات في بلاد روج تستخدم في توليد الكهرباء قوة نصف مليون حصان من القوة بالاستمرار في تثبيت (النيتروجين) الجوي وأن الحكومة المصرية الآن تدرس المشروع توليد الكهرباء من خزان أسوان فإذا نجحت أمكن تثبيت نيتروجين الهواء بهذه الطريقة وتوفير مبالغ طائلة تستخدم بها الأيدي العاطلة .

اللهم إنك أنت متقن الصنع مبدع ، أحسنت كل شيء من ذا كان يظن أن الهواء فيه أحمدة ومفرقات وآلات قاتلات ، من ذا الذي كان يظن أن القوة الكهربائية في السلك الكهربائي الذي يحدث في الناس رعدة قد كانت محبوة في أكثر المخلوقات واستخراجها أمكن تسخير الهواء لتسميد الأرض فيغذى بها الزرع كما تغذى دماءنا ؟ من ذا الذي كان يظن أن الماء النصب من أعلى كاه الجنادل والشلالات في أعلى النيل يؤثر في حياة الشعب فيرفعها ؟ من ذا الذي كان يتفطن إلى أن أجزاء الهواء يؤثر فيها الكهرباء فتتحد ويصايرها الماء وجريها في الأنابيب ومعاملها أيضا بالجير تصبح ملحا يباع في الأسواق يسمونه (ملح الهواء) إذن في الهواء ملح ، الهواء الذي يضرب به المثل في أنه خال من كل شيء يستخرج الناس منه مادة يبيعونها جامدة نافعة . هذا هو الجمال الإلهي والحكمة العالية اهـ .

هنالك لما اطلع صاحبي العالم الذي اعتاد أن يخاطبني في هذا التفسير قال : إن هذا الموضوع قد وضح وضوحا تاما وقد كنت أقرأ مثل هذا فلا أفهمه وكنت أسمع أن الألمانين عندهم سبع معامل في بلادهم بها حولوا النيتروجين إلى آلات مهلكات وأن تلك المعامل قد حولوها بعد الحرب إلى مصانع للسجاد فكنت أعجب من هذا وأقول كيف يحول النيتروجين إلى آلات مهلكة وإلى سجاد تسمد به أرضنا حتى عرفت الآن فقه الحمد .

هذا وليكن الآن أريد مسألة أخرى ، أنت ذكرت للملح أيضا مع الهواء فأى شيء في الملح فوق ما قرأنا في هذا التفسير سابقا ؟ قلت له : فيه عجائب كثيرة بطريق الكهرباء ، فقال : وما هذه العجائب

فإنني والله لفي شوق شديد لما تقول ؟ وإنما كان ذلك الشوق لأنني أدهش إذ أرى الهواء الذي يملأ هذا المكان يخاطبني الآن ويقول لي : أيها الإنسان . أنا كما أحمل لك الروائح الذكية لسرورك والحبيبة لنحترس منها ، وكما أحمل طلع الأزهار من ذكورها إلى إناثها ، وأحمل إليك كلام من يكلمك فتعقله وتفهمه هكذا أنا أدخل جسمك وجسم الحيوان أغذيكم جميعا وأغذي نباتكم .

هذا هو الهواء يحدثني عن نفسه ويقول : أنا أحمل العلم في الكلمات الاتي هن حركات تسمونها أنتم أصواتا في . فهذه الكلمات أنا أحملها وأوصلها من العالم إلى التعلم . فأنا نعمة من حيث لقاح الأشجار وجرى السحاب وسباع العلوم والأخبار . وفوق ذلك أنا أدخل في تركيب أجسام الأحياء ، فأكون لهم عضلات . قال صديقي : فلما سمعت هذا من الهواء زاد تعجبي ودهشي . فرجع الهواء يقول لي أيضا : فإذا لم تعقلوا هذه النعمة فوالله ليحولن الله النيتروجين الذي في ويجعله آلات مهلكة لأجسامكم مخربة لمساكنكم كما خربت مساكن عاد ونمود .

هذا خطاب الهواء لي الآن سمعته ، فهل تحدثني حديثا آخر عن الملح عسى أن أسمع عنه خيرا يسرفني فأسمع خطابه لأن لذة الحياة أن نسمع خطاب هذه المخلوقات حولنا ومن لم يسمع مات أصم جاهلا وأكثر الناس صم بكم عسى فهم لا يعقلون . قلت .

﴿الملح وفوائده﴾

إن الملح تقدم عليه السلام في آخر (سورة آل عمران) وإنه مركب من الكاور والصدويوم والكاور جسم راحته مغطسة بميتة مهلكة والصدويوم تقدم وصفه قريبا في هذه السورة وهو جسم يحترق متى لامس الهواء فيتكونه في الماء ومنهما تكون هذا الملح ، فهذا الملح يسكن في ماء البحر وفي بعض طبقات الأرض ومتى مر الطيار الكهربائي في محلوله للماء كما مر في النيتروجين مع الأكسوجين كما تقدم يخرج منه ثلاث مواد مهمة (أولا) الكاور (ثانيا) الهيدروجين (ثالثا) الصودا الكاوية .

فهذه المواد الثلاث يستخرج الناس منها اليوم قناطر منظرية كلها من نفس ملح الطعام المحلول في الماء ويظهر ذلك عند شلالات (نياغرا) بأمريكا فقل كلمة كاور كلمة غير معروفة عند قراء التفسير . قلت له : ولكن فوائدها عظيمة فمنها :

- (١) إنها تضاف إلى ماء الثرب فتطهره من الجراثيم القاتلة لاسما ج اثم الحمى التيفوذية ، فقد كان هو السبب في منع انتشار ذلك الداء الفتاك وقطرة منه واحدة تكفي لقتل الجراثيم في ثمانين لترا من الماء .
- (٢) ومنها أنه أي الكاور يضاف إلى الجير فيكون منه مادة تزيل مافي المادة التي يصنع منها الورق من الألوان فتفسخها ويصير أبيض .
- (٣) ومنها أنه يضاف إلى مواد أخرى فينفع في الطب وهو (الكاور فورم) فيحدث التخدير ، فهو إذن قاتل الحشرات مبيض الورق مخدر الإنسان في حال الأعمال الجراحية .
- (٤) ومنها أنه هو نفسه غاز سام استعمل في الحرب .
- (٥) ومنها أنه يوضع مع مواد أخرى تكون منها غازات وأبخرة سامة .
- (٦) ومنها أنه يدخل في المفرعات .
- (٧) ومنها أنه يدخل في تركيب المواد المهلكة للحشرات في فن الزراعة .

سبحانك اللهم . تباركت يا الله . ملح الطعام الذي أماننا تأكله ونراه كل يوم يصبح مطهرا لشربنا قاتلا للحيوانات التي تقتل آلاف الآلاف منا ، الملح إذن قاتل للحيوانات القاتلات لنا ، مبيض لورقنا منظف

له مزيل الآلام عن جرحانا . مهلك للأعداء في الحرب ، إذ يكون غازا ساما أو بخارا متحدا مع مواد أخرى محرب للباني . فهو يقتل الأعداء من نوع الإنسان ومن الحيوان محافظة على سلامة الأبدان ، فقال صاحبي زدنا من هذا .

فيساعد حدثنا بأخبار من مضى فأنت خير بالأحاديث يساعد
نحن عرفنا فوائده السكور الذي هو أحد جزئى للملح . ففوائده الهيدروجين . ومافوائد الصودا الكاوية
التي حللتها من الملح مع ماذاب فيه من الماء . فقلت :

(الهيدروجين)

أما الهيدروجين فإننا إذا أحرقناه في الهواء فإنه يتحد بالأكسوجين ويتكون منهما الماء ويبقى الأوزون
أى النيتروجين ويتحد هذا الغاز الأخير بالهيدروجين في أحوال خاصة فيتولد من اتحادها غاز (النشادر)
الستعمل في صنع الجليد .

فلما سمع صاحبي ذلك قال : مامعنى هذا ؟ قلت معناه أننا لما أمررنا التيار الكهربائى بالملح للذاب في
الماء وانفصل السكور والهيدروجين والصودا الكاوية أخذنا ندرس السكور فعرقناه صفاته وفهمناها .
قال نعم قلت : فأما الأدرجين فهو أحد العنصرين اللذين يتكون منهما الماء فلما أحرقناه في الهواء والهواء
فيه الأكسوجين أيضا وجد في الهواء حبيبه . فقال مامعنى هذا ؟ قلت إنه وجد في الهواء حبيبه وهو أكسوجين
الهواء كما قال الشاعر :

جمع الهواء مع الهوى في مهجتي فتكاملت في أضلعي ناران
فقصرت بالمدود عن نيل التي ومددت بالمقصور في أكفاني

فقال مامعنى هذا ؟ قلت : سافر الشاعر إلى محبوبه في سفينة تقاومه الهواء الجوى ولم يسعه فمات بسبب
الهوى للمقصور بعد ماعاقه عن الوصول الهواء المدود لأنه لم يصل لمحبوبه . ثم قلت : فهكذا هنا الهيدروجين
قبل أن تحرقه في الهواء . نظر فوجد محبوبه الذى يتحد به عادة وهو الأكسوجين مقيدا في الهواء مع
النيتروجين فظن أنه سيعيش في حجرة ولوغة وقد عاقه الهواء عن حبيبه ، فلما أحرق في الهواء وجد الفرصة
سائحة فأتحد مع حبيبه وكونا للماء مرة أخرى . فالهيدروجين قبل الاتحاد أصبح كأنه مد بالكفن بسبب
الحب وأن غاية العاشق أن تتحد روحه بالمحبوب ، فأما الشاعر فإنه مات بسبب الفراق . فاتحاد الروحين
مطلوب الحب كما قيل :

أعانتها والنفس بعد مشوقة إليها وهل بعد العناق تدانى
وأثم فهاكى نزول حرارتي فيزداد ما ألقى من الهيمان
كأن فؤادى ليس يشفى غليله سوى أن يرى الروحان يتحدان

فالهيدروجين هنا كان كأنه في كفن قبل الاتحاد الذى هو المطلوب للمحبة وهذا المعنى آخر ماقرره
العلامة الشيرازى في الأسفار .

فقال هذه المعاني أدبية فلنرجع إلى ما نحن فيه . فقلت نعم : لما أتحد الهيدروجين بحبيبه وهو الأكسوجين
اعتزلهما العنول وهو النيتروجين . والنيتروجين نفسه يتحد بالهيدروجين بشروط خاصة فيكون منهما
النشادر المستعمل في صنع الجليد .

فقال صاحبي : الله أكبر . إذن الهيدروجين الذى هو أحد عنصرى الماء إن أتحد مع الأكسوجين صار

ماء وإن أعدهم مع النيتروجين صار نشادرا . قلت له نعم . وأهم فوائد النشادر أن يستعمل في تحضير السماد للزرع . فمن مركباته كبريتات النشادر ومنها فسفات النشادر . وهذه المركبات ترسل إلى البلاد الزراعية كمصر تغذى شجر القطن . قال : حسن إذن الملح الذى حللناه بالكهرباء أفادنا السبع الفوائد المتقدمة ثم أفادنا النشادر الذى فيه النيتروجين سمادا للزراعة وهذا ثامن الفوائد . وهالك تاسعها وهو :

إن القطن إذا أصيب بأمراض يطهر بمواد كيميائية مثل مادة زرنبيخ مركب مع الكالسيوم وهذه المادة لا تخضر إلا بواسطة الكلور المتقدم . وعاشرها أن القطن بعد غزله يحتاج إلى ما يقصره أى يبيضه . ولا سبيل لذلك إلا بغاز الكلور أو بمسحوق آخر يدخله الكلور . وحادى عشرها أن الناس فى حاجة إلى جعل خيوط القطن لامعة كالحرير . ولا سبيل إلى ذلك إلا أن تعالج بمحلول الصودا وهو المادة الثالثة التى حصلنا عليها لما سلطنا الكهرباء على الملح كما تقدم فصيّر القطن بهذه الطريقة أبيض ناصعا براقا . وثانى عشرها إذا أردنا صبغ القطن بالسواد أو غيره من الألوان استعملنا أصباغ القطنان وهذه الأصباغ لا تخضر إلا إذا كان من عوامل ذلك العمل (غاز الكلور) . فهذه اثنتا عشرة فائدة انتفع بها الناس وكلها ناجمة من الملح وحده ، ذلك الملح الذى يأكله الناس وأكثرهم لا يعقلون إلا ما يحس به حاسة الذوق للطعام لا غير .

تباركت يا الله ، جمال بديع وحسن وبهجة فى هذا الوجود ، ملح منبوز ، قليل القيمة ، كثير الوجود لا يابى له الناس نستخرج منه هذه الفوائد ، فهو يقتل الحيوانات القارئة لنا ، ومنه غاز لإهلاك العدو ومفرقات ، وهو منظم مبيض للقطن الخ . وهكذا الصودا التى جعلت القطن أشبه بالحرير « فتبارك الله أحسن الخالقين » .

فقال صاحبي هذا جميل وجميل ، فهل من معدن آخر تصفه لنا ؟ قلت : لم يبق فى ذا كرتى إلا .

﴿ الألومنيوم ﴾

هذا المعدن كان يستخرج قديما من (ركازة) بواسطة فحم كوك فكان يعسر تخليصه من مركباته فكان الرطل منه يباع بنحو (٢٨) جنيا ولكنه لما ظهر شاب أمريكي فقير يسمى (هول) ولم يصل سنه إلى (٢٣) سنة من العمر حتى كشف طريقة لاستخلاصه من ركازة بأن سلط عليه التيار الكهربائى فأنحلت الكتلة إلى أكسوجين وألومنيوم كما ينحل الماء إلى أكسوجين وأدروجين . وهذا الشاب الفقير قبل كشف هذه الطريقة لما مات سنة ١٩٢٤ ترك ثروة تقدر بآلاف الآلاف من الجنيهات . وسبب ذلك أن الألومنيوم له هذه الصفات :

- (١) هو معدن متين .
- (٢) لذلك تصنع منه أواني الطبخ والمائدة .
- (٣) ويقوم مقام النحاس فى أعمال الكهرباء .
- (٤) يجعل فى الطائرات والسيارات .
- (٥) تجعل منه صفائح للتفضيض لأنها تحفظ بريقها ولا تسود كما تسود الفضة فى الهواء .
- (٦) مسحوقه يستعمل فى بعض الزيوت كدهان للحديد لمنع صدئه .
- (٧) يركب مع النحاس فيكون معدنا ذهبيا إذ يكون سبيكة من النحاس والألومنيوم لها مظهر الذهب ولا تصدأ بالهواء .
- (٨) والألومنيوم إذا خلط مع القصدير استعمل بدل النحاس وهو أفضل منه لأنه أخف وزنا وأقل تلفة

(٩) الألومنيوم يستعمل في لحم المعادن ، وكان ثمن الرطل الواحد (٢٨) جنبها قبل الكشف للتقدم كما قدمنا فأصبح اليوم (٥) قروش .

فلما سمع صاحبي ذلك قال هذا جميل ، إنه جميل جدا أن يصبح الهواء ويصبح الملح عجائب سحرية تدهش العقل وهكذا الألومنيوم ، فإذا تقول الآن في أمة الإسلام التي قلت فيها العلوم ؟ قلت أما أمة الإسلام التي قلت فيها هذه العلوم فإن أمرها لله والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ، قال إذن أنت تريد أن تقول إن الأمة آتمة بترك هذه العلوم بعد ظهورها لهم . قلت أو تشك في ذلك ؟ ألسنت تتذكر أن هذه فروض كفاية ، ولقد ذكرتها في مواضع كثيرة من هذا الكتاب . ألم تقرأ ما نقلته عن [جمع الجوامع] وعن الإحياء للغزالي وهذا إجماع علماء الإسلام . فهذه علوم واجبة وتركها حرام يورث عذاب الخزي والذل في الحياة الدنيا «وللعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون» .

قال هذا أعرفه ، ولكن أريد ضرب مثل توضح به هذا التحريم ، قلت : ماذا تقول في عناية الله عز وجل بحياة الناس وأموالهم ؟ ألم يأمر بقتل القاتل ، وتعريب الزاني وجلده أو رجمه ، وفتح يد السارق أليس ذلك كله محافظة على الأنفس والنسل والمال ؟ قال بلى ، قلت : فإذا قطع اليد على ربيع دينار أفليس هذا معناه أنه يريد المحافظة على أموالنا كما حافظ على أنسابنا ونفوسنا ؟ قال بلى ، قلت : فلو أن لك أبناء عدة وسلمت إليهم أرضك ليزرعوها ، ثم قلت لهم من أخذ من أرض أخيه زرعا يساوي (٢٥) قرشا آذيته أذى كثيرا فحافظ أبناؤك كلهم على ما أعطيتهم من الأرض وغرسوا فيها الحدائق والجنات والزرع ، ونقى لك ابن واحد فترك أرضه بلا زرع ولا عمل حتى صارت وحوشا يبابا ، فماذا تفعل بابنك ؟ ألسنت تسأله وتقول له لم أهملت أرضك ؟ أفلسنت إذا قال لك يا أبت إنني امتثلت أمرك فلم أسرق زرع إخوتي فكيف تغضب علي ؟ ألسنت إذن تقول له : يا بني أنت ولد شؤم ، أنا قلت لكم فليعاقب من أخذ درهما من مال أخيه حرصا على أموالكم جميعا . فهم لما رأوني حريصا على ثروتهم زادوها لأنهم علموا أنني محب لثروتهم وغناهم (يسببون : السبب الأول) أنني حرمت عليهم أن يأخذ أحدهم مال الآخر (السبب الثاني) أنهم رأوني سلمت لهم الأرض فتسليح الأرض لهم معناه الرغبة والهيبة لهم أن تنمو مزروعاتهم . فأما أنت يا بني فلم تقم واقصرت على عدم الأذى ولم تراع نعمتي ولم تستثمر أموالي ومثلك جدير بالطرد والحرمان فلا آمن إخوتك أن يملكوا أرضك ويستعملوك فيها فتسكون عاملا تأكل بمرق جبينك وهم للأرض مالكون .

أفلسنت تفعل ذلك مع ابنك الذي ترك نصيبه من الأرض التي وهبتها له فمطل الأرض وعطل مواهب جسمه . فلا هبتك من الأرض قام بحقتها ولا ما وهبه الله من الحواس والأعضاء قام باستعمالها فهو مطرود مبعود منك ومن الله . أليس كذلك ؟ قال بلى ، قلت : فهذه حال بعض المسلمين اليوم مع الله . فأنه أعطاهم أرضه فتركوها وناموا فتركوا نعمها فلم يستعملوها فألم أن يستخدموهم في أرضهم التي ملكوها .

الحق والحق أقول : إن الأمم الإسلامية اليوم إن لم تقم بما قلته في هذا التفسير ليلكون هذا القرن آخر قرونهم ويهلكون ولا يترك الله أرضه في أيديهم بل يحرمهم من الهواء ومن الملح ومن الماء تلك التي استخرج الناس منها هذه العجائب التي يقول الله فيها «وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها» .

يا الله : إنا نحمدك . عرفنا نعمك وفهمنا قولك وشاهدنا صنعك وها أنا ذا يا الله أكتب هذا للمسلمين وها أنا ذا تارك الأرض وذهب إليك .

فقال صاحبي أنت ذكرت مواهب الأرض . فما للهواء والماء والملح مثلا كيف يحرمهم منها ؟ قلت : الأرض ضررتها مثلا ولكن الهواء والملح والماء وأمثالها جهلها بعض المسلمين كما جهلوا نعم الأرض . فإذا كان الله أمر

أن من قتل يقتل . أفليس هذا محافظة على أرواحنا كما قدمت ؟ قال بلى . قلت : وأنت إذا رأيت ابنك جالسا وأمامه نار تحرق بيوت وقصور أبنائك ثم هو أمامه صنوبر يمكنه أن يفتحه وعنده مضخمة عظيمة وهي الآلة الماصة السكاسة التي يمكنه أن يطبق بها النار فلم يفعل ذلك حتى احترقت تلك القصور والدور فلم يفعل ابنك شيئا من ذلك أفلمت تكرهه ؟ قال بلى ، قلت حسن . هكذا فعل الله مع المسلمين ، هذا السكاور وهو في ملح الطعام أشبه بالآلة التي تطبق النار فهو قاتل للمكروبات في حمى التيفوئيد كما تقدم والمسلم قد سمع هذا أقربيه في هذا التفسير . أفليس إذا ترك هذه العلوم يغضب الله عليه بل الغضب هنا أشد لأن غضبك لأجل نفوس أبنائك وهم يعدون على الأصابع . أما هنا فهي لمنافع أمم وأمم جيلا بعد جيل وأنا موقن كل الإيقان أن هذا التفسير متى انتشر هو وأمثاله يهب للسلمون مرة واحدة لحوز هذه العلوم ، وإذن تصبح الكرة الأرضية لها شأن غير شأنها بالأمس ، فقال : وماذا يصنع السلمون اليوم وكثير منهم عندهم محتلون لبلادهم ، فقلت : إن أكثر بلاد الإسلام اليوم مستقلة اليمن والحجاز مع نجد وبلاد الفرس والأفغان وأمثالها فهؤلاء من قرأ من هذه الأمم هذا الكتاب وفهمه هو وأمثاله وجب عليه أن يعلن الفكرة في بلاده بأي وسيلة كانت بل يجعل حياته وقفا عليها ويحمل حكومته على الإسراع بإرسال تلاميذ حلالا لدرس جميع العلوم كما فعلت اليابان ورسلمهم للأمم المختلفة لا الأمة واحدة . وهكذا يجب على الأغنياء أن يرسلوا أبناءهم على حسابهم ويدرسوا تلك العلوم ثم يفتحون المدارس في بلادهم كما فعلت اليابان كما قدمنا . فأما الأمم التي احتلتها الأجانب فإن كانوا مستعبدين جدا فكلامى هذا لا يصل إليهم وإن وصل إليهم فهم لا وقت عندهم لفهمه ، فأما الأمم التي احتلتها الأجانب ولأبنائها ذكاه فليكونوا جمعيات وليرسلوا أبناءهم في بلاد مختلفة لتعلم العلوم واقه يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

فلما سمع صاحبي ذلك عرفنا جمال العلم والحكمة الناتجين من الهواء ومن الملح إذا سلطنا الكهرباء عليها وعرفنا المسلمين متى قرءوا هذا أسرعوا إليه وإن قصروا أذنبوا ، ولكن هذا المقام مقام غزير الفائدة جليل العائدة ، فهل لك أن تأتي لي بمثال غير ما تقدم لأنني أحس في نفسي بنور وإشراق وهجة حين أسمع هذا القول منك وأنا موقن أن الناس إذا قرءوا هذا الأسلوب الذي يفهمونه زاد تعجبهم وفهمهم وارتقت بلادهم . فقلت إن المقال قد طال . فقال كلا إن هذه الآية تجمع العلوم كلها فليس يبدع أن ترينا منه زهرات نتم راعتها ونبتيج بمراها وتشرح بها صدورنا ، فإن العلم على هذا الأسلوب نعمة ورحمة وبشرى وابتهاج لنا وروح وريحان وجنة نعيم ، إنني أحس بنعيم في نفسي حينما أسمع هذا التشرح والبيان نعم أنت لست من الأخصائيين في هذه العلوم ولكن هذا التعبير أحس فيه بنور واتسراح صدور فزدنا منه زهرة أخرى واجن لنا من بساتين العلم ثمرة أخرى لتكون لنا نورا وسرورا وبهجة وجمالا . فقلت ألم تسمع بنبا أدهش العقول وهو :

زجاج بلاس

فقال زجاج بلاس ؟ وما هو ذا زجاج بلاس ؟ فقلت زجاج بلاس زجاج له صفات غريبة وسيعلا الأرض قريبا ! فقال صفه لي فقلت :

(١) هو زجاج قريب في منظره من زجاجنا .

(٢) زجاجنا سريع العطب ، أما هذا الزجاج الحديث فانك إذا ألقيته على الأرض وأردت كسره فإنه

- لا ينكسر ، ولو أتيت بفأس أو قادم ثم أخذت تضربه فإنه لا ينكسر مهما أتيت من قوة .
 وإنما يتشقق ويتحطم أما الكسر فلا ، فقال هذا عجب .
- (٣) وهو تدخل منه الأشعة التي هي فوق البنفسجية من الشمس . ومعلوم أن تلك الأشعة لها مزية كبرى في الطب وزجاجنا العادي لا يسمح بدخولها ، ولقد علم الناس أن عند بعض الناس نوعاً من الزجاج يدخل الأشعة فوق البنفسجية وهو غال جداً ، ومعلوم أن الزجاج المعتاد مصنوع من المواد الرملية مع نحو البوتاسا والرصاص ، فأما الزجاج (بلاس) الجديد فإنه من مواد أخرى ولسكنها قليلة الثمن .
- (٤) يصنع من هذا الزجاج ألواح على صورة قشر السلحفاة وعلى شكل الرخام . ويصنعون منه أقذاح الشاي وأقذاح الماء فلا تحطم ولا تسكر ، وقد صنعوا منه (القلم الأمريكي) وجهاز اللاسلكي والاسطوانات ، ولا جرم أن القلم الواحد منها يكفي الإنسان طول حياته .
- (٥) وسيصنعون منه تطريزاً للثياب فإن هذا الزجاج يسهل تلوينه ، فإذا غمست إبرة في هذا المحلول ونقشت بها الثياب صار لها منظر جميل بهيج بلا مشقة في العمل . وهناك شركات تقوم بتجارب في الملابس وتطريزها بهذه المادة الزجاجية الجديدة . وهنا شركة لها مصنع كبير في ضواحي مدينة (نوتجهام) ولها مصنع آخر تام المعدات في (مدينة فينا) بالنمسا ، وهذا المصنع عجز عن الطلبات المقدمات له لأجل ألواح النوافذ نحوها والأدوات الداخلة في أعمال الكهرباء .
- (٦) إن المخترع لهذا الزجاج (الستر بالي) أستاذ الكيمياء بجامعة ليفر بول هو ونجله . هذا هو الذي أردت أن أحاطبك فيه الآن ، أفلا ترى بعد هذا أن نوع الإنسان لا يزال طفلاً ، فإذا كان هذا العالم وابنه سيقبل عالم الصناعة بعمل جميل أجمل من الزجاج الذي نعرفه أفليس معنى هذا أن هذه الإنسانية طفلة الآن ولن تكون كاملة إلا إذا استخرجت القوى من جميع العقول والقوى من جميع المواد حولنا أيها الناس : أنتم جميعاً في حاجة إلى علماء يحولون عقولكم عما أنتم عليه من استعباد بعضكم بعضاً إلى استخدام جميع العقول الأرضية في استخراج جميع المنافع المادية والعنوية .
- هذه الأرض مملوءة بالجمال ولسكن أهلها لا يزالون أطفالاً فإذا داموا على قولهم شرقي وغربي وقوى وضعيف فهم جميعاً على خطر يجب على جميع الناس في الشرق والغرب أن يتعاونوا على استخراج عقول كمقل (الستر بالي) ، وليس (الستر بالي) لانظير له بل في بلاد إفريقيا وآسيا وجميع الأمم عقول فيجب استخراجها لتستخرج ثمرات الأرض إن أهل الأرض جميعاً مقصرون ولا سعادة لهم إلا إذا ارتقت جميع العقول والمواهب فاستخرجت جميع المنافع في الأرض لأن ربنا واسع وعليم وخلق لنا عقولا وقال اعملوا « والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم » .

مسامرة

ثم قلت هل لك أن أحدثك حديثاً غرامياً هو أليق بهذا التفسير ليكون ترويحاً للنفس وتتويهاً للفكر واتسراحاً للصدر . فقال : إن ماتقدم لاتسام منه النفس إنه بهجة ونور واتسراح صدر لاتسام منه النفوس ولا تأنف من الإطالة فيه الطبع فقلت ولسكن إذا تفننا في الحديث (والحديث شجون) كانت ذلك أعون على الدرس وأسرع للفهم وأصنى للذهن وأقرب لانتسراح الصدر فقال : أحب ذلك فقلت إن هذه المحادثات الصناعية العلمية التي ذكرتها بمناسبة قوله تعالى « ما يفتح الله للناس » الخ قد كنت أحدثك بها وأنا أشبه بأهل الحب الجسمي والغرام لأن الحب يتبع الجمال والجمال جسمي وروحي . فالجمال الجسمي في الأنف والفم والحذ والعين وحسن إتساقها وجمال تركيبها . قال نعم ، قلت وهذا الجمال

الإنسانى فى الوجه إذا ساعده حسن الصوت وجمال الرائحة ونور العلم وبهجة الجمال الإخلاص والذكاء والحلم كان هذا المحبوب مما لا يطاق فراقه ، قال نعم . قلت : ومعلوم أن كل جميل فى الأرض لم يزل كل هذه الصفات والجمال الظاهر « كسراب بقية بحسبه الطعام ماء حتى إذا جاءه لم يجد شيئا » قال نعم . قلت ولذلك تجد الشاب بعد الوصال بزمن معلوم يرى أن بهجة الجمال تغيرت وأخذت الزوجة ترضع ولدها وهو يجد فى طلب الرزق وينقلب الحب اللفظى الظاهرى إلى حب قلبى هو حب المنفعة والاتحاد فى أمر الحياة . قال نعم قلت ومعلوم أن العالم محبوب ، والشجاع محبوب والمحسن محبوب وحب العلماء لا يزول لكن حب المشوق لظواهر الجمال يتغير سريعا على مقتضى تغير الجمال . قال نعم . قلت : إذن فى الأرض عقول تعشق العلم وتعشق العلماء ومنهم من يعشقون خالق العلم والعلماء ، لأنهم إذا رأوا جمالا فى الوجه أوفى العقل أوفى الخلق . قالوا إن مبدع هذا الجمال أجل من هذا جمالا لم نره .

فأليث وإن لم ألقه فقد تصورت خلقه والبحر وإن لم أره فقد سمعت خبره

« والأذن تعشق قبل العين أحيانا » قال نعم . قلت : بعد هذا أقص عليك قصصا جرى فى أيامنا وهو خبر (فون شونبرج) ومحبوبته (ستو ستود) . قال فما خبرها ؟ قلت يحكى فى أيامنا هذه أن (شونبرج) منذ ثلاث سنين من تأليف هذه المقالة أثناء طبع هذه السورة ذهب إلى (نيويورك) بالممالك المتحدة فبينما هو سائر فى المدينة إذ رأى صورة فتاة من الصور التى توضع على الحائط عادة فى جميع العالم . وكانت هذه الصورة فى معرض الصور فما وقعت عينه على هذه الصورة للعينة حتى ذهب لمرآها وتعجب من جمالها ، وهو رجل عنده لقب (كونت) ومثل هذا لا شئ يشغله عن المناظر لكثرة المال عنده ولم يجد دليلا يدل على اسمها ولا صفتها ولا أحوالها فأخذ يضرب فى الأرض شرقا وغربا وهذه الصورة لا تفارقه فى جميع أحواله ، وبينما هو مرة فى (برلين) بألمانيا إذ رأى نفس الصورة التى كان رآها فى (مدينة نيويورك) فالتهمت المحبة فى قلبه وزاد الغرام والهيام وأنشد قول ابن الفارض :

ما بين معترك الأحداق والهج أنا القليل بلا إثم ولا حرج

ودعت قبل الهوى روحى لما شهدت عينى من حسن ذلك للنظر البهج

وقد زاد به الغرام واشتد به الهيام حتى صار يغدو ويروح كل صباح على هذا المعرض ببرلين ويقف أمام الصورة كالعابد أمام محاربه فيقف جامد الحركة لا يسمع له صوت ولا ينبس بينت شفة مهوتا مسجورا متغيرا اللون مشغول اللب ، مكلوم الفؤاد . فبينما هو على تلك الحال إذ سمع رجلا يقول : « ما أشبه هذه الصورة بصاحبها » فتقدم إلى التلكم وسأله عن اسمها فقال اسمها (ستوستود) من مدينة نيويورك فأسرع إلى نيويورك وخطبها من أيها فرده أهلها بلطف ، أما هى فلما رأت إلحاحه رحلت من البلاد وفرت إلى أوروبا فسافر هو معها ولم يفارق كل قطار يستقل بها أو بلدة تدخلها أو فندق تأوى إليه أو سفينة تقاع بها وكانت بلادنا المصرية خاتمة اللطاف فقد جمعهما فى النيل زورق وهما قد ذهب معا من أسوان إلى الشلال ، فأما هى فهذا رأيها ، وأما هو فإعما هو تابع لها . هنالك أذن الله للعاشق أن ينال ما طلب فانفقا معا على الزواج ونال العاشق مراده اه .

فقال : هذه نادرة عجيبة وماذا تريد من هذه القصة ؟ قلت . إن هذا منطبق على هذا النوع الإنسانى مع هذا العالم الجميل وصانعه الحكيم . إن الله فعل مع الناس ما فعله المصورون مع الناس . ألم تر أن الله قد ملأ أرضنا وسمواتنا بالصور الجميلات فى الشمس والأقمار والكواكب وكل معدن ونبات وحيوان . ألم تكن الأرض أشبه بما ورد فى الآثار من أن هناك يوم القيامة سوقا تباع فيه الصور . قال نعم . قلت : فهى ذه

أرضنا سوق تباع فيه الصور. ومن أراد صورة نالها. إن (فون شونبرج) لما رأى الصورة أغرم بها. لماذا؟ لأنها موافقة لمزاجه وقد رأى آلاف من الناس هذه الصورة كل يوم فلم يغمروا بها ولم يبحثوا عنها لأنها لاتناسبهم إذ ليس كل جميل يناسبني ولولا أن هذه الصورة جميلة لم تعلق في ذلك للسكان إذن كل صورة هناك جميلة والسكن الطلب راجع إلى الذوق والمناسبة بين العاشق ومعشوقه. هكذا الله سبحانه أبرز صور هذه الدنيا الجميلة لجمعها مذكورة أمامنا لم يحجبها ولم يمنعها قال «هاؤم اقرأوا كتابيه» وانظروا فقرأنا. فكل من أدركت نفسه جمالا في عالم من عوالم المادة بحث فيها واستخرج للناس فوائدها فهذا العالم الذي صنع (زجاج بلاس) وهو الزجاج الحديث القوي المتين. رأى مواده وهو في مصنعه نظير بياله أن يستخرجه. لأن هذا الجمال ملائم لعقله والسكن الصور الجميلة الإلهية متمعة أكثر من تمنع الفتاة الأمريكية فإذا رأينا هذه الفتاة الأمريكية فرت من وجه ناشفها شرفا وغربا لما أحسن قلبها بأنه محاسن وبأن المخلص يستحق تسليم مطلوبه. هكذا الصور التي زوق الله بها المادة والسمات الجميلة المحبوبة فيها، التي تشبه صفات العلم والحلم والإحسان في النفوس الإنسانية فهذه الصور متى طلبها الإنسان يجد وشوق وإخلاص فإن صاحب المرض وهو الله يعطى هذا الطلب العاشق مطلوبه كما فعلت الفتاة الأمريكية إذ سلحت نفسها لمن أحلص في حبها لأن هذه الفتاة من صنع الله والله هو الذي وهبها الجمال ثم عليها مقابلة الحب بمثله. هكذا أقول وأنا واثق بما أقول. إن هؤلاء العلماء الذين نبغوا في الأرض وأحدثوا فيها انقلابا عظيما كانوا في طلبهم أشبه بهذا الكونوت وفعل الله معهم ما فعلته الفتاة الأمريكية مع الكونوت العاشق لها « والله المثل الأعلى » « لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » وعليه أقول إن أحبائي قراء هذا التفسير ستحدث لكثير منهم شجون وشجون وسيصبح كثير منهم مغرمين عاشقين لهذا الوجود ولهذا العلوم ولرب العلوم وسيعاملهم الله هذه المعاملة عينها وهو لا يعطى إلا العاشق أما المتكلف الذي لم يتقلب تكلفه عشقا فهو من السالحين لامن الحسكاه المحققين. وأقول أيضا: وإذا كانت الفتاة الأمريكية وإذا كانت العلوم والمعارف المحبوبة في هذا العالم يحجبها الله عن الناس ولا يحظى بها إلا العاشقون لها الباذلون فيها مهجمهم الفرحون بها المولون، فما بالك بمنزل العلوم وخالق الصور الجميلة. فهو الكبير المتعال، وإذا كان مخلوق الكبير المتعال هذا شأنه فما بالك به. وهو الذي إليه يرجع جميع العالمين.

الاتحاد المادى والمعنوى

(وهذا الأخير قيمان. صناعى وطبيعى. ومعنى السلام على الصالحين فى الصلاة)

فلما سمع صاحبى ذلك قال: أود أن تزيدنى فى معانى الحب لأن الحب حياة العلوم وكلما زدنا به علما زدنا سعادة فقلت: إن علوم الكيمياء اليوم قد أوضحت أبواب الحب وشرحته وفسرت لنا معنى قول المصلى « السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ». فقال وأى مناسبة بين الصلاة وبين علم الكيمياء فقلت: رءك الله، ألم تسمع كلام الهيدروجين المتقدم ذكره وإلام يشير؟ ألم تسمعه وهو يتحد تارة بالأوكسجين الذى فى الهواء وتارة بالنيروجين الذى منه؟ فى الأول كان منهما الماء وفى الثانى كان منهما النشادر، وبالماء حياة كل حى، وبالنشادر مع مواد أخرى سماد مزارعنا. فقال ما سمعت من الهيدروجين شيئا. فقلت: إن الأدرجين لما أحرق فى الهواء ورأى حبيبه وهو الأوكسوجين انطلق إليه حالا وعانقه وقال:

تقل فؤادك ما استطعت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول

وقال : أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان خللنا بدنا
 فإذا أبصرتنا أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا

فهو عاشق للاكسجين وليس عاشقا تمام العشق للنتروجين فاحتاج في الاتحاد مع الثاني إلى أحوال خاصة
 أما مع الأول فكان مسرعا إليه . ثم إنى فهمت من هذا الاتحاد وأمثاله أن الاتحاد على (ضريين) اتحاد
 جسمي واتحاد روحي . والاتحاد الروحي أو المعنوي على ضريين أيضا : اتحاد طبيعي واتحاد صناعي . أما
 الاتحاد الجسمي فهو ما نراه في المادة من اتحاد الهيدروجين والأكسجين ثم اتحاد بالنتروجين أي الأروت
 واتحاد ذرات الغذاء والماء الداخلات في أجسام النبات والحيوان فإنها بالاتحاد كان منها هذه العوامل كلها .

ومن عجب أن يكون هذا العالم يسمى لهذا الاتحاد . أما الاتحاد المعنوي أو الروحي الطبيعي فهو اتحاد الصور
 العلمية بالأنفس الإنسانية فإن هذه النفوس لما نزلت إلى الأرض لم يكن عندها علم ولا حكمة بل كانت غفلا
 ساذجة فأنى إليها العلم من الحواس ومن العقل ، وما العلم إلا صور معنوية . فهذه الصور اتحدت بهذه النفس
 كما اتحاد الأوكسجين بالهيدروجين فتكون الماء . هكذا هذه الصور المرئية والسموعة والمشمومة والذوقية
 كلها قد اتحدت بهذه الأرواح فعملت بها مفاعله الأغذية بالأجسام العضوية ، فالجسم لم يكن حسا إلا باتحاد
 العناصر الداخلة فيها اتحاد الأوكسجين مع النتروجين . هكذا الروح لم تنم ولم تتكامل إلا باتحادها مع الصور
 التي وردت لها من الحواس فيها نمت وبها عقلت . فسكنا رأينا أن الطفل في أول أمره وهو جنين في الرحم
 (انظره في سورة طه عند قوله تعالى « قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » لم يكن إلا بيضة
 لأراها العين في الرحم ثم تغذى بماء الحيض وأخذ ينمو شيئا فشيئا ومر على أدوار مختلفة ، هكذا كان إدراكه
 أشبه بهذه البيضة الصغيرة ثم أخذ ينمو بما يرد إليه من الصور الواردة من الحواس فإذا كنا نرى أن البيضة
 الأولى في الرحم أصبحت لاتنفصل عن المواد التي وردت لها واتحدت بها هكذا هذه الروح الإنسانية أصبحت
 لاتنفصل عن معارفها . فقال لي هذا القول لادليل عليه فإننا ننسى ما عرفنا وإذا كبرنا أصبحنا نعرف بما
 لانعرف . فقلت له : الاتحاد باق كما هو في حال النسيان وفي حال الهرم ، وغاية الأمر إنه أصبح مريضاً
 في عقله كما أنه مريض في جسمه فإذا كان اتحاد الجسم لم يبطل بمرضه هكذا اتحاد النفس بالصور لم يبطل
 بمرضها ، وأيضاً : يقال إن كل ما عرفناه محزون في نفوسنا مهما طال عليه الأمد فهو أثبت من الأحوال
 المادية ألا ترى أننا إذا رأينا ذاتا جميلة ثم مرت عليها سنون فمرضت أو ماتت فإنها في عقولنا محنوظة لم
 تتغير فالعلافة استدلووا بهذا على أن نفوسنا أصون للصور وأوعى لها من المادة وأحفظ لبقائها ومعلوم أن الناس
 في أحوال المرض يتذكرون أموراً قد نسوها في حال الصحة فهذا دليل على أن النسيان ليس معناه أن
 الصورة قد زالت . كلا . بل معناه أنها مغطاة عن الذاكرة لعارض عرض لها ، إذن عندنا اتحاد جسمي
 مادي وهو للشاهد واتحاد روحي أو معنوي وهو ما نحس به في نفوسنا وهذا هو الاتحاد الطبيعي .

أما الاتحاد الروحي أو المعنوي الصناعي فهو اتحاد رجال الحكومات والشركات ووضع النظم في الأرض
 واتحاد الجمهوريات والمجالس النيابية ، فهذه كلها اتحاد صناعي ، فهم يعملون للدولة وللحكومة ولكن
 الشهوات غالبية على كل واحد منهم فليس اتحادهم كاتحاد الأوكسجين بالهيدروجين ولا كاتحاد الصور بالأنفس
 الإنسانية .

والعالم الذي نحن فيه لاتنال فيه نعمة إلا بالاتحاد ، فلولا اتحاد عناصر أجسامنا ببعضها ولولا اتحاد
 الصور بأرواحنا ما كانت أجسام ولا كانت مدينة وحياة ، إذن الاتحاد بجميع أنواعه هو الذي عليه نظام هذا
 الوجود ، والذي عرفنا قيمته جهرة هو علم الكيمياء وهو العلم التبريف البهيج الجميل .

فقال صاحبي هذا موضوع يرجع إلى الفلسفة والحقائق وما نتيجته عملا ؟ قلت الآن وصلنا إلى ما قصدت إن نتيجة هذا الموضوع أن هذه العقول الإنسانية إلى الآن لم تتعد أعمادا طبيعيا ولا صناعيا فهم أشبه بمناصر متفرقة قليلة الفائدة والعائدة إن أهل الأرض اليوم لا يزالون في حال الطفولة أو المراهقة ولم يزالوا في مبدأ أمر الحياة . إن الله حكم على هذا النوع الإنساني أن لا يرتقى مرتبة إلا إذا ارتقى إليها بنفسه ولم يأتهم لهم أن يخرجوا من جهنم إلا بأعمالهم الخاصة . والدليل على ذلك أن أهل الأرض لم يعطوا الكهرباء إلا بعد ما جدوا لها ، ولا أعطوا الحديد ولا النحاس إلا بعد ما عثوا عنهما . ألم تر إلى قوله تعالى « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ؛ وأن سعيه سوف يرى » فمن ظن أن سعى الإنسان خاص بالأعمال الصالحة الفردية فقد ضل وغوى .

أيها النبي . إن كتابي هذا ليس خاصا بالمسلمين . إن كتاب الله عز وجل لم ينزل للمسلمين وحدهم . إن كتاب الله للعالم قاطبة لأن قوله عام لم يختص بأمة دون أمة . فالمفسر يجب عليه أن يوجه اهتمامه للعالم كله وهما أنا ذا أجدني مسوقا لهذا المعنى . أجد قلبي ولساني وقلبي يتسابقون إلى فهم النظام العام ومخاطبة الأمم كلها . إن كتاب الله لسائر الأمم فلا جعل كلامي للمصالح العامة الإنسانية . وإذا كنت منذ (١٨) سنة ألفت كتاب [ابن الإنسان] ومخاطبت الأمم كلها وأنا عبد من عباد الله فما بالك بما أكتبه في تفسير كلام الله ، ففي هذا التفسير أحاطت الأمم كلها من باب أولى والله هو الملهم والله هو المتولى أمور الناس عامة وخاصة وهو الذي يعلم نتيجة هذا وليس على إلا أن أسطر ما امتلأت به نفسي وبرز على قلبي وعلى لساني فلذلك أحاطت الأمم الإنسانية في هذا التفسير فأقول :

أيها الأمم الإنسانية : أنتم قد دخلت من قبلكم أمة فسرتم في الأرض فنظرتكم كيف كان عاقبتهم : كان الأولون من نوع الإنسان لا يعرفون من العلم إلا أن يستعملوا الحجارة في أدواتهم ، فأنهم لم يكلفهم بأكثر من هذا ثم جاء العصر البرنزي والحديدي ثم البخاري والكهرباء ولم يرد أن يعطيهم شيئا من ذلك إلا بجدهم واجتهادهم ، إذن ثبت بالفعل هنا (أمران : الأول) أن الحزائن مقلدة أمام الإنسان (الثاني) إن هذه الحزائن لا تفتح إلا بجدنا . ثم يظهر لي أن للأرض مستقبلا يكون الناس فيه سعداء . ذلك هو اليوم الذي ورد في القرآن « حق تضع الحرب أوزارها » فهناك يوم يصبح الناس فيه إخوانا في الحياة متحدين اتحادا كاتحاد الأوكسجين والادروجين وكاتحاد الصور للمتزجة بأرواحنا ذلك يوم تكون فيه الإنسانية في الدنيا كأنها في جنة ، فالجنة للصالحين بعد الموت ويوم القيامة لا مترجأ أرواحهم واتحادهم في أخلاق وعادات . والأرض تكون فيها سعادة نسبية لأهل الأرض .

أيها الأمم : إن هذه الأرض لم تحفظ قبل اليوم بانكشاف الحقائق وإطلاع الغربي على ما عند الشرقي وبالعكس حاصل ولم تكن هناك مواصلات واتحادات على بعد مثل ما هو اليوم .

أيها الأمم إن النبي صلى الله عليه وسلم آخر الأنبياء وهو بنادي جبهة بالسلام العام . نعم هو استعمل الحرب مؤقتا في الزمان الذي كان الإنسان مضطرا إليها فيه . ولكن الإسلام يسمى من جهة أخرى إلى السلام العام ويود الإسلام أن الأمم كلها تكون على وتيرة واحدة في الارتقاء والأعمال العامة كما قال علماؤنا (لا يبقى في الأرض إلا مسلم أو مسلم) .

إن أهل هذه الأرض قد آن لهم أن يعملوا بما كتبت في كتابي [ابن الإنسان] بحيث يتعلم كل امرئ ما قدر عليه ولا تذرون فردا ولا أمة بلا تعليم ولا تذرون أرضا ولا هواء ولا ماء ولا ضوء بلا بحث لاستخراج منافعه ولن تنالوا هذه النعم إلا بتعليم جميع الأمم وجميع الأفراد تعليما على مقدار الاستعداد . إن الاستعداد في الأرض موضوع فيها بقدر وعلى مقتضى سعادة أهلها فالنقص عنه نقص في السعادة .

أيها الأمم إنكم فنتم أنفسكم وربصتم وارتبتم وغرتمكم الأمانى . أنتم أمانكم العلم والعمل وأمانكم أرض الله الواسعة . لتنظر في الإنسانية الحاضرة . إن الأمم القديمة لم يفتح لها ما فتح لنا . إن العلوم قد فتحت أبوابها والمادة أخذت تنادىكم أن هلموا إلى والسعادة أصبحت على الأبواب ، تقولون نحن كشفنا . نعم كشفتم ولكن كشفتم جزءا من آلاف الآلاف . إنكم اتبعتم خطوات الحيوان في كشفكم كما تقدم (في سورة طه عند قوله تعالى « قال ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ») ولكن لم تلحقوا شأوه .

لم تدرسوا المرجان وجزائره لم تنظروا بأعينكم (انظرها مصورة في سورة الفرقان عند آية « وهو الذى مرج البحرين ») هل أتدتم كما أتد المرجان . لا . لا أنتم قلتم النمل فى حربه والعنكبوت فى صيده والفأرة فى جراتها للنازل ولم تتجاوزوا أعمال النمل فى استخدام الأسرى وفاتكم حيوان المرجان . ذلكم الحيوان الذى أخذ المادة الكلسية التى فى ماء البحار وحولها إلى هيئة أشجار ثم هيئة جزائر وتلك الجزائر تعد بالآلاف تنبت فيها النباتات وتعيش فيها الحيوانات آمنة مطمئنة فما لكم عن عمله مقصرين تعتمد الأمة منكم إلى أمة أخرى فهجم عليها فتأكل خيراتها وقد علمكم التاريخ أن من انكسر على غيره فى إصلاح نفسه أوجب طعامه كان ذلك سببا فى ضعف نفسه جسما وعقلا ثم يكون الانقراض .

أتد حيوان المرجان فتفنن فى صنعه حتى كونه جزائر وتلك الجزائر كانت سببا فى الحياة للأمم وأمم من الحيوان تعيش فى أمن وسلام .

أنالست أقول إن هذه الأجيال تستطيع ذلك . إن علومها ومعارفها وقلة عددها لن تسمح لها بإحداث قارات جديدة فى البحر . ولكن لتنظر أمة الأرض الآن فى الأرض التى نساكنها الآن . اللهم إني أقول ما ألهمتني وأنت شهيد وأنت المهيم على الأمم وعلى الأفراد .

إني أضرب لكم مثلا مما فى هذه الأرض . إن مساحة الجزائر الهندية الشرقية التى تحكمها (هولانده) وحدها بقطع النظر عن الباقي مليون وتسعمائة ألف كيلو متر مربع أو (٧٣٣) ألف ميل مربع وهو يعادل مساحة بريطانيا العظمى وفرنسا وألمانيا وبلجيكا وهولندا وسويسرى والدانمارك والسويد . وبجارة أخرى : يساوى نصف مساحة أوروبا تقريبا من غير روسيا .

فلتنظر إلى السكان فإننا نجد جزيرة جاوة وجزيرة مدورا وهما من تلك الجزائر نحو (٣٦) مليون نفس و ٤٠٠ ألف نفس تقريبا ومساحتهما معا نحو (١٣١) ألف كيلو مترا أى (٥٠) ألف ميل تقريبا ، وتعادل مساحة انكلترا بدون اسكتلندا وويلز وارلندا . وسكان سومطرة (٦) مليون وربع مليون تقريبا مع أن مساحتها (٤٢٠) ألف كيلو مترا أى (١٦٢) ألف ميل مربع فهى أكبر من مساحة بريطانيا العظمى .

فأنا لأطيل فى سرد الأمثلة ، فإذا كانت (سومطرة) بمقدار جاوة فى المساحة نحو ثلاث مرات ولكن سكانها أقل منها ست مرات فعناه أنها تسع نحو مائة مليون نفس . وإذا كانت جزائر الهند الشرقية التابعة لهولندا وحدها مساحتها بمقدار مساحة نصف أوروبا تقريبا وسكانها ما م (٥١) مليوناً من النفوس والأرض خصبة وللناخ أرقى من مناخ أوروبا لأنه عند خط الاستواء ، وخط الاستواء مهد الجنس البشرى كما قيل (وهو مهبط البركات ومعدن النعم الإلهية التى يلقبها الله بأشعة شمس على الأرض) فهذا معناه أن هذا النوع الإنسانى الآن لم يزل طفلا قد عطل أرضه وتقاتل فى أرض ضيقة متبعا خطوات الجهالة كما قال تعالى « قتل الإنسان ما أكرهه - إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا » فالإنسان لم يؤتمن على الأمانة التى سلمت له وهى هذه النعم . إن جزائر الهند الشرقية التى أخذتها مثلا تمتد من آسيا إلى استراليا بين درجة (٩٥) ودرجة (١٤١)

من خط الطول شرقا وبين الدرجة (٦) شمالا من خط الاستواء و (١١) جنوبا منه (وأطول خط من الغرب إلى الشرق خمسة آلاف كيلو مترا) فتمخر فيها السفينة البخارية في (١٤) يوما في وقتنا هذا ، وهذه المسافة (الخمس آلاف كيلو مترا) تعادل تقريبا المسافة بين الشاطىء الغربى لأرلندا في الإطلانطى وبين الشاطىء للبحر الأسود في آسيا . وأبعد مسافة من الشمال إلى الجنوب (٢٠٠٠) كيلو مترا، وتعادل المسافة بين البحر الأبيض الشمالى وروسيا . ومجموع طول شواطىء هذه الجزائر يعادل طول دائرة الأرض . فجزائر الهند الشرقية ضربها مثلا في الأرض من متسع عظيم . وكفى في أمريكا الشمالية والجنوبية من أرض خالية من سكانها وكفى في العقول الإنسانية من مواهب لم يستخدمها ولم يستخرجها الإنسان .

إن السلم يقول في صلواته « اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم » ويقول السلم في صلواته « السلام عليك أيها النبي السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » . السلم يسلم على الناس وعلى أهل منزله ويسلم على نفسه وعلى الصالحين إذا دخل المسجد . إن الصراط المستقيم بأل هو صراط الله وصراط الله هو الصراط الذى قامت به السموات والأرض والصراط الذى قامت به السموات والأرض هو صراط يوجب الاتحاد لأننا لم نجد نباتا ولا حيوانا ولا إنسانا قام على الأرض إلا بعناصر متحدة فقام ذلك المخلوق وهو الاتحاد للمادى الجسمى كما تقدم اتحاد الهيدروجين بالأوكسجين تارة فكان الماء وبالنيروجين تارة أخرى فكان النشادر . إذن صراط الله يرجع إلى النظام والنظام أوجب الاتحاد وهكذا أتحدت الصور العلمية في نفس هذا الإنسان فكان العلم وكان العمل وهو الاتحاد العنوى الذى قدمناه .

يقول السلم « اهدنا الصراط المستقيم » والصراط المستقيم صراط الله الذى له مافى السموات ومافى الأرض . فملكه فى السموات والأرض لم يقم إلا بالنظام والنظام أوجب الاتحاد والاتحاد قامت به الحياة . فاتحاد ذرات الأجسام واتحاد الصور العلمية فى العقول قام بهما هذا الوجود ، فالسلم يقول اهدنا نفس هذا الصراط ونفس هذا الصراط هو صراط النعم عليهم الذين هم غير المغضوب عليهم وبهذا الصراط يكون السلام العام الذى يقوله السلم فى التشهد ويقوله لمن يقابله ويؤزره ، والسلمون قد فرقهم الله فى الأرض وانتشروا فيها فى كل صقع وبلدة وهم يقولون هدا القول فى صلواتهم ويريد الله بهذا أن يرقى الإنسانية كلها لأن الأرض مملوءة بالحيات ، وقد كان الإنسان قديما تحصد الحفريات والحروب والأمراض والطاعون وهاهوذا الآن يسعى ليقمل الحرب والمرض كاسعى وخفف وطأة الطاعون . فهام أولاء يكثرون وينتشرون فى الأرض والطرق سهات للتقارب .

فليعمر الناس كل أرض لاساكن بها . ولقد كتبت فى كتابى (أين الانسان) أن كل أمة عندها أرض واسعة وقل رجالها عليها أن تقبل فى أرضها أقواما من أمم أخرى كما تفعل الممالك المتحدة ، هذا واجب محتم ، فلنعمر الأرض للوجود الآن ، ثم لتوجه المهتم من الآن إلى تعليم جميع الأمم جملة وأفرادا حتى إذا امتلأت هذه الأرض بنوع الإنسان وكانوا أضعاف أضعاف الإنسان الحالى كانت عقولهم قد أخذت كلها حظها من العلوم والصناعات مع رياضات الأبدان وقوتها ، فهالك هذه الأمم تتضافر وتصنع قارة جديدة فى المحيط الهادى مثلا أو تحدث جزائر للسكنى فيها ، فإذا كنتم أيها الناس اليوم فقلتم التمل فى حربه وأسراء وقلتم العنكبوت فى نسجها وصيدها وقلتم الآساد فى اقتراسها فأنتم والله أعجز مخلوق على الأرض إذا أنتم تركتم مواهبكم واحتجتم إلى أرض جديدة بعد دهور ودهور ثم عجزتم أن تصنعوا ماصنع حيوان المرجان من إحداث أرض جديدة .

أنتم الآن لستم فى حاجة إلى أرض جديدة . أنتم فى حاجة إلى عقول كبيرة مرشدة ترشدكم إلى طرق

نظام أرضكم هذه والاتحاد في تعبيرها ، فإذا ظهر فيكم هؤلاء الرجال عرفتم جميعا أن الإنسان محتاج إلى الإنسان وأهم جميعا يكونون أشبه بأعضاء جسم واحد فيما تقدم أو بصور علمية في نفس واحدة .

فإذا قال المسلم « اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم » فليعلم المسلم وغير المسلم أن من كانوا متعاونين مخلصين من أهل الأرض وهم خلاصتها فإن هؤلاء يكونون في العالم الأخرى أو في عالم الأرواح أشبه بنفس واحدة فسكر الواحد فسكر الجميع ولهم هناك نتائج لانعلمها وهكذا أهل هذه الدنيا في مستقبل الزمان حين يكترون وتعمر أرضهم ويكونون كأنهم رجل واحد أو نفس واحدة ، هؤلاء حتما منعم عليهم كأهل الآخرة الصالحين ولذلك يقول الله في أهل الجنة « ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين » .

فالأرواح العالية آراؤها كلها رأى واحد فما يراه أحدها يراه الآخر فإذا ارتقى أهل الأرض وكانوا هكذا فيها بعد أجيال وأجيال ، فهم أيضا غير مغضوب عليهم لأن هذا مطلوب الإسلام لأنهم على صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض .

ألا هل أدركك بحياة الخلية الواحدة في العالم الحي فقال : ما معنى هذا . فقلت : قد كشف للناس بسبب اختراع المنظار المكبر أن أنسجة الجسم مركبة من خلايا . قال نعم هذا معروف . قلت . وكاشف هذا أمثال (شون) و (شليدن) و (فيرشو) وذلك أن كل حي يبدأ حياته ببيئة خلية وهذه الخلية تنقسم ويستمر الانقسام وهذه الخلايا تنقسم أنفسها أقساما كبيرة وتعمل لكل قسم عمله الخاص به فمن هنا كانت الأعضاء والأجهزة المتصلة فانتظم المجموع مع أن لكل خلية حياتها المستقلة وهذا هو تفسير نظرية الحب . فكل من الحبيبين يود الاتحاد بالآخر ليحس بالسعادة بذلك الاتصال ، فهاها ظهر الأمر . كل خلية في كبد أو أدماء أو معدة مستقلة في حياتها منضمة إلى غيرها فرحة بذلك وكل عضو كالسكبد وكالقلب عنده هذا المبدأ مستقل في عمله فرح بالاشتراك مع غيره لتكتمل حياة المجموع ، وهذا بعينه هو سياسة الأمم في المستقبل ، يسعد كل فرد باستقلاله وحياته وهو فرح باندماجه في جماعة والجماعة فرحة لانضمامها للأمم الأخرى . هذه هي الإنسانية المستقبلية أما الإنسان الحالي فهو طفل لم يعرف شيئا من ذلك وسيصل لهذه المرتبة في مستقبل الزمان والأرواح التي تخرج من الدنيا الآن وهي غير مستعدة لهذا الاتحاد مع غيرها تكون أقرب إلى جهنم والعكس بالعكس .

فلما سمع صاحبي ذلك قال : وهل قول المسلم « صراط الذين أنعمت عليهم » معناه ذلك ؟ قلت . أليس تعلم أن النعم عليهم هم الصديقون والشهداء والصالحون النج ؟ قال بلى . قلت : أليس هؤلاء يسعون لسعادة الأمم ؟ قال بلى . قلت : أليس العالم أو الملك تكون منزلته على مقدار ما أسدى من العروف للإنسانية ؟ قال للمسلمين قلت . كلا . إن الأمم الإسلامية واجب عليها أن تحافظ على من تحم من الأمم وعلى من تسلم أو تماهد وهكذا . إذن نحن جئنا لمنفعة الإنسانية كلها . قال نعم . قلت ثم الإنسانية كلما كانت أكثر تضامنا كان أفرادها أوفر سعادة فإذا سلمنا فرضا أن منفعة السلم والصالح إنما تكون للسلم أولم يدخل في سلطانه فإن هؤلاء تكون سعادتهم أوفر إذا اتحاد نوع الإنسان كله ، وعليه يكون قول المسلم « صراط الذين أنعمت عليهم » له حال أرقى أحواله وهو وفرة المنافع بكثرة العقول المتحددة للنفع العام وذلك بأهل هذه السكره ، كيف لا وقد رأينا أن مخترعي الآلات البخارية بجميع أنواعها والكهربائية وصانع الآلة الحاككة (الفنوغراف) والتلغراف الذي له سلك والذي لاسلك له والطيارات والبالونات لم يقتصر نفعهم على أنهم بل عمرا بنفعهم الأمم كلها ونحن منهم . فإذا كان العمل من قوم لم يقولوا « الحمد لله رب العالمين » ولم يقولوا :

«اهدنا الصراط المستقيم الخ» أى إنهم لم يوجهوا وجوههم قبل العالم كله فى دينهم وقد نفعونا ونحن نقول : إن الله محمود لأنه يرزى العالمين لالسلمين وخدمهم ونطلب من الله أن يهديننا صراطه المستقيم الذى به نظم السموات والأرض المعبر عنه بالعالمين ، فلا معنى لهدايتنا لذلك إلا بأن نوجه قلوبنا للنفاع العامة لأن هذه صفته هو الذى نحمده عليها والى طلبنا الوصول إليها . وكلما كان النفع للناس فى الدنيا أشمل كان الارتقاء فى الآخرة أكثر فإذا طلبنا فى صلاتنا أن نكون مثل الأنبياء والصالحين فى عمل الخير لترقى به فى الآخرة فسكنا له أن يعم نفعنا الأمم كلها، وإذا مررنا جميع الناس على فعل الخير فى الدنيا كان هذا المران عدة لهم يوم الدين . إذن أفضل أحوال المسلم أن يكون فى الأرض مع إنسانية سعيدة فى الأرض كلها حتى يكون ذلك أسعد له فى الآخرة وهذا أفضل من السعادة القاصرة على أمة أو على أمم . فلا كمال فى الآخرة إلا بعد السكالك فى الدنيا ولا ثمرة هناك إلا بما غرس هنا « والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم » .

فيا أيها المسلمون: إذا نحن طلبنا من الأمم كلها أن يتحدوا للنفاع العامة وأنتم «خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله» فقولوا وخبرونى أيها المسلمون هذه أمم الأرض الآن لا تأمر بالمعروف ولا تنهى عن المنكر وأضرب لكم مثلا :

هذه الأيام أيام انقلاب وقد كانت أمم الشرق كلها غافلة نائمة وكان للفرنجية سفراء فى بلاد الإسلام وهؤلاء السفراء كانوا يتبارون فى التقرب من ملوك الشرق ومعهم نساؤهم وملوك الشرق يكرمون الضيوف فأعطوهم امتيازاً فى بلادهم كما هو شأنهم فى إكرام الضيوف . فماذا جرى ؟ أخذ الشرق يضعف وأخذ الغرب يقوى . أصبح الامتياز مهلكة للبلاد وإذلالاً لهم . فنقض الشرق اليوم نهضة الآساد ومنعوانلك الامتيازات كأهل إيران والترك والصين واليابان . إنما الأمر المحزن المؤلم أن هذه الأمم لم تتنازل عن الامتيازات إلا بعد السيف وليس هناك للإنسانية نصيب وقد بقيت مصر وفيها امتيازات للأجانب وقد كانت تابعة لدولة الترك ولكن الترك منعوا ذلك الامتياز ولم يبق بلد فيها امتياز مثل مصر ، ومصر جيشها ضعيف لأن الإنجليز منعوا أن تنظم جيشها ، فبقيت الامتيازات ظلماً فى البلاد فلم نجد هذه الدول نهى بعضها بعضاً عن هذا الظلم . إذن المدنية الحاضرة داخلية فى قوله تعالى « كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » .

ولقد جاء فى كلام (اللورد أفبرى) الإنجليزى نقلاً عن عالم يابانى ما ملخصه : « إن أوروبا لما كنا نابغين فى العلوم سمونا نصف متمدنين ، ولكن لما قتلنا منهم مئات الألوف وأرسلناهم إلى عالم الآخرة اعتبرونا متمدنين » إذن المدنية الحاضرة ناقصة وأهلها ليسوا شهداء على الناس . إن الأمم المستعمرة جميعها قد حتمت أن تنشر الجهل بين من تحكمهم من المسلمين ، فالجهل هو الذى أهلك المسلمين وأذلهم . إن هذه الأمم وهم بهذه الحال لا يصلحون لإسعاد أهل الأرض ، وكيف يصلحون لذلك وهم لا يعرفون المصلحة العامة ولن يصلح هذا النوع الإنسانى مطلقاً لرقى النوع الإنسانى إلا إذا كانوا جميعاً مثل الشهم المنصف الإنجليزى وهو (الستر بلانت) فإنه ألقى خطاباً فى بلاده نهى فيه قومه عن احتلال بلادنا المصرية واعتبر هذا عسفا وظلماً ، وخطاب رئيس الحزب الوطنى المصرى بما معناه :

إنكم يا أهل مصر تريدون أن نعطيكم استقلالاً ، فاعلموا أن الأمم الأوروبية لا تعطى إلا مكرهة ، ولا يمنعا عن ظلم الأمم إلا السلاح ، أما إعطاء الاستقلال بلا سلاح فهذا مستحيل ، إن من يفركم بأنكم ستأولون استقلالاً بغير هذه الطريقة فلا تصدقوه .

هذا لغوى خطابه والمسيو (بلانت) هذا رجل حر مخلص للإنسانية وهذه شجاعته منه ونزعة شريفة ولمعنى لن يكون نوع الإنسان سعيداً إلا إذا كان كله على أخلاق كالأخلاق هذا الإنجليزى .

فعلى المسلمين أن يتعلموا علوم الأمم كلها وأن يساووهم ثم ليكونوا عوناً للأمم الأرض كلها . إنهم وسط بين الأمم وهم كالمخ في الطعام ، فليمنعوا الأقوياء عن الضعفاء ، هنالك فقط يكونون خير أمة أخرجت للناس ، يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر ، وبهذا يسعد نوع الإنسان .

أينها الأمم الإسلامية وغير الإسلامية . أتسبكم (الأرضة) التي شرحتها في سورة النحل وسورة سبأ ، تلك الممالك العظيمة من هذه الحشرة العمياء التي تبني مدناً عظيمة تمتد أميالاً وأميالاً وترتفع (٨) أمتار فوق الأرض وهذه الحشرة العمياء تقوم بنظام عملها بناية الدقة والأوامر مطاعة من ملكتها ، لوعدت هذه الحشرات في المملكة الواحدة منها لزادت عن نوع الإنسان ، فهل يحجم نوع الإنسان عن تكوين مملكة كملكها ؟ وهذا حيوان المرجان الذي قدمت ذكره هنا وقلت إنه أوجد في البحر جزائر ، فهل عجز الناس أن يتحدوا ويأتوا بالعجائب . وكيف يتحد المرجان في البحر والأرضة في البر مع أن عدد الإنسان على الأرض ضئيل بالنسبة لعدد الحشرات في هذه الممالك .

إن الإنسان في المستقبل سيصل لغاية يجهلها الإنسان الحاضر . إن الشمس لا تنهدأ في جريها وكذلك القمر والنجوم نشاط مستمر والبحر لا يهدأ ولا يسكن وفي الطبيعة نشاط مستمر عجيب . فسبحانك اللهم تراك حولت الماء في القطبين أراضى واسعة ثلجية وخلقت من الماء جيالاً ثلجية عظيمة تعوم على وجه البحر وعلت الناس طريقة بها حولوا النيتروجين الذي هو أحد عنصرى الهواء فحولوه مع الأدرجين إلى النشادر وهو قد دخل في سماد الأرض وفي المفرقات فتارة يكون مهالكا الأرض وتارة يكون منمياً للزراع في أنحاء الكرة الأرضية .

الهواء صار أجساماً جامدة والناء حوله المرجان أى حول مافيه من المواد إلى آلاف من الجزائر العائمة فهل عجز الانسان عن الأمرين ؟ : الاتحاد العام كاتحاد المرجان والأرضة وإيجاد جزائر في البحر عند الاضطراب ثم الانسان اليوم طفل والطفل انما يفرح بالمفرقات فهم قد ألهموا اليوم صنع المفرقات لأهم أطفال . فأما غدا فسيكثر نوع الانسان ويكونون أعلم من هذه الأجيال وحينئذ يفهمون روح هذا الوجود ويعقلون قيمة الشمس والقمر والكواكب وكيف ركبت فيهم عقول قادرة على الإبداع وإسعاد أهل الأرض « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » ومتى جاء ذلك اليوم أى يوم الاتحاد العام يظهر معنى حديث البخارى الذى يفيدنا أن الرجل يأخذ الصدقة فلا يجد من يأخذها . إذن ذلك يوم يستخرج فيه من الأرض منافعها ومن العقول مواهبها . ذلك هو اليوم الذى يكون المسلمون فيه شهداء على الناس لأن أهل الأرض اليوم عن هذه المرتبة قاصرون . انتهى ليلة الأحد بعد نصف الليل في ١٣ يناير سنة ١٩٢٩ م .

ضوء الجوهرة

وعدنا الله أن برينا الآيات « وان يخلف الله وعده - إن الله لا يخلف الميعاد » . أنت وعدتنا يا الله أن ترينا آياتك ، وآياتك هى التي ذكرتها قلت : « سرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » وقلت « ولقد آريناه آياتنا كلها فكذب وأبى » وقلت « وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فيه يأكلون » وأنت ترينا الآيات في خلقك من شمس وقمر وكوكب وأرض وما عليها من نبات وحيوان ومعادن ، أنت ترينا والأنبياء يرونا « فأراه الآية الكبرى » والطيور ترينا فقد جاء في الغراب « ليريه كيف يوارى سواءه أخيه » .

اللهم إن كل شيء في مخلوقاتك يرينا ، هذا وبيننا أما أكتب هدى ؟ إذ حضر صديقي العالم وقال : ماذا تريد أن تسكتب بعد ما جاء في هذا التفسير من هذه العاني ؟ إن هذا المعنى قد تكرر في كل مناسبة فقلت لا مكرر في هذا . ألا ترى رعاك الله أن هذه ألوان الكلام وفنون العلم وأصناف المعرفة ، ومن عادة النفس أن تحب التنفن في الأساليب كما تحب شهوة الطعام التنفن في المآكل وتحب العين أفانين الصور والأذن أنواع النغمات . إن النفس أشوق إلى هذه الأفانين ولسلك وقت فن وفيض خاص وإبداع ومناسبة . فقال ماذا الآن ؟ قلت : إن الله يقول «سريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق» ويقول أيضا «وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها» .

اعلم أيها الذكي أن أصل كل تلك المعارف إنما يقصد بها نفوسنا ، فلنبحث في أمر هذه النفوس وقواها فهي عندي أصل الحكمة ، وأصل الفلسفة ، وأصل الإبداع في الدنيا : انظر قواها . إن لها أفانين من العرائز وأنواعا من العواطف . وعادة الناس أن يعجبوا من الطير ومن الأنعام ومن الكواكب . أما أنا في هذه الساعة فسكأتني منفصل عن نفسي وكأنها أممي أشرحها شرحا جميلا . أرى نفسي يعوزها الطعام والشراب والكساء والزواج والعلم . لم هذا ؟ إنما حدث هذا لأن الله يرينا أنه لا معنى لشهوة الطعام والشراب ولا شهوة النساء ولا لمداغة العدو إلا لعلم . فكل ما في وجودنا لا يراد منه إلا العلم حتى العبادة هي ممران النفس لتستقر على حال وتحصل لها ملكة تثبت عليها من الأخلاق أو العلم . قال أوضح هذا المقام إذا شئت فقلت : إن الله أحونا للطعام والشراب ودفع نفوسنا إلى طلبهما وركب فينا شهوة لتقبل الطعام وهذا مبدأ أول من مبادئ العلم لأن الحواس أخذت نهم وتميز الحلو من المالح والحامض . فهذه مبادئ العلم وهكذا يمتاز الماء العذب من الملح . كل ذلك مبادئ العلم فان إحساس الحواس مبدأ العلوم . فقال لا شك في ذلك فقلت وقد علمت فيما تقدم في هذا التفسير كيف كانت جميع ما كلنا وما كل حيواننا عبارة عن مواد محرقة فانظر لطعام حي . به لغدائنا لتبقى كيف آل الأمر فيه إلى أن تنهت فينا قوة العقل فأصبحت - بعد أن كانت خامدة - نارا متأججة تقب وتبحث .

سبحانك اللهم أنك تكون شهوة الطعام والشراب ولذة الوقاع وحب الانتقام من الأعداء هذه كلها للعلم في الحقيقة . أليس من العجب أن دراسة طعامنا تنتهي بأن نرى - كما تقدم - أن الملح ماهو إلا الصوديوم والسكرور وكلاهما مادة مهلكة . فالصوديوم يحترق إذا تعرض للهواء والسكرور يدخل في الغازات الحارقة والمواد المهلكة كما أنه قاتل للحيوانات الدرية المهلكة لنوع الإنسان .

هذا الملح وحده مثال من بقية الأغذية في أنه أرى العقول الإنسانية أنه من مواد مهلكة ترحى سبحانه من العز على الجيوش فتهلكهم . إن النفس الإنسانية تدهش وتعجب من هذه العجائب في نفوسنا إذ ذاك ترى عظمة لاحد لها وتعشق الحكمة والعلم ويحول عنها المحول ، فتكون دراسة هذه العجائب موقظت للنفوس وكأن هذه الدراسة تيار كهربائي سلط على النفس فيز قواها ، كما أن (الكهرباء) تحلل بطريق خاص ؛ العناصر : وكما أن الملح بانفصال كل من السكرور والصوديوم وحده تظهر قواها وعند الاجتماع تكون له قوة غير قوتها الأصبية هكذا هذا الانسان مادام لم يعرف العلم تبقى نفسه جامدة خاملة لا اشتراكها مع القوة العضوية والقوة الشهوية فإذا اطلعت على العجائب أخذت تتعالى وترفع عن القوتين الأخريين وتشمخ بأنفها وترتقى وترجع إلى عالمها العالى وهو عالم الفكر كما يرجع الصوديوم إلى حالة النارية إذا وضع في الهواء فدار الصوديوم كانت محبوبة في الملح فأنارها انفصل الصوديوم من السكرور . هكذا غريزة حب الاستطلاع وتأجج نيران النفس تظهر أنه ظهور متى اغترفت النفس من ينابيع الحكمة لأنها ذات ومن

ذاق عرف، وقبل أن تذوق كانت خادمة لجميع البامة مر سائر الأمم يأكلون الملح وأمثاله ولا يحترق أشدهم بحكته وعلمه. فاما الذين أدركوا نظام الملح وأمثاله فأدركت تناجح في فلوبهم نار الفرام بالحكمة والعلم ويقولون إذن: نحن نأكل نارا منطبعة. فالتمح والشعير والذرة وأمثالها فيها (الجير والفضياء وحمض الكبريتيك وحمض الفوسفور والكالور والصوديوم والبوتاسا). وهذه كلها مواد نارية. إذن الجبار القهار قهر هذه العناصر وأخذ نارها حتى خضعت لنا وأطاعت وأنت صاغرة. هنالك يفهم معنى اسم الله القهار الجبار والتسكير والقابض والعدل واللطيف والقيت والواسع والحكيم والقوى المنين والماهر المقدر والمقسط والضار والنافع، هنالك يفهمون معنى هذه الأسماء، فهو جبار على الكبريت والصو يوم والبوتاسيوم وقوى عليها ومقدر ومدل فأدلهما وأضعها وأزلها من حرارتها وجعلها منقادة حتى أكلها الإنسان وجعل الضار بالإحراق كالصوديوم نافعا في الأغذية بحسن اللطيف في صنعه وهو مقسط عدل يجمع العصرين بأوزان لاتنص فيها ولازيادة، ولولا ذلك لم تألف وهذه ظاهرة في علم الكيمياء آتم ظهور في جميع مركباتها.

كل هذه المعاني محبوبة في أغذيتنا فهذه الأغذية ظاهرة لإقامة حياتنا مع أن الحياة كان بإمكانها أن تقوم بغير هذه المواد ولكنها توقفت عليها لتدرسها فلما درسناها أبقت قوانا العفة، وهكذا كل مانحس به من ذل أو عز أو قوة. كل ذلك يستدعي عملا في مادة والعمل فيها يستدعي دراستها ودراستها تفتح للعقل باب البوغ والحكمة. وهالك إيضاحا لبعض أسماء الله الحسنى في عناصر الطبيعة أوسع مما تقدم.

قد تقدم في سورة البقرة وغيرها أن النبات مركب من العناصر وما يقرب منها. انظر إلى العناصر الداخلة في القمح وفي القطن وفي البرسيم مما شرحناه في سورة البقرة وفي غيره فإنك تجد مقادير محدودة لانعيد شرحها وهذه المقادير قد حركت عليها أن لا تزيد ولا تنقص. فهنا يلبس المسلم القطن ويأكل القمح، هو لا يعلم أن الذي ازدرده من الطعام إنما هي كلمات الله مجسمة أو معاني الأسماء. مشاهدة. وأنا أقول هذا الآن حقا لا مبالغة لم خالق القطن؟ خلق من مواد منها الصوديوم والبوتاسيوم والجير والفضياء الخ.

يلبس الرجل القطن وهو يجهل ما يلبس إنه يلبس مواد محرقة ولكن عناية الله قد حلت بهذه المواد فأخذت فصارت ملبسا. الصوديوم محرق وكذلك البوتاسا والجير فتجلى عليها اسم (١) السلام (٢) والمؤمن (٣) والجبار (٤) والتسكير. فسلم المرء من نارها. فأمن من عودها فغضت القوة المحرقة. ولا يبرز هذه المعاني لمن ليس أهلا لها (٥) الخالق لأنه قدرها (٦) البارئ. لأنه أوجدها (٧) المصور لأنه صور ما خلقه (٨) الغفار لأنه ستر هذه العجائب عن الناس وغفر لهم جهلهم كما تغفر نحن للأطفال (٩) القهار قهر حمض الكبريتيك وحمض الفوسفوريك فانططأت الحرارة وتكاملت القوى (١٠) الوهاب: لأنه لما أخضع هذه المواد واكتملت وهبها لنا (١١) الرزاق فاتفعلنا بها (١٢) الفتاح: يفتح أبواب العلم فعرّفها وأبواب الرزق لذميش به (١٣) القابض: قبض نارها فلم يسلطها (١٤) الباسط: بسط لنا الرزق بهذا التدبير (١٥) الجامع: لهذه العناصر هيئة نظامية بعدل، لأنه (١٦) المقسط و(١٧) العدل. وبهذه الخلوقات تكثر خزائنه الناجمة من قدرته، فهو (١٨) غني و (١٩) مغنى لنا بها، وهو (٢٠) مانع ضررها، و (٢١) ضار، و (٢٢) نافع. فالضرر بوضعها في غير موضعها كملح الطعام إذا كثرت والنعيم إذا اعتدل التعاطى لها (٢٣) الهادي هدى الناس لعلمها واستعمالها (٢٤) النور: وهذا الاسم هو سر هذه الدنيا لأن القوم علموا أن لكل عنصر من العناصر التي تبلغ نحو (٩٠) نورا خاصا عند احتراقه وقد قابلوا أضواءها كأضواء الحديد والنحاس والذهب والفضة والصوديوم والبوتاسيوم فوجدوها تختلف اختلافا بينا في أضوائها ثم نظروا في أضواء الكواكب وعثوا فيها نوجدوا مشابهة بين الأنوار الواصلة من السماء وبين الأضواء الناجمة من هذه العناصر كأضواء.

الحديد والنحاس الخ لاسيما الخطوط اللطيفة التي تتخلل تلك الأضواء . فهذه الأحوال تختلف في العناصر عندنا وتختلف في أضواء السكواكب الواصلة إلينا وقد وجدوا أن الأنوار السكوكبية تحتوي على أنواع من الأضواء مشابهاة لأضواء العناصر عندنا فحسبوا بتركيب تلك السكواكب من عناصر مثل عناصر أرضنا وعليه يكون اسم الله تعالى (النور) هو سر السكون ولذلك سميت سورة باسم النور وقال الله سبحانه « الله نور السموات والأرض » بل ثبت فيها تقدم في تفسير الآية أن أصل العالم نور إذن اسم الله النور هو سر هذه الدنيا لأن علمنا نفسه نور وثوب القطن الذي كلامنا فيه نور بمجد تجلي عليه الله بأسماء أخرى آتية من صفاته فترآكم النور فلبسناه . فالثوب القشيب والثوب الخلق سيان في أنهما نور عند العالم ولكن الجاهل لا يرى إلا الظواهر فقد تجلى عليه باسمه (الميت) وعلى العالم باسمه (الهيب) وهو قادر ومقتدر بما صنع في الثوب من صناعات مختلفة إذ خلق نساجا وخياطا وهكذا وعلمهم صنائع حتى لبسنا ثوب القطن وهو والى أمر الملك ومنه هذا الثوب فقد تولاه بهذه الأعمال مع أنه متعال فليست ولايته بالمشابكة بل هو متعال . هذا وبقية الأسماء ظاهرة منطبقة على هذه الدنيا بأسرها فلا شجر ولا حجر ولا جبل ولا طير إلا وقد دخلتها صناعات وأعاجيب حولها من حال إلى حال وقد تجلى الله عليها بتجليات ظهرت لنا من مبدئها إلى منتهاها . فلبس الثوب وآكل الخبز قد اشتمل عملهما على آثار أسماء الله الحسنى التي دخلت في معاني صفاته . إذن صفات الله تعالى كأن لها أمثلة محسوسة بالبصر . فهذه أمثال مضرورية للناس فحق أشرفت القلوب تجلت لها الأسماء فيما تشاهده في أنفسها وفي الآفاق . وخير معوان لها العلوم الحديثة لاسيما الكيمياء وإلا فما هذا الجمال وما هذا الإبداع . كيف يكون النور هو مبدأ كل شيء ؟ كيف يكون ثوبى وخيزى نورا أو نارا قد حمدا وحمدا . كيف يأكل الناس في الدنيا نارا قد أخذت .

يمثل هذا يفهم الناس قوله تعالى « وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها » وقوله تعالى هنا « ما يفتح الله للناس من رحمة » الخ وبهذا يقرب لنا فهم قوله تعالى « هو الأول والآخِر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم » .

اختلاف نتائج الطعام في أحوال الناس

أثبت الأستاذ (مكام) بتجاربه على الفيران التي ظهر للعلماء أنها تأكل اللحم والحضر كالإنسان فلها شبه به من حيث التغذية فجعلها العلماء محل تجارب الطعام . فهذا الأستاذ وهو مدرس لعلم الصحة بجامعة (جونز هسكتر) قد جعل أربع فيران في ناحية وأربعة في ناحية أخرى فعذى الفريق الأول بالماء والحنطة وغذى الفريق الثانى بنفس الطعام مضافا إليه أوراق لفت أو بنجر فسكبر الفريقان وزادت أفراد الفريق الثانى في أحجامها ضعف أقسام الفريق الأول ولم يحصل بينهما فرق إلا في ذلك وهكذا صنع علماء اليابان فقد أخذوا يغذون فريقا من التلاميذ بغذاء أهل اليابان وفريقا آخر بغذاء الأمم البيضاء فزاد الفريق الثانى في الطول بضع بوصات وهكذا في الوزن وهكذا علماء أمريكا جربوا هذه التجارب في التلاميذ بمدينة (بلطيمور) الأمريكية فوصلوا إلى ماوصل إليه علماء اليابان من النتائج ، فكانت النتيجة أن الصينيين واليابانيين والكوريين وأهالى جاوه وغيرهم من الشعوب إنما قصرت قاماتهم للأغذية التي يتعاطونها بخلاف الشعوب الطويلة القامة فان الأغذية أثرت في أجسامها فطالت وضخمت .

وفعلت هذه التجارب نفسها بواسطة (السكولونل ما كربين) من أطباء مصلحة الصحة الهندية إذ

وجد (قبائل السنخ) و (البانان) أكبر من (قبائل المراسي) ونحوهم من الهند ، فوجد الأولين يتناولون الألبان والحضر ونحوهما واللحم ، والآخرون ليسوا كذلك ، فحرب هذه الحال في الفيران كالأستاذ (مكلم) فكانت النتيجة كما تقدم تماما . وهكذا فعل هذا العمل في الجرذان فأطعم طائفة منها طعام فقراء العمال الانكليز وطائفة أخرى طعام اليابانيين . فكانت الفيران التي تناولت طعام الانكليز الفقراء خشنة الجلد مبالغة إلى النزاع والحرب ، والفيران التي تناولت طعام اليابانيين وسكان فيلبين وجاوة صغيرة الأحجام والقامات وظهرت فيها بعض صفات هذه الشعوب .

هكذا رأى العلماء أن مرض (البري بري) يصبب ملايين من سكان الهند والشرق الأقصى على الأخص فيجت منهم نحو مائة ألف كل سنة ، وذلك بسبب أكل الأرز الأبيض المقشور لأن مادة الفيتامين لانكون إلا في الأرز الأحمر ، فالمادة الغذائية إنما تكون في قشرة الأرز ومرض (البلاغرا) يصبب سكان الولايات الجنوبية بالولايات المتحدة الأمريكية وهو يفشو بين القبائل التي يقل الغذاء فيها ، وغالب طعامهم القدره وهي لانعطي جميع المواد الغذائية فهي قاصرة ، والعين قد تصاب بفشوة بسبب فقد الفيتامين من الطعام وهكذا يحدث مرض الجلد بسبب حذف بعض عناصر الغذاء من الطعام ، وبعض أطباء اليابانيين أحدث قرحا في المعدة على هذه الطريقة ثم شفاها ، ومرض الكساح سببه قلة التغذية ويشفيه تناول زيت كبد الحوت وهو المعروف بزيت السمك . انتهى ملخصا من المقتطف .

كل هذه العلوم عرفها الإنسان بسبب أن شهوة الطعام أوجبت على الإنسان تعاطي الغذاء وتعاطي الغذاء دعاء للبحث ولما بحث وجد أن اختلاف الغذاء يوجب اختلاف القامة والحلق وهكذا . إذن هذه الأغذية من أعظم المؤثرات في هذا الإنسان .

الثواب والعقاب

إذن ثواب الناس وعقابهم سيكون كنتائج الأغذية فكما أن العقول البشرية لانعترض على قصر قامة الياباني لاقتصاره على طعام الأرز ونحوه ولا ترى أن هنالك ظلما في قصور قامة الياباني عن نظيره من أهل الشرق الأدنى والأوروبيين طوال القامات . فالنتائج لها مقدمات ولا غبار على تلك النتائج بعد المقدمات . إذن شهوة الطعام وغيره إنما خلقت في الإنسان لفتح عين بصيرته . فالجاهل يرى في الطعام لذة في حاسة الذوق ولكن العالم يرتقي للذة العقل فيقول للجهال أنهم تأكلون كما تأكل الأنعام لا تعلمون إلا ما تحس به حواسكم . أما أنا فإن عقلي يستلذ بإدراك العاني الخبيثة في الأغذية والفواكه وينسى الشهوة الصغرى التي اشترك فيها الحيوان والإنسان .

هنالك فتحت للإنسان بصيرته لماذا فعل ؟ لماذا في الكشف والعلم يخفر الأرض واستخرج كنوزا وسافر في البر والبحر وفي الطيارات وبحث عن العوالم الخالوقة في القطبين .

فقال صاحبي : هذه شهوة البطن لاغير . فقلت كلا ، هي شهوة علمية ، والدليل على ذلك أن الذين توجهوا للقطبين مات كثير منهم ، فهذه شهوة معرفة الحقائق أو الذكر والصيت ونحوها .

نشط الإنسان في زماننا هذا نشاطا لم يعهده ، واختلط الغرب بالشرق وظهرت الكنوز والعلوم المدفونة فالنقود والحلى والخزائن الذهبية والجواهر الخزونة ظهرت في أفطار كثيرة وابتدع الناس وانتشروا في الأرض وطاروا في الأفطار بطياراتهم شرقا وغربا وجنوبا وشمالا وسار الإنسان سيرا حثيثا سريعا لاسما لما ارتقى

الطيران فامتطى الانسان غارب الهواء بالطيارات والبالونات كما امتطى غارب الماء بالمرالكب وامتطى صهوات الجياد في الغلوات فساقر الناس إلى القطبين في هذه الأيام . كل ذلك سر « ما يفتح الله للناس » الخ .

﴿ وصف مناطق القطبين من حيث علم الفلك ﴾

تلك البلاد التي جعلها الله من أعجب العالم ، سنتها يوم واحد ، فالقطب الشمالي يبتدىء يومه من أول فصل الربيع وينتهي بأخر فصل الصيف وهناك يبتدىء ليله وهكذا القطب الجنوبي يبتدىء يومه في أول فصل الخريف وينتهي في آخر فصل الشتاء ثم يبتدىء نهاره وهكذا . وصفة الشمس هناك أنها تجرى جريا رحويا أي كما تدور الرجا فهي تدور حول سكان تلك الأقطار مدة ستة الأشهر كما يدور الثور في الساقية والبقرة في الطاحون ولكنها في أثناء الدوران ترضع شيئا فشيئا إلى نحو (٢٣) درجة من السماء ثم تهبط راجعة ثم تعيب .

سمى الناس في أيامنا لكشف تلك الأقطار كأنهم قرءوا هذه الآية « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم » وكانهم قرءوا قوله تعالى « هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا » فقوله جميعا يراد به أن لا نذر شيئا إلا عشاها وعرفنا ، فماذا عرف الناس هناك ؟ عرفوا البترول والفحم والحديد والنحاس وغيرها .

إن احتياج الناس للطعام وما يمين عليه أدامهم إلى كشف الأقطار البعيدة بشغف علمي وقد فهموا من صنع ربهم أنه خلقهم للعلم والعمل وقال لهم ماقاله طارق بن زياد : (العدو من ورائكم والبحر أمامكم) قالها للحيش الاسلامي وهو يغزو بلاد الأندلس ، هكذا الله يقول للناس : ذل الحياة من ورائكم واللوت أمامكم فلا بد من العمل ، فشمعوا عن ساعد الجهد وكشفوا القطب وكثرت الطيارات وارتقى نوع الانسان ارتقاء نسبيا لسكنهم إلى الآن لم يصلوا إلى عشر معشار ما يقدرون عليه لأن أكثر الانسان معطل في هذه الأرض أكثر الناس معطلون . فكم من عقول ضاعت لعدم استعمالها فيما خلقت له وهذه الأرض قد ملئت خيرات وأهلها لا يزالون أطلعلا ، فهذا غزال (الرنة) التي رأيت رسم صورتها في (سورة النور) مع غيرها يعيش في القطب البارد . وهكذا تلك النباتات التي تعد بالملئات قد حرم من الانتفاع بها الإنسان وكذا الحديد والنحاس وغيرها هناك ولم يعرفها الناس إلا في زماننا . إذن ابتداء الانسان الآن يتعلم .

هذه بعض الآيات التي أراها الله للناس في هذا الزمان وهي الآيات التي عرفها الناس بسبب احتياجهم للغذاء ونحوه وهي مما فتح الله للناس من الرحمات .

﴿ الآيات التي عرفها الناس في زماننا بسبب قوتهم الغضبية ﴾

اعلم أن الانسان كما عرف عجائب النبات وتركيبه وخواصه ومهلكاته وامتلاء الأقطار النائية به كالقطبين هكذا نراه عرف بسبب قوته الغضبية علوما أخرى عظيمة . ذلك أنك قرأت فيما تقدم تاريخ المسلمين بالأندلس وبالشرق ، وهكذا تقدم أيضا تاريخ قدماء المصريين فكانت النتيجة أن الترف والنعيم يهلك الأمم ومعنى هذا أن دولة العباسيين سقطت وذهبت ريحها ومزقت كل ممزق بسبب نظامهم السياسي اللبني على أن الملوك هم للتصرفون فاتبعوا الشهوات وأضعفوا الأمم الاسلامية وهكذا تبعهم في ذلك سكان الأندلس إذ تفرقوا عشرين دولة وهم بين فسكى الأسد في أوروبا فقتضموهم قضا والنهموم التهاما وأكلوهم أكلا لاما . ولقد تقدم واضحا وعرفنا سرتشتت الأمم العربية شرقا وغربا ورجع ورجع الأمر إلى الشر والجهل والترف والبطر واتخاذ النساء من أمم أخرى حتى فسدت الدولة وساء للمصير .

نعم نحن رأينا هذا وعرفناه ، إذن فلنتب من هذا ولنستغفر الله ولنسر بسيرة غير سيرة آياتنا الأولين فقد أيضا الآن (أمرين : الأمر الأول) أن نتائج الأغذية لا تعطى قوة وطولا وضعفا وقصرها هكذا نتائج

الإمارة المستعبدة الناجمة لأهواء الأمراء فإنها مضمحلة ذاهبة إذن قد صدق الله وعده فإنه نظم التاريخ وحاقي المؤرخين فألقوا العلم إلينا وأصبح العلم أماننا والتاريخ محدثنا حديثنا صحيحا عن آباءنا أنهم وقعوا فيما أخبرهم به النبي صلى الله عليه وسلم إذ قال في الحديث الصحيح « إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا الخ » فهذا الحديث قد تم وظهر أن النبوة قد أخبرت بالمستقبل وأخبر صلى الله عليه وسلم بما وقعتنا فيه الآن من القلة بسبب فتوح البلدان لآبائنا فاتسكوا على ما بأيديهم ولم يتعلم الشعب كيف تستفيد الأمم من أرضها وأعمالها وذلك بعض القرون الأولى وهذا قوله تعالى « وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال ، وقد مكروا مكروهم وعند الله مكروهم وإن كان مكروهم لنزول منه الجبال » .

إن هذا القول منطبق علينا الآن وإن هذا التفسير قد جمع زبدة هذه الباحث وسيكون والحمد لله لها آثار قريبة النال هو وأمثاله إن شاء الله تعالى .

فنحن معاشر المسلمين جميعا سكننا في مساكن أمم خلت وأكثرها ظلمت أنفسها وعرفنا بالتاريخ (كالتدري قرأته فيما تقدم عن ابن خلدون وغيره) إنهم كانوا مترفين ظالمين كما علمت وبعضهم من آباءنا العرب إذن هذا قول الله تعالى « وقل الحمد لله سيريكم سيركم آياته فتعرفونها » فالآيات قسمان : آيات في الأنفس ومنها تاريخ العرب الإسلاميين ومنها عاشوا معهم من المسلمين ، وآيات في الآفاق وهي التي عرفناها في تحليل الغذاء إلى عناصره وفي عجائب القطبين ونحوها وفهمنا فهما لاشك فيه أنه لا فرق بين كون طعام أهل اليابان يوجب القصر وغيره يوجب الطول ، وبين كون الترف والتنعم في الأمم يورث زوالها والفضائل والعدل فيها يورث بقاءها ، إذن العلوم والتاريخ الآن مضبوطات وتأنجها لاشك فيها ، إذن الله أرانا فعلا آياته فعرفناها وأن حياة الأفراد بالأغذية نتائج ناجمة لها كما أن حياة الأمم تبع لأخلاقها الفاضلة وموتها تبع لحسنها وترفها والله حكيم عليم . لقد علمت بالله أمم ممن حولنا تاريخ الأمم فعملت به فاحترست فطالت أيامها أكثر من طول أيام دول أخرى قديمة . وهذه للباحث مما فتح الله للناس من الرحمت تفسيراً للآية .

﴿ نتائج تعليم الله لنوع الإنسان في هذا الزمان ﴾

اعلم أن نتائج التعليم في العصر الحاضر أن النوع الإنساني قد اعترته حال جديدة زحزحته عن أكثر مآلديه من أحوال التعليم ، ثارت ثمرة هذا الإنسان أخذ يسير في الأرض وقد زلزلت زلازها وأخرجت أمثالها ففتحت خزائنها وظلمت كبوزها وأخرجت موتها من القبور بأجسامها لأبرواحها وعرفوا المعادن وأنواع السوائل الخزونة في الأرض فاستخرجوها وسارعوا إلى القطبين فأرو ما لم يره السابقون وأخذوا يستنطقون الأحجار فنظقت وأخبرهم بما حل بالفرون السابقة والأمم الحالية وأخذ الناس يسأل بعضهم بعضا ماذا يحل بآلنا بعد الآن وأخذ الناس يركبون الطائرات ، ولا يمضي إلا زمن قليل حتى يركب الناس الطائرات ويكونون في غدوم ورواحهم كالطيور الصافات . هنالك فقط ينتفعون بهذه الأرض كما انتفعت الطيور برحلة الشتاء والصيف المذكورة في (سورة النور) عند قوله تعالى « والطيور صافات كل قد علم صلاته وتسبحة » .

ستكثر الطائرات وتستعمل للأفراد وبشارك الناس الطير في جو السماء فيصير هذا الجسم الثقيل الإنساني كالطيور ويحبب الأقطار ويقتمم الأسفار وهنالك تحصل للناس حال جديدة إذ تصير جميع الناس في عمل ويقل السكـل والجهل ويعم التعليم . ولا يمشي في هذه المدينة المقبلة إلا للتعلمون تعلميا حقيقيا . ولا يكون في الناس من يكون عالة على غيره إلا المرضى والأطفال . والتعليم يكون عاما بواسطة نفس الأمة . هنالك ترقى الإنسانية وتكون ذلك حالا نسما التوكل لأن التوكل حق التوكل هو أن يعمل الإنسان كل ما في طاقته

ويترك الأمر في نتيجة عمله لله عز وجل . هنالك يظهر لنا (معجزتان : الأولى) الحديث الوارد في الصحاح أن الرجل يأتي بصدقة فلا يجد من يأخذها ، وقد ذكر في هذا التفسير سابقا (الثانية) هو قوله صلى الله عليه وسلم « لوتوكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تعدون خاصا وتروح بطانا » فهذا تلويح إلى زماننا هذا إذ يطير الناس كأنظير الطيور في الجو ويحبون الأقطار . فلا يحضرون في الأمصار كالطيور ، والطيور تجوب وتقطع مهامه لا يعرفها الإنسان ، أذكر كذا بما تقدم في هذا التفسير من أن القوم يبشون بالطيارات عن قارة مجهولة جهة الأفطار الشمالية لأنهم رأوا الطيور ترحل إليها ، فتوكل الطيور هو أجل توكل لأن الطير لايشكل بفضه على بعض ، ولكن هذا الإنسان ناقص نظامه تستبد طائفة منه بالثروة وتترك الباقي فيقل العلم والصناعة لذلك ترى هذا الإنسان ناقصا ناقصا فاحشا محزنا مؤلما . فاجتهاد جميع الأفراد كاجتهاد الطيور يرفع الإنسانية رفعة لاحد لها هنالك نزول الزكاة كما ورد في الحديث إذ لا يحتاج فإن الرزق موجود في كل مكان بل ربما كانت هناك منابع للرزق غير ما نعرفه نحتق معنى الحديث . إن هذا الزمان زمان انتقال وهو بعض مايفتح الله للناس من رحمانه .

- (١) لقد زاد الطيران بسرعة فصار (٣٠٠) ميل في الساعة للطيارة في الجو .
- (٢) وهذا سيجعل القفر عامرا فسكان استراليا انتقلوا لجأة بالطيارة من أوائل القرن التاسع عشر إلى العشرين أى من السير على المركبات والجياد إلى ركوب الطيارات إذ تمكنوا بالطيارات من قطع مسافة (٥٠٠) ميل فوق القارات التي بين مدينتي برن ودربي في استراليا و ٤٨٠ ميلا من اديليد إلى ملبورن و ٥٠٠ ميل من ملبورن إلى سدني و ٥٠٠ ميل من سدني إلى بريسين .
- (٣) بعض المستأجرين الأراضى هناك وهو شيخ باع السبعين قطع مسافة (١٢٠٠) ميل في يوم واحد وكان يقطعها قبلا في سنة أسابيع على جواده .

﴿ مصادر القوة ﴾

يقول الأستاذ (صدى) البحانة في أشعة (الراديوم) وغيره من مصادر القوة والضوء : إن مصادر القوة التي يعتمد عليها أبناء هذا العصر قريبة ازوال .

- (١) لقد استخدم أهل (الترويج) الضباب الصناعى لوقاية الحاصلات من الصقيع . وذلك بتغطيتها بالبخار الساخن .
 - (٢) الأستاذ (لوسيان دانيال) ولد نباتا ينتج طعامه فوق سطح الأرض وبطاطس تحت سطحها في مدينة رين (غرنا) .
- وقد تنبأ بعض علماء الفسيولوجيا والكيمياء بأنه يأتي يوم يتخذ الإنسان غذاءه من نفس القوة الحيوية الحسوة في الجوهر الفرد لأن قوته مستمدة من قوة الشمس وذلك بأن يوصل بدنه بآلة كهربائية خاصة تتصل بتلك الجواهر الفردة بحال خاصة فيمتلىء جسمه بما يحويه ويغنيه وهذا رأى (اللستر واز) والعلماء اليوم كلهم يقولون : (إن كل قوة في الأرض إنما هي من الشمس) فكل القوى في أرضنا مستمدة منها لذلك يحولون وجوههم ومهمهم نحوها .

هذه أمانى العلماء في المستقبل وهذه منتهى أبحاثهم . كل ذلك تفسير للحديث : « ترزقون كما يرزق الطير الخ » وحديث الصدقات إذ لا نجد من يأخذها . وهذا يدل على أن أرضنا ستكون فيها أيام سعادة لأجيال قادمة . هذا هو المقصود من أنه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين وأنه آخر الأنبياء والمرسلين . وإياك أن يصدك عن هذا أن المسلمين جهال . فهؤلاء الجهال يبشون وثبة واحدة تهتز لها الأرض

وهذه الوثبة ليست للحرب وإنما هي للحكمة والعلم وسيعرفون آراء الأمم ويقروون لأن هذا مما فتح الله من
الرحمات .

(١) - (رأى للسيو البرت أودن في كتابه أصل الرجال العظام)

إذ ذكر الذين اشتهروا بالأدب الفرنسي شعرا ونثرا في خمسة القرون الماضية فأثبت أن تسعة أدياء من
كل مائة أديب اشتهروا من أولئك الفقراء ، والفقراء في فرنسا (٩٧) في المائة ، فالطبقة الغنية القليلة هي
التي أنجبت النابغين فيها في خمسة القرون الماضية ، وطبقة الأشراف في فرنسا وهي جزء من مائة منها أنجبت
(٢٥) في المائة من النابغين في الأدب الفرنسي في القرون الخمسة المذكورة ، والوضعية لم تنجب سوى (٣)
في المائة ، وروايات الأشراف هي التي أحدثت الانقلاب في فرنسا .

(٢) ويعرف المسلمون رأي (السرفرنسس غلن) العالم الانجليزي الذي بحث في مدة (٢٥) سنة فوجد
في كل (٤٠٠٠) شخص من العامة يبيع واحد في القضاء ، أما القضاة الذين هم أبناء قضاة فيكون واحد
من ثمانية يشهر الشهرة عنها .

(٣) ويعرفون أيضا رأي الأستاذ (أميرتوسافيوتي) الذي بحث في تلاميذه بميلان فرتبهم هكذا :

٥١٨٩	(١) أبناء أصحاب المهن الحرة
٥٠٨٨	(٢) أبناء الطبقة التجارية العليا
٤٧٢٢	(٣) الطبقة التجارية العادية
٤٤٢٤	(٤) الحدم
٤١٧٧	(٥) الصناع

فقد امتحن قوة ذكائهم فوجد هذه النتيجة .

(٤) ويعرفون رأي عالمين من علماء السيكولوجيا في تلاميذ مدرسة في بروكسل ببلاد البلجيك ولا يؤمها
إلا أبناء الأغنياء فوجدا ذكاءهم يفوق المتوسط لمن في سنهم ، وقد ظهر لهما في امتحان أولاد الأغنياء الذين
لا يزيد سنهم على (٩) سنوات في إحدى المدارس فوجدا أنهم مثل أولاد الفقراء في العاشرة ذكاء .

(٥) ويعرفون رأي (العالم السيكولوجي سيريل) إذ وضع أسئلة فوجد الأولاد الذين يعيشون في أزقة
(لفر بول) القدرة يستغرقون (١٢٣) ثانية في الاجابة وأبناء التجار يستغرقون (٩١) ثانية وأبناء الأساتذة
والطارئة (٧٤) ثانية .

(٦) ويعرفون رأي الأستاذ (لوس ترمين) الأمريكي ، إذ يقول : (إن التفوق في الذكاء يزيد (٥)
أضعاف في أبناء الطبقة العالية والاجتماعية عن أبناء الطبقة الواطئة) .

(٧) ويعرفون رأي الدكتور هفلك ألس الفيلسوف الانكليزي إذ بحث (١٠٣٠) نابغة من الانجليز
رجالا ونساء سنة ١٩٠٤ فكانوا على هذه الصفة :

٦٠١	الجيش والأسطول	١٨٥	الطبقة العالية
٣٢٢	صغار الموظفين	١٦٧	رجال الكنيسة
١٨٨٨	التجار	٧١	رجال القانون
٩٢	الصناع	٣٦	رجال الطب
٠٦	الفلاحون	٧٦	المهن المختلفة

(٨) ويعرفون رأي الدكتور (كانل) رئيس (مجمع تقدم العلوم الأمريكي) إذ جمع سير (٩٥٠٠)

رجل من رجال أمريكا المتفوقين في العلم فوجد أن أصحاب المهن يبلغون (٣٨) في المائة من المجموع وقد أنجبوا (٤٣١) في المائة من النابغين و (٤١١) في المائة من المجموع يشتغلون بالزراعة أنجبوا (٢١٢) من النابغين و (٣٤١) من المائة من المجموع هم أهل الصناعة والتجارة أنجبوا (٣٥٧) في المائة من النابغين إذن ثلاثة في المائة من سكان أمريكا وهم أصحاب المهن الحرة أنجبوا نصف علمائها .

(٩) ويعرفون رأي الدكتور (أدون لفت كلارك) إذ بحث في أصل ٦٦٦ رجلا من رجال الكتابة والتأليف فوجد أن أصحاب المهن الحرة أنجبوا (٤٩٢) في المائة من الرجال الذين تناولهم البحث ولشغلون بالتجارة أنجبوا ٢٢٧ ولشغلون بالزراعة أنجبوا ٢٠٩ وغيرهم ٨٢ .

(١٠) وسيعرفون رأي الدكتور (كلارك) إذ يقول : (الفقر لا يخلق النبوغ ولا الغنى ولكن الغنى يساعد وهو أكبر معوان على إظهاره) والمستقبل يقول : (إن النبوغ لا يكون لغير التعلم) والله أعلم .

هذه آراء عشرة من رجال العلم في الأمم المختلفة المحيطة بنا ، أثبتوا أن القضية المشهورة عندنا معاشر المسلمين أن الفقر يدفع إلى النبوغ قضية خاطئة ، نعم إن ذلك دافع للعمل ولكن يحتاج لمساعدة المال . وبعد هذا سيعلم المسلمون علما ليس بالظن أن ما هم عليه من سوء الحال ناجم من جهلهم بنظم ربهم إذ حرم على هذا الإنسان أن يرقى إلا متحدا ، والمسلمون منع عنهم الرقي أن كل امرئ منهم لا يريد لإفائه أو أقاربه وهذا جهل محض ، فاته يقول «اهدنا الصراط» ويقول «إياك نعبد وإياك نستعين» فليست أستعين بالله وحدي ولا أعبد وحدي ، والمسلم يقول في الصلاة أيضا «السلام عليك أيها النبي . السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» فهو يسلم على الأمة مرتين في ضمن الصلاة على نبينا صلى الله عليه وسلم لأنه رمز لها كلها ، فالمسلم عليه مسلم على الأمة ضمنا لانتماده معها ، والمصلي عليه مصل عليها معه ، فهو يطلب من الله رحمته وهي ظل له فكأنه طلب لها الرحمة معه . إذن الصلاة في معناها رمز للوحدة العامة الإسلامية . فعلى قادة الأمم الإسلامية أن يجعلوا التعليم عاما ، وأن يبذلوا للصبيان كل ما يحتاجون إليه بحيث يكون أبناء الفقراء في ذلك كآبناء الأغنياء تقريبا وهناك يظهر النبوغ وترتقي بلاد الاسلام .

فلما سمع صاحبي ذلك قال : إن هذا الموضوع جميل ولكن أراك أدخلت معنى قوله تعالى « إذا زلزلت الأرض زلزالها » في ضمن هذا المقال ، هل تريد بهذا القول أن قوله تعالى « إذا زلزلت الأرض زلزالها » يرجع إلى هذه الحركة العامة ، هل هذه زلزلة ؟ وهل إخراج الأرض أنقلها هو ما نراه من علوم الآثار الخ وهل قراءة أخبار الأمم على أحجارها مثل القوانين التي كتبها حمورابي .

كل ذلك تفسير للآية ، وهل أعمال الناس في الكشف الحديث والجد في العمل يرجع لقوله «أشتاننا» وهل قوله « ليروا أعمالهم » معناه أن كل امرئ يعمل ويعطى الرزق غالبا من عمله ولا يتشكل إلا على ربه وأن عمله له سواء أكان قليلا أو كثيرا . قلت : هل أخذت هذا من كلامي ؟ قال نعم . قلت : اعلم أن السورة واردة في القيامة ولكنها منطبقا تماما على أحوال عصرنا فلنا أن نقول هذا كناية ؟ ولا جرم أن الكناية تشمل المعنيين معا : المعنى الأخروي ، والمعنى الدنيوي ، وما الآخرة إلا صدى الدنيا والأمر سهل في هذا . وإذا كان العذاب في الآخرة فهو في الدنيا ، وقد قررنا هذا في مواضع كثيرة من هذا التفسير .

يقول الله في أول (سورة فاطر) « يعلم مايلج في الأرض وما يخرج منها » ثم ظهر أن هذا العصر هو عصر الخروج . فاستبان للناس أن الفرنجة قد استخراجوا من بلاد اليمن أخبارا كثيرة من أحجارها التي رسموها وهكذا أتى بنفس هذه الجملة في أول (سورة الحديد) للإشارة إلى أن معدن الحديد مما يخرج من الأرض . فإذا قال إن الأرض زلزلت وكان المعنى أن ذلك يوم القيامة فليس هناك مانع أن يكون رمزا للحال

العالم الآن من الحركة العلمية والحربية التي زلزلت لها الأرض زلزلة بالحرب والأعمال العظيمة . وها هي ذه السكروز العلمية والعملية قد أخرجت . وهامم أولاء الناس شرقا وغربا يتساءلون قائلين : إلى أين نحن سائر ون ولا مجيب ؟ ولكن الجواب ظاهر في الآية . ذلك أن كل امرئ سيقوم بعمله الخاص ويكون الناس كالطير تغدو سخامسا وتروح بطانا . فهامى ذه الطيارات أخذت ترتقى ، وفي هذا اليوم وهو ٢٤ يناير سنة ١٩٢٩م بقيت الطيارات الأمريكية سنة أيام في الجو ولم تنزل من خلالها على الأرض ؛ ومعنى هذا أن الطيران سيرتقى ويعم قريبا ويكون للناس شأن آخر فتعمر الأرض التي لازرع فيها وتقوم حكومات توزع الأرض التي لا مالك لها على العاطلين من الأمم ، وهناك يتشكل الناس على ربهم فلا تعارب بينهم ، وأيضا لا يأكل القوي مال الضعيف ولا يدخر الناس مالا بل تكون الأرض كلها أشبه بدار واحدة لأسرة واحدة . وهذه الطيارات مقدمة لذلك العمل وبها يصبح الناس كالطير وذلك من عجائب النبوة ومدعشاتها . وهذا المقام واضح في كتابي [أين الإنسان] والحمد لله رب العالمين . انتهى ليلة ٢٣ يناير سنة ١٩٢٩ .

آيتان في الكشف الحديث

(الآية الأولى : كشف الحيوانات الدرية)

من آيات الله التي ظهرت بعد ذلك كشف الحيوانات الدرية (السكروبات) . وقد تقدم في سورة إبراهيم ذكر كشف علوم كثيرة في تفسير قوله تعالى « وذكركم بأيام الله » ذكرتها في بيان تذكيري للمسلمين بأيام الله .

أنا أكتب هذا اليوم أعني يوم ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٢٨ فأقول : (إن الناس قبل ٢٥٠ سنة لم يكونوا يعلمون شيئا عن الحيوان فانفق أن رجلا اسمه (ليونهوك) من دلفت بهولنדה لا يعرف علما من العلوم ولا لغة من اللغات الأجنبية ، قد جعل أوقات فراغه في صنع العدسات إذ سمع أن الإنسان إذا صنع عدسة كبيرة من الزجاج يقدر أن يرى بها الأشياء . فأخذ يطحن الزجاج ويصبه ليخرج العدسة المطلوبة وبقي في هذه التسلية عشرين سنة فصنع مئات ومئات منها لتحسينها حتى استطاع أن يصنع عدسة نقية مضبوطة ولكنها لديها أمكنة أن يرى منها الأشياء الصغيرة في أحجام كبيرة على غاية الوضوح فأخذ ينظر كل شيء بها مثل الشعر والنسيج وقطع من الجلد وزبان النحل وروس الذباب ، فكان ذلك تفكها له وسرورا لما في ذلك من الغرابة والسرور والبهجة . واستمر يفعل ذلك إلى أن اتفق له ذات يوم أن يكون أول كاشف لأعجب وأعظم العلوم الطبيعية وهو ذلك العالم الكبير الذي لا يحصى عدده ولا يعرف أمده .

(الآية الثانية)

حيوانات شتى في الماء الصافي

ذلك أنه وضع نقطة من الماء النقي تحت العدسة ، فلما نظرها أخذته الدهشة فسمعتة ابنته وهو يناديها (تعالى أسرعى ، تعالى انظري الحيوانات الصغيرة في الماء الذي نشربه ، إنها تعوم ، هاهي ذه تجرى وتلعب ويجرى بعضها وراء بعض ، ما أعجبا . إنها أصغر بآلاف المرات من أي حيوان نراه بالعين المجردة انظري انظري هذه الحيوانات التي أكتشفها) .

فهذا الكشف انتقل من حال إلى حال وعرفه الناس وعظم قدره وظل يجاهد طول حياته . وأحدث بهذه المعلومات ضجة كبيرة ، ولقد قبض الله بعد وفاته لهذا العلم قيسا إيطاليا اسمه (سبالانزاني) فزاد هذا العلم درجته وتقدم به خطوة ، إذ برهن أن هذه المخلوقات ليست توجد هكذا بغتة بل هي تتناسل كما يتناسل الحيوان المعروف . انتهى الكلام على الفصل الأول فيما فتح الله به على الناس باستخراج مافي العناصر الأرضية والحمد لله رب العالمين .

الفصل الثاني

(فيما فتح الله به على الناس بكشف خيرات كانت خافية عليهم فظهرت لهم)

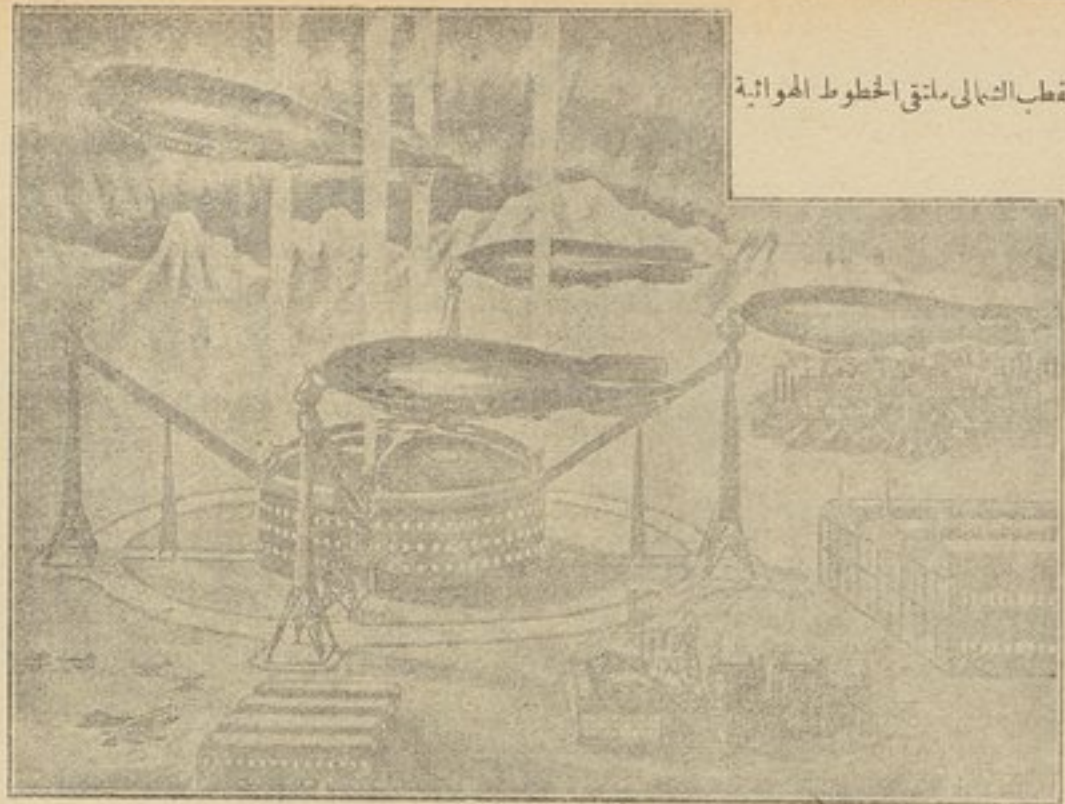
نذكر في هذا الفصل أحد عشر موضوعا وفيما يلي بيئاتها :

- (أولا) ثروة القطب الشمالي .
- (ثانيا) أرض كشفت في دائرة القطب الجنوبي .
- (ثالثا) مانا كلة من نور الشمس وتداوى به ؟ والكلام على المنسوجات الكيميائية .
- (رابعا) أعجوبة مدهشة في البناء .
- (خامسا) ما استخراج من الألماس .
- (سادسا) من أحدث الاختراعات وعجائب العلم الجليد السخن وصنع الورق من حطب الترة .
- (سابعا) الغاز الطبيعي .
- (ثامنا) ساعة تبين الزمن وأوضاع القمر والشمس . وساعة تشتغل بنفسها أمدا طويلا .
- (تاسعا) عجائب العلم الحديث التسع .
- (عاشرا) أغرب غرائب أمريكا .
- (حادى عشر) الأبطال ذوو العقول الجيازة .

أولا : (ثروة القطب الشمالي)

جاء في جريدة كوكب الشرق بتاريخ ١٤ يناير سنة ١٩٢٩ م مانسه :

يقول المكتشف ستفانسون (إن في القطب الشمالي مناجم من الفحم والبتروال والحديد والنحاس ، وإذا كانت هذه الناجم لم تسكتشف وتستغل للآن فان علاماتها كلها واضحة ، أما النباتات فكثيرة وخصوصا تلك الغابات المؤلفة من الأشجار المخروطة . وفي القطب الشمالي من النباتات الزهرة ٧٦٢ نباتا وأقدر أنواع الحيوان التي تستطيع للعيشة في برودة القطب هو الرنة الغزال المعروف ، وتقدر مصلحة الزراعة في الولايات المتحدة أن في الاسكا وحدها من الأعشاب مايكفي أربعة ملايين رنة . ويعيش في القطب غزال المسك ويمكن تدجينه بسهولة ، وستجعل الطيارات للقطب الشمالي مركزا عظيما تحط فيه وتقلع منه في أسفارها بين أوروبا وأميركا وآسيا) انتهى . وسترى في الرسم التالي ما يحقق ذلك (انظر شكل ١) في الصفحة التالية .



القطب الشمالي مانتي الخطوط الهوائية

(شكل ١ - رسم محطة الطيارات والبلونات في القطب الشمالي كما تخيلها أحد المهندسين)

ثانيا : (الأرض في دائرة القطب الجنوبي)

جاء في جريدة المقطم بتاريخ ٢٤ فبراير سنة ١٩٢٩ م .
 مات أشهر رواد القطب الجنوبي فقضى أمدنسن النرويجي وسكوت الإنجليزى وغيرهما من أولئك الأبطال
 الذين ازدروا المخاطر وتشمعوا أعظم للشاق الحجاب الذى كان يحجب دائرة القطب الجنوبي عن عيون
 البشر فكان لهم ما أرادوا . ولو عاشوا إلى اليوم لأبصروا دول العالم تتسابق لامتلاك تلك القارة التى كانوا
 يعتقدون بوجودها ولو أنها لم تكن الغرض الأكبر والأول من رحلاتهم فقد وصفت التلغرافات الخصوصية
 والتلغرافات العمومية أمس ماهو واقع من المنافسة بين الأمريكين والبريطانيين والاستراليين على رفع الرايات
 على بلدان هذه القارة القطبية التى تقول بعثة يرد الأمريكية إنها اكتشفت منها بالطيارات مامساحته أربعون
 ألف ميل مربع وقد سبق أن عيقت حكومة استراليا بعثات برياسة المستر موسون . هذا الذى ورد ذكره
 فى التلغرافات أمس للإيغال فى دائرة القطب الجنوبي ودرس طبيعة أرضها ومخارها وجوها لما لذلك كله من
 العلاقة الجوية بالبلدان التى تتلوها شمالا ولما يرجى أن يجنى منها من القوائد المادية كصيد الحيتان واستخراج
 بعض المواد . فهل تصير تلك الجهات مسكنا للبشر مق غصت الأرض بسكانها ولم يعد فى القرآت المجهولة مجال
 لحاق جديد . هذا ما يحتمل أن يكون إلا إذا مكن العلم البشر قبل ذلك من التباس مقام لهم فى العوالم
 الأخرى المجاورة لعالمهم كالبريخ من السيارات اه .

ثالثا : كيف نأكل نور الشمس وتداوى به ؟

والكلام على المنسوجات الكيميائية

ظهر في حوانيت البدالين الأمريكيين منذ بضعة أسابيع غذاء جديد للفظور من القطاني (١) (مشبع بضوء الشمس الصناعي الذي ينبعث من مصابيح كهربائية قوية) فكان هذا الغذاء أول مادة صحية مشبعة تشميسا صناعيا عرضت في الأسواق . وسوف تعقبها أنواع شتى على مر الزمن . ويعتبر الغذاء المنقسم ذكره باكورة ثمار الاستنباط العلمي الذي استنبطه الأستاذ هارى ستينبوك من أسانذة مدرسة ويسكونزىن الجامعة بأمریکا (متوخيا به وقاية الإنسان من فتك الأمراض . وقد كان في وسع المخترع استثنائه بطريقته العلمية هذه فتدر عليه الملايين من الجنهات بيد أنه استصوب ألا يرضن بها على الخلق ، فنزل عنها مدفوعا بعوامل الشفقة على الإنسانية اللعذبة بالأوصاب . وماعم ذلك العالم أن أطاق اللثام عن استنباطه هذا المدهش . وغواه أن الغذاء المشبع بضياء الشمس خير واق من الكساح «داء العظام الرهيب» وإنه يرجو نجهه أيضا في منع «التدرن وفقر الدم» حتى خشى عاقبة وقوف التجار ولاسبا من لإخلاق لهم على كنهه اختراعه فيتخذونه ذريعة لا يبراز المال من خلق الله) فهرع إلى معمله الخاص بالتحليل الكيماوى لحظم ما كان يحويه من المصابيح الشمسية القوية وأعاد الفران البيضاء التي أتاحت له اختراعه الجليل إلى أفضاصها . ثم عمد إلى ديوان تسجيل المخترعات طالبا إعطائه رخصة باختراعه ليحتكره . ولما أن ظفر بأربه ذلك ، نزل عن اختراعه العظيم المشار إليه ورخصته أيضا وكل مايتعلق به لجامعة ويسكونزىن . وعلم كبار صناع الأغذية بالاختراع المتقدم ذكره فقصدوا إلى العلامة ستينبوك مستوضحين . فلم يسهه الإيعاز إليهم بالتوجه إلى أمناء الجامعة السابقة الذكر ليتلقوا منهم الإجابة عما يبغون . وهناك علم وفد التجار بأنه لا يحظر عليهم الانتفاع باختراع التشميس الصناعي السالف الذكر . بشرط ألا يزيدوا أثمان المأكولات عما هي عليه من أجله (قبلت هذه الشروط طائفة من الشركات المشهورة ومنها شركة كبيرة تدفع الآن سنويا عشرة آلاف جنيه لأمين صندوق الجامعة في مقابلة الإباحة لها بالتجارة بالمواد الغذائية المشبعة بالطرق الصناعية . وكل ما استغلته الجامعة حتى الآن من الإختراع الذى نحن بصدهه «القطاني المشبعة» التي يعرضها التجار المشار إليهم للبيع وسيعقبها باقي الغلات في القريب العاجل . هذا ، ولا بد من إدراك العلماء ذات يوم كنهه تأثير ضياء الشمس ولاسبا الأشعة التي فوق البنفسجى التي يولدها الدكتور ستينبوك وغيره من العلماء بالطرق الصناعية أى بالمصابيح الشمسية ، في حياة الجنس البشرى .

وكان أهالى بلاد يرو القدماء وطوائف الزورواستربن القديمة وخلفاؤهم عبدة النار في الهند وغيرها من القبائل القديمة والشيع الدينية تعتقد اعتقادا راسخا (بأن الشمس مصدر الحياة) فأيدت المباحث الحديثة تلك الاعتقادات الدينية العتيقة . وطالما أطلقنا اسم (الفصح الصحى) على تلويح البشرة من التعرض للشمس وماعلنا إلا من عهد حديث أن ذلك نتيجة تأثير الأشعة الخلفية التي فوق البنفسجى . في الجلد ثم تحققتنا

(١) القطاني (بفتح القاف وتشديد الياء) الحبوب التي تطبخ ، وذلك مثل العدس والبقول واللوبيا والحمص والأرز والسمن .

كون هذه الأشعة تمد الجسم بخاصيات منعشة (أطلق عليها اسم (فيتامين)) وإنما إذا لم ندخل هذا الفيتامين في أجسامنا مع طعامنا ونحصل عليه في أبداننا من طريق الجلد ما استطعنا التمتع بسلامة الصحة ولاهناة للعيشة زمانا طويلا . والنساء أسبق من الرجال إلى تطبيق هذا الرأي العلمى على حياتهن (كما أثبت ذلك الدكتور (افرام ملفورد) رئيس الجامعة الطبية في نيوجرسى أمام مجمع الأطباء من عهد حديث . ولا يخفى أنهن أطول أعمارا من الرجال وأشد مقاومة للأمراض وألين عطفة تجاه الاجتهاد . ويعزو الدكتور ملفورد السبب إلى الأزياء الحديثة (المودة) التى تحم على النساء لبس ملابس أقصر من اللازم وأقل من الواجب (وهن بذلك يعرضن أنفسهن للأشعة التى فوق البنفسجى بينما الرجال مازالوا مصرين على تغطية أبدانهم من قمة الرأس إلى أخمص القدم بالثياب الصفيفة القائمة (يقول المؤلف هذا رأى ولدين موقف آخر)

إذن نخلص مما تقدم (أنه كلما اشتد بياض اللباس وقضاعفت مسام نسيجه ، سهل اختراق الأشعة التى فوق البنفسجى إياه كما أثبتت ذلك مباحث مصلحة القاييس فى الولايات المتحدة بأمريكا . أما للنسوجات المصبوغة والتى اصفرلونها قليلا لقدمها فإنها تكاد تمنع اختراق الأشعة للجلد متعا باننا . ومما جاء فى هذا الموضوع فى تقرير قدمه الدكتور (سيل هاريس) من أطباء مدينة برمنجهام فى ولاية مدينة ألاباما بأمريكا إلى المجمع الطبى الأمريكى قوله : إننا نحفر قبورنا بأسناننا بنيدنا الأطعمة المحتوية على الفيتامين ، ويقابلنا على الأغذية المسكونة من السكر والنشاء . إذ كل ما يعترى الإنسان من ضعف مقاومة الأمراض المعدية التى تصيب الأنف والزور والمعدة والأمعاء إنما ينجم عن التغذى بمخز مصنوع من الدقيق الناصع البياض ، والبطاطس البيضاء والأرز المبيض واللحوم المهزلة والقهوة للشبعة بالسكر والنقل المحلى بالسكر ، والشروبات الحلوة ، والربات ونحوها . وقد عزا زيادة أمراض المعدة إلى كثرة استهلاك السكر والأطعمة الحلوة فقال : كان الفرد فى الولايات المتحدة مثلا منذ خمسين سنة يستهلك فى السنة ٣٦ رطلا من السكر فأصبح معدل مقطوعته الآن مائة رطل وستة أرطال فى السنة . وما الإصابة بالنوازل والتهاب الرئة والتدرن والتهاب الزائدة الدودية وقرح المعدة وداء الصفراء إلا نتيجة انعدام الفيتامين فى غذاء الأشخاص لللازمين للحياة الجلوسية فى أمريكا وغيرها ، فإذا استطاع المرء أكل طعامه نيثا هان عليه الحصول على ما يعوزه من الفيتامين (لأن الآلة البشرية يتسنى لها أداء وظائفها على خير مايرام إذا اقتصر الشخص على أكل ما يصيده أو يحصل عليه بمرق الجبين) لأن ذلك يقتضى إجهاد العضلات وتعرضها لضياء الشمس كى تحصل على الغذاء للشبع بالفيتامين لتعرضه هو أيضا لضوء الشمس . وإذا كان أسلوب الحياة هذا لا يتفق ومدنيتنا الصناعية الحاضرة ، لجدير بنا الإكثار من أكل المواد الدهنية والجوز والأثمار والخضراوات ولبس أخف مانطقه من الثياب والثنى فى ضياء الشمس بقدر ماتسمح به حالنا ثم الوثوق بحسن المسير .

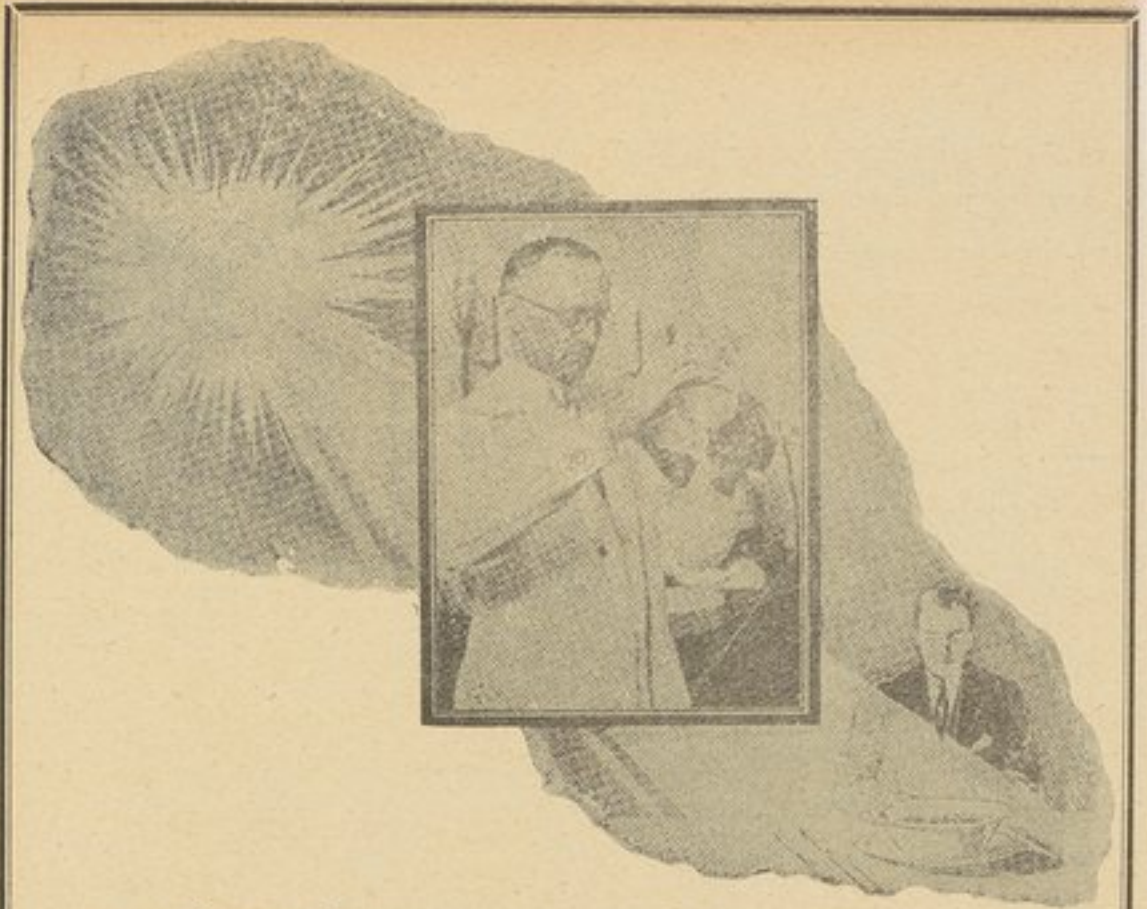
وبينا كان الأستاذ « ستينوك » يغذى القران البيضاء بالحبوب فى معمله الكيماوى الظلم كان زملاؤه من العلماء فى أمريكا وأوروبا يجربون حصر ضوء الشمس فى قناني لاتنفاع للأبء ، فقد جاءت الأنباء من معامل التحليل الكيماوى فى إنجلترا وألمانيا بأنه قد استنبطت مادة إذا عرضت لضوء الشمس أولضوء الذى فوق البنفسجى أصبحت دواء ناجعا يفوق زيت كبد الحوت « الباكلاه » المعروف باسم زيت السمك (ألوفا من المرات) ويقال إن كل ست أواق منها تعادل طنا من زيت السمك من جهة الفائدة العلاجية . وقد سنها العلماء « أرجوستيرول » وهى تتركب من الحميرة وتشبع بضوء الشمس . وتوجد منها مقادير ضئيلة فى بدن كل جسم صحيح . فإذا انعدمت من أى جسم أمسكن تجديدها بمقنة دقيقة من الأرجو ستيرول لا يمكن قياسها لصغرها » . وبلغ من شدة مفعول هاتيك المادة أن الحقنة الواحدة منها إذا زادت على المتوسط يضع

حيات أعقبت الموت الزؤام أشد من الزرنبيخ . أما طريقة الاهتداء إلى المادة السحرية المتقدم وصفها ، فأمر طريف بدأ بتجارب باشرها العلماء قصد تحسين طعم زيت السمك لكيلا يعيقه (١) من بوصف له ليستطب به . وقد أسفرت التجارب الأولى التي تجرى بها العلماء تحسين طعم ذلك الزيت بتقنيته مما يشوبه من الشوائب من ضياع فائدته الطبية . فكانت هذه النتيجة أول دليل على أن رواسب زيت السمك هي العنصر الشافي الفعال فيه . وقد واصل الأستاذ « جورج بارجر » للدرس بجامعة (إدنبره) البحث في هذا الموضوع فاستدل على أن الفائدة الطبية الزيت السمك كلها محصورة في مادة الأرجوستيرول . وهذه توجد ككثفل في المواد الدهنية .

ثم حينما حذوه الدكتور « أدولف وندوس » الحبير الألماني بجامعة جوتينجن فأثبت أنه بتعرض مادة الأرجوستيرول لضياء الشمس أوللنورالذي ينبعث من مصابيح الأشعة التي فوق البنفسجي ، يمكن استغلال مادة ذات قوة شافية مثل قوة زيت كبد السمك (القد) سهلة الهضم جدا حتى على أضعف معدة . وقد نال الدكتور أدولف من أجل هذا الاستنباط جائزة نوبل في الكيمياء لسنة ١٩٢٨ وقيمتها أكثر من ٨٠٠٠ جنيه .

ويستفاد مما تقدم أن فائدة زيت السمك في العلاج متوقفة على رواسبه للشار إليها ومصدر قوتها (الرواسب) ضوء الشمس الذي يرشح من الماء إلى السمك العائم في البحار ، فإذا مامس ضوء الشمس مادة الأرجوستيرول حولها إلى فيتامين من الطبقة الرابعة وهو الفيتامين الدالي (نسبة إلى حرف الدال في الأبجدية) ونعني بها عنصرا من العناصر الحفوية الضرورية في الغذاء التي يعتقد العلماء الآن أن فوائدها الصحية إنما هي امتصاصها ضوء الشمس وادخارها إياه ، والفيتامين الدالي هذا هو النوع الشافي للكساح ويتولد الجسم البشري بطريقة عجيبة لم يوفق العلماء للوقوف على حقيقتها إلا من زمن قريب . وتبين ذلك: أن مادة الأرجوستيرول المدخرة في الجسم البشري تنطرق منه إلى البشرة حيث تقشع ضوء الشمس ويمتصها الجسم ثانية مشفوعة بالفيتامين للنعش . وبما أنها تساعد في هذه العملية . يشير الأطباء بالاحتراس عند التشمس بضوء الشمس الصناعي التولد من الصابيح . هذا ماجاء في مجلة مصر الحديثة والله أعلم . (انظر شكل ٢) و (شكل ٣) في الصحيفة التالية .

(١) عقي الأمر : كرهه .



(شكل ٢) الأستاذ هارى ستينبوك من أساتذة جامعة ويسكونزين الذى كشف حقيقة كون الغذاء الشمس بضيء الشمس يساعد على منع الأذواء ، والذى أسدى إلى الجنس البشرى حبواً غذائيه صحيحه)



(شكل ٣ - صبي
كسبح في حمام الشمس
بمستشفى من مستشفيات
مدينة شيكاغو بالولايات
المتحدة بأمرىكا حيث
يعالج من داء تدرن
العظام بنور صناعى
كضوء الشمس ينبعث
من مصابيح الأشعة
التي فوق البنفسجى)

(الكلام على المنسوجات الكيماوية)

من الغايات التي يسعى إليها العلم اليوم أن يستعاض عن المزروعات بالمواد الكيماوية : والعلماء مجدون في استنباط وسيلة يغذى بها الجسم دون أن يحتاج إلى الطعام كما نعرفه اليوم إذ يريدون أن يحقنوا المرء إذا جاع بحقن تحتوي على خلاصة تغني عن الأكل ، ولحم من ذلك (غرضان : أما الأول) فأن يواجهوا بالعلم زيادة السكان المطردة مع عدم كفاية الأراضي المزروعة ، وأما الثاني فالسعي إلى زيادة التوقى من الأمراض وجعل الهيئة الاجتماعية صحيحة الجسم لأن الحقن الغذائية الكيماوية تكون معقمة خالية من الجراثيم على حين أن الطعام الذي يقدم لنا اليوم مجرد عن هذه الحيلة الصحية ، والآن وقد حل عام جديد يمكن أن تتنبأ ونحن على ثقة من تحقيق هذه النبوءة أن هذا العام لا ينصرم إلا وقد توصل الكيماوي إلى عرض الثياب على اختلاف أنواعها مصنوعة من مواد كيماوية فلا يعود تفتش الموت بين دود القز أو إصابة نبات القطن بالآفات سببا يدعو إلى ارتفاع أثمان الثياب . فإذا كانت هذه الآفات اليوم تروعنا وتثير مخاوفنا فإن هذا لن يدوم طويلا وسوف لا تعود هذه الأبناء تلقى منا أي اهتمام ، مات دود القز ، فليكن ، مات نبات القطن فليكن ولكن الكيماوي مازال على قيد الحياة أيها السادة ، فهو يستطيع أن يخرج لنا منسوجات خير من نسيج القطن أو الحرير ، ومثل هذه الثياب الكيماوية تكون أفضل من الثياب الطبيعية لأنها أرخص ممنا إذ لا تتأثر المواد الكيماوية بالآفات أو الكوارث كما هو شأن المزروعات . كذلك يصبح من السهل صبغها بأي لون مطلوب بحيث يلائم بشرة لابس الثوب . ومعنى ذلك أن إنافة النساء سوف تزداد إلى درجة ملموسة .

رابعا : (أعجوبة مدهشة في فن البناء)

(كنيسة تنقل بذاتها من مكان إلى آخر)

جاء في (مجلة الجديد) مانصه : (كثيرا ما يقال إن أمريكا بلاد العجائب وأنها في هذه الحادثة بالذات تعمل أعجب ما عرفناه عنها ، فقد نقلت الأخبار الأخيرة أن بعض كبار المهندسين في الولايات المتحدة نجحوا نجاحا مدهشا في نقل كنيسة السيدة العذراء بشيكاغو من مكانها إلى مكان آخر وهي التي ترى في هذه الصورة (شكل ٤) في الصحيفة التالية فقد نقلت بذاتها من أحد جانبي الطريق إلى الجانب الآخر ، وهذه هي أول مرة يستطيع الأمريكيان فيها أن ينقلوا بناء كبيرا بهذه الضخامة لأن ما حصل قبل ذلك لم يكن إلا في أبنية صغيرة ، وقد استخدم في نقلها أربع ونشآت كبيرة وماتنارجل وخمسمائة ألف قدم من أسلاك الصلب السميك وثلاثة آلاف عجلة وأربعة آلاف آلة رافعة وخمسمائة ألف قدم من الخشب ، وبديهي أن هذه الأعجوبة الهندسية العظيمة قوبلت بمزيد الدهش في جميع أنحاء العالم) انظر صورتها شكل (٤) .



(شكل ٤ - رسم كنيسة تنقل بذاتها من مكانها إلى مكان آخر)

خامسا : (الكلام على استخراج الألماس)

جاء في مجلة (اللطائف الصورة) مانصه :

اشتهرت مدينة (امستردام) في هولندا بتخصص أهلها في فن تنظيف الألماس وتنقيته فان معظم ما يستخرج من هذا المعدن الثمين في ولايات أفريقيا الجنوبية يرسل بالحالة التي استخرج فيها إلى مدينة امستردام هذه حيث يقوم الإخصائيون هناك بعملية تنظيفه وتنقيته واختيار الصالح منه ووزنه ثم يعيدونه إلى أصحابه نظيفا نقيا ، وفي امستردام معامل عديدة يشتغل فيها ألوف من الكيماويين والصياغ وتعد منبع ثروة البلاد . والألماس عند وصوله إلى العامل ينظف من التراب والمعادن الأخرى التي تسكون قد لصقت به وذلك بواسطة آلات أعدت لهذا الغرض . ثم يشتغل أناس من الإخصائيين بفرز ما تنظفه الآلات فتوضع القطع النقية إلى جهة والتي فيها عطب أو تشوب نقاوتها شائبة إلى جهة أخرى وبعد ذلك يعمد فوج آخر من الإخصائيين إلى وزن هذه القطع جميعها بدقة فائقة نظرا إلى قيمة الألماس وعلو ثمنه . والأشكال الثلاثة الآتية (شكل ٥) و (شكل ٦) و (شكل ٧) تمثل الأدوار الثلاثة المهمة التي يمر بها الألماس قبل وصوله إلى التجار والمشتريين وهذه صورتهن في الصفحات التالية .



تنظيف الألباس

(شكل ٥ - منظر عام للآلات التي يجلس إليها العمال المنوط بهم تنظيف الألباس من الأتربة
والعادن الغريبة . والآلات لاتقوم بالعمل كله بل إن العامل يستعمل يديه وحدة نظره .
ويرى في الصورة أحد المفتشين الذين يسهرون على العمل وراقبون العمال)



(شكل ٦ - عملية قطع الألماس واختيار الصالح منها من الطالغ . ويقوم بهذه العملية رجل لا يستخدم إيديه ومقطعا صغيرا يتناول به القطع الواحدة بعد الأخرى)
(فرز الألماس)



(شكل ٧ - منظر الاختصاصي الذي عهد إليه بوزن قطع الألماس بعد تنظيفها وفرزها . وعمله هذا أدق من الأعمال الأخرى إذ على نتيجته يتوقف تحديد ثمن الألماس وعرضه للبيع)

سادساً : (من أحدث الاختراعات والفوائد العلمية)

(وعجائب العلم : الجليد السخن وصنع الورق من ورق النذرة)

استنبط الأستاذ (برسى) و (بردجمان) أحد معلمى مدرسة هارفرد الجامعة بأمريكا جهازا يستطيع به إحداث ضغط صناعى يقدر بـ ٦٠٠٠٠٠٠ رطل على ما مساحته بوصة مربعة واحدة ، وتسهيلا لإدراك كنه هذا الضغط الذى يعتبر أشد ضغط أدركه المخترعون حتى الآن نقول إنه يعادل فى الوقت نفسه ضغط الماء فى قعر المحيط على عمق ٢٥٠ ميلا ، ثم إن ضغط صرح من الصروح الفولاذية فى (نيويورك) التى أطلق عليها اسم (ناطحات السحاب) لعظم ارتفاعها وثقلها لا يعادل بعض ثقل الضغط الذى يتولد من الجهاز المشار إليه وبه يتحول الفولاذ إلى مادة لينة يمكن تمديدها ويتحول شمع البرافين إلى مادة أصلب من فولاذ الآلات ويصبح الصمغ المرن قاسيا جدا بحيث تصنع منه مقاطع للفولاذ ، وبهذا الجهاز يجمد الزئبق تحت ضغط مقداره ٢٠٠٠٠٠ رطل مع أنه يتجمد عادة عند درجة ٤ تحت الصفر أو أسفل منها ومع كل هذا يقول العارفون إن الجهاز فى حد ذاته غير معقد التركيب إذا قيس بغيره من الأجهزة العلمية فهو بمثابة طلبية هواء عادية تولد الضغط المطلوب . ولذلك يؤتى بالمواد المراد ضغطها وتوضع فى تجويف صغير يحوى فى قطعة صلبة من الفولاذ نحوها خمس بوصات ثم يغطى التجويف بسداد صغير من الفولاذ أيضا يتمدد بتأثير الضغط فى محتويات التجويف والهواء من الإفلات . وقد حدث فى أثناء التجربة أن انفجر التجويف فانقرزت شظاياها فى لوح خشب صنوبرى صلب عمق ست بوصات فى ظهر الجهاز وفى تجربة أخرى استخرج البيض من ماء جليد سخن بتعريضه لضغط مائة ألف رطل فظهر أنه مسلوق سلقا جامدا .

﴿ حطب النذرة وصنع ورق الصحف ﴾

من أحدث الوسائل التى استنبطها العلماء الانتفاع بالمواد الزراعية المهملة والفضلات الحقلية العاطلة تحويل حطب النذرة بالطرق الكيماوية إلى عجينة لصنع الورق اللازم لطبع الكتب والمجلات والجرائد . وقد جرب ذلك أول مرة رؤساء تحرير الصحف فى مدينة دنفيل بولاية إيلينو إحدى الولايات المتحدة بأمريكا كي يستوفوا من صلاحيته للطباعة . فاستبانوا أن هذا الورق سيفاخر الأصناف التى تصنع من عجينة الحشب ، ويمارس الباحثون الآن تجارب أخرى ييغون بها الوقوف على مبلغ ما تتكلفه عمليات إنتاج المقادير الكبيرة منه وهل ستفضى إلى قصد بعض نفقات الطبع أولا .

هذا ، وقد اتضح أن ورق الطباعة المصنوع من عجينة حطب النذرة أشبه بورق عجينة الحشب بل إن ذلك أمتن قواما من هذا وأنصح لونا وأسهل تشربا للمداد . وكان أول كتاب تم طبعه من هذا النوع الجديد مؤلفا موضوعه مطابق للبحث نفسه وهو المجلد الأول فى النافع الصناعية للحاصلات الزراعية المهملة لمؤلفه الأستاذ (جورج م . روميل) الذى اتدبته حديثا وزارة الزراعة فى الولايات المتحدة لبحث مسألة الانتفاع بالمواد الزراعية التى لا يعابها الزراع أولا يجنون منها أرباحا تذكر اه .

سابعاً : (الغاز الطبيعي)

الفحم الذي نشعله في بيوتنا ونطبخ عليه طعامنا يصنعه الإنسان بحرق الأخشاب مطمورة بالتراب فتحترق احتراقاً بطيئاً يزيل منها الأبخرة والغازات ويبقى فيها المادة الخشبية على ما هو معهود ولكن الفحم الحجري الذي نوقده في المعامل والبواخر صنعه الطبيعة في العصور الجيولوجية وخرزته في جوف الأرض فوجدناه غنيمة باردة وكان يمكن أن يكون من المنافع العمومية التي لا تمنع لها كالهواء ونور الشمس لولا ما ينفق على استخراجها ونقله من مكان إلى آخر .

والغاز الذي تنار به هذه المدينة (مصر) وغيرها من المدن الكبيرة يستخرج من الفحم الحجري باستقطاره منه استقطاراً . ثم ينقى مما يخالطه من الشوائب ويوزع على الشوارع والبيوت بالأنايب المعدنية كما توزع المياه ، واستقطاره وتنقيته وتوزيعه يقتضى نفقة كبيرة فتضاف إلى ثمن الفحم الحجري وربما رأس المال وتعرض على المستصحبين به ؛ ولكن الفحم الذي يستقطر الغاز منه لا يضيع سدى بل يبقى نافعا للوقود وهو المعروف بالكوك . والشوائب التي تستخرج عند تنقية الغاز يستخرج منها أكثر أنواع الصباغ المعروفة الآن من ذلك ثلاثون لونا من الألوان الحمراء وستة عشر من الألوان الزرقاء وستة عشر من الصفراء واثنا عشر من البرتقالية وتسعة من البنفسجية وسبعة من الخضراء عدا ألوانا أخرى من السمراء والسوداء . وقد يزيد ثمن الشوائب على نفقات استخراج الغاز وتنقيته فيستخرج لأجل استخراجها منه فقط ولو لم ينفق به للانارة . وفي جوف الأرض غاز طبيعي كما فيها لحم طبيعي ، وهذا الغاز الطبيعي كان معروفاً في بلاد الصين منذ سنين كثيرة . وكان الصينيون يتقبون الأرض تقوبا ضيقة ويستخرجون الغاز منها ويوقدونه لتبخير المياه المالحة واستخراج الملح منها . وعندهم آبار له عمقها ألف متر . وقد عرف في أمريكا منذ أكثر من مئة عام ولكنها لم يسع أهلها في استخراجها واستخدامها للوقود والاستصباح إلا منذ خمسين سنة في أواخر القرن الماضي في ربيع سنة ١٨٨٤ ألف بعضهم شركة تجارية في مدينة فندلي بولاية أوهايو من ولايات أمريكا لتتقب الأرض وتستخرج الغاز الطبيعي منها وكان عدد أهالي تلك المدينة حينئذ (٤٥٠٠) نفس ، ولم تشرع الشركة في عملها حتى شهر أكتوبر من تلك السنة فتقبت بئرا عمقها (١٠٩٣) قدما ووضعت فيها أنبوبا وأشعلت الغاز المنبعث من الأنبوب فامتد لهبه في الهواء ثلاثين قدما ، وكان هذا اللهب يرى على مسافة ثلاثين ميلا من كل ناحية ، وقدروا الغاز المنبعث من هذه البئر يومياً بمائتين وخمسين ألف قدم مكعبة فتقاطر الناس لرؤيتها من كل فج . وسنة ١٨٨٥ تقبت بئرا عمقها ١١٤٤ قدما فانبعث الغاز منها انبعاثاً لم يعهد له مثيل فيسمع صوت خروجه منها على ثلاثة أميال ويرى لهبه على مسافة أربعين ميلا من كل ناحية ، ويقدرون مقدار الغاز المنبعث يومياً من هذه البئر بأكثر من مليوناً من الأقدام المكعبة . ومن ثم أخذ سكان المدينة يزدادون بكثرة النازحين إليها فبلغوا ستة آلاف نفس في غرة سنة ١٨٨٦ وعشرة آلاف نفس في ربيع سنة ١٨٨٧ ونحو ١٨ ألف في أواخر تلك السنة واتسعت مساحة المدينة وغلا ثمن أراضيها وأنشئت فيها معامل للزجاج والحديد والآجر والسكاس ونحو ذلك مما يقتضى وقوداً كثيراً لأن أصحاب الغاز الطبيعي أجروه في أنابيب إلى المعامل وأوقدوه فيها بدل الفحم وأجروه أيضاً إلى بيوت السكان فاستعملوه للطبخ والاستدفاء واقتدت مدن كثيرة بمدينة فندلي في كل ولاية أوهايو وانديانا ويقدرون الآن أنه ينبعث من مدينة فندلي كل يوم ستون مليوناً من الأقدام المكعبة من الغاز ومن غيرها من المدن المجاورة أربعون مليوناً . وأكثر

هذا الغاز يستخدم في الأعمال النافعة بدل الوقود على ما تقدم . وكانوا في أول الأمر يحرقونه عند أفواه الآبار فيذهب ضياعا . أما الآن فقد اقتصدوا فيه مخافة أن ينفد . وحالما شاع أمر الغاز الطبيعي أخذ الناس يفلسفون في أصله وما يتول إليه استخراج من الأرض فقال بعضهم : (إن الأرض مجوفة وجوفها مملوء بهذا الغاز وهو علة تعلقها في الجو ، فاستخراجه منها شديد الخطر لأنها إذا فرغت منه تصدعت وتحطمت ووقعت من مكانها في السماء) . وهو من أسخف الأقوال التي طرقت للسامع وقال غيره : (إن الغاز ليس مائلا جوف الأرض كلها بل بعض الأجزاء وإنه يغشى أن تمتد النار الخارجية إلى مصدره الذي تحت ولاية أوهايو وانديانا فيشتعل دفعة واحدة وينسف الأرض نسفا فتصير كل تلك البلاد واديا عميقا فتجرى إليه مياه [بحيرة اري] فيصير بحيرة كبيرة . وطلب من الحكومة الأمريكية أن تنظر في هذا الأمر وتمنع استخراج الغاز من الأرض) وهو أيضا من السخافة بمكان .

وقال آخر : إنه تفحص أحوال الغاز الطبيعي بالتليفون والترموتر فوجد أن درجة حرارة الأرض ٣٥٠ على عمق ميل تحت مدينة فندي وأن تحت المدينة مباشرة تجويفا كبيرا مملوءا بالغاز الطبيعي وتحت الغاز طبقة من الصخور صمكها نحو ميل وتحت هذه نار متقدة تذيب الصخور بشدة حرارتها ولا بد من أن تذوب تلك الطبقة الصخرية فتصل النار إلى الغاز فيلتهب دفعة واحدة فينسف الأرض التي فوقه بما عليها . وكل هذه الآراء من الحرافات التي لا يؤيدها العلم لأن الغاز لا يشتعل ما لم يتحد جانب منه بجانب من أكسوجين الهواء فان لم يمتزج بالهواء فلا خوف من اشتعاله اه .

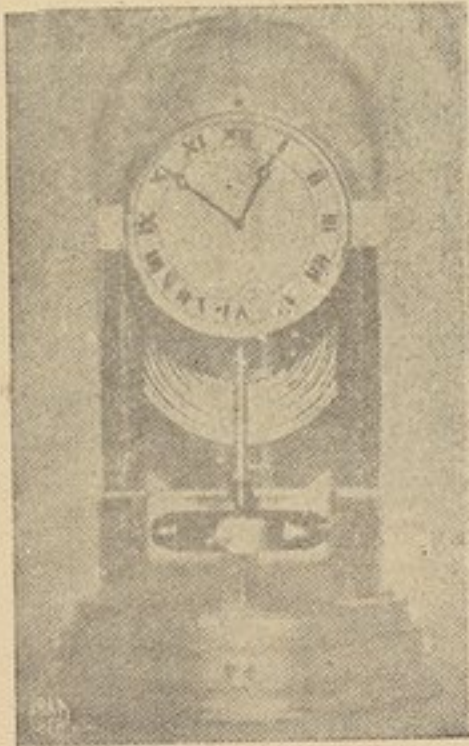
ثامنا : (ساعة تبين الزمن وأوضاع القمر والشمس)

وساعة تشتغل من نفسها أمدا طويلا

جاء في إحدى المجلات العلمية ما نصه :

اخترع (الستر جورج فوتشر) من (لوس انجليس) بالولايات المتحدة ساعة تبين الزمن وأوضاع القمر والشمس والأرض في أي وقت في مدة ست سنوات ، وهي تسير حسب النتيجة العبرية القديمة أي باعتبار السنة القمرية وإضافة ما تنقصه عن السنة الشمسية وهو سبعة أيام وكسر في نهاية كل أربع سنوات لتسكون سنة كبيسة ذات ثلاثة عشر شهرا اه .

« واخترع أحد المهندسين في (بيرن) بسويسرا ساعة عجيبة تشتغل بنفسها أي بدون أن يملا زئبقها كالساعات العادية وتمكث كذلك ١٠٠٠٠ سنة وهي مبنية على استنثار تغيرات درجة الحرارة والضغط الجوي» (انظر شكل ٨) .



(شكل ٨ - رسم ساعة تشتغل من نفسها ١٠٠٠٠ سنة)

ويلحق بهذا عجيتان : العجيبة الأولى ، (اكتشاف الطائرات في الجو)

تمكن الستر (يرد) المشتغل في أبحاث الرؤية من بعد من إيجاد أشعة يمكنها أن تعين مكان أى طائرة على أية مسافة ، وسيعرض هذا الاختراع قريبا فيحضر جهازه ويضعه فوق عمارة ويرسل منه أشعة مرئية ويصوبها نحو الطائرات المحلقة فوقه فإنها مهما بعدت فالأشعة تكون متصلة بها ولو لم تكن مرئية للناس وتصورها على الشريط مع بيان مقدار بعدها . ثم بعد ذلك يخرج من نفس الجهاز أشعة غير مرئية ويقوم بما فعله في الأول فتتطبع على الشريط صور مماثلة للأولى بالضبط وعلى ذلك يمكن الجزم بأنه أصبح في الإمكان اكتشاف الطائرات مهما اختلفت وبعدت في الجو فلا يمكن استخدامها على غرة في غارة حربية كما كانت تفعل الطائرات الألمانية في الحرب الكبرى .

(العجيبة الثانية)

قد اخترعت فون تفرافات لتعليم اللغات بالألفاظ والصور فليس على من يريد تعلم أى لغة إلا شراء أحد هذه الفون تفرافات والأسطوانة الخاصة بهذه اللغة ، فإذا دارت الأسطوانة دار معها أيضا شريط مصور فسلك كلمة تنطق بها الأسطوانة بينها الدليل على الشريط ، وبذلك يستطيع أن يتعلم أى لغة بدون حاجة إلى مدرس ويمكنه أن يعيد الأسطوانة كما يشاء حسب استعداده . وهذه ميزة لا يمكن أن توجد في تدريس الأساتذة هـ .

(تاسعا - عجائب العالم الحديث)

أول ما يلفت النظر في عجائب العالم الحديث أنها من نوع آخر يختلف كل الاختلاف عن العجائب القديمة وإن تكن أعلى منها قدرا وأعظم نفعاً لجميع الجنس البشرى فهي انتصارات للعلوم لم توجد بالرق والاستعداد وسلمت الإنسان زمام القوى الطبيعية يسخرها لنفعه كيفما أراد . وقد يكون ذبوعها وانتشارها في جميع الأنحاء العملية في أصقاع الأرض وجعلها طوع كل يد مما سبب عدم حدوث الروعة والدهشة من أجلها في النفوس ولكن لا ريب في أنها غيرت حياة الإنسان على هذا الكوكب في وقتنا الحاضر تغييرا كليا لم تشهد الأمة الماضية حتى عهد قريب . وقد استشارت مجلة العلوم الأمريكية أكبر العلماء عن آرائهم في أعظم عجائب العالم الحديث وقد وصلت عدة مئات من الرسائل من مشاهير العلماء في كل أمة . فأسفر تلخيصها وحصر ما فيها عن نحو خمسين عجيبة تعد من أقصر انتصارات العلوم في جميع مناحى الحياة العملية والهئية الاجتماعية . وقد استوجب هذا أن يستشير رئيس تحرير مجلة العلوم الأمريكية الدكتور « ستراتون » رئيس معهد الفنون في « ماساشوسيت » بالولايات المتحدة كي يختار له من بينها سبع عجائب فقط مجازاة للصيغة اللفظية التي يعبر بها عن عجائب العالم القديم . فلما قابلته في مكتبه حيث يشرف على مئات من الشبان العاكفين على الأبحاث والتجارب العملية كي ينقلوا إلى يد الإنسان مدهشات القوى الطبيعية أحاطه بمهمته فلم يك من الدكتور « ستراتون » إلا أن قابله بالدهشة وأجابه متعجبا « سبع لا غير » كيف يكون ذلك ؟ أيحيل إليك أنه يمكن أن نجعل عجائب الوقت الحاضر سبعا فقط هذا مستحيل بل العقول أن تقول إنه يوجد في الوقت الحاضر ٧٧٧ عجيبة . وأخذ يسرد له قوائم مطولة على ترتيب حروف الأبجدية عن عجائب هذا العصر فذكر الآلات الزراعية والطائرات والسيارات والكبارى . الخ . ولما كانت أعمال الدكتور (ستراتون) لا تسمح له إلا بالقبال من الوقت . أمهله رئيس التحرير حتى يسكر في خلوته في انتقاء أعجب العجائب . وقصارى القول أنه عاد إليه في الموعد المحدد فوجد الإجابة مطبوعة بالآلة السكّانة على قرطاس من الورق كما يلي :

(١) استكشاف البكتريا واستئثارها فيما ينفع الناس .

- (٢) تقدم العلوم في معرفة تركيب المادة ومعرفة التشعع .
- (٣) تقدم علم الكهرباء واستثماره القوة الكهربائية في إيجاد الضوء والحركة .
- (٤) الاحتراق الداخلي في الآلات .
- (٥) طريقة البناء الحديث المعروف بالأسمنت للسلع .
- (٦) التعدين الحديث .
- (٧) طرق حفظ المواد الغذائية بدون تعفن أو فساد .
- (٨) الطائرات والرحلات الجوية .
- (٩) تقدم صناعة الآلات الميكانيكية

وإنه من المفيد أن نبين بكل إيجاز ما أجمله في هذه الفقرات التسع فإن الأعجوبة الأولى وهي استكشاف البكتريا لا يرب في أنها من أكبر انتصارات علم الكيمياء في العصر الحاضر فقد لبث الناس طوال الأجيال الحالية . لا يدركون شيئا عن فعل الكائنات القدرية التي منها ما يقدم للانسان أكبر الخدمات ومنها ما يلحق به أشد الأمراض ويهدد حياته بالأخطار المرعبة كما كان يحصل في الطوائع وغيرها من الأمراض الوييلة الفاتكة . حتى إذا جاء العالم العظيم « باستير » باستكشافه في هذه العوامل القدرية التي لا تحصى والتي بالرغم من تدخلها كل التدخل في حياتنا نفعاً وضراً فليست تراها العين المجردة ولكنها الآن أصبحت معروفة في كل مكان . فالمعروف من أنواع « البكتريا » للقيدة يزيد على ٢٠٠٠ نوع وتوجد في العالم مئات من العوامل الكبيرة لدراسة حياتها وميزاتها وقد درست كذلك أنواع كثيرة من الميكروبات أو الجراثيم التي تسبب الأمراض وعرفت طرق مقاومتها والقضاء عليها . ولذلك لم تصبح إنسانية كما كانت في القرن السابق عرضة لأن تحصد أبنائها الأوبئة والطوائع بل صار لكل مرض ينشأ عن هذه الجراثيم الدواء الفعال الذي يقفه عند حد إن لم يستأصله بالسكينة ، ونشأ من ذلك استعمال المظهرات في كل شيء وعلى الأخص المياه في المدن المزدهمة بالسكان ولذلك يلاحظ ازدياد السكان في كل الأقطار الآخذة بأصول الحضارة .

وقد ذكر الدكتور ستراتون في الأعجوبة الثانية : تقدم العلوم في معرفة تركيب المادة ومعرفة التشعع فإن دراسة التركيب الذري للمادة قد أدى إلى انتصارات كهوية وطبيعية ترتكز عليها كل الأعمال الصناعية وغيرها في الوقت الحاضر . وإن أكبر هذه الانتصارات من غير شك هو اكتشاف الراديو في سنة ١٨٩٨ بواسطة الطبيب الفرنسي (بيرو كوري) و(مدمام كوري) زوجته، وليس من أحد يجمل ما يقوم به الراديو الآن من المعجزات التي لم يكن يتصور العقل حدوثها . على أن الراديو لم يزل حديث العهد وينظر له من الانتصارات العظيمة في المستقبل ما لا يمكن أن يذكر في جانبها ما عرف الآن من مزاياه ومبلغ قوته .

وأما الأعجوبة الثالثة وهي تقدم علوم الكهرباء بحيث أصبحت من القوى النافعة الآن في المصانع والدور والبيئات الاجتماعية فظاهرة اسكل ذي عينين . فإنه يرى الكهرباء في الطرقات في شكل أضواء زاهية لامعة حسبها يراد من القوة ، وبراها في المصانع قوة محرقة لتقوم بما لا يمكن أن يقوم به الآلاف من الناس ، وبراها كذلك مستخدمة في وسائل المواصلات والنقل مثل التلفون والتليفون والسكك الحديدية والتلفون اللاسلكي والتليفون اللاسلكي والرؤية من بعد الخ . وأن كل واحد من هذه الاختراعات العظيمة يعد أعجوبة لا تقدر ، ولا ريب أن اختراع طريقة الاحتراق الداخلي في الآلات أحدث فوق أديم الأرض كثيراً من التغيير في أحوال المجتمع الإنساني حيث سهلت المواصلات بعد أن كانت في العصور الماضية عقدة العقدة . فهذه هي السيارات وإن تمكن حديثة العهد واسكنها أصبحت الآن في كل مكان ، ويعرف كل إنسان ما تقوم

من الخدمات النافعة، ويوجد منها في الولايات المتحدة وحدها ٢٣٠٠٠٠٠ سيارة أى بنسبة سيارة واحدة لكل ستة أشخاص، ويمكن أيضاً تقدير ما يستفيد الإنسان في هذه الأعجوبة إذا فكر في الآلات المختلفة التي تسير بالاحتراق الداخلي لرى الأراضى أو الإضاءة أو لإدارة المصانع المختلفة فهذا مشاهد في كل مكان . وأما الأعجوبة الخامسة فهي : الطرق للحديشة في البناء العروفة بالأسمنت المسلح حيث يستخدم فيها العدن والأسفلت في وقت واحد . وقد لا يعد البعض (الأسمنت المسلح) بين العجائب ولكنه إذا رأى كيف تبني ناطحات السحاب في أمريكا وغيرها من البلاد لا يسهه إلا أن يقر بفضل هذه الأعجوبة التي يمكن أن يتم بواسطتها من البناء في بضعة أشهر ما كان يستغرق فيه بناء الأهرام عدة سنوات وأن حدائق بابل المعلقة التي لا ترتفع أكثر من ٤٠٠ قدم لا يمكن أن تعد أعجوبة إذا قورنت بأى برج من الأبراج الحديثة البنية بالأسمنت والحديد ولا سيما إذا عرفنا أن القدماء كانوا يبنون بالطين وأكثر ما استعمله قدماء المصريين الجبس ، والرومان المواد البركانية مع الجير . وكان اختراع الأسمنت في سنة ١٨٢٥ ومن ذلك العهد تطور فن البناء وظهرت العمارت الضخمة ذات الشرات من الطبقات (٦) وقد كانت انتصارات التعدين من أول الأمور المحففة لكثير من مناحى التقدم العمراني والصناعي حيث يجد كل صاحب صنعة أو عمل نوع العدن الأكمل الذي يمكن أن يكون أعظم من سواه في العمل الذي يتعمده ، أو الآلة التي يصنعها (٧) وأن طرق حفظ الأغذية من التعفن والفساد لها قيمتها الكبرى لأن الأغذية من أول العوامل الحيوية اللازمة لوجود الإنسان . وقد كانت تحصل المجاعات في الأزمنة القديمة وبهلك بسببها ما لا يحصى من الأمم . بينما توجد بلاد تزيد حاصلاتها على ما تستهلكه فتطرح للتعفن والفساد بدون أن تستثمر في إنقاذ الهالكين في المجاعات . وصارت الحركة التجارية الآن في جميع أنحاء العالم تستثمر كل حاصلات كل قطر من الأقطار ولولا طرق حفظ الأغذية لما أمكن أن يتم ذلك (٨) وبديهى أن من يعد عجائب العالم لا بد أن يذكر الطائرات وتقدمها العظيم كما هو مشاهد للعيان ، فقد أصبحت تتم بها الرحلات بين جميع أقطار الكرة الأرضية وهي تستخدم الآن في نقل البريد والمسافرين ، ولها في إبان الحرب أروع الأعمال التي تكسب الجيوش الفوز والنصر . وذلك لأنها أول طرق المواصلات المحررة من القيود المسكانية فهي تسبح في الهواء أين تشاء (وأما الأعجوبة التاسعة) وهي تقدم الآلات فإنه يدخل تحتها ما لا يعد من الآلات التي تقوم بأعظم الخدمات للمجتمع الإنساني في أقل مدة من الزمن مع أنها كانت تتم في العهود الماضية بمواصلة الجهود الشاقة في مئات الأمثال لهذه اللة، ومنها الآلات الزراعية المستخدمة في الحرث والحصاد ودرس القمح ، ومنها آلات الحياطة والكتابة والحساب والطباعة ، ويكاد لا يقوم الإنسان الآن بأى عمل من الأعمال بدون أن يستثمر فيه الآلات، وقد تكون قوته باستخدام آلة واحدة تعادل قوة عشرات المئات من أمثاله ، فهل بعد كل ما استعرضناه من المدهشات يمكن أن يقال إن عجائب العالم الحديث لها عدد أو نهاية . انتهى .

أليس هذا وغيره سرا من أسرار الفتح الرباني الذي فتحه الله للناس من رحمته وكما فتح فتحا جديدا للإنسانية على يد كاشف كشفه قامت في وجهه العقبات من حسد الحاسدين ومكر الساكرين . ولكن الله يقول : كلا . لا ممسك لرحمتي . فليكشف المسلم غوامض مخلوقاتي وإذا قام في وجهه الحاسدون فليعلم أنه لا ممسك لرحمتي التي أظهرها لعبادي على يد واحد منهم ، فأنا أنصر كل مجد لنفع الناس طرأ ، فليعلم شبان المسلمين قراء هذا التفسير وليشمروا عن ساعد الجسد وليدلوا دلوم في الدلاء مع العاملين لنفع الإنسانية كلها وأنا أساعده وأنجحه . فإذا سبقت كفتنا لعبادنا المرسلين فهذه كفتنا لعبادنا الذين ألهمتهم أن يكشفوا عجائب رحمتي في العناصر والمادة .

ولا ريب أن من مقدمات النهضة الإسلامية في الأرض هذا التفسير والله هو الذي فتح هذه الرحمة للمسلمين فلا تمسك لها . ويلحق بهذا أربع فوائد :

أولها : (قياس سرعة البرق الصاعق)

توصل العلم إلى قياس سرعة البرق بعد جهاد كثير من العلماء ولاسيما الأستاذ (بوز) الطبيب الإنكليزي الشهير الذي مكث ستا وعشرين سنة يقوم بتجارب واختبارات عديدة في هذا الشأن حتى توصل إلى اختراع جهاز دقيق يحقق هذه الغاية بكل سهولة. وهذا الجهاز عبارة عن آلة فوتوغرافية شديدة التأثر ذات عدستين تتحركان بسرعة كبيرة . وقد وجد أن البرق الصاعق يتم تكوينه في ٠.٠٧ ر. من الثانية وأن أي جزء منه لا يمكث أكثر من جزء من (٣٥٠٠) جزء من الثانية .

ثانيها : (أيعصل البرق الصاعق من الأرض أم من السماء ؟)

كان العلماء يذهبون إلى رأيين متناقضين في ذلك ؛ فمنهم من يقول بأن البرق الصاعق يسقط من السرب إلى الأرض ، ومنهم من يقول بوثوبه من الأرض . وقد أثبت الأستاذ (بوز) أن البرق الصاعق ينشأ من الطرفين أي من الأرض والسحاب في وقت واحد تقريبا ، ويتم ما بين طرفيه في الجو في نحو جزء من (٧٠٠) جزء من الثانية . وذلك لأن الفوتوغرافية التي صنعها كانت ترسم بعدستها طرفي هذا البرق في صورتين ، وقياس الوقت اللازم لرسميهما بواسطة أجهزة دقيقة تمكن من أن يعرف الوقت اللازم لتكوين البرق الصاعق وسرعته .

ثالثها : (من أين تأتي القوة ؟)

تأتي كل القوة التي في العالم إلا جزء قليل منها من الشمس فان الرياح والأمواج والشلالات والأنهار ، والزيت والبتروال والفحم توجد فيها قوة الشمس أو هي قائمة عليها ، وأن قوة الجزر والمد التي تنسب للقمر هي في الحقيقة مستمدة بواسطته من الشمس .

رابعها : (مصدر قوة الإنسان)

ويستمد قلب الإنسان وأعضاؤه وعضلاته القوة من الشمس في الحقيقة لأنها ليست ناشئة إلا من هضم السكر والنشا وهما مستخرجان من النباتات ، ومن الثابت أن النباتات لا تنبت إلا بتأثير أشعة الشمس . انتهى ما أردته من المجلة المذكورة ، والله أعلم .

عاشرا : (أغرب غرائب أمريكا)

جاء في مجلة كل شيء مانسه :

الستر ولجسون رجل أمريكي يعيش بنقل الصور الملونة للأسمالك وسائر أنواع الحيوان ، وكان أبوه قبطانا قد اخترع زورقا يغوص تحت الماء وله أنبوبة تتصل إلى أعلى لتجديد الهواء ، وكان غرضه من هذا الزورق استنقاذ السفن الراسية . ولهذا الزورق عين كبيرة من البلور الصافي يبلغ قطرها ثلاثة أقدام فيمكن الإنسان أن يرى الأشياء والحيوان تحت الماء بها . وقد مات القبطان ولم يستعمل الزورق للغرض الذي بنى من أجله وإنما استعمله ابنه الستر ولجسون في تصوير الحيوان ، وقد مضى عليه (١٦) سنة وهو في هذا العمل . ولما تزوج أخذ زوجته إلى الزورق وقضى معها شهر العسل عند جزر باهاما حيث اشتغل بنقل الصور وباهاما من جزر الهند الغربية ، والماء عند عمق (٢٥) قدما يشبه النهار عندما تغم السماء ، ولكن لعين

الزورق مصاييح كهربايئة تشع ضوءا باهرا في الماء فيمكن نقل الصور كما تنقل على سطح اليابسة في النور العادى وهذا إذا كان الماء هادئا ، أما إذا حدثت زوبعة وهاجت الأمواج بلغ الهياج قعر البحر فعندئذ يرتفع الطين الراسب ويكدر صفاء الماء كما يرتفع الغبار عندما تهيج الريح على اليابسة .

ويعيش الآن المستر ولجسون مع زوجته في هذا الزورق فيغوصان به في النهار ويصعدان إلى السطح في مساء ، وقد يظن القارىء أن هذه المعيشة تسم الإنسان وخصوصا الزوجة ولكن المسز ولجسون تصف هذه المعيشة بأنها ليست خالية من اللاهى بل تقول إنها أحيانا كثيرة تجذبها المناظر فتبقى ساعات لاتدرى بانقضاء الوقت لفرط ماترى من غرائب الطبيعة وجمالها تحت الماء . أما هذه المناظر فهى أعشاب البحر المختلفة التى تشبه للروج والمراعى وهى فى الواقع كذلك ، فإن السمك وسائر الحيوان يسير بينها ويتخللها بأكل منها أو يمتحنى فى ثناياها كما يفعل الحيوان فوق اليابسة . ومن المناظر الجميلة حقول المرجان بألوانها الزاهية المختلفة ، وفى ملاحظة حركات الأسماك وأخلاقها ما يجعل الإنسان يقضى الساعات وهو لايسأم . والأسماك تختلف فى المزاج والقوة والأخلاق . فقد ترى السمكة الصغيرة الخفيفة تعتمد إلى سمكة كبيرة فتهاجمها وتضربها ثم تفر منها . وأحيانا تأتى سمكة قترى عين الزورق البلورية فتأخذ فى التحكك بها ومسحها بأطراف فمها . وأحيانا تجرح البلور فيحتاج المستر ولجسون إلى صقله بضع ساعات لكي يعيد إليه صفاءه . ويقول المستر ولجسون إن اختباراته تدل على سوء الظن بالقرش خير من حسن الظن به فهذه السمكة شريرة وقد رأى قروشا تتشاجر فيمزق أحدها الآخر تمزيقا مروعا . والقرش فى البحر كالتمر على اليابسة يحب الاقتراس والقتل ولا ينفك عن ذلك وهو يأكل الرمة ولكنه يحب الأحياء من الناس وبأكلهم والمستر ولجسون يزود السيداتوغراف بأفلام عن الحياة تحت البحر كما يزود المدارس والمتاحف بصور فريدة للتاريخ الطبيعى اه .

حادى عشر : (الكلام على عالم الطفولة)

(مدهشات عالم الطفولة)

أولا : الأطفال ذوو العقول الجبارة

يوجد الآن فى (سلوفاكيا) طفل فى الخامسة من عمره حير العقول فى مقدرته فى الحساب حيث يجب على العمليات التى تستوجب من الحاسب أن يجربها بالقلم على القرطاس فى بعض ثوان . ولقد أحضر فى محفل كبير وسأله الأطباء لفحص قوام الدهشة . كم يومامضى منذ ميلاد المسيح ؟ فأجاب هذا الطفل الجواب الصحيح بغير توقف . وما كان يعطى تاريخ ميلاد أى شخص من الحاضرين حتى يجب بدون تردد عن مقدار مامر عليه من الأيام والندقائق منذ ولادته غير ناس لحساب السنوات الكبيسة التى تتخلل عمره ورأس هذا الطفل كبيرة للغاية حتى أنه لايمسكه أن يلبس أكبر قبعة عادية . وظهرت أخيرا فى الولايات المتحدة طفلة فى الثامنة من عمرها تجيد التكلم بثانى لغات وألفى ثلاثة كتب وعدة مقالات وقصائد ، ولما كان سنها ثلاث سنوات كانت تكتب على الآلة الكاتبة وتتكلم بالاسبرانتو والفرنسية وإن تكمن اللغة الانجليزية لغتها الأصلية . ولما باقت الخامسة من عمرها أخذت تقول الشعر .

(الأعجوبة الحققة)

ظهر فى صحيفة من صحف لندن منذ قرن من الزمان ماياتى :

جوتجن فى ٢٠ مايو : انتظم فى سلك الدراسة فى جامعتنا منذ ثمانية شهور طالب فى منتصف السنة العاشرة وهو من عجائب المخلوقات ، واسم هذا العالم الصغير (شارلس ويت) ويعرف عنه أنه لما بلغ الثامنة

من عمره كان يجيد إلى جانب لغته الأصلية وهي الألمانية اللغات الآتية: اليونانية القديمة واللاتينية والفرنسية والانكليزية والإيطالية، وهو قوى فيها إلى درجة السكال كتابة وحديثا، ويستطيع أن يترجم بكل سهولة من (فيرجيل) و (هومر) .

(طفل دائرة معارف)

وأعرب من هذا الغلام طفل اسمه (هنرى كرسيتيان هينكن لوبك) فإنه لما بلغ الشهر العاشر من عمره كان يستطيع أن ينطق كل كلمة في قاموس اللغة الألمانية مع ما هو معروف عن صعوبتها في النطق عن أية لغة من اللغات الحية ، وما أم سنة حتى كان ملما بأشهر الحوادث في تاريخ العالم . ولما بلغ من العمر سنتين كان على علم تام بكل تواريخ النوراة وقصصها وأنبياؤها ورجالها . ولما كان في الثالثة كان يجيب بمنتهى الدقة على كل سؤال في جغرافية الكرة الأرضية جميعها وتاريخ العالم القديم ، وعند ما بلغ الرابعة كان يشتبك في مجادلات حادة مع شيوخ الأساتذة في أربع لغات ولكن العمر لم يممه حتى يتم السادسة .

ثانيا : (أعرب طفل في العالم)

وهو الطفل البلجيكي النابتة الذي تتحدث عنه الصحف الأوروبية والأمريكية وتعدده أعظم أعجوبة في عالم الطهولة ، فهو لم يتجاوز السنة الثانية من عمره ولكنه على الرغم من ذلك يعد من أكبر الرياضيين وأصحاب المواهب الحارقة للعادة في علم الحساب، وهو يستطيع أن يضرب عددا مكونا من خمسة أرقام في عدد آخر من خمسة أرقام في ذهنه أي بدون كتابة وينطق بحاصل الضرب بسرعة وبدون تردد ولم يحصل أنه أخطأ في ذلك مرة اه .

ثالثا : (صبي في الثانية عشرة ينال بطولة مصارعة الثيران)

لك أن تسميه شجاعا وأن تصفه بما شئت غير ذلك من صفات البطولة، وإنما المهم هو أن في جمهورية (بيرو) صبيا لا يتجاوز عمره الثانية عشر قد اشتهر على الرغم من محول جسمه بمصارعة الثيران والتغلب عليها وكان الكثيرون يظنون في هذه الشهرة شيئا من المبالغة ولكن حفلة كبرى لمصارعة الثيران أقيمت في (ليما بيرو) وحضرها ألوف من الجماهير وكثير من مندوبي الصحف فبرهنت على أن شجاعة المصارع الصبي واسمه (رافاليتو ميجاس) ليست كاذبة ولا مبالغة فيها فإن هذا البطل الصغير لم يصارع ثورا واحدا بل صارع ثورين فنجما من ضرباتهما وكان له عليهما الفوز والغلبة .

رابعا : وهو ماجاء في جريدة الأهرام في يوم ٢١ نوفمبر سنة ١٩٢٩ م وهذا نصه :

(عبقرية الأمي الفتي «ترك»)

أشرنا منذ أسابيع في الأهرام إلى عبقرية الفتي الأمي المسمى (ترك) وإلى مقدراته الحسابية ومواهبه الحارقة للعادة . وعلى أثر صدق هذه السمعة استدعاه حضرة صاحب العزة مدير مصلحة المساحة وامتنحن مقدراته وكتب إلى وزارة المالية يطلب إليها تعليم الفتي (ترك) على حساب خزينة الدولة حتى إذا تم الدراسة عمل في خدمة الحكومة على مقتضى ما توهمه إليه كفايته وظروفه إذ ذاك . وقد وافقت وزارة المالية على هذا الطلب طبقا لما أشرنا إليه من قبل .

ومما هو جدير بالذكر أن نشير إلى بعض المسائل التي امتحن فيها الفتي المذكور ، فقد طلب إليه أن يذكر حاصل الضرب بين الرقمين ٦٤٥٣٢١٥٤ و ٣٤٧٨ فأجاب الإجابة الصحيحة بعد أربع دقائق . وطلب إليه معرفة خارج القسمة للمعددين ٥١٦٩١٧٦ ر ٢٨٨٩٦٣ على ٥٨٦٤ فأجاب إجابة صحيحة بعد عشر دقائق . وذكر لهذا الفتي أيضا أن للمملكة المصرية تشتمل على ٩٩٦ ٣٢٧ كيلو مترا وأن الكيلو متر

الواحد يساوي ٢٣٨ فدانا وأن المطلوب معرفة المساحة بالأسمه. فأجاب بعد خمس دقائق بأن الرقم المطلوب البحث عنه هو ٧٧٦٧٥٨٥٤٨٥٣٦٦ وشرح له الجذر التربيعي والجذر التكعيبي ففهمه للحال واستخرج الجذور التربيعية والتكعيبية .

وهذا الفتي المذكور من « ششت الأنعام » بمديرية البحيرة . وبهذه المناسبة أشارت مصلحة المساحة إلى من حفظ التاريخ أسماءهم من أمثال الفتي المصري حيث ذكر اسم (جورج بيروز) وكان من عظماء المهندسين في العالم والمرجع الهام في أعمال السكة الحديدية . وقد ولد في إنجلترا سنة ١٨٠٦ وكان ذكاؤه باديا في جميع أدوار حياته . وقد حذق في فن الهندسة وعين رئيسا لمعهد المهندسين المدنيين ، وهناك أشخاص آخرون مثل (جوهان واز) الألماني فترجو أن يكون للفتي المصري حظ هؤلاء العظماء انتهى المقام الأول .

(المقام الثاني)

(مايمسك من الرحمت فلا يفتحه للناس رحمة بهم مثل ماورد في الأخبار)

(أولا) يوم ١٢ فبراير سنة ١٩٢٩ م (وثانيا) يوم ٢٢ منه أيضا من البرد في أوروبا (وثالثا) مثل ماجاه في يوم ١٨ فبراير سنة ١٩٢٩ م من ثورة الطبيعة في سوريا (ورابعا) مثل ماجاه في مجلة الجديد بعنوان (٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ دولار خسائر الجليد في العالم في كل شتاء) وفيها يلي بيانها :

أولا : (البرد في أوروبا)

لندن في ١٣ فبراير ، بلغ البرد اليوم في بريطانيا العظمى كلها درجة تذكر يبرد القطب الشمالي ومن المنتظر أن يشتد . وقد عرقلت المواصلات بالسكك الحديدية وعلى جميع الطرق في بريطانيا العظمى واليبس الأوروبي إلى حد عظيم وردت الأنباء بوفاة كثيرين على أثر البرد - روتر .

باريس في ١٢ فبراير - يشتد البرد في جميع أنحاء أوروبا وروسيا في فرنسا وقد صار السفر بطيئا في سكك الحديد وفي الطرق الأخرى وأصبح العمل في المناجم صعبا وروسيا في تشكوسلوفاكيا وألفت الذئاب الجامعة الرعب في بعض جهات البلقان وتجمد نهر الدانوب في القسم الذي يجتاز تشكوسلوفاكيا . وهبطت الحرارة إلى ١٤ درجة تحت الصفر في باريس وإلى ٢٣ درجة في رنس و ٢٠ درجة في ستراسبورغ - هافس .

لندن في ١٢ فبراير - إن البرد القارس الذي اشتد في أوروبا أفضى إلى فواجع كثيرة فقد جاء في تلغراف من وارسو خبر وفيات كثيرة بالبرد وإن حراس الغابات عثروا على زمرة من (العجبر) تتألف من ٣٤ شخصا رجالا ونساء وأولادا نزلوا في غاب على مقربة من لوبلن وماتوا بردا .

وجاء في تلغرافات برلين أن ثلاثين سفينة محصورة بالجمد في جهة بحر البلطيك الغربية وليس في بعض هذه السفن طعام وقد أصيب بعضها بعطب شديد بحيث لا يستطيع السفر وأن الطرادات الألمانية المهتمة بالإتقاذ يعوقها الجمد وتمد طائرات الحكومة السفن المحصورة بالجمد بالطعام - روتر .

صوفيا في ١٢ فبراير - من أبناء فارما وبورغاس البرقية إن اللواتي البلغارية على البحر الأسود محصورة بالجمد ومقفلة في وجه السفن ويمتد الجمد على مسافة بعيدة من الشاطئ وهو صلب جدا بحيث يسهل الترحاق عليه على طول الشاطئ ولم يسبق لهذا البرد من نظير من سنة ١٨٤٩ وقد ازدادت صعوبة النقل بسكك الحديد ويخشون من وقوع أزمة طعام في بلغاريا - روتر .

ثانيا : ماجاء بتاريخ ٢٢ فبراير سنة ١٩٢٩ بالعنوان المتقدم

أثينا في ٢٢ فبراير - لا تزال رداءة الجو الشديدة مستمرة وقد اكتسحت عاصفة ثلج إقليم أثينا-هافاس لندن في ٢٢ فبراير - بينما الثلج يذوب في بريطانيا العظمى يشتد البرد في غيرها من البلدان الأوروبية فقد جاء في برقية من أثينا أن عاصفة ثلج شديدة اكتسحت بلاد اليونان وأن أنحاء كثيرة في الأرياف تهددها المجاعة من جراء انقطاع المواصلات وقد اكتسب حتى الآن بمبلغ ٣٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠ دراهمة إعانة لمنكوبى الفيضان في جنوب بلاد اليونان ومن جملتها مليون من بنك اليونان الوطنى ونصف مليون من السيوفيزيلوس. ويؤخذ من برقيات صوفيا أن البرد عاد وأن حرارة الجو هبطت إلى ٢٥ درجة تحت الصفر في بعض الأماكن وسقط ثلج أسود في روستجق ويظن أنه ممزوج بغيار البراكين .

رومية في ٢٢ فبراير - يعوق البرد المشد في إيطاليا حركة سكك الحديد، فقد وصل اكسبرس الشرق إلى ميلانو متأخرا ٤١ ساعة من ميعاده - هافاس .

بودابست في ٢٢ فبراير- عاد البرد القارس بشدة عظيمة وبلغ الدرجة الخامسة والأربعين تحت الصفر هنا اليوم والجد سميك جدا في نهر الدانوب بحيث تمر فرقة مركبات يجرها الثيران . وقد تلف القسم الأكبر من أزهار الخار وخمسون في المئة من قفران النحل - روتر .

ثالثا : ثورة الطبيعة بسوريا ولبنان

من عادة سكان الجبال العالية في لبنان أن يدخروا لأيام الشتاء الماء كل والملبس حتى يستغنوا عن المدن والسواحل مدة شهرين على الأكثر ولكن الطرقات تظل مفتوحة ويظل الأهالي قادرين على الهجاء إلى الساحل وشراء حاجاتهم على أنه حدث في هذه الأيام أن الثلوج تراكت حتى قطعت الطرق وعزلت كثيرا من القرى في أعالي الجبال فنغدت حاجات السكان وعز خروجهم من قرانهم وصعب الوصول فأخذ الكثيرون من سكان السواحل يستمرخون الحكومة لتمديد المساعدة إلى القرى المعزولة وتوصل إليها حاجاتها من الماء والغذاء إلى أن يمن الله بالفرج وتذوب الثلوج وتفتح الطرق .

قالت البلاغ البيروتية :

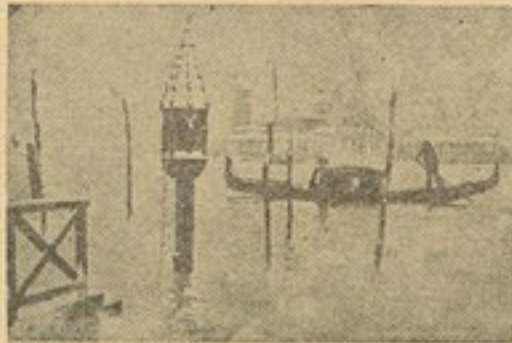
ظمرها الثلج ولم يبق من بناياتها شيء ظاهر ويرجعون أن منازلها سقطت على ساكنها إذ قيل إن ارتفاع الثلج فوقها بلغ ٢٥ ذراعا ويقول الشيوخ إنه لم يسبق لتلك مثل منذ نصف قرن . قال : وقد أصيبت قرية بان أيضا بأضرار جسيمة سنوا فكم بتفصيلها وتفصيل غيرها من النواصب الجوية في صرود البترون وبلاد جبيل ؟

وسقطت صاعقة في البترون قطعت أسلاك التلغراف ولم يصب أحد بأذى والحمد لله .

رابعا : ٢٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار خسائر الجليد في العالم في كل شتاء

هذا هو المبلغ الذى يذهب سدى من جراء سقوط الجليد . وهو كما يرى في الصورة قطع من الثلج متفاوتة الحجم فمنها ما هو كالحصاة ومنها ما هو في حجم البيضة . وترسله السماء بانهمار شديد بين زئير الصواعق والرعد وقد كان شتاء هذا العام شديد البرد لكثرة ما نزل من الجليد في بعض الأقطار ، فقد كان ملاحظا في الأستانة كما هو في جنوب أفريقيا . و جنوب أوروبا وبعض أقطار أمريكا وكانت تغشى طبقات منه أبنية وشوارع الريفييرا ومونت كارلو وغيرها من البلاد ، وكان البرد على أشده عدة أيام جنوب إيطاليا فكانت درجات الحرارة ١١ درجة تحت الصفر في البندقية وسينا و١٣ في يروجيا و٢٠ في أودين وبالرمو ولكن أروع حالة كانت

في القسطنطينية في أوائل فبراير الحالى وكانت الرياح الشمالية تسير بسرعة ٦٠ ميلا في الساعة وكانت تسكنسح الجليد أمامها فكان من الصعب أن يرى الإنسان ما أمامه في شوارع الأستانة وقد وصل سمك الجليد في بعض النقط ١٥ قدما وتعذر مرور السفن في الإسفور لما كان فوق سطح الماء من طبقات الجليد (انظر شكل ٩) انتهى المقال العام في آية «مافتح الله للناس» الخ

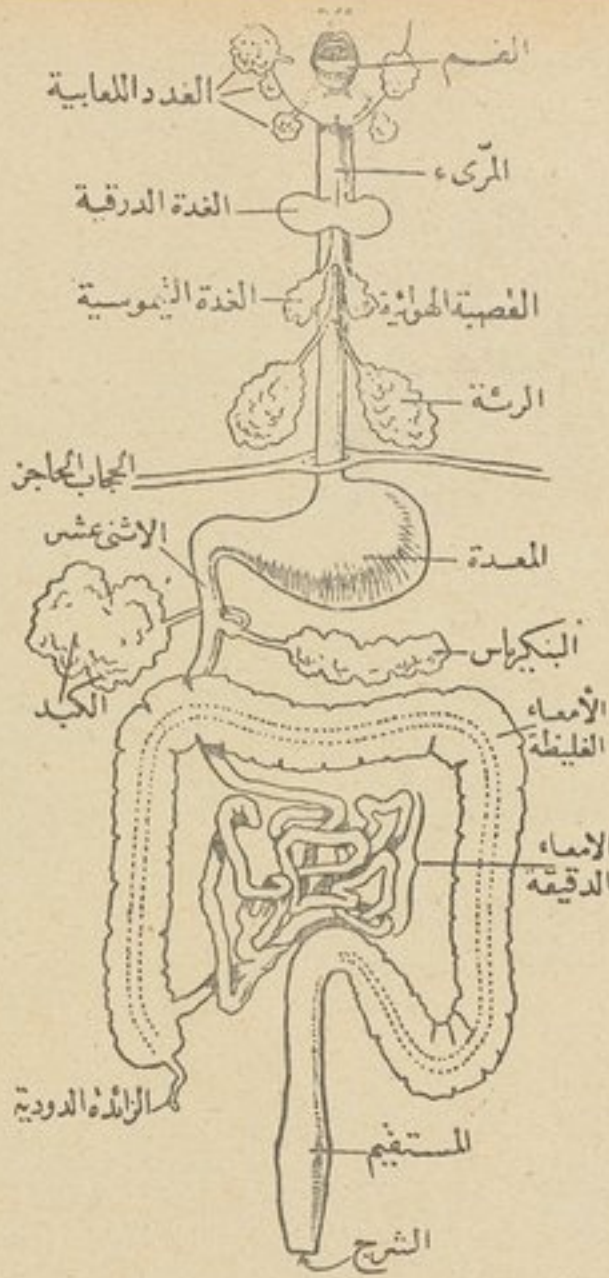


(شكل ٩ - إحدى كنائس مدينة البندقية
في إيطاليا تحت الجليد)

اللهم إنا نحمدك على نعمة العلم وبهجة الحكمة والهداية لفهمم والإنعام ، اللهم إن أعظم نعمك علينا هو العلم ، العالم الذى نعيش فيه مادة والمادة لاثبات لها بل هي شبكة نسجتها لنا يد الحواس الخمس لنعيد بها جواهر العلوم في ظلمات بحر الحياة اللجى ، فويل ثم ويل لمن مرت عليه السنون تتلوها السنون وهو في غفلة وهو من العرضيين ، لو لم يكن هذا العالم في غاية الإبداع والجمال لسكانت هموم هذه الحياة وأسقامها عبثا .

إذا لم تكن الآلام والأسقام موقظات للعقل ، أن يفكروا فيما خلقوا فيه من الجمال اظل جميع الخلق محجوبين مبعدين عن بهجة ذلك الجمال البارع والحسن والنور والعرفان .

أكتب هذا الآن وبين يدي كتاب (الطبيعة وعجائبها البديعة) فما هو ذا الجهاز المضمي (شكل ١٠) في الصفحة التالية .



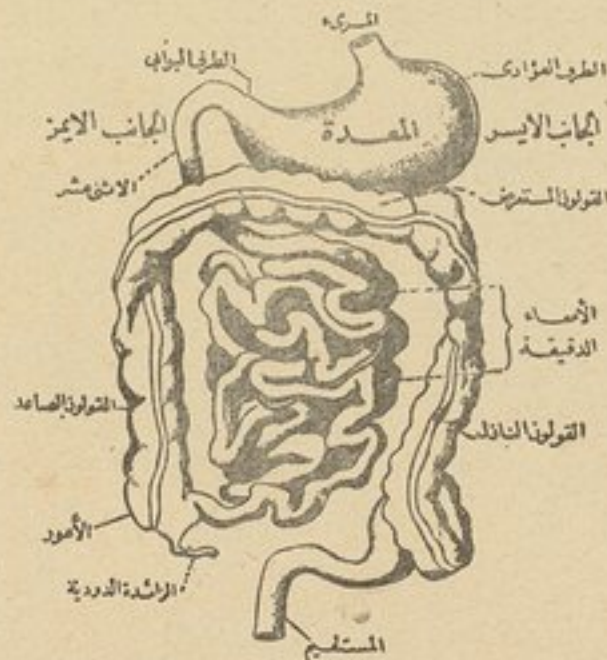
(شكل ١٠ - الجهاز الهضمي)

انظر إليه وفكر فيه . أليس هذا هو المخلوق من النطفة المخلوقة من تراب ، هاهو ذا التراب فانظر كيف خلق منه نبات حيوان فإنسان فأكل هذا نباتا وحيوانا فاجتمعت العناصر فكان منها أمثال هذه القناة الهضمية .

هذه يراها العالم والجاهل فتظهر تارة بهيئة حقيرة لقناراتها أو هيئة مشتهة إذا طبخت وكان الناظر جائعا وهي في نظر الجزار سلعة تقصد ليئتها ، أما الحكماء المفكر فإنها في نظره لوح يقرؤه وكتاب يفهمه وتبصرة وذكرى ، فأول ما يصادفه بعد الفم وما فيه من الاثنتين والثلاثين سنا (الغدد اللعابية) فينظر فيرى هناك ثلاثة أزواج من الغدد كلها تفرز اللعاب الجاري في قنوات ، وذلك اللعاب سائل شفاف غير حمضي

بل هو قلوبى وهذه الثلاث موزعات في الفم . فالزوج الأول منها يسمى (النسكى) وهو أعلى . والثانى تحت الفك الأسفل والثالث تحت اللسان ، وهذا اللعاب فيه مواد مخاطية وحميرة اسمها (تيالين) لها تأثير على أمثال القمح والبطاطس والأرز وكل مادة نشوية فتحوها إلى مادة سكرية ذائبة ، وهذا اللعاب مرطب للأطعمة مسهل لابتناعها مانع من تأثير اللواد الحضية على الأسنان لأنه قلوبى .

ثم ينظر فيرى البلعوم وهو القسم الأعلى من القناة الهضمية الذى يلى الفم . ثم يرى المريء وهو أنبوبة عضلية ضيقة تلى البلعوم طولها (٢٥) سنتيمترا أو (١٢) قيراطا وهذا يمتد في العنق والصدر ويحترق الحاجز ويتصل بالمعدة وله غشاء يفرز سائلا مخاطيا يسهل مرور الأطعمة . ثم المعدة الموضوع على هيئة (قربة للموسيقى) طولها أيضا (٢٥) سنتيمترا كطول الاثنى عشرى الآتى ذكره لأنه اثنى عشر قيراطا ، ولها غشاء مخاطى أيضا يجمع يفرز العصير المعدى وفيه خمسة أنواع من اللواد الهاضمة وهى : للنفحة واللواد المخاطية والأملاح المختلفة وحمض السكاوريدريك والبيبسين والطرف الأعلى في اليسار يسمى الطرف العواذى والطرف الأيمن وهو الأسفل يسمى (البوابى) والأول متصل بالمريء والثانى متصل بالأمعاء الدقاق . وبعد ذلك يرى الاثنى عشرى ثم تكون الكبد على اليمين وغدة البنكرياس على اليسار والاثنى عشرى هو أول الأمعاء الدقاق وبعده الصائم واللفائفى من تلك الأمعاء وهما اللذان تراهما في هذا الرسم (شكل ١١) فى داخل الأمعاء الغلاظ والطعام يمر فى هذه كلها بالترتيب حتى يصل إلى الأمعاء الغلاظ فيبتدىء بالأعور جهة اليمين فالقولون الصاعد فالقولون المستعرض فالقولون النازل فالمستقيم فالإست (انظر شكل ١١) .



(شكل ١١ - منظر عام للقناة الهضمية حسب وضعها الطبيعى)

وهنا يتفكر العاقل فى هذه الغدد وما معها ، فيرى أن الطحال والبنكرياس يفرزان مواد هاضمة لتلك اللواد كما تفرز غيرها الغدد التى فى الفم وفى المعدة والأمعاء . إن التى فى الفم ذوات المجارى أليست تفرز مواد قلوبية تؤثر فى اللواد النشوية كما تقدم فنجعلها سكرية ، وعلى الأكل أن يعض الطعام يسطه ليجسك الحميرة اللهاة بالتيالين التى فى لعاب الفم أن تؤثر فيه فتذيب تلك اللواد ، فإذا وصل الطعام إلى المعدة تلقاه العصير المعدى فأذاب بعض اللواد التى لم تذهب بجميرة وبعضها الآخر بجميرة أخرى فترى اللواد الزلالية فى اللبن تصير كاللبن

بواسطة خميرة اسمها (المنفحين) ولا جرم أن وسط المعدة حمضى بخلاف وسط الفم فهو قلوبى ولكل منهما خماثر تناسبه ولاعمل لخميرة إلا فى مكانها الخاص .

ثم إنه لا بد فى فهم حقائق بقية هذا الموضوع من معرفة ماهى الأغذية اللازمة للانسان إنها :

(١) مواد عضوية غير آزوتية أى ليس فيها عنصر الآزوت الذى هو جزء من الهواء الجوى وهذه إما مواد كربوإيدراتية مثل النشا والسكر . وإما مواد دهنية كأنواع الزيت والسمن والشحم .

(٢) ومواد عضوية آزوتية وهذه تستهلك فى أنسجة الجسم . وهذه مثل (البروتين) كزلال البيض والجلاتين المستخرج من العظام الغلية والمادة الجينية فى اللبن ومادة (اليوسين) التى فى اللحم وهكذا يكون (البروتين) فى المواد النباتية لاسيا فى بذور البقول مثل الفول والبسلة والعدس . وفى الجيوب كالفمخ والذرة .

(٣) ومواد غير عضوية وهى الماء والمواد المعدنية والماء ثلثا الجسم والمواد المعدنية منها :

(أ) كربونات الجير وهى فى العظام والأسنان .

(ب) وفوسفات الجير وهى فى العظام أيضا وتكون نصف وزنها تقريبا وإن فوسفات الجير وكربوناته داخلات بمقادير كافية فى الأغذية النباتية والحيوانية .

(ج) وملح الطعام .

(د) وأملاح أخرى بمقادير قليلة تدخل فى الجسم من الغذاء . إذا عرفت هذا فإن الحكيم المفكر الذى تكلمنا عنه ينظر فى سير الطعام أثناء سيره (انظر شكل ١٢) .



(شكل ١٢ - المعدة والاثنا عشرى والسكبد والطحال والبنكرياس)

(١) المعدة (٢) البواب

(٣) الاثنا عشرى .

(٤) السطح السفلى للسكبد

(٥) الحوصلة الصفراوية

(٦) غدة البنكرياس

(٧) القناة الصفراوية

(٨) اقناة البنكرياسية

(٩) الطحال (١٠) الأورطة

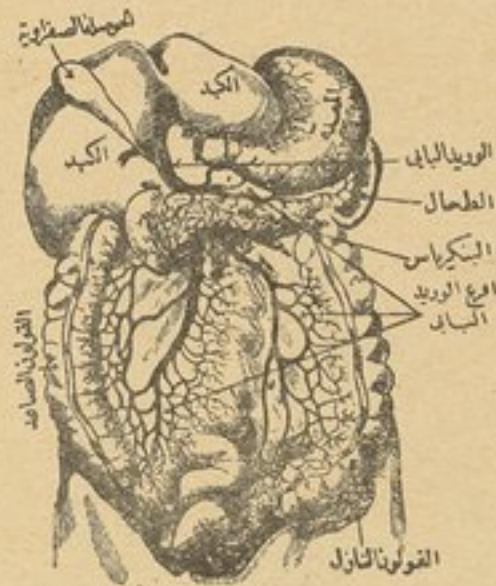
(١١) الوريد البابى

(١٢) الشريان الطحالى

(١٣) الوريد الطحالى

فىرى أن هناك القناة الصفراوية (عرة ٧) فى هذا الشكل توصل الصفراء المطبوخة فى السكبد إلى الاثنا عشرى ، ومثلها القناة البنكرياسية الآتية من البنكرياس (عرة ٨) فى الشكل ، فأذن يرى هاتين العصارتين تصبان فى مكان واحد وتمزجان بمادة الكيموس الآتى من المعدة ذى القوام الغليظ . وهذا الكيموس يمر بالأعما فتقابله عصارة أخرى تفرزها الأمعاء نفسها . فهذه العصارات الثلاث تذيب من المواد ما لم يذب من قبل وينقلب بسببها الكيموس إلى كيلوس ذى قوام سائل لبنى ، وهنا استعداد الطعام لأن يرتقى درجة أخرى فتتمتصه الخملات التى فى الأمعاء الدقيقة ويمر الباقى إلى الأمعاء الغليظة ولا يزال الامتصاص مستمرا هناك أيضا وما فضل مما لم يتمس أو لم يصلح للامتصاص يخرج بالبرز . وهنا يرى هذا الحكيم أن القناة الهضمية فيها

مصانع لتجهيز أنواع الهواضم . فأما في الفم فاللعاب وفيه خمائر تذيب المواد النشوية كالسكر والنشاء وما بقي في المعدة وفي الأمعاء بالعصارة البنكرياسية والمعوية والصفراوية .



(شكل ١٣ - الوريد البابي والفروع الرئيسية التي يتكون منها)

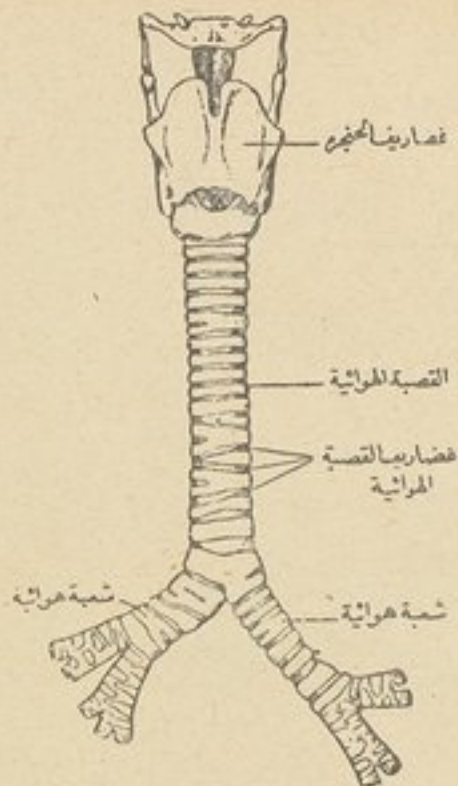
هنالك يرى ذلك الحكيم درجة جديدة للطعام ، فانه أولا كان نباتا وحيوانا وماء ومعادن ، ثم أصبح في الفم ذائبا باللعاب أو كيموسا في المعدة بأنواع من الهواضم ثم انتقل إلى الأمعاء فسلطت عليه العصارات الثلاث المتقدمة من البنكرياس والصفراء والأمعاء فصار كيلوسا ثم ارتقى فتقبلته شبكة دقيقة من الأوعية الدموية تحت الغشاء المخاطي بعد أن يمر بذلك الغشاء المبطن للأمعاء . وهذه الشبكة تسلمها إلى الدورة الدموية والدورة التنفسية .

ها هنا ينظر في الدورة الدموية فإذا يرى؟ يرى هذا الرسم (انظر شكل ١٣) وهذه الدورة تقدم شرحها مرارا وتكرارا في هذا التفسير ولكن هذه الصورة البديعة لم يتقدم لها نظير من حيث وضوحها (شكل ١٣) .

وهناك يرى الدم الشرياني في يسار الصورة والوريدي في يمينها والأول يتدفق في الأورطي الخارج من البطن الأيسر وقد تفرع إلى فرعين : أعلى وأسفل لتغذية الجسم كله أعلاه وأسفله فهو أشبه بنوع الانسان حينما يكون جاهلا . فاذا تعلم صار كالمواد المهضومة ثم يرق فيصير ناقما لمجموع الأمة كما صار الدم غذاء للجسم . فأما بقية المواد التي لم تهضم أو هضمت ولم تمتص فقد خرجت بالتبرز فهي أشبه بأولئك الذين رهبوا في المدارس لأنهم لم يجيبوا في الامتحان أو كأهل النار الذين لم يصلحوا السكنى الجنة لأنهم في الدنيا لم تتوافر فيهم صفات السكالك حتى يصلحوا لمعاشره أهل الجنة الذين هم علماء وحكماء . ويرى الدورة المغاوية العليا والسفلى . والوريد البابي . والوريد الكبدي الأعلى المتصلين بالكبد ، وهما مملوآن بالدم الوريدي ثم يبحث فيرى الدم الشرياني متى اتصل بأجزاء الجسم تحول إلى دم وريدي ، فيعرف أنه قد اسود بسبب المواد الفحمية التي خالطته بسبب التفاعل السكباتي ، ثم يرى ذلك الدم الوريدي أخذ يرجع ثانيا فأخذ يصب في الأذين الأيمن ثم ينزل منه إلى البطن الأيمن ومن البطن الأيمن يخرج هذا الدم في طريقه جاريا في فروع الشريان الرئوي متصلا بفروع الشعب الهوائية ، وهناك يبحث عن هذه المعجائب كيف تكونت فيرى القصبة الهوائية (انظر شكل ١٤) .



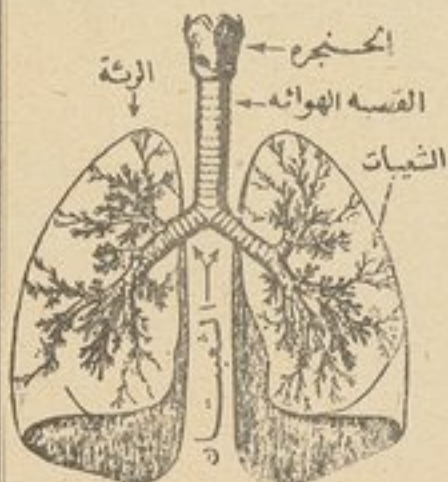
(شكل ١٥ - الحويصلات الهوائية)



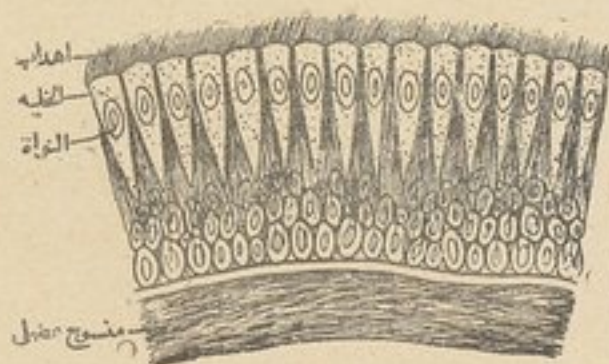
(شكل ١٤ - القصبه الهوائية وفروعها)

وهذه القصبه الهوائية تكون منها شعبتان هوائيتان وهاتان الشعبتان يخرج منها ما يشابه الأشجار ويسمونه بالحويصلات الهوائية (انظر شكل ١٥).

وعند تأمله في القصبه الهوائية يجد فيها عجايبا يرى نسيجا هديا مبطننا للقصبه (انظر شكل ١٦).



(شكل ١٧ الرئتان وتفرع القصبه الهوائية فيهما)



(شكل ١٦ - النسيج الهدبي البطن للقصبه الهوائية)

يقول : « ما عمل هذا النسيج ؟ إن فيه لأهدابا وخلايا ومنسوجا عضليا » ثم يهتدى أخيرا إلى أن هذه الأهداب أشبه بالكناسين والزبالين لأنها دائما ليلا ونهارا تتحرك من الداخل إلى الخارج ، لماذا هذا ؟ لتطرد الغبار الداخل مع النفس في القصبة الوائية ، فهذه الأهداب حواظ وخفراء تطرد الأجانب لئلا تفسد المملكة الرئوية الخادمة للمملكة الدموية ، فاقطب يرسل جنوده الدموية المنسكة القوى للتعبة فتأني إلى الرئة فيقابلها الخدام والحفظة فينظفونهم ويحملون ما خالطهم من الأردن ويرمون به في الخارج فضلا عن إمداد هؤلاء الجنود بالغذاء وهناك يسافرون إلى الجسم كرة أخرى ويفعلون ما فعلوه سابقا وفي أثناء سيرهم يتقابلون مع جنود أخرى يأتون إليهم من الغذاء المهضوم النقي الذي تمتصه الشبكة الدموية في الأمعاء ليكون عوضا عن الدم الذي تمثل بالجسم فيقول ذلك الحكيم إذ ذاك كيف يفهم للسلمون آية « وكل شيء فصلناه تفصيلا » لإبهذا وأمثاله ، أو آية « وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم » أو آية « الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا » الخ (أنظر شكل ١٧) .

ثم يقول : (هاتان شعبتان هوائيتان قد تشعبتا في الرئة وهناك قابلا الأوردة والشرايين) هنالك يهوله الأمر ويزيد عجبه ، إذ يرى ما يشبه الأشجار التي في الحدائق قد نبقت من القصبة الهوائية وأخرى امتدت من القلب وتقابل الأعلى والأدنى من فروع وفرعات يماثل أذناها أعلاها حتى يمكن الاقتباس والاقتناس والأعمال الكيميائية ، وهنالك ينظر ذلك الحكيم نظرة أسمى فيقول : (ماهذه الغدد التي أراها على أنواع مختلفة فمنها البسيطة والأنبوية والعنقودية) (شكل ١٨) .



(شكل ١٨ - رسم بياني للغدد)

(١) غدة بسيطة . (٢) غدة أنبوية . (٣) غدة عنقودية .

فماذا يرى بعد البحث ؟ يرى أن هذا الدم الذي لم ينله الجسم إلا بعد مشاق ومشاق وتعب ونصب ومصانع تحضر مواد في الفم وفي المعدة والأمعاء والكبد والبنكرياس لا يزال هو بحاجة إلى إصلاح . إن هذا الدم عيب له ولا قدرة على إصلاح هذا الجسم بمفرده ، وكما أن الأغذية لم تنصر دما إلا بعد مواد صنعت في مصانع خاصة ، هكذا هذا الدم لا يصلح لعماره هذا الجسم إلا بعد أن يقوى ويؤيد بمواد نافعة تؤهله لهذه الأعمال العظيمة وإيجاد هذا الخلق الجديد . إن الدم منه تصنع جميع العظام والأعضاء والحواس (١) فيرى أولا أن أعضاء التناسل ونمو الشعر والعظام لا بد لها كلها من عمل آخر حتى يتم لأن الدم بمفرده لا يصلح ذلك . هنالك يجد أولا الغدد الصنوبرية وهي قدر حجم الحمصة موضوعة بين المخيخ والنصفيين

السكريبين للمخ وهذه الغدة إذا صارت ضخمة فإن الإنسان يبلغ السن المعتادة وينمو شعره قبل أوانه وعظامه الطويلة تنمو بطريقة غير منظمة، إذن هذه الغدة أشبه بالمهندسين من نوع الإنسان أو الصناع الماهرين فإذا اختلت صارت أشبه بالصانع الجاهل الذى يعمل بلا نظام .

(٢) ويرى ثانيا الغدة النخامية وهي جسم بمقدار حجم الترمسة وهو متصل بأسفل المخ وله فسان أمامى كبير وخلقى صغير فى تجويف بالفص الأمامى . فالفص الأمامى الكبير من الغدة النخامية يفرز مادة نافعة فى تكوين العظام كالغدد السابقة ، فإذا زاد نشاط هذا الفص زمن الشباب فإن الجسم يزيد طوله طولاً فأحشا حتى يصل بصاحبه إلى طول العمالقة ، إذن هذا أيضاً مهندس آخر كالسابق أو صانع ماهر ، فإذا أسرع فى عمله قبل أوانه فهو صانع غير ماهر وتعليمه قليل ، فأما إذا زاد نشاط هذه الغدة بعد تقدم السن فإنه ينشأ مرض يسمى (أكروميغال) وهو كبر الأطراف إذ تصير بعض عظام الجسم أكثر ضخامة لاسيما الفك السفلى والأيدى والأقدام .

هذه أعمال الفص الأمامى ؛ أما الفص الخلفى فإن له تأثيراً على أعضاء التناسل وله صلة بضغط الدم ودقات القلب وبعض العضلات التى ليست إرادية وبافراز اللبن ، إذن الغدة الترمسية والغدة النخامية بفصها أعمالهما يتم بعضها بعضاً تقريباً .

(٣) ثم يجد الحكيم ثالثاً أن فى العين مادة ملحية سائلة فيعجب ويقول . « من أين أتى هذا الماء وملحه ؟ » فيبحث فىرى هناك غدة فى حجم اللوزة موضوعة فى جهة العين الخارجة فهى تفرز سائلاً ملحياً يحفظ سطح العين نظيفاً ، ثم يقول : إن هذا عجب ، ها أنا ذا اطلمت فى سورة الفرقان عند آية « وخلق كل شئ بقدره تقديراً » وفى سورة العنكبوت على صورة الجهاز الذى فيه السم الذى تقذفه النحلة والعنكبوت على ماشاءت والجهاز الذى فيه غزل العنكبوت ، فهذان الجهازان جعلاً من سبيلين للحاجة فأحدهما فيه السم للدفاع والثانى فيه الغزل للاقتناص وغيره ، وهاهنا هذه الغدة قد جعلت لمصلحة العين لجعل فيها سائل ملحياً (٤) ثم ينظر أيضاً فىرى الغدة الدرقية (شكل ١٠) فى الشكل المتقدم وهذه الغدة واضحة فى الرسم أمامك وهي جسم لين فى الجهة الأمامية من العنق تحت الحنجرة فائدتها تكوين العظام وعمل الاحتراق فى الجسم ولها علاقة بالعدد التناسلية ، وإذا زاد إفرازها جف الجلد ونحل الجسم وبتؤ الكلام وضاق النفس واضطربت التغذية ، وإذا انعدمت الغدة فى سن الطفولة ظهر نقص عظيم فى النمو فى الجسم والعقل أو وقوف تام لهما .

(٥) ثم ينظر خامساً فىرى غدة مجاورة لهذه تسمى (الغدة جارة الدرقية) وهذه إذا عطلت حصل التشنيج عند الأطفال والشلل مع الرعشة وأن تصير العظام هشّة سهلة الكسر ، وإذا أزيلت هذه الغدة كثرت فى الجسم التشنجات العضلية وقلت تغذية الشعور والأظافر وقد يصير فى العين ماء أزرق .

(٦) ثم ينظر سادساً فىرى غدة التيموس للوضحة فيما تقدم فى (شكل ١٠) بعد الغدة الدرقية فيقول : فباليت شعري ما عمل هذه أيضاً ، هاهى ذه واضحة بأعلى للمنطقة الصدرية تحت الفص وبعد البحث يراها لا تبلغ أشدها إلا فى السنة الثانية من عمر الطفل ويتبدى خمودها واضمحلالها عقب سن البلوغ ثم تختفى تقريباً ، فهذه تؤثر فى نمو الأطفال وتكوين أعضائهم التناسلية ، وإذا اختفت قبل أوان اختفائها يحصل اضطراب فى الجسم لاسيما فى تكوين الأعضاء التناسلية .

(٧) ثم ينظر سابعا فىرى غدة البنكرياس للرسمية فى (شكل ١٠) أيضاً المقابلة للكبد فماذا يرى ؟ يرى أن فيها غدداً أخرى غير الغدد المتقدم ذكرها لأنها فيما مضى أفرزت مادة ذهبت إلى الأمعاء ولكن الغدد

الأخرى هنا في البنكرياس تذهب إلى الدم مباشرة فماذا تصنع يأتري؟ إنها تعرف بالأنسولين . إن (الأنسولين) يساعد الكبد في تحويل المادة المسماة (جلوكوز) إلى مادة أُلطف يسمونها (جليكوجين) فالمادة الأولى سكر ، وهذا السكر لا تقدر خلايا الجسم على احتياله وإدخاله في تسكوينها ، فإذا لم يساعد الأنسولين الكبد على ذلك التحويل بقيت تلك المادة السكرية عالية على الجسم فلا يحصى للجسم من التخلص منها بواسطة الكيتين في البول بدون أن ينتفع الجسم بها فيحصل ضعف تدريجي وأعراض أخرى ، وهذا هو مرض البول السكري . إذن هذه الغدة جعلت في الجسم لمنع البول السكري المعروف والكبد هو مقابل للبنكرياس في الجسم أكبر غدة فيه هو في أعلى الفراغ البطني وهو إلى الجهة اليمنى أقرب وهو نحو ثلاث أرتال وربع في الإنسان البالغ تقريبا وسطحه العلوي محدب والسفلي مقعر وهو يفرز الصفراء المتقدم ذكرها وتخزن في الحوصلة الصفراوية وهذه الصفراء :

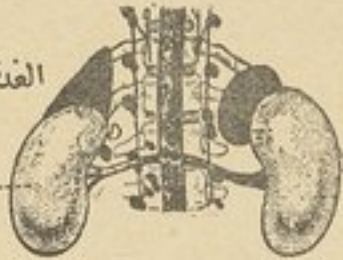
(أ) تساعد عصارة البنكرياس في تجزئة السكريات الدهنية ويكون هناك مستحلب .

(ب) وتلين الأمعاء فتساعد على الحركة الدورية في القولون والمستقيم وتمنع التعفن في الأغذية التي

تزيد في الأمعاء .

الغدة فوق الكلية

الكليتين



(شكل ١٩ الغدتان فوق السكلى)

(٨) ثم ينظر ثامنا فيرى غدتين فوق

الكليتين (شكل ١٩) وهاتان الغدتان إذا اعتدلنا

في إفرازهما اعتدل النشاط الطبيعي في الشرايين

والعضلات الإرادية وغير الإرادية وإذا قل نشاطهما

حصل مرض في الجسم يسمى مرض (أديسون)

ذلك أن الجلديلون يلون بلون آخر هو اللون (البرزى)

ويكون هناك ضعف وقى وإتهاك عصبي ينتهي هذا كله بالموت، وإذا زعت هاتان الغدتان يحدث الموت في مدة

قصيرة وهذه صورتهما .

(٩) ثم ينظر تاسعا فيرى الغدة التناسلية وهما الخصيتان في الذكر والبيضان في الأنثى ، فالحيوانات

النوية تخاق في الخصيتين والبيضات في المبيضين وهذا ما هو إلا إفراز كالأفراز الخارجي في الغدة الأخرى

ولهذه الغدة إفرازات أخرى بها يمتاز الذكر من الأنثى في مظهرهما ، فإذا رأينا شعر الشارب واللحية والشعر

المنتشر على الجسم وخشونة الصوت وظهور بروزات عظام الجسم واضحة في الرجل ورأينا ذلك كله في الأنثى

على خلاف ذلك وهي تزيد بنمو الغدتين الثدييتين واستطالة شعر الرأس وازدياد المواد الدهنية المدخرة

تحت الجلد فتخفي زوايا العظام البارزة أقول إذا رأينا ذلك كله عرفنا أنه وجد بسبب ما تفرزه الخصيتان

والبيضان من المواد لتكوين ذلك كله فضلا عن تكوين الحيوانات النوية والبيضات لظهور النسل وللخصيتين

والبيضان آثار فوق ما تقدم إذ هما بما يفرز منهما يوقظان الوظائف الحيوية في الجسم لاسيما ما كان له علاقة

بالتناسل .

(١٠) ثم ينظر فيرى في الجلد غددا عرقية منتشرة تحت الطبقة الجلدية وهي أنابيب طويلة تفرز

السائل العرقى .

(١١) ثم ينظر فيرى غددا دهنية وهي في العادة بجانب الشعر وهي تفرز مواد دهنية لهائلات وظائف

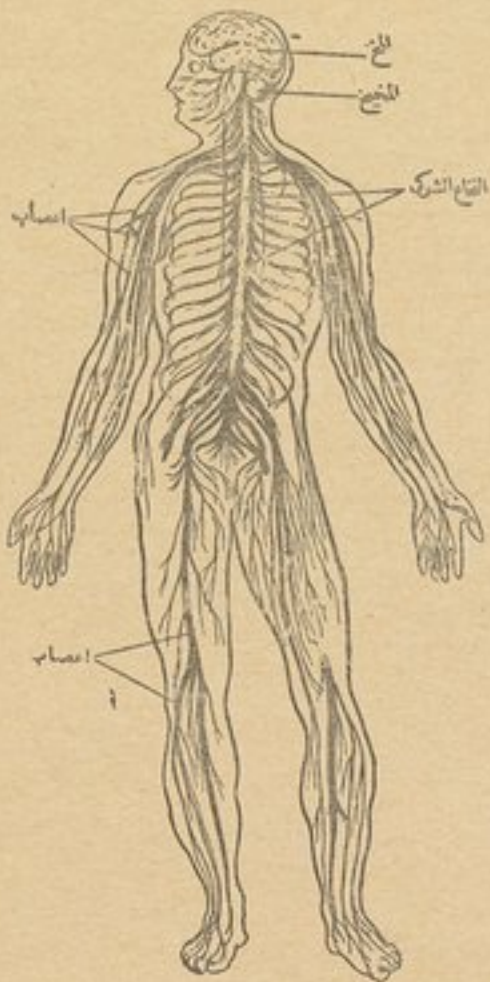
حفظ الشعر لينا وتغطية الجلد بطبقة دهنية تحميه من المؤثرات الخارجية ومنع تشمع الحرارة من الجلد بسكوة

(١٢) ثم يرى غديتين في الإنسان بأعلى الجزء الأمامي من الصدر وظيفتهما في المرأة إفراز اللبن لإرضاع الأطفال اهـ . إن الحكيم حينما يطلع على هذا يقول هذا من العجب ، غذاء مختلف الأشكال حل في الأجسام هضمه الحيوان وصبت عليه مواد مختلفات في الفم وال المعدة والأمعاء وخف ولطف وارتقى فصار دما فدار الدم في الجسم وأخذت تهذب به عصارات وعصارات وتقابله في سيره ، وهناك مصانع تصنع فيها تلك العصارات . فمنها ما يمنع التشنج ، ومنها ما يحفظ اللون للعناد ومنها ما يحفظ أعضاء النسل ، ومنها ما يحفظ الهيكل العظمي منظما جميلا معتدلا وهكذا وأخيرا منها ما فعل لمنفعة الجيل المقبل . إذن الحيوان والإنسان مخلوقان عجيبان دراستهما عند الحكيم روح وريحان ، وهما عند الجاهل مخلوقان للعذاب « وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا » « وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين » .

فهذا الحكيم حين يرى هذه العجائب يشناق لسانها ويحن إلى لقاءه وتسكاد روحه تفارق جسمه من شدة الولوج بذلك الصانع لولا لطفه به إذ يلتقي عليه الغفلة والشهوات فتلهيه عن هذا الجمال فيعيش محبوسا في هذا الهيكل إلى أن يرجع إلى موجد هذا النظام البديع .

(نظرة عامة : في أعصاب الحس وأعصاب الحركة لذلك الحكيم)

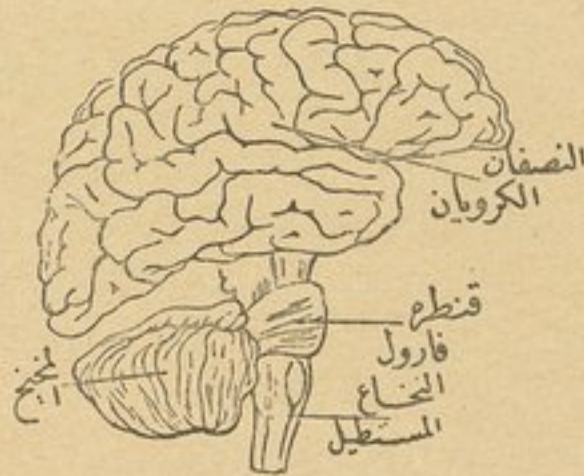
ثم ينظر ذلك الحكيم نظرة أخرى ويتتبع سير الدم فيقول إن الدم الآن قد تحول إلى هذه العظام وهذه العضلات وهذه العروق وهذه الأعصاب وهذا الشعر فلا تنظر .



إن الناس يشناقون إلى صعود الجوارح الطيارات وإلى قراءة علم الشمس والأقمار بل يودون الصعود إلى تلك العوالم ، ولكن لماذا حبسني الله الذي وضعني في هذا الجسم وألقاني فيه إلى أمد معلوم ؟ فيظهر لي أي حبست فيه لأدرسه ، وإذا عجزت عن دراسة جسمي فأنا عن دراسة العوالم العلوية التي أشتاق إليها أعجز وعن فهم ما فوق ذلك أشد عجزا ، إذن انظر في هذا الهيكل الذي كان أصله هذا الدم الذي كان غذاء والغذاء كان نباتا وحيوانا ومعادن . ولقد درست هذه العوالم من قبل لأنها مقدمات لحياتي فلم يبق إلا أن أدرس نفس جسمي لأنه نتيجة ذلك كله ، ولقد وجدت الأمم تبدأ بمحاولتها أولا ثم تنظر في أجسامها ثانيا لأن محاولنا أسهل فهما من أجسامنا فضلا عن أنه مقدمة لها والله يقول « وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون » فقدم ما في الأرض لأنه أسهل وأيضا أنا محتاج إليه في حياتي وحياتي أمتي ، إذن ينظر فيرى عوالم أخرى وهي عوالم الحس والحركة (انظر شكل ٢٠) .

(شكل ٢٠ الهيكل العصبي للإنسان مصغرا اثنى عشرة مرة)

وهذه الصورة لا تكرر فيها مع صور الإنسان المتقدمة في (سورة المؤمنون) وغيرها لأن هذه للأعصاب وتلك للأعضاء والعضلات ونحوها ، وههنا ينظر الحكيم فيعجب من عالم جديد ، ماهو هذا العالم ؟ هو عالم لاهو نبات ولاحيوان ولا معدن ولا هو كيموس أو كيلوس ذرقوام لبني ولا هو دم ولا هو لحم وعظم بل هو عالم يقرب من العالم الروحي وعالم الأثير وعالم اللائسكة لأن هذه الأعصاب خارجات من المخ والنخاع الشوكي أما المخ ففيه أولا نصفان كرويان أكبرهما تسعة أعشاره تقريبا وهما قسمان : أيمن وأيسر . وهذان النصفان هما مركز الحس والشعور والذكاء والفسكر والتداكرة والإرادة . ثانيا فيه المخيخ وهو الجزء الصغير اللحم الظاهر في الرسم وهو منظم للحركات العضلية وربطها وحفظ توازن الجسم لأنه متى اختل هو اختل نظام توازن حركات الجسم فليس له إلا التنظيم . ولكن مصدر الحركات هما النصفان المتقدمان . وثالثا النخاع المستطيل وهو ٢ سنتيمترا ونصف ويوصل قنطرة فارول بالجلب الشوكي . وهذا النخاع المستطيل يحكم وينظم حركات



(شكل ٢١ - المخ)

التنفس والقلب والبلع وينظم إفراز العرق وحجم الأوعية الدموية وهكذا وفيه تمر جميع التيارات العصبية الصادرة من المخ إلى الجبل الشوكي الآتي ذكره والتيارات الواردة من الجبل الشوكي إلى المخ . وإذا أصيب النخاع المستطيل بضرر ما ظهرت أعراض خطيرة ورابعا (قنطرة فارول) التي هي ألياف متصلة من أعلى بالمخ والمخيخ ومن أسفل بالنخاع المستطيل وهي موصلة التيارات العصبية للتبادلة بين الجبل الشوكي والمخ والمخيخ هذه الأربعة هي المخ (انظر شكل ٢١) .

أما الجبل الشوكي فهو يمتد من النخاع المستطيل إلى أسفل . يمتد داخل القناة الشوكية في العمود الفقري ويبلغ طوله (٤٥) سنتيمترا تقريبا وقطره ثمانية مليمترات . وهو ينقل الإشارات بين المخ وأطراف الجسم وبالعكس وهو مركز منظم للحركات القلبية الآتية .

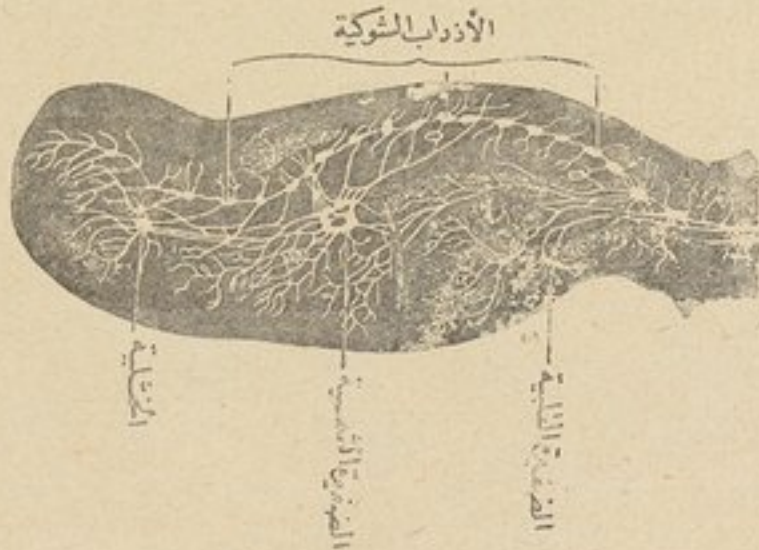
هاهنا يعرف ذلك الحكيم أن المخ والنخاع الشوكي هما الجهاز العصبي المركزي . ثم ينظر في المخ نظرة أخرى ثم ماذا يرى ؟ يرى هناك اثني عشر زوجا من الأعصاب تخرج منه موزعات في النطقة الرأسية وما حولها ، لأن المخ أشبه بقصر الملك والملك معه الآلة التليفونية والتلغرافية فيصدر أوامره بتلك الأزواج العصبية إلى أعضاء الحس كالعين والأذن والفم واللسان . فيقول للمعين باعين أصرى والموصل عصبها ولالأذن اسمي والموصل عصبها وعنده هو جهاز الآلة التليفونية أو التلغرافية (البرقية) وبعض الأعصاب أيضا محرك فهو يأمر العين مثلا بالنظر فتجربه فيصدر أمرا أسرع من البرق إلى أعضاء الحركة بواسطة أعصاب الحركة وهكذا .

ثم بعد ذلك ينظر نظرة أخرى في الجبل الشوكي فيجد أمرا عجيبا مدهشا . نجد هناك ثقباً موضوعاً بين الفقرات يمر بها أعصاب متقابلة من الجانب الأيمن والأيسر ويمر من تلك الثقوب ، وعدد تلك الأعصاب ٣١ زوجاً موزعاً في جانبي الجسم بالتساوي وكل عصب من تلك الأعصاب الشوكية عند خروجه من الجبل الشوكي له (جذران : أحدهما) أمامي مركب من ألياف محركة والآخر خلفي مركب من ألياف حساسة وبه انتفاخ صغير هو عقدة عصبية ويتحد الجذران بعد مسافة قليلة ويكونان عصباً واحداً يتفرغ إلى فروع منتشرة في الجلد والعضلات الإرادية .

ثم ينظر ذلك الحكيم فيرى أن الاثنى عشر زوجاً الخارجة من المخ والإحدى والثلاثين زوجاً الخارجة من الجبل الشوكي لاسلطان لها إلا على الأعضاء الإرادية كاليدن والرجلين .

أما الغدد اللعابية مثلاً في الفم وهكذا القلب والأوعية الدموية وأجزاء القناة الهضمية المشروحة سابقاً والثانة وأعضاء التناسل والغدد العرقية وهكذا ، فهذه كلها لاسلطان للجهاز العصبي المركزي عليها الذي يتفرع منه الأعصاب المتقدمة البالغة (٤٣) زوجاً يسمونها الجهاز العصبي الطرفي ، فما الذي يؤثر إذن في الأعضاء التي ليست تحت إرادتنا ، وبعد البحث نجد هناك جهازاً آخر غير الجهاز العصبي المركزي وما هوذا ؟ هو عقد على جانبي السلسلة الفقرية ممتدة من أول العنق إلى الحوض يسمونها الأذراب ، ومن هذه العقد تخرج أعضاء تتوزع في الغدد اللعابية والرئتين وهكذا إلى آخر ما تقوم أي في الأعضاء التي لاسلطان لنا عليها . وهنا يدهش الحكيم ويقول : « ياسبحان الله . نظام محكم وآداب حجة . إن الذي لنا سلطان عليه كانت له عناية خاصة فكان نفس المخ ونفس الجبل الشوكي قائمين بتديره وتدير الجبل الشوكي متجه إلى الأطراف وتدير المخ متجه إلى الحواس التي بالقرب منه . فالأعلى يدبر الأعلى والأسفل يدبر الأسفل .

أما هذه العقد الشوكية فلها تدير منزلي وتسمى هذه العقد وما تفرع منها (بالجهاز العصبي الاشتراكي السمبائوي وهذه صورته (انظر شكل ٢٢) .



(شكل ٢٢ - الجهاز العصبي الاشتراكي)

فها هنا يقول ذلك الحكيم : ماهذه العجائب ؟ جهاز للحس بالأمور التي تحت إرادتنا وجهاز للحس بالأمور التي ليست تحت إرادتنا . ثم إن الزوج الواحد من الثلاثة والأربعين زوجا عصبيا الخارجات من المخ والحبل الشوكي فيه عصب للحس وعصب للحركة ، فمخ أحس الإنسان بشيء من الخارج مثلا انتقل الخبر حالا في عصب الحس فوصل الخبر إما إلى المخ إن كان من أعصاب المخ أو إلى الحبل الشوكي إن كان من أعصاب الحبل الشوكي ومنه ينتقل إلى المخ ، وهناك يأمر المخ حالا عصب الحركة فيوصلها حالا إلى ظاهر الجسم فيبعد العضو عن الخطر أسرع من البرق .

ثم يقول حينئذ ذلك الحكيم : إن الجهاز العصبي عبارة عن عالم مباشر لعوالم حية . فهذا العالم أرق من عالم الغذاء ومن عالم التنفس ، هو عالم يشبه عالم الملائكة . فنقول إذا : هذا هو درس الوجود بأكمله لأن هذا الجسم هو الوحي الذي أقرؤه ولقد قرأته في هذا التفسير بصور مختلفة وكلها أمور عظيمة مدهشة .

ثم يقول : بهذا عرفت « من عرف نفسه عرف ربه » وهنا ينظر نظرة أخرى فيقول إن الإنسان قد يكون نائما فيؤذبه برغوث فلا يحس به ولكن العضو نفسه يتحرك لما الذي حركه ؟ القوة الحاكمة في الدماغ نائمة وبعد البحث والدرس الطويل يفهم أن هناك حركة تسمى الحركة العكسية إذ يجد أن النخاع الشوكي إذا قطع من موضع معين فإن جميع الحركات الإرادية والحسية في الأعضاء التي تنفرع فيها الأعصاب الخارجة من النخاع الشوكي أسفل هذا تنقف : أي أنه يحصل هناك تخدير وشلل . إذن النخاع الشوكي هو الواسطة في نقل التيارات العصبية الحركية والحسية كما تقدم . ولكن إذا قرصنا هذا العضو الفاقد الإحساس أو للشلول الذي لاصلة بينه وبين المخ أو هيبتناه فإننا نجد عضلاته تنقبض فجأة وليس للإرادة عليه أدنى تأثير فهذه هي السهامة بالحركة للعكسة ، فالتيار الإحساسي ينقلب في النخاع الشوكي إلى تيار حركي يرجع في بعض الأعصاب المحركة وهي تنبه العضلات للنفرة فتدعوها إلى الانقباض .

وإذن ينظر ذلك الحكيم نظرة أخرى فيقول : (هنا أدب جم في دراسة هذا الجسم ، فها هنا ملك سكن في قصره وهو المخ فدبر أشرف ما فيه وهي الحواس كالسمع والبصر باثني عشر زوجا وأرسل من قبله حكاما آخرين قد ظهروا في الحبل الشوكي ، وهؤلاء الحكماء نواب عنه يتلقون الأخبار بواسطة الأحد والثلاثين زوجا من الأعصاب ويوصلونها إلى المخ ، وهو الأمر الناهي ومن دون ذلك طائفة لها نظام آخر وهي طائفة الجهاز (السمباثوي) وهي العقد العصبية للصفوفة على جانبي العمود الفقري كما تقدم فهذه أشبه بعمال الزراعة والتجارة والصناعة أي أعمال الدولة الداخلة ، فأما الملك وأعدائه فلهم نظام أعلى وأعمال أهم وأعظم . ثم يقول الحكيم : إن هذا الملك الذي استوى على عرشه له أعوان ثلاثة هي :

(١) الحس المشترك الذي يجمع كل ما أدركته الحواس ومعه القوة الخيالية التي تخال وتصور صوراً لآنها لها مما اقتبسته من الحواس .

(٢) القوة المفكرة التي لها السلطان على المعاني المعقولة والأفكار السامية والقضايا المنطقية ومعرفة الأسرار

(٣) والقوة التذاكرة التي تتذكر ما عرفناه عندنا من الصور والقضايا العقلية .

فالخيالية بها جميع العلوم الجميلة من الرسم والتصوير والشعر الخ والمفكرة تعرف نظام الطبيعة ونظام الجسم وتبحث عن وجود الله والعوالم العلوية ؛ والتذاكرة بها علوم المواليد الثلاثة والفلك والرياضيات وتاريخ الناس فهذه كلها تحضرها التذاكرة إذ تتذكر ماضى بحسب درجاته .

فهؤلاء الثلاثة أعوان للنفس . ولها أيضا ترجمان يترجم جميع ما ذكر وهو اللسان . ولها وزير هي اليد فهي تفعل كل ما يطلبه النفس وتبرزه للخارج كما أبرزه اللسان بصورة كلمات وهي صور في الهواء يسمعونها السامعون فيفهمون .

ثم ينظر ذلك الحكيم نظرة أخرى فيقول : (إن الحركة العكسية التي لاتصل إلى اللخ أشبه بتدبير الشخص نفسه في عالم الإنسان . فسكنا أن العضو المشاغل أو العضو السليم في حال نومنا يفعل أفعالا عكسية لا علاقة لها بالمخ هكذا الفرد في الأمة مشغول عن تدبير نفسه هو وهذا هو علم تهذيب النفس الذي ألف له ابن مسكويه كتابه . ويرى أن الجهاز السمبائوي الذي يحكم في الأعضاء التي ليست تحت إرادتنا أشبه بنظام سياسة المنزل والجهاز المركزي وفرعه أشبه بنظام المدينة . انتهى والحمد لله رب العالمين .

هذا هو ما فتح الله به في تفسير قوله تعالى « والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بمله » ولولا علمه ما نظمت هذه الأعضاء ولا الأعصاب ولا المخ ولا العقل ولا العلوم ولا نظامها « وأن إلى ربك المنتهى » كتب بعد ظهر يوم الاثنين الثاني من شهر شوال سنة ١٣٤٨ هـ

تذييل للمقام المتقدم

بعد ما كتبت ما تقدم قلت للصلاة ثم لرياضة فخطر لي ما يأتي :

ذلك أن الحكيم الذي يتفكر في هذا الموضوع ويرى هذه الناظر والمعاني يتعجب فوق ما تقدم ويقول : يا سبحان الله ، علم التشريح الآن وعلوم المواليد الثلاثة اليوم أصبحت بسبب التصوير الشمسي واضحة ظاهرة ، فنحن الآن في هذا التفسير لم نحتاج إلى إنسان لشرح ولا حيوان بل كفاونا أن ننظر الصور . فيا سبحان الله ، إن الله ذم أقواما فقال « ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم » وألزم الناس الحجة غيبهم ومقلدهم وعالمهم فقال « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا » فهؤلاء الشهداء ليسوا سواسية ، فمنهم من شهد بالحق وهو الذي قيل فيه « إلا من شهد بالحق وهم يعلمون » ومنهم من شهد وهو غافل لأنه غير مستعد وإن كان أعلم الناس بعلم التشريح فهذا يكون علم التشريح عنده أشبه بمزرعة الزارع يحتمل لتنظيف الأرض من الحشائش ويسقي الزرع ولكنه لا يدري من أسرار النبات شيئا ، كذلك هذا يحتمل في حفظ الأعضاء ومداواتها وتغذيتها ولكنه غافل عن أسرارها وعجائبها التي يعرفها الأذكيا من قراء هذا التفسير وإن كانوا هم أقل منه علما بالتشريح كما يعرف عالم النبات تركيبه وعجائبه وإن كان لا يعرف طرق الري ولا أحوال الزراعة ، ومنهم من هو مستعد لفهم ولكنه مقلد ، وإلى هاتين الطائفتين قال تعالى بعد ما تقدم « أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين » وهذا لمن في استعدادهم نقص « أو تقولوا إنما أشرك آبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم » وهؤلاء المقلدون . والفريق الأول هم الذين شهدوا بالحق إذ أشهدهم الله ، فهؤلاء قالوا بلى وهم يشاهدون نظام أنفسهم والآخرين لا يشهدون بالحق لأنهم مقلدون أو غافلون ، والفريق الأول هو المذكور في قوله تعالى « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط » فأنه يشهد أنه منفرد بالألوهية قائم بالنظام والعدل والملائكة استعدوا الشهادة منه وعلما الأرض استمدوا من الملائكة فهم يشهدون بالحق ، ومن الشهداء بالحق قراء هذا التفسير بشرط أن يكونوا أذكيا ، فهؤلاء هم الموقنون بما شهدوا لأنهم يشاهدون عجائب الخلوقات بأنفسهم ويفهمونها ، وهذه الطائفة الشاهدة هي المقصودة من هذه الدنيا ، فهم بمشاهدة هذه العجائب يرشحون إلى الدخول في عوالم اللطف ويكونون « عند ملك مقتدر » لأنهم أولا في هذه الدنيا يؤدون الخدمة الواجبة لهذا النوع الإنساني وهم في نفوسهم قد درسوا عجائبها فسكنت لهم القوتان العملية والعملية ، وما الحياة إلا علم وعمل كما أن الأعصاب للحس والحركة فالجس راجع للعلم . والحركة راجعة للعمل ، فزوج العصب الواحد نظامه كنظام الوجود كله .

ثم ينظر هذا الحكيم نظرة أخرى فيقول يا عجباً؛ إننا نقرأ النحو والصرف والبلاغة ونلاحظها في الإنشاء فإذا أخذنا نكتب المقالات ونؤلف الكتب نجد أننا غير مفكرين في تلك العلوم اللفظية الثلاثة بل هي أصبحت عندنا غريزة وهذه الغريزة جعلناها شبكة نصطاد بها معاني أخرى هكذا نرى هذا الجسم الإنساني قد اشتمل على الدائرة الغذائية والدائرة التنفسية والدائرة الدموية، وهذه الدوائر الثلاث عندنا أصبحت كدوائر النحو والصرف وعلوم البلاغة نستعملها ولا نفكر فيها ونطلب بها غيرها، فهذه الدوائر في أجسامنا تحت إشراف أرواحنا وفي إدارتها ولكننا غير مفكرين فيها ولذلك رأينا لها نظاما خاصا وهو النظام (السمبائوي) وهذه طلبنا بها غيرها وهي المعاني العقلية التي تقتضها بالحواس المستعملة للأعصاب التي تقدم شرحها.

ثم ينظر ذلك الحكيم فيقول: إن قوله تعالى « والله خلقكم من تراب » يتضمن العناصر والعناصر تبلغ فوق الثمانين وهي مادة راجعة في جوهرها إلى الحركات والأضواء التي تقدم شرحها في (سورة النور) عند آية « الله نور السموات والأرض » في بحث قطرة الماء هناك، فإن المواد ترجع كلها إلى أضواء والأضواء متحركات فترسم دوائر وهمية والدوائر الوهمية باختلاف وتنوع حركاتها تظهر أنها مواد فيكون الحيوان والنبات وهكذا لما وصلت هذه المواد إلى جسم الحيوان أخذت ترتقي مرة ثانية من غذاء إلى دم إلى حركة وحس في الأعصاب واللح والعقل، فأولها حركة مع إحساس بعقل عام منظم لها في السكون وانتهت هنا إلى حركات وعقل خاص في جسم الإنسان الواحد، وهذا أشبه بمثال صغير لآية « كما بدأنا أول خلق نعيده » ولقوله تعالى « يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يرجع إليه » .
فها هي ذه المادة أصلها الحركات والأنوار فرجعت في النهاية إلى الحس والحركة في اللح والجبل الشوكي والعقل والقوى في الدماغ « وأن إلى ربك المنتهى » .

ثم ينظر ذلك الحكيم أيضا فيقول: نظام هذا الجسم بديع كإبداع السموات فإننا نجد وضع كل عضو في موضعه، وهذه طبقات الجسم منظمات أعلاها اللح تحمك فيه القوة العاقلة والقلب في الصدر والمعدة والأمعاء أسفل من الجميع فهذه مراتب متقنة، وهكذا نرى نظام الشمس مع سيارتها وأقمارها كل منها في مركزه الخاص، وهكذا حركاتها السنوية والشهرية والحسوف والكسوف لها أوقات محددة، كل هذا تقدم في هذا التفسير .

ثم ينظر ذلك الحكيم فيقول « يا عجباً . ما لي أرى هذا الإنسان جاهلا . كيف يغفل عن نظام جسمه ؟ هذا الجسم متقن لم يترك فيه غدة إلا لها عمل . فهذه الغدد الدهنية والغدد العرقية والغدد اللعابية والدرقية والتييموسية والنخامية والبنكرياسية والكبد والصفراء وأمثالها والأثنيان للرجل والبيض للمرأة فهذه كلها لها أعمال فلامعطل في الجسم . أما هذا الإنسان الجهول فإنه متى أعطى ملكا مال إلى الراحة وأكل أموال الناس بالباطل فيحصل البطر والبطالة فيموت الشعب . وهذا هو الذي حصل في دولة الرومان ودولة العرب ودولة الترك وأخيرا دولة إنجلترا . هذه الدولة التي عاشت بفضل مستعمراتها في الهند وأستراليا وكندا وبارلندا وغيرها فألف الشعب الاتسكال على الأمم وكثر العاطلون وعددهم في هذا الشهر وهو فبراير سنة ١٩٣٠ فوق ألف ألف وخمسمائة ألف إنسان . فهذه ليست نظام طبيعة الجسم لأن طبيعته أن لا يترك عضوا بلا عمل والله يقول « وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لأعين ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون » ويقول « وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو » إذن الناس ماداموا مخالفين لسنة الله فإنهم معذبون هو لا يلب ولا يخلق شيئا باطلا وهم يلبون بتعطيل القوى والمنافع . والدول الأوروبية اليوم تعطل قوى الأمم التي تحتل بلادها فيقتص منها الله بحلول الخلل في نظامها وكثرة الثورات وظهور الاشتراكيين والفوضويين وليس من اللعب واللهو الأعمال الرياضية بل هي لتقوية الجسم . إذن هي من أعمال الجهد فليست باطله إنما الباطل

هو تضييع المنفعة من قوى الأمم الغالبة بالانسكال على أعمال الأمم المغلوبة وتعطيل قوى هؤلاء المغلوبين التي بها يرتقون عن طبقة العمال ولهذا قال تعالى « ولكن أكثرهم لا يعلمون » فعدم علم الناس وجهلهم غشى على عقولهم فلم يفهموا هذا الوجود فظنوا أن الراحة هي نهاية السعادة فخاب فألمهم وضل سعيهم في الحياة الدنيا وجهلوا نظام النحل وأنه يقتل الذكور إذا حملت الملكة من ذكور أخرى من خلية غيرها فإن لاداعي لبقاء هؤلاء الذكور في الخلية بلا عمل فيقتل النحل هؤلاء الذكور . وهذه هي سنة هذا السكون إذن لا يسعد الناس فوق هذه الأرض إلا إذا اختص كل امرئ وكل جماعة وكل دولة بعام أهل له كأعضاء الجسم وأعصابه وعضلاته وحواسه . هذا ماخطر لي بعد الرياضة البدنية وكتب ليلة الثلاثاء الثالث من شهر شوال سنة ١٣٤٨ هـ والحمد لله رب العالمين .

مسامرة في نظام الإنسان وجماله

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله محمد وآله « أما بعد » فإنني أكتب هذا قبيل الفجر يوم الأربعاء (٩) إبريل سنة ١٩٣٠ وهي مسامرة بيني وبين بعض العلماء ذلك أن بعضهم لما اطلع على هذه الصور الجميلة التي أودعها الله في الإنسان . قال : هذا نظام حسن بديع ولكن حدثني رعاك الله كيف أكثر من ذكر هذه المسائل . وكيف لهجت في أكثر كتبك بأن هذا هو الجمال وأنه يشير في القلوب نأثرة الحب والعشق للبديع . فلقد تكررت هذا في هذا التفسير . نحن لا نريد أن نكون مقلدين في أمثال هذا بل نود أن يكون القول مطابقا لما في النفوس فإن أكثر الصوفية وبعض العلماء نسمعهم يذكرون هذا وهي شئنة أعرفها من أخزم . وهذا ضرب مثل معناه أن هذه عادة هؤلاء . فقلت : أنا لم أكثر من هذه العجائب اعتباطا بل أنا أكتبها وأعلم أن تكرارها وترادفها يحدث في بلاد الإسلام ارتقاء وإسعادا للروح وللجسم معا بإشراق القلوب بالحكمة وبالإسراع في ارتقاء هذه الأمم الإنسانية لاسيما الإسلامية فأما إنه باعث على العشق والحب فأنا أبينه الآن فأقول :

إن الله خلق في عالمنا صوراً جميلة وجعل نظام هذا الإنسان وقبلة الحيوان على الزوجين الذكر والأنثى وأبدع في خلقهما ما يشاء أن يبدع وفتح باب النقش والتصوير والإبداع في الوجوه البهجة وجعل الأعلى منها قليلا أي جعل الجمال الأكل في وجوه الناس قليلا ليكون قبلة الأنظار ويرسم في القلوب لأن القليل يحفظ والكثير لا يوجب انجاء النظر ويصبح معتادا عند الناس فلا يبهج لهم بالا ، فهذه الوجوه الجميلة الممتازة نموذج لأعلى الجمال الإنساني وهذا يدعو العاقل للتفكير في هذا الأسلوب فيقول : لم يخلق التناسب والجمال ، وهذا السؤال جوابه ظاهر وهو النواد والتحاب والائتناس لاسيما بين الذكور والإناث ، ثم ينظر فيرى أن هذا الجمال بعد قليل ينسى ويحل محله جمال النفوس بالتربية والمحافظة على الأطفال في المنازل ، ويرى هذا الجمال يأخذ في الضعف . والرحمة والرأفة بالأطفال يأخذان في الزيادة ، فترى وجهي الأبوبن يأخذان في التشوه والتجميد والتعطيب ويرحل ذلك الجمال الظاهر ويحل محله الجمال الباطن فترى أن هذين المرمين أخذتا يعانقان أبناءهما وبناتهما بدل معانقة أحدهما الآخر ، وترى هذه التربية تهوى إلى هذين الشيخين حبا في عطفهما لا غرام بجمالهما الظاهري . هنالك نعرف أن هنا جمالا مخبوءا في هذه الدنيا فلنبحث فيه عسى أن ندركه فماذا نرى ؟ نرى مدارس وعلماء وحكماء ، وكلما كان الحكيم أغزر علما كانت القلوب إليه أميل ولحبه

أسرع ، فبعد أن كان الصبي مقرما بهذين الهرمين في صباح نجد غرامه تحول إلى الأستاذين والمعلمين لأنه رأى كلاً وجمالاً أرقى ونقوساً أسعد وأشرف ، فرحة هذين الهرمين تعطيه الطعام والشراب والكساء لجسمه ولكن روحه بفطرتها تعلم أن مغذيات الروح أشرف من مغذيات الأجسام ، فهو يسمع من أفواه المعلمين ما يسعد روحه وقد تعلم من الأبوين دروس الحب لهما ووازنت نفسه بين المدرسين ، فهنا أخذ يسمع العلوم اللسانية والطبيعية والرياضية فسكاً كان يحب أمه لتغذية جسمه هكذا أخذ يحب معلمه لتغذية روحه وبعد أن كان يلهج بذكر الأم والأب أخذ يلهج بذكر المعلم وأخذ الحب يرتقي قليلاً قليلاً . ويكون الحب للمعلم على مقدار ماتعلم منه فإن رآه في النحو عالماً أحبه بمقدار ذلك العلم وإن رآه في علم الفلك بارعاً ازداد حبه له وهكذا كلما شارك أستاذه في علم ازدادت نفسه حبا لأستاذه وهناك يرتقي في المعرفة ويتبعها الارتقاء في الحب والحب هو السعادة في هذا العالم ولا يزال يرتقي حتى يفكر في عالم هو معلم العلماء وهو الله تعالى قال : فاضرب لي مثلاً لهذا الحب على شريطة أن يكون ذلك في موضوعنا . فقلت نعم . تصور أناساً جلسوا وأخذوا يتحدثون في الألفاظ والمهاجاة فقال قائل منهم : أنا أطلب معرفة رقيقين عديدين إذا ضا إلى عدد آخر مركب من هذين الرقيقين أنفسهما معكوساً ترتيبهما يكون مجموع العددين المذكورين (٥٥) وإذا طرح أحد الرقيقين من الآخر كان الفرق بينهما (٣) فما هما العددان ؟ فهائنا شغل أفهام السامعين في هذا اللغز إذ هم ملزمون أن يكون العددان مجموعهما (٥٥) مع أنه يشترط شرطان : أن يعكس ترتيب وضعهما . وأن يكون فرق ما بينهما عدد (٣) ولا جرم أن هذا يدعو الجالسين أن يجربوا عدة مرات وهيئات أن يتم لهم ذلك بالحدس والتخمين فحتى جاء رجل وكان يحسن علم الجبر فإنه يفعل هكذا في حال ما إذا كان العددان (١١٠) والفرق بينهما (٦)

س زائد ١٠ ص زائد ١٠ س = ١١٠

أو س زائد ص = ١٠

س - ص = ٦

٢ س = ١٦

س = ٨

إذن ص = ٢

فيكون أحد الرقيقين ٨ والآخر ٢ أي ٢٨ و ٨٢ ومجموعهما ١١٠ والفرق بين الرقيقين ٦ وإذا جعل مجموع العددين (٥٥) والفرق بين الرقيقين (٣) مثلاً كما تقدم حدث عندنا س = $\frac{٥٥}{١١}$ زائد ٣ = ٨ أوس = ٤ إذن ص = ١ فيكون العددان ١٤ و ٤١ والفرق بين الرقيقين ٣ ومجموعهما ٥٥ فحتى قال هذه ذلك العالم للمتناظرين وحل هذه المسألة فرح به الجالسون وأحلوه المحل اللائق به وأحبوه وأقبلوا عليه فإذا سمعوا منه حل للمسائل في الهندسة والفقه والنحو والصرف والبلاغة والسياسة أخذ بمجامع قلوبهم على مقدار علمه وهذا يذنب للتسامرين حب سواه وإذا سأل سائل فقال : رجل له فرس حضره ثلاثة أشخاص لشراؤها منه فسألوه عن ثمنها فذكره لهم فقال أكبرهم لأوسطهم : إن أعطيتني ثلاثة أخماس مامعك من الديناير صار معي ثمن الفرس وقال الأوسط للأصغر : إن أعطيتني أربعة أسباع مامعك من الديناير صار معي ثمن الفرس وقال الأصغر للأكبر : إن أعطيتني خمسة أثمان مامعك من الديناير صار معي ثمن الفرس فسكّم كان ثمن الفرس دينارا ، وكل كان مع كل واحد من الثلاثة من الديناير .

فسكّم يكون سرورك حينما تحل المسألة حلاً عجيباً فنقول (س) رمز للأكبر و (ص) رمز للأوسط و (ع) رمز للأصغر . ثم نقول س يساوي ص زائد $\frac{١}{٢}$ ص و ص يساوي $\frac{٤}{٧}$ ع زائد ع و ع يساوي

س زائد س والثمن كله يساوي ٣ في ٤ في ٥ زائد ٥ في ٧ في ٨ يساوي ٣٤٠ .

وس يساوي (٢ في ٧) زائد (٣ في ٤) وكلاهما يساوي ٢٦ و ٢٦ في ٨ يساوي (٢٠٨) هو مامع الأكبر فلنطرح ٢٠٨ من ٣٤٠ يصير $\frac{1}{2}$ مامع الأوسط وهو ١٣٢ و ١٣٢ زائد $\frac{1}{2}$ في ١٣٢ يساوي ٨٨ و ٨٨ زائد ١٣٢ يساوي ٢٢٠ وهو مامع الأوسط وذلك أن ٨٨ هي خمسان أضفناهما إلى ١٣٢ وهي ثلاثة أخماس أما مامع الأصغر فإننا نعرفه بطرح ٢٢٠ من ٣٤٠ فيكون الباقي ١٢٠ وهذا هو $\frac{1}{3}$ مامع الأصغر فإذا زدنا عليه $\frac{1}{3}$ منه يكون هو ما معه $\frac{2}{3}$ في ١٢٠ يساوي ٩٠ و ٩٠ زائد ١٢٠ يساوي ٢١٠ فالذي مع الأصغر ٢١٠ إذن الذي مع الأكبر ٢٠٨ ومع الأوسط ٢٢٠ ومع الأصغر ٢١٠ .

أقول : إنك إذا أجبت السائل بهذا الجواب بعد هذا الجهد في هذه المسألة الجبرية فانك تجد في نفسك سرورا وبهجة وهي مسألة مادية جزئية فمن فرس فما بالك إذا رأيت نفسك قد أشرقت على هذه العوالم كلها وأخذت تحل مشكلاتها وتعرف مخبأاتها . إنك إذن تسكون أوفر سعادة وأكثر لذة .

وهالك حديثي مع المرحوم الشيخ محمد عسكر وهو كان مدرسا بالحديوية قبل ولادتي ثم اجتمعت به وهو هرم ولم أره من قبل جلست معه يومين بليالهما وحوله شبان ذوو جمال وثروة وعلم . فقلت له . أيها الأستاذ لماذا أرى قلمي يميل لك مع أن حولنا الجمال البديع . فقال : لأنك لا ترى الجمال الحقيقي إلا في أنا . وهذا الجواب حقيقي منطبق على كل عالم أخذ الناس عنه علوما . إذن فلنرجع إلى إبداع أجسامنا ولننظر هذا الجسم الإنساني ولنقتصر الكلام عليه .

فقال صاحبي : ولكنك مثلت بمثال من علم الجبر . وهل كل قراء التفسير يعرفون الجبر ؟ كلا . فقلت هذه الحروف والإشارات الجبرية لا بد منها لحل المسألة ووضعها لا يضر . ذلك لتحدث عند من لم يقرأ هذا العلم شوقا إليه وهو قد عرف النتيجة . وإذا أدرك أن هذه المسألة تشرح صدر المتسامرين وتجعل في قلوبهم حبا لمن حلها واعظاما فهناك يقيس النظام العام على النظام الخاص ، فقال : وكيف ذلك ؟ فقلت : العقلاء يدركون الفرح والحب والإعظام لمن حل هذه المسألة . فقال : حقا ذلك ؟ فقلت : فإذا عرفوا أن أجسامنا وتغذيتها ما هي إلا لغز يحتاج إلى أضعاف أضعاف هذا الحل ثم أدركوا حل لغزه دهشوا وأغرموا بمن حل ذلك اللغز . إن هذا النوع الإنساني أمره عجب هو نفسه لغز ولا يدرك ذلك . ومتى درس علوما كثيرة رجع فوجد نفس هذا الجسم كله علوما فيقرؤه فيجب من ملاءم بالعلم الرموز فيه . ألم تر أن الإنسان يدهش إذا قرأ في (سورة يونس) نظام الهرم بمصر وأن أبعاده ومقاييسها لها نسبة إلى مدار الأرض حول الشمس من حيث مقياس أربع جهاته ونسبة أخرى من حيث ارتفاعه إلى بعد الشمس عن الأرض ونسب أخرى كثيرة إلى مكايل الصريين وموازينهم .

إن قلب الإنسان يدهش ويحس بإعظام لذلك الحكيم المصري الذي فسر في أن يجعل نسبة بين مقياس الهرم وبين السكيلة والإردب والرطل والدرهم والأوقية والفدان والقيراط والسهم والدرع البلدي والعماري وهكذا مدار الشمس وبعدها عن الأرض ، فهو إذن يكون أكثر دهشا إذا عرف نسبة هذا الجسم الإنساني إلى الخلوقات حوله ، ولكن لغز الإنسان في كل يوم يحتاج إلى حل جديد لأن حله إلى الآن لم يتم . قال أوضح ما تقول . فقلت أذكر لك بعض أمثلة يقولها العلماء في الطب حديثا : (إن أكل الهندبا (اسمه في مصر جعضيض) وأكل البصل ينفع السكبد . وأكل البقدونس وكشك الماز والفجل ينفع لمرض الكلا ومرض يسمى (الرجريج) ينفع الطماطم والليمون . وللجلد الجزر وللشجاعة البرتقال والليمون) وهكذا بحث العلماء في الأغذية وقلوا إنها إذا نظمت لا يحتاج الإنسان إلى دواء . وقد وجدوا الجسم يحتاج إلى المواد الزلالية كاللحم والبيض وإلى المواد الدهنية والشحمية والمواد النشوية وهكذا الماء والملح .

فانظر إلى مواد حيوانية وأخرى نباتية وأخرى معدنية لا بد منها في نظام أجسامنا الإنسانية كأجسام الحيوان وإذا نقص منها واحد حصل لنا مرض بقدره كما يضعف النبات بنقص عنصر من مغذياته . ولكن هذه المواد من المواليد الثلاثة ومن الماء أكثرها غليظ . فكيف السبيل إلى انتظام هذه الاجزاء وتصويرها عينا ورجلا وبدا وأذنا فلنحل هذه المسألة . هنالك قال الله لنا : أنا أخلق سنا لقطع ونابا للتمزيق وضرسا للطحن ومجموعها (٣٢) سنا مقسمة على تلك المواد . وبعد ذلك يحتاج الطعام إلى الإذابة فكيف السبيل لذلك ؟ ترى ثلاثة أزواج أنهر في الفم : تحت الحدين وتحت اللسان وتحت الشفة السفلى .

وهذه الأنهر الست يختص عملها بالمواد النشوية وما بقي منها يحوله عصير آخر في الأمعاء إلى مادة سكرية والمواد الشحمية تحولها الصفراء والبنكرياس في القناة الهضمية إلى مادة كالصابون ليتمكن امتصاصها والمواد الزلالية تحول في المعدة بعصيرها . أما الماء والملح فلا يتحولان إلى شيء فها هنا (٣٢) و (٦) منابع في الفم والصفراء والبنكرياس والعصارات العديدة واللعوية وهكذا فهي تبلغ نحو (٤٣) كل هؤلاء صناع يصنعون في الطعام داخل أجسامنا لينهاً للامتصاص ودخول الدم . وهذا كله يضاف إليه فعل نفس المعدة انقباضا وانبساطا . فهناك يتحول الطعام إلى سائل سنجابي اللون يقبل الامتصاص ، ألا يعجب الناس أن يكون الفم للنشوي والمعدة للزلالي كالبيض واللحم بعد البنكرياس والأمعاء لما بقي من المادة النشوية المهضومة في الفم ولإتمام تحويل المواد الدسمة بعد البنكرياس والصفراء .

ولو أننا تركنا أكل المواد الزيتية ونحوها لاعترانا مرض كما اتفق لي مرارا . فإني منذ عشر سنين اقتصرت على الخضر وظننت أن ذلك كاف ونسيت الدهن فأصبح الدم كثير الماء لأنه فقد المادة المغاوية التي يحدها الدهن فابتليت بالرعاف . ولكن الأطباء ليس لهم عمل إلا للدواة . وقابلني طبيب حاذق وقدنظر في جسمي من الداخل فوجد بقعا ملونة ، فقال لا تخف هذا مرض لا يعدي ولكنه يدل على نقص في التغذية . إذن نقص التغذية بالمواد الدهنية التي لم أحفل بها (لأنني قرأت في الكتب أن الاكتفاء بالخضر نافع) كان سببا لمرضين خروج الدم من الأنف بكثرة وتلون الجلد ببقع غير حسنة . وبقيت كذلك لا علم لي بهذا النظام حتى قرأت حديثا كتبيا في التغذية فصررت أكل الزيت والفاكهة والخبز مع السن والزبدة فزال المرض إذ زالت البقع من جلدي ولم يرجع إلى الرعاف مرة أخرى منذ أكثر من سنتين بل أنا لم أتعاط دواء بعد ذلك .

الله أكبر . إذن أنت يا الله جعلت أجسامنا لغزا وأمرتنا بحله وقلت لنا : (يا عبادي اسمعوا . أتم تحلون مسائل الجبر والحساب والفلك . ولكن أجسامكم نظامها معقد وإذا أخطأتم في حل مشكلاتها كان الهلاك كما يحصل الخطأ في حل المسائل الحسائية إذا حصل خطأ في الحساب .

انظروا إلى ما حولكم ، إن جسمكم مشتق منه ، فهو من الماء ومن الملح ومن النبات ومن الحيوان ومن الهواء ولا مرض يحل بكم إلا بسبب نقص أو جهل في مقادير الطعام أو الشراب . هنالك يجد الحسكاه في نفوسهم سرورا لاحد له وجبا عظيما للمبدع الذي خلق المرض فينا ليحدث عندنا فسكرة في نظام طعامنا ويفتح باب العلم ، فهنا يكون (أمران) صحة أجسامنا بنظام الطعام وأهم منه إسعاد النفس بإدراك ذلك الحكيم الذي أتقن ذلك النظام .

إن قراء هذا التفسير المدركين للعجائب المذكورة فيه يرون في نفوسهم حبا وعشقا مفرطين لصانع العالم وهنالك تكون سعادة تزداد بازدياد العلم . وهذه مبدأ سعادات أخرى في هذه الدنيا ثم في الآخرة وتتكون هناك أشرف من سعادة الجنة الحسية بما لا حد له .

إن قراء هذا التفسير يكون الأذكيا منهم سعداء في الدنيا وفي الآخرة ، اللهم إنك بما صنعت في

أجسامنا من الإحكام والإبداع وتقسيم المصانع التي أبدعتها في القناة الهضمية على الطعام الذي وزعته على مناطق الأرض تدهشنا . لماذا تدهشنا ؟ تدهشنا لأننا نرى أرزا ودقيقا ناعما مثلا يتجاذبهما لعاب المعدة والأمعاء ونرى زيتا وشحما وهكذا خوارج من النبات والحيوان قد تجاذبها الأمعاء والصفراء والبنكرياس ونرى أيضا ولحما وأمثالها يتجاذبها البنكرياس والمعدة . ههنا مناطق أرضية ربيت فيها النبات والحيوان ومناطق في القناة الهضمية وزعت عليها ما ربيته في تلك المناطق الأرضية . فباعجا مناطق في أجسامنا مقسمات على نواحي المناطق الأرضية كما قسمت المناطق السماوية والأرضية على مناطق المخ . فلحساب مناطق في الدماغ وبقية العلوم الرياضية والطبيعية . وهكذا فمعارف العوالم كلها موزعات على مناطق الدماغ المقسمات تقسما منتظما على مقتضى العلوم . فيار باه قسمت قناة الهضم وقسمت الدماغ وأعدتهما لاقتسام مناطق المخلوقات صورا ذهنية وصورا جسمية وقلت « وفي أنفسكم أفلا تبصرون » .

فياويل من مات وهو جاهل بهذا النظام عاجز عن إدراك هذا الجمال . جوع نحس به يدعونا إلى تعاطي الطعام فنزرع ونحصد ونسطاد ونأكل فتتلقاه مناطق الهضم بآلاته ومناطق العقل بتصويراته . حسب أبدعت وآيات نظمت . إذن نحن خلقنا العلم وإلا فما هذا الأحكام والجمال ، جسم صغير ثمانية أشبار بشري يمثل ماحولنا (تمثيلين) تمثيلا جسميا ، وتمثيلا عقليا . ثم تمثيلا متوسطا بواسطة اللسان إذ هو معبر عن كل ما تقدم فههنا عقل وههنا جسم وههنا لسان كل منها يمثل العالم بالتمثيل الجسمي والصور الهوائية بالحروف والصور الذهنية المعقولة والعالم كله متصل بهذا الجسم وشئونه .

(مشاهدات لطيفة في بلدة المرج)

قد قلت سابقا في هذا التفسير إنى أقوم كثيرا إلى جهة المرج للملاحظة أرض هناك زراعية ففي يوم الأربعاء (٩) إبريل سنة ١٩٣٠ قبيل طبع هذه السورة توجهت إليها فرأيت جنديا راكبا جوادا يقود فلاحا وبرمح بحصانه فيسله إلى جندي آخر وهكذا رجلا وراء رجل والناس يهربون من الجندي . وهذا منظر غريب يقل نظيره فسألت قبيل إنهم يجمعونهم لمطاردة الجراد لأنه الآن في الجبل الأصفر وهو قريب من قرية المرج وقد قرأت في هذه الأيام في الجرائد في نفس الشهر أن الجراد هجم على مصر من الشرق والجنوب وأنه خطر دائم وأنهم جمعوا من مركز بلبليس (٦٠) زكية من الجراد وهم يستعملون للواد اللتهبة في إبادته وجمعوا الجندي والفلاحين للتعاون على ذلك وأهل فلسطين قد طاردوه قبل أهل مصر . وهكذا تقول جريدة الأهرام يوم الخميس ١٠ إبريل سنة ١٩٣٠ مانصه : (من الطرق للتبعية في بلاد الجزائر لمقاتلة الجراد أن تلقح جرادة أو بعض جرادات بمكروب (كلورا الجراد) وتطلق مع الأسراب فتلقحها بهذا المكروب الذي ينتشر في الحاد انتشارا سريعا ويقضى عليه ، وقد أنبأنا أن الجراد في (سيناء) أصيب بهذا الداء) اه .

إذن الجراد له مرض قتال ووباء عام كوباء الإنسان العام . ومعنى هذا أننا نحن يجب علينا أن نتعلم نظام الجراد وحياة الجراد وقاتل الجراد حتى نحترس منه ، وعلينا أيضا أن نوحده صفوف المصريين لمحاربهته و صفوف الأمم التي حولنا لمحاربهته ، أى على الأمم كلها أن تتحد في درء خطر الجراد (وبعبارة أخرى) أن هذا الإنسان لا كمال له إلا باتحاد جميع الأمم المعروفة على درء الفساد ، إذن الإنسان اليوم ناقص نقصا فاحشا لأن أهل السياسة وعظماء الأمم لا يزالون أطفالا ، أو كالاطفال لأن مصر لو كانت في حرب مع فلسطين لا تكل الجراد قوت البلدين ، فههنا (أمران) اتحاد الأمم للأعمال العظيمة ، ودراسة كل حشرة وكل نبات وكل حيوان .

أما بعد فهذا كله تفسير للآية التي نحن بصدها ، فهذا كله راجع لما نحن فيه من خلق الإنسان من نطفة ، وهذه النطفة أمشاج وأنه ابتلى وجعل سمعاً وبصيراً (وبعبارة أخرى) إن الجوع مبدأ لهذا كله ، الجوع طلب الطعام ، والطعام موزع على سطح الأرض ، وفي الأرض آفات كالجراد . ولا يتم طعامنا إلا بإزالة المهادكات لزرعنا . إذن نحن لم نخرج عن موضوع الآية وكأن هذه الدنيا كلها تطبيق على دروس جسمنا كما أن آيات القرآن حقا وصدقا تستتبع جميع العلوم فكأن أجسامنا علم الفلسفة الذي يجمع العلوم أو كالقرآن الذي يأمر بها ونحوها بعض جملة كآية « قل انظروا ماذا في السموات والأرض » وأي علم يخرج عنها . وقبل أن أختم هذه اللطيفة لا يحصى لي من الإعجاب بخلق الجراد وخلق آفته . إن الذي خلقنا وخلق الجراد وخلق الشمس قال : لا بد للجراد من آفة تناسبه وهي حيوانات ذرية تهلكه وعلى الإنسان أن يدرس الصغار والكبائر من هذه الدنيا ويتجدد على النافع وتكون النتيجة السعادة العلية في الدنيا ، وما هذه العوالم كلها إلا كدار الصور للتحركة (السينا) وهي التي حدثت في زماننا إذ يرسمون الصور على الشريط بالتعاقب صورة وراء صورة ثم يحفظونه وبعد ذلك يضعونه في مكان مظلم ويضيئون الأنوار السكهربائية فنلقى على ذلك الشريط أشعتها تبرز الصور على ما أمامها واضحة جلية كأنها أجسام حقيقية بحر وبر وسما وأرض وسفن وحرب وضرب وسرقة وإهلاك وتدمير وإصلاح ، فهذا يفرح الناس بما هو خير وما هو شر لأنها كلها ترجع إلى الخلق والمهارة والدقة والإبداع . وكل ذلك تحبه النفوس ، فأنا لما كنت في الراج وشاهدت الجندي يقود الفلاح وصمت بمطاردة الجراد لم أر هذا في نظري إلا أنه تمثيل لرواية وتشخيص لحكمة عالية تنزلت لنا بهذه الصور ولكن هذه المناظر أحكم وأبدع ولن يعقل أنها كذلك إلا قليل فأما الكثير فإنهم لا يفرحون إلا بالصور المنقولة عن هذه الصور الحقيقية أو ماتركب منها ، فدور الصور ظل لهذه المظاهر الحقيقية والحقيقة أوضح من ظلها .

فيا أيها المسلمون : هل يعجبكم هكذا أن تعيشوا عائلة على الأمم وأنتم خير أمة أخرجت للناس ، أتضيعون قواكم العقلية بالسكسل وتذرون منافع أرضكم بالجهل . لا ، لا ، لا أيها المسلمون ، أنا ناصح لكم أمين فلاتاموا بعد الآن . شتموا وجدوا واقروا وكل علم ، فوالله لا سعادة في الدنيا إلا بما ذكرته لكم ولا سعادة في الآخرة إلا به . ومن ادعى من صغار العلماء أو صغار العقول أن ديننا لا يطلب هذا كله وأن الجراد ووباء الجراد والنمل ودراسة كل شيء لا موجب له وأن الإنسان تكفيه ظواهر العبادة فقولوا له : اسمع مقالته الغزالي في الإحياء بالحرف الواحد تحت عنوان : (بيان السبب في زيادة النظر في الآخرة على العرفة في الدنيا) وهذا نصه :

وكما أنك ترى في الدنيا من يؤثر لذة الرأس على المظوم والمنكوح وترى من يؤثر لذة العلم وانكشاف مشكلات ماسكوت السموات والأرض وسائر الأمور الإلهية على الرأس وعلى المنكوح والمظوم والشروب جميعا . فكذلك يكون في الآخرة قوم يؤثرون لذة النظر إلى وجه الله تعالى على نعيم الجنة إذ يرجع نعيمها إلى المظوم والمنكوح وهؤلاء بعينهم هم الذين حالهم في الدنيا ما وصفنا من إثارة لذة العلم والعرفة والاطلاع على أسرار الربوبية على لذة المنكوح والمظوم والشروب وسائر الخلق مشغولون به إلى آخره .

وقد نقلت هذه العبارة بنهاها في أول (سورة البقرة) عند ذكر الجنة وملخص ما بقي منها أن الناس يموتون على ما عاشوا عليه وعلمهم يصحبهم وينقلب إلى مشاهدة ونعيم الجنة على قدر الحب في الدنيا والحب بقدر العرفة والعرفة هي أصل السعادات كلها . ولا جرم أن ما ذكرناه من الجراد ووباء الجراد والقناة المضمية وتوزيع الطعام عليها كلها موجبات للحب ولسعادة الدنيا معا . فقرأ هذا التفسير أي أذكيائهم يعطون

(جنتين) جنة في الدنيا بحب العلم والبحث ويترتب عليه إسعاد الأمم . وجنة في الآخرة بسعادة مشاهدة ذلك الحكيم الذي أبدع هذه النفوس وصورها . وإياك أن تظن أن بعض ما ذكرت في هذا المقام يخرج عن معنى آيتنا التي نحن بصدد تفسيرها « والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه » فهو بعلمه دبر الجوع ليحملنا على طلب العلم ونزرع ونأكل وندرس الدنيا كلها ومنها الجراد مثلا ونخرج من الدنيا وقد شهدنا مناظر جميلة تحيينا في لقاءه . إذن أنت أيها الذي من الآن سعيد في الدنيا سعيد في الآخرة . انتهى صباح يوم الجمعة ١١ ابريل سنة ١٩٣٠ .

(لطيفة في قوله تعالى « وما يستوى البحران » إلى قوله « لعلمكم تشكرون »)

(وفيها فصلان)

(الفصل الأول) في بعض عجائب البحر .

(الفصل الثاني) في الفلك للواخر في البحر .

(الفصل الأول في بعض عجائب البحر)

إن هذا المقام تقدم منه كثير في أجزاء هذا التفسير . ولكن لا أخلى هذا المقام من شذرات تسر القارئ وتشرح صدور للفكرين ، تباركت يا الله في جمال أعمالك وبديع إتقانك وإظهارك لنا من المحاسن والبدائع ما يأخذ بالآبائنا ويهيء عقولنا للارتقاء الى عوالم أعلى وأعلى .

ما أبهر بحارك ، وما أعجبا ، تحار عقولنا في جمالها وعظمتها ولا نقف في تلك الحيرة عند حد .

(١) أتقف عند دوامها واتساعها وأمواجها وبطنها وعظمتها المذكورة بعظمة مبدعها ، أم تقف عند ما ترى من حياة تتخلل سائر تلك الطبقات تحت الامواج كأنها جعلت طلام تستعصى علينا دراستها ما لم نجد في تحصيلها ؟ ندرك سرها فنعرف أن من الحيتان أنواعا مثلا مثل (الكشالوت) ذلك الذي يطوف في البحار طولا وعرضا وهو يحول كما تحول الآساد في البر وله أنياب محدات يسطوبها على ضعاف الحيوانات البحرية وإذا أصيب بأي جرح من الإنسان في السفينة فما أشد أندفاعه ومناصرة عشيرته له واجتماعهم على تلك السفينة فلا تزال تلك الجموع تحيط بها وتصارعها حتى تصرعها انتقاما لما أصيب به أحدها من جراح بل إن حوتا منها واحدا هاجم مركبا أمريكيا ولم يزل يهجم عليها حتى حطمها وأزلهما في درجات المياه وبس القرار (٢) إن عقولنا لا تقف عند هذا الحد فإن (الروكان) أقوى منه وأضخم ، أليس طوله يبلغ ١٢٠ قدما على ما قيل وإن كان فيه مبالغة .

(٣) وإذا أردنا التفسر في أعماق المحيط ألقينا السمك في عمق (٢٧٥٠) قامة في تلك الأماكن التي لانور فيها ، وكيف يصل لها النور وهل لنور الشمس سريان أبعد من ٢٠٠ قامة ؟ مثنا قامة فقط وبعدها ظلام حالك ، ففي تلك الأرجاء السحيقة البالغة ٢٥٥٠ قامة بعد انتهاء نور الشمس تعيش أحياء بغير ضوء شمس . وكيف تعيش بلا شمس ؟ أتكون حياة بلا شمس ؟ هذا عجب . ولكننا إذا فكرنا في أمرها بعد ما كشف منها رأينا ما هو أبداع وأعجب ، رأينا أن النور والظلمة خاضعتان لأمر السمكة فلها عضو يشع منه النور متى أرادت . فان احتاجت إلى فريسة أوقوت أضواء السكان بشمسها الصغيرة ، وإذا أحست بمفاجيء لها من أعدائها أطفأت شمسها وغابت في لجج البحر . وقد يجعل ذلك النور إرهابا للمدو وإضعافا لبصره فيكون سلاحا ضوئيا يهزم به العدو الذي به يقضى بصره . وبعض تلك الأسماك في قاع البحر لماع براق (فسفوري) وبعضها فضي اللون ، وهناك لطافة وجمال وحسن وبهاء ، وأعمق البحار كأعلى الجبال انخفاضاً وارتفاعاً

(٤) وهناك الجزائر المرجانية ومنها جزيرة سيلان بالقرب من الهند والجزر البركانية والجزر المرجانية وقد شرحنا كثيرا منها فيما مضى في هذا التفسير. انما الأمر العجيب هنا أن تقول : أليس من العجب أن نجد (الأرض) المذكورة في (سورة سبأ) وتقدم شرح أعمالها وأنها وهي عمياء قد بنت في الأراضي القفرء مدنا أهلة يسكن منها لأحصر لعددتها، تديرها ملكة عظيمة القدر حجمها بمقدار راحة اليد ومعها زوجها المرسوم معها في (سورة سبأ) فهذه الحيوانات الضئيلة قد رفعت بنياتها في اليابسة فبلغ في العلو (٦) أمتار بل ثمانية واتسعت مدنها فكانت أميالا واعتاصت في هدمها على الانسان فلم يهدمها الا بالديناميت فهككنا هنا نجد جزائر في البحر وما بناها الا هذه المخلوقات الضعيفة المسميات بالمرجان تباركت يا الله جزائر في البحر عظيمة في المحيط الهندي والمحيط الهادى (الباسفيكى) بينها حيوان صغير وتكون فيما بعد مزارع ومروجا واسعت تكسوها أشجار (الشوكلاته) للرسومة فيما تقدم في هذا التفسير ، أليس من العجب أن تكون بعض الحشرات البرية وبعض الحيوانات البحرية قد أتحدت على إحداث ما يعجز عن فعله الناس في الأرض؟ وهل للناس من قدرة على أن يحدثوا في البحار جزائر؟ كلا . إنهم لو قدروا على ذلك ما حارب بعضهم بعضا على أرض من اليابسة ، فلو أنهم قدروا على ذلك لصرفوا تلك القوى التي أضاعوها في إعداد آلات الحرب الجهنمية على إيجاد جزائر كجزائر المرجان المعروفة بما يسمونه (بلكاديف وملاديف) أى بحيرة الجزائر أى (١٠٠٠ ر ١٠٠٠) جزيرة و (١٠٠٠) جزيرة فلو قدر الإنسان على الجزائر كما يحدثه المرجان لفعل أكثر منه ولأحدث أراضي في المحيط وقارات فسعدوا سعدا ولكنه جهول يظن عقله آخر ما وصل إليه الإبداع ولم يظن إلى أن هذه الغريزة المرجانية والغريزة التي في الحشرة الأرضية المشروحة في (سورة سبأ) كما قدمنا قد أبدعت إبداعا لم يصل له هذا الإنسان المسكين الذى يفرح بما عنده من العلم وهو لا يزال في أول حروف هجائية « إن الإنسان لظلوم كفار » إنه كان ظلوما جهولا .

أما ظلمه فإنه إلى الآن لا يزال يفخر بأنه يعيش على نهب المال من أخيه الإنسان ، وأما جهله فما هوذا ظاهر في أنه لم يصل إلى علم حشرة أرضية في نظام المدن والبنية ولا إلى علم حيوان المرجان الباني في المحيط جزائر وجزائر ، أليس هذا هو الإبداع والاتقان والجمال (أنظر صورة المرجان في أول سورة النحل في المجلد الثامن وفي آخر سورة الفرقان في المجلد الثانى عشر) انتهى الفصل الأول .

الفصل الثانى فى الفلك المواخر فى البحر

يقول الله « وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعكم تشكرون » فأولا ترى الفلك مواخرا وثانيا تبتغى من فضل الله . وثالثا تشكر الله على ذلك الفضل . فهاهنا ثلاث جواهر .
(الجوهرة الأولى فيما نراه من الفلك المواخر فى البحر)

أما الجاهل فلا يدرك من هذا القول فى القرآن إلا لفظه وإعراجه وصرفه وبلاغته ، فهذا حد الجاهل وكثير من العلماء المتأخرين فى الأمم الإسلامية ، أما الحكيم المفكر فإنه ينظر بعقل أحكم ونظر أعم فيقول : « نحن رأينا الفلك فى البحر مواخر فأى فرق بينها وبين سير الإنسان فى الأرض وركوب الدواب وركوب القطارات الحديدية ، نسمع الله يقول لنا بعد ذلك « لتبتغوا من فضله » لم آتى بهذه الجملة بعد رؤيتنا الفلك مواخر مع أنه يقول : « والحيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة » ولم يقل « لتبتغوا من فضله » وإن كان الجميع من نعم الله وتسهيل أمور الحياة علينا . هاهنا يرجع الحكيم إلى العلوم التى أبرزها الله فى الأرض فإذا يرى أن قوة الحصان الواحد تجرى على الطريق العادى نحو (٣٠٠٠) ثلاثة آلاف رطل بسرعة

ثلاثة أقدام في الثانية وتجر على شريط السكة الحديدية نحو (٣٠٠٠٠) ألف رطل للمسافة نفسها والوقت نفسه، أي إن شريط السكة الحديدية يكسبنا في النقل عشرة أمثال ما نكسبه من السير في الأرض المعتادة فإذا جعلت نفس هذه القوة فوق سطح الماء فإنها تبحر في الزمن نفسه والمسافة عينها (٣٠٠٠٠٠) رطل إذن الماء أكسبنا تسهيلا فوق سهولة السكة الحديدية نحو (٧) مرات تقريبا وفوق ما نتاله في سيرنا المعتاد على اليابسة نحو (٧٠) مرة ، عجب : إن الماء يسهل لنا النقل بنسبة عظيمة جدا لم تصل اليها دوابنا ولا طرقتنا الحديدية. إذن البحر نعمة في النقل تعلو على نعمة الطرقات في السكة الحديدية وعلى الطرق المعبدة (بتشديد الباء) في الأرض . هذا معنى قوله « وترى الفلك مواخر فيه » .

فأما العلامة وصغار العلماء فلا يرون بأبصارهم من السفن إلا كما يسمعون بأذانهم من القرآن مناظر سطحية وألفاظا مقروءة . فالفريقان في ذلك أشبه بمن يرى أمواج البحر ويظن أن البحر ماء حامل للحياة فيه بل الحياة الدنيا كلها عند أكثر هذا الإنسان حياة كالأمواج لاجمال فيها ولا بهاء . فلا جمال في الحياة الدنيا إلا بدراستها ولا بهجة في ماء البحر إلا بتعلم علومه التي عرفها الناس . ولا فائدة يعقلها الإنسان من منظر السفن الماخرات في البحر إلا بدراسة القوى وموازينها كالذي ذكرناه هنا وهناك فقط يفهم لم ذكر الله « لتبتغوا من فضله » بعد ذكر السفن الماخرات في البحر .

إن للماء قوة تدفع الأجسام العائمة عليها إلى أعلى فيخف ثقلها ويحس الإنسان بذلك وهو في البحر فإنك إذا استحمت في البحر كشواطئ الاسكندرية وهناك زجاج مكسور تحت الماء وأنواع من الأدوات الحادة فإنك لا تألم بما يصيبك من هذه الأدوات الحادة لأن الماء سيرفعك رفعا يحفظك من الضغط على أمثال الزجاج فلا يصيبك الجراح . ذلك سر رفع الماء لأجسامنا فتخف وهذه النظرية معروفة في جميع الدوائر العلمية ولها تدابير لا محل لذكرها وهي المعروفة بنظرية (ارشيدريس) فهذه النظرية سر من أسرار الله التي وضعها في الماء وبه جرت سفننا فكانت أسرع نفعاً من دوابنا ومن قطراتنا لذلك عقبه بقوله .

(الجوهرة الثانية « لتبتغوا من فضله »)

هنا نتبع من فضل الله لأننا وجدنا طرقا سهلة معبدات عبدها (بتشديد الباء) الله لنا قبل أن يخلق أبانا آدم . لذلك نتبع من فضله . والمسلمون هم المخاطبون بالقرآن أكثر من غيرهم . فيارب هل الابتغاء من فضلك بالسفن الماخرات قاصر أكثره على غير المسلمين أم المسلمون من عبادك وهم أيضا يبتغون من فضلك بالطرق البحرية للذلات ولا يقتصرون على الطرق الأرضية التي تنقل عن البحار (٧٠) مرة من سهولة النقل . أيها المسلمون : البحار بحار ربكم ، وهو الذي سهلها لكم ولغيركم . لم لا تبتغون من فضل ربكم في بحاره ؟ ولو أنكم جاريتم الأمم في السير في البحر لشرتم فضائل الدين في الأمم بالعلم والافتقار ، فترك الناس أصنامهم وأوثانهم وحلفتم عن الإنسانية جهالتها المتركة وإياكم أن تظنوا أن سير السفن في البحر أمر سهل أو أن الابتغاء من فضل الله بالتجارة بعبادة السفن أمر يسير . إن هنا عالما آخر وهو عالم الأثير . ذلك العالم البديع الذي هو أطف من الهواء . عالم يتدخل في الماء وفي الهواء وفي الأرض وفي الأجسام الحيوانية وفي السماء وفي السكواكب وفي الأرض هو عالم لطيف ينفذ في كل شيء . هذا العالم أيضاً يسعد الإنسان بإسراع المواصلات فيه يكون البريد البرقي (التلغراف) يقسميه أي الذي له سلك والذي لا سلك له ، وهذا لا يد منه لسير السفن في البحار الله أكبر أصبح الإنسان بهذا وبذلك كله كأنه جسم واحد اللهم إنك أنت جعلت العوالم كلها كأنها جسم واحد فأرضك مع شمسك وقمرتك وسياراتك ومجراتك كلها كأنها جسم واحد هكذا هذا الإنسان الجهول المسكين يظهر لنا أنك تسكاد تجعله جسما واحدا فهل يتنحى المسلمون عن هذه الوهبة بالجهالة . هل يتنحى

المسلمون عن استخدام القوة الكهربائية التي يعيها الناس في الفضاء فتتلفها السفن في عرض البحار فتنجو من المخاطر وذلك بنعمة الأثير التي جعلها الله محيطته بنا . فهي أعم وأرقى من الماء والهواء . وإذا شئت شرحا لهذا الموضوع فافقرا ما نقلته من كتاب الجغرافيا التجارية الاقتصادية والجغرافيا البشرية تأليف (محمد بك حمدي) ناظر مدرسة المحاسبة والتجارة وهذا نصه .

البرق السلكي البري والبحري والبرق غير السلكي

انتشرت الأسلاك البرية في الفضاء ومدت البحرية في مياه البحار والمحيطات فانصلت أطراف المعمورة برا وبحرا وأصبح العالم كله وكأنه قطر واحد فهانت المناجاة في قليل من السويحات وانتظمت عقود التجارة الدولية وشاعت أخبارها في الآفاق بالسرعة بسبب سهولة إنجاز البيع والشراء والأخذ والعطاء فيما ينفع الناس واشتبكت المصالح الدولية بشباك أوتادها في كل المدن العظمى وفي الموانئ الكبرى وفي جميع جزر البحار الحسنة للموقع الجغرافي مما يسهل على الطالب تعيينه من الخريطة .

(البرق غير السلكي)

نظيل الكلام في هذا وحده لأن له الآن السكان الأول في جميع أرجاء العالم الرأقي في قضاء الشؤون التجارية وفضله على البرق السلكي . بيا كان أو بحريا واضح جلي لأن الثاني معدود الخطوط محدود الجهات بواسطة الأسلاك . أما الأول فنعم إشارته الأرض قاصبها وذانيها على حسب قوة الدفعة الكهربائية التي تبعث بها من أعلى الفضاء هذا فضلا عن إغاثة السفن في عرض البحار إذا ما حلت بها الأخطار فتتداركها السفن الأخرى المجاورة لها وتنشلها - من ورطتها وفي ذلك من تأمين الأتفس والتجارة ما يرجع بالفائدة العظمى إلى هذا النوع من البرق ولهذا نراه قد شاع ذكره واستعماله حتى لم تخل منه طريق تجارية ولا بلد رئيسية ولا السفن البخارية وبعض الشراعية فقد أصبح لها أمانا وعدة من أزم العدد وإذا قد عم استعماله الآفاق رأينا عدم الحاجة إلى سرد أشهر الموانئ والمدن التي تستخدمه فقد لا يخلو منه الآن موقع ذو شأن في التجارة الدولية والسياسة الخارجية وإذا كان ينقص جهة فهي عاملة حتما على إنشائه فيها في القريب العاجل .

وبمصر عدد البروق غير السلكية أشهرها في الاسكندرية وأبي زعبل وهي قرية من أعمال القليوبية وأنشأت وزارة المواصلات حديثا محط « البرق غير السلكي في الاسكندرية » تسهلا للمخبرات التجارية بين هذا البلد والخارج لا سيما بين السفن للمسافرة في البحر والفر الاسكندرية فأقامت ساريق البرق المذكور على شاطئ البحر في رأس التين وجعلت ارتفاع السارية ١٣٠ قدما فأصبح للمحط من القوة الأثيرية ما يحمل الأنباء منه وإليه مسافة ستائة ميل بحيث يستطيع أن يلتقط الأنباء من البواخر السابحة في البحر الأبيض المتوسط كله ومن تغور هذا البحر وما حوالها من الأماكن ولا شك في أن الدوائر التجارية في الاسكندرية وبقية مدن القطر الكبرى لتغتنب بهذا العمل النافع .

وجهاز « البرق في أبي زعبل » تابع للحكومة الإنجليزية رأسا وهو من أكبر عدد العالم التي من نوعه وهو عبارة عن : (١) آلة ميكانيكية ضخمة تولد الكهرباء تسمى المولد « الدينامو » تتولد فيها الحرارة الشديدة بواسطة (٢) آلة بخارية في بناء آخر كبير مجاور للأول وعلى مسافة بعيدة منهما (٣) أعمدة عدة يبلغ عددها نحو خمسين عامودا مقامة على أرض مرتفعة جدا وقد يبلغ طول الواحد منها نحو عشرين ومائة متر ويربط في أعلى كل عامود بطريقة فنية أسلاك تمد على جوانبه حتى تصل إلى نهايته ثم تسير تحت الأرض حتى تصل بالمولد وهناك حجرة للمبرق المنطوط به العمل ولديه آلة ذات مفتاح متصل بالمولد فإذا ضرب على

المفتاح انفتح فم المولد وقذف موجة كهربائية ذات صوت شديد قاصف فتسيل هذه وما يتلوها من الموجات الأخرى مارة بالأسلاك القائمة على الأعمدة قاصدة أعاليها حتى تخرج من أطرافها إلى الفضاء الواسع فتنتشر في جو السماء بسرعة عظيمة تحاكي البرق الطبيعي وأمثال هذه الأسلاك موضوعة في فرنسا على برج إيفل وفي البواخر على رموس السواري . والموجات الكهربائية التي يقذفها المولد من شاطئ تنتشر في الجو كما سبق وصفه وتدور حول الأرض مارة فوق الجبال والبحار من غير أن يعرضها شيء وقد يبلغ ما تقطعه الموجة الواحدة في الجو ثلثمائة ألف كيلو متر في الثانية أو أكثر من ذلك .

والصطلح عليه في إشارات البرق أن حرف الألف مثلا يساوي نقطة وشرطة والباء شرطة وثلاث نقط و التاء شرطة واحدة وهكذا . والفرق بين الشرطة والنقطة أن الأولى يرسلها المبرق على المفتاح بقوة تساوي ضعف القوة التي يرسلها الثانية وعلى هذا القياس يرسل موجاته متتابعة في الجوف فتقبلها كافة الأسلاك المهبأة على المرتفعات الشاهقة في الممالك الأخرى سواء في ذلك البر والبحر ثم يتلقاها المبرقون بواسطة «سماعة» أشبه شيء «سماعة المسرة» «التليفون» فيدونون الكلام بواسطة سماعهم للموجات تطن طويلا أو قصيرا (شرطة أو نقطة) كما هو مألوف في البرق العادي .

والموجات الكهربائية تشبه في انتشارها للموجات الصوتية فعلى قدر قوة البعثة تكون قوة الموجة وترددها في الهواء وإذن تختلف قوى البرق غير السلكي باختلاف حجم المولد وعدد الأعمدة فعدة الإسكندرية مثلا لها مولد أصغر من مولد أبي زعبل وليس بها إلا عمودان اثنان على حين أن للأخرى خمسين عمودا ومن ذلك يكون نطاق المراسلات بواسطة الأول ضيقا بينما يتراسل الثاني مع جميع أطراف الأرض وتتكاف الأعمدة نفقات عظيمة فقد بلغ ما أنفق على الواحد منها مليون جنيه .

ويستطيع المبرق عند وضع السماعة على أذنه أن يأخذ أي الاشارات التي تتبادلها الممالك الأخرى بعضها مع بعض ولديه طريقة فنية لتمييز الموجات ومعرفة ما يخصه منها وما لا يخصه فالبرق غير السلكي والحالة هذه لا يؤمن على سر إلا ما كان مرسلا بالأرقام السرية .

ولقد تصل أحيانا مع الموجات الكهربائية أصوات الزوابع والرياح من كندا أو روسيا أو جبال فرنسا أو أي جهة كانت فيشعر بها المبرق ويسمعها كما هي وقد تضعف هذه الرياح أصوات الموجات على أن اختلاطها بها لا يمنع فهم إشارتها على الاطلاق والسلك محطة برقية علامة خاصة لمناداتها بها فعند ما تتصل للموجات الكهربائية بين بلدين يمكن للمبرقين مبادلة الكلام بواسطة تلك العلامات .

وفي ساعات معينة من الليل يستعد عمال جميع البروق غير السلكية لتلقى إشارات « روتر وهافاس » دون الاشارات الأخرى ولا يستطيع العامل بأبي زعبل مثلا أن يراجع لندن في كلمة فاتته ولهذا السبب يوجد دائما في مثل هذه الأحوال عاملان لتلقى الاشارة الواحدة حتى إذا ترك أحدهما كلمة تداركها الثاني .

هذا ولا يزال البرق غير السلكي آخذا في التقدم من الدقة والإتقان بما سيضاعف نفعه وفوائده انتهى ما أردته من كتاب الجغرافية التجارية الاقتصادية .

أيها المسلمون : ها نحن أولاء خلقنا في الأرض محيط بنا الهواء فاستعملناه في الحروف الهجائية وذلك بالقطرة ولكن العلم الآن أرانا الأثير فاستعملناه بحروف واصطلاحات وكلم الترميز الغربي وأصبح الصيني يكلم المصري والألماني به . أليس بهذا وأمثاله نتفق من فضل الله وهذا هو سر التعبير بالفضل في هذا المقام ولما كانت هذه النعم قبولها واستعمالها شكر وتركها كفر بالنعمة أعقبه بذكر .

﴿ الجوهرة الثالثة ﴾

وهي - لعلمكم تشكرون - فيا ليت شعري كيف يكون شكر هذه النعم ، نعم الماء السهل للنقل ونعم الهواء المسير للسفن ، ونعم البخار كذلك ونعم الكهرباء ونعم الأثير الذي يربط الناس بعضهم ببعض ويكون التواصل والتخاطب ، لا شكر لهذه النعم إلا بتعلمها أولاً ثم العمل بها ثانياً .

فلا شكر للنعمة إلا بعد العلم بها ومن علم عمل وهناك يحس في نفسه بحب وغرام بمبدع تلك النعم فيفرح بها وينطلق اللسان بالحمد والأركان للعمل فينفع المسلم الناس كما يفرح بنعم ربه ، فهناك (نتيجتان اثنتان) حب الله بفهم هذه النعم ونفع عباده باظهارها . وهل الشكر غير هذا ؟ إن قراء هذا التفسير هم الشاكرون والحمد لله رب العالمين . كتب صباح يوم الخميس أول مايو سنة ١٩٣٠ .

تذكرة من عجائب البحر

إن من أجمل ما سطرته الدهور . وأبدع ما أظهرته العلوم . مسألة الحياة في أعماق البحار التي ذكرناها هنا .

لقد كان العلماء في النصف الأول من القرن التاسع عشر يحكمون حكماً لا ريب فيه ولا جدال . أنه لا أثر للأحياء تحت عمق أربعائة متر في البحار الملحة مستدلين بأن الضوء لا يصل إلى هذا العمق . وإلى أن الضغط على أجسام المخلوقات هناك يكون عشرات أضعاف الضغط الجوي . وأن الحياة هناك مستحيلة قطعاً تحت ذلك الضغط . فسار من البيهسي ألا وجود لأحياء في ذلك العمق . وهذا البرهان ظاهر واضح حق من كل الوجوه . ولكن ظهر خطأ هذا البرهان لما ظهرت الأبحاث البحرية بعد ذلك وتكاثرت وصادوا حيوانات على أعماق مختلفة بآلات صيد خاصة تدل على العمق الذي أخذ منه ذلك الصيد من سمك وقشريات ونجميات من عمق سبعة آلاف متر أو أكثر كما تقدم هنا : ووجد العلماء الضغط الواقع على أجسام تلك الحيوانات (٧٠٠) سبعمائة ضغط جوى . لأن ذلك الضغط يساوى نحو عشرة أمتار من الماء فوق الأرض كما هو معروف في العلوم الطبيعية . وفوق ذلك وجدوا هذه الحيوانات محمية بدرع صلبة تجعل أعضائها الداخلية في مأمن من العطب : بل إن أغلب هذه الحيوانات طرية للمس . شأنها شأن نظائرها في المياه السطحية . وعقول العلماء حائرة أمام هذه الحقائق الظاهرة . وما هذا الذي اختفى في هذه الحيوانات حتى تحملت ذلك الضغط العظيم .

هذا ، وإذا حولنا النظر عن الحيوان في البحث إلى نفس الماء هو مسكن الحيوان رأينا أمراً عجباً . رأينا في السنتيمتر المكعب من الماء يحتوي على (٣٠) ألف مليون مليون مليون جزء وأن متوسط سرعة الجزء الواحد نحو ٣٠ كيلو متراً في الدقيقة الواحدة أو نصف كيلو متر في الثانية الواحدة . وأن وزن ذلك الجزيء لا يتعدى ثلاثة أجزاء من مائة ألف مليون مليون مليون جزء من الجرام ولكن هذا الجزيء الواحد مركب من ذرتين من ذرات الأدرجين وذرة من ذرات الأوكسوجين والحركة المستمرة للشار إليها اللازمة للذرات هنا أشبه بمحركات جماعات النحل تصطدم الواحدة بالأخرى اصطداماً دائماً : وعلى مقدار ذلك الاضطراب تكون درجة الحرارة زيادة ونقصا وبسبب هذه الحركات المستمرة والاصطدام يكون الضغط من الماء على الإناء الذي هو فيه أو المكان من البحر الذي هو فيه . والفضل في معرفة ذلك يرجع إلى (كلارك مكسول) العالم الإسكتلندي من علماء القرن الماضي . ولكن كيف تركيب الأوكسوجين المذكور

مع الأودرجين مثلا في الماء وكيف تكونت العناصر الأخرى مع بعضها في جزيئات الأجسام الأخرى . هذا أمر عجز عنه العلماء في كل عصر من العصور .

ثم إن هذه الجزيئات المائية أى التى يتركب منها الماء ونظائرهما مما يتركب منه كل موجود في العالم المادى ليست هى أصغر ما عرفه الناس اليوم بل كل جزيء منها مركب من شيء أصغر منه جدا بمقدار (١٨٥٠) مرة وهذا الشيء يسمونه (الالكترونات) وما هذا الألكترون الإشعاع الضوئى وهذا الشعاع الضوئى الدقيق يتركب منه كل ذرة والذرات يتركب منها مخلوقات .

إذن ماء البحر وحيوانه وكل مادة تراها مركبات كلها من مواد نورية . اختلفت مظاهرها باختلاف حركاتها وهل هذا إلا قوله تعالى « الله نور السموات والأرض » أى منورها . إذن لا ظلام فالعالم كله نور ماء البحر نور . الارض نور . الجبال نور . الجبال نور . ولكن اختلفت المظاهر باختلاف الحركات وتنوعها وإن شئت المزيد . فارجع إلى آية « الله نور السموات والأرض » وادرس قطرة الماء هناك وافرح بنعمة العلم لتعلم أن العالم كله نور لا غير ولكن خفى علينا أمره في هذه الحياة لتعلم ولا سبيل لتعليمنا بغير ذلك . وعمن لهم قدم صدق في هذا الموضوع (مدام كورى) وزوجها (الميسوكورى) للكشفان عنصر الراديو الذى هو أنشط العناصر كلها شعاعا وقد وجد له ثلاثة أنواع من الشعاع . فمنها أشعة إيجابية ومنها أشعة سلبية . ومنها أشعة قصيرات اللوجات جدا والأشعة السلبية هى التى قدر وزنها بما تقدم وهى داخلة فى تركيب جميع الذرات الله أكبر عجبنا أصبحنا نعجب من حيوان تحت ضغط ماء يفوق سبعمائة ضعف الهواء الجو الضاغظ علينا ونعجب أكثر وأكثر من ضوء صغير جدا دقيق يتركب منه ذرات وبتحاده نكون هذه المواد . إن حياتنا عبارة عن مرشح نشاهد فيها الأعاجيب فمن ضوء يتنوع حوتا وذئبا وحجرا وشجرا وماء ومن حيوان صغير طرى اللحم يتحمل ضغطا قويا لا تقدر نحن على تحمله ولا الفيل ولا الجمل تبارك الله رب العالمين . هذه بعض عجائب البحار وربك يخلق ما يشاء ويختار . فهل يعجبكم هذا أيها المسلمون أن تناموا وتقوم امرأة وزوجها (كالمدمام كورى والميسوكورى) فيبحثان عن الأشعة وعن الذرات وعن الأضواء ونحن وأبنائنا ونساؤنا عائلة عليهم اللهم ربنا إنك أنت ربنا وربهم فأنعم علينا بنور العلم واشرح صدورنا وألمم الأمم الإسلامية عشق العلم إنك أنت السميع العليم ١٥ صباح يوم الخميس ٨ مايو سنة ١٩٣٠ .

وإذا فرغنا من الكلام على آية « وما يستوى البحرين » الخ فلنفض القول فى آية « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء » الخ فنقول :

(لطيفة : فى قوله تعالى « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء » الخ)

لقد جاء فى (سورة الكهف) عند قوله تعالى « إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا » الخ ماجاء فى كتاب علوم للجميع باللغة الانجليزية مترجما أن هناك علما حديثا يسمى (علم الألوان) وهذا العلم يقول المؤلف إن علماء أهل الأرض الآن أطفال فيه ولكن الذى عرفوه منه فعلا يستبين منه للناس أن الألوان موضوعة فى هذه الأرض لمقاصد صادقة وليس اتفاقا ولا مصادفة وذكرت لك هناك ما أوردوه فى هذا المقام من الألوان المختلفة البديعة مرسومة مشروحة مبينة أسبابها وأن ضوء الشمس هو الذى رسمها ونحفظها وكلما كان الحيوان أكثر تعرضا للشمس كان أقرب إلى السواد وكلما ابتعدت أجزاؤه عن ضوءها واختبأت كانت ملونة بلون من الألوان الأخرى كالحمرة والصفرة . وترى هناك أيضا أن هذه الأحوال العارضة التى ظهرت فى أمثال (أبى دقيق الطاووسى) وفى (حمار الحبشة) للرسميين هناك قد حيرت العلماء إذا وجدوا أن البياض فى ظهر حمار الحبشة للصاب للسواد فى ظهره وفى جوانبه يحتاج إلى علة غير علة إلحاح الشمس على ظهر الحمار لأنها توجب السواد التام ، أما البياض فهو أمر آخر لا يتفق مع إلحاح

الشمس عليه وهكذا تلك الألوان البهجة الزاهية في أبي دقيق الطاووسى للترنزة أترانا تاما ، الهندسية الشكل البديعة النظام فإنها جاءت بسبب مواد ألصقت بأجنحة تلك الحشرة ووضعت بنظام مدهش وهذه على (قسمين) قسم جاء اللون فيه حادثا من انحباس الهواء في أوعية خاصة منتظمة فنعكس ضوء الشمس عن ذلك الهواء للنجس وقسم آخر جاء اللون فيه عن انعكاس الأشعة الضوئية عن ذرات منتظمة ترتبت ووضعت في صفوف منتظمة فظهر بها اللون بهجا جميلا . انظره هناك .

ثم ارجع معى هنا وقل معى : سبحانك اللهم وبحمدك . أربتنا الجليل ذلك لأنك جميل . وضعت لنا قاعدة ياربنا وقلت لنا فيها كلما كانت الشمس أكثر إلحاحا على الجسم كان أقرب إلى السواد وكلما كانت أقل إلحاحا عليه كان أبعد عن السواد وتحلى بلون من الألوان السبعة ثم اننا رأيناك لونت الثلج بالبياض لبرودته ولونت عروق الشجر الضاربة في الأرض بلون البياض : لماذا ، لأنها لم تلاق حرارة الشمس ولم تر الألوان إلا فيها برز للشمس من أجزاء النبات . فهانحن أولاء رأيناك يا الله أخذت تتفنن وتبدع الإبداع كله وتضع ذات على أجنحة الحشرات وتلصقها وتهندسها وتظهرها للشمس فيهرنا لونها ونجد أفانين وأفانين من الجمال . ولو انك أبقيت حال هذه الحشرة مثلا بلا ابتداء مثل هذا لم تر هذه الأفانين والصور الجميلة . والحق يقال ان العالم الذى خلقنا فيه كله جمال ، ورأيناك لم تقتصر على ذرات تلصقها بالأجنحة بل أبدعت فى الأجنحة إبداعا آخر وحبست الهواء فيها وعرضتها للشمس فأخذت أمواج الهواء تلقى أشعتها على أعيننا داخله فى قرنيها متخللة بلورتها (بتشديد اللام) أى عدستها مرسومة على شبكيها جارية فى أعصابنا إلى مخنا . فهناك يظهر لنا الجمال والسكال والبهاء .

سبحانك اللهم : أبدعت ورقشت وزينت ، ولما كان إبداعك فى الصور واتقانك لهندستها يراها الجاهل فلا يأبه لهما (وذلك لأن الإنسان لا يأبه ولا يهتم ولا يعجب ولا يطرب ولا يفرح لما ألفه وعرفه من إبان صغره وميعان شبابه إذ يطلع على هذه الأشياء وهو طفل ثم يشيب ويكون فق وكهلا فشيخا فهمرا وهو فى ذلك كله لا يرى فى هذا الجمال إلا أنه أمر عادى لا يستحق التفكير) .

ألهمت طوائف من كل أمة من الأمم قديما وحديثا أن يصغوا وزينوا وينقشوا ويأتوا بأفانين الصور وأحسن الأشكال وبدائع الجمال وروائع الزينة ومباهج الأصباغ . وأقدم هذه الطوائف التى عثرنا عليها قدماء المصريين الذين زينوا مبانيهم بنقوش غريبة وصور بديعة حار فيها الناظرون وتغير فى أمرها النقاشون والمهندسون ، وإنما ألهمت الأولين والآخرين ذلك لتفتح العقول لهذا الجمال والابداع الذى نسوه بيلافهم وجهلوه بتكرار مشاهدته وسقوط اعتباره من القلوب ، فهناك هنالك الحكمة ، استبان للناس الجمال والبهاء والحكمة . والحكمة لا تعطى إلا للفكرين . والفكرين لا يعرفون الجمال والحكمة إلا بالتحليل ومعرفة للتقدير والأجزاء الداخلة فى تركيب الأجسام والأصباغ .

ماالناس سوى قوم عرفوا وسواهم همج الممجج

فلا يبين الآن لأذكيا الأمم كيف كانت الأصباغ عند قدماء المصريين فأقول :

أصباغ النقوش المصرية

قال الشاعر المصرى شوقى بك :

غاب من حولها الزمان وشابت وشباب الفنون مازال غضا
رب نقش كأنما نفض الصا نع منه اليدىن بالأمس نفضا
ودهان كلا مع الزيت مرت أعصر بالسراج والزيت وصا

يقول علماء عصرنا ان قدماء المصريين تفننوا تفننا أدهشهم ، فها هي ذه هياكلهم العجيبة ومبانيهم الفاخرة وأصباغهم التي مرت عليها العصور والدهور وهي كما نقض الصانع عندها يده الآن .
فلننظر نظرة فيما كشفه القوم الآن لما حللوا تلك الأصباغ ومتى عرفنا بعض ذلك معرفة تامة رجعنا إلى صنع الله تعالى فعرفنا تلك العظيمة وسعدنا بالجمال الذي ندرکه ونفرح به في هذا الوجود ، هنالك يشوقنا جمال هذا العالم ونحس بالمسرة والهناء .

لقد كان قدماء المصريين يمزجون الصبغ الأحمر بالأصفر فيكون منهما صبغ يرتقال اللون وهذا اللون عثروا عليه في مدفن (نقرمت) الذي كان من رجال بلاط الملك (سنفرو) أحد ملوك الدولة الرابعة التي كانت تحكم مصر منذ ستة آلاف سنة وذلك قبل (خوفو) الذي بنى الهرم الأكبر من أهرام الجيزة .

وهذه النقوش عميقة على هذا القبر وقد ملئت بهذا الطلاء ، وكان عندهم طلاء آخر أشد صفرة وأبهى وأجمل لونا ، وطلاء آخر أخضر خضرة طبيعية وهو من الحجر الملصكي الأخضر ، وطلاء أزرق من الحجر الملصكي الأزرق وكلاهما من مركبات النحاس ، وههنا أن أن أذكر لك طلاءم الأزرق الذي كان كثير الشبوع عندهم فهو كان صناعيا لا طبيعيا ، وكانوا يصنعونه قبل المسيح بالفين وخمسمائة سنة ، وما هو ذا ؟ هو نوع من الزجاج . وكيف صنعوه من الرمل والجير والسكس والقلبي ومعدن النحاس . حرقت هذه معا فكان منها زجاج أزرق . وقد حللوا قطعة منها تحليلا كيمائيا فوجد فيها جزآن في المائة من (أكسيد النحاس) وثمانية وثمانون جزءا من السليكا وجزء من الصودا وثمانية أجزاء من الجير وقليل من أكسيد الحديد ، وإذا كان حجر النحاس من جزئين إلى خمسة في المائة كان الطلاء أزرق صافيا ، وإذا كان حجر النحاس من (٢٥) جزءا إلى (٣٠) كان لون الطلاء أزرق قائما أو بنفسجيا ، وإذا كان أكثر صار لونه أسود وإذا قل القلي كثيرا فالحاصل مادة رمليه لاقوام لها ، وإذا أكثر كثيرا فالحاصل جسم صلب لا يحك منه الطلاء المطلوب .

ولقد جاء في (المتنطف) في بولية سنة ١٩٢١ م مانصه : « ولذلك كان عليهم أن يزونا العناصر كلها ويعملوا مقاديرها تماما ومن ثم استعمل لليزان في الأعمال الكيمائية » وأنا الآن أكتفي بهذا المثال فإن للدار على فهم مانسكتب لاعلى كثره المعلومات .

ها هم أولاء قدماء المصريين منذ خمسة آلاف سنة نظروا في الأحجار فاستعملوها ولونوا بها مصنوعاتهم ثم إنهم ألهموا أن يقلدوا ما وجدوه في الطبيعة وهذا التقليد لا يكون سهلا بل مرت عليهم قرون ودهور وهم يجربون فاهتدوا إلى البرتقال بمزج الأحمر بالأصفر ووزنوا النحاس والسلكا وهو الرمل والصودا والجير وأكسيد الحديد فكان منها زجاج أزرق ، فباعجبا يا الله نحاس وحديد ورمل وجير وصودا بامتزاجها يكون اللون الأزرق ولكن بمقادير محددة ولكن النحاس هو القياس فإن قل كانت الزرقة وإن أكثر كانت البنفسجية أشد منها ثم يصير أسود .

هذا المثال يرينا (أمرين ، الأول) إن هذه الأصباغ التي تراها في النبات والحيوان مخلوقة في الطبيعة أمانا مرجعها مزيج موزون بموازن لو اختلفت لاختلفت الألوان ولذهب الجمال « والسما رفعها ووضع الميزان » باعجبا هذا هو الميزان . هذا هو ميزان علماء الكيمياء الذي وزنوا به الحديد والنحاس والرمل والجير والصودا الخ حتى حصلوا على زجاج أزرق . ياسبحان الله . إذن الله وزن هذه المواد وأمثالها حتى أبدع لنا أزهار الورد والقطن وأزهار أشجار الفواكه والرياحين ، حينئذ هذه البساتين والرياض الناضرات التي تراها ذات بهجة تسر الناظرين قد وزنت المقادير الداخلة في تركيب هياتها حتى ازينت للناظرين . إذن الزينة

بالوزن ، إذن الله وضع الميزان في كل مكان ، وضعه في كل شجر وحجر وجبل ، وفي كل شمس وقمر ، إذن ميزان الله يملاء السموات والأرض . إذن فهمنا قوله تعالى « شهد الله أنه لا إله إلا هو واللائكة وأولو العلم قائما بالقسط » وقوله « قائما بالقسط » حال من الله فهو واحد قائم بالعدل . فهذا هو العدل وهو الوزن الحق والوزن الحق هو الذي به ظهرت هذه الألوان وبهرت وسرت الناظرين : لو أن اللون البنفسجي في البنفسج الطبيعي زادت مادته النحاسية عن (٣٠) في المائة لم يكن بنفسجيا بل كان أسود ولو كان أقل كثيرا لكان أرزق صافيا .

هذا هو الوزن في عمل الله ولم نعرف جماله إلا بدراسة الألوان . فبالدرس أدركنا معنى « ووضع الميزان » ومعنى القياس بالقسط ومعنى القول المشهور « أسست السموات والأرض على العدل » ولو اختلف الوزن في عناصر هذه المواد لم تكن تلك الألوان واختلف النظام وذهب الجمال الذي أبدع الله عيوننا لترسمه على شبكتها وتوصله إلى عقولنا ننظر إلى ذلك الجميل الذي زين الأرض والسماء للناظرين وقال « إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها » ثم هو ألهم عباده أن يقلدوه وهام أولاء قدماء المصريين قلدهم في الصنعة وقلدهم جميع أهل الأرض في زماننا ماعدا أكثر المسلمين ولما قلدهم وزنوا وزنه فهو قد وزن في مصنوعاته وهم وزنوا في مصنوعاتهم تبياننا لقوله تعالى « ووضع الميزان » ألا تظفوا في الميزان ، وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان » . يقول تعالى : وضعت الميزان ووزنت كل ملون وكل مكون وكل متحرك وكل ساكن لأجل أن لا يزيدوا في ميزانكم ولا تنقصوا بل تعدلون وتزنون بالقسط في مصنوعاتكم لئلا تختل وتقيموا العدل في أعمالكم بميزان لئلا يختل نظام مدينتكم فالعدل في وزن الصنوعات يجعلها جميلة والعدل في القضايا ووزنها بالقسط وزنا علميا قانونيا يحفظ دولكم ومدنكم ويجعلكم في الأرض سعداء ، ولا جرم أن الصناعات واجبة وجوبا كغائيا كما قدمناه في أكثر مواضع هذا التفسير وأن التفسير فيها يورث الذلة في الدنيا والعذاب في الآخرة فياحسرتنا على أم الإسلام . تلك الأمم التي أورثها الله أرض البائدة وقد دفن تحت أرجلهم صناعات قدماء المصريين والآشوريين والبابليين وأمم خلت من قبلهم فلما زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها وظهرت كنوزها وتحديث الأحجار دهش نوع الإنسان وقال . ماذا في الأرض ؟ ولقد صدر الناس أشتانا كل يسعى لعمل يجد فيه ، وقد جنت كل أمة وكل فرد عمرا ما عملوا في هذه الحياة الدنيا والآخرة على مقتضى الأعمال في الحياة من خير ومن شر .

كل هذا والمسلمون لم يحركوا ساكنا وأكثرهم ناعمون وعلماء أصول الفقه ينادونهم أن شكروا للنعم واجب ولا حمد إلا بعد معرفة النعمة ونعم الله ملأت السهل والوعر فما لكم تجهلونها ولا تعرفونها ، وتكفرونها ولا تشكرونها ولا تشكر ولا حمد إلا بمزاولة النعم وتقبلها وفهمها فان نظرتكم فوقكم رأيتم الطيارات محلقات من فوق رؤسكم وإن نظرتكم تحتكم أقيمت صناعات الأمم الذين من قبلكم ولم تبلغوا معشار عزم وإن نظرتكم في الأمم التي معكم في أرضكم هذه أقيمت صناعات أجيالا وأجيالا .

أما آن للمسلمين أن يتعلموا صناعات الأمم ويدرسوها « وقل عملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبشكم بما كنتم تعملون » انتهى صباح يوم الأحد ٢٠ يناير سنة ١٩٢٩

﴿ جوهرتان : في آية « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء « الخ ﴾

(الجوهرة الأولى) في صور الأصباغ والزينة والجمال في الصنوعات الإلهية تفسير للآية .

(الجوهرة الثانية) فيما جاء في علم الألوان حديثا ونحوه .

﴿ الجوهرة الأولى: في صور الأصباغ والزينة والجمال في المصنوعات ﴾

وذلك إما في النبات . وإما في الحيوان . أما الذي في النبات فاقراءه في سور كثيرة أقرها ماجاء في سورة السجده من صور النباتات العجيبة: وأزيد الآن ماجاء في المجلات المشهورة (كالصور) و (الجديد) و (كل شيء) وهكذا وهالك نص ماجاء فيها :

أشجار غريبة

برى القارىء في الاشكال الاربعة الآتية (شكل ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٦) مجموعة من الصور عن أشجار العجيبة وهي وإن كانت أقل بكثير مما تصوره رواة القصص الخيالية فهي على كل حال غير مألوفة لدى القارىء المتواضع الذي لا يجمع به الخيال إلى مثل ذلك (انظر شكل ٢٣) .



(شكل ٢٤ - شجرة عجيبة في (حديقة سونوما) بنهال كاليفورنيا وهي من أضخم الأشجار في العالم وأكبرها حجما . يبلغ طولها عشرين مترا ، وقد أحيطت بسياج عتشد خلفه السائحون لمشاهدة هذه الشجرة الهائلة)



(شكل ٢٣ - رسم شجرة ذات جدائل) شجرة جديدة من نوع (بوشوا) الياباني في جنوب كاليفورنيا فروعها عديدة ملتفة كأنها الجداول المصفرة) .



(شكل ٣٦ - شجرة الفيل)
(رسم شجرة عجيبة في المدينة الوطنية في دنفر
بالولايات المتحدة وكأنها رأس فيل رفع خرطومها)



(شكل ٣٥ - ناطحة السحاب رسم شجرة
هائلة من ناطحات السحاب (إذا جاز لنا أن
نستعير هذا الوصف للأشجار) في برمن
بألمانيا ويزيد ارتفاعها عن ٣٥ مترًا وعمرها
تسعون سنة)

الجوهرة الثانية فيما جاء في علم الحيوان حديثاً

وأما الذي في علم الحيوان فقد ملئ به هذا التفسير ، وأزيد الآن عليه (أولاً) صوراً بهجة في حيوانات
تطير من ذوات الأربع . وثانياً صوراً لأنواع ريش الطيور غريبة بدية . وثالثاً صوراً لأنواع عجيبة من
حيوان البحار . ورابعاً عجائب العلاقة الزوجية بين الطيور .

أولاً : (الحيوانات التي تطير من ذوات الأربع)

يوجد الآن في الكرة الأرضية أكثر من نصف مليون نوع من الحيوانات المختلفة ولكل حيوان منها
طريقته الخاصة في إيجاد ما يأكله والفرار من عدوه حتى لا يفترسه ويوجد مصدر للغذاء في العالم لم تطرقه
الحيوانات . ولا وسيلة للحصول عليه لم تجربها . وكذلك لم تدع الحيوانات أية طريقة من طرق الخداع
للاقتراس أو النجاة بالحياة وكلها في نضال مستمر وعداء لانهاية له . يأكل كبيرها الصغير وقويها الضعيف
ومخاتلها الساذج . فهي من أجل القوت في حرب عوان وخذع دائم . فالحيوان الواحد في وقت واحد
طالب ومطلوب . فإذا كان يجيد الهجوم على فريسته فلا بد له من أن يجيد طرق الفرار من أعدائه الكثيرة .

ومن وسائل النجاة التي منحها الله لبعض أنواع الحيوان الطيران في الهواء فيستطيع الحيوان الذي
يطير أن يتخلص من عدوه الذي لا يستطيع الطيران . وتنقسم الحيوانات التي تطير على وجه العموم إلى
(قسمين : أولهما) الحيوانات التي تطير بمخفقان الأجنحة إلى أعلى وأسفل بقوة عضلية ميكانيكية مثل
الحشرات والطيور والوطاويط (وثانيهما) الحيوانات التي يكون طيرانها مثل قفزات كبيرة تختلف في الطول
حسب القوة الدافعة وحسب حجم أجنحتها الغشائية أو الجلدية مثل أنواع السمك الطيار والسحالي الطائرة
والسنجاب الطائر .

يريد علماء التاريخ الطبيعي إذا قالوا الحيوانات الفقرية ذوات الأربع الحيوانات التي لها سلسلة فقرية سوى الأسماك وتسير على أربعة أعضاء بمثابة اليدين والرجلين في الإنسان ويكون كل اثنين منها متشابهين تماما في التركيب والشكل . وتعرف هذه الحيوانات بأنها أرضية أي إنها تنتقل على وجه الأرض بتحريك هذه الأعضاء الأربعة وقد صار بعض هذه الحيوانات بحريا مثل الحيوانات البحرية الزاحفة والحيتان وانقرضت أعضاؤها وصارت زعانف طويلة تستعمل للتجديف في الماء . واستطاع جانب من الحيوانات ذوات الأربع أن ينال قوة الطيران في الهواء مثل الطيور والوطاويط فتغيرت فيها الأعضاء الأمامية وصارت أجنحة تحفق بها في الهواء . وانه لمن المفيد أن نقارن بين عظام جناح الطائر وجناح الوطاويط وزعنفة الحوت وذراع الإنسان لندرك تقارب الشبه في تركيبها وكيف تحولت عن أشكالها الأصلية لتقوم بالوظائف التي تؤديها في الحياة حسب عاداتها المختلفة . ففي المنطقة الحارة في آسيا نحو عشرين نوعا من السحالي الطائرة . ويرى في السحلية منها على جانبي الجسم غشاء رقيق يتصل بالأضلاع بطوى ويفتح مثل الشمسية . وإن من يتأمل حياة هذه السحالي يجد أن هذا التركيب الغريب نشأ عندها من النظام المعتاد في حياتها . فإن هذه الحيوانات تعيش في الأشجار وتسير بكل سرعة فوق الفروع باحثة عما تقتات به من الحشرات وتكون أجنحتها في أثناء مطوية . فإذا أرادت السحلية الانتقال من فرع إلى فرع أو من شجرة إلى شجرة نشرت جناحها للطويين ووثبت في الهواء دون أن تخشى السقوط . وأما الحيوانات الثديية التي تطير أو تقفز في الهواء فلهو واحد منها قطعتان كبيرتان من الجلد على جانبي الجسم تعرفان بالجناحين الغشائين أو بأسفل الصدر كما في بعض أنواع الفالنجير وهو حيوان من نوع (الكابجوارو) وأصغر نوع منه القار . ويمكن الفالنجير أن يعيش على الدوام فوق الأشجار بدون أن يضطر إلى النزول إلى الأرض فيثبت في الهواء ناشرا غشاءه لينتقل من غصن إلى غصن ومن شجرة إلى أخرى، وهناك أنواع كبيرة من الفالنجير تشبه السنجاب ويستطيع الواحد منها أن يمرق بغشائه في الهواء مجتازا فوق نهر عرضه ٤٠ ياردة .

وأما السنجاب الطائر فليس من أنواع الفالنجير ولكنه من فصيلة الحيوانات القارضة وهو يعيش كذلك فوق الأشجار ويمرقت في الهواء بغشائه الجلدي نحو خمسين ياردة ، وفي الهند نوع من السنجاب الطائر يمرقت في الهواء ثمانين ياردة . وفي بلاد الملايو حيوان اسمه (الكويجو) وهو لا يتصل بأي نوع من أنواع الحيوانات : ويرى بعض العلماء أنه يقرب من فصيلة الوطاويط ، ويقرب حجمه من حجم القط ولكن أرجله صغيرة دقيقة وينتهي بمخالب معقوفة ، وغشاؤه الجلدي يمرقت به في الهواء يغطي جميع جسمه ويتدلى من جميع نواحيه وهو يعيش كالأنواع السابقة في الأشجار ويمكنه أن يمرقت في الهواء مسافة قدرها سبعون ياردة ، وفي جزائر الفيليبين نوع صغير من هذا الحيوان ويعرف القراء كيف تطير الوطاويط بأجنحتها الجلدية الخالية من الريش، وإن من يتأمل جناح الوطاويط يجد مكوونا من غشاء رقيق يتصل بالساق وتتخلله عظام هي أصابع العضو الأمامي . ويوجد أنواع كبيرة من الوطاويط تعرف بوطاويط القواكه . ويبلغ طول أجنحة بعضها خمسة أقدام وتسمى وطاويط القواكه في الهند والملايو واستراليا بالتمالب الطائرة لأن لها آذانا صغيرة ووجوها كوجوه الثعالب . وهي تمام انتهى (انظر شكل ٢٧ ر ٢٨ ٢٩) . في الصحيفة التالية



(شكل ٢٨ - الوطواط أثناء نومها
وهي تحمل صفارها)



(شكل ٢٩ - وطواط طول جناحيه خمسة أقدام
ويسمى بالثعلب الطائر)



(شكل ٢٧)

ثانيا : (ريش الطيور البديع)
جاء في مجلة كل شيء مانصه :

بعض الطيور زاهي اللون متناسق

الريش تنواج الالوان وتترقرق الأصباغ

المتنفة عليه حتى لقد فنّ الانسان بجعلها

وصار يصيد الطير لكي يحصل على ريشه

ويزين به . والأوروبيات مولعات بريش الطيور يضعنه في قبعاتهن حتى صار جلب الريش تجارة

واسعة النطاق يشتغل فيها الصيادون من مختلف البلدان ، وكان أكبر ضحايا هذا الصيد أنواع

(أبي قردان) المتنفة فقد كاد الصيادون لإلحاقهم على صيدها يبيدونها لولا أن تدخلت الحكومات ووضعت

الشرع المتنفة لحمايتها بعض الشيء .

وذكور الطير هي التي تزين بالريش الباهر الزاهي ، أما الإناث فتبقى عادة في سذاجتها وهذا ظاهر في الدجاج

فإن الديك يزين دون الأنثى وهو وقت مغازلة الأنثى يزيغ ويتطوس كأنه يشعر بحمال ريشه أو كأنه يدرك

أو يتوهم أن الأنثى تعجب به وهذا هو الشأن في معظم الطيور وخاصة تلك التي تفتت بالأنثى . أما جوارح

الطير كالعقاب والصقر فلا يزهو لونها لأن زهوته تم عليها فتدل فريستها فتحذرها . وقل مثل ذلك في أنثى

الطيور جميعها فإنها ساذجة لازينة لها . لأنها لاحتياحها إلى الحضانة تخشى أن ترى وهي تحضن صغارها فيهم

عليها خصمها ويقاثلها أو يأكل بيضها فمن مصلحتها ودواعي بقائها أن تختبئ. لا أن تظهر. ولكن الذكر ليس في حاجة إلى ذلك (انظر شكل ٣٠).



(شكل ٣١)



(شكل ٣٠ - رسم ريش الطيور البديع)

ففي (١) قنديل يشبه الظلة ، وفي
 (٢) سمكة تسمى البالون لأنها وقت
 الغضب تنفخ نفسها فيكبر حجمها وفي
 (٣) سمكة تعدد من أشرس الأسماك
 وأقدرها على القتال ، وفي (٤) و (٦)
 سمكتان تعيشان في أعماق مكان في البحر وفي
 كل منهما أعضاء منيرة . وفي (٥) سمكة
 تسمى الحروف ، وفي (٧) سمكة القنفذ وفي
 (٨) و (٩) و (١٠) نباتات بحرية ، وفي
 (١٢) بيض سمكة تدعى اللوايجة .
 وفي (١١) حيوان من الشائكة . وفي
 (١٣) سرطان . وفي (١٤) مرجان .
 وفي (١٥) نجمة البحر . وفي (١٦) و (١٧)
 و (١٨) حيوانات أخرى من الأرواح الدنيا .

الريش عند مختلف الطيور :

- (١) العقاب (٢) الكاسوار
 (٣) نوع آخر من الكاسوار
 (٤) النعام (٥) اللقلق الهندي
 (٦) أبو قردان (٧) الطاووس
 (٨) الطاووس أيضا (٩) و (١٠) و (١١)
 من ريش الديكة (١٢) الارغوس
 (١٣) عصفور الجبة (١٤) طائر القيثارة
 (١٥) اللوموت (١٦) المسفور الطبان
 (١٧) نوع من أبي قردان
 (١٨) و (١٩) و (٢٠) و (٢١) ريش آخر
 من أبي قردان أيضا في بلدان مختلفة
 (٢٢) الابريدفور (٢٣) اللانوكود
 (٢٤) الكيفالوبتير .

ثالثا : (حيوانات قاع البحار)

في قعر البحر أو المحيط حيث يبلغ ارتفاع الماء الذي فوقه نحو ميل أو أكثر تعيش أنواع من الحيوان عجيبة فان أجسامها مؤلفة بحيث تتحمل ضغط الماء الشديد لأنها تعيش وكانها تحمل مدى حياتها عمودا من الماء ارتفاعه ميل : ولحمها لذلك لا نستطيع أكله لأنه جاس لا يمضغ ، ثم هي لأنها تعيش في ظلام دامس كثيرا ما تستغنى عن عيونها ولها بدلا منها حساسات تشبه حساسات القبط تتلمس بها الأشياء فتعرف الفريسة وتميز العدو ، وأحيانا يكون لها ضوء يشع ، فاذا كان لها عينان رأته واهتدت به ، ويرى القارىء في شكل ٣١ طائفة من هذه الحيوانات (انظر شكل ٣١) .

رابعا : (العلاقة الزوجية بين الطيور)

جاء في مجلة مصر الحديثة ما يأتي :

ذكر الدكتور (ولفردودسجود) ناظر علم أنواع الحيوان (زولوجي) أن الطائر الكبير الجميل المعروف باسم (النساف أبي القرن) يحفظ العلاقة الزوجية حفظا يمتاز به على أمثاله من الأطيوار . وهذه العادة الجميلة معروفة للفرجة في متحف التاريخ الطبيعي بواسطة الأوكار التي يعبا هذا الطير بيناتها ، يعيش هذا الطائر في (جزر سومطرة) و (بورنيو) وفي شبه جزيرة ملقا في المحيط الهندي : ومتى اختار أنثاه ذهب بها إلى شجرة مجوفة واتخذها مقرا لأنثاه حيث تبيض وتنقف فراخها وتربها هناك وللحال تشرع الأنثى في بناء جدران المدخل في جوف الشجرة بالطين وبمواد أخرى . يساعدها الذكر في ذلك وهو يظل خارجا ويردد إلى أنثاه من وقت إلى آخر . يعمل إليها ما تحتاج اليه من الغذاء . فنظف الأنثى سجينه الشجرة مدة البيض والحضانة وتربية الفراخ إلى أن تطير ولكن الذكر يحفظ عهد الأمانة لها فلا يتركها ولا يهملها بل يخدم حاجاتها . وهذه العادة الراسخة التي يتصف بها النساف تؤدي إلى سلامة الفراخ ووقايتها من السنجاب الذي هو أعظم خطر يهددها . ومن القروود التي تسكن في غابات المناطق الحارة . وهكذا نرى في الحيوان من الوفاء والحرص على ذويه مالا نراه في كثير من بني الانسان (انظر شكل ٣٢)



(شكل ٣٢ - ذكر النساف خارج باب العش ومنقار

أنثاه تمتد من الداخل يتناول منه الطعام)

جمال العلم وبهجة الحكمة

رب إن الهدى هداك وآياتك نور تهدي بها من تشاء . ها هي ذه الآيات اللاتي أوجبت النظر في الأبيض والأحمر والأسود واختلاف الأوصاف والأحوال . ولما اطلع على هذا ذلك العالم الذي اعتاد أن يناقشني في هذا التفسير قال : هنا أمران جديران بالذكر . أمر نباتي وأمر حيواني . أما الأمر النباتي فهو القدرة التي أمكن أن يستخرج القوم من عيدانه وورقه ورقة للكتابة . وأما الأمر الثاني فهو الجراد الذي عم البلاد المصرية في هذه الأيام والسورية والحجازية والنجدية والسودانية وكلاهما داخل في الآية لأن الآية تشمل الحيوان والنبات . فقلت له أما كون ورق الكتابة يستخرج من حطب القدرة فقد تقدم في هذه السورة في قوله تعالى « ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها » فهذا من الرحمت التي أطلقها الله للناس فلم يمسكها أحد . فماذا تريد بعد ذلك ؟ قال : أنا أريد أن تحيط اللثام عن ثمرات هذا الخير للأمم الإسلامية بأن يجعله موضوعا اقتصاديا كما هو شأنك في هذا التفسير إذ نراك تتبهر القرص في صغيرات الأهور وكبيراتها فتتخذ منها سلاحا لقتل الجهل وإحياء العلم . ولكنك لما كتبتها فيما تقدم رأيتك لم تعاق عليها شيئا ولم تحث المسلمين على اقتفاء آثار العاملين النافعين لأمتهم . فقلت لقد أضرت في قلبي بهذا السؤال نار الحسرة وأثرت في نفسي نائرة الحزن والأسى على أمم مزقت كل ممزق كانت سراجا للعالم مضيئا وشمسا مشرقة فأقبل ليلها وأدبر نهارها وأصبحت في حلك الظلام . ذكرتني بمقاله العلامة (سديو) المؤرخ الفرنسي في (صحيفة ٢٦٨) في النسخة المترجمة وهذا نصه (وقد استعمل العرب بيت الإبرة من ابتداء القرن الحادي عشر في سفر البحر والبر ومحارِب الصلاة وصنع الورق من الحرير سنة ٦٥٠ ميلادية في سمرقند وبخارى ثم استبدل يوسف بن عمرو سنة ٧٠٦ ميلادية القطن بالحرير فصار القطن يستخرج منه الورق للسعي (الورق الدمسقي) الذي ذكره المؤرخون ، وأنتهى في أسبانيا معامل من الأقمشة البالية وسابق أهل ولنطية وقسطالونية في هذه الصناعة أهل كز طيوه واستعمل ورق العرب في القرن الثالث عشر بقسطالونية التي شاع منها استعماله في فرنسا وإيطاليا وإنكلترا وألمانيا ، ولكن ورق الكتب العربية المكتوبة بخط اليد يفوق ورق الفرنج لطافة ولعانا كما فاقه بما كان العرب تختاره من تزويقها بأبهج الألوان والأحبار والأزهار . وما أسلفناه هو كيفية ظهور تحمك العرب في جميع فروع تمدن أوروبا الحديث ومنه يعلم أنه من القرن التاسع إلى القرن الخامس عشر كان عند العرب أوسع ماصح به الدهر من الأدبيات وأن نتائج أفكارهم الغزيرة واختراعهم النفسية تشهد أنهم أسانذة أهل أوروبا في جميع الأشياء كالمواد المختصة بتاريخ القرون المتوسطة وأخبار السياحات والأسفار وقواميس سير الرجال المشهورين والصناعات العديدة المثال والأبنية الدالة على عظمة أفكارهم واستكشافاتهم المهمة ولهذا كله وجب الاعتراف برفعة شأن هذه الأمة المحمدية » الخ :

وقد قال قبل ذلك بأسطر : [إن اختراع العرب الورق وبيت الإبرة وبارود المدافع قد غير الحالة الأدبية والسياسية والعسكرية في جميع الدنيا] وقال : [ولاعبرة بما زعمه بعض الفرنج من أنه سلب من العرب شرف ذلك الاختراع ونسبه للصين مدعيا أنهم عرفوا ذلك منذ زمان قديم وأبطل ذلك بأن الطباعة لو كانت معروفة عند أهل الصين لنقلها عنهم العرب فأما بيت الإبرة فليس من المقول أنهم عرفوه وهم لم يزالوا إلى سنة ١٨٥٠ ميلادية يعتمدون أن القطب الجنوبي من الكرة الأرضية سعي تلتطى] ومعلوم أن

الإبرة تتجه للقطين [وهل عرفوا استعمال البارود استعمالا مختلف الأفانين الذي بقي أثره عند العرب المشهور لهم باستعماله أصنافا من القطن في حصارهم مكثنة ٦٩٠ ميلادية واستعمالهم في مصر في القرن الثالث عشر البارود للتخذ من ملح السبخات ليرمي به نحو قتل ذات صوت كالرعد ، وذكر استعماله أيضا في معرض وصف البحرية التي عقدها ملك تونس مع أمير أشبيلية في القرن الحادي عشر كما استعمل في حصار جبل طارق سنة ١٣٠٨ ميلادية وحصار إسماعيل ملك غرناطة لمدينة (بانظلة) سنة ١٣٢٤ وحصار طريف (سنة ١٣٤٠) وحصار مدينة الجزيرة سنة ١٣٤٢ وحكي المؤرخ (فراراس) أن الرصاص رمى بالبارود في تلك الحصارات فابتدأ نصارى أسبانيا من ذلك الوقت باستعماله [هـ .

هذه بعض ذكريات الماضي أيها اللذي التي أثرت أنت تأثرتها في قلبي . ماذا أقول وقد عم الجهل وطم ولم يستيقظ كثير من المسلمين للجهالة الفاشية ولم تطلع الأجيال للتأخرة على أمثال هذه الأقوال التي يذكرها الفرنجة ، نعم قد حكم الترك أبناء العرب وتسمى ملوكهم بأسماء خلفاء الإسلام فمنعوا العلم منعنا باننا فأظلم ليل المسلمين لاسبا العرب قرونا وهذا زمان المزم والعلم .

هاأنا ذا ذكرت لك الورق وأنهم أخذوه عن الصين ولم يكن له أصل إلا الحرير فاخترع المسلمون في زمن الصحابة والتابعين أي في العصر الأول أن يكون من القطن وارتقت الصناعة حتى صار من الحرق البالية في أسبانيا ، ثم صارت أوروبا كلها تتعلم منهم ولم يصلوا بشهادة المؤرخ الفرنسي لحسن الورق العربي الجليل وها هوذا يقول : [إن أوروبا عالة على الأمم الإسلامية العربية في صنع البارود وبيت الإبرة والورق وبهذه الصناعات قلبت سياسة الأمم وأدائها وعسكريتها] .

إن الذي أذل الأمم الإسلامية عموما والعربية خصوصا أمران أولهما سبب لثانيتها : (الأمر الأول) الجهل (الثاني) التفرق : جهلاء متفرقون ، جمعهم الدين والعلم وقد نسوها فنسيهم الله فتفرقوا ولكن الله عز وجل يريد اليوم جمعهم بعد التفرق وهذا التفسير من مقدمات النهضة الإسلامية ومتى وصل علم هذا الكتاب وما فيه إلى آذان أمراء العرب وملوكهم وبقية أمراء الإسلام وملوكهم دهشوا وقولون في أنفسهم لم يكن ليخطر ببال علماء الدين أن القرن الأول النبوي يحتوي على عجائب مثل اختراع صنع الورق من القطن بدل الحرير . أكثر المسلمين يظنون أن العصور الثلاثة الأولى ليس فيها إلا الحديث والفقهاء فقد ظهر كذب هذا الرأي وأن الورق والبارود قد استعمالا في أوائل تلك القرون الثلاثة وهذا مع بيت الإبرة سبب للرق الحاضر في فروع الحياة ، وسيقول ساسة المسلمين حين يقفون على هذا [إذن نحن لسنا على نهج الصحابة رضوان الله عليهم لأننا حصرنا عقولنا في صغائر الأمور ونسينا ما تنكته عقولنا من الآراء السديدة والحزم الشديد والحكمة والاختراع] فلماذا لانفكر فيما لدينا من الزرع والشجر وكيف يكون القوم قد اتخذوا من حطب الدرة ورقا أواه لقد فعلوا ما فعل أجدادنا أيام النبوة . أجدادنا استغنوا عن الحرير الذي عرفوا من الصين أنه منه يصنع الورق بالقطن . وهؤلاء الفرنجة قالوا بل نحن نستخرج الورق من الحشب بدل القطن الذي عرفناه من المسلمين بل نستخرجه أيضا من حطب الدرة . حطب الدرة الذي لا قيمة له أصبحت له قيمة شريفة إذا صار ورقا . إذن في حقولنا من الثروة مالا حصر له . حطب متروك منبوذ جعل ورقا وعيدان مبتذلة صارت ورقا . وكم في الأرض وكم في الزرع من منافع جهلناها فلنتقدم على العلم ثم العمل ولنفسكر هذه هي التي يقولها أشراف المسلمين حين يقرءون هذا القول ويوقنون أنهم مقصرون وأن تقصيرهم إنما جاءهم من الجهل والجهل هو آفة الإنسانية الآن . انتهى الكلام على الأمر الأول .

(الأمر الثاني وهو الجراد)

قال صاحب فأفض القول في الأمر الثاني وهو الجراد فقلت له : أما الجراد فإني لم أطلع على أحواله كما اطلعت على السكلام في حطب النذرة . فإذا سمعت منك فيه قولاً أمكنني إذن أن أوجه الخطاب لأمم الإسلام ذاكراً ما يناسب للقام . فقال :

(غارة الجراد الكبرى على مصر في شهر إبريل سنة ١٩٣٠)

جاء في مجلة « الدنيا للصورة » في ١٣ إبريل سنة ١٩٣٠ ما يأتي :

(غزوات الجراد في مراکش . انظر شكل ٣٣)

انقضت جيوش الجراد فدمت المزروعات والحقول في ممالك حمة . فهي في مصر والأفغان وبلوخرستان والعراق وسورية والحجاز واليمن والسودان والحبش وشمال إفريقيا . وقد خرج الفلاحون من مراکش بانتقون الجراد ويجمعونه في أكياس . وقد خرجوا أيضاً مرة أخرى في وقت الفجر تحت إرشاد شيوخ القرية لمكافة الجراد . ثم جاء مالمخصه أن الجراد أنواع ونوع منه يسمى الجراد الراحل هو الذي يهجم على مصر وهو يؤكل في الهند مقولوا بالزيت ويأكله العرب في بلادهم وفي السودان يجففونه ويحفظونه ويحفظونه فيكون طعاماً ويعتقدون أنه يشفي بعض الأمراض . ويقال إنه ينشأ في السودان والحبشة وبلاد العرب ونجد فيتناسل ويفقس ثم يرحل وفي رحلته يسير (٦٠) كيلو متراً في الساعة وله مواعيد محددة . فجراد السودان الذي يغير على مصر يأتي لها في مارس ويرحل بعد أن يكون طاف ببلاد العرب وله بين كل عشر سنوات وخمس عشرة سنة غارة كبيرة رهيبه وأخر غاراته سنة ١٨٩٠ سنة ١٩٠٥ سنة ١٩١٥ ثم هذه السنة ١٩٣٠ م وقد جمع أهل مصر سنة ١٩١٥ م نحو (١٣) مليوناً كيلو جراماً من الجراد ونصف مليون ومن بيضه (٤٢٤) كيلو جراماً من البيض وهو ٢٧ ألف مليون بيضة ونصف مليون والأثنى تضع بيضها بأن تمد بطنها وتحن طرفه كأنها زاوية قائمة مع الأجنحة وتحفر حفرة تفرز فيها بطنها (انظر شكل ٣٤) وتضع البيض كتلاكل كتلة أشبه بعنقود كل عنقود يكون ما بين (٨٠) و (١٢٠) بيضة . وقد تكون كتلتها (٥) أو (٦) ثم تسد الحفرة وتفرز عليها مادة بيضاء كزلال البيض فتتجمد وتسد الثقب وبذلك تحفظ الفقس من الحشرات وغيرها وطول البيضة (٨ ر ٨) ملليمترًا وعرضها (٨ ر ١) ملليمترًا وطول الكتلة (٤) سنتيمترًا . والذكر ينهش الأثنى بعد وضعها فيكسر رأسها فيعض عليها . وبعد مدة من (٣) إلى (٦) أسابيع يفقس ويخرج الجراد الصغير المائل للخضرة ثم يسود بعد ساعات قليلة ويغير جلده خمس مرات كالأفاعي وفي كل مرة يخرج بحجم أكبر ثم تظهر الأجنحة وتكمل في مدة بين (٤٠) و (١٠٠) يوم فيكون أحمر اللون شديد الخطر ومتى بلغ قل خطره ويهجم إذن بالناسل . فخطره وهو أحمر اللون شديد فاذا كان خطره في النسل . وقد هجم الجراد على مصر هذه السنة (١٩٣٠ م) من جهة السودان أولاً ثم من جهة (طورسينا) نانيا . وقد أرسلت بلادنا المصرية بعثة لتعرف مصدر الجراد فرأت تلك البعثة أنه ينشأ في جبل عليا (بتشديد الياء) وفي وديانه في السودان . وقد عرفت أن هذا الجبل ووديانه هي أمنع حصون الجراد وهو أعظم منطقة للجراد وتناسله (شكل ٣٣) و (شكل ٣٤ في الصحيفة التالية) .



(شكل ٣٤ - الجرادة تضع البيض)



(شكل ٣٣ - الجرادة)

فلما فرغ من كلامه قلت له : لماذا أقول لك ؟ إن هذه مما احتوته هذه الآية فان فيها الأحمر والأخضر والأصفر . فقال أريد أوضح من ذلك . فقلت هي تدخل في قوله تعالى «ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف السنتكم واللوانكم» فقال : العموم هنا لا يكفي . فقلت : أليست من آيات الله تعالى فقال : أنا أريد ماهو أوضح . فقلت : هي آيات مفصلات . فقال : مفصلات ! الآيات المفصلات هي آيات القرآن فقلت وآيات الأكوان . ألم يقل الله تعالى «وكل شيء فصلناه تفصيلا» . فقال ولكن جعلك الجرادة وحده آية مفصلة يعوزه دليل خاص . فأولا اذكر الدليل الخاص على أنه آية مفصلة . وثانيا كيف كان آية مفصلة وما برهانه وما نتأجه التي ستظهر في بلاد الاسلام بسبب هذا التفسير . فقلت : أما كون الجرادة آية مفصلة فهو ما قاله الله تعالى «فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات» فالجهال يسمعون هذه الآيات وتمرعليهم وهم لا يعقلون . وأما حكماء هذه الأمة الذين سيأتون بعدنا فانهم يعلمون أن التفصيل سيظهره العلم الذي يلمحه الله لقلوب واعية إسلامية في مستقبل الزمان . فان حكماء هذه الأمة إذا تدبروا أحوال الجرادة الذي يصيب البلاد العربية خصوصا والإسلامية عموما يفهمون أن هذه آيات العلوم .

(١) أولا للأحوال الاقتصادية .

(٢) وثانيا للأحوال السياسية .

(٣) وثالثا للإصلاحات الدينية .

(٤) ورابعا لعروج النفوس الإنسانية إلى عالم القدس والجمال والفرح بالحكمة والبهاء والصفاء .

فقال لقد شرحت صدرى بهذا التفسير قبل أن تفصل تلك الآيات فان هذه العنوانات العظيمة لتدلني على علم وحكمة تؤخذ من هجوم الجرادة على مصر في الأزمان القديمة والحديثة ، فأشرح لي الأمر الأول وهو الأحوال الاقتصادية . فقلت لقد خلق الله هذا الإنسان في الأرض ورباه وعلمه السياسة والاقتصاد ولكنه إلى الآن لازال طفلا صغيرا وهذا الطفل تصيبه الكوارث والنوازل والموظفات فهو يرتقي قليلا قليلا ولكنه بطيء النمو ، هذا الجرادة أرسله الله على أهل مصر بلادي في قصة موسى وفرعون ليكون زجرا لفرعون إذ أذاق بني إسرائيل عذاب الهون ، ولكن ليس القرآن لأجل بني إسرائيل وحدهم ولا لموسى وإنما هو لنا فإنه يقول لنا : [هذا الجرادة أرسلته عقابا للناس على سوء فعلهم] فلنبحث عن سوء أفعالنا فإننا نجد في أمر واحد وهو الجهل ، وعلينا نحن المسلمين اليوم أن نستيقظ ونفهم أن الله عز وجل هو الذي خلق النبات

وحلق الحيوان . ومن الحيوان الجراد ، وأعظم حصن للجراد جبل علي (بتشديد الياء) في السودان والوديان التي بجانبه . ففي هذا الجبل يخلق الله الجراد ومنه يصدر إلى البلاد الإسلامية كما تقدم . فلتبحث إذن في هذه . أهي نعمة أم نعمة ؟ إن الله يقول : « فأرسلنا عليهم الطوفان » فهو بدأ بالطوفان وثى بالجراد فأى طوفان في مصر ؟ هو طوفان النيل . فكلما طغى النيل على مزارعنا في مصر أخذنا له جسورا وقناطر لحفظناه فانتفعنا به . إذن الطوفان الذي هو آية مفصلة أرسلها الله على أهل مصر قد عرفنا حقيقة أمره والانتفاع به فأصبحت بلادنا اليوم عامرة يسكنها (١٤) مليوناً بعد أن كانت نحو مليونين منذ قرن . ذلك بأننا فهمنا هذه الآية وهي طوفان النيل لحفظناه وانتفعنا بمائه فصار نعمة بعد أن كان نعمة . هذا هو تفصيل آية الطوفان فلنتبع الكلام على الطوفان بالكلام على الجراد وهو الآية الثانية المفصلة فنقول :

كما أن النيل يهلك الحرث والنسل إذا ترك وشأنه وينفع الناس إذا حوفظ عليه . هكذا يكون أمر الجراد . الجراد أهمه يخرج من (جبال علي) في السودان كما يخرج النيل . والنيل قد انتفعنا به . أفلا نفعل هكذا في الجراد ، إن الله يقول هو آية مفصلة ، أما تفصيلها لفرعون وآله فأمره ظاهر . وأما تفصيله لنا فإنه يحتاج إلى حكمة وعلم فأقول :

كما أن الماء يحفظه يخرج الزرع ويدر الضرع هكذا الجراد فيه منافع عظيمة إذا عرفنا قيمته فما هو ذا إحصاؤه سنة ١٩١٥ ميلادية ببلاد مصر . فهو كان نحو (١٣) مليوناً كيلوجراماً من نفس الجراد و (٤٢٤) كيلو جراماً من البيض . ولما شاع أمر الجراد في مصر سنة ١٩٣٠ في أثناء طبع هذا التفسير كتبت للحكومة المصرية في جريدة الأهرام قائلاً : أيتها الحكومة ، لقد قرأت قريباً أن الجراد في بعض الممالك قد أخذته شركة أوروبية وعصرته وأخذت منه زيتاً وهذا الزيت كان خيراً من كل زيت في الطائرات أقول وكان الله عز وجل لم يطلع من قبلنا على ذلك الزيت لأنهم لم يستأهلوا لتلك النعمة ، أما نحن اليوم فأهل لها ثم قلت وما بقي من جسم الجراد بعد العصر جمالوه علفاً للبهائم .

هذا ما كتبت للحكومة المصرية . ثم لم تمض أيام على هذه الكتابة حتى جاء من بلاد البلجيك نبأ رسمى في خطاب للحكومة المصرية يقال فيه (إلى أين تصدرين الجراد ، وإلى أين تصدرين بيض الجراد ؟) وهذا الخطاب يراد منه أن تلك الشركة تريد أن تقوم بشراء ذلك الجراد وذلك البيض لتصنع ماصع بالجراد الذي قرأت عنه في بلاد جنوب أفريقيا . وقد أدرجته في هذا التفسير سابقاً وكتبت به الحكومة المصرية كما قلت آنفاً كل هذا حصل في هذه الأيام وحكومتنا المصرية لم تحرك ساكناً . والسبب في ذلك أن البرلمان والحكومة مشغولان بمعاهدة الإنجليز وبالاستقلال والأمور السياسية ، ولو أنهم كانوا في حال أحسن من هذه لقال قائلم إن أجسام الجراد البالغة (١٣) مليوناً من الكيلوجرامات لو أننا عصرناها زيتاً للطائرات واستخرجنا منها (٦) مليوناً من الكيلوجرامات زيتاً ، فماذا يكون ثمن ذلك كله ؟ فلو أن الكيلو الواحد بقرش واحد لكان عندنا (٦) ملايين قرش وهي (٦٠٠٠٠٠) جنيه ، وليس من العقول أن يكون هذا الثمن حقيقياً بعد المصاريف بل يكون أضعافاً مضاعفة . فإذا أضفنا إليه ما بقي من جثث الجراد وهو (٧) ملايين فإنه لا ينقص عن نصف قيمة الزيت المذكور لأنه يكون علفاً للبهائم . يعنى عن الفول والبرسيم بل هو أجل وأحسن . إذن الجراد في ظاهره نعمة وفي حقيقته نعمة . فالحكومة المصرية التي صرفت مائة ألف جنيه لإحراق الجراد ومطاردته وإتلافه لو أنها عصرته زيتاً وجعلت جثثانه علفاً لأخذت من ذلك أضعاف ماصرفته .

فأنا أذكر هذا إيقاظاً للمسلمين بعدنا أن يفكروا في هذا ويبحثوا حقيقة ما قرأت أنا في الجرائد ، هل عصره زيتاً للطائرات وهو خير لها من كل زيت ، وهل الجثثان الباقي بعد العصر خير علف للبهائم ، فليبحثوا

وليفسكروا وليعملوا هذا في مثل مصر من كل أمة لم تعد أكل الجراد ، أما الأمم التي تأكله كبلاد العرب فالأمر فيه ظاهر ، هو نعمة حقا وصدقا ، نعمة ساقها الله لهم وهي ظاهرة واضحة ، فالناس يدفعهم حب حفظ الحياة إلى الاتحاد على المقاومة كما يتحدون على حفظ جسور النيل ، وهذا الاتحاد يقوى عاطفة المودة بين الناس ويلهب الشعور العام بين الناس في الوطن الواحد وفي الأوطان للتجاورات . هذه هي الآية الأولى من آياته المفصلات وهي الاقتصادية .

﴿ الآية الثانية من آيات الجراد ، وهي آية الأحوال السياسية ﴾

اعلم أن أبناء العرب في مراکش والجزائر وتونس وطرابلس ومصر والشام والعراق والموصل وهكذا في الصحراء الكبرى والسودان . كل هؤلاء يبلغون عشرات الملايين . فهذه أمة واحدة أصبحت أما متفرقة لاراعى لها ولا أمير يجمعها ولا عالم يوقظها بل هم قوم مختلفون وطوائف متشاكسون ، فأنا إلى الله أشكو وإليه أضرع أن يهدي هذه الأمم إلى حال سعادتها ويهديها إلى رشدها . هذه الأمم هي أنفسها التي انتشرت في مبدأ الإسلام من أرض الحجاز ونجد واليمن ، فكانت في العراق شرقا والموصل وامتدت إلى تخوم الصين والهند وأيضا بلاد الفرس وسمرقند وبخارى .

هذا من جهة ومن جهة أخرى توغلت في السودان وفي جنوب أوروبا فتوطنت في الأندلس ثم ذهبت إلى جنوب فرنسا في وقت ما كانت حكومتها واحدة ثم أخذت تتمزق رويدا رويدا حتى انحلت عصبيتها وتفرقت وجهتها وذلت أعقابها لأنهم جماعات جماعات لا جماعة واحدة وأمة واحدة . علم الله ذلك قبل أن يخلق السموات والأرض وأن هذه الأمة بما فيها من الفضائل النفسية والنخوة العربية والقوة الأدبية وإنكار القذات والحرص على الكرامة والشرف وحسن الذكر والإباء والشعم والسكرم وما أشبه ذلك ستنتشر في الأرض الدين ، وبها تموج الأمم ويحصل لعملها آثار تظهر في جميع العالم قديمه وحديثه ، وأن الأمم ستنتج للتعليم العام في الصين واليابان وأمريكا وأستراليا . كل ذلك بما أحدثت هذه الأمة من الفتوحات في أول نهضتها وما انتشرت من صناعة الورق وبيت الإبرة والبارود كما تقدم قريبا في كلام الأستاذ (سديو الفرنسي) فأحدثت في الأرض نهجا جديدا في العسكرية والآداب والنظم .

أقول : علم الله ذلك كله فأزل في القرآن (الم) في أول سورة آل عمران تذكرة بآية « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب » الخ التي ترجع إلى أن اليهود أيام النبوة قوم اتكفوا على مجد آبائهم وشفاعات آبائهم وناموا فأذلمهم الله وجعل ملكهم للعرب كما تقدم واضحا هناك ؛ وأن (الم) المذكورة في أول السورة تشير إلى (الم) المذكورة في أول هذه القصة التي يتذكر أبناء العرب خصوصا والمسلمون عموما أن الاتكال على مجد الآباء وشفاعتهم بلا عمل بلاهة وجهالة ، وهذه الجهالة كما أنها انتزعت ملك اليهود منهم هكذا انتزعت ملك العرب منهم فتفرقوا ، ومتى قرءوا علوم الأمم المحيطة بهم وعرفوا بالتاريخ أنهم أمة واحدة بل أنهم هم من خير أمة أخرجت للناس وأنهم لا يلبق بكرامتهم ولا بشرف أصلهم ولا بحقائق دينهم ولا بفضائل الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكونوا أجهل الأمم بمنازين بالتفرق والانحلال فلم يساووا أمة ما من أمم الأرض ، فالصين ذات لغة واحدة لها حكومة واحدة ، وهكذا اليابان أحدثت نسبا ولغة فأحدثت سياسة ، ومثلها الأنجليز والألمان والفرنسيون والإيطاليون ، فكل هؤلاء لهم لغة واحدة فكانوا أمة واحدة في السياسة . فالعجب كل العجب أن يكون أبناء العرب مثلا من أقصى السودان إلى بلاد الموصل ومن جبل طارق إلى حضرموت والعراق لا تكون لهم حكومة واحدة مع اتحادهم دينا ونسبا ولغة واتصالهم في البلاد . كل هذا تقدم مفصلا في سورة آل عمران .

أقول : إذا عرفوا ذلك وأدركوه في الكتب المنتشرة اليوم وفي هذا التفسير فإنهم لاجرم يسعون للاتصال فيكونون أمة واحدة كما فعلت الممالك المتحدة لكل جماعة منهم رئيسهم الذي رضوه إما من سلالة استتب ملكها عندهم وهم بهاراضون ، وإما بطريق الانتخاب بهيئة رئيس منتخب وهؤلاء الرؤساء ينتخبون من بينهم رئيسا كما فعلت الممالك المتحدة تماما .

هذا هو الذي تدعو إليه آية (الم) في أول (سورة آل عمران) خزنها الله في القرآن لتظهر آثارها في زماننا عند الحاجة إليها كما خزن الفحم الحجري في الأرض وأبرزه الآن لننتفع به . هذا ولم يقتصر وعظ هذه الأمم على الآيات المسموعة القرآنية بل أنزل لهم آيات نظروها بحيونهم وهي آيات هذا الجراد المفصلات ، إن الجراد كما تقدم من الآيات المفصلات ، فهو آية مفصلة في الاقتصاد كما تقدم وهو آيات مفصلات في السياسة أرسله الله على هذه الأمم وهو يهاجم مثلا مصر تارة من بلاد السودان وتارة من طريق طورسينا ، ويهاجم العراق والشام وهكذا . فهذه الآية واضحة ظاهرة مبينة ، فإن الجراد يهجمه على بلاد العرب من مراكش إلى العراق والموصل يذكر أبناء العرب مثلا ويقول لهم : (أنا الجراد . أمي أمة واحدة ، فإذا هاجمت بلادكم المرة بعد المرة والسكره بعد السكره وأنتم تقتلونني وتخاربونني وتطاردونني وتحرقون وتهلكون مئات الملايين وملايين الملايين من جنودي فهل تفرقنا شيئا ؟ وهل اختلت صفوفنا ؟ أفليست الجحافل الجرارة التي هجمت على دياركم سنة ١٩١٥ هي مثل الجحافل والجيوش الجرارة التي هجمت على بلادكم في سنة ١٩٣٠ وهكذا سأرجع لكم السكره بعد السكره تذكركم بالأنعام وستخجلون إذا قرأتم العلوم وتورتتم إذ تقولون يا ويلتنا أعجزنا أن نكون مثل هذا الجراد فتتحد مع إخواننا ونكون مملكة واحدة كما أحدثت أمة الجراد كما قال أحد بني آدم «يا ويلتنا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سواة أخى» بل إن سواة التفرق والتخاذل في البلاد العربية الإسلامية أعرق في الفضيحة وأظلم في الحزى من جسم غراب وقع فوق الأرض فهذه أمم وأمم ربما تبلغ ثمانين مليوناً تفرقت شذرا منذر ولم تعقل ماعقله الجراد بغريزته إذ اجتمع وكون مملكة واحدة وقد جعله الله آية يقرؤها المسلمون في أمثال هذا التفسير فيرجعون بمجدهم ويكونون مملكة واحدة . وهذا آت بعد نشر العلوم في هذه الأقطار .

(تذكرة)

آيات الله على (فسمين) آيات مسموعة ، وآيات منظورة ، والآيات المسموعة هي الكتب السماوية . والآيات المنظورة هي هذه العوالم المشاهدة ، وللأول الإشارة بقوله تعالى «إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون» وللثاني الإشارة بقوله تعالى «ويريكم آياته فأى آيات الله تنكرون» وبقوله «ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء» النخ وهي الآية التي نحن بصدد الكلام عليها ؟ وبقوله «ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى» وبقوله «ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر» وبقوله «ألم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز» النخ فهذه كلها آيات مشاهدة والآيات للشاهدة بحاسب عليها الناس إذا قصرُوا فيها لأنها في الحقيقة المقاصد الحقيقية للآيات المسموعة . ألم تر أن الله بعث غرابا يبحث في الأرض ليرى ابن آدم كيف يوارى سواة أخيه ، فالغراب إذن مبعوث لنا ليرينا ، والجراد مبعوث لنا ليرينا ، وكل هذه آيات مفصلات لنا . إن جميع الأمم في الأرض وجميع أنواع الحشرات والطيور والكواكب مبعوثات لنا مسخرات لتكون باعثة لنا على الفكر والبحث والنظر فننتفع بها في الحياة ونذكر به العقول . وإذا كان الغراب علمنا صناعة دفن أمواتنا أفليس هذا معناه أن كل ما حولنا يعطينا دروسا من دروس الحياة . وهل أنزلها الله في القرآن

لجهد التلاوة؟ كلا، ثم كلا . بل إن القرآن كتاب أنزله الله للناس مبارك ليديروا آياته وليذكر أولو الألباب، إذن هذا القرآن نزل لفتح أبواب العلم على مصراعيه لأولى الألباب . فإذا وجدنا فروض الكفايات قدوجبت بمقتضى آية التوبة « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة » الخ فليردنا تأكيد ذلك الوجوب بما نشاهد من آيات الحشرات والحيوانات للمنظورة اللاتي تعطينا دروسا ودروسا « والله هو الولي الحميد » وبهذا تم الكلام على الأمر الثاني من آيات الجراد والفصلات وهي الأحوال السياسية .

﴿ الأمر الثالث وهو الكلام على الإصلاحات الدينية ﴾

إن أهل هذه الأرض قد أنزل الله لهم ديانات في أوقات مختلفات : وهذه الديانات متى نزلت عليهم تتول في آخر أمرها إلى أحوال تلك الأمم وأخلاقهم وعوائدهم وهذبن البوذية والبراهمة . هذا الدين حرم أكل الحيوان شفقة ورحمة : وذلك نظر جزئي سطحي، إن أكل الحيوان هو عين الرحمة، إن من قرأ ما تقدم في سورة (سبا) من أن الأرض (تلك الحشرة التي تبنى لها مدنا فوق الأرض وترفعها (٦) أمتار فأكثر وتتسع إلى مدى أميال . وهذه المدن لا يقدر على هدمها الإنسان إلا بالديناميت كما يفعل في الجبال إذا أراد أن يقطعها بالطرق الحديدية) .

أقول إن هذا الأرض لها في كل سنة وقت معلوم تصدر فيه من ذريتها ذات الجناح آلاف الملايين تخرج كلها في ساعة معينة وتطير في الجو طلبا للتناسل ورغبة ضوء الشمس ونعيم الهواء بعد الحبس في تلك المدن المظلمة مع آبائها وأمهاتها العمياء التي تدير مملكة شاسعة لها منافذ، ومنافذ عليها حراس أشداء أقوياء من تلك الجنود العمى ذوات الأساحة القناكة التي لا تدرك إلا بالمنظير المعظمة . وهذه الذرية ذوات الأجنحة المذكورة الطائرات في الجو الفرحات بأنها ستتم بالتناسل والزواج وعليها حليتها من الأجنحة البهجة الجميلة الحربية لا تلبث في الهواء إلا زمنا قليلا ثم تقع على الأرض، وهناك تتلقفها الأفاعى والسكلاب والحرر وأنواع أخرى من الحيوان حتى الإنسان فتصطاد وتؤكل ويحمصها الإنسان ويجعلها مع السكر وبأكلها .

فهذه مخلوقات نظمت بحكمة وصدرت في زمن معلوم لحيوانات تأكلها، وهكذا زى الأسود والنمور وسائر السباع ذوات الأنياب المهددة والجوارح في السماء ذوات المناقير الملتوية المحدودية . كل هؤلاء وهؤلاء قد منعت من أكل النبات وأبيح لها أكل الحيوان . وهذه العصافير تأكل الدود وهي مأكولة لغيرها . وهكذا الحيات والعقارب تأكل الحشرات . وكذلك سمك البحر يعضه آكل وبعضه ما كول . بل الإنسان والحيوان إذا هلكن خلقت أمم الدود في أجسامها دلالة على أنه لا معطل في هذا الوجود، هكذا الجراد هنا يخرج من مواطنه في (جبل عالية) ووديانة ومن غيره ويفزو الأمم كرة بعد كرة فيكون غذاء لها ومتاعا إلى حين ثم تله كمثل حشرات الأرض اللاتي تخرج كل سنة في وقت معين والحيوانات تنتظرها طعاما شهيا فهكذا هذا الجراد يخرج في سنين معلومة كما تقدم وآكلوه . منتظروه فلا معطل في الوجود . إذن أهل الديانات إذا لم يغطنوا العلوم هذه الكائنات فإنهم يعيشون جاهلين ويموتون غافلين . فليس نظام هذه الدنيا مبنيا على مجرد الحواس بل هو يجري بقواعد صادقة ثابتة مبنية على العدل والحساب « لا تبديل لكلمات الله » والحمد لله رب العالمين . وبهذا تم الكلام على الحال الثالثة وهي إصلاح الديانات .

﴿ الحال الرابعة: عروج النفس الإنسانية إلى عالم الجمال ﴾

وهذه منتهى ما ترقى إليه النفوس وتعرج إليه الأرواح . فإن نفوسنا إذا فسرت في أمر الإنسان والحيوان اعتراها الشك والوسواس وقالت [هذه الدنيا بأسرها دار وبال وخسران] فأهل الديانات في شقاق والأمم في ضلال والحيوان آكل ومأكول وهذا الجراد يفزونا ونفوزوه وما هذه الدنيا إلا الوبال والخيال

هذه آراء جميع العقلاء في هذا العالم الإنساني إلا قليلا منهم وهم المفكرون . أما العامة فهم لا حساب لهم لأنهم آمنوا بظواهر الديانات وهؤلاء في طبقة خاصة يدخلون الجنة . فأما المفكرون فأكثرهم يتخبطون في دياجى الظلمات شاكون متحيرين وليس يرقى منهم إلا أفراد قلائل . فهؤلاء يدرسون العلوم الرياضية والطبيعية ولهم عقول مفكرة وآراء محمودة وتكون آراؤهم متوجهة إلى السكيات لا إلى الجزئيات . ففي أمثال هذا المقام تكون عقولهم في جحافل الجراد المنتشرة، الطاغية على بلاد مصر والشام غير مقصورة على آلام الناس من الجراد وعلى أكل الناس له بل يكون النظر متوجها إلى القاعدة العامة وهي أن هذه الأرض أشبه بشجرة والحيوانات والنباتات من فوقها أشبه بأوراق على أغصانها ، وتلك الأوراق تذبل وتحل محلها أوراق أخرى والغصن باق إلى أمد معلوم . فهذه هي حال الأرض وأحوال هذا العالم، مادة شكات بأشكال مختلفة بنظام جميل مدهش ؛ فالمادة كالشجرة والأشكال كالأوراق ووراءها قوة مدبرة منظمة حاسبة لكل مخلوق حسابة ونظامه . فهي تزوجه وترقشه وتسوقه إلى حكمة من الحكم الكونية البديعة النظام وهذه الطائفة التي لأشك أن منها قراء هذا التفسير هي التي ترى ربها وتفوز فوزا عظيما بعد الموت وتكون في أعلى عليين وتفوق العبادة (بتشديد الباء) الذين جعلوا جميع حياتهم فيها وهم خلو من هذه العلوم الجميلة ، فالعبادهم الصالحون ولهم عند الله أجر عظيم . أما المفكرون بهذا المعنى فهم الصديقون وهؤلاء مقامهم بعد الأنبياء وهم في الدنيا هداة لأهل الأرض وفي الآخرة يرون ربهم ويفرحون به وهم مستبشرون . كتب يوم الأحد ١ يونيو سنة ١٩٣٠ .

بهجة هذه الآيات

من قوله تعالى « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها » إلى قوله تعالى « كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور »

كيف يخشى الله من عباده العلماء ؟

اللهم إنا خلقنا في هذه الأرض ولم ندر من أين أقبلنا ، ولا نعرف متى نموت وإذا متنا لاندرى إلى أين تنقل ومع من نعيش ؟ وعلما في هذه الحياة علم ضئيل مع أن الحياة بحر لجى واسع الأكناف عظيم عميق فلا ندرى أوله ولا نعرف آخره . وغاية الأمر أننا نسمع في كتابك الكريم تقول لنا « يحبهم ويحبونه » وتقول « وهو الغفور الودود » وتقول « إن ربكم لرؤوف رحيم » .

فأنت تحب وترحم وتغفر وتود . ها نحن أولاء نظرنا في هذه العوالم المحيطة بنا فألفيناها بحسب إحساسنا جوامد وسوائل وغازا كاللحجارة والماء والهواء ، ومن هذه تشكيات عوالم وعوالم انتفعنا بها ، ولسكننا إذا أقمنا أعيننا وفكرنا ونحن في حال الصفاء فإننا نحس أن هذه العوالم كأنها نور في خيالنا ونحس بأن وراءها قوة عالية تحمل هذه الأنوار للتلاثة التي تنخيلها أمانات توصلها إلينا وهي الأرزاق والمواطف والعقول ، فأما الأرزاق فما هي إلا نتائج لأحوال خاصة لتلك الأنوار المنخيلة في عقولنا، وما هي إلا العناصر التي أظهر العلم أنها جميعها أنوار متراكمة متحركة أبدا ، فإذا نخيلنا العناصر المادية نورا في أنفسنا فهي في حقائقها نور حقا وإن كان نورا متلبدا حتى أصبح مظلما وهذه الأنوار الحاملات لأمانات الأرزاق الواصلة إلينا هي أيضا حاملات لمواطف وأخلاق تؤثر في حياتنا كلها وهذه المواطف تراها واضحة ظاهرة مجسمة في رحمة الأم وفي عشق الفتى والفتاة رحمة الأم والعشق والحب الشهوانيين في الشبان هما أشبه بأنوار البترول الذي

نجعله سببا في إضاءة منازلنا وأشبه بالشمع الذي نوقده فيها أيضا . فإذا كان الشمع المتخذ من أقراص عسل النحل والبتروول المستخرج من الأرض قد أضاء لنا منازلنا بعد غروب الشمس فهكذا نرى الرحمة والحنان والعطف ثم الحب المتنزلات من العالم القدسي الساري في الأنوار التي عبرنا عنها بالمادة قد ظهرت في الأم بهيئة رحمة وفي الذكور والإناث من الإنسان وغير الإنسان بهيئة عشق ، البتروول في الأرض وشمع العسل أضاء لنا في منازلنا والشمس أضاءت العوالم كلها . ما أشبه ضوء الشمع ونور البتروول ورحمة الأم وتحاب الزوجين الذكر والأنثى . وقد جعلت لنا ضوء الشمس العام وانتشاره كضرب مثل لعموم رحمتك وحبك وودك . إن البتروول والشمع من المواد الأرضية والأرض من الشمس . ورحمة الأم وحب الذكور للإناث في كل حيوان أترمن آثار الرحمة العامة التي وضعها الله في الأرض نبراسا وهدى لنا بها نتهدى إلى فهم رحمتك وحبك وودك حتى إذا درسنا ذلك عشنا سعادة سعادة لاحد لها وأمانا منا لاخوف بعده .

فهاك أيها الذكرى شذرة من شذرات رحمته تعالى العامة وموازينها برحمة الأم ووده وحبه بمودات الناس وحبه فنقول : أولا ليس الحب من الله والود والرحمة كما نرى في حيننا نحن ورحمتنا . إن حبنا ورحمتنا حيوانيان وحبه ورحمته هو قدسيان والله مقدس عن المادة . فحبنا ورحمتنا افعال في أنفسنا وحبه ورحمته قدسيان لانعرفهما إلا بآثارهما في الآفاق وفي أنفسنا . ومن آثارها حنو الأم وحب الذكور للإناث وغرامهم بهم وبالعكس . ولا ريب أن نتائج رحمة الأم بولدها مواصلة الجذ والتشهير والسهر على راحة الذرية وجعل جسمها وآرائها ومالها وقفا على تلك الذرية من الشفقة والحنان كما يفعل ذلك نفسه العاشق ولكن على طريق الولوع بالوصال .

ومن عجب أن نتائج رحمة الأمهات وعشق الفتيان للفتيات إن هي إلا حفظ بقاء النوع الإنساني مثلا . فنتائج رحمة الأم الحرص على بقاء ولدها . ونتائج العشق والغرام من أحد الصنفين للأخر إنما هو إيجاد ذكور وإناث يخلفان هذين المتعاشقين .

الله أكبر : أصبحت نتائج الرحمت ونتائج أنواع الغرام منسبة على بقاء الأشخاص وبقاء الأنواع . فانظر نظرة واعجب من علوم الأشعار التي أذاعها العشاق وأنواع المراني التي يرى بها الناس موتاهم وأحزان الأمهات والآباء على أبنائهم فكلمها موجهاً إلى تمنى بقاء هذا النوع الإنساني . فماذا يريد العاشق ؟ يريد الوصال . وما نتائج الوصال إلا حصول ذرية ، وعلام تسهر المرأة إذا مرض ولدها ؟ تسهر على صحته مؤملة أن يعيش . إذن الحب والرحمة منسبان وموجهان معا لغاية واحدة هي غاية حياة الأشخاص وحياة الأنواع ، فإذا سمعت جميلا يشبب في بيئته ويقول :

وأول ما قاد اللودة بيننا بوادى بغيض يا بشين سباب
وقلت لها قولا وقالت بمثله لكل كلام يا بشين جواب

وسمعه يقول :

وإني لأرضى من بيئته بالذى لو أبصره الواشى لقرت بلائله
بلا وبألا أستطيع وبالمنى وبالأمل المرجو قد خاب أمله
وبالنظرة العجلى وبالحوال ينقصى أو اخره لا نلتقى وأوائله *

ثم علمت بعد ذلك أنه كلما كان الحب شريفا طاهرا كان أبعث على الأعمال الشريفة ورفعة الشأن وكبر النفس وارتقائها مرافق عالية في مدارج الرقي في الحياة، وبالعكس ذلك إذا تنزل للشهوات الحيوانية فإنه ينطفيء ولا يؤدي مقصوده . وبالجملة حب الذكر والأنثى إيمان ينتج الذرية وهناك ينقلب رحمة للذرية، فإن

انتهى بالشهوة نفسها وبمجرد المتعة فإنه يكون حقيقياً إذ به تسفل النفس وتذل وعاقبته وخيمة . فأما إذا كان العفاف والشرف فنتائج تحصل في نفس العاشق فإن همته تملو ، فنتائج الغرام إما علو في نفس العاشق إذا كان عفيفاً ، وإما ذرية ينقلب الغرام الذي كان أولاً رحمة بها ، وإما سقوط مروءة مع الدناءة والحسة إذا انتهى بالشهوة الهيبية وحدها فإن الهم والعار في الدنيا يقترنان بالفاسقين .

أقول : إذا سمعت ذلك فاعلم أن الحب على ثلاثة أقسام : حب أدنى . وحب أوسط . وحب أعلى . وقد علمت مراتب الحب الأدنى وهو الحيوان فإن نتائجه الصحيحة اثنتان لاغير ، نتيجة ترفع نفس العاشق إلى العلاء . ونتيجة توجه لإحداث الذرية . فأما الحب الأوسط فإنه أعلى من الحب الأول وهو حب العلوم . وحب العلوم إما أن يكون موجهاً للعمل بحيث تكون مباحث العلوم لها نتائج راجعة للمجموع الإنساني كالعلوم الرياضية والطبيعية وعلوم الصناعات . فهذا كالعشق المؤدى إلى إيجاد الذرية . وإما أن يكون موجهاً إلى المباحث العامة كالتي في هذا التفسير بحيث تكون العلوم كلها موجهاً لرفعة نفس النوع الإنساني من حيث بحث المهم وارتقاء العزائم وإحداث اليقين في النفوس وتوجيهها إلى المحبة العامة والأخوة والترغيب في حوز العالی . فهذا أشبه بالعشق مع العفة الذي أورث في النفس انبعاثاً إلى العالی ولكن الفرق بينهما أن ذلك انبعاث شخصي وهذا انبعاث عام لأنك علمت أن حب الكور للاناث حب أدنى ، وغاية الأمر أن النفس الانسانية بما لها من السلطان والقوة حولته إلى منفعة لها فأحدث لها هممة وعلو نفس . أما حب العلوم فهو أوسط . فإذا جعل الإنسان حب العلوم وسيلة لجمع المال له خاصة كان حبه أسفل طبقات الحب وكان ذلك أشبه بمن أحب ولا عفة عنده وانتهى حبه بالشهوة الطبيعية كما انتهى حب صاحب العلم بالشهوة للمالية .

(مثال حب العلم الذي أثبتنا أنه أعلى من سابقه)

ما جاء في إحدى المجلات المصرية في شهر مايو سنة ١٩٣٠ من نبأ بعثة علمية دولية تتسلق الجبال من كبار العلماء برئاسة الأستاذ (ديرنفورث) إذ أخذت هذه البعثة تتسلق جبال همالايا المسماة (كانش جونجا) وهي الثانية في الارتفاع بعد (ايفرست) وأهوال هؤلاء المتسلقين أعالي الجبال أشد من أهوال رواد القطب الجنوبي والشمالي لأن الجليد يغطي قمم الجبال بسماك (٨٠٠) قدم . وهؤلاء الرتلادون يعيشون فوق الجليد والرياح العابثة تعصف بهم . وسلسلة جبال همالايا ارتفاعها ٢٠٠٠ ألفا ميل ، ومن قممها ما يرتفع ٢٤٠٠٠ قدم وتزيد ، وعدد القمم المذكورة (٧٥) قمة ، ولقد حاول العلماء الوصول إلى أعالي تلك القمم فعجزوا ، وقد ذهب العالم (دوغلاس فرشفيلد) سنة ١٨٩٩ وقضى سبعة أسابيع في دورته حوله ووصف المناظر التي رآها فقال إنه لم ير في حياته ما هو أجمل ولا أبهى من مناظر ذلك الجبل الذي تكسوه قانسوة من الجليد الأبيض الناصع الذي يشبه القطن النقي النفوش ، ولقد ورد موارد الهلاك أثناء ذلك التسلق مرات كثيرة . ولقد حاولت ثلاث بعثات الوصول إلى تلك القمم فلم تحصل ومات أكثرهم بالرياح العاصفة وبالثلوج التي تنقض عليهم قهلبسكهم . أما البعثة الرابعة فهي في طريقها عند كتابة هذه الأسطر في هذا التفسير في شهر مايو سنة ١٩٣٠ م .

هذه هي الطبقة الوسطى في الحب وهو حب العلوم . ياسبحان الله نسمع مجنون ليلى يقول :

وإني إذا ماجئت ليلى أزورها أرى الأرض تطوى لي ويدنو بعيدها

من الحفرات البيض ود جلسها إذا ما انقضت أحذوتها لو تعيدها

ونرى العاشقين في الدرجة الدنيا يقدمون أنفسهم للهلاك ويقدمون على الموت باطمئنان وراحة بال إذا حرموا من الحظوة المحبوب . وفي الدرجة الوسطى وهي درجة العلماء نراهم يقدمون أنفسهم للموت سراعاً

من أجل قمة جبل أو مناظر قطب . ولكن لما كان حب العلم أعلى كان عاما في الشيوخ والشبان . وأما ما قبله فهو خاص بالشباب أيام حرارة الشهوة فإذا كبر قال :

قضيت سنون بالوصال وبالهناء فكأنها من قصرها أيام
ثم انقضت أيام هجر بعدها فكأنها من طولها أعوام
ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنها وكأنهم أحلام

هذا كلام الإنسان إذا كبرت سنه وتذكر أيام شبابه ، أما حب العلم فهو لا يختص بسن معينة بل يزيد بغير السن ، أما الدرجة الثالثة فهي العليا وهذه خاصة بطبقة تمتاز عن سابقتها . فانظر لأهل الدرجة الدنيا في العشق فإنك ترى عشقها محصورا في محاسن إنسان خاض وهذه لم تجعل إلا نوططة للدرجة الوسطى والوسطى مقدمة للدرجة العليا وهي درجة العلماء الذين يخشون الله ، فإذا خشي العاشق في أدنى الدرجات هجر تلك الفتاة التي افتتن بحماها ، وإذا خشي علماء البعثة العلمية فنك الثلج بهم في (جبال همالايا) وهم يحبون أن يتساقطوا . فالعلماء المفكرون الدارسون لمثل هذا الكتاب الناظرون لهذا العالم أشد الله خشية من خشية عاشق امرأة أن تهجره ومن خشية متسلق جبل أن يهلكه . إن خشية العاشق مقدره بمقدار جمال العشوق وعلو قدره والناظرون للجبال والشجر والندوب والماء والزرع والغمرات وما أشبه ذلك . للمفكرون في عجائب هذه الدنيا عشقهم وغرامهم لاحد له وخشيتهم لمبدع هذا الوجود لاحد لها . فهؤلاء ينظرون فيقولون : [إن هذا الجسم الإنساني قد أخذ من الأرض والماء والزرع والغمرات وما أشبه ذلك . للمفكرون في عجائب هذه الدنيا عشقهم وغرامهم لاحد له وخشيتهم لمبدع هذا الوجود لاحد لها . فهؤلاء ينظرون فيقولون : ووصول الروائح له ، ومن ضوء الشمس هدايته للسبيل وتدفئة جسمه وإصلاح أحواله . ومن مناظر السماء ودوران الأفلاك عدد أيامه وشهوره وحساب سنه : وقد وزعت حواسه على هذه العوالم . فبلغذاء والشراب حاسة الذوق . وللمواد كلها من حيث الحرارة والبرودة والثقيل والخفة وهكذا حاسة اللمس وللروائح حاسة الشم وللأضواء حاسة البصر وللهواء حاسة السمع ، إذن هو لم يذر مخلوقا حوله إلا وجد في نفسه استعدادا لتناوله تناولا ماديا أو تناولا معنويا .

يقول الحكيم في نوع الإنسان العوالم كلها متصلات بي فلا كواكب ولا سحاب ولا هواء ولا رياح ولا شجر ولا حجر ولا نبات ولا حيوان إلا لها اتصال بي . وذلك طبعا يدعو إلى التفكير فيها ، وهناك يبحث في الجمال الذي نقش فيها كما نظر جميل جمال بيئته وتوبة جمال ليلي وكثير جمال عزة فهاموا في ذلك الجمال الجزئي من العالم المادي وكما هام العالم (ماري) والعالم (سومرفيل) والعالم (نورتن) بحب استطلاع جبال همالايا وطلعوا إليها سنة ١٤٢٤ م لما نصبوا خيامهم ومكتوا أسبوعين على جبل جليدي هناك حتى هبت زوبعة اكتسحتهم واكتسحت خيامهم ، ولكن حب الاستطلاع غلب عليهم فقد رجعوا كرة أخرى وصمموا على أن يصلوا إلى مقصودهم أو يموتوا فرجعوا في ٢٠ مايو من تلك السنة وانضم إليهم غيرهم ، ولكن البرد أهلك أربعة منهم فرجع الباقون كرة أخرى وطلع فوق القمة رجلا من منهم فالتهمتها سحابة قضت على حياتهما ، كل ذلك نتائج حب العلم ، وحب العلم ضحاياه أكثر عددا من ضحايا حب الذكور للأنثى . إن حب الشرف والمجد وهو الحب الأوسط لا تعد ضحايا الغرام المعروف بالنسبة لقرائسه شيئا مذكورا ، وأرق منه وأشرف وأعلى منزلة حب الجمال العام في هذه الدنيا . ولهذا الحب طائفة أرقى وأعلى من الطائفتين السابقتين ولذتها وسرورها أعلى من سرور الطائفتين قبلهما بما لاحد له ، فلئن أغرم (الدوق ابروزي) غم ملك إيطاليا للعاصر لنا إلى ارتفاع جبال همالايا ، وكذلك العلامة (دوجلاس فرشفيلد) و (الدكتور بوزر) وغيرهما وقالوا جميعا « إما هلكا وإما ملكا » وكذلك غرام كثير بعزة وتوبة بليلي ليكون غرام هذه الطائفة غير محصور

في مناظر الثلج في أعلى جبال همالايا ، ولاجمال امرأة خاصة ، بل غرامها بالنجوم والجمال والشجر والدواب والبحار والأنهار . فهم يجدون الجمال في تركيب أجسامهم وتركيب التدرجات وخطرات الرياح وهبوب السمات وتمايل الأشجار وتعمات الحشرات وأصوات الطيور وضوء البرق وبهجة السحاب ورؤية الضباب وسير العلماء وفهم ذرات الكيمياء ونظام الحركات الكوكبية . فالأشجار والأحجار والأنوار والظلمات والنجوم والعلوم وكل دقيق وجليل من هذا الوجود أنواع من الجمال يذكر بمحبوب غائب لم تره عيونهم ولكن أدركته قلوبهم . فهؤلاء إذا سمعوا بالهوى العذرى في الأمة العربية الذي ينتهي بموت العاشقين هناك قدما أو الهوى الياباني الذي بلغنا خبره حديثا . وإن كثيرا من الشبان يرمون أنفسهم من أعلى الحرمات من الاتصال بمشوقاتهم . وإذا سمعوا أيضا أن عشاق العلوم والكشف لقطب الشمال أو الجنوبي قد رضوا بالموت طوعا لما شغف قلوبهم من الغرام الأوسط وهو الغرام بالاطلاع . فهؤلاء إذن يرون أنفسهم في ساحة من الغرام لاحد لها لما يرون من جمال لانهاية له ، وإذن يهون عليهم الموت في سبيل حبهم لذات لم ترها عيونهم هي مصدر جمال عزة وشينة وليلى وجمال الثلج في قمم جبال همالايا الذي افتتن العلماء به فهاموا وهلكوا وهم يكشفون عن ذلك المحبوب .

إن هذه الطائفة ترجع كرة أخرى فتتظر في أمر رحمة الأم وحب الشبان فتري نتائجها ببدل كل ما تملك الأم وما يملك العاشق ، ولكن الذي صنع العالم ببدل ما لاحد له ، فأين المناسبة بين ثياب وطعام وشراب لطفل من أمه وبين هذه العوالم كلها للبدولات للانسان ، وإذا كان ذلك لايعرفه إلا العلماء ولا يعقله إلا هم فان خشية الله عندهم أعلى من خشية العاشق لمشوقه .

وقصارى القول وحماداه أن في الحيوان لاسيا نوع الإنسان مبدأ ونهاية . أما للبدا فهو العشق والحب وبهذا تكون التدرية . وأما النهاية فهو أن يتقلب الحب إلى رحمة تلك التدرية وإلى الحب النافع الدائم بينهما إن غرام الذكور بالإناث وحب الإناث للذكور لم يكن إلا الحكمة وهي حصول الولد . وهناك يتقلب غرام كل منهما بالآخر شيئا فشيئا إلى حب ورحمة . أما الحب فإن كلا منهما يحب الآخر للتعاون على أمر الحياة وهو أشرف من الحب الأول وهناك يبدل الجمال إذ لا منزل له فهو كرهات الرياض يبدل إذا ظهرت الثمرات ، وأما الرحمة فهي أن كلا منهما يعطف على ولده عطفًا كليًا ويبدل نفسه وماله في إرضائه وهو فرح به قدير العين وهانان العاطفتان ترتقيان عند الحكماء ، فالعشق والحب الحيواني يتقلب عند الحكيم إلى عشق العوالم كلها من حيث إدراك حقائقها . فسكا نسمع جميل بن معمر يقول :

ومازلتم يابئين حتى لو انقضى من الشوق أستبكي الحمام بكى ليا

ونسع عمر بن أبي ربيعة التوفى سنة ٩٣ يقول في الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث وكان قد تزوجها رجل اسمه سهيل :

أيها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية إذا ما استقلت وسهيل إذا استقل يمانى

ونسع الخزومي يقول في عائشة بنت طلحة لما تزوجها مصعب بن الزبير :

ظعن الأمير بأحسن الخلق وغدا بلبك مطلع الشرق

ونسع مجنون لبلى كما يقال وينسب إليه يقول :

وأخرج من بين البيوت لعلى أحدث عنك النفس بالليل خاليا

أقول : كما نسمع هؤلاء يقولون ذلك وأمثالهم كثير نسمع عددا أكثر منهم من الحكماء يؤلفون الكتب

ويولعون بالبحث في العوالم ويعشقون العلم عشقا مفرطا وكثير مهم مات وهو دائب في بحثه ، ومنهم من يجد لذة في مبحثه فيزيد فرجه فيعمت من شدة الفرح ، وأكثر الكاشفين للباحث العلمية لم يكن ذلك الكاشف إلا عن غرام وحب كما اتفق لكاشف أميركا (كريستوف كلومب) فقد خاطر بنفسه وبرجاله وحاولوا أن يقذفوه في البحر ولكن القدر نجاه بظهور أمارات تدل على العمران ، إذن عشق العلم عند الحكماء لم يخرج عن كونه عشق الجمال ، لجمال وجه لبي وبثينة ولبنى عرفه الشاب بنظرات العين وجمال العوالم المحيطة بنا يعرف بالعين وبالعقل وبالسمع ، وهناك يزداد العشق والغرام بازدياد المعرفة ، إذ لا غرام إلا بمعرفة . فهذا هو اللبداً عند الحكماء المقابل للبيدأ عند الشبان كما قدمنا ، أما النهاية فهي (أمران) حب الله تعالى ورحمة المخلوقات . فسكا ترى الزوجين انقلب غرامهما إلى حب أحدهما للآخر ورحمة للولد هكذا هنا ينتج حب العلم (أمرين) حب الله تعالى حب يليق بجماله ، ورحمة النوع الإنساني إذن قراءة أمثال هذا التفسير تنتج حب العلوم وحب العلوم ينتج (أمرين) حب الله تعالى على مقدار العلم بمصنوعاته ورحمة النوع الإنساني إذن كلما أكثر علم العالم بالعجائب في هذه العوالم ازداد حبا في ربه ورحمة لعباده وسعد سعادة لآحد لها لأنه قد وصل إلى اليقين . وهذا كله نتائج هذه الآية « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر » إلى قوله « إنما نخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور » . إذا علمت ذلك وفهمته حق معرفته فهمت ما يقوله الإمام الغزالي في الجزء الرابع من كتابه المسمى [إحياء علوم الدين] تحت العنوان الآتي وهذا نصه :

بيان أن أجل اللذات وأعلاها معرفة الله تعالى والنظر إلى وجهه الكريم
(وأنه لا يتصور أن يؤثر عليها لذة أخرى إلا من حرم هذه اللذة)

اعلم أن اللذات تابعة للدراكات والإنسان جامع لجملة من القوى والغرائز ولكل قوة وغريزة لذة ولذتها في نيلها فمقتضى طبيعتها الذي خلقت له فإن هذه الغرائز ما ركبت في الإنسان عبثا بل ركبت كل قوة وغريزة لأمر الأمور هو مقتضاها بالطبع فغريزة الغضب للتشفي والانتقام فلا جرم لذتها في الغلبة والانتقام الذي هو مقتضى طبيعتها وغريزة شهوة الطعام مثلا خلقت لتحصيل الغذاء الذي به القوام فلا جرم في نيل هذا الغذاء الذي هو مقتضى طبيعتها وكذلك لذة السمع والبصر والشم في الإحساس والاستماع والشم فلا تخلو غريزة من هذه الغرائز عن أم ولذة بالإضافة إلى مدركاتها فكذلك في القلب غريزة تسمى النور الإلهي لقوله تعالى « أفمن شرح صدره للإسلام فهو على نور من ربه » وقد تسمى العقل وقد تسمى البصيرة الباطنة وقد تسمى نور الإيمان واليقين ولا معنى للاشتغال بالأساسي فإن الاصطلاحات مختلفة والضعيف يظن أن الاختلاف واقع في المعاني لأن الضعيف يطلب المعاني من الألفاظ وهو عكس الواجب فالقلب مفارق لسائر أجزاء البدن بصفة بها يدرك المعاني التي ليست متخيلة ولا محسوسة كإدراكه خلق العالم أو افتقاره إلى خالق قديم مدبر حكيم موصوف بصفات إلهية ، ولتسم تلك الغريزة عقلا بشرط أن لا يفهم من لفظ العقل ما يدرك به طرق المجادلة والمناظرة فقد اشتهر اسم العقل بهذا ولهذا ذمه بعض الصوفية وإلا فالصفة التي فارق الإنسان بها البراهم وبها يدرك معرفة الله تعالى أعز الصفات فلا ينبغي أن ندم وهذه الغريزة خلقت ليعلم بها حقائق الأمور كلها فمقتضى طبيعتها المعرفة والعلم وهي لذتها كما أن مقتضى سائر الغرائز هو لذتها وليس ينبغي أن في العلم والمعرفة لذة حتى إن الذي ينسب إلى العلم والمعرفة ولو في شيء خسيس يفرح به والذي ينسب إلى الجهل ولو في شيء حقير يفتقر به ، وحتى إن

الإنسان لا يكاد يصبر عن التحدى بالعلم والتمدح به في الأشياء الحقيرة، فالعالم باللعب بالشطرنج على خسته لا يطبق
 السكوت فيه عن التعليم وينطلق لسانه بذكر ما يعلمه وكل ذلك لفرط لذة العلم وما يستشعره من كمال ذاته به
 فإن العلم من أخص صفات الربوبية وهي منتهى السكالك ولذلك يرتاح الطبع إذا أثنى عليه بالذكاء وغزارة العلم
 لأنه يستشعر عند سماع الثناء كمال ذاته وكامل علمه فيعجب بنفسه ويلتذبه ثم ليست لذة العلم بالحراثة والحياطة كلذة
 العلم وسياسة الملك وتديير أمر الخلق ولا لذة العلم بالنحو والشعر كلذة العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته
 وملكوته السموات والأرض بل لذة العلم بقدر شرف العلم وشرف العلم بقدر شرف العلوم حتى إن الذي
 يعلم بواطن أحوال الناس ويخبر بذلك يجد له لذة وإن جهله تقاضاه طبعه أن يفحص عنه فإن علم بواطن أحوال
 رئيس البلد وأسرار تدييره في رياسته كان ذلك ألد عنده وأطيب من علمه بباطن حال فلاح أو حائك فإن
 الرئيس أطلع على أسرار الوزير وتدييره وما هو عازم عليه في أمور الوزارة فهو أشهى عنده وألذ من علمه بأسرار
 الرئيس فإن كان خبيراً بباطن أحوال الملك والسلطان الذي هو المستولى على الوزير كان ذلك أطيب عنده وألذ
 من علمه بباطن أسرار الوزير وكان تمدحه بذلك وحرصه عليه وعلى البحث عنه أشد وحببه له أكثر لأن لذته
 فيه أعظم، فهذا استبان أن ألد المعارف أشرفها وشرفها بحسب شرف العلوم فإن كان في المعلومات ما هو
 الأجل والأكمل والأشرف والأعظم فالعلم به ألد العلوم لاحتلاله وأشرفها وأطيبها. وليت شعري هل في الوجود
 شيء أعلى وأشرف وأكمل وأعظم من خالق الأشياء كلها ومكملها ومزينها ومبدئها ومعيدتها ومديرها ومرتبها.
 وهل يتصور أن يسكون حضرة في الملك والسكالك والجمال والبهاء والجلال أعظم من الحضرة الربانية التي لا يحيط
 بمبادئ جلالها وعجائب أحوالها وصف الواسفين، فان كنت لاتشك في ذلك فلا ينبغي أن تشك في أن الاطلاع
 على أسرار الربوبية والعلم بترتيب الأمور الإلهية المحيطة بكل الموجودات هو أعلى أنواع المعارف والاطلاعات وألذها
 وأطيبها وأشهاها وأحرى ما تستشعر به النفوس عند الاتصاف به كمالها وجمالها وأجدر ما يعظم به الفرح والارتياح
 والاستبشار، وبهذا تبين أن العلم لذيد وأن ألد العلوم العلم بالله تعالى وصفاته وتدييره في مملكته من منتهى عرشه
 إلى تخوم الأرضين فينبغي أن يعلم أن لذة المعرفة أقوى من سائر اللذات أعنى لذة الشهوة والغضب ولذة
 سائر الحواس الخمس فإن اللذات مختلفة بالنوع أولاً كمخالفة لذة الوقاع لذة السماع ولذة المعرفة للذة الرياسة وهي
 مختلفة بالضعف والقوة كمخالفة لذة الشبق للفتل من الجماع لذة الفأر الشهوة ومخالفة لذة النظر إلى الوجه
 الجميل للفائق الجمال للذة النظر إلى مادونه في الجمال وإنما تعرف أقوى اللذات بأن تكون مؤثرة على غيرها
 فان الخبير بين النظر إلى صورة جميلة والتمتع بمشاهدتها وبين استنشاق روائح طيبة إذا اختار النظر إلى الصورة
 الجميلة علم أنها ألد عنده من الروائح الطيبة وكذلك إذا حضر الطعام وقت الأكل واستمر اللاعب بالشطرنج
 على اللعب وترك الأكل فيعلم به أن لذة العلبة في الشطرنج أقوى عنده من لذة الأكل فهذا معيار صادق في الكشف
 عن ترجيح اللذات، فنعود ونقول اللذات تنقسم إلى ظاهرة كلذة الحواس الخمس وإلى باطنة كلذة الرياسة
 والعلبة والكرامة والعلم وغيرها إذ ليست هذه اللذة للعين ولالأنف ولالاذن ولاللسان وللذوق. والمعاني
 الباطنة أغلب على ذوى السكالك من اللذات الظاهرة، فلو خبر الرجل بين لذة الدجاج السمين واللوزينج وبين
 لذة الرياسة وقهر الأعداء ونيل درجة الاستيلاء فان كان الخبير خسيس الهمة ميت القلب شديد التهمة اختار اللحم
 والحلاوة وإن كان على الهمة كامل العقل اختار الرياسة وهان عليه الجوع والصبر عن ضرورة القوت أياماً كثيرة
 فاخياره للرياسة يدل على أنها ألد عنده من للطعومات الطيبة، نعم الناقص الذي لم تسكلم معانيه الباطنة بعد
 كالصبي أو الكندي ماتت قواه الباطنة كالمعتوه لا يبعد أن يؤثر لذة الطعومات على لذة الرياسة وكما أن لذة الرياسة والكرامة
 أغلب اللذات على من جاوز نقصان الصبا والعتة. فلهذا معرفة الله تعالى ومطالمة جمال حضرة الربوبية والنظر إلى

أسرار الأمور الإلهية ألذمن الرياسة التي هي أعلى اللذات الغالبة على الخلق وغاية العبارة عنه أن يقال « فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين » وأنه أعد لهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذا الآن لا يعرفه إلا من ذاق اللذتين جميعا فإنه لا محالة يؤثر التبتل والتفرد والفكر والتذكر وينغمس في بحار المعرفة ويترك الرياسة ويستحق الخلق الذين يرأسهم له بفناء رياسته وفناء من عليه رياسته وكونه مشوبا بالسكدرات التي لا تصور الحلو عنها وكونه مقطوعا بالموت الذي لا بد من إتيانه مهما أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها فيستعظم بالإضافة إليها لذة معرفة الله تعالى ومطالعة صفاته وأفعاله ونظام مملكته من أعلى عليين إلى أسفل السافلين فإنها خالية عن المزاحمات والسكدرات متسعة للتواردين عليها لا تضيق عنهم بكبرها وإنما عرضها من حيث التقدير السموات والأرض وإذا خرج النظر عن المقدرات فلا نهاية لعرضها فلا يزال العارف بمطالعتها في جنة عرضها السموات والأرض يرتفع في رياضها ويقطف من ثمارها ويكرع من حياضها وهو آمن من انقطاعها إذ ثمار هذه الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة ثم هي أبدية سرمدية لا يقطعها الموت إذ الموت لا يهدم محل معرفة الله تعالى ومحلها الروح الذي هو أمر رباني سناوي وإنما الموت يغير أحوالها ويقطع شواغلها وعوائقها ويغلبها عن جنسها فأما أن بعدمها فلا « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم « الآية ولا تظن أن هذا مخصوص بالمتقول في المعركة فإن للعارف بكل نفس درجة ألف شهيد، وفي الخبر « إن الشهيد يسمي في الآخرة إن يرد إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى لعظم ما يراه من ثواب الشهادة وإن الشهداء يتمنون لو كانوا علماء لما يرونه من علو درجة العلماء » فإذا جمع أقطار ملكوت السموات والأرض ميدان العارف يتبوأ منه حيث يشاء من غير حاجة إلى أن يتحرك إليها بحسبه وشخصه فهو من مطالعة جمال الملكوت في جنة عرضها السموات والأرض وكل عارف فله مثلها من غير أن يضيق بعضهم على بعض أصلا إلا أنهم يتفاوتون في سعة منبرهاهم بقدر تفاوتهم في اتساع نظرهم وسعة معارفهم وهم درجات عند الله ولا يدخل في الحصر تفاوت درجاتهم، فقد ظهر أن لذة الرياسة وهي باطنة أقوى في ذوى السكالات من لذات الحواس كلها وأن هذه اللذة لا تكون لهيمنة ولا لصبي ولا لمعتوه وأن لذة المحسوسات والشهوات تكون لذوى السكالات مع لذة الرياسة ولكن يؤثران الرياسة فأما معنى كون معرفة الله وصفاته وأفعاله وملكوت سمواته وأسرار ملكه أعظم لذة من الرياسة فهذا يخص معرفته من نال رتبة المعرفة وذاقها ولا يمكن إثبات ذلك عند من لا قلب له لأن القلب معدن هذه القوة كما أنه لا يمكن إثبات رجحان لذة الوقاع على لذة اللعب بالصولجان عند الصبيان ولا رجحانه على لذة شم البنفسج عند العنبرين لأنه فقد الصفة التي بها تدرك هذه اللذة ولكن من سلم من آفة العنة وسلم حاسة شمه أدرك التفاوت بين اللذتين وعند هذا لا يبقى إلا أن يقال من ذاق عرف . ولعمري طلاب العلوم وإن لم يشتغلوا بطلب معرفة الأمور الإلهية فقد استكشفوا رائحة هذه اللذة عند انكشاف للشكلات وأغلال الشبهات التي قوى حرصهم على طلبها فإنها أيضا معارف وعلوم وإن كانت معلوماتها غير شريفة شرف المعلومات الإلهية . فأما من طال فكره في معرفة الله سبحانه وقد انكشف له من أسرار ملك الله ولو الشيء اليسير فإنه يصادف في قلبه عند حصول الكشف من الفرح ما يكاد يطير به ويتعجب من نفسه في ثبانه واحتماله لقوة فرجه وسروره وهذا مما لا يدرك إلا بالتوق والحكاية فيه قليلة الجدوى فهذا القدر ينهك على أن معرفة الله سبحانه ألد الأشياء وأنه لآلة فوقها، ولهذا قال أبو سليمان الداراني : إن لله عبادا ليس يشعلهم عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة فكيف تشعلهم الدنيا عن الله ولذلك قال بعض إخوان معروف السكرخي له أخبرني بأبا محفوظ أي شيء هاجك إلى العبادة والانقطاع عن الحلق؟ فسكت وقال ذكر الموت فقال وأي شيء الموت؟ فقال ذكر القبر والبرزخ فقال وأي شيء القبر فقال خوف النار ورجاء

الجنة فقال وأى شيء هذا إن ملكا هذا كله بيده إن أحببته أنساك جميع ذلك وإن كانت بينك وبينه معرفة كفالك جميع هذا . وفي أخبار عيسى عليه السلام إذا رأيت الفتي مشغولا بطلب الرب تعالى فقد ألهاه ذلك عماسواه ورأى بعض الشيوخ بشر بن الحارث في النوم فقال ما فعل أبو نصر الحمار وعبدالوهاب الوراق؟ فقال تركتهما الساعة بين يدي الله تعالى يأكلان ويشربان. قلت فأنت قال علم الله قلة رغبتى في الأكل والشرب فأعطاني النظر إليه . وعن علي بن لوفيق قال رأيت في النوم كأنى أدخلت الجنة فرأيت رجلا قاعدا على مائدة وملك كان عن يمينه وشماله يلقمونه من جميع الطيبات وهو يأكل ورأيت رجلا قائما على باب الجنة يتصفح وجوه الناس فيدخل بعضا ويرد بعضا قال ثم جاؤزتهما إلى حظيرة القدس فرأيت في سرادق العرش رجلا قد شخص بصره ينظر إلى الله تعالى لا يظرف قلت لرضوان من هذا فقال معروف السكرخى عبد الله لاخوفا من ناره ولا شوقا إلى جنته بل حباله فأباحه النظر إليه إلى القيامة وذكر أن الآخرين بشر بن الحارث وأحمد بن حنبل ولذلك قال أبو سليمان من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غدا مشغول بنفسه ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا مشغول بربه وقال الثوري لرابعة ما حقيقة إيمانك قالت ما عبدته خوفا من ناره ولا حبا لجنته فأكون كأجير السوء بل عبدته حباله وشوقا إليه وقالت في معنى المحبة نظما :

أحبك حبين حب الهوى وجبا لأنك أهل لذاكا
فأما الذي هو حب الهوى فشغلى بذكرك عمن سواكا
وأما الذي أنت أهل له كشفك لي الحجب حتى أراكا
فلا الحمد ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذاوذاكا

ولعلها أرادت بحب الهوى حب الله لإحسانه إليها وإنعامه عليها بحفظ العاجلة وبعبه لما هو أهل له الحب لجماله وجلاله الذي انكشف لها وهو أعلى الحبين وأقواهما ولذة مطالعة جمال الربوبية هي التي عبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال حاكيا عن ربه تعالى « أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » . وقد تعجل بعض هذه اللذات في الدنيا لمن انتهى صفاء قلبه إلى الغاية ، ولذلك قال بعضهم إنى أقول يا رب يا الله فأجد ذلك على قلبي أثقل من الجبال لأن النداء يكون من وراء حجاب وهل رأيت جليسا ينادى جليسه؟ وقال إذا بلغ الرجل في هذا العلم الغاية رماه الحلق بالحجارة أى يخرج كلامه عن حد عقولهم فيرون مايقوله جنونا أو كفرا ثم قصد العارفين كلهم وصله ولقاؤه فقط فهي قرة العين التي لا تعلم نفس ماأخفى لهم منها وإذا حصلت انعمت المموم والشهوات كلها وصار القلب مستغرقا بنعيمها فلو ألقى في النار لم يحس بها لاستغراقه ولو عرض عليه نعم الجنة لم يلتفت إليه لكمال نعيمه وبلوغه الغاية التي ليس فوقها غاية ، وأبت شعري من لم يفهم إلا حب المحسوسات كيف يؤمن بلذة النظر إلى وجه الله تعالى وماله صورة ولا شكل وأى معنى لوعد الله تعالى به عباده وذكره أنه أعظم النعم بل من عرف الله عرف أن اللذات المفرقة بالشهوات المختلفة كلها تنطوي تحت هذه اللذة كما قال بعضهم :

كانت لقلبي أهواء مفرقة فاستجمعت مذكر أنك العين أهواي
فصار يحسدني من كنت أحسده وصرت مولى الورى مذكرت مولائي
تركت للناس دنياهم ودينهم شغلا بذكرك ياديني ودنياي

ولذلك قال بعضهم :

وهجره أعظم من ناره ووصله أطيب من جنته

وما أرادوا بهذا إلا إثارة لذة القلب في معرفة الله تعالى على لذة الأكل والشرب والنكاح فان الجنة معدن

تمتع الحواس . فأما القلب فلذته في لقاء الله فقط ، ومثال أطوار الخلق في لذاتهم ما ندكره وهو أن الصبي في أول
حركته وتمييزه يظهر فيه غريزة بها يستلذ اللعب واللهو حتى يكون ذلك عنده ألد من سائر الأشياء ثم يظهر
بعده لذة الزينة ولبس الثياب وركوب الدواب فيستحقر معها لذة اللعب ثم يظهر بعده لذة الوقاع وشهوة
النساء فيترك بها جميع ما قبلها في الوصول إليها ، ثم تظهر لذة الرياضة والعلو والتكاثر وهي آخر لذات الدنيا
وأعلاها وأقواها كما قال تعالى «اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر» الآية ثم
بعد هذا تظهر غريزة أخرى يدرك بها لذة معرفة الله تعالى ومعرفة أفعاله فيستحقر معها جميع ما قبلها فكل
متأخر فهو أقوى وهذا هو الأخير . إذ يظهر حب اللعب في سن التمييز وحب النساء والزينة في سن البلوغ
وحب الرياضة بعد العشرين وحب العلوم بقرب الأربعين وهي الغاية العليا ، وكما أن الصبي يضحك على من يترك
اللعب ويشغل بملاعبة النساء وطلب الرياضة فكذلك الرؤساء يضحكون على من يترك الرياضة ويشغل
بمعرفة الله تعالى والعارفون يقولون « إن تسخرو منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون » .
هذا ما أردت نقله من كتاب الإحياء ، واعلم أيديك الله أن حب الله وحب العلوم اللذكريين في كلام
الغزالي المذكور قد مهدت له الطرق في زماننا تمهيدا أتم من الأزمان السابقة فإن المسلمين في العصور المتأخرة
كانت معارف جمال العالم محصورة عندهم في كتب قليلة غير موضحة ولا مفصلة وهي كتب التوحيد وكتب
الفلسفة . أما في زماننا فإن الله عز وجل قد أوسع دائرة المعارف وبذلها للناس قاطبة والمسلمون منهم فعليهم
اليوم أن يغترفوا منها ، ولقد أخذ المؤلفون في ديار الإسلام يتفتنون في فنون الحكمة ويعيدون طرقها ، وأحمد
الله إذ جعل لمن يقرءون أمثال هذا التفسير مراقي وسلام يرتفون بها إلى الأعمال الشريفة في الدنيا وفي حب
الله تعالى ، وفرق ما بين النابغين في أمم الإسلام قبل اليوم وبينهم بعد زماننا أن النابغين في الأمم الإسلامية
المتأخرة أكثرهم كان يجعل همه الانقطاع عن الناس كما يفعل البراهمة في الهند ، أما النابغون بعد الآن
القارئون لأمثال هذا التفسير ، فهؤلاء يحدون أن الله يوجب عليهم الجهد والتشمير في حوز العلم بجميع أنواعه
وسيفخ قوم في الكيمياء في معاملها ، وآخرون في رصد الكواكب وحسابها . وآخرون في النبات والحيوان
والحشرات وهكذا ، وآخرون في علم طبقات الأرض وتكون العلوم كلها موجهة (لغرضين اثنين : الغرض
الأول) خدمة المجموع بها كما تحنو الأم على ولدها بالعطف والشغف والسهرة . (والغرض الثاني) ازدياد الغرام
بالعلم ونظام العالم مع حب الله والغرام ببقائه ، ومن يعش بربه . والحمد لله رب العالمين . كتب ليلة الأحد
(١١) مايو سنة ١٩٣٠ .

﴿ بهجة عليية في الحب والغرام ﴾

لطالما خطر لي في هذه الآونة من المعاني الشائقة في الحب . أنني رأيت أن الأم المحبة لولدها والعالم المحب
لأمته والمحسن المحب لمن أحسن إليهم . كل هؤلاء أكثر حبا للولد وللأمة ولمن أحسنوا إليهم من الآخرين
إلى الأولين كما هو مبرهن عليه . فإذا رأينا الله عز وجل إحسانه ورأفته أعم وأعظم . أفلا يكون حبه لمخلوقاته
أكمل وأعظم من حبه له سببا أنه يقول « يحبهم ويحبونه » مع ملاحظة الفرق بين الحبيين ، إذ جبتنا له حب
حادث ناقص وحب منزه مقدس له معان غير مانعها وعلى هذا يكون كل ألم وكل مرض وكل سوء وكل فقر
لم توجه لنا إلا لاسعادتنا وتمكيننا حتى نصلح للاقائه ونشاهد ذاته . وأيضا لم نجد أبيا ولا أما ولا ملكا ولا
أميرا له إحسان يوازي إحسان الله لمخلوقاته . وإحسان الله للمخلوق لم يكن عن كراهة إذن هو عن ذلك الذي
أسميناه حبا منزها عن سمة الحوادث .

أقول : فهذه المعاني التي كانت تختلج في نفسي لم أجدها تعبيرا يليق بها ولا كسوة جميلة تلبسها حتى
ظهرها في هذا التفسير . أفلا أحمد الله إذ رأت نفسي هذه المعاني يتصفا ونفسها ظهرت على السنة قوم قبلنا

فانظر واعجب أيها الذكي لما جاء في الاحياء في الحب وهذا نصه :

«أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : لو يعلم المدبرون عنى كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقى إلى ترك معاصيهم لماتوا شوقا إلى وتقطعت أوصالهم من محبتي . ياداود هذه إرادتى فى المدبرين عنى فكيف إرادتى فى القبلين عنى ؟ ياداود أحوج ما يكون العبد إلى إذا استغنى عنى ، وأرحم ما أكون بعبدى إذا أدبر عنى ، وأجل ما يكون عندى إذا رجع إلى » .

وقال أبو خالد الصفار : (لقى نبي من الأنبياء عابدا فقال له : إنكم معاشر العباد تعملون على أمر لسنا معاشر الأنبياء نعمل عليه . أتم تعملون على الخوف والرجاء ونحن نعمل على المحبة والشوق)
وقال عبد الله بن محمد (سمعت امرأة من المتعبدات تقول وهى باكية والدموع على خدها جارية والله لقد شمت من الحياة حتى لو وجدت الموت يباع لاشتريته شوقا إلى الله تعالى وحبا للقائه . قال فقلت لها أفعلت ثقة أنت من عمالك ؟ قالت لا ولكن لحيى إياه وحسن ظنى به . أفترأه يعذبنى وأنا أحبه؟) .
ومن خطاب الله لداود عليه السلام : « ذكرى للذاكرين ، وجنتى للمطيعين ، وزيارتى للشقائق ، وأنا خاصة للمحبين » .

ويقال : الشوق نار أشعلها الله فى قلوب أوليائه حتى يحرق بها مافى قلوبهم من الخواطر والارادات والعارض والحاجات انتهى .

(بهجة الجمال فى ليلة ١٤ من شهر ذى الحجة سنة ١٣٤٨ هجرية)

أكتب هذا صباح يوم الأربعاء من نفس هذا الشهر . هل لك أيها الذكي أن أحدثك عن الجمال والبهجة فى المزارع النضرات والنخلات الباسقات فى دجنات الظلمات . هل لك أن أريك كيف يكون العلم أثناء الرياضات وتشتق الحكمة من الحقول العطرات والجمال من جوانب الطرقات .

ذلك أنى كنت يوم الاثنين الماضى وهو آخر أيام التشريق الثلاثة فى مزرعتنا بقرب القاهرة وهى قرية من بلدة المرج أنظر فى أمر الزرع والحصاد والحساب بينى وبين المستأجرين للأرض ، وهكذا كانت هناك هجمات الجراد على البلاد فقابلنى للوكون بإبادته وهم يجمعون الرجال والأطفال ليلسكوا ذلك الجراد من الأرض ويبيدوا صغاره اللانى خرجن من البيضات اللوانى دفنها الجراد فى الأرض وقضيت معهم زمنا طويلا حتى إذا أرحى الليل سدوله قفلت راجعا إلى بلدة المرج لأركب القطار وأتوجه للقاهرة ، فما كدت أقرب من بلدة المرج المذكورة حتى شاهدت منظرا بديعا جميلا لم أشعر بنظيره أمد الحياة . وما هو ذلك المنظر ؟ هو نفسه الذى أشاهده منذ عشرين سنة ، نعم هو نفسه ولكن هذا المنظر فى هذه الليلة يمتاز بالظلام الساكن الهادى فوقفت والنخيل حولى من الجهات الأربع فرفعت طرفى إلى السماء إذا أمامى (منظران مدهشان) منظر البدر شرقا ومنظر النجوم غربا . نظرت البدر بوجهه المشرق يطل من بين الجريد والحوص وعراجين النخلات وهو يفيض على الأرض أنهارا من الفضة الدائبة كأنه ملاءة تغطى جذوع النخل وعراجينه وتغشى وجه الحقول بالبهجة اللامعة والأنوار الساطعة والجمال الباهر . وهناك من جهة الغرب كأن السكواكب قطع من اللامع جميلات باهرات تنفذ أشعتها من خلال النخيل . فالبدر شرقا والنجوم غربا . ذهبن بلبي من الجمال والنضرة والرياح عابثات بالفصون والجريد والجذوع والزرورع والحشائش ذات العوير والترنج . وهناك سمعت غناء الحشرات فى تلك الأرجاء . فهى إذن حانة جمعت بين رقص الزروع والأشجار وغناء الحشرات والحمان أعواد النخيل وأوراق الزروع والأغصان . وهناك خيل إلى أن البدر (وقد علا فى الأفق فوق تلك النخلات الباسقات) يخاطبني قائلا : (لقد أعجبتك أيها الجوهري منظرنا الجميل وأنسك ماترى من نور باهر وجمال ساحر . لقد مر فى هذا المكان قبلك رجال ورجال فى قرون مضت وأمم خلت أيام الفراغة القدماء ودولتى

اليونان والرومان والأمويين والعباسيين والاشيديين والطولونيين وهكذا إلى أيامكم هذه وقليل منهم المفكرون هانت ذا اليوم حبست في الأمور الجزئية والأعمال الزراعية والأحوال الاقتصادية والحيرة في أمر الجراد . فمنظرنا الذي تراه يبشركم بالسعادة والبقاء . ألا ترى أن أعمالكم الجزئية المدنية من زراعة وتجارية وصناعية ليس لها مستقر ولا بقاء وحياتكم ذاهبة وأعمالكم كلها ستصبح في خبر كان . فالجاهل لا يعقل ما فوق ذلك ، أما الحكيم فإنه يتذكر بمنظر الكواكب في سماءكم أنكم مخلوقون للدوام كما دمت أنا ودامت النجوم قرونا وقرونا فرآنا أجدادكم الأولون وهكذا أنتم لنا الليلة تنظرون . وأما أنا أيها الجوهري وما النجوم إلا ضرب أمثال للدوام الروحي فأرواحكم دائمة كادامت أنوارى على توالى القرون والسنين وأشرفت في نفس هذه البقعة ورآها من قبلكم وسيرها من بعدكم . نحن تذكركم بأمري : جمال الله الدائم الباقي وإن اعترتكم الحوادث المزعجات المهلكات . وبقاء أرواحكم على مدى الزمان .

إن هذه الحواطر كلها قد استغرقت عقلى وأترت في نفسى وكأني غير واع لما حولي . وكنت أختص أن يمر إنسان فيكون سلامه على قاطعا للفكر فكان ذلك وسلم رجل فرددت سلامه ولكن الفكر لم ينقطع بل ازداد وضوحا وكأني أقرأ في وجه البدر الذي فهمت من منظره هذه اللعاني آيات أخرى . ذلك أن العباد في الأمم الإسلامية أشبه بذلك النجم الذي ظهر من خلال النخلات غربا والعالم الحكيم الذي درس العلوم أشبه بنفس هذا البدر والناس بينهما درجات .

يا عجباً : إن ذوى العقول الكبيرة في الإسلام إذا قصرُوا أنفسهم على علم الفقه أو العبادة كانوا أشبه بهذا السكوكب يرى صغيراً جداً فاذا درس نظام هذا العالم كان كالبدر ، بل كحقيقة النجم لأنه كثيراً ما يكون أكبر من الشمس .

إن المسلم إما قادر على العلم وإما قادر على منقمة الناس وإما عاجز . فالأول كالبدر إذا درس العلم والثاني يتفهم في دولهم وأمورهم العامة . والثالث لعجزه يقتصر على العبادة وحدها . ومن الجهل والبلادة أن تكون العقول الكبيرة محصورة في العبادة اللفظية ، بل عليهم التوغل في العلوم ليكونوا بدور الأمم الإسلام وإلا فليكونوا نافعين بالأعمال . وإلا فليكونوا في المساجد وهذه آخر المنازل التي تشبه النجم وهو صغير في نظر الإنسان . هذا آخر ما فهمته من مناظر البدر والنجوم والشجر والزرع والحمد لله رب العالمين .

جوهرة في قوله تعالى « أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير »

(تذكرنى)

ها أنا ذا أيها المسلمون قبل أن أفارق هذا العالم أكتب إليكم تذكري ونذري . أكثر هذا النوع الإنساني لا يعيش فوق الستين ، وقليل منهم من يعيش إلى السبعين ، والنادر من يجاوز ذلك إلى المائة . والشاذ جداً يجاوزها .

نظرت في هذا العمر الإنساني نظرة غير نظرة الأطباء . الأطباء في عصرنا يقولون : [إن الإنسان يستحق أن يعيش (٢٠٠) سنة ولكنه يعمله وشربه وعدم انتظام شهوته قطع حياته فمات قبل ذلك] واستدلوا على ذلك بسكان البادية الذين يعيشون إلى (١٥٠) وأكثر وأقل بلا مرض ولا عطب وهم أفوياء الأبدان أهل

صحة وقوة وجمال . ويقولون : [إن الحيوان يعيش ثمانية أمثال مدة نموه والإنسان ينمو إلى (٢٥) سنة وهذه بضرها في (٨) تساوي (٢٠٠) فإذا حافظ الإنسان على صحته واستغنى عن العقاقير الطبية واكتفى بالمأكول البسيطة وتعرض للشمس وأكثر من الرياضات الجسمية وعاش عيشة خلوية فإنه يعيش إلى المائتين كما عاش كل حيوان ضعف مدة نموه ثمان مرات] .

هذا حكم الأطباء وقد ذكرته في ثنايا هذا التفسير ، وقد أجمعوا على أن ترك الشهوات والتنعم والاكتفاء بأبسط الأطعمة خير ما ينفع في ذلك ، ويستحسنون أكل الفواكه فإن أمكن الاقتصار عليها فيها ونعمت وإلا استعان الإنسان بالحبوب والخضر وامتنع عن أكل جميع التوابل ولا يشرب قهوة ولا خمرا ولا شاهيا وهو الشاي المعروف ولا يدخن التبغ . ويستحسنون أن يستغنى بالفواكه عن السكر ويقلل من الملح ويأكل الخبز بلانحل . اقرأ هذا في سورة الشعراء عند آية « وإذا مرضت فهو يشفين » وفي طه عند ذكر آدم في آخر السورة وفي أول سورة الحجر عند قصة آدم وفي سورة الأعراف عند قوله تعالى « ولا تسرفوا » وفي سورة البقرة عند آية « أنستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير » فستجد في بعضها ما قرره ابن خلدون في مقدمته من أن الدين اقتصر على طعام الدرة والزيت لم يقرهم الطاعون . أما الذين أكلوا أنواع اللحوم والأدهان ونوعوا الألوان فإن الطاعون يبيدهم ويفنيهم لإقبيلا ، وقال إن الأولين يتصفون بالصحة والذكاء والجمال والعلم والعبادة وحسن الخلق وصفاء العيش والشجاعة وأن الآخرين يتصفون بالمرض والبلادة وقبح الصورة والجهل وترك العبادة وسوء الخلق وكدر العيش والجبن .

هذا كلام الأطباء فارجع إليه . وإنما ذكرته هنا لأذكرك بعلم الطب ولترجع فتدرس ذلك قياما بحق جسمك ورقيا لأمتك وإسعادا لك في حياتك إذا كنت مستعدا لها ومع هذا كله لست الآن في مقام كلام الأطباء ، بل أنا في مقام آخر وهو أنى أفسر آية « أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر » فأريد أن أبين لك ما يخالج قلوبنا في هذه الحياة وما أعرفه من نذرها تذكر لك وتنشيطا للمسلمين وذكرى لقوم يعلمون .

هذه هي تذكرتي في الحياة . لقد نظرت في حياة الناس على الأرض فوجدت أكثر الآجال مناسبة لهذا العالم الأرضي . فليقل الأطباء ماشاءوا ، وليقولوا إن الناس قد أساءوا في صحتهم وأكثروا ألوان الطعام والشراب والتفاني في المهلكات واللذات اللاتي يمنعن لذة الحياة ويحطن الإنسان بالأسقام والعلل وتنغيص الحياة وقصر العمر فليقولوا ذلك ، ولكن هذا الإنسان على ما به من عوج رأياه يتعلم في الأمم الراقية ويتبني تعليمه فيما بين العشرين والثلاثين غالبا فنجد حاز درجات التفوق في العلم والفنون وأخذ بعد ذلك يفيض من علمه على أمته . وبعبارة أخرى رأينا مدة النمو التي ذكرها وهي (٢٥) سنة هي المدة التي ينمو فيها علمه فكأن نمو الجسد ونمو العلم فرسا رهان معا ينتهان معا ينتهيان غالبا ، ثم يعقب تلك المدة أننا نراه يأخذ في الأعمال ويؤلف الكتب وينشر العلوم بين الناس وليس لنا في الحياة إلا علم أولا وعمل ثانيا ، فالعلم حصلناه في سن النمو والعمل متصل به ، إذن هذا العمر مع قصره قد أدى الوظيفتين وظيفته العلم في سن النمو ووظيفة العمل في السن التي بعدها ، أما قولهم إنه مستعد أن يعيش فوق ذلك فربما يكون بعض ما قالوه حينما يرتقى الإنسان عن هذه الحال ويعرف حقا أن سعادة الحياة ليست باللذات الحفيرة ، بل بالصحة والعافية والعلم والحكمة والسعادة العامة ، تلك اللذات التي لا يعرفها إلا من نالها ، وهيئات أن يقدر على وصفها لغيره من الناس الذين لم ينالوها .

هذه تذكرتي في أمر الحياة إجمالا ، أما تذكرتي فيما أنذر به الإنسان في هذه الحياة فما أنا ذا أحدثك عنه فإنه أهم مما قبله فأقول :

إني وجدت هذه الحياة ترجع إلى (أربعة أشياء) (١) ألم (٢) وأمل (٣) وعمل (٤) وحب وغرام
فالثلاثة الأولى مقدمات والرابعة هي نتيجة الحياة .

(الألم)

أما الألم فهناك وصفه إجمالاً فقد ذكرته في غير ما موضع ولكن ألخصه لك تلخيصاً فأقول :
لا ألم في هذا الوجود إلا لإسعادنا ، الحياة كما ، النهر ولا سيبل لحفظ الماء إلا بالجسور هكذا هذه الحياة
لأنعام لها ولا بقاء إلا بالآلام ، فألم الجوع به طلبنا الطعام فدامت الحياة ، ومثله ألم العطش فلنا الرى ، وألم الشبق
فكانت الدرية وألم الفقر فلنا المال ، وألم الذلة فلنا العزة ، وألم الخمول فلنا الظهور والمجد ، وألم النم بوصفنا
بالبخل فأنصفنا بالكرم ، وألم النم بالخور والجبن فكسبنا الشجاعة وألم المرض فنداوينا فرجعت الصحة .
آلامنا كلها خلقت لإسعادنا ولا شقوة في هذا الوجود إلا لنتيجة نافعة . وإذا رضينا أن نقطع عضواً من
أعضائنا خيفة أن يصاب بقية الجسم بما أصابه واستعمانا الحماية في أمراضنا طلباً للصحة فإن النتيجة لتلك كله
منافعنا . فإذا كانت هذه أفعالنا مع قصور علمنا فهكذا نتذكر أن كوارث هذه الدنيا على هذا النمط من
قحط وزلازل وإهلاك بلاد وإغراق سفن . فهذه كلها أشبه بقطع ساعة من الجسم وإن كنا ندرك حكمة قطعها
من جسمنا ولكننا نعجز عن إدراك الحكمة في قطعها من الجسم العام كله ، بل علماء الاقتصاد أدركوا أن
الزلازل بها تظهر تربة جديدة فيها خصب لانظير له في التربة كما تقدم في أول (سورة سبأ) فاقراءه هناك عند
آية « يعلم مايلج في الأرض » الخ .

ننظر في أحوال هذه المخلوقات الحيوانية فنجد أربع لذات وأربعة آلام والآلام سابقات على اللذات :
(١) نرى لذة المآكل والمشرب والملابس والسكن سبقتها آلام العرى أو توهمه وخوف البرد والحر
والفضيحة بين الناس . فالآلام هذا النوع من موارد الحياة سبب لطلب الطعام والشراب والملابس والسكن ،
فهنا ألم تبعه أمل ثم يسكون الجهد والتشمير في طاب هذه المطالب ثم تكون اللذة بها ، فهنا ألم تبعه أمل
أوجب العمل لحصول المطالب وقد لازمه الشوق والغرام للمطلوب .

(٢) ثم نرى الناس والحيوان جميعاً يسعون لاجتماع الذكر والأنثى ، فهناك ألم يتبعه أمل في الاجتماع
فيكون العمل لطلب التبريك من ذلك النوع من الإنسان أو غيره والحب هنا قوى متين والغرام لازم ،
فياجتماع الصنفين الذكر والأنثى يزول آلام الشبق ، وبظهور الجمال والموافقة والأنس تزداد اللذة كما تزداد
السعادة في أنواع الطعام والشراب بجمال المائدة وحسن الطهي وجمال الرونق ويتبع ذلك ما يرى في الزروع
والأشجار من الجمال والبهجة والحسن والإشراق . كل ذلك ترغيب في المحافظة على النبات ليتم نضجه فالجمال
صاحب المطامع في حقولها وفي إبان تعاطيها وهذا كله يزيد اللذة والانسباط والأنس .

(٣) ثم نرى هنا درجة ثالثة أعلى من السابقتين وهي أن الأبوين اللذين تعاشقا لمنفعتهم الخاصة وفرحا
باللذات والجمال فزالت آلام الشبق وحصلت على بهجة وأنس وموافقة فتمتع الأعين بمحاسن المناظر والأسماع
بمذب الألفاظ وحاسة الذوق بما يناسبها ، كما تمتع الأعين بمناظر الزرع وبهجة الانتظام في مواعدها وما كلفها
ومشاريها ، ومتع حاسة الذوق بألوان الطعام .

أقول : إن هذين الأبوين اللذين ظننا في أول الاقتران أنهما اقتربا لحصول لذتهما الشهوية لا غير وأن
ما يتعاطيانه من الطعام والشراب والملابس لم يسكن إلا لأجل بقائهما وحدهما ، زارها بعد ذلك قد أخذنا
بريان البنات والبنين وأن الجمال منهما قد ذهب وحل محله الضعف والنحول وأخذنا يضمحلان وانتقلت
القبيلات منهما إلى أبنائهما وبناتهما وبعد أن كانا يتهدايا أصبحا معا يقدمان أموالهما وما يمكن أن يكون إلى الدرية

فيظهر للحكيم من هذا الكتاب المسطر أمام الناس برونه بأعينهم ولا يفقهونه وهم مسوقون مساكين مسخرون أنه لا فرق بين أهل الشرق والغرب في ذلك التسخير ولا بين الإنسان والحيوان فسكاهم مسخرون ولا يدرون إلى أين يساقون ، يساقون في الحياة كما يساقون في الديانات ويساقون في الحكومات . فأهل هذه الأرض على وتيرة واحدة تقليد أعمى في الديانات وأحوال الحياة ولا حياة لأجسامهم إلا بسائق الأمل وقائد اللذة للذوق وللمعين ولا بقاء لأنواعهم إلا بسائق الشبق وقائد اللذات . فالعين لها نظر المجال وشهوة الذوق لها لذة الوصال وإذا ولدوا الذرية ساقهم آلام الرحمة للسلطات على قلوبهم إلى الإرضاع والتربية وشاقهم صداقة الأبناء وظهورهم وقيامهم بأمرهم في الكبر وهنا ظهر عالم جديد عالم أرقى من سابقه . نرى الحيوان في الدرجة الوسطى يتغزل ويهوى الجمال ويموت غراما وينشد الأشعار وينصب أشراك الحب لصيد الم محبوب وهو في كل ذلك لا يدري أن هذا كله وسيلة لا غاية . وما الغاية إلا الدرجة الثالثة التي ظهر فيها رحمة الولد والمطف عليه فاما مقام آلام الشبق هناك فهذا سائق هنا كما ساق الشبق هناك ، وإن انتظر نبوغ الولد وأن يقوم مقام الأبوين بعد موتها يقوم مقام الجمال المطلوب والأنس المرغوب وهو شائق إذن القرح بمنافع الولد هنا قائم مقام الجمال المطلوب هناك وكلاهما شائق . وآلام القلب والمطف على الولد السائق هنا كالشبق السائق هناك . الله أكبر وصلنا إلى المطلوب في هذه الحياة وهو أن خلقنا يدل على أن سعادتنا العظمى لا نحصل إلا بتوجيه الهمة لإسعاد سوانا .

أنا أكتب هذا القول ولا حاجة عندي فيه إلا الطبيعة للمشاهدة فأنا أكتبها لأهل الشرق ولأهل الغرب فهذا علم قام بالحجة ولا مناقض له . فليقل أهل الشرق وليقل أهل الغرب ماشاءوا وليفسكر الفلاسفة والحكماء في هذه الدرجات الثلاث . اليسوا يشاهدونها في نفوسهم ، ومن حق الحكماء بعد ذلك أن يسألوا أنفسهم لم هذه المشاق كلها في الحياة ؟ ولم نجد النبات لا يتعب في تحصيل قوته ولله أعمال كثيرة في التنازل ، فالزهرة تفتح بواسطة الهواء أو الماء أو الحشرات وهن هادئات . وقوت النبات مما حوله ثم نتظر فنجد أدنى الحيوان لا يسكون ذكرا وأنثى . كلا . فقد تقدم في (سورة مريم) الكلام على الحمار وأن الحمار تلد الألوفا وهي تقوم مقام الذكر ومقام الأنثى فلا غرام ولا عشق ولا هجران ولا حرمان ، وهناك حيوانات دنيئات متى كبرت تفجرت فتقطع الحيوان الواحد إلى قطع كل منها يصبح حيوانا آخر وهذه الحيوانات تملأ البر والبحر وقد تقدم أن من أدنى الحيوان ما يسكون تناسله بالاقسام بحيث يسكون (٢) و (٤) و (٨) وهكذا أي أن كل واحد ينقسم إلى اثنين وكل منهما ينقسم إلى اثنين وهكذا إلى ما لا نهاية له ومما تلك الحيوانات بالخالدة لأن الحيوان الأصلي موجود ، ولما انقسم اثنين وهذان انقسما قلنا إنه حيوان خالد فأين الموت اللهم إلا إذا أحرق أو منع عنه الماء ، كل هذا تقدم في هذا التفسير . فهنا نقول لم هذه المشاق كلها في نوع الإنسان ؟ ولم أغرم كثير بعزة وجميل بيثينة وتوبة بلبلى ولم نسمع الهوى العذرى الذي يستولى على عقل الشباب فيموت في هوى من أحبها كما نسمع في هذه الأيام بما يحصل في اليابان من الهوى العذرى كما كان عند قبيلة بني عذرة .

الحكيم إذا سمع ذلك يقول : لا معطل في الوجود ولا بد لهذا النصب من نتيجة في أخلاق الإنسان . وعسى أن تكون النتيجة في المرتبة الرابعة وهي مرتبة الحكماء . في هذه الأرض أناس عقولهم أرقى ونفوسهم أصفى جاءوا إلى هذه الأرض وهم مفسكرون فيها . فهؤلاء يقولون : [إن هذه الإنسانية آراؤها كلها محدودة والحيوان عندهم تقف أغراضها عند مقاصد جزئية ، وهم درجات بعضها فوق بعض يسكنني أحدهم بالمال والآخر بالنساء والثالث بالبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والحيل للسومة والأنعام والحراث . ويتعالى قوم

إلى أعلى من ذلك فيكونون محافظين على المجموع كالأمراء والحكام والملوك وهؤلاء يعطفون إذا كانوا صادقين على المجموع عطف الأبوين على الذرية ولهم لذات على مقدار ما يعملون أرقى من لذات الأبوين بالذرية لذات المتعاشقين بدليل أن أنجد القواد إبان الحرب لا توجه همهم إلا إلى غلبة العدو وأن الملك مقدم عند عقلائهم على معشوقه فإذا توقف حوز الملك على تركها تركها لأن لذة الملك أعلى لأنها عقلية ولذة الاقتران بالأثني حسية واللذة العقلية أعلى من الحسية . ثم ينظر هؤلاء الحكماء نظرة عامة في حال الناس فيقولون :

(١) نحن عرفنا أن السوائق والقوائد في المراتب الثلاث المتقدمة لم ترها إلا في الحيوانات العليا . أما الدنيئة فلا ، وكما ارتقى الحيوان وجدنا فيه هذه الأحوال أشد وزى عطفه على الولد أكمل فلنجعل هذه مقدمة نبني عليها نتائجنا في مستقبلنا مع الناس ، ولبسنا وشربنا وذقنا الحلو والمر وعاشرنا الأزواج ويقولون أيضا نحن أكلنا وولدنا كما يلدون فوجدنا أن آخر المراتب نتائج المقدمات . وهناك أناس تولوا المحافظة على المجموع ولهم لذة على مقدار تلك المحافظة وهي أعلى كما تقدم .

(٢) فأين مزيتنا إذن إذا وقفنا عند هذا الحد . نحن نحب أن نتجاوز هذه المراتب الثلاث وملحقاتها فلا نسكتفي بالذرية ولا بالملك لأن هذه كلها لذات محدودة مشوبة بالسكدر والحزن والأسى في الذرية والعزل وكيد الأعداء في الملك ولكل من الناس درجة يصل إليها ولا يتعداها . أما نحن فإننا لانفد عند هذه الدرجات بل لننظر نظرة أعلى فنقول ؛

(٣) إذا ثبت أن هناك عشقا بين الذكر والأثني وأن هذا العشق أنتج الذرية . فالدرجة الثانية أنتجت الدرجة الثالثة التي هي أعلى منها ، فنحن نعشق عشقا أعلى وهي مباحث هذا الوجود كله فندرسه ونعقله لأننا أهل له وهذا العشق لا نقص فيه ، وحكمة العشق الحيواني أنه مؤهل للعشق العلمي وهذا العشق لا نهاية لمداه فهو نفسه لذة لا يشوبها كدر ولا يعترها نقس . وإذا كان العشق الحيواني في الشباب فالعشق العلمي يكون في الشباب ويزيد في الشيخوخة وهناك تضعف اللذة الحسية وتقوى اللذة العقلية . ثم يقولون إننا رأينا أن الدرجة الثالثة وهي النهاية للحيوان أنه يعطف على الولد ويفرح به . فعطفه عليه بسائق آلام الرأفة والرحمة وفرحه به بسائق اللذة بصحته وعلمه ومنافعه ، ويرمز لهذه الدرجات كلها «لتركبوها وزينة» فالركوب لدفع ألم المشي والزينة بحصولها في الملك والتباهي بها فهاتان ساريتان في الدرجات كلها .

فها نحن أولاء نعطف على المجموع الإنساني كله ونجد في السعادة بما نملك من قدرة وما نستطيع من علم وما تقدر عليه من صناعة . إذن نحن آباء للناس والناس أبناءنا . فنحن نعشق الوجود كله والعشق يدعو للوصال والوصال صور الموجودات في النفس ، فحق أدركنا جمال العوالم العلوية والسفلية بصورها العلمية الجميلة فقد نلنا محبوبنا وحصلناه في نفوسنا وهذا هو الوصال الحقيقي لأن المحبين لا يطلبان إلا اتحاد النفوس . أما الوصال المشهور الجسمي فهو وصال حسي يعقبه فنور الحب نوعا ما . أما تحصيل صور الموجودات من حيث حقائقها فذلك هو اللذة التي نحس بها والناس حولنا تائهون جاهلون ناعمون لا يشعرون ما نحس به من الجمال ومستحيل أن يصل الإنسان لذلك إلا بدراسة مقدار كاف من العلوم الرياضية والطبيعية والحكمة .

فنحن بهذا نلنا أعلى اللذات في مقابلة أخسها التي نلناها ونحن هائمون كبقية الشبان . وإذا رأينا أن نهاية هذا الإنسان إنما هي الذرية والتربية ؛ فها نحن أولاء نسمى لتربية الجميع ، تربي الملوك والسوقة ونعطف على السكبار والصغار والفقراء والأغنياء ونحس في ذلك بلذة تقطع دونها الأعناق .

ولنا في هذا الوجود نظرة عامة بعد ذلك فنقول : هاهنا إشراق للشمس وضوء للسكواكب والقمعر ، أرسلت هذه لنا من غير عمل منا ، وهذا الضوء لولاها لم تكن لنا حياة وقد أحسننا في أنفسنا بأعمالنا القليلة وإحساننا بسعادة على مقدار مازاولنا من إسعاد أبناء نوعنا . ورأينا أن العلماء والحكماء يحبون عموم الناس نظرا لعموم نفعهم وأن الآباء يحبون الأبناء أكثر من حب الأبناء للآباء لأن الدائن يحب بقاء المدين والعالم يحب التعلم ، والمحسن يحب من أحسن إليه أكثر من حب الآخرين للأولين . فهذه الأنوار الشريفة وأنواع السعادات في الأرض والهواء والماء والأرض والسكواكب . كل هذه ليس لنا فيها عمل . ولقد وجدنا أنفسنا نعيش بينها وتلقى النافع من ذات لا تراها . أفلا نقول على سبيل القياس التمثيلي وإن لم يكن يقينيا إن هذا الإحسان لم يكن إلا بناء على حب وأن تلك الذات لما أحببت وجود المخلوقات نوعها ووضعت كلالا في مرتبتها وهذه الذات هي التي جعلت بعض الناس فرحين بالبرك والمستنعمات وأفرحت الفيران بالمراحيض كما أفرحت النحل بالبساتين وأفرحت العلماء بإدراك ذلك كله . وأن استعداد الحكماء أرقى من استعداد جميع المخلوقات في هذه الأرض بعد الأنبياء ، فلذلك كثر إلهامهم وتعليمهم وآثارهم وإرشادهم لأهل الأرض إخوانهم ، وإن أعظم الحب من تلك الذات قد اختص به أولئك الحكماء بعد الأنبياء . بدليل أنهم أدركوا الجمال فعملوا وألهموا رحمة العباد فطفوا عليهم ، فهم إذن صفوة الله في أرضه بعد الأنبياء بهذا البرهان ولذاتهم الحقيقية أعلى من لذات الناس بعد الأنبياء أيضا . ثم يقولون : وإذا كنا نعلم أن تلك الذات المقدسة المحجوبة عنا تحبنا جدا أكثر من حبنا لها بدليل هذه النعم وأن المحسن أوفر جبا لمن أحسن إليهم منهم له وأن كل جمال وبهاء وحسن وإنعام فإنما هي مظاهر ذاته المقدسة . أفلا يكون ذلك يحفزنا إلى حبه والغرام به والشوق للاقائه ثم نجعل كل حياتنا وقفا على رضائه بإسعاد عباده وياقنفاء آثاره فنفسكر في سعادة هذا الإنسان المسكين فنجد أنه لا يزال في الجهالة مغمورا . ذلك أنه في الشرق والغرب عاش مقطوع الأوصال لرابطة تربطه ولا جامعة تجمعهم إذ جعل اختلاف الأوطان والقبائل والممالك أسبابا للقتال ، كل ذلك منه جهل وغباوة . ذلك أنه لم يدرس جسمه ولو درس جسمه لوجد أن جميع الجسم متصل بالأعصاب ومتى اختل منها عضو أسرع الطبيب بإحضار الدواء وتتوارد الحيوانات التي في الدم من السكرات الحمراء والسكرات البيضاء فتجتمع على ذلك المرض ويساعدها الدواء من الخارج فيبرأ المريض . فهكذا فليكن هذا النوع الإنساني بعد ما انصلت الأمم بالمواصلات في زماننا . فإذا حصل لإحداها ضيق أو كرب فلتقم الأمم كلها لها بالمساعدة والاتصال اليوم سهل . فأما إذا كانت تلك الأمة لا تصلح للمساعدة وزاد توحشها ولم تنجع الوسائل في تعليمها وإسعادها فلتقطع من جسم الإنسانية العامة كما يقطع العضو المريض إذا لم ينفذ فيه الدواء .

هذه هي نهاية آراء الحكماء في مستقبل الزمان ، فهم سيقولون للأمم : لنسكن أيها الأمم مساعدات بعضكم بعضا ، ومن لم يكن عندها استعداد لمساعدة المجموع وغلبت عليها عقائدها للوروثة فلتحتل الأمم كلها في تعليمها . فإذا فشلت جميع الطرق فلتنبذ تلك الأمة ولتتركها جميع الأمم مهملة . وآخر الطب السكي وهناك يسود السلام وتم سعادة الإنسان .

فهؤلاء الحكماء الذين هذه آراؤهم يفرحون من الآن بالسعادة . وهؤلاء هم الذين يفهمون آية « سلام قولا من رب رحيم » لأن الرب الرحيم الذي عرفوه قد ألهمهم السلام من الآن . ذلك أنهم أيقنوا بأن الأمراض ماعى إلا منذرات تقود للإصلاح وللوت خلاص من أسر هذه الطبيعة ورجوع إلى السكال

الطلق وأى سلام بعد هذا . فهؤلاء . « لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم
توعدون » .

بل هذه البشارة عندهم ، وهم فى هذه الحياة والملائكة المذكورون هم معهم الآن يلهمونهم العلوم والمعارف
لعلمهم أنهم يشنونها لأهمهم . فالملائكة يدخلون عليهم من كل باب يوم القيامة ويلهمونهم هذه العلوم الموجبات
للسلام والأمان فيلقون العلوم للناس وهم بها مطمئنون ولا يبالون بالأعداء ولا بالخصوم والحاسدين ، فهؤلاء
لا خوف عليهم فى المستقبل ولا هم يحزنون على ماضى والملائكة تنزل عليهم وتلهمهم ذلك فى الحياة وإن لم يروهم
وبعد الموت وهم إليهم ينظرون .

هذا ما تذكرته عند تفسير هذه الآية وهى قوله تعالى « أو لم نعلمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير »
الله عمرنى فى الأرض سنين ، وسنين وهذه تذكرنى لمن بعدى من المسلمين والناس أجمعين ، والحمد لله
رب العالمين .

اتهى تفسير (سورة فاطر) يوم الجمعة ٢٣ مايو سنة ١٩٣٠ م و ٢٢ ذى الحجة سنة ١٣٤٨ هجرية .

تفسير سورة يس

هي مكية

(إلا قوله تعالى « وما تأتئهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين » فمدنية)
(آياتها ٨٣ « نزلت بعد الجن)

والكلام على هذه السورة في (أربع فصول : الفصل الأول) في تفسير البسملة (الفصل الثاني) في تفسير الألفاظ (الفصل الثالث) في ذكر ما كتبت فسرتها به منذ سنين لتسكون مائة معانيها أمام القارىء ملخصة مجتمعة (الفصل الرابع) في العجائب العلمية من سائر العلوم لاسيا علم الكيمياء وكيف كانت لفظة (يس) التي ابتدأت بها السورة تشير إلى التحليل وقد ظهر ذلك في قوله تعالى « الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا » مما يعث في الأفتدة شوقا إلى الحكمة وميلا إلى التعلم وحبا في الاستطلاع العجائب والحكم السكونية وغرائب العلم .

الفصل الأول في تفسير البسملة

(مقدمة)

اعلم أن العوالم التي نعيش فيها تجري على وتيرة واحدة وأسلوب خاص لا يتغير ، وذلك أنك ترى اليوم يولد بشروق الشمس ، ويظهر ضحى ، ويشتد وقت الزوال ، ويضعف وقت العصر ، وينتهى وقت الغروب هكذا السنة فلها ولادة إذا حل فصل الربيع ونزلت الشمس برج الحمل وأخذت الحياة تدب في الأرض وذاب الثلج ، ودبت الحشرات وانبعثت من مراقدها . وقامت الزواحف من نومتها ، وسعت الحيات لحياتها ، وأورقت الأشجار وأزهرت الأغصان وأثمرت الحدائق وأخذت الأرض زخرفها وازينت . فإذا حلت الشمس برج السرطان هناك يأخذ النهار في القصر والليل في الطول وتنضج الثمار وتكون الدنيا أشبه بامرأة كاملة تسكلاً أبناءها وتحفظ صغارها وتعطف عليهم وهم مبهجون ، فإذا جاء فصل الخريف وحلت الشمس في برج الميزان فهناك يعتدل الليل والنهار ثم يأخذ النهار في القصر والليل في الطول وتكون الدنيا أشبه بامرأة هرمة ولى شبابها وأدبرت أيامها وساءت حالها ، فإذا جاء فصل الشتاء وحلت الشمس برج الجدى هنالك تدخل الحيات في أوكارها وتتوارى الحشرات في بيوتهم وتقف الحركات ويغيم السكون على أرجائها وتكون الدنيا أشبه بجثة هامدة لا حراك لها وهكذا تبقى حتى إذا جاء فصل الربيع وحلت الشمس برج الحمل وهكذا دواليك كما قال تعالى « الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء » .

فهذا نفسه هو حكم الإنسان ، فهو في أول حياته كالיום إذا أشرقت الشمس ، وهو في شبابه كالشمس في ضحاها نهارا . وفي استوائه رجلا كاملا كالشمس إذا توسطت كبد السماء وكان الزوال ، فإذا ولت أيامه وأدبر شبابه وأقبل هرمه كان كالشمس إذا آذنت بالمغيب وفارقت أهل الأرض وهم لها وامقون ، وهكذا صباه أشبه بفصل الربيع وفتوته واستوائه رجلا أشبه بوقت الزوال ، فإذا ولى زمانه وشابت مفارقة وانحلت مفاصله

واصفر لونه كان أشبه بالسنة إذا حل فصل الخريف وأخذت تنحل عراها وتضعف قواها فإذا ما حل في الرمس وودعوه كالأمس كان كفصل الشتاء وهكذا دواليك . ومثل ذلك كله الأمم :

(١) فلها ولادة كولادة الإنسان تبدأ فيها بقراءة تواريخ الأمم ودراسة الآثار وتضرب الأمثال كالطفل إذا ابتدأ يفتح عينيه فإنه إذ ذاك يأخذ يبحث فيها حوله ليتخذ مثالا يقتدى به ومنوالا ينسج عليه وسبيلا يهجه ومهيما معبدا (بتشديد الباء) يسلكه .

(٢) ولها أيام فتوة وقوة وعظمة إذا اشتد كاهلها وعظمت مسرتها وقويت شكيמתها كالإنسان أيام فتوته وتنام رجولته ، وكالسنة في فصل الصيف .

(٣) ولها أيام انحطاط وضعف كما تنحط الشمس ذاهبة إلى الغروب كل يوم وكالشمس تدخل في برج الميزان ويأخذ النهار في القصر والليل في الزيادة .

(٤) وأيام موت كموت الإنسان وإقبال الليل وحلول فصل الشتاء .

إذا عرفت هذا أيها الذكي فلتعلم أن الأمم الأرضية كانت أيام النبوة قد اعترها خول وضعف كخمول السنين وموتها أيام الشتاء ، فلما أن ظهر الإسلام ثارت العزائم وانتشر العمران وهاجت الأرض وماجت وانبعثت المدينة فيها كرة أخرى ، إذ تدهورت المدن القديمة في الفرس والرومان وحلت محلها مدن جديدة وأخذ العرب الذين كانوا مبعثرين في الصحراء لاجماعة لهم يستخرجون العلوم من مكائنها ويدرسون تواريخ أمم الفرس والروم ويقرءون علوم الأمم شأن الصبي أيام طفولته والحيوانات في فصل الربيع ، إذ تخرج من أوكارها وتقوم من أجحارها كأنها مبعوثة من أجدانها منتشرة في الأرض تسمى حينئذ للحياة ، فلما أن استقر قرار الأمم الإسلامية في أواخر القرن الثاني وقد استتب لهم الملك وعظم شأنهم أخذوا يستثمرون مازرعوا ويحصدون ما أنبتت لهم مدنيتهم أيام الدولة الأموية ، فوقفوا الفتوحات قرونا وقرونا حتى إذا كانت أيام الشيخوخة وأيام الضعف كالشمس وقت العصر والسنة في فصل الخريف أخذت أمم التتار تسكنح هذه الأمم فرجع السلمون أشبه بفصل الشتاء في السنة وبالإنسان إذا مات وبالنهار إذا أدبر والليل إذا أقبل .

وهامى ذه الأمم الإسلامية اليوم قد أقبلت أيام شبابها وحلت شمسها في برج الحمل ، وهام أولاء يبحثون في كتب الأمم ويقرءون تاريخها شأن الطفل أيام طفولته إذ يقلد ماحوله والحيوانات للتنتشرات في فصل الربيع وشأن السلمين في القرون الأولى أيام ظهور النبوة ، وهذا التفسير قد ظهر اليوم في إبان صبا الإسلام بعد نوم الأمم الإسلامية في شتاء دهرهم وخمولهم ونومهم العميق ، ويريد الله أن يوقظهم من كهفهم ويحيي مجدهم بعد موتهم . فماذا يفعلون ؟ يقرءون أمثال هذه السورة (سورة يس) . فماذا يقابلهم في أولها ؟ فأول ما يسمعون منها قسما بالقرآن على صحة الرسالة كالقسم بالنجم إذا هوى على أنه صلى الله عليه وسلم ماضل وماغوى فهذه تترع أسماء السلمين اليوم فيقول حكواؤهم : حقا إن النجم هو الذي يهدي الضالين السارين في ظلمات الليالي الحائرة في الصحارى والقفار لا يهتدون سبيلا ولا يجدون دليلا وهكذا سفن البحار تضل في أمواجها وتصطم في شعابها فلا تجد لها واقيا يقبها ولا هاديا يهديها إلا بيت الأبرة (البوصلة البحرية) فهي التي تنير لهم السبل وتهديهم إلى سواء الصراط في لجة البحار . فالنجم في الصحراء هداية لمسالك الجبال ، وهو في البحر هدى للربان . وقوام الهداية تلك البوصلة التي تتجه بالمغناطيسية شمالا وجنوبا منحرفة انحرافا قليلا بقوانين لها علوم خاصة تعرف الربان الشرق والغرب والشمال والجنوب . وهناك يدرس النجوم وأما كنهها فهتدى بها في ظلمات البحر . فهذا هو النجم الذي أقسم الله به حين هوى على أن النبي صلى الله عليه وسلم ماضل وماغوى . ولا ريب أن النجم إذا كان في وسط السماء لا يهدي وإنما هدايته إذ هوى والقرآن الحكيم في (سورة يس) هنا يهدي كما يهدي النجم لذلك أقسم به على أنه من المرسلين على صراط مستقيم لأن هدايته كهداية النجم ، وكأن للنجم علوما تعرف أما كنهه في السماء ووصلة تهدينا إلى طرقه هكذا هذا القرآن لانتم الهداية به إلا

بعلوم وشؤون . فهدياىة النجم نفتقر معها إلى علوم هكذا هداية القرآن لا بد معها من علوم والعلوم التي في هذه السورة وطرق الهداية فيها إلى الصراط المستقيم لا تعدو سنة مسير الشمس في اليوم وفي السنة ونظام الدول في أول ظهورها . ألا ترى رعاك الله أن السورة مبدوءة بضرب المثل بأصحاب القرية التي جاءها المرسلون وكان لهؤلاء المرسلين أنصار وأعداء وانتهى أمرهم بأن غلب الحق الباطل ، فهذا سبيل الأمم في أول ظهورها تقرأ التاريخ وتعتبر به كالطفل يحب ويدرس ما حوله والحيوانات خارجات من مخابها منتشرات في فصل الربيع وكالأمم العربية إذ بزغت شمسها أيام النبوة . فهامىة ذه أمم الاسلام تعيد سيرتها الأولى إذ أخذت تدرس تواريخ الأمم العربية السابقة أيام النبوة وقبل النبوة ، وتدرس تاريخ الأمم التي حدث بعد ذلك جيلا جيلًا وتستخرج خلاصتها وتقوم من نومها وتستيقظ من رقدتها وتخرج من كهفها .

لم يقص الله علينا قصص أصحاب القرية لقتصر عليهم . كلا ، والله . ألم يقل « واضرب لهم مثلا » فهذا مجرد مثل والمثل به تكون الذكرى والذكرى تنفع المؤمنين . حياة الأمم شباب ثم قوة وتام ثم انحطاط وضعف ، فهي في أيام الشباب تقرأ علوم لغاتها وتاريخ أجدادها وتدرس الأمم المحيطة بها فإذا أدركت ذلك كله عرفت أنه لا مناص لها من إدارة شؤون هذه الأرض ، فهناك تفرس الأشجار وتحفر الأنهار وتقرأ العلوم وهذا هو قوله تعالى « وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها جبا » وهائنا أخذ يذكر الجنات والزروع والتار والشمس والقمر والسفن ، فهيا في هذه السورة (ثلاث درجات) :

(١) درجة الاستيقاظ لمراسة الآثار البائدة والأمم الخالدة ولأيام الحالية كالبحث عن آثارهم في أحجارهم وكنائهم في قبورهم وأخبارهم في تواريخهم وهناك يسمعون « يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون » بعد ما سمعوا أن صيحة واحدة أخذتهم فاذا هم خامدون . نطمود الأمم أعقبها الحسرة عليهم ، فتواريخ الأمم للاعتبار بحوادثها وللاعتداء بعلومها وهناك يقول الشاعر :

باتوا على قمل الأجيال تحرسهم	غلب الرجال فلم تنفعهم القمل
وأزولوا بعد عز من مراتبهم	وأودعوا حفرا يابثما نزلوا
أين الوجوه التي كانت منعمة	من دونها تضرب الأستار والكلل
أجاب سائلهم في القبر قائلهم	تلك الوجوه عابها الدود يقتل
فطالما أكلوا يوما وما شربوا	فأصبحوا بعد طول الأكل قدأ كلوا

فهؤلاء أحق بالحسرة وهم يكون الاعتبار ، فهم مضروبون لنا مثلا . فإذا سمعنا الله يضرب لنا مثلا بأصحاب القرية فلنقل نحن ما أكثر الأمثال الإسلامية التي خلفت تلك الأمم البائدة لما أعرضت وقمت مشمخة وذهبت كأس الدابر . فهذه دولة العرب في الشرق ذهبت ريحها وخر عليها السقف من فوقها إذ أبادها النار وكذلك لما تحاذلوا في بلاد الأندلس سطت عليهم الجيوش الجرارة من أمم الفرنجة وهم غافلون فأخرجوهم من أوروبا وهؤلاء أبناؤهم مشتتون في طول الأرض وعرضها وسيجمع الله شملهم كما جمع شمل آباؤهم بظهور الاسلام في ثوبه القشيب كرة أخرى .

تحاذل المسلمون في الأندلس وكانت لهم (٢٠) دولة وهم جاهلون بمن حولهم وقد انغمسوا في النعم ، وذاقوا سوء الصير . وهامىة ذه قارة استراليا دخلها الفاتحون فانقرض العنصر الأصلي في البلاد إلا قليلا وهكذا أهل أمريكا الأصليون وهم الجر للتوحشون . هاهم أولاء أخذوا ينقرضون أمام المحتالين . هذه نبذة يسيرة ذكرتها هنا اقتداء بالسكتاب العزيز إذ ضرب لنا مثلا فأتبعناه بأمثال تبييننا للقرآن وتذكيرا بالفرقان ، لأن الله يقول « لتبين لنازل إليهم ولعلمهم يتفكرون » فبمثل هذا يكون التفكر وبمثل هذا يكون التبيان . فهذه هي الدرجة الأولى درجة الاستيقاظ .

(٢) أما الدرجة الثانية فانها آتية بعد عدة سنين في الأمم الاسلامية وقد ظهرت بوادرها وفيها يكون تمام أمرهم وإلها الاشارة بقوله « وآية لهم الأرض اليتة أحييناها » الخ . فهذه الدرجة أشبه بالتحلية بعد التخلية . فالأمة تتخلى أولا عن الجهالة وتنبد السكل وتعتبر بالأمم الحالية ويعقب هذا الدور دور العمل إذن الأمم الاسلامية اليوم أشبه بآبائنا أيام ظهور النبوة فنحن اليوم كآبائنا أيام الصحابة وأيام النبوة ابتدأنا حياة جديدة نراها آخذة في النمو والاستيقاظ في مصر والشام والعراق والفرس والهند وبلاد جاوه والملايو ، وهذه كذلك تماما ، فهام أولاء أخذوا يقرءون تاريخ أسلافهم وتاريخ الأمم ولا يحصى لهم من تولى زعامة الأمم وقيادتها كما قادهآ آباؤهم وكانوا نبراسا للأمم كأيام الدولة العباسية .

(٣) أما الدرجة الثالثة فهي أيام الفناء والزوال وهي المذكورة في هذه السورة من النفخ في الصور وانقسام الناس فريقين : فريق في الجنة وفريق في السعير .

ومن عجب أن الرحمة للذكورة في آية البسملة أحاطت بهذه الأقسام الثلاثة فبينما نجد الاعتبار بالأمم في أول السورة بقوله تعالى « تنزيل العزيز الرحيم » إذا أنت ترى دخول الجنة مشمولاً بها إذ يقال لهم « سلام قولا من رب رحيم » فالرحمة في الاعتبار بالأمم البائدة الضرورية لنا أمثالا كالرحمة في انتطاف ثمرات الأعمال في الجنان وشرب الرحيق المختوم خنامه مسك هناك ، فاذا قرأنا تاريخ البائدين فذلك من رحمة الرحمن الرحيم وهي الدرجة الأولى .

وإذا غرسنا الأشجار ونظمنا الحقول وقطفنا الأزهار وجنينا الثمار فذلك من رحمته ، وإذا دخلنا الجناب وشربنا شراب الحب من كأس كان مزاجها زنجبيلاً فذلك من الرحمت ، إذن الرحمة في الاعتبار بالأمم وفي السعادة في الحياة وفي سعادة الجنات واحدة ، لذلك ابتدأ السورة بقوله « بسم الله الرحمن الرحيم » وبهذا تم الكلام على الفصل الأول في تفسير البسملة .

الفصل الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسَّ * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * تَنْزِيلَ
الْزَبْرِ الرَّحِيمِ * لِنُذِرَ قَوْمًا مَا أُنذِرَ آبَاؤَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ * لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى
أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَعْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ *
وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ * وَسَوَاءٌ
عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ
بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ * إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ
وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ * وَاصْرَبْ لَهُمْ مَثَلًا لِأَصْحَابِ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ

إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ * قَالُوا
 مَا أُنزِلَ إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُنا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ * قَالُوا رَبُّنا
 يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ * وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ * قَالُوا إِنَّا نَطَّيْرُنا بِكُمْ لَنْ
 لَمْ تَنْتَهُوا لَنْزُجْنَكُمْ وَلَيْمَسَنَّكُمْ مِنْنا عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَنْ
 ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ * وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا
 الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْتَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ * وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي
 فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَأُخَذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةٌ إِنْ يُرَدُّنَ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي
 شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ * إِنْى إِذْ أَنْى ضَلالٍ مُبِينٍ * إِنْى آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونَ *
 قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ *
 وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُندٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ * إِنْ كَانَتْ إِلَّا
 صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ * يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا
 بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ *
 وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ * وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا
 مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ * وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنْ
 الْعُيُونِ * لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ * سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ
 الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ * وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ
 مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ * وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ *
 وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ
 وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ * وَآيَةٌ لَهُمُ أَنَّا جَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ *
 وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ * وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ * إِلَّا
 رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ * وَإِذْ أَقْبَلُ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ *
 وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ * وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا

مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لَلَّذِينَ آمَنُوا انطيم من لو يشاء الله اطعمه ان
 انتم الا في ضلال مبين * ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين * ما ينظرون
 الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون * فلا يستطيعون توصية ولا الى اهليهم
 يرجعون * ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون * قالوا يا ويلنا
 من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن * وصدق المرسلون * ان كانت الا
 صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون * فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا
 تجزون الا ما كنتم تعملون * ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون * هم
 وازواجهم في ظلال على الارائك متكثون * لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون *
 سلام قولاً من رب رحيم * وامتازوا اليوم ايها المجرمون * ألم اعهد اليكم يا بني
 آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين * وان اعبدوني هذا صراط
 مستقيم * ولقد اصل منكم جيلاً كثيراً فلم تكونوا تعقلون * هذه جهنم
 التي كنتم توعدون * اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون * اليوم نختم على افواههم
 وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون * ولو نشاء لطمسنا على
 اعينهم فاستبقوا الصراط فاني يبورون * ولو نشاء لمسخناهم على مكائهم فما
 استطاعوا مضياً ولا يرجعون * ومن نمره نكسه في الخلق افلا يعقلون * وما
 علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكركم وقرآن مبين * لينذر من كان حياً
 ويحق القول على الكافرين * اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاماً فهم لها
 مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ، ولهم فيها منافع ومشارب
 افلا يشكرون * واتخذوا من دون الله الهة لعلهم ينصرون * لا يستطيعون نصرهم
 وهم لهم جند محضرون * فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يبصرون وما يملنون * اولم
 ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين * وضرب لنا مثلاً ونسي
 خلقه قال من يحي العظام وهي رميم * قل يحييها الذي انشاها اول مرة وهو

بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا إِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ *
 أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ
 الْعَلِيمُ * إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * فَسُبْحَانَ الَّذِي فِي يَدِهِ
 مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ *

التفسير اللفظي

بسم الله الرحمن الرحيم

(بِسْ) قد اطلعت على ما كتبت على الحروف التي في أوائل السور في أول (آل عمران) من عددها
 ومناسبتها للأوضاع الفلسفية والفقرات التشريحية الإنسانية والعجائب الطبيعية والاستدلال بها على بقاء اللغة
 العربية بعد فناء اللغات الأوروبية كما أوضحه علماء الألمان بالاستنتاج الموافق لرمز القرآن . ولعلك أيضاً قرأت
 ماجاء في (سورة العنكبوت والروم) وما بعدها من إشارة الحروف في أوائلها وفوق ذلك إلى استكناه
 العلوم الحسكية ونظام العناصر الأرضية وعجائبها الحسكية والإلماع هناك إلى أن (الم) في أول سورة البقرة
 تزيد على ذلك بالإشارة إلى الاستفهام التقريري في مسألة الدين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت
 ومسألة إبراهيم والطير والعزير . فهناك قد جاء القول بافظ (الم) في أوله . ولكن هذا اللقاع أبداع بيانا
 وأعجب نظاما وأعدل ميزانا وأحسن صنعا وأبداع وضعاً وذلك من ناحية الآراء الاستنتاجية التي فهمتها
 والعلوم الحسكية التي منها عرفتها لمن حيث نفس الآيات القرآنية فإياها كلها منظمة موزونة هي آيات الكتاب
 وسترى إيضاح هذا اللقاع في الفصل الرابع إن شاء الله تعالى ويسرك منظره من جمال الصنع وبدائع الحسكة
 ونظام الجمال والجلال (والقرآن الحسكيم) أي أقسم بالقرآن ذي الحسكة (إنك لمن المرسلين) الذين هم
 (على صراط مستقيم) أي على طريقة مستقيمة نزل القرآن (تنزيل العزيز) في مسلكه (الرحيم) بخلقه .
 أرسلت (لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم) أي غير منذر آباؤهم قبلك (فهم غافلون) أي فبقوا غافلين (لقد حق
 القول) لقد وجب القول بالسخط والعذاب (على أكثرهم فهم لا يؤمنون) ذلك لأن الله جعل استعدادهم
 كذلك فقلوبهم طبع عليها وهذا يفيد قوله (إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا) جمع غل (فهي) أي الأغلال واصله
 (إلى الأذقان) ملتزقة إليها (فهم مقمحوون) مرفوعة رؤوسهم . ذلك لأن طوق الغل الذي في عنق الغلول
 يكون في ملتقى طرفيه تحت الدقن حلقة فيها رأس العمود خارجا من الحلقة إلى الدقن فلا يمكنه من أن
 يطاق رأسه فلا يزال مقمحا ، وهذا كله تمثيل أي متعناهم بموانع عن الإيمان تشبه ما ذكر (وجعلنا من
 بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون) شبههم بمن أحاط بهم سدان فغطيت أبصارهم
 بحيث لا يرون ما أمامهم وما خلفهم فهم محبوسون في مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر في الآيات وتكون
 نتيجة ذلك ما بعده وهو (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرتهم لا يؤمنون) لأن من يرد الله إضلاله لا ينفع تحويفه
 (إنما تنذر من اتبع الذكر) أي لا ينفع إنذارك إلا من اتبع القرآن (وخشى الرحمن بالغيب) وهو لا يراه

(فبشره بغيره) تدنوبه (وأجر كريم . إنا نحن نحي الموتى) للبعث (ونكتب ما قدموا) من خير وشر (وآثارهم) أي ما سنوا من سنة حسنة أو سيئة (وكل شيء) من أعمالهم وغيرها (أحصيناه في إمام مبین) كتبناه في اللوح المحفوظ (واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية) أي اجعل لهم صفة أصحاب القرية صفة . ثم أبدل من أصحاب القرية إذ من قوله (إذ جاءها المرسلون) وهم رسل عيسى عليه السلام إلى أهل القرية وهي انطاكية (إذ) بدل من إذ الأولى (أرسلنا إليهم اثنين) أي أرسل عيسى بأمرنا اثنين وهما [يوحنا] و [بولس] فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار فسألهما عن حالهما فقالا نحن رسولا عيسى ندعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن وشفى ابنه المريض إذ مساه فأمن وفشا الخبر في المدينة بأن الأبرص والأكمه يشفيان على أيديهما فشكاهما الناس إلى الملك فحبسهما ، ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون فدخل متسكرا وعاش مع حاشية الملك وصار من أصحابه واحتال في ذكر قصة الرسولين أمام الملك وقال له اسمع ما يقولانه فدعاهما الملك فحضرا فسألهما شمعون فوصفا الله بالتوحيد والقدرة . ثم أتى بغلام مطموس العينين فدعوا الله له فشق له البصر . فأما الملك فاعترف بأن إلهه لا يسمع ولا يبصر وهكذا حتى ميت مضى له سبعة أيام بدعاهما فأمن قوم وكفر قوم وصاح جبريل بمن لم يؤمن فهل كوا وهذا قوله تعالى (فكذبوهما) أي يوحنا وبولس (فمزنا بثالث) فقوي بثالث وهو شمعون (فقالوا إنا إليكم مرسلون ، قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا) أي لا مزبة لكم علينا (وما أنزل الرحمن من شيء) وحى (إن أنتم إلا تكذبون) فدعوى رسالته فاقضت الحال زيادة التأكيد لزيادة الإنكار (قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون) هذا استشهاد بعلم الله وهو يجري مجرى القسم (وما علينا إلا البلاغ المبين) الظاهر المبين بالآيات الشاهدة لصحته (قالوا إنا تطيرنا بكم) تشاء منا بكم (لئن لم تنتهوا) عن مقالكم (لرحمنكم ولجنسكم منا عذاب ألم ، قالوا طأركم معكم) أي سبب شؤمكم معكم وهو سوء عقيدتكم وأعمالكم (أئن ذكرتم) أي أنشأتم بأن ذكرناكم وخوفناكم بالله (بل أنتم قوم مسرفون) أي في ضلالكم وشرككم متبادون في غيبكم (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) وهو حبيب النجار (قال يا قوم اتبعوا المرسلين ، اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون) فأنتم لا تخشرون شيئا من دنياكم وترجون صحة دينكم فيحصل لكم خير الدنيا والآخرة فقالوا له أتبرأت من ديننا ودخلت في دين عدونا فقال لهم (ومالئ لأعبد الذي فطرني) خلقني (وإليه ترجعون) بعد الموت (أأخذ) أعبد (من دونه) من دون الله بأمركم (ألهة) أصناما (إن يردن الرحمن بضر) إن يصبن الرحمن بشدة عذاب (لا تنعن عنى شفاعتهم شيئا) أي لا تدفع عنى (ولا يتقدون) من المكروه (إني إذا) إن عبدت من دون الله شيئا (لني ضلال مبين) خطأ بين (إني آمنت بربكم فاسمعون) أي فاشهدوا لي بذلك ، فلما قال ذلك وثب القوم عليه وثبة رجل واحد فقتلوه . فلما لقي الله (قيل) له (ادخل الجنة) فلما دخلها ورأى نعيمها (قال يا ليت قومي يعلمون . بما غفر لي ربي وجعلني من السكرمين) نعمي أن يعلم قومه أن الله غفر له وأكرمه . وقيل إنهم لما هموا بقتله رفعه الله إلى الجنة على ما قاله الحسن فقال ما تقدم (وما أنزلنا على قومه من بعده) من بعد إهلاكه أو رفعه (من جند من السماء) وهم الملائكة لإهلاكهم (وما كنا منزلين) وما كان يصح في حكمتنا ، ذلك لأن إهلاكهم أيسر مما يظنون (إن كانت) العقوبة (إلا صيحة واحدة) صاحبها جبريل (فإذا هم خامدون) ميتون كما تخمد النار (ياحسرة على العباد) أي تعالي يا حسرة فهذه من أحوالك فحقتك أن تحضرى فيها وهي حال استهزأهم بالرسول (ما يأتهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون . ألم يروا) ألم يعلموا وهو معلق عن المفعولين بكم في قوله (كم أهلكنا قبلهم من القرون) وقوله (أنهم إليهم لا يرجعون) بدل من كم ، والمعنى ألم يروا كثرة إهلاكنا من قبلهم كونهم غير راجعين إلينا (وإن كل لما جميع لدينا محضرون) أي وما كل إلا مجموعون محضرون

عندنا للحساب وهذا على قراءة « لما » بالتشديد . فأما الخففة فالمعنى أن كلهم محشورون مجموعون الخ
 (وآية لهم الأرض اللينة) بالتخفيف والتشديد (أحييناها) بالمطر (وأخرجنا منها) من الأرض (حبا)
 جنس الحب (فنه) من الحب (بأكلون . وجعلنا فيها) في الأرض (جنات) بساتين (من نخيل وأعناب
 وفجرنا فيها من العيون . لياً كلوا من ثمره) أى ثمر ما ذكر وهو الجنات (وما عملته أيديهم) أى أن الثمر
 يخلق الله لا يفعلهم (أفلا يشكرون) نعمة الله تعالى (سبحانه الذى خلق الأزواج) الأصناف والأنواع (كلها
 مما تنبت الأرض) من النبات والشجر (ومن أنفسهم) الذكر والأنثى (وما لا يعلمون) وأزواجاً مما لم يعلمهم الله
 عليه ولم يجعل لهم طريقاً إلى معرفته (وآية لهم) تدلهم على قدرتنا (الليل نسلخ) نزع ونسكشط
 (منه النهار فاذا هم مظلمون) داخلون في الظلام (و) آية لهم (الشمس تجري لمستقر لها) لحد لها مؤقت تنتهى
 إليه من فلكها وهى نهاية العالم أو نهاية ارتفاعها في زمن الصيف ونهاية هبوطها في الشتاء . وهذا لا ينافى
 قراءة ابن مسعود لاستقرارها أى لا قرار لها ولا وقوف فهي جارية أبداً الى يوم القيامة تنتهى كل يوم في مرأى
 العيون إلى المغرب وتنتهى مدة السنة وتنتهى مدة ارتفاعها ومدة انحطاطها (ذلك) الجرى المنتظم العجيب (تقدير
 العزيز العليم) الغالب المحيط علمه بكل معلوم (والقمر قدرناه) أى قدرنا سيره (منازل) أى جعلنا له منازل كما
 جعلنا للشمس وهى ثمانية وعشرون منزلة ينزل القمر كل ليلة في واحدة منها ثم يستتر ليلتين أو ليلة إذا نقص
 الشهر . فاذا كان في آخر منازل رق وتغوس وهذا قوله تعالى (حتى عاد كالعرجون القديم) وهو العود الذى
 عليه الشماريخ إذا أتى عليه الحول فتغوس واصفر ودق . وهذه الصفات الثلاث تكون للقمر عند انتهاء المنازل
 (لا الشمس ينبغي لها) أى لا يصح لها ولا يتسهل (أن تدرك القمر) فى سرعة سيره ، أو لا يتسهل لها أن تجتمع
 معه فى وقت واحد وتداخله فتطمس نوره لأن لكل منهما سلطاناً فى وقت خاص فسلطانه بالليل وسلطانهما
 بالنهار (ولا الليل سابق النهار) أى ولا يسبق الليل أى آيته وهو القمر آية النهار فيجمل سلطانه محلها . كلا ،
 لأنهما يجريان بحساب منظم (وكل) من الأرض والشمس والأقمار (فى فلك يسبحون) كما يسبح السمك
 فى الماء . فالشمس فى مدارها حول كوكب من كواكب الجائى على ركبتيه ولا يدري مدة دورتها والأرض
 تجرى حول الشمس فى سنة وحول نفسها فى يوم وليلة والقمر يجرى حول الأرض كل شهر . ولما كانت مسألة
 الأرض صعبة الفهم على النوع البشرى قديماً قدمها فى الذكر وفصل بينها وبين الشمس والقمر يجعل حق لا يقال
 إنها داخله فى السكاية فينافى ما عرفه الناس ، إذ ذاك وأنى بلفظ « كل » للدلالة على دخولها ليتفطن لها
 الناس فى هذه الأعرار وليعلموا أن الله خبأ لهم الحكمة فى القرآن ليستخرجوها مطبقة على الكشف لئلا
 تقف عقول المسلمين عن السير فى العلوم خيفة أن تنافى كلام ربهم . وليعلم الذكى أن هذه الرموز وضعت فى القرآن
 لنبشر بها المسلمين أن هذا زمان ربهم وليسوا كالأمم المسيحية الذين ارتطموا أمداً طويلاً فى الجهالة وهم
 أذلاء جهلاء متوحشون فلم يخرجهم من وحشيتهم وجهالهم إلا نهضة المسلمين وحروبهم المتوالية معهم فى
 الشرق بالحروب الصليبية وفى الغرب بالحروب الأندلسية والحروب فى القسطنطينية ، إنه لم يخرجهم من
 مأزقهم إلا احتسكاكم بأمر الإسلام لأن دينهم ليس فيه ما به يخرجون من الجهالة من الإشارات للعلوم ،
 أما المسلمون أيام تأليف هذا الكتاب فهم على بينة من ربهم فقد ظهر فى هذا التفسير أن القرآن كتاب
 حكمة وعلم تصريحا وتلويحا ، وإذا جاءت شبهة فى القرآن حلها حتى لا يقف المسلمون زمناً ما عن الرقى
 مثل ما نحن بصده ، وأقول : سيقراً هذا التفسير للمسلمون وبصعدون بمدنيتهم إلى العلاء فى أقرب زمن ،
 هكذا قضى الله وهكدا سيتم وهو الحكيم العليم . انظر كيف يقول « يسبحون » ومعلوم أن السبح
 للسمك أليق مع أن الفلك القديم قد جعل الكواكب مركزاً فى الفلك أو فى تدوير الفلك على ما تراه

في اصطلاحات القدماء فليس للكوكب أن يسبح من تلقاء نفسه ، بل لابد له من حامل يحمله وذلك الحامل هو الذي يدور به ، فالكوكب مستحيل عليه السباحة ، وكيف يسبح مالا حربية له ولا قدرة له على الاستقلال في السير ، بل هو محمول هكذا كان في الفلك القديم ، ولست أطيل لك فيه لأنه معقد ولا يفيدك إنما الذي يهمنا أن جميع الكواكب تسير على الرأى الحديث في مدارات وتلك المدارات في عالم الأثير ، فهي إذن كأنها سمك في بحر .

هذه حقيقة مدارات الكواكب في العلم الحديث . وهذا هو الذي نطق به القرآن . انظر انظر إلى كلام المفسرين رحمهم الله كيف تراهم يقولون في « يسبحون » يسرون ، وذلك لأن الفلك القديم المشهور إذ ذاك لم يكن فيه للكواكب سباح ، فاعجب للقرآن كيف أتى بالكشف الذي يسميه الناس حديثا وقد شرحناه بعض الشرح في [سورة يونس] وهو مشروح ببسط في كتابي ﴿ جواهر العلوم ﴾ وانظر كيف أعقب ذلك بذكر السفن السابحة في البحار المناسبة بينهما وأن كلاله طرق لو تركها اختل في جريه وكل سائح في مداره ليؤكد للمسلمين بهذا التناسب أن الكشف الحديث يناسب القرآن أشد للنسبة ويشير لهم من طرف خفي أن يجدوا في العقول والبحاث ، فالقرآن أمامكم لا ينفر من العقول ولا يأنف إلا من الحرافات والجهالات فقال (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم) أولادهم الذين يعنونهم إلى تجارتهم (في الفلك المشحون) أي الموقرة أو المجهزة المملوءة التي فرغ من جهازها (وحلقناهم من مثله) من مثل الفلك (ما يركبون من الإبل فإنها سفائن البر ، وقد حمل بعضهم السفينة على سفينة نوح والذرية على الآباء لأنها من الأضداد وما يركبون مثله هي السفن والزوارق . وربما كانت إشارة إلى الطيارات اليوم فهي في الهواء كالفلك البحر (وإن نشأ نغرقهم) في البحر (فلا صريخ لهم) فلا مغيث ، أو فلا إغاثة (ولا هم ينقذون) لا ينجون أي لا ينقذون إلا لرحمة منا ولنتيغ بالحياة إلى انقضاء الأجل ، قوله (إلا رحمة منا ومتاعا إلى حين) منصوبان على الفعول له (وإذا قيل لهم انفقوا ما بين أيديكم وما خلفكم) أي ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر مما أنتم تعملون من بعد ، أو من مثل الوقائع التي ابتليت بها الأمم للكذبة بأنيابها وما خلفكم من أمر الساعة (لعلمكم ترحمون) أي لتكونوا على رجاء رحمة الله وجواب الشرط محذوف أي أعرضوا وإنما جاز حذفه لأن الجملة التي بعده تدل عليه وهي قوله (وما تأتيتهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين) معناه أن دأبهم الإعراض عن كل آية وموعظة ولا فرق عندهم في الإعراض بين العقائد وبين الأعمال ولذلك أتبعه بقوله (وإذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله) على الفقراء (قال الذين كمروا) بالصانع وهم المعطون (للذين آمنوا) نهسكاهم من إقرارهم وتعليقهم الأمور بمشيئته (أنظعم من لو يشاء الله أطعمه) على زعمكم (إن أنتم إلا في ضلال مبين) في خطأ بين (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) يعنون وعد البعث (ما ينظرون) ما ينتظرون (إلا صيحة واحدة تأخذهم) وهي النفخة الأولى (وهم يخضمون) يتخاضعون في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم أمرها وأصلها يخضمون فسكنت التاء وأدغمت ثم كسرت الحاء (فلا يستطيعون توصية) في شيء من أمورهم (ولا إلى أهلهم يرجعون) فيروا حالهم ؛ بل يموتون حيث تبعهم الصيحة (ونفخ في الصور) مرة ثانية (فإذا هم من الأجداث) من القبور جمع جدث (إلى ربهم ينسلون) يسرعون (قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا) أي من أنشأنا من ضجعنا ، وقوله (هذا) مبتدأ (ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) خبر أي تقول الملائكة أو بعضهم لبعض أو بعض المؤمنين لبعض هذا الذي وعده الرحمن والذي صدق فيه المرسلون (إن كانت) النفخة الأخيرة (إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون) للحساب ، ثم يقال لهم في ذلك اليوم (فالיום لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون . إن أصحاب الجنة اليوم في شغل

كسبافة الله والظنر إلى وجهه الكريم حتى ينسوا كل نعيم سواه ، وكزيارة بعضهم بعضا ، وسماع الأوتار وما أشبه ذلك ، وكل منهم يستلذ بما كان أهله في الدنيا رفعة وضعة ، وقوله (فاكهون) أى متلذذون بالنعمة من الفكاهة (هم وأزواجهم في ظلال) جمع ظل كشعاب أو ظلة كقباب (على الأرائك) على السرر المزينة (منسكثون . لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون) ما يدعون به لأنفسهم من الدعاء أو يتعنونه تقول ادع على ماشئت أى عنه ولهم (سلام) يقوله الله (قولاً من رب رحيم) أو يقال لهم قولاً كائنا من جهته أى أن الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة أو بغير واسطة تعظيماً (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) أى وانفردوا عن المؤمنين وذلك حين يسارهم إلى الجنة ، ومن جملة ما يقال لهم تقريباً (ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين) العهد الوصية إذ عهد الله إليهم بما ركز فيهم من أدلة العقل وأنزل عليهم من دلائل السمع ألا يعبدوا الشيطان بالإصغاء إلى وسوسته وتزيينه كما جاء في الحديث في تفسير قوله تعالى « اتخذوا أجباهم ورباهم أرباباً من دون الله » إذ فسر ذلك بأنهم يشرعون لهم الشرائع ويسنون لهم السنن ، فهذا إصغاء للوسوسة وهناك اتباع للشرائع المزيفة (وأن اعبدوني) عطف على « أن لا تعبدوا » (هذا) الذى عهد إليك (صراط مستقيم) بليغ في استقامته (ولقد أضل منكم جبلاً) بضمتين أو كسرتين واللام مشددة فيهما أو كرسل أو قفل لغات ومعناه الخلق في الجميع (كثيراً أفلم تكونوا تعقلون . هذه جهنم التى كنتم توعدون) في الدنيا (اصلوها) ادخلوها (اليوم بما كنتم تكفرون) تجحدون بها وبالكتاب وبالرسل (اليوم نختم على أفواههم) تمنعهم من الكلام (وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) . يروى أنهم يجحدون يوم القيامة ويخاصمون فقشهد عليهم جرائهم وعشايرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم وفي الحديث « يقول العبد يوم القيامة إني لا أجز على إلا شاهداً من نفسى فيختم على فيه ويقال لأركانها انطق فتتطرق بأعماله ثم يخلى بينه وبين السلام فيقول بعدا لىكن وسحقاً فنسكن كنت أناضل » .

واعلم أن هذا القول هو الذى يطابق العقل وعلم الحقيقة على التحقيق ، ألا ترى رعاك الله أن الإنسان في الدنيا وهو في هذه الدار المملوءة أكاذيب وشروبا ونفاقا يخجل فنظير في وجهه الحجرة ويوجل فيصفر ويتخذ القضاة من ذلك أدلة على إدانة المتهم ، وترى بعض الناس يقصون أثر الجناة ويتبعونهم في السهل والجبل حتى يصلوا إليهم فيقدمون للقضاء ، وهكذا أيدي المجرمين يختم بها على الورق فلا تشابه يد يدا ، وإذا كان هذا في عالمنا الجسماني فما بالك بالنفوس التى هى من عالم الأرواح فإن لكل ذنب أو عمل حسن أثراً في النفوس بحيث يترى فيها الخير والشر ، فإذا انفصلت الأرواح من الأجساد ظهرت بهيئتها التى كانت عليها من شر وخير وهذا قوله تعالى « اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً » فالنفس إذن هى الكتاب المكتون الذى لا غش فيه ولا كذب ، فإذا صمت اللسان نطقت الجوارح كما نطقت في الآثار اليوم في الدنيا ولكن هناك نطقها أفصح وعملها أكل وعلاماتها أتم . وفي حديث مسلم أنه ﷺ قال : « هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة ؟ قالوا لا يا رسول الله . وهكذا قال وقالوا في القمر ليلة البدر ، قال فوالذى نفسى بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما » ثم شرح في الحديث لقاء العبد ربه إذ ذاك إذ يقول له : « ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل » فيقول العبد بلى ويقرب أنه ما كان يظن لقاء الله وهكذا الآخر . ثم يقول آخر : « يارب آمنت بكتابك الخ فيختم على فيه » إلى آخر ما تقدم . انتهى ملخصاً .

ثم قال تعالى (ولولمنا على أعينهم) لمسخنا أعينهم حتى تصير مموخة (فاستبقوا الصراط) فاستبقوا إلى الطريق الذى اعتادوا سلوكه وهو منصوب بزعم الخافض (فأتى يصرون) أى فكيف يصرون حينئذ

وقد طمسنا أعينهم (ولو نشاء لمسخام) فردة أو حازير (على مكائهم) أى فى مكائهم ، وقرى « مكائهم »
أى لمسخام فى منازلهم حيث يجترحون للآثم والكفر (فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون) فلم يقدرُوا على
ذهاب ولا مجئ ، أو مضيا أمامهم ولا يرجعون خلفهم (ومن نعمه) نطل عمره (تنكسه فى الحاق) نقلبه
فيه فلا يزال يتزايد ضعفه حتى تزد إلى أرذل العمر (أفلا يعقلون) أى من قدر على ذلك تدريجا قدر على
الطمس والسخ فجأة (وما علمناه الشعر) رد لقولهم إن محمدا شاعر فلا لفظه موزون ومقفى كالشعر ولا معناه
بما يتخيله الشعراء كما تقدم بيانه فى سورة الماعنة من الموازنة بينه وبين القرآن (وما ينبغى له) وما يصح له
الشعر ولا يتأتى له إن أراد قرضه لأن الشعر سجية فى النفس وصعب على الإنسان ما لم يعود ، فليس كل الناس
شاعرا ولا كل من أراد الشعر يتيسر له ، كيف لا وما كان ينبغ من العرب فى كل قبيلة إلا شاعر أو شاعران
وتصنع له الولائم متى ظهر ، فهو كالجمال لا يخلقه الإنسان فى نفسه فكيف يتأتى لمحمد (إن هو إلا ذكر)
عظة وإرشاد (وقرآن مبين) كتاب سماوى يتلى فى العابد وظاهر أنه ليس من كلام البشر لما فيه من الإعجاز
(ليتذركم القرآن) (من كان حيا) عاقلا فهما (ويحق القول) وتجب كلمة العذاب (على الكافرين) قابلهم بالأحياء
إعلانا بأن الجهل والكفر موت كما أن العقل والعلم حياة (أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا) مما نولينا
إحسانه وحدنا (أنعاما فهم لها مالكون) متمسكون متمسكون من ضبطها (وذللناها لهم) صيرناها متقادة لهم
(فمنها ركوبهم) مركوبهم أو ركوبهم فى قراءة أخرى وهى بنفس المعنى كالحلوب والحلوبة (ومنها يأكلون)
أى ما يأكلون لحمه (ولهم فيها منافع) من الصوف والوبر والشعر والجلد (ومشارب) من اللبن جمع مشرب
بمعنى المصدر (أفلا يشكرون) نعم الله فى ذلك . فلولا خلقه لها أولا وتذليله لها ثانيا ما أمكن تحصيل هذه
المنافع (واتخذوا من دون الله آلهة) أشركوها به فى العبادة بعد علمهم بتلك النعم الظاهرة (اعلمهم ينصرون)
رجاء أن ينصروهم فيما ناههم من الأمور مع أن الأمر ليس كذلك لأنهم (لا يستطيعون نصرهم وهم لهم)
لآلهتهم (جند محضرون) أى الكفار جند الأصنام يفضيئون لها ويحضرونها فى الدنيا وهى لا تنصرهم وهم جند
أياها فى الآخرة ، إذ يؤتى بكل معبود من دون الله ومعه أتباعه الذين عبدوه فى الدنيا كأنهم جند محضرون فى
النار . واعلم أن هذا هو مقتضى علم هذه الدنيا فانك ترى أن الهواء لا يكون موضع الماء والماء لا يكون موضع
الهواء والأرض لا تكون موضع واحد منهما وترى الغليظة إذا وضعت قطعا منها فى الماء تتجاذب ويجذب
الأكبر الأصغر أكثر مما يجذب الأصغر الأكبر هكذا القلوب تتجاذب وتصير كل طائفة مع بعضها كما
ترى الطيور والوحوش فى الفلوات والحشرات فى الحقول والغابات ، وفى الحديث : «أنت مع من أحببت»
فالعالم كله سائر بالعشق فى المادة وفى الروح والقلوب شواهد (فلا يحزنك قولهم) فى الله بالإلحاد والشرك
(إننا نعلم ما يبسون وما يعلنون) فنجازهم عليه وكفى ذلك أن تتسلى به (أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من
نطفة فإذا هو خصم مبين) أى جدل بالباطل بين الخصومة ، كأنه قيل : العجب من جهل الإنسان كيف
يخصم ربه ولا يتفكر فى بدء خلقه ومهانة أصله وأنه من نطفة قدرة . نزلت فى أبى بن خلف خصم النبي
صلى الله عليه وسلم فى إنكار البعث وأناه بعظم قد رم وبلى ففتته يده وقال: أترى عبي الله هذا بعد ما رم فقال
صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك النار وهذا قوله تعالى (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه) بدء أمره (قال
من عبي العظام وهى رميم) بالية أى وضرب لنا مثلا فى إنكار البعث بالعظم البالى حين فتته يده وتعجب من
يقول إن الله يحياه ونسى أول خلقه وأنه مخلوق من نطفة (قل يحياها الذى أنشأها أول مرة) أى ابتداء
خلقها (وهو بكل خلق عليم) يعلم تفاصيل المخلوقات وأجزاء الأشخاص المقتدة المتبددة أصولها وفصولها
ومواقعها وطريق تمييزها (الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا) كالمرخ والمفارق من أراد النار قطع منها

غصنين مثل السواكين وها خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق الريح على العفار فتخرج منهما النار بإذن الله تعالى ، تقول العرب : في كل شجر نار واستمجد الريح والعفار أى استكثر منها وذلك أن هاتين الشجرتين من أكثر الشجر نارا (فاذا أتم منه توقدون) تقدحون فتوقدون النار من ذلك الشجر . ثم ذكر ما هو أعظم من خلق الإنسان فقال (أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم) أى وهو القادر على ذلك (بلى وهو الخلاق) يخلق خلقا بعد خلق (العليم) بجميع ما خلق (إنما أمره) أى إن شاءه (إذا أراد شيئا أن يقول له كن) أى تكون (فيكون) أى فهو يكون أى يحدث ، وهذا تمثيل لنائب قدرته فى مراده بأمر اللطاع للطبيع فى حصول الأمور من غير امتناع وتوقف وافقار إلى مزاوله عمل واستعمال آلة (فسبحان) أى تنزيهه مما وصفه به المشركون وتعجب من أن يقولوا فيه ما قالوا (الذى بيده ملكوت) ملك (كل شيء) وزيادة الوار والتاء للبالغه (وإليه ترجعون) تعادون بعد الموت . انتهى التفسير اللفظى وهو الفصل الثانى من السورة .

الفصل الثالث

(فى ذكر ما كنت فسرتهما به منذ سنين لتكون ماثلة معانيها أمام القارىء ملخصة مجمعة)

(مقاصد سورة يس)

- (١) ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم حق ما أرسل به وأنه نذير للأمة وغيرهم .
 - (٢) بيان أن النذيرين صنفان : صنف يئس من صلاحه . وآخر سعى لفلاحه .
 - (٣) تبيان أن أعمالهم تحصى عليهم ولهم فنكتب آثارهم وتحصى أخبارهم .
 - (٤) إيضاح للتصديق السابقين بقصص حبيب النجار وقومه بأنطاكية إذ حكم عليهم بالكفر وله بالإيمان فقتل فدخل الجنة بما قدم من الإيمان والإرشاد وهلك قومه .
 - (٥) الدليل الطبيعى العقلى على البعث بعد التاريخ من العوالم السفلية وجناتها والعوالم العلوية وكواكبها وتبيان لقدرة الله ووحدانيته وعلمه ورحمته الشاملة .
 - (٦) جزاء الفريقين فى الآخرة وهو [فصلان : الأول] بيان كفران الجاحدين هذه الأنعم وسرعة أخذهم أخذ عزيز مقتدر وندمهم عند معاينة العذاب . [الثانى] الجنة ونعيمها وما أعد للمؤمنين فيها
 - (٧) توبيخ الكافرين على ما ارتطموا فيه من الجهل واتباعهم الشياطين .
 - (٨) ثلاثة فصول لثلاثة أغراض سبق فى السورة شرحها بأسلوب آخر وذلك ليستدلوا بما يعلمون من أنفسهم أعمالهم الخاصة بهم : [الفصل الأول] قدرته على مسخهم فى الدنيا وطمس أعينهم وأبرز لذلك دليلا من الأنفس وهو تنكيس خلق العمر من الناس ، وهذه تقابل قصص حديث أهل انطاكية فذاك فى الآفاق وهذا فى النفس . [الفصل الثانى] الانتفاع بالأنعام من ما كل ومشرب وملبس . وهذه نعم راجعة لأنفسهم فى مقابلة ما أنعم من نعم عامة من الأرض وجناتها والشمس وأضوائها والسكواكب ودورائها والسفن وغيرها من النعم العامة فمن لم يشكر على النعم العامة فما باله لا يفتقه ما يزاوله منها بنفسه [الفصل الثالث] إثبات البعث بما يعانون لخاصة أنفسهم من الزناد إذ يقدحونها فيستخرجون ناراها . أفلا يستطيعون السبيل للهداية مما يزاولون لما يعود على أنفسهم بالمنافع إن جهلوا ما كان مشتركا نفعه من الأرض والسموات .
- وهذا هنا كما ختم السورة السابقة بجمهرتين زهراوين وياقوتتين حمراوين من إنقائه النظام وإصلاحه

العام ومن تدمير الناس وإفسادهم في الأرض ، فهو مصلح وهم مفسدون . ولقد كانوا خلفاءه في الأرض وما أجدرهم أن يتخلقوا بأخلاقه ويسيروا على الصراط المستقيم ، وإيضاح الأولى أنه عز وجل نظم جواهر النجوم المزهرات والكواكب السيارات وربطها بأسباب فدارت وأرسل لها من لدهنه رحمة فأمسكتها وعجبة لحفظتها فدارت في مداراتها وجرت في أمالكها واجتذبتها جذبا لطيفا بمواسك من التعاشق يسميها [علماء المحسوسات] جاذبية ، تمسكهم كالأزول عن مداراتها وتخل في نظامها ، ولولا ذلك انفرقت أيدي سبابها ، وطاحت شذر مذر ، فباد الوجود وهلك الوجود ، وذلك قوله تعالى « إن الله بمسك السموات والأرض » إلى قوله « حلما غفورا » .

وإيضاح الجوهرة الثانية أن الناس أفسدوا وما أصلحوا وعجزوا أن يعقلوا عجائب النظام وبدائع الإتيان فأخذوا لله أندادا وعبدوا أوثانا فبأوا بالغضب صاغرين ورجعوا بالفت محرومين ، وإذا عاهدوا عهدا نبذوه وإن حلفوا أن يتبعوا رسولا إن جاءهم لم يتبعوه ، وطباعهم الكبرياء وشأنهم الإباء فهلا ساروا في الأرض فدرسوا أحوال الأمم الظالمة والأجيال البائدة ، ألا أن عاقبة البغي لهم ودائرة السوء تدور عليهم ولولا رحمة واسعة أحاطت بهم لأبدنا كل نسمة ولسكننا نؤخرهم إلى أجل معدود لأن رحمتنا أوسع وفضلنا أعم فليتبعوا أياما في ساحات رحمتنا ولنورد لهم موارد الهلاك بعدلنا جريا على ناموسنا العام وعدلا في النظام ، وذلك قوله تعالى في (سورة فاطر) « هو الذي جعل خلائف في الأرض فمن كفر فعليه كفره » إلى قوله تعالى « إلا غرورا » وقوله « وأقسموا بالله جهد أيمانهم » إلى آخر السورة وهم كانوا أكثر منهم عددا وأعز نفرا ، طعنهم الترى بسككاه ومزقهم بطوله . فذلك بيوتهم خاوية وجماعاتهم فانية للأقدار جانية .

المقصد الأول

(يس ، والقرآن الحكيم ، إنك لمن المرسلين ، على صراط مستقيم ، تنزيل العزيز الرحيم)
ابتداء الله عز وجل السورة بإثبات رسالته صلى الله عليه وسلم وتوثيق عرى نبوته وتأيد دعوته وتبيان أن القرآن أنزل عليه من ذى العزة والقهر والرحمة والفضل توطئة لما ستمتع من قصص الظالمين وتفصيل بدائع الحلقة الشاملة آثارها الفائضة أنوارها .

المقصد الثاني

(« لتنفذ قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون »)

لما أثبت الرسالة والمرسل به شرع يشرح حال المرسل إليهم من أهل الدعوة إذا هم فريقان . فأما أحدهما فأحاطت به خطيئته وأرهقته زلته وفقد إيمانه وأوثقه طغيانه فثله كمثل من ضم الغل يديه إلى ذقنه فلا يستطيع حراكا أو كمثل الذى سدت عليه المسالك وأحاط به السدان من خلفه وأمامه ثم غشى على عينه فسدت عليه الطرق في نفسه بالعمى وفي الآفاق بالسدن . ومن التعذيب تهذيب اللبيب . وأما الآخرون فهم الذين اتبعوا الذكر وخشوا الرحمن في خلواتهم فأولئك لهم البشارة والرزق الحسن . ولا جرم أن الفريقين يرتقيان جزاء وفاقا وذلك في المقصد الثالث .

المقصد الثالث

(«إننا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم» إلى قوله «إمام مبین»)

ولا جرم أن للمقدمات نتائج . وللأسباب مسببات . وللشجرات ثمرات . والمبادئ نهايات . والقسمان المذكوران تحصى أعمالهما وتسطر أحوالهما ويحييان بعد موتهما وتعرض عليهما ماعملا من خير قدماء ومن شر جنيا . ولما أن سجل ما ذكر عليهم أخذ يشرح ذلك بالقصص وهو المقصد الرابع .

المقصد الرابع

(«واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون» إلى قوله «ألم يروا كم أهلكتنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون . وإن كل لما جميع لدينا محضرون»)

لما تبين أن لكل حظا مما جناه ، وقسطا مما اقترفه ، من خير وشر ، وأن الكتاب أحصى أعمالهم وأظهر أخبارهم ، أخذ يوضح ذلك بالقصص . ويبينه بالتاريخ ، ويثبت بالشواهد ، كشفها للعقاص وثبتنا للبرهان ففصل خبر أصحاب المسيح عليه السلام من الحواريين إذ جاء اثنين منهم إلى أهل انطاكية ودعواهم للإيمان فجهدوا مائة جلدة وسجنوها فجاء الثالث [شمعون] واحتال على أرباب الدولة وعظماء الأمة والملك المطاع وأرباب الضياع أن يستنطقوها ولا يؤذوها فأخرجوها منه وظهرت الحوارق على أيديهما من إحياء الميت وإبراء الأكمه ثم نكسوا على رؤوسهم وأذوم فجاء حبيب النجار الذي كان أسلم من قبل لما شفى ابنه بدعاهما فقتلوهما أجمعين ورموه في الرس ميتين . فهؤلاء هم أصحاب الرس . فهلك حبيب النجار ودخل الجنة وهلك قومه وأدخلوا النار . فهذا القصة يدعو للاعتبار بالأمم البائدة والأجسام الهامدة ، إذ كفروا فبادوا وكتبت آثارهم ووعيت أحوالهم وحفظت في كتاب ليوم الحساب . فما أجد العباد بالحمرة . جهلوا الرسل . ومصير الدول . إن كل إلا لدينا لمحضرون . ولئن لم يؤمنوا بما يسمعون . ولم يعقلوا ما يقرءون . في الكتب السماوية . والأخبار الروية . والسكلمات اللفظية . والجل الحكيمية . فهلا درسوا السكلمات العالية والعلوم الشافية مما كتبتنا بأيدينا في طروس السموات وألواح الفلوات وفوق الجبال الراسيات وتحت البحار الجارية وهو المقصد الخامس ، وهو حكمة الحكماء ودرس الكبراء وأدب العلماء .

المقصد الخامس

(« وآية لهم الأرض الميتة أحييناها » إلى قوله « وكل في فلك يسبحون »)

ألم تر إلى الأرض اليابسة أنزل الله عليها الماء فنبت زرعاً وشجراً فكان الحب والنمر والجينات والأعشاب وغرت الأرض عيوناً ، وفي الأرض أزواج النبات والحيوان والإنسان فمنها الذكران والإناث وما من نبات إلا وفيه ذكر وأنثى كما يرى في الترة والقمح كما تقدم في الفاعمة . ومن عجب تفجير العيون من الجبال ، ألم تر كيف برد الماء في الجبال فصار ثلجا فكبر حجما فضغط الحجارة فانفجر ماء . ذلك أن الجبال مخازن الماء والعين زبازها وصبورها والوادي مجراها والأشجار والنبات منتهاها . وانظر الشمس والقمر والليل والنهار

كيف نظم الليقات وحفظ الحساب . وإذا سلطنا النهار عن الليل بدا عاريا وظهر أسود قائما . وترى الشمس جارية إلى مدارى السرطان والجدي وهما منتهاهما . والقمر يجرى في ثمان وعشرين منزلة لا يتقدم عن وقته ولا يتأخر عما رسم له ؛ فهو أبدا مسخر مطيع بجريه السريع ، وكيف غفل الإنسان عن الحساب وسها عن درس الليقات .

حكمت نبت بيد حكمت ثم انتسجت بالمنتسج

ما للناس يعيشون ولا ينظرون وإن نظروا لا يدكرون وإن اذكروا لا يدرسون وإن درسوا لا يحسبون وإن حسبوا لا يتفعلون في باحات العوالم العلوية والسفلية . الشمس طالعة غاربة . والقمر في ذهاب وإياب فهلا درسوا علم الملك وفهموه واطلعوا في الأرصاف فكشفوه . إذن يعلمون أن الشمس لا تدرك القمر في دورانه ولا يسبق الليل أوانه . فالليل والنهار بحسبان . والشمس والقمر يسجدان . ألا ترى أن الشمس في جريها دائبة على قانون لا تتعداه . وسائرة على صراط لا تتخطاه .

انظر وفكر . أنت تعلم أن الفصول أربعة : الخريف والشتاء والربيع والصيف . وأول فصل الخريف في نصف شهر توت في برج الميزان ، إذ يستوى الليل والنهار في المقدار وهناك يزيد الليل أبدا نصف درجة وهو دقيقتان حتى إذا حلت ركائبا بساحة العقرب وزفت بموكبها إلى باحات القوس والأول في نصف بابه والثاني في نصف هاتور فهناك يزيد الليل كل يوم في الأول ثلث درجة وفي الثاني سدس درجة فتكون الزيادة إذ ذلك ثلاثين درجة وهي ساعتان : ساعة في الميزان ، وساعة في العقرب والقوس وتنتهي الشمس إذ ذلك إلى أول فصل الشتاء زمن يكون فيه الليل أربع عشرة ساعة والنهار عشر ساعات . وهناك يبتدىء فصل الشتاء في منتصف كيهك فيتدرج الليل في النقص والنهار في الزيادة ، فسدس درجة كل يوم إلى منتصف طوبه وثلث إلى منتصف أمشير ونصف إلى منتصف برمهاث وقد تنقلت في هذه الأبراج على التوالي وهي الجدي والدلو والحوت ، وهناك يتساوى الليل والنهار ونحل الشمس ساحة برج الحمل وهناك تسمى الشمس الكبيرة . وإذا نزلت البرج قبله وهو الحوت مموها الشمس الصغيرة ، إذ يكون الليل ثلاث عشرة ساعة ، وبحلول الشمس في الحمل يبتدىء فصل الربيع ويزيد النهار نصفان فسدس درجة على التوالي في البروج الحمل والثور والجوزاء من نصف برمهاث إلى نصف برموده إلى نصف بشنس إلى نصف بؤونة ، وهناك تكون الشمس في مدار السرطان ويبتدىء فصل الصيف ويأخذ النهار في النقص والليل في الزيادة بسدس فثالث فنصف درجة من نصف بؤونه إلى نصف أبيب إلى نصف مسرى إلى نصف توت في الأبراج الآتية وهي : السرطان والأسد والسنبلة « ذلك تقدير العزيز العليم » وهذا الحساب تقريبي في القطر المصري .

فالشمس لا تفتأ تسير على هذا النمط لا تتعداه من يوم خلق الله السموات والأرض إلى الأبد وهذا معنى سجودها لله ، فالشمس والقمر بحسبان ، والنجم والشجر يسجدان ، ألا تعجب كيف سارت الشمس على هذا النظام فلا يتغير سيرها ولم تستأخر لحظة ولم تستقدم دقيقة بل جرت جريها المعروف أبدا وأمدا إلى يوم يعيشون أليس الذي حسب نظامها وقدر جريها محيط بأعمال العباد .

وذلك قوله تعالى هنا « وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون » إلى قوله « ومتاعا إلى حين » وإذا لم تقو بصائرهم على الاعتبار بكواكب السماء وسياراتها وشموسها وأقمارها ، فماكم دلائل مما تعملون لتكون أقرب لأنفهامكم وأسرع لعقولكم ، فانظروا إلى السفن كيف أقدرناكم على صنعها ، وجرت كما يجرى السمك في البحر ، وعلمناكم كيف وزنموها بالحيزرانة (الدفعة) فقامت مقام ذيل السمكة حتى تسير يمينا وشمالا ، وكيف عرفتم قاعدة (أرشميدس) التي بها يحملون السفينة ما تطبق حتى لا يزيد جرمها وحملها عما أزعجت من الماء

في جريها ، ولولا ذلك لفرقتهم ولكننا نجيناكم في أسفاركم كما نجينا آباءكم الأولين من العرق مع الظالمين وهكذا فعلنا معكم في طيارانكم أفلا تعقلون؟

المقصد السادس

(« وإذا قيل لهم انقوا أيديكم وما خلفكم » إلى قوله « ألم أعهد إليكم يا بني آدم »)

يقول بعد أن عدد النعم التي خلقها ، والحكم التي أودعها ، والعجائب التي أبدعها ، أنهم معرضون لا يسمعون الناصحين ، ومهما رغبوا في الإنفاق على ذوى الإملاق احتجوا بالقضاء وقالوا أليس ربكم أقدر على الإطعام وأرحم بالأنام . وجهلوا أن الحياة اختبار والدنيا امتحان وإبتلاء فستحضرهم للحساب وتأخذهم بغتة وهم في شقاق وسياب متخاصمين فتأتيهم الساعة بغتة وتحل بهم الحسرة فلا يودعون حبيبا ولا يوصون بحال ولا يرجعون إلى أهلهم بحال ، ثم يقومون وهم من كل حدب ينسلون وآخرون في الجنة ناعمون فلهم فيها ما يشتهون من الثمرات واللذات وما تتر به أفئدتهم من اللذائذ اللعنوية من سلامة وسلام ، وهنا آن توبيخ الكافرين على التقصير وهو :

المقصد السابع

إذ قال « وامتازوا اليوم أيها المجرمون ، ألم أعهد إليكم يا بني آدم » ، في هذا المقام امتاز المؤمنون من المجرمين وفرع سبحانه الكافر على أن نبذ العهد وكيف أضل الشيطان جبلهم (بتشديد اللام) فهلا عقلوا إنزاله ، هذه جهنم التي أغريتم بتكذيبها ، فالיום صمت الناطق وهو اللسان ونطق الصامت وهي اليدان والرجلان ، ولما كانت عناية الله بالناس شاملة ، ولطفه بهم أعم ، أخذ يتلطف بهم في الإفهام ، ليدخل في قلوبهم الإيمان ، من طرق أقرب ، ومسالك أقصر ، مما يعملون ويشاهدون . فتعجب كيف قدم في أوائل السورة قصص أهل انطاكية إذ حاق بهم العذاب في الدنيا ، ثم أتبعه بقبليان مبين من نظرة في العوالم العلوية والسفلية ليعلم الإنسان بالعقل بعد ازدجاره وإزعاجه بالعذاب ، فهكذا هاهنا أخذ يعيد الكرة بمنهج أقرب ومعنى أدق . ذلك أنه قابل أول العنبيين بأنه أقدر على طمس الأعين حتى لا يبصروا ومسح الصور فلا يعقلوا « ولو نشاء لطمسنا أعينهم » الخ .

يقول : ليس العذاب قاصرا على إهلاك أمة وإبادة قبيلة . كلا ، بل يتناول تشويه الأعضاء وطمس العيون ومسح الصور ومحو العقول كما نرى في الأمم التي عم جهلها فقل خيرها وزاد شرها فإنهم ذوو صور مشوهة الباطن وإن كانت حسنة الظاهر . ولما كان تصور ذلك عسرا على العامة صعبا على الجهلة قربه بعد ذلك بما هو أوضح محجة وأبين حجة فقال « ومن نعمه نسكسه في الخلق أفلا يعقلون » إنا قادرون أن نمسح صورهم كما غيرنا صور العمرين ونعكس صور العقول فتذل الأمة وتعيش في خزي فلا تموت في الدنيا ولا تحيا وهذا هلاك أدنى كالهلاك الأبدى الجسمي في أهل انطاكية ، ولا جرم أن في هذا القول تصورا للعقول بوصف المحسوس وإيضاحا وإرشادا فلذلك نفي أن يكون القول شعرا والنبي صلى الله عليه وسلم شاعرا ، فالشعر في الأكثر لم يكن لمثل هذه الأغراض الشريفة « إن هو إلا ذكر وقرآن مبين » يفهمه العاقلون الأحياء ويجهله الغافلون الأموات ، ثم قابل ثانيهما بذكر الأنعام وملسكها وصوفها ولبنها وركوبها وتذليلها ، فمن لم يعقل النظام انام من شمس وقمر وأرض ونهر مما لا يعقل نظامه العالي إلا الأذكاء . فلينظر فيها نزاوله من دابة

يركبها وبهيعة مجلبها . أفليس ذلك يكفي دليلا على وحدانيته وبرهاننا على قدرته ، فأين الأصنام الميتة والأوثان الجامدة ؟ تائه لا يستطيعون نصرهم ولا يملكون نفهم .

ولم يبق إلا أدق الأدلة على اليعاد ويوم الجزاء ففرض له مثلين دقيقين مثلا من الأنفس الإنسانية: ومثلا من أعمالها اليومية . فالأول أن التراب صار رجلا والطين صور عقلا . أليس ذلك عجبا ؟ والثاني ترتب عليه فكان نتيجة ذلك أن الأجسام الإنسانية كالأشجار النباتية لها صور ظاهرة وأنوار باطنة . ولكم قد حتم الزئدة والزئد من الأشجار لاسيا المرخ والعفار ، فأدرتم غصنا من المرخ في قرة نقرعوها في غصن من العفار حتى أحدثت الحركة حرارة فأنتم شرارة فأنتم منه توقدون . وهل يعسر أن تتصوروا أن في أبنيتكم الجنائية نفوسا نورية يكون لها شئون وأى شئون كما انتقدت النار من شرر العفار ونفتت أما وكانت متاعا للمسافرين ونضجا للعجيين ، واصطلاء للمشتين ، وتسخينا للماء ، وزجرا للقطار وللسفن في البحار ؟ وإذا كانت الأشجار كالمرخ والعفار والزئاد من الأحجار قد فعلت عظيما وبقيت أجسامها بعد ذلك كثيرا فما بالك بالإنسان ؟ أفلا يرى أنه له نفسا باقية وروحا خالدة ستلقى جزاءها . على أن الذي خلق الأرض والسموات قادر على أن يحيي الأموات فما لك لا تعلمون ؟ إن كانت القدرة على الإحياء يعوزها كثرة الأعمال وضخامتها فهذه السموات والأرض ، أودقتها فهذه النار في الأشجار أو مزاولتها من قبل ، فهامى أجسامكم كانت مخلوقة من قبل وهو على إعادتها قادر فلم يبق إلا الإجلال والإعظام والانصاف بالاعتراف (فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون)

(آيات العلوم في هذه السورة ٢٤ آية)

من قوله تعالى « وآية لهم الأرض الميتة أحييناها » إلى قوله « ومتاعا إلى حين » وقوله « أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما » إلى قوله « وإليه ترجعون » آخر السورة .

هذه الآيات (٢٤) تشير إلى هذه العلوم ؛ (علم الزراعة . النبات . البساتين) وفي قوله « مما لا يعلمون » الحث على البحث في العالم عما لم يعلم من الحيوانات السكروية والنباتات الخفية ، وهكذا الكرات البيضاء والجرأ في دم الجسم وغير ذلك وعلم النفس وعلم التشريح « ومن أنفسهم » وعلم الهيئة وعلم التقويم وبناء السفن والخطوط البحرية ومعرفة الجهات لسير السفن والنجوم والتيارات البحرية وخطوط البحار وكل آلات السير من الآلات الجارية كالمقطرات الجارية بالبخار والكهرباء ، وذلك في قوله « من مثله ما يركبون » وعلم الأنعام وتربيتها .

(آيات الأخلاق)

ليس فيها آيات خاصة بالأخلاق إلا بطريق الإشارة والتلويح .

(آيات الأحكام)

من قوله تعالى « أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين » إلى قوله « وإليه ترجعون » هذه آيات احتج بها الله تعالى على منكري البعث فدحض دعواهم وأثبت أن من قدر على الابتداء فهو على الإعادة أقدر ، وهذا دليل على أن رد الشبهة مشروع فإن القرآن بالحجج كالبخار الزاخر لا يندر اعتراضا للمحد ولانكرانا للجاهل ، بل يصدع بالحجة ويدحض الباطل ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ، فلا جرم أن حرب اللسان والقلم أقوى من وخز السنان ، وطعن الصارم ، وقتك للدفع ، وحصد الديناميت يطبع بها العاصي ، ويدنو بها القاصي ، وتخبث لها القلوب . وتخضع لها النفوس .

فعلى قادة الأمة نشر الفضائل ودحض النقائص وإذاعة أخبار الخير والشرف عن هذه الأمة ودينها وإقامة

الحجج على فضلها ، فعلى كل امرئ أن لا يندر فرصة حتى يلهج بحماسن الدين ويذب عنه في شرق الكرة الأرضية وغربها ، وليعلم الصغار وهم في حداثة سنهم كي ينشروه وهم مستبشرون . انتهى الفصل الثالث .

الفصل الرابع

(في عجائب العلوم التي تشير لها هذه السورة)

معنى (يس)

اعلم أن (يس) حرفان ذهب العلماء فيهما كل مذهب ، فقال ابن عباس رضى الله عنهما : (معناه يا إنسان في لغة طي) ويقول غيره يا محمد ، وقد علمت في سورة آل عمران أن هذه الحروف جاءت في القرآن لتذهب العقول فيها كل مذهب لا تختص بطائفة دون طائفة ، ولقد ذكرت لك آتفا أن هذه الحروف تحليل الكلمات ، وليس في العالم للشاهد إلا اثنان العناصر والحروف . فالعناصر منها تكون المركبات من حيوان ونبات وشمس وقمر والحروف منها تكون الكلمات والجلل والحطب والنثر والنظم .

هذا ملخص علوم الإنسان على هذه الأرض . فهذه الحروف المذكورة في أوائل السور تبلغ ١٤ حرفا وهي نصف الحروف الثمانية والعشرين وقد تقدم هناك إيضاح حكمها ، والذي يهم في هذه السورة بيان أن ذلك إشارة إلى أن الحروف قد حلت إليها الكلمات كما تحلل المركبات إلى عناصر . وكأن الله يقول لنا تأملوا الجمل والآيات أليست من حروف ؟ وهل تعرف الجمل إلا بتحليلها إلى كلمات ؟ وهل تعرف الكلمات صرفا واشتقاقا وكتابة إلا بمعرفة حروفها ؟

هذا في علوم اللغات . أما في علوم الآفاق للشاهدة فكذلك إذ لا يعرف علم إلا بمعرفة حقائقه وإرجاع مركباته إلى أصولها كما ترى في هذه السورة فإن خروج النار من الشجر الأخضر يرجع إلى علم الكيمياء وهو من العلوم الطبيعية ، وتقدير القمر منازل يرجع إلى علم الفلك وهو من العلوم الرياضية ، يقول الله لنا لا علم للناس إلا إذا حللوا المركبات في كل شيء . فيحللون المسائل الحسابية والهندسية والفلكية وكذلك المركبات الطبيعية .

الكلام على قوله تعالى « الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا »

انظر في هذه الآية وتأمل كيف يقول الله للناس وهم لا يزالون في بداوتهم وأول تطورهم . انظروا واعرفوا ما تزاو لونه من أعمالكم .

أيها الناس : تأملوا في العجائب البارزة أي التي سبقت في خواصها بحيث تلتفت إليها الأنظار . انظروا شجر الرخ والعفار كيف يكون الغصنان منهما يقطران ماء فإذا حك أحدهما في فقرة من الآخر اشتعل نارا أليس هذا من العجب أن تروا النار والماء معا ، وكيف يجتمع الضدان الماء والنار ، إن هذا الاجتماع يدعو إلى الفكر فإن التعجب أول العلم ومن تعجب من شيء فهو مشتاق إليه ومن اشتاق طلب ، ومن طلب نال ونظير هذا الأحجار فإذا حك حجر على آخر اتقدحت منهما نار وظهر شرر . أمر الله الناس بالنظر في هذا استدلالا على سعة قدرته وحث الناس قبل ذلك على الاعتبار بما ينتفعون به من دواب للركوب وأخرى لمنافع ومشارب ، وأمر بالشكر عليها ووبخ من لم يشكر .

(البدو والحضارة)

كل ذلك والقرآن يقرأ في بادية العرب عند قوم أميين في حال البداوة . يأمرهم أن يستخرجوا البراهين من العجائب التي يرونها ويشكروا على كل ما انتفعوا به . هذا هو شأن القرآن . يخاطب الأميين . انظر ماذا حصل بعد ذلك ؟ تطورت الأمة العربية خصوصا والإسلامية عموما . فماذا جرى ؟ انتقلوا من البدو إلى الحضارة كان الإفتاء أولا من صدور الرجال وفهم القرآن ، كثر الناس ، سكنوا المدن ، نظموا الممالك والبرد والقضاء فاضطروا إلى التأليف والتصنيف ودونوا الدواوين واختلفت طرق الاجتهاد فكانت مذاهب متشعبة كأغصان شجرة فيها الورق والزهر . ذلك كله في علم الفقه المستمد من آيات لا تزيد على مائة وخمسين آية فقد ألف فيه مؤلفات ملأت خزائن وخزائن في بغداد وقرطبة ومصر وحلب . لماذا ؟ لأن الفقه اضطر له الناس ليحفظ أحوالهم الاجتماعية . فهو في دين الإسلام كجسم ، والجسم مقدم النظر فيه على النظر في الروح . وروح يحسم ضعيف ضعيفة وأمة بلا قانون مشتتة . عمادى الناس في الفقه واختص بالبحث في العالم وعجائبه أناس ودونوا الكتب ولكنهم لم يكونوا في الكثرة ولا في نظر العامة كالفقهاء .

نبغ الأمة الإسلامية في الفقه تبعا لنمو الحضارة حتى أمكن أن يستنتجوا من آية واحدة وهي قوله تعالى « فاعتبروا يا أولى الأبصار » ربع علم الفقه وهو القياس . جل الله وجل العلم هذا شأن آياتنا في علم الدين ، وبعبارة أخرى سياق علم الدين وجسمه .

أما روح الدين الإسلامي فهي الأخلاق والعلوم الكونية . والدليل على ذلك أن الأخلاق نحو (٧٥٠) آية وكذلك العلوم بل إن القسمين الأخيرين يشملان أكثر القرآن ، فالقصاص كلها أخلاق من حيث نتائجها وعلوم . لم يبح أكثر العلماء في القرون الأخيرة على علوم الأخلاق ولا علوم الآفاق . عرف آباؤنا الصوف والشعر والوبر والزناد وكلهم الله فقال انظروا تحضر آباؤنا ، نظموا المدن ، فتحوا مصر والشام وشمال بلاد أفريقيا ، ولما فعلوا ذلك كله ملكوا الأندلس ، ملكوا الهند والفرس ، واتسع الفقه باتساع الملك فكان مقتضى القياس أن يتسع علم الكائنات وينتقل من لبن البقر وصوف الغنم ووبر الإبل وزناد المريح والقفار إلى جميع العلوم الكيماوية والطبيعية ، كما اتسع علم الفقه من القضايا الأولى المذكورة في القرآن كآية الموارث وآية الدين وآية الوضوء والصلاة والزكاة إلى كتب ضخمة هائلة وعلماء خصوصا لذلك كان القياس أن يكون للعلوم الكونية من طبيعة وفلك ورياضة وسياسة رجال أكثر عددا من علماء الفقه ، ذلك لأن هذه العلوم بها يكون الغذاء والدواء والحياة ، فأما علم الفقه فهو ضابط لما هو موجود ، فعمل الفقه لحفظ ما عملك ولكن لا عملك شيئا إلا بهذه العلوم . ومما مثل الأمة التي تدرس الفقه وتدس العلوم الأخرى إلا كمثل من يتغذى بالدواء إن الدواء ليس غذاء . فذلك يعيش مريضا . لذلك ولغيره اضمحلت الممالك الإسلامية في أقطار الأرض . ولكن الله عز وجل لم يحلها من علماء قاموا بالأمر لاسما للسيحيين والفارسيين ، فقد نبغ كثير منهم في تلك العلوم ، ولما آذنت شمس المسلمين بالغروب انتقل علم آياتنا في ذلك إلى أوروبا والذي نقله هو الله . نقل البذرة فنمت هناك وأزهرت وأثمرت ، فعل الله ذلك لأنه هو المهيمن على أهل الأرض وكلهم عباده وهو الذي يعلمهم ، فلما انحطت دولنا في الشرق نقل علمنا إلى الغرب ، فلما تم العلم هناك أخذ الغرب يطن علينا وحادرنا بشمات علوم آياتنا والله هو الذي سلطهم علينا رحمة منه بنا لأننا إن كنا أهلا للحياة اشتقنا فقرأنا فنبغنا وهو المقصود ، وإن كانت الأمة لم تستعد لذلك فإنها تهلك والعباد بالله تعالى ، فموت البليد راحة له ولأهل الأرض ، وحياء الذكي نفع له ولأهل الأرض ، فمن هذا ترى أن شكوى الشرق من الغرب خطأ لأن

الله هو الذي ساططهم ، وإعنا سلطهم لرحمتنا إما بحياة علمية وإما بموت على شهادة ؛ فأما إذا كان غير ذلك فيكون الناس في الأرض أشبه بمن في جهنم لا يموت فيها ولا يحيا .

﴿ علوم الآفاق في مستقبل الزمان في بلاد الإسلام ﴾

علت أن أهل البادية من آباؤنا كفاهم نظرم العلمى فيما كان بأيديهم من منافع وآمنوا ووجدوا وجاهدوا وملكوا الأقطار . لماذا ؟ لأن الفطرة السليمة في البادية أقرب إلى السكالم لم تدينس تلك الفطر المدنية فلذلك قنعوا بما حولهم من علوم المادة فكان العلم بما حولهم كافيا لإيمانهم كما كانت حاجاتهم العيشية البسيطة كافية لأغذيتهم الجسمية ، ولا جرم أنه على مقدار انتشار المدنية واتساع المدن يحصل (أمران : الأول) كثرة الحاجات فتنشأ الصناعات الكثيرة والعلوم العظيمة (والثاني) أغشية العقول والشهوات والرذائل وأمراض الأخلاق التي تتكاثر بكثرة المدنية . فهذان أمران متناميان معا : أكثر الحاجات الجسمية في العيشة ، وتطلب العقول لحل العضلات وإزالة الشكوك التي يولدها الترف والتنعم وانتشار الآراء الضللة التي لا يعرفها أهل البداوة . وإذن ترى أهل المدن مضطرين للعلوم الآفاقية لترقية المدنية والحاجة لها ولتنمية العقول وارتقائها . ولما مال الميزان في الأمم الإسلامية ولم تترن القوى العقلية والقوى الجسمية فيها انعطت كلها إلا قليلا . فترى المسلم أينما حللت في الشرق أو الغرب موصوفا بالنظافة لما اشتهر في علم الفقه من الوضوء والصلاة ولكنه مشتهر بأنه جاهل . ولذلك لما رحل العلم إلى أوروبا رجعت إلينا تعاقبنا على جهلنا ، العقاب من الله . فأوروبا تحاربنا وتحتل بلادنا لمنافعها وهي لاتعلم أن الله أرسلها رحمة منه لنا لنستيقظ لهذا الكتاب الذي تؤمن به ولندرسه حق دراسته . ومن دراسته دراسة هذه السورة وفيها أن النار تنقد من المرخ والغفار ، ومن هذه مع حرفي الياء والسين وأمور أخرى سيرجع للإسلام كرة أخرى مجده وعلومه . وسيكون في هذه الأمة من يقرءون هذه العلوم على أنها دين بل هي روحه وهي أصل التوحيد .

﴿ محاورات بين المؤلف وبين أحد العلماء ﴾

حضر اليوم وأنا أكتب هذا صديق حميم من أهل العلم . فقال : لقد أطلت في مسألة الشجر وانقاده نارا وأدخلت كل شيء في شيء واحد وهذا بعيد النال ليس مما يعتاد احتمال ولا يقبل أمثاله . قلت : إن انقاد النار في الأشجار رطبة أو غير رطبة من الظواهر الكيماوية . فقال مامعنى كياوية ومامعنى طبيعية ؟ قلت : إذا تنوعت صفات الأجسام بتأثير مؤثر كالحرارة والكهربائية أو بتأثير بعض الأجسام . فهذا التنوع يسمونه (ظاهرة) فإن غير هذا التنوع طبيعة الجسم وحوله من حال إلى حال سميت الظاهرة كياوية . وإن لم يغير طبيعته سميت ظاهرة طبيعية .

فإذا أخذت قطعة من السكر ووضعتها في الماء فانها تذوب فيه وتصير سائلة بعد الصلابة . فاستحالة قطعة السكر من الصلابة إلى السبولة ظاهرة طبيعية لأن طبيعة السكر لم تتغير لأنك إذا وضعت الماء الذي ذابت فيه قطعة السكر على النار رأيت الماء يتصاعد ويبقى السكر كما كان قبل ذوبانه : وإذا وضع السكر على الحجر للتمدد مباشرة فإنه يحمر وتشم منه رائحة الحيز المحرق . فهذا التنوع يسمى ظاهرة كياوية لأنه غير طبيعة السكر ، وإذا حل السكر في الماء المضاف إليه عصير الليمون وسخن المحلول فإنه يصير مادة طعمها حلو سكري تركيبها يخالف السكر المعتاد وهذه المادة تسمى (جليكوز) وهي تكون في جميع الثمار السكرية الحمضية . فإذن استحالة السكر المعتاد إلى (جليكوز) بتأثير عصير الليمون يسمى أيضا ظاهرة كياوية . فمعرفة الظواهر الطبيعية في علم الطبيعة ومعرفة الظواهر الكيماوية في علم الكيمياء .

فقال صديق ، فمن أيهما مسألة النار في الشجر . قلت من الظواهر الكيماوية . قال : إذن تريد أن تستمر

في شرح الأمور الكيميائية . قلت نعم ما يناسب منها اللقاه . قال : ولكن العلوم أن علم الكيمياء علم غير لذيذ وليس للطالب إلا أن يحفظه عن ظهر قلب ففائدته غير موجودة ونحن الآن في تفسير القرآن . وإذا كانت المسائل الكيميائية تصعب على طلابها فما بالك بطلاب التفسير . قلت : اعلم أيديك الله أن الكيمياء وغيرها إذا درست في التفسير فإنها لا تدرس إلا بطريق مشوق لجمالها محب للاطلاع عليها . ألا ترى إلى التل « ليست الناشحة كالشكلى » فذكر مسائل من هذا العلم هنا على سبيل عرض مناظر الجمال العلى والنور الإلهى والحكمة العالية فما أشوق الطالب حين يطلع على ما سأورده الآن من جمال وبهاء ونور وعرفان .

﴿ نظرتى لهذا العالم وأنا طالب بالجامع الأزهر ﴾

إني أتذكر اليوم ما كان يجيش بخلدى ويهجس في نفسى إذ كنت طالبا بالجامع الأزهر ، فلقد كنت أقف على شاطئ نهر يسمى (أبا الأخضر) بالشرقية قرب قريتنا وأتأمل الأوراق والتسلمات تهب بهن مترنحات ذات اليمين وذات الشمال .

والريح تهب بالعصون وقد جرى ذهب الأصيل على لجين الماء

فلقد كان يخيل إلى أن في تلك الأوراق أسراراً ويخيل إلى أنها تسكاد تتحلل أمهى وكأنها مملوءة بحكمة محبوبة عنى وكان قلبى يتقد ناراً من الشوق الى معرفة عجانها وهو يحس كأنها تتوهج وتضىء وكأنها تتطق بلسان الحال بأنها ذات أسرار لا يعرفها إلا العالمون ، كذلك كنت أنظر الى النجم وأقول :
النجم أخبرنا بأن وراءه حكماً يحل عن العقول وتعظم

بعد ذلك دخلت مدرسة دار العلوم . فلما طلعت فيها على آثاره من هذا العلم انشرح صدرى وكأنى أعطيت ملكاً وكان ذلك أعظم بهجة لنفسى وسرورا وحبورا .

﴿ إيضاح للقام وتفصيله بالمثل ﴾

فهذه العلوم إن درست مجردة من الحكمة النظامية كانت صعبة للنال وإن درست على أنها جمال وحكمة وبهاء فإن العقل يألفها ويعشقها ويراها سعاده . فلا ذكر لك الآن من عجائب الكيمياء ما به تقر عينك ويشجع صدرك فأقول :

لقد قرأت في السورة أن الله يأمر بالنظر في الأنعام وأصوافها وألبانها وفي الأشجار ونارها (وبعبارة أخرى) يقول انظروا في كل ما حولكم في السماء والأرض . فهل ذكر الله ذلك للاقتصار عليه ؟ كلا . ذكر ما هو موجود عندهم . فلننظر نحن إلى كل ما نعلم مما حولنا ، يذكر الله أن الشجران قد فصار ناراً . وماهى النار؟ إن هى إلا اتحاد عناصر الحشب والفحم وغاز الاستصباح والبتروى والزيت وغيرها بالمادة التى فى الهواء السماء (الأكسوجين) فهذا هو الاحتراق ، فإذا رأيت مصباحاً متقدماً بالبتروى أو بالزيت أو رأيت ناراً متقدة فى حشب أو فحم فمعى ذلك أن الأكسوجين الهواء قد اتحاد مع تلك المواد فحصل تفاعل وهذا التفاعل أنتج الحرارة والضوء ، فالنار إذن من التفاعل الكيمائى وهى ظاهرة كيمائية ، وما الأكسوجين ؟ إلا أكسوجين غاز عديم اللون والطعم والرائحة يسيل بضغطه ضغطاً عظيماً وتبريده تبريداً شديداً ، وهو أثقل من الهواء قليل اللوزان فى الماء ، وإذا وضعت قطعة من الحشب متقدماً طرفها فى غاز الأكسوجين النقى فانها تلتهب حالاً وكذا الفحم فإنه يحترق بلعان شديد ويزول بسرعة ، فهذا الذى رأيت بهسمى احتراقاً حاداً فما ذكره الله فى الآية من الاحتراق الحاد .

﴿ الاحتراق البطيء ﴾

إذا وضعت الحديد في الهواء الرطب اتحد بالأكسوجين المذكور فاستحال شيئاً فشيئاً إلى صدأ: أى إلى مركب أكسوجيني للحديد؛ فإذا نحت الحديد الذى ركبته الصدأ مركب من حديد وأكسوجين ولم تظهر حرارة ولا ضوء لأن الحديد بطيء الاحتراق بخلاف الحشب والقلم والزيت، فرجال الكيمياء يرون أن الحشب الملتهب والحديد الذى ركبته الصدأ كلاهما في احتراق؟ أما الأول فهو حار، وأما الثانى فهو بطيء.

﴿ تنفس الحيوان من الاحتراق ﴾

لقد علمت أن الحديد الذى صدأ يحترق واحتراقه بطيء هكذا قل في نفس الحيوان، إن الحيوان يأخذ بالشهيق الهواء فيدخل في الرئتين ويترك هناك الأكسوجين وتأخذ الكرات الدموية وتنقله إلى الأوعية الشعرية، وهذا الأكسوجين يتحد بالكربون والأيدروجين اللذين في الأنسجة فيتكون من هذا الاحتراق جسمان لا يصلحان للبقاء في الجسم فينقلهما الدم الوريدي إلى الرئة ويخرجان منها بحركة الزفير فكأن جسم الإنسان أرض سقيت بماء النيل وما بقي من الماء الذى يضر الأرض يصفى من جهة أخرى وهذا هو الذى تم في الأكسوجين، يتحد بالمادة الكربونية وبالمادة الإيدروجينية فتكون الحرارة في الجسم مستديعة بهذا الاتحاد، ومانشأ من مادة فاسدة يكون أشبه بالقلم بعد احتراق الحشب، فذلك يلفظه الجسم بواسطة الدم الوريدي ويخرج في النفس على هيئة مواد تقع على المرآة إذا تنفس فيها الإنسان فيغطيها بطبقة تعجب المناظر عن العيون، ذلك هو ما تخلف من الاحتراق من اللواد الكربونية مع غيرها كما ترى في أعمالنا اليومية.

فانظر أيها الذكي كيف كان الأكسوجين قوام الاحتراق في مسألة الشجر والنار. وكيف كان العلم لا يفرق بين الشجر اللتقد نارا في الآية والحديد الذى صدأ وجسم الإنسان والحيوان وهو دائماً يتنفس. فإذا كان الشجر يتقد نارا فالجسم الإنسانى اليوم يتقد نارا بطيئة والحديد الذى صدأ كذلك وهذا كله لم يعرف إلا بتحليل المادة إلى عناصرها وفهمها كما فهمنا اللغة بتحليلها إلى حروفها. كل هذا يؤخذ من هذين الحرفين (يا وسين). فذكر هذين الحرفين في أول هذه السورة يتضمن هذه العلوم. يتضمن أن يدرس للسلون الكيمياء وجميع العلوم. لا درس لعلم إلا بتحليله كاسترام. فانظر كيف ظهرت الخواص بالتحليل كما عرفت الكلمات بالتهجية.

فلما سمع صاحبي ذلك. قال: إن هذا العلم لذيذ وشهى وإنى سمعتك تقول الآن إنه كان يخيل لك أن أوراق الشجر كانت تكاد تتحات أمامك وكأن فيها أنواراً. فهل عرفت من هذا شيئاً؟ فإن كان كذلك فأرجو الإسهاب في هذا المقام. قلت: انظر شعر القطن وحب القمح وحب الشعير وحب الدرة وحب الفول والبطاطس والقصب والبرسيم والصابون اللين وملح البارود والنظرون والزجاج. انظر إلى هذه اللواد وهى ثلاثة عشر وتأمل في عجب من عجائبها. إن البوتاسا تدخل في القطن (٥٥) من المائة وفي حب القمح ٣١٥ وفي حب الشعير ٢١ وفي الدرة ٣٧ وفي الفول ٤٢ وفي البطاطس ٦١ وفي القصب ٢١ وفي البرسيم ٣٤ وترى الصودا تدخل فيما تقدم بنسب تختلف عن هذه، مثلاً تدخل في شعر القطن (٣٥) تقريباً وفي حب القمح (٢٢٦) في المائة وفي حب الدرة (٣) وفي حب الفول (٣٣) من المائة، فإذا نحت كل هذه اللواد دخل فيها البوتاسا والصودا، ثم إن الصودا تستعمل في الصنائع لتحضير الزجاج والصابون وبها تبيض الأقمشة القطنية وتستعمل في المنازل لغسل الأواني وتنظيفها.

فقال صاحبي: أنا لا أدري ما هى الصودا، هذا كلام معمم علينا فكيف نقوله في تفسير القرآن والقرآن سهل ومثل هذا صعب لا يعرف إلا في الأجزخانات (الصيدليات). فقلت له: الصودا هى النظرون وهو يوجد

في بلاد المجر وفي القطر المصري . وترى في بلادنا المصرية بركا يتبلور فيها النطرون في الصيف . وقدما كان يستخرج من النباتات البحرية والآن يحضر من الملح المعتاد الذي يسمى كلورور الصوديوم والصودا المذكورة أو ملح الصودا الذي منه النطرون عبارة عن كربون وأكسوجين وصوديوم أعنى أنه من المادة الفحمية والصوديوم والأكسوجين المعروف أحدث فكوت هذا الملح . قال : وما الصوديوم وما صفاته ؟ قلت الصوديوم فلز لين ذو لمعان فضي يصهر في الهواء من غير أن يلتهب . وإذا ألقى في الماء اصطهر وتحرك بعضه على بعض فوق سطح الماء وهذا التفاعل يحصل نظيره في البوتاسيوم كما سيأتي وهو يكون في الجيوب التي نأكلها المذكورة ودخل في القطن الذي نلبسه . كل ذلك فيه بوتاسيوم وفيه صوديوم . أما الصوديوم فهو من الأجزاء المركبة للصودا المذكورة . وأما البوتاسيوم فهو من الأجزاء التي تركبت منها البوتاسا المذكورة سابقا فإن البوتاسا المذكورة أي الداخلة في الحب والشعروغيرها عبارة عن بوتاسيوم قد أخذ مع أكسوجين وأيدروجين وتسمى (البوتاسا السكاوية) والبوتاسا جسم كاو شديد إذا لامس الأنسجة أحدث فيها استرخاء وأتلفها . ومن مركبات البوتاسا ملح البارود . إنك مهما قلبت نظرك في المواضع الرطبة والحيطان الرطبة في أراضي القطر المصري والمهند والعجم واسبانيا فإنك تجد ملح البارود ظاهرا لاسيا في المحال الخربة فهذا الملح الذي في تلك الأماكن مركب من الأوزوت والاكسوجين والبوتاسيوم المذكور . فهو إذن من مركباته . فالبوتاسيوم إذن داخل في البارود وفي ملابسنا وفي مآكلنا ، وإذا أردت أن تعرف صفاته قلنا إنه جسم من القنارات لونه أبيض فضي لماع لين كشمع العسل ويصهر على درجة (٦٢ر٥) ويتطاير على درجة دون الاحمرار ولون بخاره أخضر جميل وهو أخف من الماء ويتغير لونه بملاسة الهواء ويحلل الماء على الدرجة المعتادة فيحصل تفاعل بشدة ، فإذا ألقى قطعة من البوتاسيوم في الماء فإن كرات البوتاسيوم تحمر بسبب شدة ارتفاع الحرارة الناتجة عن التفاعل ويحصل التهاب . وترى بينك كرات من البوتاسيوم يدور بعضها على بعض ساخجة جميعها على سطح الماء . وهذه العملية يحصل بها استحالة البوتاسيوم إلى بوتاسا وحينئذ ينقطع التصاعد فتسقط قطعة البوتاسا على الماء فيظهر بخار حقاة بسبب الحرارة وتحصل فرقة .

هذه ملخص أوصاف البوتاسيوم . انظر وتعجب ، لقد عرفت البوتاسيوم الذي هو من أجزاء البوتاسا تلك البوتاسا التي تدخل في تركيب الصابون ويدخل البوتاسيوم أيضا في ملح البارود الذي هو مركب من البوتاسيوم ومن الأكسوجين ومن الأوزوت .

انظر إلى الصابون الطرى وإلى ملح البارود الذي تراه على الحيطان الرطبة والأماكن الخربة ، وانظر إلى ثوبك الذي تلبسه من القطن وإلى حب القمح وحب الفول والشعير والبرسيم ، انظر هل يدور بخلك أنها قد دخل فيها عنصر لو وضعناه على الماء اتقد نارا ، هل كان يدور بخلك أحد أننا نلبس ثيابا محتوية على مادتين لو وضعنا على الماء اتقد نارا ؟ الله أكبر . جل العلم وجلت الحكمة . نسمع أن البارود يهلك البلاد والعباد والبارود مركب من ملح البارود الذي فيه البوتاسيوم ومن الكبريت والقمح ، البارود مركب من الفحم الذي نوقده في بيوتنا ومن الكبريت ومن ملح البارود . وقد اختلفت الدول في المقادير كما تقدم ، ففرنسا تدخل من ملح البارود (٧٥) في المائة وألمانيا (٧٤) في المائة وإنجلترا (٧٦) في المائة في تركيب البارود . البارود الذي فازت به أوروبا علينا وأنت وحاربنا به ودخل في تركيبه البوتاسيوم ، ذلك البوتاسيوم الذي إذا ألقى على الماء التهب الماء ، ذلك البوتاسيوم الذي هو من جملة الأجزاء المكونة لملابسنا القطنية والقمح والشعير والفول والبرسيم . جل الله ، ما أجل العلم ! انظر إلى علم الكيمياء . لا لا . بل انظر إلى سورة يس كيف ظهر من سرها هذا الجمال وهو التحليل تحليل الحروف في أولها وتحليل الكيمياء في آخرها .

انظر كيف دخل البوتاسيوم ودخل الصوديوم هذان الجسمان اللذان يلتهبان في الماء ، يلتهبان أشد من التهاب الشجر الأخضر ، أكثر من التهاب للرخ إذا حك بالعقار ، جل الله وجل العلم . ما أبهج نور العلم وما أجمل الحكمة ، إن العلم ملاً السهل والجبل وعرفه الغريون أما المسلمون فهم نائمون .

أيها المسلمون : يقول الله سبحانه «الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أتم منه توقدون» ولعلكم سمعتم أن الله خلق ملكا نصفه ثلج ونصفه نار ، فلا الثلج يطفى النار ولا النار تذيب الثلج ، ذلك إشارة إلى آثار صنعة الملائكة بأمر الله ، ألم تروا كيف اجتمع في ملابسنا جسمان ناريان مصحوبان بالماء .

العجب في هذين الأمرين الأول أن البوتاسيوم والصوديوم يلتهبان في الماء على الدرجة المعتادة وهذا عجب عجاب ، هذا أعجب من اتقاد النار في شجر أخضر ، فهذا اتقاد في ماء واتقاد الماء نار أغرب فإذا ذكر الله سبحانه الشجر والنار المتقدة فيه فهنا اتقاد في الماء وهو أبداع وأعجب في الحكمة الإلهية كما قال «ويخلق ما لا تعلمون» وكما قال في هذه السورة «سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم وما لا يعلمون» .

أما الأمر الثاني فهذان الجسمان المحرقان ، نحن الآن نلبسهما ونأكلهما لأنهما دخلا في تركيب القطن والحب ونحن نقسل ثيابنا بأحدهما لأن البوتاسيوم الذي هو من أجزاء البوتاسا داخل في الصابون الذي تنسل به أجسامنا وثيابنا وإنما أكلناها ولبسناها لأنهما دخلا بمقادير قليلة في الحب والقطن ، دخلا بحساب بديع ونظام متقن في أرزاقنا ، أدخلهما الله بحسابه وترك لنا الحرية في إدخال البوتاسيوم والمركب منه وهو ملح البارود فأدخلته الأمم مع الكبريت والفحم . ولكن إدخال الأمم له ليس كادخال الله له في النبات . إن الناس أدخلوه بكثرة بحيث صار ثلاثة أرباع البارود . أما الله فإنه أدخله بقلة . فاذن البوتاسيوم حياة لنا إذا قل وموت لنا إذا أكثر والله جعله لنا حياة والناس تصرفوا فيه بمعلومه آلة للموت . وهذا هو السر في هذه السورة .

جعل الله الحروف مجزأة في أولها وفي أول غيرها من السور لتعليمنا علم التحليل ، فلم يبق للمسلمين عذر بعد هذا البيان . استدلل الله بالنار في الشجر على بديع حكمته وإتقان صنعته مشيرا إلى التحليل الكيماوي في العالم . ثم رأينا المواد المحرقة من البوتاسيوم ومن الصوديوم منتشرة في أكثر النبات ورأيناها مستعملة عند الأمم في البارود . فهي مهلكة تارة ومحياة أخرى ووجدنا هذا كله لا يكون إلا بمعرفة العناصر الكيماوية وسرها وهذا هو سر (سورة يس) وقد ورد «قلب القرآن يس» .

لقد ظهر أن فيها قلب العلوم وأسها وهو التحليل بالحروف في أولها وبالعلوم الطبيعية والرياضية في وسطها وآخرها . وإياك أن تظن أنها قلب القرآن بسبب هذا وحده بل هذا من جملة علومها فثبت بما تقدم ما يأتي :

- (١) الصوديوم والبوتاسيوم باتصالهما بالماء تنقد نار كما اتقدت من احتكاك الرخ مع العقار .
- (٢) هما عنصران داخلان في أغذيتنا وملابسنا بمقادير قليلة فكانت من أسباب حياتنا ومنفعتنا
- (٣) هما داخلان في البارود بمقادير كثيرة يستعملان لإزالة الحياة .
- (٤) سورة يس أشار الله فيها إلى ذلك التحليل بالحرفين الهجائيين في أولها وبذكر اتقاد النار في الرخ والعقار اتقادا كيماويا في آخرها أي أن العلوم كلها ترجع إما إلى عناصر إن كانت طبيعية وإما إلى حروف إن كانت لغوية وكلاهما لا يعرف إلا بالتحليل واللغة مقدمة وتليها العلوم .

(٥) إذا زادت الكلمة حرفا أو نقصت حرفا تغير المعنى وتغير الأثر في العقول ، هكذا إذا زاد المركب عنصرا أو ذرة من عنصر أو نقص عنصرا أو ذرة من عنصر تغيرت خواص المركبات ، وهذا مقصود لفظة (يس).

﴿ فائدة ﴾

- (١) من مركبات البوتاسيوم السواربيخ التي تظهر على هيئة مطر وتسمى سواربيخ المطر فهي مكونة من البارود الناعم ومن الفحم الخفيف ومن عنصرين آخرين : وهما الحارصين والأنثيمون .
- (٢) ومن مركباته أيضا النيران .
- (٣) والنيران الخضراء .
- (٤) والنيران البنفسجية .
- (٥) والنيران الحمراء .

ومن البوتاسيوم حياتنا بالأغذية . حفظ أجسامنا بالملابس ، وهلاك الأعداء بالمدافع والبارود وانشرح الصدور في المواسم والأعياد بالألوان المختلفة للأمة . جل الله الذي جعل ذلك كله في معنى لفظ يس . بهذا يعرف المسلمون بعض سر هذين الحرفين ياء وسين .

﴿ فائدة ثانية : ملح الطعام ﴾

الناس يأكلون ملح الطعام ويعيشون ويموتون وهم لا يعلمون من أى شيء ركب . يعيش الإنسان وهو يأكل للملح في طعامه ولا يدري أنه يأكل في الملح جسمين متحدين : أحدهما نارى إذا ألقى في الماء اصطهر وتحرك بعضه على بعض فوق سطح الماء كما يحصل في البوتاسيوم . وذلك الجسم هو الصوديوم . فالصوديوم يلتهب في الماء وينتهي بفرقة .

هذا أحد الجسمين . أما الجسم الآخر فهو الكلور وهو غاز لونه الصفرة مخضر يؤثر بقوة في أعضاء التنفس فيحدث سعالا وتجيحا في الأغشية المخاطية ، وإذا استمر تأثيره أحدث ، الموت والكلوريزيل للواد الملونة ويتلف الجراثيم للعديد والروائح العفنة التي تتكون في التخمر العفن ويستعمل في تبيض الأنسجة التي من القطن والكتان والتيل لإتلاف للواد الملونة ، ويستعمل في تبخير السجون والمستشفيات والمحال العفنة لإتلاف الجراثيم فيها والواد المسببة للعفونة . ولا يستعمل الكلور لتبيض الصوف أو الحرير لأنه يتلفهما وهو يبيض عجينة الورق لأنه يزيل لون الحرق المستعملة في العجينة ؟ إن الذهب والبلاطين لا تؤثر فيهما الحوامض ولكن يؤثر فيهما الكلور فيتحد معهما ويسميان كلورور الذهب وكلورور البلاطين .

(الماء الملقى)

الكلور يدخل في التركيب الذي يسمى الماء الملقى ، وهو سائل أصفر يذيب البلاطين والذهب فيتكون كلورور البلاطين وكلورور الذهب ، وإنما سمي ماء ملكيا لأنه يذيب الذهب الذي هو ملك المعادن ، جل الله وجلت الحكمة وجل العلم ، ملح نأكله في هذه الحياة ولاندرى أننا نأكل جسمين : أحدهما نارى يتقد ناراً مع الماء وهو الصوديوم ، وثانيهما جسم غازي مخضر اللون يحدث للسعال يميت يميت الإنسان إذا طال استعماله ويميت الجراثيم حالا ويؤثر في الذهب ملك المعادن ويضر الصوف وينظف القطن . إن الملح نافع لنا والجسمان اللذان تركب منهما أحدهما مهلك تارة ونافع أخرى . كل ذلك لا يعرف إلا بصناعة التحليل في علم الكيمياء وذلك كله في معنى (يس) .

بأيت شعري هل يدرى المسلم وهوياً كل الملح أن هذا الملح سر (سورة يس) وعلومها محتوى على بساطت
ضارة ونافعة وقاتلة . عرفت أوروبا ذلك . عرفت سر التحليل فعلتنا كيف نزيل العفونات ، وكيف تقتل
الجراثيم ، ولم ندر نحن أن القرآن يطالبنا بذلك في لفظة يس . جاءت أوروبا بالعازات الحاققة والمحدثنة للسعال
ونحن نتعجب ونقول عجباً عجباً ! ما أعلمهم ونحن في الوقت نفسه نأكل الملح المحتوى على الكالسيوم والكالور
يحدث السعال ويحدث الموت ، ونقرأ يس صباحاً ومساءً لقضاء الحاجات من رب الكائنات ولا نعلم أن في
لفظة (يس) هذا السر للصون وهو سر التحليل وبه نعرف المواد للهلاكه والمواد النافعة وبه نحارب من يحاربنا .
لما جهلنا ذلك أرسل الله أوروبا غاربتنا وغلبتنا فاتبعتها فلذلك ظهر بعض سر (يس) في هذا التفسير . لولا
فضل أوروبا علينا وحربها لنا لم يظهر بعض سر (يس) الذى اطلمت عليه الآن .

نأكل الملح ولا ندرى أن أحد جسميه وهو الكالور هو الذى ينظف الحرق المستعملة لعجينة الورق . أنا
أكتب الآن على هذا الورق الذى لولا الكالور لم يكن ورقاً أى لولا أحد جسمى ملح الطعام لم يكن ورقاً .
لم يكن ورقاً إلا بازالة الكالور الذى هو أصفر اللون مع اخضرار لألوان الحرق . لولا لم يكن الورق أبيض بل
كان كثير الألوان فلا ينفع فيه كتابة . إن ملح الطعام منتشر في الدنيا فهو في الجبال وفي أغوار الأرض وفي
مياه البحار بنسبة (٣١) جراماً في اللتر في المحيط الاطلانطيقى والهادى الباسفيكى و١٨ جراماً في البحر الاسود
وفي بحر الخزر (٦) جرامات في اللتر وفي البحر الأبيض (٣١) جراماً في اللتر ويحضر في ملاحات الاسكندرية
ورشيد ودمياط ، وقد تقدم ذلك في هذا التفسير في آخر (آل عمران) .

هذا هو الملح الذى نأكله . هذا هو الملح الذى ملأ البحر وهو في الجبل حلل إلى جسمين نارى وقاتل
أوممرض ونافع ، وسر (يس) لاستخراج منافعه . قالناس يقرءون (يس) ويتعاطون الملح وهم لا يعلمون . ذلك من
سر قوله تعالى « الذى جعل لسك من الشجر الأخضر نارا » وأكثر الشجر فيه الصوديوم والبوتاسيوم
والصوديوم في الملح . فهذا كله من سر سورة (يس) فلا كنت بهذا القدر « والله يهدى من يشاء إلى صراط
مستقيم » . انتهى الكلام على علم الكيمياء

﴿ الكلام على بعض العلوم ﴾

لقد علمت بعض ما ترمز إليه الحروف التى في أوائل السور ومنها سورة (يس) . ولعلك تقول: أترى أن
ياء وسين تفيد هذه المعانى كلها ؟ أقول نعم إن الله لما أنزل القرآن أراد هذه المعانى التى كتبها والتى سبقوها
من بعدنا . فالعقول الإنسانية اليوم وبعد اليوم مستمدة من الله وهى تفهم من الوحي فهما يؤدي الى الثمرات
المطلوبة في زمانها ، فما كان حقا بقى وما كان باطلا اضمحل . وإذا كان القرآن نفسه محفوظا بالنسب فهكذا
ما كان حقا من تفسيره أو تأويله أو رمزه .

ولعلك تقول أوضح فأقول : إن الحروف التى في أوائل السور لم تعرفها العرب . لم تقرأ في المعلقات التى
هى أشرف ما قيل في زمن الجاهلية ولا في غير المعلقات أن الشاعر قال طسّ ولاحمّ ولا الرّ ولا الرّ ولا المّ وإنما

ينطق بقوله :	قفانك من ذكرى حبيب ومنزل
أو بقوله :	لمية أطلال بريقة ثمهد
أو بقوله :	آذنتنا بينها أسماء
أو بقوله :	ألا هي بصحنك فاصبحينا

ولم نسمع شاعرا يوماً ولا خطيباً يقول: ألم قفانك من ذكرى حبيب ومنزل الخ وإنما هذه الجروف اختص بها
القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم قرأها ولم يفسرها ولو فسرنا لوقفنا العقول عند تفسيره . فعنى هذا أنه تعالى يقول

لنا ففكروا في هذا . لم أنزل . ولم أختص القرآن به مع أن القرآن ليس مدرسة لتعليم المهجاء وإنما هو ذكر
وقرآن مبين فأين التكر هنا ؟ ولقد فكركم من قبلنا كل بحسب ما وصل إليه فهمه وقد تقدم في أوائل سورة
آل عمران . أما نحن فنقول إن هذه أشبه بجزائن علم أبقيت ليتدبر الناس فيها والخزائن لا تبرز إلا عند
الافتضاء ووجدنا المسلمين مقصرين في جميع العلوم التي فيها التحليل فقلنا إذن الله يريد أن يذكرنا بما نسيناه
وهو إرجاع الأمور إلى أصولها ويقول لنا أمرا سهلا (الم . م . س) وهكذا يقول ادرسوا أصول الأشياء
فما سمعناه يقول ذلك فكركنا فوجدنا أن أوروبا نبغت في علم الكيمياء وغيرها وعرفت العناصر واستخدمتها
في الحرب والتجارة وجميع فروع الحياة فقلنا: أيها المسلمون ادرسوا هذا العلم ، انظروا النبات وحلوه كاحل
الشجر واحترق نارا .

هذا ما قرأته أنت في القول السابق ونقول الآن إن ذلك سار في أكثر العلوم ، ألا ترى إلى علم الحساب
أليس هو راجعا إلى تحليل وتركيب . أليس الجمع والضرب يرجعان إلى التركيب والطرح والقسمة يرجعان إلى
التحليل ، كذلك الهندسة وفروعها ترجع جميع نظرياتها إلى الأصول التي قبلها وكل نظرية ترجع إلى ما قبلها
حق تصل إلى الأوائل العقلية مثل الكل أعظم من الجزء والشيطان المساويان لشيء واحد متساويان ، كذلك
علم المنطق ، إن علم المنطق يرجع إلى أربعة أصول وهي التحليل والتقسيم والحد والبرهان ، وأنت ترى أن
المنطق اليوم في بلاد الإسلام قد خلا من التحليل فأصبح علما ناقصا لا ينفع ، وكيف ينفع الناس بعلم ينقصه
أهم أصوله ، فالتحليل للأشخاص كقولك هذا الإنسان وهذه الشجرة وهذا البناء وهذه المدينة وهذه الأمة .
فكل هذه من حيث إنها أشخاص لا تعرف إلا بالتحليل وعلم الكيمياء للتقدم كله تحليل . فكل مركب في
المنطق لا يعرف إلا بمعرفة أجزائه أعنى تحليلها وهذا مفقود في المنطق اليوم وقد ذكرته في كتاب الفلسفة
الذي ألفته حديثا .

فأما التقسيم فيكون لمعرفة الكلليات وتمييز بعضها من بعض . وأما الحدود فلهذا أنواع وأما البراهين فإنها
تكون للأجناس . فإذا رأينا المسلمين على هذا النحو من النوم العميق . ورأينا هذه الحروف فإنا نقول إن
الله أراد إيقاف الأمة لهذا النوع من العلوم ، وحقا هو أراد حين أنزله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأنا
أقول الآن أيها المسلمون جهلتم أهم ما في المنطق وجهلتم علم الكيمياء والله يناديكم أن هلموا وإلا فأنتم هالكون
(لطيفة)

حضر صديقي العالم واطلع على ما تقدم فقال : إن هذا منك هجوم على القرآن ، كيف تدعى أن هذه المعاني
قصدها الله ، وهل أنت اطلمت على علم الله إن هذا غلو في الدين ؟ قلت : لقد جاء في سورة البقرة (الم)
للاشارة إلى قوله « ألم تر إلى الذين خرجوا » الخ وفي (آل عمران) لمسألة اليهود الخ وهنا لم تجي (الم)
بل جاء ياء وسين المذكوران في أهم أدلة السورة من نار الشجر المشير للكيمياء ومن خلق ما هو أكبر من
الإنسان ومن خلق ما ابتدأه أولا . فقال : أين ذلك ! قلت في قوله « ونسى » وفي قوله « أوليس » فتأمل
إن الله أراد حقا . ألم تر أن علم الكيمياء من الواجبات والفروض الكفائية . قال بلى . قلت : إذن هذا
محرم تركه هكذا التحليل في المنطق ، أليس جزءا من علم وهو فرض كفاية . قال بلى . قلت إذن هو من الدين
ومحرم تركه . قال : ولكن كيف تقول أراد من هذه الحروف . قلت : إذا وجدنا أن هذه الحروف قد
انطبقت على ما نحن في حاجة إليه وفهمناها بطريق الرمز . وفوق ذلك جاءت ياء وسين فيما ذكرته لك فنقول
إن الله أراد هذا المعنى لأن الله لا يستحي من الحق وهذا حق . ولقد قال علماء التفسير إن المعاني الرمزية
المعقولة النافعة أرادها الله من القرآن مهما كثرت . إن القرآن أنزل لأجلنا . فإذا وقف قوم بسبب فهمهم
فهما أدى إلى الانحطاط فليكن اليوم هو الذي تفهم فيه ما يؤدي إلى السداد والنجاح .

على أنى لا أكتمك أيها الذكى الحديث أن وجدانى يملئ على ذلك وأجده فى النفس بدافع قوى شديد بحيث لا أقدر على مدافعتة والله عليم بذات الصدور .
وقد قال علماؤنا رحمهم الله : [إن الخاطر إذا كان موافقا للشرع فهو إما من الله أو من الملك] وأقرب شاهد لذلك أنى منذ ليلتين حين ابتدأت فى تفسير هذه السورة كنت أتعاطى طعام السحور قمام فى نفسى بدافع شديد قوى أن الدورة الغذائية فى الأجسام الإنسانية تدخل فى سر لفظ (س) فأردت أن أدافع هذا الخاطر فلم أقو على دفعه .

﴿ الدورة الغذائية فى الأجسام الإنسانية والحيوانية ﴾

لما خطر هذا الخاطر وجدت أمرا عجيبا ، وجدت أن الغذاء تقطعه القواطع وتمزقه الأنياب وتطحنه الأضراس . فقلت : يا عجبا . هذا كالتحليل ، هذا خبز وخضر ولحم وفاكهة للإنسان وأب وورق ولحم وحب للحيوان تقطع وتمزق وتطحن . إن ذلك تحليل الجسم الى دقائقه ، ثم ينبع (٦) أنهر من تحت اللسان لتعين الأكل على عجن اللقمة فيمكن بلعها وهذا الريق لتحويل ذلك الطعام حتى ينضم ويقابله البنكرياس فيزيده هضما ، كل ذلك تحويل للطعام ليصير كقوام اللبن وهو الكيموس ويدخل إلى الأمعاء فيصير كيلوسا ويتجه فى الشرايين فتتمتصه ثم يطبخ فيصير دما وهناك تفرز منه المواد اللطيفة فتذهب إلى الصفراء والمواد الغليظة فتذهب إلى الطحال والمواد المائية فتذهب إلى الكليتين ، وتبقى المواد الدموية الخالصة فتذهب الى الشرايين وهذه تمر على سائر الأعضاء البدنية ظاهرها وباطنها فتعطى كلانها مايناسبه، والصفراء لانذهب سدى بل هى تنبه الشهوة من جهة ومن جهة أخرى تسهل ازلاق الطعام فى الأمعاء حتى يبرز الى الخارج ، وأما الماء فإنه يذهب إلى الحالبين فالمثانة فيكون البول ، وأما الفضلة الغليظة فتذهب فى المستقيم ، وأما السوداء فانها تساعد كما تساعد الصفراء فى أعمال الغذاء ونظامه .

﴿ الدورة التنفسية ﴾

وهكذا الدورة التنفسية ، إن الهواء فى دخوله إلى الرئتين يحلل فيكون الأكسوجين ذاهبا مع الدم إلى داخل الجسم ويرجع مابقى من عناصره متحملا بالمادة الكربونية الراجعة مع الزفير إلى الهواء الجوى ، هكذا الدائرة العقلية قد قسمت أعمالها على الحواس الخمس الظاهرة فكل حاسة لها عمل لاتعداد ، هكذا الحواس الخمس الباطنة مثل الحس المشترك والخيال والقوة المفكرة والحافظة والواهمة فكل واحدة منها لها عمل . إن الله عز وجل يوقظ المسلمين إلى التحليل الذى أغفلوه وأظهره الله فى الحواس وفى أعمال الهضم فى حروف أوائل السور لاسيما (س) وقوله تعالى « الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أتم منه توقدون » والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

لطائف هذه السورة

- (اللطيفة الأولى) فى قوله تعالى « قال ياليت قومي يعلمون » وفى قوله تعالى « يا حسرة على العباد »
- (اللطيفة الثانية) فى قوله تعالى « وآية لهم الأرض الميتة أحييناها » وذلك فى (أمرين . الأول) كم عمر الأرض فى رأى بعض العلماء (الثانى) فى نقصها المستمر .
- (اللطيفة الثالثة) فى قوله تعالى « والشمس تجري » الخ .
- (اللطيفة الرابعة) فى ضوء الشمس وحرارتها .

- (اللطيفة الخامسة) في قوله تعالى « سبحان الذى خلق الأزواج كلها » الخ .
 (اللطيفة السادسة) في قوله تعالى « وتكلمنا أيديهم » .
 (اللطيفة السابعة) في قوله تعالى « الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا » .
 (اللطيفة الثامنة) في قوله تعالى « فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ » .

اللطيفة الأولى فيها فصلان

﴿ الفصل الأول في قوله تعالى « قال ياليت قومي يعلمون » ﴾

نذكر في هذا الفصل ماجاء في كتاب [إخوان الصفاء] تحت العنوان التالى وهذا نصه :
 (فصل ينبئ أن نبين كيف يكون تواصل إخوان الصفاء وكيف يكون معاونة بعضهم بعضا في طلب معيشة الدنيا وماذا كيف يكون حال من سبقته النية قبل صاحبه وكيف يكون عيش الباقي منهم بعد صاحبه؟)

ذكر أن مدينة كانت على رأس جبل في جزيرة من جزائر البحر مخصبة كثيرة النعم رحية البال طيبة الهواء عذبة المياه حسنة التربة كثيرة الأشجار لذيدة الثمار كثيرة أجناس الحيوانات على حسب ما تقتضيه تربة تلك الجزيرة وأهويتها ومياهاها، وكان أهلها إخوة وبنوع بعضهم لبعض من نسل رجل واحد، وكان عيشتهم أهنى عيش يكون بتودد ما كان بينهم من المحبة والرحمة والشفقة والرفق بلا تنغيص من الحسد والبغى والعداوة وأنواع الشر كما يكون بين أهل المدن الجائرة المتضادة الطباع المتنافرة القوى المتشنة الآراء القبيحة الأعمال السيئة الأخلاق، ثم إن طائفة من أهل تلك المدينة الفاضلة ركبوا البحر فكسروا بهم للركب ورمى بهم الموج الى جزيرة أخرى فيها جبل وعرة، فيه أشجار عالية وعليها ثمار قذرة، فيها عيون غائرة ومياهاها كدرة وفيها مغارات مظلمة وفيها سباع ضارية وإذا عاملة أهل تلك الجزيرة قردة وكان في بعض جزائر البحر طير عظيم الخلق شديد القوة قد سلط عليها في كل يوم ليلة يكر عليهم ويختطف من تلك القردة عدة، ثم إن هؤلاء النفر الذين نجوا من العرق تفرقوا في الجزيرة وفي أودية ذلك الجبل يطلبون ما يتقوتون من ثمارها لما لحقهم من الجوع ويشربون من تلك العيون ويستترون بأوراق تلك الأشجار ويأوون بالليل إلى تلك المغارات ويعتصمون بها من الحر والبرد فأنت بهم تلك القردة وأنسوا بها إذ كانت أقرب أجناس السباع شها لصورة الناس فولعت بهم أناث القردة وولع بها من كان به شبق فخلت منهم وتوالدت وتناسلوا وكثروا وعمادى بهم الزمان فاستوطنوا تلك الجزيرة واعتصموا بذلك الجبل وألقوا تلك الحال ونسوا بلدهم ونعيمهم وأهاليهم الذين كانوا معهم بديا ثم جعلوا يبنون من حجارة ذلك الجبل بيانا ويتخذون منها منازل ومحارصون في جمع تلك الثمار ويدخرونها من كان منهم شرها وصاروا يتنافسون على إناث تلك القردة ويفطون من كان منهم أكثر حظا من تلك الحالات وتمنوا الخلود هناك وانتشبت بينهم العداوة والبغضاء وتوقدت نيران الحرب، ثم إن رجلا منهم رأى فيما يرى النائم كأنه قد رجع إلى بلده الذى خرج منه وأن أهل تلك المدينة لما سمعوا بمجيئه استبشروا واستقبله خارج تلك المدينة أقرباؤه فأروه قدغيره السفر والغربة فسكرهوا أن يدخل المدينة على تلك الحال وكان على باب المدينة عين من الماء فسلوه وحلقوا شعره وقصوا أظفيره وألبسوه الجدد وبخروه وزينوه وحملوه على دابة وأدخلوه المدينة فلما رآه أهل تلك المدينة استبشروا به وجعلوا يسألونه عن أصحابه وسفرهم وما فعل الدهر بهم؟ وأجلسوه في صدر المجلس في المدينة واجتمعوا حوالبه يتعجبون منه ومن رجوعه بعد اليأس منه وهو فرحان بهم وبما نجاه الله عز وجل من تلك الغربة وذلك العرق ومن صحبتته تلك القردة وتلك العيشة النكدية وهو يظن أن ذلك كله

براه في اليقظة فلما انتبه إذا هو في ذلك المكان بين أولئك القروء فأصبح حزينا منكسرا بال زاهدا في ذلك المكان مغنا متفكرا راعيا في الرجوع إلى بلده فقص رؤياه على أخ له فتذكر ذلك الأخ ما أنساه الدهر من حال بلدهما وأقاربهما وأهاليهما والنعيم الذي كانوا فيه فتشاورا فيما بينهما وأجالا الرأي وقال كيف السبيل إلى الرجوع وكيف النجاة من هنا فوقع في فكرهما وجه الحيلة بأنهما يتعاونان وبجمعان من خشب تلك الجزيرة وبينان مركبا في البحر ويرجعان إلى بلدهما فتعاقدتا على ذلك بينهما عهدا وميثاقا أن لا يتخاذلا ولا يتكاسلا بل يجتهدا اجتهدا رجل واحد فيما عزموا عليه ثم فكرا أنه لو كان رجل آخر معهما لكان أعون لها على ذلك وكلا زاد في عددهما يكون أبلغ في الوصول إلى مطلبهم ومقصدهم فجعلوا يذكرون إخوانهم أمر بلدهم ويرغبونهم في الرجوع ويهدونهم في السكون هناك حتى التأموا جماعة من أولئك القوم على أن يبنوا سفينة ويركبوا فيها ويرجعوا إلى بلدهم فيبنام في ذلك دائبون في قطع الأشجار ونشر الخشب لبناء تلك السفينة إذ جاء ذلك الطير الذي كان يختطف القروء فاختطف منهم رجلا وطار به في الهواء ليأكله فلما أمعن في طيرانه تأمله فإذا هو ليس من القروء التي اعتاد أكلها ثم ربه طائرا حتى مر به على رأس مدينته التي خرج منها فألقاه على سطح بيته وخلاه، فلما تأمل ذلك الرجل إذا هو في بلده ومنزله وأهله وأقربائه فجعل يتعنى لو أن ذلك الطير يمر في كل يوم ويختطف منهم واحدا ويلقيه إلى بلده كما فعل به، وأما أولئك القوم بعد ما اختطفه الطير من بينهم فانهم جعلوا سيكون عليه محزونين على فراقه لأنهم لا يدرون ما فعل به الطير ولو أنهم علموا بحاله وما صار إليه لتمنوا ما تمنى لهم أخوهم فهكذا ينبغي أن يكون اعتقاد إخوان الصفاء فيمن قد سبقته النية قبل صاحبه لأن الدنيا تشبه تلك الجزيرة وأهلها يشبهون تلك القردة ومثل الموت كمثل ذلك الطير ومثل أولياء الله كمثل القوم الذين كسر بهم المركب ومثل دار الآخرة كمثل تلك المدينة التي خرجوا منها فهذا اعتقاد إخواننا الصغار في معاوتهم في الدنيا وما يعتقدون فيمن سبقته النية قبل إخوانه. فانتهى أيها الأخ من نوم الغفلة ورقدة الجهالة فإن الدنيا دار غرور وعن لا يرغب العاقل الخلود في دار الحزن والبلاء، وفقك الله وإيانا وجميع إخواننا للسداد وهداك وإيانا وجميع إخواننا سبيل الرشاد. انتهى الفصل الأول.

﴿ الفصل الثاني من اللطيفة الأولى: في قوله تعالى « يا حسرة على العباد » ﴾

اعلم أن هذه الجملة سجلت على النوع الإنساني التعمق في الجهالة ، وإذا أردت شرح هذا المقام فارجع إليه في (سورة التوبة) فانك تجد هناك كيف كان تقصير المسلمين اليوم في علومهم وأعمالهم منطبقا على الاستهزاء من حيث العمل لا الاعتقاد ، وستطلع هناك على عجائب العلم وأن المسلمين قد أبرز الله لهم ولغيرهم الكواكب والجبال وغيرها فأعرضوا فأبرز لهم أمرا آخر وهي الطائرات القاذفات المهلكات كأنه يقول لهم : « أتم أعرضتم عن جمال العوالم . فما أنذا أرسل عليكم شواظا من نار حامية تقذف من المدافع والطائرات » وتجد الموازنة هناك بين استهزاء الأمم المحكومة بجنود الأمم الحاكمة ومقاطعة حكاهم أو الخضوع وبين آيات الله التي قصها للناس ، فلما أعرضوا فعل معهم ما تفعله الأمم القوية مع الضعيفة « وثقه اللؤلؤ الأعلى وهو العزير الحكيم » . انتهى الفصل الثاني .

اللطفية الثانية: في عمر الأرض ونقصها المستمر

(كم عمر الأرض؟)

بعد اكتشاف الراديوم أصبح تقدير علماء طبقات الأرض وهو مائتا مليون سنة أول تقدير حديث مع أنه كان يظن أنه مبالغ فيه ، والبحث الآن ليس في حسم النزاع بين علماء طبقات الأرض والفلك بل بين علماء طبقات الأرض وأنصار نظرية إشعاع الراديوم ، ثم لو حسم هذا النزاع الجديد وقر الرأي على عدد معين من ملايين السنين . فهل يعتبر هذا العدد مبدأ لحق الأرض أو مبدأ الحياة فيها أي هل للأرض أول ولها آخر ؟

يقول اللورد كلفن : [لا يمكن غير ذلك أي لا بد أن يكون لأرضنا مبدأ وسوف تكون لها نهاية وأن هناك فكرة أو تديرا يعمل في السكون وهو الخالق الأحد] هذا هو رأي اللورد الطبيعي وهو رأي يتفق وتعاليم الأدبان ، وفي النهاية فإن أقل تقدير لعمر الأرض الآن هو مائتا مليون سنة ، وقد يظهر غدا أنه أكثر من ذلك بكثير ، إذ أن أدنجون يعطى حدا أقصى لعمر الأرض بعشرة آلاف مليون سنة . انتهى من مجلة [كل شيء]

واعلم أن مسألة [حزام الأرض] هي مقتضى قوله تعالى « نقصها من أطرافها » فقد جاء في بعض المجالات العلمية تحت العنوايف التالي مانصه :

الأرض تشد حزامها

يقرر الدكتور (ميرمان الألماني) أن طول خط الاستواء قد نقص ميلا عن طوله منذ ١٠٠ سنة نظرا لانكماش الأرض هـ .

اللطفية الثالثة: في قوله تعالى « والشمس تجري لمستقر لها » الخ

الله قدر سرعة الشمس وكل سرعة في العالم ، فهو عزيز أي غالب عليهم بما يقدره . وهنا فتح لنا باب السرعة في العالم الذي نعيش فيه . إن أسرع حركة في عالمنا هذا سرعة الحاطر . إن خواطرا نتقل من الشرق إلى الغرب ، ومن الشمال إلى الجنوب . ومن العرش إلى الفرش في جزء من آلاف من الثانية . إن الجاهل لا يعبأ بهذه السرعة ولا بهذا التقلب ويقول هذا وهم ونحن نقول : أليس هذا التقلب أمرا موجودا بدليل أن هذه الحركات في النفس لها آثار في شعورنا وكل ماله أثر فهو موجود . فهذه السرعة موجودة وهي أعجب ما في هذا الوجود ، وبلى هذه السرعة سرعة النور فانه في الثانية الواحدة يمكنه أن يجرى حول الأرض فوق (٧) مرات ، ومعلوم أن محيط الأرض (٤٠) ألف كيلو والضوء يجرى بسرعة (١٨٦٠٠٠) ميل في الثانية أو نحو (٣٠٠٠٠٠) ثلثمائة ألف كيلو . ثم سرعة القنبلة في الثانية (٢٠٠٠) ميل . وسرعة الأرض حول الشمس (٦٥٥٣٣) ميلا في الساعة . وسرعة الطائرة الفرنسية (٣٠٢٣) ميل في الساعة ثم الطائرة الأمريكية (٣٠٠) ميل في الساعة . ثم الطائرة المائتة (٢٤٥٧١) ، ثم الاتوموبيل (١٥٦) ميلا (انظر شكل ٣٥) و (شكل ٣٦) الآتيان قريبا .

وهكذا حتى تصل قوة الإسراع في الأنحطاط إلى سرعة الرجل إذ يسير بسرعة (٩) أميال في الساعة ، ثم تهبط السرعة شيئا فشيئا حتى تصل إلى سرعة الخيل (١٥) من (١٠٠٠) من الياردة في الثانية ثم تهبط إلى درجة نحو شجر الغاب إذ يصل إلى (٢٧) جزءا من عشرة آلاف مليون جزء من الياردة في الثانية الواحدة . فيا سبحان الله . يقول الله « والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » هذه الحركة الشمسية التي ذكرناها هنا هي الحركة الأرضية ولكنها منسوبة للشمس باعتبار ما يظهر للرأى وهناك حركة أخرى للشمس هي مجموعتها حول كوكب آخر . فالشمس تجرى والأرض تجرى وجري الأرض حول الشمس بحسب الظاهر لا يختلف عن جري الأرض حول الشمس كما هو مبرهن عليه في ذكر الموازنة بين الحركات . الله تعالى قدر الحركات كلها ، فقد حركات الأشجار في نموها حتى بلغت جزءا ضئيلا جدا من الياردة في الثانية ومعلوم أن الياردة أقل من المتر قليلا كما قدر حركة النور الذي يجرى حول الأرض قريبا من ثمان مرات في الثانية وقدر ما بينهما من حركات الإنسان وسياراته وسيارات السموات . فالله قدر هذه الحركات وأعطى كل مخلوق ما يستحقه ، فلوأعطى الغاب في نموه حركات النور أو لو أعطى النور حركات الغاب في نموه أشجاره لاختل نظام العوالم ، فإذا جرى جريا ضعيفا كجري العريبات لم يعش حيوان على الأرض ، ولو أسرع نمو الأشجار إسراع الأضواء في جرياتها لم ينتفع الناس بشيء في الأرض لأن سرعة النمو يتبعها سرعة التبدول فلا يكون هناك ثبات لشيء ولا بقاء ولا انتفاع . فهذا من معنى قوله « ذلك تقدير العزيز العليم » فهو قدر حركات الأجرام السماوية بمقادير تناسبها . ولم يعط القطارات على الأرض ولا الطائرات سرعة النور ولا السكواكب لأنها إذا أسرع هذا الإسراع أهلكت من عليها حالاً بسرعة حركتها . فمن تأمل هذا التقدير والإبداع أدهشه حسن التقدير ونظم السير « إن ربى لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم » .

ركوب الريح أو الطيران خمسة أميال في الدقيقة

جاء في مجلة [كل شيء] مانصه :

كان القدماء لا يعرفون مركوبا أسرع من الجواد والبختي (وهو الجمل ذو السنامين) وكانوا يقولون في وصف أحدهما إنه (ينهب الأرض نهبا) ولكننا نحتاج الآن إلى تعابير أقوى من هذه الجملة لكي نصف طيران الطائرات التي تطوى بساط الريح وتشق الفضاء . ومن يقرن الطائرات إلى الخيول كمن يقرن المصباح الكهربائي الحديث إلى مصباح الزيت القديم الذي كان القدماء يضربون الثلث بجماله وصفاء زيتيه . وقد كان الناس قديما يعجبون لقطار الاكسبريس وسرعته التي تبلغ أحيانا ٦٠ ميلا في الساعة . وكان بعضهم من المتعاقبين بهز رأسه ويقول بضرر هذه السرعة العظيمة على الركاب . ولكن أسرع الاكسبريسات الآن سلحفاة إلى جانب الطائرات فقد ذكرت الصحف من مدة قريبة أن مهندسا فرنسيا استطاع أن يطير ٣٠٢٣ ميل في الساعة في ساعة واحدة وهذا أبعد مدى بلغه طيار للآن ، ولكن الطيارين يؤملون أن يطيروا قريبا نحو ٥٠٠ أو ٦٠٠ ميل في الساعة بحيث يستطيع الإنسان أن يتعدى في لندن أو باريس ويتعشى في القاهرة . وقد كانت هذه الأقوال تعتبر قبل سنوات خيالا سخيفا لا يتحقق ولكنها الآن فقدت غرابتها وباتت المسألة محسوسة في تحسین محركات الطائرة من وجوه الإتيان ومتانة المواد . أما الاختراعات الجديدة فليس الطيارون في حاجة إليها . وأقرب سرعة بلغها طيار بعد هذا الفرنسي هي سرعة طيار أميركي في خدمة حكومة الولايات المتحدة . قطع ٣٠٠ ميل في الساعة ، تلى ذلك سرعة ضابط أميركي بلغت ٢٤٨٧١ في الساعة ثم سرعة طائرة بحرية بلغت ٢٤٥٧١ في الساعة ثم سرعة أتوموبيل بلغت ١٥٦ ميلا في الساعة ثم القطار الكهربائي وسرعته ١٣٠

١٣٠ ميلا في الساعة وأخيرًا زورق يدفعه محرك سرعته ٨٠،٥ ميلا في الساعة (انظر شكل ٣٥ وشكل ٣٦)



(زورق) (قطار كهربائي) (أتوموبيل) (طائرة مائية) (طائرة أميركية) (طائرة فرنسية)
 ٨٠٫٥ ميلا ١٣٠ ميلا ١٥٦ ميلا ٢٤٥٫٧١ ميلا ٣٠٠ ميل ٣٠٢٫٣ ميل في الساعة

(شكل ٣٥ أسرع العجلات في العالم)



(شكل ٣٦ - بيان تصويري لأسرع الأشياء في العالم وأبطئها)

هل بلغ الإنسان أقصى سرعته في البر والبحر والهواء

أسرع قطار في العالم يجري بسرعة نحو ٦٨ ميلا في الساعة . وفي السنة الماضية أجرى المسابق جاروود قاربه بسرعة ٩٣ ميلا وساق سيجرايف سيارته بسرعة نحو ٢٣٢ ميلا في الساعة . وطار أورليار في الصيف الماضي بسرعة ٦٩٣ ميلا في الساعة ، وبلغ متوسط سرعته في سباق ٣ كيلو مترات ٣٥٨ ميلا . ولا يزال الإنسان يطلب المزيد ، والعلماء مختلفون فمنهم من يقول إن سرعة الإنسان قد تجاوز ٥٠٠ ميل إلى ألف

(٢٢ - جواهر - سابع عشر)

في الساعة ومنهم من ينكر ذلك ومسألة السير على مبدأ انطلاق الأسهم النارية تجعل الحبيرين حائرين لا يدرون
أبلغ هذه السرعة أم لا ؟ والسرعة عند الإنسان لا يريد بها مجرد التظاهر وإنما هي خلة كانت لأسلافه واليوم
تظهر فيه على مبدأ الرجعية ، فعلى سرعة عدو الإنسان الأول توقف فراره من أعدائه ومطارديه ، ولم يكن
على جانب عظيم من سرعة الحيلة لينجو منها ، ولا يزال يعتمد على السرعة حتى الآن في بعض مواقفه إما دفاعاً
عن نفسه وإما مماشاة لسائر الأشياء التي حوله ، وهو يعلم بخبرته أن كثيراً من الوقت الثمين يقتصد بهذه السرعة
ففي أميركا مثلاً اقتصد بالطيران ثلاثة أيام في قطع أميركا من الشرق إلى الغرب أو العكس ، اكتشف العلماء
ذباباً اسمها ذبابة الغزال تطير في مسافات قصيرة بسرعة لا تصدق أي بسرعة ٨١٥ ميلاً في الساعة أو نحو ٣٦٠
متراً في الثانية ، وسرعة مثل هذه مستحيلة على اليابسة وقد تكون ممكنة على الماء في طائرة تستخدم الهواء
والماء معاً من نوع الهيدرولابلاين ولكنها ليست مرجحة ، والصعوبة العظمى في بلوغ هذه السرعة فيسيولوجية
أكثر منها ميكانيكية ، وبعبارة أخرى إذا تمكن الإنسان من اختراع سيارة أو طائرة تحتل هذه السرعة
فهل يحتملها هو ؟ والجواب لا ، ثم لا ، وإذا احتملها فالمرجح أنه لا يستطيع أن يدبر مركبة تجرى بهذه
السرعة من غير أن يلقي الخنق الأكيد . وإذا كانت السيارة تسير بسرعة ٢٣٠ ميلاً فقط لا ٨١٥ ولا ١٠٠٠
فإنها لا تستطيع أن تسير في خط دائري منحرف إلا وتعرض لآفات وصدمة هائلة ، بل يشك في هل
يستطيع إنسان أن يقود سيارة تسير بسرعة ٣٠٠ ميل لأن أعصابه لا تحتمل هذه السرعة . فقد قاس همبولتز
الألماني سرعة انتقال الانفعالات على أعصاب الجسم بين الدماغ والأطراف فوجد أنها ١٠٨ أقدام في الثانية
وسيجراف سار في سيارته بسرعة ٢٣٢ ميلاً في الساعة أو ٣٣٩ قدماً في الثانية أي ثلاثة أضعاف سرعة أعصابه
ومعنى هذا أن السيارة ليست في قياده وأن أقل ميل أو تردد يجر أعظم الأخطار . وأن كل خطر يحسب
حسابه يمر قبل ما يشعر السائق به فضلاً عن أن يحول دون وقوعه . وقد وجد للماجور سيجراف أن مصاعب
إدارة السيارة كانت عظيمة فلذلك استخدم في إدارتها وسائل مختلفة ، وقد سئل عن شعوره في أثناء مسيره
هذا فقال : [لا أعلم وليس عندي أقل صورة في ذهني لأن كل شيء يتم بسرعة عظيمة لا مجال فيها للشعور
ولا لتقديره وتسجيله] . ولما لم يرض سائلوه بهذا الجواب ألجأ عليه فقال : [إن كل شيء مضى بسرعة حتى
إن شعوري إن كان جميلاً فقد كان قصيراً . فعلى جانب رأيت سداً أسود هائلاً من المشاهدين وعلى الآخر
الأعلام المنصوبة للسباق متصلة كأنها خط مستقيم مرسوم على ورقة الآلة الكاتبة] . وفي وقت من الأوقات
مرت السيارة فوق شبه قناة احتفرها اللد في الرمل فانكسر شيء فيها . ثم صدمت حفرة ماء كالبركة فظن
أن الدوالب الذي تدار به السيارة اقتلع من يديه . فاختراره يدلنا على أن سرعة السيارة لا يمكن أن تزيد
على هذه السرعة وتكون سرعة نافعة يعمل بها . ومن رأى الحبيرين أن حد احتمال الإنسان هو ٤٠٠ ميل
في الساعة لأنه إذا كانت السرعة ٥٠٠ ميل فما بعد تصبح قوة الدفع عن المركز عظيمة إلى حد أن دورة إلى
هذه الجهة أو حركة إلى فوق أو إلى تحت تفرغ الدم من دماغ الراكب أو تدفقه بقوة إليه ، فيما أن يغشى
عليه أو يقتل في مكانه ، ويقال إجمالاً عن سرعة الطيران إن الإنسان قد يبلغ على التدرج سرعة ألف ميل
في الساعة فيدور حول الأرض فوق خط الاستواء في يوم كامل . ولما كانت هذه السرعة هي سرعة دوران
الأرض على محورها فإذا خرج طيار بطيارته من القاهرة ظهر يوم ما على نية الدوران حول الأرض فإن
الوقت يبقى عنده الظهر على الدوام حتى يعود إلى القاهرة بعد ٢٤ ساعة أي ظهر اليوم التالي فيها وتبقى
الشمس فوق رأسه لا تشرق عليه ولا تغرب عنه . انتهى من مجلة [كل شيء] .

﴿ علم الفلك ودراسة الكواكب فيما وراء البحار ﴾

(مقدمة)

إن من يدرس هذه الدنيا قديمها وحديثها علويها وسفلها يدعشه نظام محكم وتشابه مبین : نظر العلماء أيامنا هذه في أصل العالم فوجدوا عناصر الشمس وعناصر الأرض متحدات . فالشمس الشارقة الباهرة الجلية إذا أرسلت أشعتها فلم تكن هذه الأنوار إلا فيضا من أنوار عناصرها اللوآني تمت عناصر أرضنا إليها بنسب ويربطها بها سبب . فإذا كان عندنا الأكسوجين والأدروجين والنيروجين (وهو الآزوت) وهكذا غيرهن كالسكربون والحديد والنحاس والذهب والرصاص وما أشبهها من العناصر التي تبلغ نحو الثمانين عدا .

أقول : إذا كان ذلك كله في أرضنا فانهم وجدوه في شمسنا ، وجدوه بمعونة النور إذ حللوه فظهر لهم الاختلاف بعلامات واضحات في ثنایا الأشعة النورية وهي خطوط سود تتخلل سبعة الألوان وهذه الأشعة السود للتخللات تختلف أحوالها باختلاف العناصر . فالحديد والنحاس والأكسوجين والفسفور مثلا كلهن إذا ظهرت أنوارهن في حال خاصة تبينت تلك الخطوط السود في ثنایا سبعة الألوان بهيئات مختلفات كما اختلفت أجسام الناس لونا وشكلا وكبرواصغرا . وكما اختلف النبات في تنوع لون خضرتة وبهجة زهرتة وورونق ورقه وبديع نمرة كما يذكر في ثنایا هذا التفسير . وكما رأوا ذلك في الشمس رأوه في غيرها من الكواكب بواسطة النور . إذن الحال تجري على نسق واحد لأن أصل العالم صادق البناء أساسه فهو الواحدة على طريقها يجري اقرأ ماتقدم في (سورة السجدة) عند ذكر الإنسان في المجلد الخامس عشر . انظر فيه هناك وتأمل تجد نظام الإنسان يحاذي نظام العالم كله ، أظنك الآن تسمع قوله تعالى « ماترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير » .

إنك أيها الذكي بعد هذا البيان توافق على ماقلته لك وهو أن العالم متشابه النظام فترجع إلى (سورة البقرة) فتسمع فيها قوله تعالى « كما رزقوا منها من نعمة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها » فأقرأ هذا الموضوع هناك ثم ارجع هنا واسمع ماأقوله لك ، ألم تقرأ ماقلته عن أكابر العلماء هناك من أن الجنة الحسية لا تكفي الحكماء وإنما نعيمهم وسعادتهم في جنة المعارف والعلوم . فإذا تشابهت الثمرات للأكولة لأهل الجنة الحسية فما أقرب التشابه والمشاكلة في الجنة العقلية وهي العلوم والمعارف . فترى دراسة الجسم الإنساني تمتد بنسب إلى دراسة النظام الشمسي والكوكبي . وكلما درس الإنسان عالما من العوالم ووجد للمشابهة واضحة رجع إلى أصلها ومبدها فوجده واحدا . إذن تشابه العوالم يرجع المفكر إلى منبعها وهو التوحيد . إن الوحدة ظاهرة في النظام .

إذا عرفت هذه المقدمة فهل لك أن أحدثك في علوم عوالمنا الأرضية . وهل كان يدور بخلدك قبل ماستمعه أن علم الفلك أو حساب سير الشمس والقمر والكتابة بالقلم ونظام الأبنية له نظير في الأمم التي لاصلة بينها وبين أمتنا في آسيا وأفريقيا وأوروبا (وبعبارة أخرى) هل كان يخطر لك أو تحدثك نفسك أن أهل أمريكا الأصليين الذين عرفهم الأسبان منذ (٤٠٠) سنة وكشف بلادهم (كرستون كلومب) كان لهم علم فلك وحساب للسنين والأشهر مثل ما عندنا الآن . أما أنا فأقول :

إن الاطلاع على ذلك والوقوف عليه ودراسته إذا كان له وجود يكون سارا لدينا وشارحا للصدر وموافقا كل الموافقة لما ظهر من تناسب العناصر في الأرض والشمس وأحاديها ذاتا وصفات وذلك يؤيد صدق قاعدة

هذا الوجود وهي المشابهة إذ متى أطلعتك على هذا الآن كما جاء في الكشف الحديث في هذه الأيام عند طبع هذه السورة فانك تقول بطريق القياس التمثيلي إن هذه السكواكب التي نراها مسكونة كما سكنت أرضنا ، نعم هذا ليس باليقين ولكن ذلك هو ماوصل لنا وعقولنا لاقدرة لها على أكثر من ذلك .
لقد تقدم رسم صورة للتقويم في المكسيك في آخر (سورة الفرقان) فاسمع إذن ماجاء في (مجلة المقطف) في شهر ديسمبر سنة ١٩٢٩ تحت العنوان الآتي وهذا نصه :

الحضارة القديمة في العالم الجديد

(مصر) القارة الأمريكية

كتابتها . علمها . مبانيها . نقوشها . تاريخها

لقد أطلق الكتاب على بلادالمايا في غواتيمالا بأمريكا للتوسطه وما مجاورها من البلدان كيوكانان وجنوب المكسيك وسلفادور وشمال هنداروس لقب (مصر) القارة الأمريكية لما عثر عليه العلماء من وجوه الشبه بين عمارة المايا وكتابتهم وعمارة المصريين وكتابتهم . وازداد هذا اللقب تمكنا وتأيدا لما ثبت للباحثين أن حضارة المايا هي أقدم الحضارات الأمريكية الراقية ومصدر الثقافة التي امتدت عناصرها إلى البلدان المجاورة ولأن أنصابتها أعلام تقاس بها مراحل الحضارات الأمريكية القديمة وتؤرخ كمسلمات المصريين القدماء ومدافنهم .

وإذا نظرنا إلى الأحوال التي نشأت فيها أمة (المايا) وجدنا أن منشئاتها العمرانية تضاهي أرقى المنشآت العمرانية في أرقى الأمم القديمة . فإقليم البلاد التي نشأت فيها حار يضعف القوى ويغمدالنشاط وهو في الوقت نفسه يؤتي الأثر مما جعل الزراعة هناك نزاعا دائما بين الانسان والطبيعة في غاباتها وحراجها الغضة التي كانت لحصب الأرض وجودة الإقليم تسطو على المناطق التي يزرعها الانسان وتكسوها . ومع ذلك نشأ في تلك البلاد وفي ذلك الإقليم حضارة راقية من أرقى الحضارات القديمة مع أنها لم تتصل - على ما نعلم - بالعالم القديم .

وشعب المايا هو الشعب الوحيد الذي استنبط في أميركا طريقة للكتابة واستعملها في تدوين مدوناته وهذه الطريقة السكتانية الميروغليفية تحسب أعظم ما أتى أميركا العقلية في العصور القاربة ، أما العلماء فلم يفوزوا حتى الآن بكل هذه الرموز الميروغليفية ولكنهم عثروا فيها حلوه منها على أركان التاريخ (المايا) وأصول تقويمهم وعلومهم الفلكية والرياضية . وقد يكون الباقي منها منظوبا على وصف الحوادث العظيمة التي حدثت لهم أما الرموز نفسها فرسوم للأشياء أو للأفكار فيها ظل من الأثر الصوتي ولكن ليس لها أبجدية .

أما تاريخ هذه الكتابة ومنشئها فمتغلغل في القدم تحيط به سحب الرية والخرافة . ولم يعثر حتى الآن على أثر يحتوي على اسم المستنبط أو تاريخ الاستنباط أو غير ذلك من دقائق الموضوع . ومع أن أقدم المدونات المؤرخة يرجع تاريخها إلى سنة ٩٦ قبل المسيح نجد في آثار الاتقان البادية في الاشارات الميروغليفية دليلا مقنعا على أنها ليست بنت ساعتها وأن قرونا انقضت عليها قبل ما بلغت هذه الدرجة في الاتقان . وما في هذه الاشارات من الخطوط المنحنية يدل على أنها كانت ترسم على سطح مستو أملس قبل استنباط فن النحت في الحجر الذي مكن أصحابها بعدئذ من نقشها في الحجر الصلب لحفظها مقاوية لأنياب الدهر ، وعلاوة على هذه الكتابات المنقوشة في الصخور كان لشعب (المايا) كتب مكتوبة بالطريقة الميروغليفية . وقد تلف منها معظم الكتب التي كانت تحتوي على كل علوم المايا وحكمتهم أنلفها الأسبان حين اقتنحوا البلاد وحكموها . فقد

كتب مطران لندا يقول : ولقد جمعت أربعة آلاف من هذه الكتب والتصاور الشريرة وحرقتها كلها في الميدان العام ببلدة تيكال رغم حزن الوطنيين وبكائهم . على أن الوطنيين في حزنهم وبكائهم على فقد هذه الكنوز العقلية الثمينة لا يبلغون شأو العلماء في هذا العصر الذي لا يرون بين أيديهم إلا ثلاثة من هذه الكتب يحاولون أن يستخرجوا منها أصول حضارة ألمايا ومآثرها والكتب الثلاثة التي لم تعبت بها أيدي الأسبان محفوظة الآن في خزائن أوروبا وهي في الغالب تدور على جداول فلكية ورياضية وبعض التهاويل البحرية ، والظاهر أن انحصار هذه المعارف في طبقة كهنة (المايا) كان الباعث على اتلاف الكتب التي دونت فيها لأن الكهنة الأسبان كانوا ينظرون إلى كهنة المايا نظراً إلى الشياطين فعملوا القواد على الفتك بهم وإتلاف كتبهم (انظر شكل ٣٧) .



(شكل ٣٧ - خريطة البلاد التي نشأت فيها حضارة (المايا) وازدهرت)

(معارفهم الفلكية والرياضية)

وقبل ما نلم بتاريخ (المايا) لننظر نظرة عجيبي في معارفهم الفلكية والرياضية لأن الباحثين مجمعون على أن عملهم في هذه الناحية من نواحي الثقافة لا يفوقه عمل أية أمة أخرى في إقليم كيقليمهم وبيئتهم كبيتهم . فهو كاستنباطهم للكتابة المهيروغليفية أعظم المآثر العقلية في أميركا القديمة .

(التقويم)

كل تقويم يجب أن يبنى على قياس دقيق لطول السنة . وهذا القياس عمل صعب إن لم يكن متعذراً في أمة لا تملك أدوات فلكية دقيقة . فالسنة على ما نعلم يتعذر تقسيمها إلى عدد كامل من الأيام والشهور لأنها مؤلفة من ٣٦٥ ر ٢٤٢٢ يوماً أو ١٢ شهراً قمرياً و ٣٧ في المائة من الشهر كل منها مؤلف من ٢٩ يوماً و ٥٣ في المائة من اليوم . وهذه السكسور في الأيام والشهور كانت ولا تزال العقبة الكأداء في سبيل واضعي التقاويم على اختلافها . فالسنة حسب التقويم اليولياني الذي كان مستعملاً في جنوب أوروبا إلى سنة ١٥٣٢ وفي شمال أوروبا إلى سنة ١٧٠٠ وفي روسيا إلى جيد الحرب كانت أطول من السنة الحقيقية ١٢ دقيقة فكانت النتيجة أنه لما عزم روسيا أن تجرى على التقويم الجريجوري كان الخطأ في اليولياني قد بلغ نحو

أسبوعين . على أن أمة (ألمانيا) تمكنت من غير أدوات الرصد أن تضع تقويمًا من نحو ألفي سنة لا يبلغ الخطأ فيه أكثر من يوم في ٢١٤٨ سنة . أما التقويم الذي نجري عليه اليوم فلا يفوق تقويم ألمانيا كثيرًا . فالخطأ فيه يبلغ يوما واحدا في ٣٣٢٣ سنة . كذلك تمكن علماء ألمانيا أن يضعوا تقويمًا قمريا لا يزيد فيه الخطأ عن يوم واحد في ٣٠٠ سنة .

(علم الهيئة)

وعلاوة على ذلك تمكن رصد (ألمانيا) من أن يعرفوا مدى دوران الزهرة والمرجح أنهم قرروا مدى دوران المريخ ، ويحتمل أنهم عرفوا مدى دورة المشتري وزحل وعطارد . وبنوا على دورة الزهرة تقويمًا كانوا يستعملونه في ضبط التقويم الشمسي والتقويم القمري . فقد كانوا يعرفون مثلا أن ثمانى سنوات شمسية تعادل تقريبا خمس سنوات من سني الزهرة وأن ٦٥ سنة من سني الزهرة تعادل مائة سنة وأربع سنوات من سني الشمس . وكانوا يستعملون التقويم الثلاثة لتقدير أزمنة طويلة ، وقد وجد ما يدل على أنهم تنبأوا بحدوث حوادث فلكية تمتد إلى أكثر من ٣٤ ألف سنة . وكانوا يتنبأون بالكسوف .

(الصفر)

أما الجداول الرياضية التي وضعوها فكان يلزم لها قبل وضعها استنباط فكرة (الصفر) وهذا الاستنباط من مفاخر حضارة (ألمانيا) . فالصفر أمر تعودناه في الجداول الحسائية الآن حتى أصبحنا نراه غير ذي خطر فنقول عنه إنه رمز للعدم . ولكن لولا هذا الرمز لتعذر القيام بالعمليات الحسائية قياما سريعا ولما تمهدت الطريقة للحساب العشري ولظلت العلوم الرياضية تجمد ذلولها على الأرض . فالصفر هو الذي يمكننا من ترتيب الأرقام حتى يكون لكل رقم منها قيمة خاصة بحسب الرتبة التي يكون فيها . ومع ذلك لم يستنبط الصفر إلا في القرن السادس أو السابع بعد المسيح استنبطه الهنود ونقله العرب إلى أوروبا فانتشر في بلدانها . على أن أمة ألمانيا استنبطته على حدة قبل ما استنبط الهنود بألف سنة اه .

هذا ماجاء في (الفتنطف) ولم أرد أن أذكر تاريخهم السياسي كما ذكر لأنه لا يجنبنا وإنما أقول لك إن هذه الأمم التي ارتقى علمها إلى هذه الدرجة قد أصابهم داء التخاذل وفشت الجماعة فيهم وجاء على أثر ذلك فتوح الأسبان . هأنت ذا أيها الذكي رأيت الأمم الأمريكية القديمة وكيف استنبطوا حروفا كما استنبط أسلافنا ودرسوا الفلك كما درسوه وبنوا أبنية شامخة كما بنوا مع أنه لا صلة بينهم فاعجب لنظام واحد في نصف الكرة الأرضية كنظام واحد في الشمس وفي الأرض ونظام واحد في المجرات .

إن هذه هي الموسيقى الجميلة . إن الموسيقى والنقش والتصوير وجميع العلوم الجميلة ترجع إلى التناسب ، فكلما كثر التناسب تضاعف الجمال ولا نهاية للجمال وهذه العوامل كلما عثرنا على ازدياد تناسبها وارتباطها ازدادت بهجتنا وفرحنا وإذا رأيت هنا في الأرض مشابها الحساب السنوي والشمسي والقمرى في نصف الكرة الأرضية فأبهجتنا الاتفاق والتناسب وتعجبنا كيف انفقت العقول المختلفة المتباعدة على وضع واحد ومهيب قليل الاختلاف فكيف يكون فرحنا حيننا نخلع هذا الجسم ونسير في المجرات والعوامل وتشابه مدنات ونظم تربو وتعظم على مدنات أهل الأرض ونظمها ، أليس ذلك يورثنا سعادة لانهاية لهاوغراما لاحد له لهجة الجمال والحسن والاشراق . انتهى صباح يوم الجمعة (٢٣) مايو سنة ١٩٣٠ .

﴿ تذكرة الأمم الإسلام ﴾

هذا هو الذي ظهر للناس اليوم من العلوم الفلكية في القارة الأمريكية ، تلك البلاد التي لم تكشف إلا منذ (٤٠٠) سنة كشفها (كرسون كلومب) بأمر الملك (فرديناند) وزوجته (إزابلا) ذلك الذي أزال ملك الأمم العربية الإسلامية من بلاد الأندلس وشردهم شر مشرد . إذن ظهر بهذا أن الأمم كلها متحدات على النظر في هذه العوالم العالوية ، ولقد تقدم في (سورة يونس) نبذة من علم الفلك مصورة بالتصوير الشمسي بهجة المنظر عجيبة . وذلك في (موضوعين : الأول) عند آية « هو الذي جعل الشمس ضياء » (والثاني) عند آية « فاليوم ننجيك بيدنك » وقد ذكرت هناك أن بين المقامين تناسباً عجيباً فإن المقام الأول فيه ذم الغفلة عن هذه الآيات وأن هذه الغفلة تورث نار جهنم ، والمقام الثاني فيه ذم الغفلة أيضاً عن آيات الله ، فترى الصور الفلكية العلمية واضحة في المقام الأول هناك بحيث نجد صور كثير من السدم وصوره المجرة وهكذا . وفي المقام الثاني نجد من أعجب ما أنتج العقل الإنساني بمصر من صور البروج الاثني عشر مرسومة بحسب ما تخيلته الأمم وبيت أسماءها إلى الآن وهذا عجب . وهناك ترى عجائب الأهرام ونظام حسابها المبني على أساس الدائرة السنوية للأرض حول الشمس ، وارتفاعه نسبة إلى بعد الأرض عن الشمس ، وهذا الهرم هو أس الفنتار والرطل والوقية وهكذا من الموازين ، وأس الفدات والقيراط والحبة والداق والسهم والترع البلدي والنيلي والمعماري والمهندسة في المساحات . وأيضا هو أس الأردب والوية والكيكة والربع والمولة والقدح ونصف القدح في المكيلات ، فكل هذه منسوبة للهرم المنسوب لنظام العالم . كل ذلك تقدم هناك فأرجع إليه إن شئت

وإن تعجب فعجب أن ترى صور البروج المرسومة هناك قد استخرجها القوم في زماننا من صناديق الموتى وصوروها بالتصوير الشمسي فنحن المصريين الآن نعجب أن نرى الأمم الذين كانوا قبل آلاف السنين في ديارنا يحفظون موتاهم في قبورهم بعلم الفلك مرسوما على الصناديق التي تضم أجسامهم بعد موتهم ونحن الآن وأكثر المسلمين أجهل الأمم بعلم الفلك الذي أقسم الله ببعضه فقال « والشمس وضحاها . والقمر إذا تلاها . والنهار إذا جلاها . والليل إذا يشاها . والسما وما بناها . والأرض وما طحاها » وقال « فلا أقسم بمواقع النجوم » وأعظم قدره فقال « وإنه لقس لو تعلمون عظيم » وأكثر من ذكر الشمس والقمر وأنها آياتان من آيات الله تعالى وهكذا هنا يذكر الأرض والشمس والقمر والليل والنهار ، إذن المسلمون أقل علما من الأمم الحاضرة كلها ومن قدماء المصريين وقدماء أهل أمريكا الذين انقروا لإقليلا ، فأين الأمم الإسلامية الحقيقية وإذا سمعنا الله يقول « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ثم نظرنا فوجدنا الأمم البائدة تعلم من جمال الله في كواكبه ما لا تعلم ووجدنا الأمم النصرانية كلها عالمة به ونحن عالمة عليهم ، فأين نحن من هذه الخيرية التي لا توجه إلا إلى أم علمت وارتقت وركت أهل الأرض كأنهم فعلا لأسلافنا ، فهم حقا « خير أمة أخرجت للناس » ولا يلزم من أفضلية الأب ونفعه للناس أفضلية الابن ونفعه لهم ، فتأمل ماجاء في كتاب الأستاذ سديو الفرنسي في صحيفة (٢١٢) وما بعدها المطبوعة في الترجمة العربية إذ يقول ماملخصه : [إن نار الحرب المشتعلة في القرن الحادي عشر في الشرق بعد الميلاد] فكان فتح محمود الغزنوي وكانت غارة السلجوقيين وكانت حروب الصليبيين مع المسلمين وإعدام صلاح الدين الخلافة الفاطمية سنة ١١٧١ من مصر وإعدام هولاء الخلافة العباسية ببغداد سنة (١٢٥٨) قد غيرت معالم السياسة في آسيا ومع ذلك مازال تقدم العلم كما كان قبلا وظهر هناك علماء مثل البيروني في الفلك إذ أحضره محمود الغزنوي سنة ٩٩٧ في ديوانه ، وأحضر هولاء كو خان العمولى إلى ديوانه بعد تغلبه على الملك سنة ١٢٥٩ نصير الدين الطوسي وهكذا نقل جمال الدين الفلكي مع الخان كوبلاي علوم العرب إلى مملكة الصين وهكذا الخ وقد ذكرت هذا مطولا في مواضع أخرى

من هذا التفسير . إذن هؤلاء هم الذين كانوا « خير أمة أخرجت للناس » بنص الآية لأننا وجدنا الفرنجة شهدوا بأن علمهم في الفلك الذي نحن بصدد الكلام عليه قد امتد إلى الصين وبقى بعد ذهاب دولهم ونفع الدول التي جاءت بعدهم في الشرق .

(١) ألم تر إلى ما يقوله العلامة الفرنسي المذكور من أن أبا ريحان محمد بن أحمد البيروني المتقدم ذكره (الذي كسب علومه من المدرسة البغدادية حين أحضره الغزنوي المتقدم ذكره إلى ديوانه) أخذ يستفيد العلوم الفلكية من الروايات الهندية التي عندهم قديمة وحديثة ويفيدهم علوم قومه في الفلك أيضا ويبتها لهم في كل جهة مر بها ، وألف ملخصات عربية وهندية ، وكانت مشيرا وصديقا للغزنوي المذكور في ديوانه ، وأصلح الغلطات الباقية في حساب الروم والسند وما وراء النهر ووضع قانونا جغرافيا كان أساسا لأكثر الفسوموغرافيات الشرقية ونفذ كلامه في البلاد الشرقية واعتمد على كلامه سائر الشرقيين في الفلكيات . ومنه استمد أبو القداء الجغرافي العروص والأطوال الأرضية وكذا أبو الحسن الراكشي .

(٢) ويقول : « إن الهند لم يكن فيها قبل الاسكندر المقدوني علم الفلك تاما بدليل أن أرسطاطا ليس أستاذه لم ينقله عنهم لليونانيين . ولذلك نجد (كتاب السند هند) للترجم في خلافة المنصور إلى العربية لم تسكن فيه إلا مسائل ابتدائية في علم الفلك :

(٣) ويقول : « إن العرب أتوا في الفلك بالعجب العجيب وأتقنوا الهندسة والحساب والجبر وعلم الضوء والنظر والميكانيكا وطبقوا الجبر على الهندسة

(٤) ويقول : « ليس للعرب مجرد نقل كتب اليونان فقد اخترع (البتاني) استبدال أوتار الأقواس التي استعملها اليونان في حساب الثلث بأنصاف الأوتار للأقواس المضاعفة وهي جيوب الأقواس المصورة . قالوا إن بطليموس لم يكن يستعمل الأوتار الكاملة إلا لتسهيل الإثباتات والتوضيحات وأما نحن فقد استصوبنا استعمال أنصاف الأقواس المضاعفة وهكذا .

وقد أطال في ذلك ولا أريد أن أطيل فيه لئلا يكون الملل ، وإنما أريد الآن إظهار الحقيقة واضحة وهي أننا نحن الآن في مصر والشام والعراق وبلاد الفرس وجاوه وبلاد الملايو وبلاد شمال أفريقيا قوم جهلاء في علم الفلك الذي حض القرآن عليه ولم نساو أمة من الأمم . فلأنحن وصلنا لقيمة قدماء المصريين الذين صوروا هذا العلم على صناديق الموتى تبركا به . ولا لقيمة قدماء الأمريكيين قبل فتح بلادهم . ولا لقيمة الهند القديمة . ولا لقيمة آبائنا القدماء في الإسلام أيام صولتهم وبعد ذهاب دولتهم . ولا لقيمة أمم أوروبا واليابان والصين الآن فنحن اليوم بهذا البرهان أجهل الأمم بالعلوم الرياضية ومنها الفلك . والسبب في ذلك ما انتاب أممتنا قديما من الاضطهاد والإذلال . فلقد كانت الأمم الإسلامية المتأخرة لا تريد إلا العلو كما فعل الترك إذ هم لما دخلوا مصر أزلوا منها الصناعات بمجرد دخولهم وأخذوا مثاث ومثالث من رجال الصناعات فسافروا في البحر ثم أغرقوا ، فأما المدارس المنتشرة فانهم تفصوها تدريجا حتى حلت البلاد من رائحة العلم ولم يبق إلا قشور ضئيلة وإلا مشايخ التصوف الذين كان أكثرهم جهلاء . فلما أن جاءت أيام محمد علي باشا حوالي سنة ١٢٢٠ هجرية واستتب له الملك أدخل جميع العلوم في البلاد ومنها الفلك . ولما دخل الإنجليز بلادنا في أوائل القرن الرابع عشر الهجري أخذوا يقللون العلوم تدريجا كما فعل الترك . ولما دخلنا نحن (دار العلوم) سنة ١٨٩٠ م أي في أوائل القرن الرابع عشر الهجري بعد الحرب العاربية بقليل قرأنا هذا العلم مع الرياضيات إذ كان ذلك بقايا علوم تلك الدولة المصرية التي أسسها المغفور له محمد علي باشا . وبعد ذلك بسنين معدودة وجدنا هذا العلم

قد عفى من البلاد ومحيت معه علوم المعدن والنبات والحيوان والتشريح علما من الفاتحين للبلاد بأن تلك العلوم مرقبات للأمم وهم لا يريدون ذلك . فلما أن أخذت بلادنا استقلالاً اسمياً سنة ١٩٢٢ ميلادية دخلت بعض تلك العلوم ، وهاهى ذه علوم التاريخ الطبيعي تدرس كالحیوان والنبات الخ ، ولكن إلى الآن لم يدخل علم الفلك مع توفر علم الرياضيات ، وذلك بعد أن أرسلت خطاباً لمجلس النواب وللوزارة المصرية . تجده مکتوباً في هذا التفسير في (سورة يونس) تحت عنوان : [مذكرة لإصلاح التعليم الثانوى بالمملكة المصرية] عند الكلام على آية « هو الذى جعل الشمس ضياء . »

إن الأمم الإسلامية كما منيت بالملوك الظالمين الجاهلين من الأمم الإسلامية وغير الإسلامية فغيروا وجهتها منيت أيضاً بكثير من رؤساء الدين الجهلاء الذين يفعلون معهم فعل الملوك الفاتحين فيذمون لهم العلم ويزنون لهم الجهل ، ولقد تقدم هذا في غير ما موضع من هذا التفسير . وتجده بعضه في (سورة إبراهيم) في أواخرها وبعضه في (سورة الكهف) عند الكلام على آية « وما كنت متخذ المضلين عضداً » وبعضه في (سورة سبأ) وواته إنه يؤلمنى أن يسود الجهل في بلاد الاسلام ، تلك الأمم التي كان أسلافها « خير أمة أخرجت للناس » فهم هم الذين بعلم الفلك والجغرافيا أيقظوا العمران ، وأناموا الجهل ، ونفعوا عباد الله . ألم تر إلى ما ذكره العالم المذكور الفرنسى في صحيفة (٢٢٧) وما بعدها أنهم أنشأوا أربع طرق عظيمة تجارية توصل من مدينتى قانس ووطنجة إلى أقصى آسيا (إحداها) تخترق أسبانيا وأوروبا وبلاد سلاوونة إلى بحر جرجان ومدينة بلخ وبلاد تجرجز (والثانية) تخترق بلاد المغرب ووادي مصر ودمشق والسكوفة وبعداد وبصرة والأهواز وكرمان والسند هند (والثالثة والرابعة) تعبران البحر الأبيض المتوسط وتتجه إحداها من الشام والخليج الفارسى والأخرى من الاسكندرية والبحر الأحمر للتوصل إلى بحر الهند . فكثرت بهذه الطرق السياحات، ونقل السياحون إلى أقصى البلاد ما عند العرب من الأفكار والتمدن واستفاضت الأخبار الجليلة الخ .

هذا ما أردت ذكره الآن ولقد سبق بأوسع من هذا في غير هذا الموضع ، فمؤلاً هم أسلافنا في العلوم الفلكية والجغرافية ، فهم كانوا نورا أضاء بلاد الشرق والمغرب بشهادة الأوروبيين الذين نقلوا العلم عنهم كما رأيت . إذن الآيات المذكورات هنا في الشمس والقمر والأرض والليل والنهار لا يعمل بها المسلمون الآن لاهى ولا غيرها إلا قليلاً منهم كأمة الترك الآن .

فاذا ثبت هذا فهل نحن « خير أمة أخرجت للناس » الآن . لا . لا . نعم إن انتشار هذا التفسير وأمثاله سيحدث في أمم الاسلام انقلاباً عظيماً ، وسيكون وطيد البنيان ثابت الأركان لأن المدينة المستقبلية ستبنى على تجارب مما حل بآبائنا المتأخرين ودراسة تاريخهم تحمل أبنائنا يقظين ويكونون « خير أمة أخرجت للناس » لأنهم يرون الضعف الذى حل بآبائهم فيجدون ليقووا أنفسهم ويداووا هذا المرض الذى حل بهذه الأمة . إذن الأمم الإسلامية « خير أمة أخرجت للناس » ولكن أصابها الوهن والضعف والمرض تخفيت خيراتها وبانت عورتها . ومق حصل التداوى بنشر أمثال هذا التفسير يصح جسم الأمة وترجع المجد والذهب والعز الزائل ، ويكون أبناؤنا « خير أمة أخرجت للناس » عملاً بالفعل لا بالقوة . ولن يكون ذلك إلا إذا قرءوا جميع علوم الأمم شرقاً وغرباً وفاقوهم في ذلك وكانوا لهم نافعين كما كان آباؤهم الأولون، والحمد لله رب العالمين كتب يوم الاثنين (٢٦) مايو سنة ١٩٣٠ .

اللطفية الرابعة

(عجائب السكواكب في الكشف الحديث وبدائع الحرارة والضوء في قوله تعالى
« وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون » إلى آخر الآيات)

الله يقول إنه سلخ النهار من الليل فأظلم الناس . إن هذا فتح باب للتجليل . فهنا ضوء وهاهنا ظلمة يقول الله إنه سلخ الأول من الثاني . أما الظلمة فهي عرض قائم بالأثير وكذلك النور الذي هو تموج وهذه الموجات المتتابعات الواقعات في الأثير إذا كثرت بحيث يكون في الثانية الواحدة منها مئات آلاف الملايين فإسها تكون حينئذ ضوءاً أحمر وأصفر وبرتقالياً وبنفسجياً ، وقد تقدم ذكرها في غير هذا المكان أعني أن ضوء الشمس ركب من سبعة ألوان وهذه الألوان تختلف بحسب عدد الموجات في الثانية الواحدة أي نحو أربعمائة ألف مليون إلى نحو (٧٠٠) ألف مليون ، فهذه الأضواء المرسله من الشمس بأعدادها صار هذا اللون الذي نشاهده على الأرض . فهذا كله يسلمه الله فيبقى الجو مظلماً . ولا جرم أن الظلمة عرض والعرض يقوم بجوهر ، إذن هناك جوهر مظلم ألبس نورا فلما خلعنا لباسه أظلم كأصله .

هذا هو الذي عرفه الناس في الأرض من حال هذه العوالم ظلاماً وإضاءة . وهذا السليخ له نظير تقدم في هذا التفسير في الهواء وفي الماء ، الماء يسليخ أ كسوجينه من أودروجينه . وهذا يسمى في علم الكيمياء تحليلاً فتمى حللناه إليهما صارا جسمين غازيين أي كالهواء . ومعلوم أن الأكسوجين يفيدنا الحياة في تنفسنا وينقى دم كل حيوان وينفع كل نبات . أما الأودروجين فإننا إذا أحرقناه في الجو كما تقدم في (سورة النمل) أخذ حالاً بالأكسوجين الذي في الهواء لأن الهواء ركب منه ومن النيتروجين وحينئذ يفرد النيتروجين المذكور أي الأوزون . وهذا الأوزون يدخل في النوشادر لأنه يمكن اتحاده بالأودروجين أيضاً بعمل خاص وهذا النوشادر نافع في (أمربن) أمر السجاد وأمر الآلات المهلكة في الحرب . إذن التحليل في الماء والتحليل في الهواء أعطينا منافع حمة وأريانا حكماً يحيط بنا من كل جانب .

سلخت يا الله النهار من الليل فأظلمنا وأنت جعلت البخار الطائر في الجو ماء ، فنحن بالهامك كشفنا جزءاً من الهواء فجعلناه سماداً وآلات مهلكات إذ جعلناه كالتليخ ، فماؤنا حللناه وهو أونا حللناه وأنت سلخت ضياء من الظلام .

﴿ فصل : في الحرارة والنور ﴾

سبحانك اللهم : أنت أنعمت علينا بالعلم ، وكسوتنا حلالاً من الحكمة . وأربتنا الجمال والبهاء والحسن والنور والإشراق والبهجة .

سبحانك لأنحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك . إن ماظهر من جمالك قد استغرق أيامنا وملاً قلوبنا بهجة . فكيف بنا إذا اطلعنا على ما هنالك من جمال وبهاء وحسن وإشراق ، إن الإنسان إذا جلس في حجرته ونظر نور القنديل فيها وجده متحداً بالحرارة . فلا نور في أرضنا إلا وقد أخذ بالحرارة . نوقد النار في القرن فنحس بالحرارة أولاً ثم نرى النور آخرها .

إذ الحرارة مقدمة على النور وهما ممتزجان متحدان اتحاد القوة العنصرية في الانسان بالقوة العقلية . إن أهل الأرض خلقوا من نور ونار ، من حرارة وضوء ، من شر وخير .

نور الشمس فيه الحرارة وفيه الضوء ، ولما كانت هي الأصل كانت جميع الأنوار منها على هذا النمط .

فما من نور إلا ومعه حرارة ولم تعرف قبل أيامنا هذه النور يفصل عن الحرارة . لانور بلا حرارة ولكن ظهر في النوع الانساني من الأذكاء من قالوا: (إن الحرارة يمكن فصلها عن النور) وهم الآن يجهدون ليجعلوا القوة التي صارت حرارة تنقلب إلى ضوء . فالشمعة التي أبرزت حرارة وضوءا بحسب العادة إذا حولت حرارتها إلى ضوء تضاعف الضوء البارد وزاد نفعه وقلت ثقافته .

هذه هي آراء الناس الآن وهم فيها مجدون . إذن الناس اليوم يريدون أن يصنعوا من الحرارة والضوء ماصنوعه مع أجزاء الهواء وأجزاء الماء أي يخلطون الأعراض هنا كما يخلطون العناصر هناك . يشير لذلك كله «وآية لهم الليل نسلخ منه النهار» فذلك كله انسلخ .

﴿ انسلخ الحرارة من الضوء كما انسلخ النهار من الليل ﴾

وهل كان يدور بخلدنا (ونحن في هذه الأرض التي اتحدت الحرارة عليها بالضوء وأخذ العلماء يفصلونها) أن الله في سمواته قد فصل الحرارة من الضوء فجعل شموسا مضيئة لاجل الحرارة فيها ، أو ليس هذا من الإبداع العجيب أن نجد في السموات تلك العجائب ، عجائب الشموس المضيئة التي لاجل الحرارة فيها .

اللهم إن فمك عجب . خلقت نفوسنا وجعلت عقولها مرتبطة بعضها أي أن أنوار العقول جعلتها في أنفسنا مصاحبة للقوة الغضبية . فلما كان ضوء الشمس مصحوبا بالحرارة كانت أنوار عقولنا مصحوبة بالقوة الغضبية التي هي في الحقيقة قسوة ذات حرارة . فقينا قوة ملكية هي قوة العقل مصاحبة لقوة سبعية هي قوة الغضب .

فهل هذه الشمس التي رآها الناس اليوم مضيئة غير حارة قد خلقت بأفقه فيها أناسا مثلنا فيهم عقل ولا غضب لهم . إذن أنت كما جعلت الكورة والأونوة ليستا شرطا في إيجاد المواليد كما تقدم في (سورة مريم) لأن بعض الحيوان لا تحتاج الأنثى منه إلى ذكر بل هي تلد ولا ملقح لها . هكذا خلقت شمسا فيها ضوء لاجل الحرارة لها . إذن أنت تخلق إنانا مثلنا ذوى أجسام كالحيوان ولكن لاغضب لهم ويكونون أرقى منا مع أنهم ليسوا ملائكة «إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم» .

الكشف الحديث في الحرارة والضوء

وعظمة الأجرام السماوية

جاء في بعض المجلات العلمية مانصه :

تيليسكوب جديد ربنا ملايين من النجوم

كلما أعجبنا باختراع وحسنه في منتهى درجات السكال راح العلماء المفكرون والمخترعون المجددون يزيدون فيه ويحسنون وينقلون به من حسن إلى أحسن فإذن الاختراع الأول شيء بسيط لو قارناه بالثاني . حينما نصب التيليسكوب الذي قطر عدسته (١٠٠ إنش) على جبل ولسن بكاليفورنيا، قلنا إن العلم قد انتهى إلى كشف أسرار الكواكب والنجوم وأن المرصد الفلكية وصلت إلى حد السكال . وكان العلماء لم تسكفهم الحقائق القريبة التي توصلوا إليها ولم يجهدوا في تيليسكوب قطر عدسته (١٠٠ إنش) ما يظن شهورتهم للعلم والبحث فاستقر رأيهم على صنع تيليسكوب قطر عدسته (٢٠٠ إنش) . وإذا كانت الآلة الحالية التي في مرصد جبل ولسن قد أبرزت (١٥٠٠) مليون نجم فإن العدسة الجديدة التي سيتم صنعها بعد خمس سنوات ستكشف أمام الأنظار مئات الملايين من النجوم والسدم التي لم تر بعد . وستكون العدسة الجديدة

أقوى من الأولى بنحو عشر مرات . ومنذ بدأ مرصد جبل ولسن بحوثه بالتليسكوب البديع أضاف إلى معلوماتنا (على قصر عهده) أشياء كثيرة عن السماء ونجومها . ولقد ذكر الدكتور جيانس سكرتير الجمعية الفلكية للدكية وعضو مرصد (مونت ولسن) حقائق غريبة يقف العقل أمامها مدهوشا حائرا .

وقد جاء في كتيب أصدره أخيرا : أن بعض النجوم بعيدة عنا جدا . ولو علمت أن ضوءها يصلنا بعد (١٤٠) مليون سنة وأن سرعة الضوء (١٨٦ر٠٠٠) ميل في الثانية الواحدة لاستطعت أن تتصور مبلغ البعد الشاسع الذي بيننا وبينها . ويتكهن الدكتور أنه بمعونة عدسات قوية يستطيع رؤية أضواء غادرت كواكبها منذ (١٠٠ر٠٠٠) مليون سنة . إن شمسا أكبر من الأرض بمليون مرة وماهى إلا إحدى الشموس العديدة ذوات الأجرام التي هي أكبر من الشمس . وقد تبلغ تلك المجموعة الشمسية آلاف الملايين وهذه المجموعة بدورها إحدى المجاميع الهائلة التي يتكون منها شموس وكواكب .

ويقول الدكتور جيانز : إن هناك شموسا باردة واننا لو اعتمدنا على أشعتها مثلا لجمدت بخارنا على الفور ولنحول جونا إلى هواء سائل ، وأن هناك شموسا يبالغ من شدة حرارتها أنها لو سلطت على الأرض لسيرتها بخارا ، ولو وضعت قطعة في حجم الحمصنة من تلك الشموس الشديدة الحرارة على بعد ألف ميل ووقف تحنها إنسان لشوته وكوته . وبعد فأى غرائب وعجائب سيطلعنا عليها تليسكوب (٢٠٠) إنش ، انتهى ما جاء في المجلة المذكورة .

هذه والكشف الذي عرفه الناس الآن . ثم ماهذه الشمس المحرقة التي تتكون نصف الحمصنة منها تشوى الانسان وتكويه على بعد ألف ميل ، هل هذه دار من دور جهنم ؟ ومن ذا كان يظن أننا نعرف ونحن في هذه الأرض أن لله شمسا مضيئة باردة وأن له شمسا أخرى محرقة وصفها كوصف جهنم بل هذا وصف لم يكن ليخطر بائبال معرفته . إذن القرآن أتى لنا بشذرات من العلم وقال لنا « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » اللهم إنك أنعمت علينا بقراءة هذا التفسير بنعمة العلم وبنعمة الحكمة ، أريتنا العجب العجيب ، اللهم إنا إذا انطلقنا إلى ساحات الجمال وشاهدنا مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . هنالك نكون في جنة العرفان والعلم التي هي أقصى ما يشرئب إليه المجدون وأعلى ما يبغيه المحققون .

وهل من عجب بعد هذا كله إذا سمعنا الله تعالى يقول « وزرعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين » . إن الناس في الأرض قد مزجت عقولهم بأهوائهم وشهواتهم . وهذا المزج والانحدار لا يساعد على دخول الجنة لأنها للجمال المجرد لاحظ للشيطان الشهواني الغضبي فيها . فإذا رأينا الله قد سلخ الحرارة من الضوء في بعض الكواكب . ورأيناها علنا طرقا بها نباعد ما بين الاكسوجين في الماء والادروجين وما بين الاكسوجين والاوزوت في الهواء . ورأيناها هو سلخ النهار من الليل . فهل من عجب إذا زرع ما في الصدور من الغل كما زرع ما في الضوء من حرارة ؟ « إن ذلك على الله يسير » .

ألا وإن هذه الأبعاد الكوكبية التي ذكرت هنا يقف العقل أمامها حائرا باهتا . فما هذا الكون الواسع؟ ضوء الشمس يصل لنا في (٨) دقائق و١٨ ثانية مع أن المسافة بيننا وبينها يسير القطار المعتاد نحو (٣٥٠) سنة ويسير قلة للدفع نحو (١٢) سنة . هذا الضوء الذي هذه صفته يسير (١٤٠) مليون سنة حتى يصل لنا من بعض الكواكب البعيدة عنا . ثم إن الدكتور (جيانس) المذكور يقول : (إن الناس سيشاهدون كواكب لا يصل ضوءها إلى الأرض في أقل من مائة ألف مليون سنة) هذه أحوال تدهش وعجائب بخار العقل فيها . إن هذا العالم عجب والحمد لله رب العالمين .

﴿ بهجة العلم في البصريات والسموعات من حيث الفلك والموسيقى والشعر وغناء الأطيوار
وسر قوله تعالى «والشمس تجري» إلى قوله «ذلك تقدير العزيز العليم» ﴾
(عملى فى الحقول وعواطفى فيه)

فى ليلة الثلاثاء (١٠) يونيو سنة ١٩٣٠ بينما أنا جالس بمنزلنا بالقاهرة وكان معى ذلك الصديق العالم
ونحن نتجاذب أطراف الحديث من قديم وحديث إذ سمعت نعمة فى الطريق وتوقعا صادقين من بعض المارين
فى الشارع فكان لذلك وقع فى نفسى فصمت قليلا فأدرك صديقى ما يخالج نفسى . فقال : إن للعواطف آثارا
وإن للآثار لتنتائج . أنعمت العامة فى الشارع تهيجك أم توقيع المارة بطربك . وعهدى بك لا ترنو إلا
إلى ما كان بالقواعد مرسوما وعلى شرائط العلم موزونا . وهؤلاء لاهم بالموسيقى عارفون ولا بفنون الأنغام
عازفون .

على أننى أقول : ولعلك استرسلت مع عواطفك وسرت مع عادات سرارك . وإذا كنت لسجع الطيور
على التصون ولغور الأعشاب فى الحقول تهتز طربا وتتهيج عجبيا فليس بدعا إذن طربك الساعة بتوقيع
العامة فى الطرقات ولا بغريب إصفاؤك لهم فى حنادس الظلمات والنجوم مشرقات فى هذه الدجئات . فهل لك
أن تفيض القول فى بعض آثار الأنفس الإنسانية وعجائبها الحكمية إذا أبصرت بهجة الجمال أو سمعت بديع
النعمة . فقلت : لقد أثرت أيها الصديق فى نفسى نائفة الذكرى وهجت من فؤادى ما كمن أيام الشباب .
فكم كانت الذكرى تعاودنى لأدنى سبب ولواعج الشوق تبعث فى النفس بواعث الطرب . فقال : إن الحديث
يحلو لاسميا فى أوقات الحلوات وصفاء الأوقات وقد خشعت الأصوات وسكنت الحركات . فقلت : لأذكر لك
(حديثين : الأول) أنى كنت وأنا مجاور بالجامع الأزهر إذا حل فصل الصيف قفلنا راجعين إلى قرانا فكانت
أنا أزاول الأعمال الزراعية مع والدى بقريننا وكنت أحس بنشاط ومسرة لاحد لهما بعد تمام الأعمال
فى حقنا . وكان العمل فيه يكسبى سبع خصال :

- (١) استنشاق الهواء الطلق فى الحقول .
- (٢) وملاحظة النبات وأوراقه وأزهاره .
- (٣) وقوة العضلات بالعمل .
- (٤) ويتبعه نشاط العقل للعلم .
- (٥) وتدريب النفس على ملاحظة دقائق الأمور إذ يصطفى الإنسان مازرع فيحفظه ويبيد الحشائش
الضارة به .
- (٦) وتحسين الخلق لأنه يتبع صحة الجسم والعقل .
- (٧) وإننى تعاطيت أفضل أنواع الرياضة لأنه يلبها رياضة المشى وآخر الدرجات رياضة التمرينات العضلية
فى المدارس (جمناستك) .

فهذه هى القوائد العوائد على من يتعاطى الأعمال الزراعية من أهل العلم فى هذه الكرة الأرضية وفوق
ذلك يشارك أهل بلده فى عواطفهم فيكون ذلك أدعى للعلم بأحوالهم وذلك يوسع نطاق المعارف العامة
للسكاب ، فأما من لم يعرف من العلم إلا ماسطره المؤلفون فذلك فى العلم غير مأمون .

﴿ السرة فى السموات أعلى من مسرات الأرض ﴾

وبينما أنا فى الحقول أعمل مع والدى إذ أخذ يتحدثنى عن أيام أسرتنا الأولى وما كان لهم من مجد باذخ
وعز كامل وإنهم كانوا قد نصرروا على أعدائهم وإن جدى لأهى مع أسرتنا كلها كانوا يبتهجون بالولائم العظيمة

التي كانوا يصنعونها فرحا بالنصر وإبتهاجا بالثروة . وأخذ يصب الطبل وأنواع النغمات التي كانوا يهاجرون
فأطربني حديثه ولكنني أحسست في نفسي بدافع قوي ووجدان داخلي لم أقدر على مدافعتة فقلت يا والدي
هذه النغمات للطرب والبطول وأنواع الآلات التي فرحت بها أحس في نفسي بأنها قطرة من بحر وقل من
كل من طرب العوالم السماوية فوق السكواكب لأنني أحس في نفسي بأن تلك العوالم أوفر طربا وأعظم بهجة
من كل ما يعرفه الآديبون . فرأيت سر بهذا القول وظهر عليه هيئة التعجب من هذه المفاجأة التي لم تكن
منتظرة . انتهى الحديث الأول .

﴿ الحديث الثاني ﴾

(غناء المغنيات الفرحات زاد في شوقا للعلم)

إني كنت يوما متوجها إلى الجامع الأزهر (وربما تقدمت الإشارة إلى هذا الحديث في هذا الكتاب)
وبيتانا أنا سائر في الطريق المؤدي إلى (بلدة بوردين) إذ رأيت ركبا سائرين فوق سكة الحديد . وهناك نسوة
على الجمال يغنين طربيات وأمامهن شبان يسوقون ويقودون الجمال وهم جميعا فرحون وكان ذلك ضحى والجو
جميل وهم سائرون إلى زيارة (الشيخ أبي مسلم) على عادة أهل بلادنا . هنالك خيل لي أن أشجار السنط التي
كانت تحف بالجسر من الجانبين والحشائش النابتة حولها والنهر الجاري بجانبها وزرع الحقول حولها كأنهن
جميعا رواقص مغنيات بهجات وخيلت لي هذه الدنيا كلها كأنها حفلة طرب وبهجة أنس ونسيت أن هؤلاء
فرحون بزيارة شيخ الضريح وأنهم لا يعلمون عنى شيئا وصرت أشعر أن هذه الحفلات وأنواع الطرب والسرور
إنما تجت لي أنا ، أنا ذاهب إلى المجد الباذخ والسعادة العظمى . فسعداني دأمة وسعادتهم مؤقتة ، ألا ترى
أن عادتهم أنهم يرجعون من هذه الزيارة بعد ثلاثة أيام . فهذه حال نفسي في ذلك اليوم ، فإنها حولت طرب
العامية إلى طربها وأخذت تتجلبب جلابيب الأنس والسعادة التي استلبتها مما يحيط بها وتجاهلت أنها لم تكن
مرادة بهذه الناظر البهجات ولا النغمات المطربيات ولا المظاهر الفرحات كأنها كانت تحس إذ ذاك أن للعلم
دولة سوف تنبؤ منها مكانا شريفا وأنها لا بد واصلة إلى ما أحببت من الحكمة والعرفان .
فهاتان الحادثتان كانتا أيام الدراسة الأزهرية في أيام الشباب .

﴿ صدحت الموسيقى فكانت من أم للبشرات لي ﴾

وهناك حادثة ثالثة أيام أن شرعت في تدريس العلوم بالمدراس المصرية ، فبينما أنا ليلة جالس ببلدة الجيزة
مع المدرسين في ليلة احتفال بزفاف عروس إذ فاجأتنا نغمات الموسيقى لما أن سمعتها حتى أغشى على وأنا أكرم
حالي عمن حولي ، ذلك أني كما تقدم في ثنايا هذا التفسير كنت عاهدت الله أني إذا عرفت أن هذا العالم
منظم وأدركت حقائقه بقدر طاقتي البشرية فإني أولف كتيباً لمن يعدي من المسلمين حتى لا يقعوا في حيرة كما
وقعت ولا يشكوا في أمر هذا الوجود كما شككت واتفق أني كنت إذ ذاك في أوائل أيام عهدي بالقيام بمهنة
التدريس ، وإني فسكرت فيما عاهدت الله عليه لأنني إذ ذاك أخذت من العلوم بحظ يكفي أن أولف للمسلمين
وإني لذلك أخذت أراجع الفلسفة القديمة كما أقرأ شذرات من الحديث مع ضيق الوقت وكثرة أعمال الدراسة
فلما سمعت نغمات تلك الموسيقى وهي تصدح خيل إلي أن هذا الطرب إنما هو لتنام أمرى وأنى لا بد واصل
إلى ما طلبت وأن آمالي صادقة وأعمالي تامة . فهذه الخواطر كلها هي التي فهمتها من تلك الموسيقى وإخواني
حولى لا يشعرون بما يحول بخاطري وأنا أجهتسد أن لا يبدو على وجهي علامات الآثار النفسية . ثم قلت :
فهذه الوقائع الثلاث ضربتها أيها الأخ مثلاً لما يتردد في نفسي من العواطف التي لا يدلى في تحصيلها ولا قوة
لي على دفعها ، فقال صديقي : حدثني ما الذي أثارته في نفسك هذه النغمات التي سمعتها الليلة في الشارع ؟

فقلت أنا لا أكتفك الحديث ، يظهر لي أن هذه العوالم المحيطة بنا موقظات لنفوسنا مشجعات لها على أعمالها ، أتدري ما الذى خيل لي وأنا معك ؟ خيل لي أن هذه السموات كلها حفلات طرب وأن النجوم فى آفاقها راقصات تجليبت بجلايب الجمال وتسربت بسرابل البهاء وأن نغمات الأشجار والزرورع والطيور وخرير المياه فى هذه الحفلة الرائعة بعض للموسيقى الصادحة فى هذا العرس العظيم وكأن أصمعا وأبصارنا هى المرادة من هذا الجمال . نعم نحن لنا حاسة اللمس وإن هى إلا منذرة لنا ومبشرة للاحتراس مما يؤلنا من نار محرقة مثلاً وللإقبال على ما يوافقنا من كل مالنا به انتفاع وسرور ، ولنا حاسة الذوق فيها نذير ما يضرنا ونصطفى ما يوافقنا من اللطوم والشروب . فهاتان الحاستان خاصتان ببقاء أجسامنا وإيجاد نسانا بالنقاء الصنفين الذكر والأنثى . فأما حاستنا السمع والبصر فلهما شأن أعلى وإن شاركتنا تينك الحاستين . ألم تر أن سماع الموسيقى ونظر الوجوه الجميلة يدعوان أكثر نوع الإنسان إلى ماتدعو إليه تانك الحاستان فسكان السمع والبصر كما أنهما متممان لشهوتى البطن والفرج عند الحيوان هكذا هما كذلك عند أكثر نوع الإنسان . وهما وإن كان ذلك دأبهما عند العامة والجهال وبعض صغار العلماء لهما القدر الملقى فى استخراج طائفة من الجمهور الإنسانى وفى بذور السعادة والبهجة العلية . ألم تر إلى ماتقدم عن طياوس الحكيم الذى يقول فى محاورته مع سقراط (إن الله خلق لنا البصر لنذكر به النجوم وندرسها ، ومن هذا الباب نلج باب الفلسفة) وهكذا تسمع الفلاسفة يقولون : (إن الموسيقى للمسوعة باب من أبواب الموسيقى للعقولة التى لا تعرف إلا بإدراك هذا النظام العام) ولا سبيل لتلك السماع العقلى إلا بدراسة سائر العلوم من الرياضيات والطبيعات وأساسها والنظام العام لهذه الكائنات . هنالك مؤازرة واتحاد فى النتائج بين حاستى السمع والبصر . فالصور الجميلة تذكر بالنغمات والأخيرة تذكر بالأولى . ومن عرف هذا أدرك معنى قوله تعالى فى (سورة الملك) « قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون » وأدرك « وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ » الخ ؛ ومعنى قوله تعالى « إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبئليه فجعلناه سميعا بصيرا » إذن السمع والبصر هما البابان المفتوحان فى الإنسان ليوصلا للعارف والعجائب إلى الأفئدة المستيقظة كما أنهما يوصلان طرق استبقاء الشهوات الحيوانية للنفوس الضعيفة فى هذه الحياة . فقال أريد إيضاحاً أتم للالتئام ما بين حاستى السمع والبصر يكون أكثر إيضاحاً وأتم شرحاً . فقلت :

(حزن الباكيات على الميت حولته نفسى فجعلته بكاء على جهلها بعلم النجوم ونظام العالم)

أنا أذكر حادثة رابعة وقعت لي أيضاً أيام كنت مجاوراً بالجامع الأزهر وربما مر ذكرها فى هذا التفسير ، ذلك أنى توجهت إلى بلدنا بالشرقية وقد مات رأس أسرتنا وعظيمها ، وكانت عادات أهل البلاد أن يقيموا مأتم مثله (٤٠) يوماً فسكنت كل ليلة أتبذمن القوم مكاناً قصياً وأجلس فى ناحية وأنا ناظر إلى النجوم أستمتع النغمات المخرنات (اللاتى تنخلل أشجار النخيل المحيطة بالقرية فى ظلمات الليالى الحالسات) من أفواه نساء القرية اللاتى يندبن ذلك العظيم ويرتلن ذلك الندب بهيئة منتظمة موسيقية على مقدار ماتعلمن من أسلافهن بالمحاكاة والممارسة والتدريب فكانت هذه الأصوات أنجيلها كأنها ترتفع فى جو السماء من خلال الأشجار وتسارع إلى النجوم وكأنهن لا يندبن عظيم أسرتنا الميت بل هن يندبننى لأننى جاهل بهذه العلوم التى يسارع الصوت فى الصعود إليهن من خلال النخيل ، فهذه كانت حالى فى تلك الليالى ، أسمع غناء الناديات فتصل رنات الحزن إلى قلبى وهن يبكين على لجهلى بهذه العوالم .

هذه هى العواطف التى كانت تتسابق إلى قلبى إذذاك وهى من أعظم المشوقات إلى تلك العلوم التى لم يكن ليخطر لي أنى أعرف بعد ذلك منها شيئاً اللهم إلا الأمانى والآمال والتلهف عليها والحسرة والحزن على

موت النفس بالجهل العظيم ، فما هو ذا الصوت للسموع ذكرني بعلوم النجوم وسيرها أى أن السموع ذكر بالمنظور . فقال : أريد أن تذكر لي بعض ما تخيله الآن في هذه السن لأوازن بالحق ما بين خيالك في الشباب وخيالك في الشيخ . فقلت : لقد قدمت لك في (سورة فاطر) عند آية « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء » الخ ما يكفيك وأزبدك عليه الآن ما تخيلته من مخاطبة القمر المذكورة هناك .

بهجة البدر

(في الموقف المتقدم ذكره في (سورة فاطر) عند آية « ألم تر أن الله أنزل » الخ)

كأنه أخذ يقول لي : سيقف موقفك هذا قوم من الأمم الاسلامية وغير الاسلامية ويفكرون في أنفسهم . وقد أحاطت بهم الأشجار والزرور ، هل يتجادبون في خواطرم الحديث معي ؟ وهل يخيل إليهم أنهم في بهجة وجمال وينظرون هل أحسوا في أنفسهم أن الأرض أشرفت بنور ربها وأن هذه الدنيا فيها مبادئ جناتهم ومسرات نعيمهم ، وسيدكر للصطفون منهم أن الأرض التي هم عليها في مثل هذا الموقف إن هي إلا ذرة من الوجود ، وما الشمس وتوابعها التي لا تزيد في المجموعات الكوكبية (المجرات والسدم) البالغات (٣٠) ألف مليون إلا كحبة رمل في فلاة واسعة . وإذا صغر العالم كله على هيئة خاصة بحيث تصبح الأرض فيه جوهرًا فردًا فان جميع شمسو ومجراته وسدمه تبلغ ألف مليون أرض ، وهناك تدهلهم عظمة السكون وتدهشهم كما أدهشتك وبرون كما ترى أنت الآن أن علومهم نسبتها إلى حقائق هذا السكون كنسبة ضالة أجسامهم وحقارة أرضهم إلى سعة هذه العوالم . وإذن يحقرون أكثر ما يسمعون من علوم أهل الأرض الجاهلين الذين ورثوا عن آبائهم مخازي من العلم والأضاليل من الجهل وهم يدرسونها ولا يعقلونها وكيف يكون لله ولد وهذا الولد لا يولد إلا في هذه الكرة المتبودة من الوجود ؟ ومعلوم أن الشمس لا تزيد عن جزء من (٢٥) مليون جزء من كوكب الجوزاء ، وما الجوزاء إلا كوكب واحد من مئات الملايين من مجرة واحدة والمجرة معها مجرات وسدم لا تنقص عن ثلاثين ألف مليون مجرة وسديم وأن هذه العوالم كلها إذا جرى النور حولها لا يتم دورته في أقل من مائة ألف مليون سنة (كما تقدم في آخر سورة الكهف عند قوله تعالى « قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي » الخ فراجعهم) هناك تبدل العقول غير العقول ويقولون إذا كانت الضوء يسير في الثانية الواحدة (١٨٦) ألف ميل أو ٣٠٠ ألف كيلو ، وبهذه النسبة يصل نور الشمس إلى الأرض في (٨) دقائق و (١٨) ثانية مع أن القطر لا يصل منها إلى الأرض فرضا إلا في (٣٥٠) سنة وقسلة المدفع لا تصل في أقل من (١٢) سنة .

فإذا كانت هذه حال السكون فعلوم أهل الأرض أكثرها ضلال وجهالة . فكيف اختصت أرضنا بأن الله له ولد فيها وحدها بل كانت الأولى به نحو الجوزاء . وهذه ترهات سيريلها العلم من هذه الدنيا . وهؤلاء يرون أن أكثر ما عرفه الناس إنما هو حثالة العلم . وكما أن الذباب والحشرات تعيش على المواد العفنة القدرة إلا لا معطل في الوجود . هكذا أهل الأرض اليوم تعيش بعض عقولهم على أقاصيص وأكاذيب وخرافات تعافها النفس ولكنها كافية لحياتهم كما تسكني الرمم لأكل الدود والعفونات والرطوبات لحياة الذباب والناموس والله واسع الفضل على الفاضل والفضل على الناس والذباب يستخلص الأجيال للقبلة من كثير من الأضاليل والأكاذيب ويسعدون بالعلم سعادة لا يحس بها أهل الأرض الآن .

هذا ماجال بخاطري في ذلك الموقف ، ثم بعد ليال وقفت بعد ذلك السكان قليلا بعد الغروب وقد فقت راجعا من حقلنا كالمرّة الأولى . فهناك تجلت لي الدنيا بهيئة بهجة جميلة وكأنها ازينت لي وأخذت أشجار

النخيل تررع على نعام النسمات وهن يبلفن مئاث ومئاث مصطفات صفوفا متقاربات بحيث يتصافح الجريد وبلنثم . هنالك وقفت دقائق ودقائق والنخلات راقصات رقصا مفرحا وهن يدرن دورة تامة بسبب احتياج الريح وهبوب العواصف . فلو رأيت ثم رأيت قصرا مقاما على أعمدة جميلة من جذوع النخل تعلوه قبب متناسقات خضر ناضرات من الجريد والحوص وسقفه وأعمدته تررع ذات اليمين وذات الشمال وهن شامحات الدررى بهجات المناظر، وتسمع ما بين آن وآخر هبات النسمات تجعل هذا القصر كله في هيئة راقصة على نعام تأخذ بالألباب ومناظر تزيد الإعجاب .

ولو رأيت أيها الذكي مارأيت أنا من نجوم أخذت نهوى جهة الغرب وقد نظرن لى ولهذه الجوقات للموسيقية وهن باسمات تشير بطرف ساحر خفي وتقول : هيا يا حكاء الأرض . إياكم أن تشغلكم عوالم أرضكم عن جمال العوالم ، ماأشد فرح أحدكم إذا لمح ابتسامة من حبيب جميل أو أمير نبيل أو ملك جليل ، أفليس يطير بتلك الابتسامة فرحا وههتز لها طربا ! فإذا كان العاشق يفرح لابتسامة للعشوق والسوقة لابتسام الملوك فلكم يطير الحكاء فرحا وههتزون طربا في أرضكم إذا أدركوا أن عناية الحكمة العامة الإلهية اختصهم وخدمهم في هذه الحياة بوجوه باسمات مشرقات لا عدد لهن من كواكب السماء ، فابتسامة واحدة من جميل واحد أو ملك تنسى العاشق والصعلوك أشجانا وبتيقه على خلانه فكيف بآلاف البسات المشرقات كل ليلة من مئاث ألوف اللالين في السماء . إن نسبة سعادة النفوس الناقصة في أرضكم هذه إلى سعادة النفوس الكاملة كنسبة بهجة انبساط معشوق واحد لعاشقه إلى بهجة ابتسام النجوم السماوية إلى الحكاء المفكرين . إن جمال هذه النجوم مغناطيس بها تجذب النفوس الصغيرة إلى مجازاة العقول الكبيرة فيرتقون إلى أشرف الأعمال وأرفع العلوم ويستعدون لزيارة تلك العوالم « وأن إلى ربك المنتهى » .

ومما لفته في نظرات النجوم إذ ذاك خواطر أخرى وذكريات وكأني أخطب بما في نفسي من تلك الذكرى لبهجة اللقاه .

وذلك أنني بعد أن قطعت زمان الشباب وحل بساقي للشيب وأنا أزاول مهنة التعليم في المدارس وتأليف الكتب وجاوزت الستين رأيت شباب نفسي لطلب العلم وحبه لا يزال غضا طرى الإهاب قويا فأخذت أكتب هذا التفسير . فأكبت على العمل نحو سنتين كاملتين أو يزيد . وكنت أكتب في اليوم نحو ٤٠ أو ٥٠ صفحة ومتى كتبت العدد الذي أقرره في نفسي أقوم للرياضة في الحقول حول القاهرة وأمشي نحو (٦) كيلو مترات فلما أعممته أحسست في نفسي بضعف شديد وإتهاك في القوى وضعف في الأعصاب ولكن فرحت فرحا وسررت سرورا كثيرا لأنني اعتقدت أنني أكملت واجبا . والذي سقت السلام لأجله أنني بعد تمام التفسير كما قدمت أخذت أروض نفسي خارج القاهرة فكنت في بعض الأوقات أجلس عند بلدة المرج وأجلس هناك في الهواء الطلق وأنا ضعيف فسمعت إذ ذاك الآلة الحاكية السماء (الفونوغراف) إذ يحكي بالصوت الجميل واللغة العامية مامعناه (يا بابا وأعمل له الواجب ، وأنا أمشي له وأتعجب ، وأغمز بالعين والحاجب) .

هذا ما كنت أميزه من أصوات الفونوغراف المذكور الذي يعبر عن شعور الفتاة البكر وقد حضر خطيبها وهي توصي أباهان بكرم مثواه في الضيافة وهي تتولى إظهار المحاسن له وتكون معجبة بجمالها ، فأكرامه موزع بينها وبين أبيها فعليه الإكرام للمالي كما يكرم أعز الضيوف وعليها هي إظهار المحاسن ليزيد غرامه بها فتزوجه . هذا ما خطر لى ولكن هذه النفس حولته إلى سعادتها هي كما حولت غناء النساء على الجمال إلى نفسها في جهة (بردين) بالشرقية وبيانه أنني لما سمعت ذلك الغناء أحسست كأن نفسي في عالم أجمل من هذا وكأني لست في هذه الدنيا ، وكأن هذه الفتاة هي الحكمة ، وكأن الذي تخاطبه هو الله عز وجل ، وكأن

الحاطب لها أنا ، وكان الحكمة التي أعشقها وأنا أحطبها محاطب الله عز وجل وتقول له : (يارب أنظر في أحواله المزلية ، وأموره المعاشية ، حتى يتفرغ لي وأنا سأزبن له وأظهر له محاسن فيعشقتني ويعبني ويكتب ما ينفع للناس » .

ولما رجعت إلى المنزل بالقاهرة بقي أثر تلك المعاني أياما وأياما ولكنني كنت أقول : لقد أعمت النفسير لما هي الحكمة إذن التي سيظهر جمالها لي ؟ ولقد ظهر بعد ذلك ما لم أكن أحلم به فإن التفسير الذي كتبته لم يكن ليتجاوز نحو (١١) مجلدا فما كاد عمال المطبعة يشرعون في طبعه حتى بدرت لي بوادر وسنحت لي سوانح لم تسكن لتخطر لي ومنها جميع المسائل العلمية التي ازدانت بالصور الشمسية فتضاعف الكتاب بما أضفه فيه من تلك العجائب الحكيمية التي ازدان بها ففرت إذذاك معنى ما فهمت من صوت الفونوغراف وأن فهمي كان حقا وأن هذه تنبيهات وإشارات تقتبسها النفس من الأحوال المحيطة بها ، إذن نفوسنا مستعدة أن نحول جميع ما حولها إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمفكرين . فإذا نظرت القمر هذه الليالي في هذا الشهر والنجوم والنخل والزرع وتصورت المعاني المتقدمة فذلك أن نفوسنا لها حال أخرى فوق هذه الحال وهي أن ترى العوالم كلها سعادة لها وجورا وجنات ونعما وتحظى بذلك في الحياة في سجات وأوقات . فإذا خلعت هذا العالم لبست أبواب السعادة في عوالم أخرى . انتهى صباح يوم الاثنين (١٩) من شهر مايو سنة ١٩٣٠ م .

فلما أعمت ذلك . قال ، إن الذي قصصته على الآن إنما هو خيالك الخاص بك . وهل لهذا الخيال رابطة بالحقائق العلمية ؟ وهل المسموع والبصر من واد واحد في العلوم الحكيمية كما كان في خيالك الطارىء لك في أوقات مختلفات . فقلت : إن أمثال هذا المقام يعوزه شرح طويل ولكن لأختصره لك اختصارا فأقول :

(علاقة النظام السياسي بالنجوم والحساب والهندسة والتمرين العضلي والوسيقى)

هاهي ذه أممي جمهورية أفلاطون التي ألفها لإحداث نظام سياسي ثابت . وقد تعرض فيها لسلك فروع الحياة وشرحها شرحا وافيا . والجمهورية مقسمة إلى عشرة كتب والكتاب السابع هاهو ذا بين بدى وهو يبحث في الرجل الحكيم الذي يقود أمته إلى الصلاح والفلاح فوصفه بأنه هو الذي لا يقف عند الحواس بل يرتقى إلى ما هو اليقين وقال لا سبيل للوصول إلى اليقين إلا باجتذاب العقل من المحسوس إلى العقول الثابت ومتى وصل العقل إلى اليقين وهو [صورة الخير الجوهرية] أيقن أنه سبب لسلك ما هو جميل في المحسوسات كالأنوار والسلك ما هو باه وكامل في المعقولات وهو الحق والعقل . وكل من أراد أن يتصرف بحكمة يجب عليه أن يضع صورة الخير الجوهرية بين عينيه . أقول (وبعبارة أخرى) يجب أن يجعل الحكام والحكام صانع العالم دائما في قلوبهم .

(العقبتان في طريق الفيلسوف في حال تعلمه وفي حال قيامه بواجبه)

ثم أخذ يبين ما يعترى الفيلسوف من المشاق إبان تعلم الفلسفة . ثم ما يعتريه من النصب والتعب بعد كمال نفسه إذ يرى عقله الذي وصل إلى درجة السكال ومعرفة الجمال ومبدأ النظام وهو الله تعالى قد رجيع كرة أخرى يقامى مشاق السياسة ونظام المدن فيكون إذن أشبه بمن مشى في النور طويلا ثم فاجأه الظلام ، ثم بعد للممارسة يكون أقوى وأكثر في نظام المدن من أولئك الجهلاء .

﴿ الرياضة البدنية والموسيقى ﴾

وهاهنا أخذ يبين الدروس التي يتعلمها أولئك الحكام الفلاسفة وقدم لذلك مقدمة فقال : (يجب أن يحكم الدولة الأغنياء الحقيقيون ، أغنياء بالذهب ولا بالفضة بل بثروة الإنسان السعيد وهي حياة البر والحكمة فإذا تسلط الفقراء أي المتهاونون على المنافع المادية كانت المدينة في غاية الانحطاط) وهنا أخذ يبحث في العلوم التي تنقل الإنسان من الفاني إلى الباقي وتجعله مقبلا على الخير المحض وهو الله تعالى فقال : (هل تكفي الرياضة البدنية التي تقوى الأبدان وعلاقتها لا تكون إلا بالجسد الفاني . كلا . وهل الموسيقى التي لا عمل لها إلا أن تمرن النفس على نوع من الأثران والاتساق كافية في ذلك ؟ كلا . فالجناستك لصحة الأبدان والموسيقى لها نوع من التهذيب في النفس بالاتساق) .

﴿ علم الحساب ﴾

وهنا أخذ يذكر علم الحساب فقال : « إنه هو العلم الذي منه تستمد كل الفنون والعلوم وجودها ، وهو أول ما يجب على المرء حوزة من العلوم ، ولا جرم أن فن الحرب أحدها وهو يكون نافعا للناجر ولضابط الجيش وللفيلسوف ، وعلى الجملة أن التصبين على الحساب سريعو الخواطر أذكيا ، إلا النادر منهم وهو دواء لبطلي* القهم فوق منافعه الأخرى ، وأعظم فائدة لدرس الحساب أنه يقودنا إلى درس الوحدة والنفكر في الوجود الحقيقي ، إن الواحد في كل موجود له (صفتان) صفة الواحدة من جهة . وصفة الكثرة من جهة أخرى . أقول : أي كبدن الإنسان فهو واحد من وجه كثير من وجه آخر باعتبار أجزائه . وهكذا كل مدينة وقرية وكرة أرضية وأمة وهكذا .

يقول إن البحث في الوحدة يعرفنا الوجود الحقيقي الذي لا كثرة فيه بوجه من الوجوه بل هو واحد من كل وجه ، أما العوالم فوحدتها من جهة واحدة فقط بالملاحظة لا غير .

ولما أتم الكلام على الحساب أخذ يذكر الهندسة السطحية كالثلث والمربع وكثير الأضلاع وسطح الكرة وما أشبه ذلك . ثم علم الهندسة الفراغية كالكرة والمكعب ونحوها . ثم عطف على هذه الثلاثة علم الفلك وأبان أنه يحمل النفس على النظر إلى الأمور الثابتة وفضح علماء الفلك في زمانه قائلا : (إنهم يزاولونه فينزل بهم إلى أسفل سافلين ، إذ لا فرق بين من نظر إلى جلد منتط منقوش وبين من نظر إلى هذا السقف المرفوع المزين بالنجوم . وأي فرق بين منظر ذلك الجلد وهذا السقف من حيث شكاهما ، فسكلاهما من المحسوسات والمحسوسات أحسن المخلوقات . إن المثقف في علم الهندسة إذا رأى رسما عرف حالا إتقانه ودرجته في الجمال والسكال فلم يكن له ذلك غرضا مقصودا وإنما هو واسطة لما فيه من العادلات والمضاعفات والنسب ، أما نفس الرسم فليس مقصودا من حيث ذاته بل الإبداع هو المقصود . هكذا علم الفلك فليس مقصد الفلكي أن ينظر إلى حركات النجوم بهذا الاعتبار نفسه . إن الحركات تعطينا علمين علم تؤديه لنا العيون . وعلم تؤديه لنا الآذان . فالعلم الذي تؤديه لنا العيون هو علم الفلك . والعلم الذي تؤديه لنا الآذان هو علم الموسيقى فأذانتنا لضبط الحركات للتسعة بالموسيقى وعيوننا خلقت لتناول حركات الأجرام الفلكية وهذان يؤلفان علمين شقيقين كما يقوله الفيشاغوريون . وههنا أخذ يشنع على طائفة من علماء الموسيقى وعلماء الفلك إذ يقصرون عنهم في الموسيقى على أن تلتفوا الصوت وتتصتوا ويبحثوا عن الفرق بين هذا الصوت وذاك وأن هذا أخفض وذاك أعلى ، إذن هم يخضعون عقولهم للمحسوسات ، فهم لا يبرعون إلا في شد الأوتار ولنفا على الأشظة فهم بذلك يجعلون أنفسهم سخرية لغيرهم .

إن الإنسان لا يفك من أغلال هذه الطبيعة التي سخر لها إلا إذا بحث في نظام هذه الأنعام وحسابها ونسبها وأدرك بدائعها للوزونات وزنا حسابيا كما ينظر عجائب الحيوان والنبات وتشريح الإنسان ، ثم ينظر في الشمس والنجوم وهذه المباحث كلها عقلية لاحسية منطقية لالفظية . قال : ولا يكف حتى يدرك الحير والحقيقة ، فحينئذ يبلغ آخر مدى العالم العقلي ، فإذا وقف العقل على كنه هذه الحقائق العقلية وأشرف على معرفة الذات العلية تمتع بالسعادة الخاصة به كما تتمتع الأعضاء الأخرى بالسعادة بما يلائمها ، فهذا هو النشيد وهذه هي النعمات وما هي إلا نعمات عقلية دائمة في مقابلة النعمات الحسية الفانية .

فلما سمع صاحبي ذلك قال : يا سبحان الله ، أنا اطلمت على هذه القطعة من كتاب جمهورية أفلاطون وهو الكتاب السابع ولكن لم أفهم منها ما كتبتته أنت الآن ، إن المحاورات هناك فيها صعبة بين سقراط وبين غلوكون ولكن يظهر لي أنك لحصت للعاني وأوضحتها بعبارتك أنت وأثبتت المفهوم مع اللطوق حتى أسمعها لي واضحة ظاهرة بينة ، ويظهر لي أن صناعة التدريس في المدارس النظامية تجعل في نفس المدرس ملكة بها يوضح كل ما يكتبه ، ألا ترى أنك ذكرت السكره والمكعبات وما أشبه ذلك وضربت الأمثال في الهندسة وسقراط لم يوضح ذلك . فقلت : إنني أراعي فيما أكتب أحوال أذكيا القراء في هذا التفسير ، ولا يتسنى فهم ما أكتبه إلا بهذه الطرق فالإيضاح واجب متى وجدنا إليه سبيلا . فقال : ولكن أريد أن أبحث معك في مسألة واحدة مما ذكرت . ذلك أنك قلت في تلخيص كلام سقراط (قولين متناقضين) فتارة نسمعه يقول إن علماء الموسيقى الخاضعين للأصوات الذين يوازنون ما بين النعمات وأن علماء الفلك الذين لاهمة لهم إلا في صور النجوم والحساب من حيث نتائج الأرضية ، فهؤلاء وهؤلاء لاحظ لهم من السكالك ، وتارة يقول إن الموسيقى ملطفة للأخلاق مهذبة منعشة وأن التمرين العضلي إذا قوى الأبدان فإن سماع الموسيقى يلطف الوجدان فكأن القول فيه تناقض . فقلت : أنا الآن أبين لك حقيقة ما يقول بحسب ما يذهب إليه ثم آتى لك بما هو الحق في نفسه . إن هؤلاء القوم ينظرون إلى الفلك وإلى الموسيقى من وجهين مختلفين فالموسيقى تلطف الوجدان وتحسن الأخلاق لأن الأتزان والانساق يعطيان النفس صفة تشابه ما جاورها فيكون صاحبها موزونا في معاملاته وهذه النعمات تطرد من نفسه تلك الحشونة التي أودعتها في النفس التمرينات العضلية وهذه هي الطريقة العملية . أما الطريقة العلمية فهي أن يفكر في أصل وضع الأنعام ونظام حسابها ونسبها الهندسية ونظام سير النجوم والشمس والقمر ، فهناك يجد ثباتا ونظاما كاملا ، ولا جرم أن نظام الحساب والهندسة وثباتهما يعرف النفس أن هناك ثباتا في هذا الوجود بخلاف نفس السكواكب ونفس النعمات فإنها فانيات متجددات ، أما حساب ذلك كله فهو ثابت ، فإذا رأيت يذم الفلكي وعالم الموسيقى فذلك إذا اقتصر كل منهما على ظواهر السكواكب ونتائج حسابها من الشهور والسنين وهو لا يفكر في ثبات القواعد الحسابية وعلي ظواهر النعمات والتلذذ بها ، إذن ظواهر النعمات إنما تكون منفعتها في تنظيم النفس لا غير ، فأما إذا عدل بها عن ذلك فإنها تصبح ضارة . ولا فرق عند هؤلاء بين الطعام والشراب وبين النعمات ، فكما أن إكثار ألوان الطعام ضار بالآكلين هكذا التفتن في الموسيقى ضار بالسامعين لأن هذا التفتن يفتح أبواب الفجور فتحجاج الأمة إلى القضاة وأكثرهم كما يقول شهوانيون وكثرة السآكل في الأمة والتفتن فيها يدعون إلى كثرة الأمراض وهذه تدعو إلى الأطباء . وعار على رؤساء الجمهورية أن يدعوا رعاياهم يتفتنون فيها يضرهم من السموعات والمأكولات فيحتاجون إلى القضاة وإلى الأطباء . فلتسكن للموسيقى في حال خاصة ويجب أن تكون بسيطة غير موجبة لإثارة الشهوات بكثرة التفتن فيها ، فالسمع والطعام أخوان

والبسائط فهما أهدي سبيلا وأقوم قبلا، وهو يقول فوق ذلك (إن الأطباء يختص عملهم بالأحوال الطارئة والأمور العارضة ، أما إعطاء العقاقير وطول التمريض فذلك يوجبه الشره في المآكل والمشرب ومتى امتنع ذلك خلصت الجمهورية من الأمراض) .

فقال : وهل أنت ترى هذا كله ، فقلت : إن بعض هذه الآراء قد عدل في وقتنا الحاضر ، إن التمارين العضلية والألعاب التي جعلها عمدة في صحة الأبدان قد أصبحت اليوم في الدرجة الثالثة ، ذلك أن أرقى الرياضات ما كان من إتمام البدن في أعمال الحقول والبساتين وبليه المشي على القدم ، وآخر درجات التمرين الرياضي هو (الجناساتك) أي التمرينات المعروفة ، وقد قال علماء أوروبا وأمريكا بالاختبار إن الذين يكثرون تلك التمرينات هم أقل الناس علما وأضعفهم تفكيراً وأظلمهم بصيرة ، ولست أقول إن التمرينات العسكرية داخلة في ذلك ، كلا ، بل هي صناعة من الصناعات لا بد من الحدق فيها وإتقانها ، وهذه التمرينات أهم ركن فيها وأكثر كلام الجمهورية في العسكرية .

والخلاصة أن الإنسان لا يكون رجلا كاملا إلا إذا أحب الجمال وحب الجمال يشمل بهجة النجوم والزارع النظرة وحسن نسق الثياب والنظافة وتنسيق المنازل . وبالجملة كل جمال في بر أو بحر . ومتى عشق الناس الجمال فتحت بصائرهم للحقائق وحسنت معاشرتهم والرياضة البدنية حافظت للصحة وهي مع حب الجمال صنوان لا يفترقان في سعادة الإنسان .

فقال صاحبي : هل هذا آخر رأي ؟ فقلت . إن هذه عليها نظام المدارس والتعليم في العالم الإنساني اليوم ولكن جاء الإسلام فأحدث مدنية وجعل أركانها أركان الإسلام ومنها الصلاة . وهذه الصلاة بنظامها الجميل ونظامها قد أبدعت أمة واسعة النطاق في الشرق والغرب ، ولما كسلوا عنها تمزق شملهم وضل سعيهم ومدنية الجمهورية وحدها لم تقم بها أمة من الأمم . أما المدنية التي قامت بإقامة الصلوات في خمسة أوقات التي هي نوع من النظام يهيج النفس إلى عالم قدسي فقد نجحت أمم وأمم بها . ولما تركها ملوك الإسلام وأمراؤه ذهبت ربحهم وضل سعيهم وتمسكوا بما لديهم من الموسيقى وأكثروا منها فثر بوا الحمر فكانوا من الحاسرين .

فقال صاحبي لقد أطلنا في هذا المقام وخرجنا عن المطلوب . فقلت كلا . الآية فيها نظام الشمس والقمر وفيها « ذلك تقدير العزيز العليم » وتقدير العزيز العليم كما رأينا في سير النجوم رأينا أيضا في علم الألمان .

وانتهى الأمر بنا إلى أن ما جمل من النظام محسن لأخلاقنا ومثبت من الحساب ونظام الهندسة يعطينا ثباتا في عقولنا ودلالة على مبدع للعالم ترجع النفس إليه (شكل ٣٨ الآتي في الصحيفة التالية) .



(شكل ٣٨ - شكل تستبين فيه الفصول الأربعة)

فقال أرجو الآن أن تشبع القول في نظام الحساب في الفلك والموسيقى وغناء الأطيوار كما وعدت وكيف كانت من (واد) واحد . فقلت أولا انظر إلى الفصول الأربعة .

فهذه الدائرة المرسومة أمامك تحاكي الدائرة التي تقطعها الأرض في حركتها حول الشمس فهو نظام ثابت بحساب لا يتغير له ، وهاهنا يتجلى للعقل السكالم الحقيقي ونهيج نفسه بما وراءه من منظم للكون حكيم (ثانيا) انظر إلى أشكال القمر الآتية قريبا وفيها وجوه القمر وصوره المختلفة فهذه الوجوه القمرية هي التي تظهر في القمر كل شهر ، فثبتتها الظاهري راجع لحساب كحساب سير الشمس في الصورة التي قبلها . (ثالثا) تفكر في جدول الخسوف والكسوف وهو أنه يكون (٧٠) خسوفا وكسوفا في مدة (١٨) سنة و (١١) يوما . منها (٢٩) خسوفا و (٤١) كسوفا والخسوف والكسوف في كل مدة في نفس اللواعيد والساعات والدقائق في المدة التي قبلها .

(رابعا) الكلام على السنين البسيطة والسكبسة . إن الدورة السنوية القمرية (٢١٠) وهذه دورة كبيرة . والدورات الصغيرة (٧) كل دورة (٣٠) سنة . والسنة القمرية تكون ما بين (٣٥٤) يوما و (٣٥٥) يوما فالأولى بسيطة والثانية كبيسة ففي الثلاثين الأولى من (٢١٠) من الأعوام الهجرية تكون السكبسة على حسب الحروف المعجمة في هذا البيت فالخرف المعجم للسكبسة والمهمل للبسيطة .

٢ ٥ ٧ ١٠ ١٣ ١٥ ١٨ ٢١ ٢٤ ٢٦ ٢٩

إن رمت مجدا فلا ترقد دجا أبدا خوف القوات لما ترجو من الشرف

انظر الدائرة الأولى

مبدأ السنين السكبسة

٢٩



٢٤

(دائرة السنين السكبسة)

فالكبيسة في كل سنة (١١) يوما والبسيطة (١٩) يوما (انظر الدائرة الثانية) .

(دائرة السنين البسيطة)



فهذه الدائرة تحتوي على (١٩) عددا لا يحصى للسنة من أن تجرى على مقتضاها . فالدور الأول من (٢١٠) من التاريخ الهجري هذا شأنه والدور الثاني على مقتضاه وهكذا تتم (٧) أدوار وهنا ينتهي الدور الكبير الأول ، وينحو نحوه في ذلك كله الدور الثاني والثالث والرابع وهكذا بالغا ما بلغ ونحن الآن في سنة ١٣٤٩ هـ . وقد مضى (٦) أدوار لها مدة (١٢٦٠) ومن هذا الدور السابع قدمضى (٨٩) سنة منها دوران صغيران هما (٦٠) ونحن في الدور الثالث . وهاتان الدائرتان قد تكررنا منذ الهجرة إلى الآن (٩٠) مرة .

أليست هاتان الدائرتان اللتان رأيتهما أمامك أشبه بدوائر الموسيقى والشعر وغناء الطيور . إنها مثلها حدو القذة بالقذة ، فقال كيف يكون ذلك ؟ قلت : اعلم أن الموسيقى والشعر وغناء الطيور كلها من واد واحد فهي دوائر كدوائر علم الفلك ، فقال أوضح فإن الأمر عجب ، قلت : إن أصول الشعر ثلاثة وهي السبب والوئد والفاصلة ، فالسبب مثل هل ومن وعن والوئد مثل نعم وبلى ونحن وأنت ، والفاصلة فهمت وعلت وغلبت ، وترجع هذه الثلاثة إلى حرف ساكن وحرف متحرك ، وهذه الأصول الثلاثة في الشعر هي أصول الغناء مثل (تن . تنين . تنين) فمن هذه الثلاثة تتركب جميع الألحان والنعومات كما أن اللاتي قبلها تتركب منها جميع أنواع الشعر عند العرب وغير العرب وأنواع الغناء عند العرب (ثمانية أنواع) وهي : التقييل الأول وخفيفة . والتقييل الثاني وخفيفه ، والرمل وخفيفه ، والمزج وخفيفه . وكلها مركبات من هذه الثلاثة كما تتركب أنواع النبات والحيوان من العناصر وكما تتركب أنواع الشعر العربي من الوئد والسبب والفاصلة ، ومقاطع الشعر العربي ثمانية وهي فعولن مفاعيلن متفاعلين مستعملن فاعلان فاعان مفعولات مفاعلتن ، فهذه منها تتركب البحور العربية الشعرية ، ومن الثمانية قبلها تتركب سائر الألحان في الموسيقى . فلما سمع ذلك قال : إننا الآن في تفسير آية الشمس والقمر وتقدير العزيز العليم ، ولا جرم أن هذا دعا إلى علم الفلك وعلم الشعر وعلم الألحان لأن ذلك كله تقدير العزيز العليم ، وسمعنا الفلاسفة يقولون إنهم من واد واحد ، فأريد الآن الهجوم على نفس الموضوع خيفة أن يتشعب علينا بما نستوفيه من تلك العلوم فأرجو أن تأتي بمثال واحد به نعرف أن علم الشعر على مثال علم الموسيقى ونعومات الطيور ، فإذا كنا رأينا للقمر والشمس وللجنة الكبيسة وللجنة البسيطة دوائر قرأناها فأريد الساعة أن أدرس دوائر تشبهها في الشعر وللموسيقى حتى تستبين الحقيقة . قلت اعلم أن الحليل بن أحمد لما اطلع على أشعار العرب وجدها ترجع كلها إلى خمس دوائر وهذه الدائرة منها وهي التي تدل على بحر الطويل والمديد والبسيط ونهاها المختلفة

(الدائرة الثالثة) .

(الدائرة المختلفة)



فهذه الدائرة فيها سبعة حروف متحركات وخمسة حروف سواكن أي (١٢) حرفا سواكن ومتحركات أغنتنا في ثلاثة محاور فما عليك إلا أن تكرر هذه الحروف أربع مرات فتبلغ (٤٨) حرفا ، فبحر الطويل إذا ابتداء من اللبداء الذي أمامك في الدائرة له يكون فعولان مفاعيلن (٤) مرات وفاعلاتن فاعلن أربع مرات في اللديد ومستفعلان فاعلن (٤) مرات في البسيط .

فانظم أيها الذكي من الأشعار ماشئت في الطويل والمديد والبسيط ولكنك لن تخرج عن هذه الأوزان المتقدمة في الدائرة ولا تخرج عن المتحركات والسواكن بعينها إلا في أمور عارضة يسمونها الزحافات والعلل لاجل لدكرها لأنها تخرج بنا عن المقصود كما هو رأيك ورأي أذكيا القراء في هذا التفسير .

واعلم أن هذه الأوزان هي الأصل ولكن الشعر علم له قواعد تقتضى معرفة علله وزحافاته وما الأبيات إلا كحيوان يصح ويمرض ، فحذف حرف أو تسكينه يعتبر كأنه علة وأغلب الشعر لا يخلو من ذلك ، فإذا أتينا بشواهد على هذه البحور فإنها من هذا القبيل ، فإذا سمعت هذا البيت وهو الشاهد لبحر الطويل وهو :

ومن لم يصانع في أمور كثيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمنس

فاعلم أن ما حذف منه تقتضيه الصناعة لأن آخر صدر البيت بوزن مفاعل وكذلك عجزه وهكذا قل فيما يأتي .

(شاهد المديد)

يا لبكر اشبروا لي كلبيا يا لبكر أين أين الفرار

(شاهد البسيط)

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر والإقدام قتال

وبهذا تم الكلام على الدائرة الأولى .

ومن عجب أن بحر الطويل الذي هو أحد البحور الثلاثة في الدائرة المختلفة المتقدمة له نظير في علم الموسيقى قال : وما هو ؟ قلت : أذكرك بما تقدم وهو أن ألحان الغناء العربية لها ثمانية قوانين فلنترك الكلام على الثقيل الأول والثقل الثاني ولنحصره في الكلام على خفيف الثقيل الأول فنجده على هذا الوزن فعولن مفاعيلن (تنن تن ، تنن تن تن) ويسمون هذا (البحن الماخوري) وهو بمائل صياح الفاححة (ككوه كوه ككوكوكو)

إذن عندنا هذا الوزن في الشعر وفي الموسيقى وعند الطير ، فلنرجع إلى الدائرة المختلفة للتقدمة فماذا نجد
أنت من ينظم بحر الطويل يتم البيت بالسبع على هذه الدائرة أربع مرات فعوان مفاعيلن أي
أنه يأتي بخمس سواكن وسبع متحركات ويعيدها أربع مرات ، ولا فرق في ذلك بين الغنى وبين
من يقول :

أبا منذر كانت غرورا صديق ولم أعطكم بالطوع مالى ولا عرضي

يا سبحان الله : إذن قول الفاخرة ككوه كوه ألخ يجرى على هذه الدائرة ، إذن الغنى والطير والشاعر
كلها تجرى على هذه الدائرة في هذا المقام ، وبأعجاب . أليس هذا بعينه هو ما رأيناه الآن في سير الشمس
والقمر ووجوهه والسنين الكبيسة والبسيطة ، أفليست الدوائر الصغرى التي تبلغ نحو (٩٠) دائرة
من أيام الهجرة إلى الآن سارت كلها على نمط واحد ، فأى فرق لعمرك بين دائرة الحليل التي سماها
المختلفة وقد جاء فيها بحر الطويل المعائل للمساخوري في الشعر ولصباح الفاخرة وبين دائرة السنين
الكبيسة والبسيطة .

كل هذه أدوار منتظمة . أليس هذا هو الذي كنا نسمى لفهمه ونعرف ما يقوله أفلاطون أن علم الألمان
هو من قبيل علم الفلك لافرق بينهما ، وإن الإنسان إذا أدرك عجائب الوحدة والحساب أغرم بمبدع الكون
وأن أسماعنا مخلوقة لمعرفة نظام النعمات كما أن أبصارنا مستعدة لمعرفة نظام الحركات وبهذا عرفنا أن النعمات
وحركات الأفلاك كلها واحدة منتظمة .

وبهذا عرفت أيها الذكي ماجال بخاطري وأنا شاب في الحكاية السابقة في أول هذا المقام إذ ذكرني
بحركات الأفلاك نعمات الناديات وفهمت نفسي أن ذلك بكاه على موتها . ههنا الفطرة من غير تعليم انتقلت
من حركات النعمات إلى حركات الأفلاك . وهذا الذي حرك وجداني بطريق الوجدان والغريزة هو الذي
أجمله (سقراط) فيما تقدم وهو الذي فصلناه فيما قرأته الآن .

فلما سمع صاحبي ذلك قال : لقد شرحت صدري وشرحت الموضوع شرحا وافيا وعرفنا بهذا أن تقدير
العزير العليم كما سرى في الأفلاك سرى في نعمات الطيور وأشعار العرب وألحان الغناء . ولكن هل الفطرة
الصادقة خاصة بالعرب . قلت : كلا . اعلم أن الأمم كلها حكمها حكم أمة العرب ، وإذا وجدنا الطيور لها موسيقى
ونعمات هكذا نوع الإنسان كله له اصطلاحات وأوزان لا تخرج عن الأصول التي بينها ، وليست بحور الشعر
التي عددها (١٦) في اللغة العربية بشرط في النظم بل الفطرة الإنسانية فيها من الأوزان مالا حصر له
وهكذا المعاني .

فقال هاأنا ذا عرفت الدائرة المختلفة في علم الشعر فأريد أن أعرف بقية الدوائر ، فقلت له إن هذا
يخرج بنا عن المقام ، فقال ولكن أريد الإيجاز . فقلت : الدائرة الثانية تسمى للثلاثة وفيها الوافر والسكامل
والبيت يتم فيها بست مرات (انظر الدائرة الآتية) .

مبدأ الوافر



فالوافر مفاعلتين ست مرات والسكامل متفاعلتين ست مرات وهذا واضح .

﴿ شاهد الوافر ﴾

ونشرب إن وردنا الماء صفوا وينشرب غيرنا كدرا وطينا

﴿ شاهد السكامل ﴾

وإذا صحت لما أقصر عن ندا وكما علمت شمائل وتكريمي

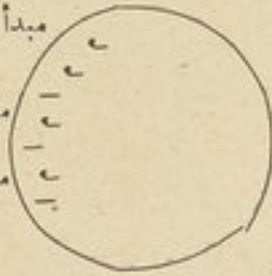
وبهذا تمت الدائرة الثانية وشواهدا

والدائرة الثالثة تسمى المختلطة والبيت فيها يتم بست مرات وفيها الهزج والرجز والرمل (انظر الدائرة الآتية) .

مبدأ الهزج

مبدأ الرجز

مبدأ الرمل



فهذه الأبحر الثلاثة من واد واحد كالوافر والسكامل في الدائرة الثانية ، فلا فرق بين مفاعلتين ست مرات في الهزج ولا مستفعلن ست مرات في الرجز كذلك ولا فاعلتين ست مرات في الرمل فكلها كأنها شيء واحد .

﴿ شاهد الهزج وهو مجزؤ ﴾

وما ظهري لباغى الضيم بالظهر التلول

مفاعلتين ثلاث مرات وبعدها فمعلن .

﴿ شاهد الرجز ﴾

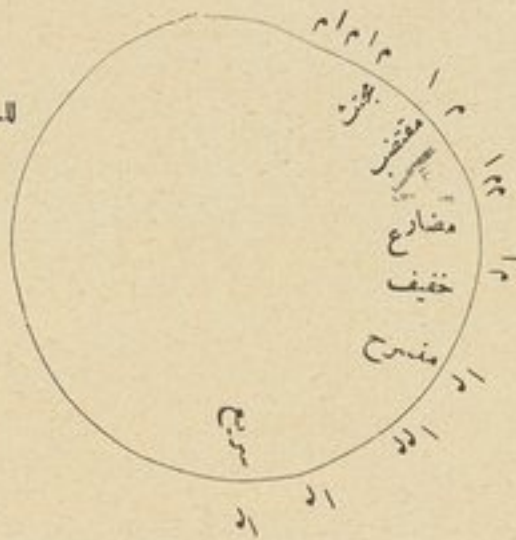
القلب منها مستريح سالم والقلب منى جاهد مجهود

فهذا صارت مستفعلن في آخره بوزن مفعول .

﴿ الرمل ﴾

قالت الحنساء لما جئتها شاب بعدى رأس هذا واشتهب
هو فاعلاتن فاعلاتن فاعلن مرتين ، وبهذا تم الكلام على الدائرة الثالثة وشواهدا
والدائرة الرابعة فيها السريع والمنسرح والحفيف والمضارع والمقتضب والمجث . والدائرة الخامسة فيها
المتقارب ويتلو ذلك كله بحر الحبيب الذى يشبه خيب الخيل (انظر الدائرة الآتية) .

﴿ فائدة ﴾
(م) للحرف المتحرك و (ا)
للساكن في هذه الدوائر الخمس



إن السريع بحسب أصله مستفعلن مستفعلن مفعولات ، والمنسرح مستفعلن مفعولات مستفعلن .
والحفيف فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن ، والمضارع مفاعيلن فاعلاتن مفاعيلن . والمقتضب مفعولات مستفعلن ،
والمجث مستفعلن فاعلاتن فاعلاتن .

﴿ شاهد السريع ﴾

أزمان سلمى لا يرى مثلها الراؤن في شام ولا في عراق

﴿ شاهد المنسرح ﴾

إن ابن زيد لا زال مستعملا للخير يفتى في مصره العرفا

﴿ شاهد الحفيف ﴾

خفف الوطء ما أظن أديم الـ أرض إلا من هذه الأجساد

﴿ شاهد المضارع وهو مجزوء ﴾

دعاني إلى سعاد دواعى هوى سعاد

(شاهد التقضب وهو مجزو أيضا)

أعرضت فلاح لها عارضان كالبرد

(شاهد المجتث وهو مجزو أيضا)

لم لا يبعي ما أقول ذا السيد السأمول

(الكلام على الدائرة السابعة - شاهد المتقارب)

فعوان ثمان مرات وأروى من الشعر شعرا عويضا ينسى الرواة الذي قد رووا

هي الشمس مسكنها في السما فمز الفؤاد عزاء جميلا
فلن تستطيع إليها الصعودا ولن تستطيع إليك النزولا



وبهذا تم الكلام على بعض الدوائر الفلكية ثم جميع الدوائر الشعرية التي أبدعها الخليل بن أحمد رحمه الله تعالى .

وبهذا ظهر لك أيها الذكي كيف أصبح علم الشعر وعلم الموسيقى وعلم الفلك من واد واحد فهي على مقتضى حساب منظم . ولما كان ظهور هذا التفسير موافقا لظهور كوكب جديد وراء نبتون وجب أن أبينه هنا ثم أتبعه بأشكال القمر وما يتبع ذلك إيفاء لحق المقام فأقول :

(الكوكب السيار الجديد)

جاء في جريدة (الأهرام) بتاريخ يوم الأحد (٣٠) مارس سنة ١٣٩٠ م مانصه

(بلاغ من مرصد حلوان)

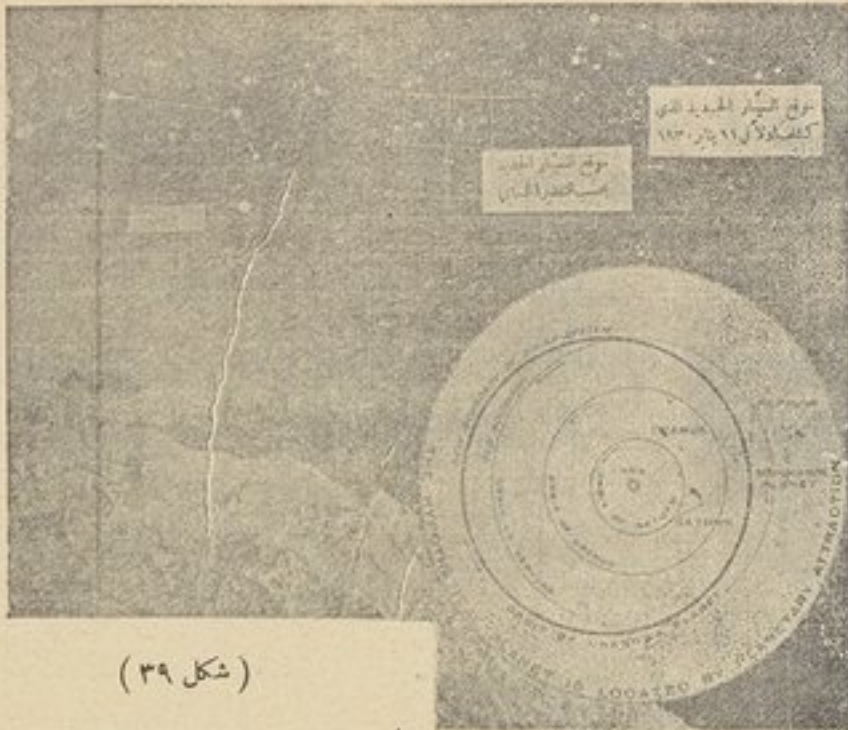
في ١٢ مارس الحالي اكتشف مرصد لول بمدينة فلاجستاف في الأريزونا بالولايات المتحدة الأمريكية كوكبا سيارا علويا جديدا وراء نبتون . ولهذا الاكتشاف أهمية عظيمة جدا للعلوم الفلكية ، فقد زاد عدد الكواكب السيارة بما في ذلك الأرض حيث يبلغ الآن عددها تسعة ، وقد اكتشف الكوكب الثامن نبتون في سنة ١٨٤٦ والسكوكب السابع أورانوس في سنة ١٧١١ .

وعند وصول هذا النبأ قد أخذ الدكتور محمد رضا مدور الفلكي للقيم بمرصد حلوان عدة ألواح

فتوغرافية بواسطة نظارة رينولدز العاكسة البالغ قطرها (٣٠) بوصة وقد ثبت جليا وجود الكوكب الجديد في الألواح المعرضة لموقع الكوكب مدة ساعة من الزمن في الليالي الآتية (١٨ و ٢٤ و ٢٧ مارس) .

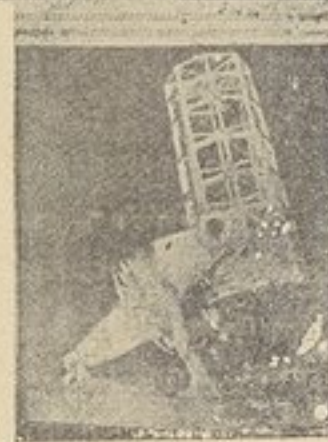
وهذا الكوكب ضئيل العمان حيث يبلغ قدره الفلكي نحو (١٥ر٠) فهو بذلك ألف مرة أقل لمعانا من الكوكب نبتون وهو يقع في برج التوأمين بالقرب من النجم اللامع ولكنه لا يمكن أن يرى بالعين حتى ولو استعمل أكبر منظار ، ولا بد أن يمضى بعض الزمن حتى يمكن حساب حجمه وكتلته ولكن المقادير الابتدائية تثبت أنه أكبر من الأرض وأصغر من أورانوس . ويبلغ بعده عن الشمس نحو (٤٥) مرة بعد الشمس عن الأرض . وقد دلت الفروق الصغيرة في حركات الكوكب أورانوس أنه لا بد من وجود كوكب تاسع بسبب هذه الاختلافات . وقد عمل الدكتور لول مؤسس المرصد المذكور آنفا حسابا لموقعه في السماء غير أن هذا الاكتشاف يرجع إلى البحث النظم بواسطة النظارات الفوتوغرافية منذ (٢٥) سنة تقريبا هـ .

وسترى في الصحيفة الآتية رسم خريطة نجمية تبين موقع السيار الجديد في صورة التوأمين وموقعه للقدر بالحساب قبل اكتشافه في برج السرطان وموقع السيار نبتون في صورة الأسد ، وفي الدائرة رسم مصغر للنظام الشمسي تظهر فيه الشمس في المركز إلى آخر ما ذكر هناك . وكذلك صورة للكوكب الكبير الذي اخترع حديثا . وسترى أيضا في الصفحات الآتية بعد ذلك صور أشكال أوجه القمر المختلفة .



(شكل ٣٩)

خريطة نجمية تبين موقع السيار الجديد في صورة التوأمين وموقعه المقدر بالحساب قبل اكتشافه في برج السرطان وموقع السيار نبتون في صورة الأسد في الدائرة رسم مصغر للنظام الشمسي تظهر فيه الشمس في المركز ولا تظهر أفلاك عطارد والزهرة والأرض والمريخ والنجبات والمشتري لأنها على هذا القياس قريبة جدا من الشمس فيتعذر رسمها هنا وبلى ذلك فلك زحل ثم فلك أورانوس ثم فلك نبتون الذي كان إلى أوائل هذه السنة حد النظام الشمسي المعروف ثم يظهر أفلاك السيار الجديد بخط ثخين .



صورة للتلسكوب الكبير الذي أشرنا إليه غير مرة في المقطف وسيكون له مرآة من السكوارتز الصهور قطرها مائتا بوصة أي مضاعف قطر المرآة في أكبر تلسكوب بنى حتى الآن . ويتنظر أن تبلغ نفقائه ستة ملايين ريال أو مليون جنيه ومائتي ألف جنيه .

في ٢١ يناير سنة ١٩٣٠ كشف الستر كليد تمبو وهو مساعد حديث السن انضم من عهد قريب إلى مرصد لول بأرزونا . في صورة فوتوغرافية عن شبح ضئيل لجسم سموي متحرك . وكان موقعه في صورة التوأمين على

نحو خمس درجات من الموقع الذي عينه الأستاذ برسكال لول بالحساب الرياضى للسيار المجهول خارج فلك نبتون. فاحتفظ علماء مرصد لول برهذا الاكتشاف سبعة أسابيع والوفاي أثنائها البحث والتحقيق للتثبت من أن هذا السيار يدور حقيقة في فلك خارج فلك نبتون إذ ليس ما يمنع أن يكون إحدى النجيمات العديدة التي تدور بين المريخ والمشتري ، وأخيرا ثبت لهم أنه سيار جديد وراء نبتون وأن فلسفه يتفق تقريبا مع الفلك الذي تنبأ به لول أما بعده عن الشمس فنحو ٤٥ ضعف بعد الأرض عنها أى نحو ٤٢٠٠ مليون ميل . وعلى هذه المسافة لا يصله من نور الشمس وحرارتها إلا جزء من ألفى جزء مما يصلنا منها انتهى من مقتطف مايو ١٩٣٠ .

أشكال القمر

في مدة دورة اقترانية يأخذ البعد الزاوى لمركز القمر عن مركز الشمس مقدرًا على الطول جميع المقادير من ٠ إلى ٣٦٠° وفي هذه المدة يكون على وجه العموم قرصه المستدير مكونًا من جزأين : أحدهما مستدير والآخر مظلم ، وشكل هذين الجزأين ومقدارهما النسبي متغير دائمًا ومنهما تتكون الظواهر المعروفة باسم أشكال القمر : ويبان ذلك أنه متى لم يكن القمر منظورا ليلًا ولا نهارًا يقال له في حالة المحاق أو الاقتران أو الاجتماع أو التوليد . وسبب عدم رؤيته أن وضعه مجاور جدًا في الظاهر للفحل الذي تشغله الشمس في السماء فيوجه نحو الأرض نصف كرتيه للمظلم المحجوب عن الأشعة الشمسية ويمكث خفاء القمر يومين أو ثلاثة أيام ، لكن لحظة الاقتران الضبوظة التي يستدل عليها من السنوات الفلكية تحصل متى كان للشمس والقمر طول واحد ، وفي اليوم الثانى أو الثالث بعد تلك اللحظة ^(١) يظهر القمر ليلا بعد غروب الشمس بمدة قليلة على شكل هلال رفيع (شكل ٤٠) تحديه نحو القطعة التي توجد فيها الشمس تحت الأفق وبسبب الحركة اليومية يغرب القمر بعد قليل في الأفق الغربى . وفي اليوم التالى تحصل الحالة بعينها ، غير أن الجزء المستدير يكون أعظم وحيث أن القمر يكون بعيدا عن الشمس أكثر من بعده عنها في اليوم السابق يتأخر غروب القمر عن اليوم السابق ، وفي اليوم الرابع (شكل ٤١) بعد الاقتران يغرب بعد الشمس بثلاث ساعات وشكاه بعد اليوم الرابع من الاجتماع يسمى التربيع الأول (انظر شكل ٤٠ و ٤١) .



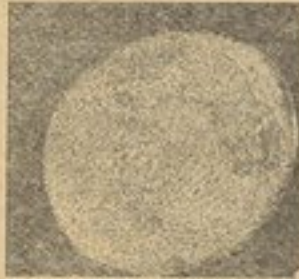
(شكل ٤٠ - الوجه الأول للقمر) (شكل ٤١ - اليوم الرابع للقمر)

ثم ينمو الهلال شيئًا فشيئًا ، وبين اليوم السابع والثامن من لحظة الاجتماع ليظهر لنا القمر على شكل

(١) هيفيلوس يقول إنه لم ير القمر إلا بعد ٤٠ ساعة من الاقتران و ٢٧ ساعة قبله بحيث أن النهاية العظمى لمدة خفائه تكون ٦٧ ساعة وهذه المدة تختلف على حسب الأقاليم وعلى حسب عرض القمر .

نصف دائرة ويرى مدة في النهار (شكل ٤٢) والحركة اليومية لاتأني به في مستوى الزوال إلا بعد مرور الشمس به بست ساعات تقريبا .

وبين التريبع الأول والبدر تمشى سبعة أيام أخرى عضوونها يقرب الجزء المستدير شيئا فشيئا من أن يصير دائرة تامة (انظر شكل ٤٣) ويتأخر شروق وغروب القمر شيئا فشيئا في مسافة هذه المدة مع كونه موجها



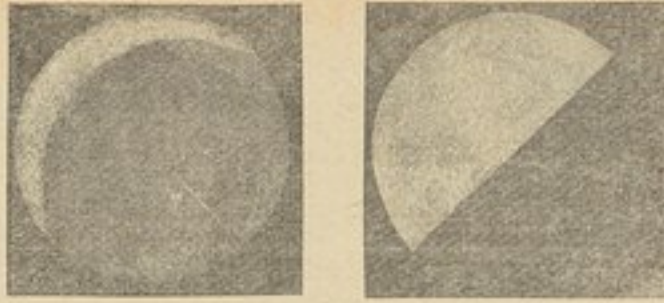
(شكل ٤٢ - القمر في التريبع الأول) (شكل ٤٣ - القمر بين التريبع الأول والبدر)

دائما نحو الغرب الجزء العلوى من قرصه وبعد الاقتران بخمسة عشر يوما تقريبا يظهر لنا قرصه مستديرا بأكمله (شكل ٤٤) وحينئذ تكون لحظة شروقه هي تقريبا لحظة غروب الشمس التي تشرق عند غروبه ومضى ارتقى القمر إلى أعلى نقطة من سيره أعنى مر بمستوى الزوال يكون نصف الليل ووقتئذ يمر الشمس تحت الأفق بمستوى الزوال الأسفل بحيث يكون القمر مقابلا للشمس بالضبط بالنسبة للأرض .



(شكل ٤٤ - البدر) (شكل ٤٥ - القمر بين البدر والتريبع الأخير)

وبعد ذلك يتناقص على التوالي الشكل للمستدير المستدير للقرص وينتهي بأن يظهر كما كان في أول الأمر على شكل هلال رفيع جدا تحدبه جهة الشرق بحيث يكون نصف الدائرة المحدد للجزء المستدير موجها دائما نحو الشمس ، وفي وسط المسافة التي تفصل البدر عن الزمن التالي له يكون للقمر شكل كالذى كان له في التريبع الأول غير أنه موضوع بعكسه ويسمى التريبع الثانى أو الأخير وفي هذا الجزء الثانى من الزمن القمري يقرب الوضع الظاهري للقمر في السماء شيئا فشيئا من موضع الشمس وقريبا من الأيام الأخيرة يسبق شروقها بمدة قليلة جدا حتى يدخل من جديد في أشعتها ويختفى ليعود قمرا جديدا (انظر شكل ٤٥ و ٤٦ و ٤٧) .



(شكل ٤٦ - التربيع الأخير) (شكل ٤٧ - القمر بين التربيع الأخير والهِلال)

﴿ الضوء الرمادى ﴾

قد قلنا إن الجزء المستضيء من القمر الذى تثيره الشمس مباشرة يتغير شكله فى مدة الدورة الكاملة للقمر من ابتداء الهلال الرفيع المضيء والشكل الأخير لعاية الدائرة الكاملة التى يظهرها الكوكب فى مستويه. وأما الجزء المظلم من هذا القرص فيظهر فى بعض أشكاله ضوء ضعيف جدا يسمى الضوء الرمادى (شكل ٤٠) ويسهل رؤيته بالعين العارية وجميع العالم يمكنهم أن يروه قبل أو بعد الحاق ببعض أيام حيث يكون القمر وقتئذ هلالا وجميع جزء نصف الكرة للوجه نحونا والذى لم يتأثر بالأشعة الشمسية يرى مع ذلك متميزا بحيث يحدد الدائرة الكاملة للقرص ، والضوء الرمادى يرى مادام الهلال ولا يختفى مطلقا قبل التربيع الأول ويرى بعد التربيع الأخير بقليل ولا يختفى إلا باختفاء القمر وشدة الضوء الرمادى ربما تكفى فى تمييز كلف القمر بالعين العارية .

﴿ أسباب الضوء الرمادى ﴾

قد كان الأقدمون من الفلكيين يعتبرون أن هذا الضوء ناتج من نوع تفصفر^(١) لسطح مادة القمر لكن ذلك قد بطل اليوم وعلم أن الضوء الرمادى هو ضوء الأرض منعكسا على القمر من الأجزاء المستضيئة منها ، وذلك أن الأرض يجب أن ترى من القمر بالأشكال التى يرى بها القمر من الأرض بالضبط لكن هذه الأشكال تكون بعكس أشكال القمر ، لأن وقت الحاق توجه الأرض جزءها المستدير بأكماله نحو نصف الكرة المظلم من القمر بحيث إن نصف الكرة المذكور يتلقى بواسطة الانعكاس جميع الضوء الذى ترسله الشمس إلى الكرة الأرضية ، وحيث إن السطح الظاهرى للكرة الأرضية منظورا من القمر هو أكبر من قرص القمر بنحو ثلاثة عشر مرة تقريبا فيعلم أن ضوء الأرض يجب أن يعطى للبالى القمر ضوءا أعظم مما يصل إلينا من ضوء القمر وأجزاء نصف كرة الأرض المستدير منظورة من القمر تكون مع ذلك قليلة كلما كان القمر بعيدا عن الوضع الذى يشغله فى وقت الاجتماع ، ومن ذا يعلم سبب عدم ظهور الضوء الرمادى بين التربيع الأول والأخير ، وحينئذ فالضوء الرمادى ليس شيئا آخر سوى انعكاس ضوء الشمس المنبعث مرة أولى من الأرض على القمر ثم مرة ثانية من القمر على الأرض . انتهى ما أردته من كتاب الفلك الحسى بك .

﴿ المنازل والبروج ﴾

وكيف كان سير الشمس والقمر فهما بحساب لا خلل فيه على مقتضى الشهور الرومية مثل يناير فبراير وهكذا ، أو الشهور السريانية مثل أبول تشرين الأول تشرين الثانى وهكذا : والموازنة بينهما وبين الشهور

(١) التفصفر : كناية عن مادة فصفورية فى القمر .

القبطية مثل توت بابه هاتور كهك طوبة أمشير وهكذا . وبيان أن أسلافنا منذ قرون جعلوا بينها جميعا موازنة بحيث إذا عرف الإنسان حساب الشهر القبطي كأهل مصر ، أو الرومي كأهل أورربا أو السرياني كغيرها أمكنه أن يستخرج بكل سهولة نظائرها من الشهور الشمسية . وكذلك القمرية عند العرب واليهود وهكذا يعرف أين تنزل الشمس من منازلها البالغة (٢٨) منزلة وهي الشرطان والبطين والثريا الخ . وأين هي في بروجها البالغة ١٢ برجا . ثم كيف نظم الناس أعمالهم على مقتضى ذلك النظام كأن يبدروا البرسيم ونحوه في شهر بابه ويحصدوا الأرز ويحنوا الرمان ويستخرجوا دهن الآس واللينوفر وهكذا في شهر توت قبله ويعرفون أن أوله يسمى النيروز وهو رأس السنة القبطية . وفي (٧) منه يلقطون الزيتون . وفي (١٧) منه تفتح أكثر الترع بمصر . وفي (١٨) منه يبتدىء فصل الحريف . وفي (١٩) منه تهيج السوداء في البدن . وفي (٢١) منه يبتدىء بيض النعام . وفي (٢٨) منه يذهب الحر . وفي (٢٩) منه يكون أول رعي الكراكي . وفي (٣٠) منه يزرع الهليون . وهكذا بقية الشهور قد وزعت عليها أعمال الحياة الإنسانية والحيوانية والنباتية .

ولما كان هذا اللقاع لا يسع ذلك أرجأته لأكتبه مفصلا موضحا في (سورة الزمر) في آية «خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ، ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى» الخ مع آية «ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ، ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه» الخ وهذا هو السر في أن آيات الزرع متصلة بآيات سير الشمس والقمر في كثير من الآيات . ألا ترى إلى قوله هنا في (سورة ق) «وآية لهم الأرض الميتة أحييناها» الخ ثم أتبع ذلك بالشمس والقمر والليل والنهار وإلى قوله تعالى في (سورة ق) «أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم» الخ ثم يتبع ذلك بقوله «والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي ، وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى» الخ وهكذا في (سورة الرحمن) «الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان» والنجم هو ما لاساق له من الزرع والشجر ماله ساق ، فسجد هذين النوعين مبنى على حساب الشمس والقمر قبلهما كزرع البرسيم في شهر بابه وحصد الأرز وحنى الرمان ولقط الزيتون في شهر توت قبله وزرع الهليون في آخره وهكذا ماتقدم وما سيأتي في (سورة الزمر) قريبا إن شاء الله تعالى .

الكلام على حساب الشهور القمرية إبقاء لبعض ما تقتضيه هذه الآيات

جاء في كتاب صبيح الأعشى مانصه :

إن أردت أن تعرف أول يوم من شعبان وكان أول المحرم يوم الأحد مثلا فتعد من أول المحرم إلى شعبان وتدخل شعبان في العدد فيكون ثمانية أشهر فتقسمها نصفين يكون نصفها أربعة فتضيف الأربعة إلى الثمانية تكون اثني عشر ، ثم تبتدىء من يوم الأحد الذي هو أول المحرم فتعد الأحد والاثني والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة والسبت ، ثم الأحد والاثني والثلاثاء والأربعاء والخميس فيكون اثني عشر في يوم الخميس فيكون أول شعبان يوم الخميس . ومثاله في الكسور النصف إذا أردت أن تعرف أول رمضان أيضا وكان أول المحرم الأحد كما تقدم فتعد ماضى من شهور السنة وتعد منها رمضان يكون تسعة أشهر فتقسمها نصفين يكون نصفها أربعة ونصفا فتكملها بنصف تصير خمسة فتضيفها إلى الأصل المحفوظ وهو تسعة يكون المجموع أربعة عشر ، ثم تبتدىء عدد الأيام من أول المحرم ، وهو الأحد كما تقدم فيكون انتهاء الرابع عشر في يوم السبت فيكون أول رمضان يوم السبت .

ومن الطرق العترة في ذلك أن تنظر في الثالث من أيام النسيء من شهور القبط كم يوما مضى من الشهر العربي فما كان جعلته أصلا لتلك السنة . فإذا أردت أن تعرف أول شهر من الشهور العربية ، أو كم مضى من

الشهر الذي أنت فيه . فخذ الأصل المحفوظ معك لتلك السنة ، وانظر كم مضى من السنة القبطية شهرا فخذ لكل شهرين يوما ، فان انكسرت الأشهر وجاءت فردا فاجبرها بيوم زيادة حتى تصير زوجا . وزد على ذلك يومين أصلا أبدا، ثم انظر كم يوما مضى من الشهر القبطي الذي أنت فيه فأضفه على ما اجتمع معك ، وأسقط ذلك ثلاثين ثلاثين فما بقي فهو عدد ماضى من الشهر العربي . ومنه يعرف أوله .

ومثال ذلك نظرت في الثالث من أيام النسيء ، فوجدت الماضى من الشهر العربي ثلاثة أيام فسكانت أصلا لتلك السنة ثم نظرت في الشهور القبطية فوجدت الشهر الذي أنت فيه أمشير مثلا فتعد من أول شهور السنة القبطية (وهو توت) إلى أمشير يكون ستة أشهر فتأخذ لكل شهرين يوما تكون ثلاثة أيام فتضيفها على الأصل الذي معك من أيام النسيء . وهو ثلاثة تصير ستة فزد عليها اثنين يصير المجموع ثمانية . ثم تنظر في الشهر القبطي الذي أنت فيه : (وهو أمشير) تجده قد مضى منه يومان فتضيفها على المجموع يكون عشرة وهو الماضى من الشهر العربي الذي أنت فيه ومنه يعرف أوله . هـ .

﴿ حساب الشهور القمرية أيضا ﴾

وهذا نصه :

لقد قرأت الجدول الآتى في كتاب العقد الفريد للملك السعيد وحسبت بمقتضاه أول شهر رمضان المعظم في السنة الماضية سنة ١٣٤٨ هـ فكان موافقا لما جرى عليه العمل فأردت إثباته هنا :

فإذا أردت العمل به فخذ جميع سنى الهجرة من أولها مع السنة التي تريد معرفة أول شهرها ومواسمها فنسقط ذلك كله مائتين وعشرة مائتين وعشرة إلى أن يبقى أقل من مائتين وعشرة فتنتظر في جدول الأعداد في بيوت العشرات وفي بيوت الآحاد بجانب الجدول من يمينه طولاً في العشرات وأعلى الجدول في الآحاد ، فالآحاد من الواحد إلى العشرة ، والعشرات إلى المائتين وعشرة فتنتظر إلى القدر الباقى بعد إسقاط عشراته في العشرات وآحاده في الآحاد فتوضع أصبع على البيت الذي فيه تلك العشرات وأصبع على البيت الذي فيه ذلك العدد من الآحاد ثم تمر الأصبع في السطر الذي بإزاء تلك العشرة عرضاً وتنزل الأصبع في السطر الذي تحت ذلك العدد من الآحاد طولاً حيث التقت الأصبعان في بيت واحد ينظر ما في ذلك البيت من الأسماء والصفات السلطانية فيحفظ ثم ينظر في الجدول المعمول للشهور ويعتبر أعلاه فينظر ذلك الاسم والصفة المحفوظة فإذا ظهر في على الجدول فتوضع الأصبع عليه ثم ينزل في السطر الذي تحته إلى محاذة الموسم أو الشهر المطلوب معرفة أوله إن كان شهراً أى يوم هو أو إن كان موسماً فما كان في محاذاته فهو المطلوب واعتبار ذلك أنه إذا أريد معرفة شعبان من سنة أربع وأربعين وسبعمائة ومعرفة ليلة نصفه ومعرفة أول شهر رمضان فنسقط سنوات الهجرة مائتين وعشرة مائتين وعشرة فنسقط سبعمائة وثلاثون ويبقى أربعة عشر ففي الآحاد أربعة وفي العشرات عشرة واحدة ، فإذا وضعت أصبعاً على العشرة الواحدة ثم مررت في الوسط للوازي لها ووضعت أصبعاً على الأربعة ثم نزلت إلى محاذة العشرة الواحدة التقت الأصبعان في بيت واحد فيه الإسم الكريم السلطاني نصره الله وهو يوسف فيحفظ لازال في حفظ الله جل وعلا ثم ينظر جدول الأشهر فيوجد الاسم الكريم المحفوظ في الطرف الأيسر من السطر الأعلى منه فتوضع الأصبع بإزائه وتنزل إلى محاذة شهر شعبان فيوجد في محاذة اسم أوله وهو يوم الأربعاء ومحاذة نصفه تحت يوم الأربعاء ومحاذة أول رمضان تحت يوم الخميس ومحاذة أول شوال تحت وهو يوم العيد يوم السبت وهكذا طريق العمل به دائماً (انظر الجدول المذكور في الصفحة التالية والتي بعدها).

الأعداد أحاد وعشرات	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
عشرة	خدمة	الناصر	المولى	خدمة	الملك	يوسف	المولى	الناصر	خدمة	الناصر
عشرين	المولى	يوسف	الناصر	السلطان	خدمة	الملك	يوسف	المولى	خدمة	المولى
ثلاثين	الملك	خدمة	الملك	الناصر	يوسف	السلطان	الناصر	الملك	خدمة	الملك
أربعين	السلطان	الناصر	السلطان	خدمة	الناصر	المولى	يوسف	الناصر	السلطان	السلطان
خمسين	يوسف	الناصر	الناصر	خدمة	الملك	الملك	يوسف	المولى	الناصر	الناصر
ستين	المولى	الملك	يوسف	السلطان	الناصر	خدمة	الملك	الملك	الملك	المولى
سبعين	السلطان	خدمة	المولى	الملك	يوسف	السلطان	الناصر	الناصر	السلطان	خدمة
ثمانين	الناصر	السلطان	السلطان	يوسف	المولى	الملك	يوسف	السلطان	الناصر	السلطان
تسعين	يوسف	الملك	الناصر	خدمة	السلطان	الملك	المولى	الملك	يوسف	الملك
مائة	المولى	الملك	يوسف	المولى	الناصر	خدمة	السلطان	الملك	الملك	المولى
مائة وعشرة	السلطان	خدمة	الملك	الملك	يوسف	المولى	الناصر	الناصر	الملك	خدمة
مائة وعشرين	الناصر	المولى	السلطان	خدمة	الملك	الناصر	يوسف	الناصر	المولى	الناصر
مائة وثلاثين	يوسف	الملك	الناصر	السلطان	الملك	خدمة	الملك	الملك	الملك	الملك
مائة وأربعين	خدمة	السلطان	المولى	الناصر	يوسف	الملك	السلطان	الملك	الملك	خدمة
مائة وخمسين	السلطان	يوسف	الملك	الملك	المولى	الملك	الملك	الملك	السلطان	يوسف
مائة وستين	الناصر	المولى	السلطان	الناصر	خدمة	الملك	الملك	المولى	الملك	المولى
مائة وسبعين	الملك	الملك	المولى	يوسف	السلطان	الناصر	خدمة	الملك	الملك	الملك
مائة وثمانين	خدمة	الناصر	الملك	المولى	الملك	يوسف	السلطان	الناصر	الملك	الناصر
مائة وتسعين	السلطان	يوسف	الناصر	السلطان	المولى	الملك	المولى	الملك	السلطان	يوسف
مائتين	الملك	المولى	الناصر	الناصر	خدمة	السلطان	يوسف	المولى	الملك	المولى
مائتين وعشرة	السلطان	الملك	يوسف	المولى	المولى	الناصر	خدمة	السلطان	الملك	السلطان

أسماء الشهور	خدمة	المولى	السلطان	الملك	الناصر	صلاح الدين	يوسف
الحرم	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت
عاشوراء	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين
صفر	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد
ربيع أول	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء
ربيع آخر	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس
جمادى الاولى	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة
جمادى الآخرة	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد
رجب	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين
شعبان	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء
الصف	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء
رمضان	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس
شوال	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت
ذو القعدة	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد
ذو الحجة	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء
لوقمة	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء
عيد الاضحى	الجمعة	السبت	الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس

العلم هو أعلى السعادات لنوع الإنسان

هو العلم الذى أرانا أن :

- (١) السنين الكبيسة والسنين البسيطة دوائر منتظمة متعاقبات كدوائر الشعر والموسيقى ونعمات الطيور ، وأن نعمات الطيور تسير على دوائر كما تقدم فى الدائرة الأولى من دوائر الخليل .
- (٢) التى فيها بحر الطويل المائل .
- (٣) لصياح الفاخنة .
- (٤) ولنظيره من الذى يسمونه الماخورى فى علم الموسيقى .
- (٥) ومن دوائر الكسوف والخسوف من حيث مواعيد وقوعها كالتى قبلها .
- (٦) ويتبع ذلك أن القمر وجوها تتكرر كل شهر ففى إذن أشبه ببحر من الشعر ذى أوزان تتكرر فى كل سنة (٩٦) مرة .
- (٧) وهكذا دوائر الكواكب المعروفة ومنها (الكوكب الجديد السيار) فسكاتها تم دائرتها ثم تعود كما يفعل الشاعر فى شعره والغنى فى غنائه . إن الله عز وجل يفعل فى فسكه من سير الكوكب وحسابه ما يفعله الشاعر والموسيقى ، وفعل الله فى نظام العناصر وفعل الإنسان والطيور فى نظام الحروف والنتيجة تتبع المقدمات اه .

بهجة العلوم فى هذا المقام

(كتب قبيل الفجر ليلة الخميس ٢٦ يونيو سنة ١٩٣٠)

اعلم أن النعم فى هذه الحياة الدنيا إما مادية وإما معنوية ، فالمادية كالمأكل والملابس وكل ما يملكه الإنسان ، والمعنوية كالعلوم والعارف ، ومنها علم الفلك وبقية الرياضيات والطبيعات وهكذا . ولا تخلو حال النعم عليه من واحدة من ثلاث خصال : إما أن يكون من العامة ، وإما أن يكون من الخاصة ، وإما أن يكون من خاصة الخاصة . فإن كان من العامة فهذا تكون سعاده بالنعمة وقتية وفرحه بها فرح زائل فيكتفى من المآكل بما ينظرها والاستلذاذ بطعمها والافتخار بمحوز الفاكهة والحلوى ومفاخر الأطعمة وأن يذكر الناس أنه غنى ذو مال كثير وهكذا فى ملابسه وكل ما يملكه من عقار ونصار وخيل وأنعام وصيت وذكر ، ودولة وإن كان من الخاصة فهذا لا يعنيه من المآكل إلا ما به يصح جسمه ولا من الملابس إلا ما يلبس له وهكذا فهذا ينظر للنافع فى حد ذاتها ويضرب بطواهر اللذات عرض الحائط وهكذا فى كل ما يملك فهو لا يسالى إلا بحفظ نفسه وإسعاد أمته والتعاون والتحاب بالمهدايا والتحف للأهل والإخوان . ولا يكتفى من علم الفلك بحساب السنين والشهور من حيث ظواهرها كالفريق الأول . ولا فى علم الموسيقى بطواهر النعمات التى يتسلى بها العامة والجهلاء كذلك بل يتعمق فى النظر وينتقل من النعمات المسموعات ومن ظواهر حساب السنين والشهور إلى أسباب ذلك من تلك النسب البديعة وأنواع الحساب الدقيقة ويعجب من دقتها ونظامها ونظام كل حساب فى علم الكيمياء والطبيعة ونظام الأجسام الحيوانية وحسن اتساقها . فهناك يرى نظاما واحدا ثابتا لا خلل فيه فهذه موسيقى علمية يطرب بها طربا لانهائية له ، فإن فسك فى الأفلاك أو فى الأجسام الحيوانية

أو تركيب الهواء ، ولما رأى نظاما واحدا يرجع كله إلى النسبة والتناسب ، وهذه النسب كلها متشابهات لا فرق فيها بين نعمات الطيور وأشعار الشعراء وسير النجوم وحساب سنيها . وإن يعرف ذلك حق معرفته أحد إلا من درس جميع هذه العلوم بجدّ وشوق أو اطّلع على هذا التفسير أو أكثره فهو مشحون بهذه العجائب ؛ مثلا بحر للتقارب في علم الشعر الذي تقدم وزنه فعول ثمان مرات . ومعنى هذا أنه هكذا : ثلاث متحركات وساكنان ثمان مرات (وبعبارة أخرى) نسبة (٣) إلى (٢) كنسبة (٦) إلى (٤) كنسبة (٩) إلى (٦) كنسبة (١٢) إلى (٨) كنسبة (١٥) إلى (١٠) إلى آخره ، وحاصل ضرب الطرفين يساوي حاصل ضرب الوسطين ، فإذا نسبت ثمن البيت إلى البيت كله كان هكذا : نسبة (٣) إلى (٢) كنسبة (٢٤) إلى (١٦) وضرب (٣) في (١٦) يساوي (٤٨) وضرب (٢) في (٢٤) يساوي (٤٨) وعلى هذا أبدا فقس . هكذا إذا أتيت ببحر الطويل وهو في الدائرة الأولى ونسبت ربع البيت إلى البيت كله كان هكذا نسبة (٧) متحركات إلى (٥) ساكنين وهي (فعولان مفاعيلن) كنسبة (٢٨) إلى (٢٠) وضرب (٥) في (٢٨) يساوي ضرب (٧) في (٢٠) ولا جرم أن نفس هذا البحر كما تقدم هو ضرب من ضروب الموسيقى وهو السمي الماخوري فالحساب واحد وهو نفسه صوت الفاخنة . إذن أصبح الشعر والموسيقى ونعمات الطيور علما واحدا وبضمها إلى علم الفلك تصبح كلها نسبا متحدة وهذا لا يصعب عليك بعد ما قدمناه لأنك إذا نسبت السنين الكبيسة إلى السنين البسيطة في الأدوار الصغيرة للتقدمة ترجع في نهاياتها إلى ما رأيت من الشعر والموسيقى ونعمات الطيور فإنك تقول نسبة (١١) إلى (١٩) كنسبة (٢٢) إلى (٣٨) وهكذا إلى ما لا نهاية له ، ولا جرم أن حاصل ضرب (١٩) في (٢٢) يساوي حاصل ضرب (١١) في (٣٨) وعلى هذا فقس في جميع العلوم . وإذا نظر الحكيم إلى علوم الطبيعة ولو احقها بجدّ أمورا عجيبة طبيعية فانه يجد الحديد مثلا والمغنسيوم والجير والسكرت هذه الأربعة كلها لها منافع في جسم الانسان ، فالحديد يجعل الدم أحمر ويمنع فقر الدم ، والمغنسيوم يقوى العضل ويمنع الفتق ، والجير يغذي العظم ويشفي الجروح ، والسكرت ينظف الدم ويمنع الروماتيزم . ثم يجد أن النباتات قد فرقت هذه العناصر عليها . ويجد أمثال السبانخ والطماطم التي تؤكل غير مطبوخة قد جمعت ذلك كله فيها جميع هذه العناصر ومنافعها ، وتزيد السبانخ بأن فيها الفسفور الذي يغذي اللب كما يغذي سمك البحر وفيها الكلورين الذي يعين على الهضم وينظف المعدة كما ينظفها الصابون وذلك بشرط ألا تطبخ أكثر من خمس دقائق كما تراه في كتاب ويلسكوكس الإنجليزي . فكما يرى في العلوم الرياضية نسبا هندسية يرى نظيرها في تركيب الأجسام الطبيعية ويزيد عليها نظام منافعها وعجائب إبداعها فيدهش الاتقان المحكم ويعجب من حديدومغنسيوم وجير قد فرقت في الأرض ووضعت لها نظام خاص تقدم شرحه في (سورة العنكبوت) فهناك جدول عجيب لجميع العناصر . ثم يرى أنها لا ينتفع بها الإنسان ولا الحيوان إلا بعد أن تمر على النبات فيرى أن النباتات التقطت تلك العناصر فأدخلتها في جسمها وانتقلت منها إلى مخ الانسان وإلى عظمه وإلى عضلاته ، فهناك يدخل في بحر لجي لا ساحل له .

هذه هي آراء الخواص . أما آراء خواص الخواص وهي أعلى طبقات هذا النوع الإنساني فهؤلاء بعد أن يقاسوا ما يقاسون من الشاق في الحياة والعمل لها ولرقي النوع الإنساني يرجعون إلى أساس تلك القوانين فتلح نفوسهم أن ورائها حكمة وعلما ورحمة ورأفة وإبداعا وإتقانا وإحسان النقش والتصوير . وأن هذا الحساب والنقش والتصوير ورائها حاسب مصور متقن وليس ذلك مجرد خواطر كما يخيل لمن يقرأ ما أكتبه الآن . كلا . بل يكون نسبة هذه العلوم إلى ما ورائها كنسبة هدية الملك إلى مجالسته والأنس به فمن أقبل

عليه الملك وجالسه أوفر حظاً ممن أهدى إليه الهدايا ولم يره أهلاً لمجالسته والأنس به «وللاخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضى» هذا إيضاح هذا المقام والحمد لله رب العالمين .

اللطيفة الخامسة

(في قوله تعالى «سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض
ومن أنفسهم وما لا يعلمون»)

وإنما أخرناها إلى هنا وإن ذكرت بين الكلام على الأرض والشمس لأنها نتائج السموات والأرض
الله منزّه عن المادة بل التحقيق أن لامادة في هذا الوجود وما هو إلا حركات في موجود سموه (الأثير)
فإنه تباعد عن المادة كما تباعد السابغ في البحر . يا عجباً الله منزّه عن المادة ومن شأن الجليل ألا يصدر منه
إلا ما هو جميل . لذلك لم تسكن هناك مادة غليظة . كلا . بل ذلك الأثير . وما هو الأثير ؟ باليت شعرى :
هو أمر يشبه الأمور الروحية فرضه العلماء في عصرنا أو هو كالذى نحس به في خيالنا من أمر موجود
ألطف من المادة .

العلم الآن وفيما مضى عند القدماء قد نفي المادة بتاتا وقال . (ليست هذه الأرض ولا الماء ولا الهواء ولا
النجوم ولا المجموعة الشمسية ولا المجرة ولا المجرات الأخرى ولا السدم التى كشفت حديثنا في عصرنا إلا
حركات في ذلك الأثير . وبعبارة أخرى : إن هناك نقطا ضوئية وتلك النقط الضوئية ناجمة من كهرباء سالبة
وأخرى موجبة يدور سالبها حول موجبها في الثانية الواحدة نحو ستة آلاف مليون مليون مرة فتظهر تلك
النقط كأنها شجر وحجر وجبل وحمل وتختلف للظواهر باختلاف عدد الدورات في الثانية الواحدة . وهذا
الموضوع ظاهر ظهورا بينا في (سورة النور) عند آية (الله نور السموات والأرض) إذ ظهر هناك أن نقطة
الماء مركبة من جواهر نحو عدد نجوم السماء المعروفة الآن وكلها مركبات من تلك الأضواء الكهربائية الدائرة
حول بعضها .

فإنه لما منزّه عن المادة لم يشأ أن يجعل لها حقيقة ما بل جعل لها (طرفين : أحدهما) من جهة الحقيقة
الثابتة فلم يكن إلا النور والحركات (وثانيتها) من جهة حواسنا نحن فكانت تلك الأنوار والكهرباء حديدا
وأشجارا وجبالا الخ . يقول الله «سبحان الذى خلق الأزواج كلها» وذكر منها نبات الأرض وأقنسنا وما لا تعلم
إذن هنا ثلاثة مباحث : النبات ، ونفس الانسان ، وما لا تعلم . فالذى خلق هذه الأقسام الثلاثة حقيقى بالتزييه
والنقديس . وإنما كان خليقا بذلك لأن من ظهرت براعته من الناس في صنعة ماسواء أكانت يدوية أو عقلية
كان حقيقا بالإعظام والإجلال ، والعظيم الجليل ليس مشرعة لكل وارد ولا يرد عليه إلا الواحد بعد الواحد
لحكيمته وعلمه وبراعته في الصناعة .

هذا كله في الخلق البارع بديع الصنعة . الخلق الذى ظهرت براعته في الصناعة من الناس تشتاق إليه
النفوس ونحن له القلوب ولكن لانهم عليه الجاهل ولا يرونه حتى ولو بالمجاهر والناظر لأنهم لا يصلون إليه
وإليك حادثة قصها المستر (انسلى) الذى كان سكرتيرا للمستر (اديسون) الذى بهر العالم الإنسانى كله بما اخترعه
من الفونوغراف وهو (الصدى) أى الذى يسمعنا الصوت الذى مرت عليه السنون وقد ملا الأضغاع واخترع
جهاز الصور المتحركة ، وطريقة لاستخلاص الذهب من الحام بسرعة ، وطريقة لتبديد الثلج المتساقط
في لندن بسرعة ، وللولد الكهربائى الذى يدور باحترق الفحم والمحرك الكهربائى الذى يدور بالكهرباء

الحرارية المتولدة من تعاقب الحرارة والبرودة ، وجهازا لتقدير مراتب الحديد (خواصه من حيث الجودة)
والدليل الكهربائي (جلعافو متر) بلا ملف أو إبرة . وجهازا لقياس درجات الروائح . وإدخال تحسينات
كبيرة على مطاحن الأسمنت ، وطرقا فنية لمعالجة خامات الذهب والنيكل والنحاس . وثلاث طرق لإحداث
موجات فوق موجات الأشعة فوق البنفسجية . وطرقا كثيرة لتغطية سطح خبوطات المصايح الكهربائية
بطبقات من السليكون أو السكروميوم أو غيرها وآلة موسيقية تحرك الأوتار الصوتية في حناجر هلهولتز
الصناعية . وثلاث نماذج مختلفة من التماثيل الصناعية . ومسبارا كهربائيا لاثبات أعماق المحيطات باستمرار
وجهازا لقياس مقدار مقاومة الأنايب الكلام . وطريقة لإرسال الصوت في اتجاه مستقيم من غير أن ينتشر
في الطريق . وطريقة للتلبيكس في التعرف على إرسال جملة إشارات معا في آن واحد على سلك واحد .
والتعرف الطابع . وجهاز تقوية الصوت في التليفونات . وتوزيع القوة الكهربائية بطريقة الثلاثة الأسلاك
الأرضية الخ .

وهكذا قد قدم لمكتب التسجيل بأمريكا (١٤٠٠) طلب لاختراع أو تحسين . هذا هو المستر اديسون
الذى ذكرنا صنعانه لتبيين مقدار إعظام الناس له في قصة (المستر انسل) صاحب سره . وإنما نذكر تلك
القصة كما ذكرنا بعض صنعانه لتعرف بعض سر التعبير بالتسييح في حيز الكلام على النبات وخلق الأنفس
الذين سيظهر لك إبداع الله وإتقانه فيها بما يدهش العقل ويحير القلب . ومن ذلك ينشأ التسييح والإعظام
بالقلب لا بمجرد اللسان فالانقصار عليه تسييح الجاهلين ، المستر اديسون رجل صانع ماهر خدم كل أمة وكل
فرد والمسلمون وغير المسلمين مدينون له . فهم يعظمونه ويحلونه ولكنهم لم يروه بل الذين حوله في أمريكا
لا يستطيعون رؤيته حتى إن (المستر انسل) الذى سقنا هذا الحديث لأجله وقلنا إنه صاحب سره يقول :
إن اديسون يتساوى عنده الليل والنهار فهو دائما يعمل وكنت كثيرا ما أذهب إليه في المعمل أو المصنع بالليل
حيث كنت أفضى النهار بنيويورك للقيام ببعض الأعمال وقد كان يتصادف أنى لا أستطيع مقابله لقرط
انهما كه في العمل إلا عندما يتناول الطعام في منتصف الليل فأتزهز الفرصة وأعرض عليه بعض المسائل وأسأله
البريد فيطلع عليه في دقائق معدودة ثم يشير على بما أتبعه ويعود هو للعمل .

هذا هو (اديسون) المخترع الشهير لا يقابل الناس لأنه يقوم بشئونهم ويرفع من قدر الإنسانية . تباعد عنهم
لا عزازهم وإسعادهم والناس أعظموه . هكذا كل صانع وعالم في الأرض يعظم عند الناس بمقدار عمله وحسنه ،
عرف الناس مقدار العظمة عند علمائهم وصناعهم وحكائهم وأنبيائهم فأجلوا قدرهم لأنهم مخلوقون مثلهم
وكما كان عمل الصانع أجدى نفعا وأوسع فضلا كانت النفوس له أشوق وعظمته أبعد مدى والاعظام والحب
يتبعان معرفة قدر الصنعة والعلم والابداع والاختراع وهذا في المخلوق . وعلى هذا القياس يكون التعظيم والاجلال
لخالق هذا العالم . والحسب والأنبيا لهم منازل على مقدار معرفة إبداع الله وإتقانه . ولا سبيل لمعرفة ذلك
إلا بقراءة جميع العلوم سماوية وأرضية . روحية وجسمية . ولم يذكر في هذه الآية منها إلا خلق النبات وخلق
الأنفس وما لانعلم والذى لانعلمه يقاس على ما نعلمه . فاذا عرفنا نظام النبات ونظام الأنفس الإنسانية وبدائع
التركيب وجمال الصنعة كان تقديسنا وإجلالنا للبداع الحكيم لانسبة بينه وبين إجلال الناس لاديسون إلا
كنسبة نظام صنعته إلى نظام صنعة هذا المخلوق . ولا ريب أن العقول الكبيرة في العالم هي التى تدرك تلك
الحقائق العالية في الإبداع ويكون عشقها ومحبتها وسعادتها القلبية بمقدار ما أدركت من تلك الحكيم العالية .
ومعلوم أننا في الدنيا لاندرك منها إلا الترتير اليسير وبهذا الترتير يكون تسييحنا الحقيقي وحبنا الإلهي
«فوق كل ذى علم علم» .

فهل تحب أيها التلميذ أن أحدثك في هذا المقام (حديثين) حديثاً عن خلق النبات . وحديثاً عن خلق الإنسان .

ولما وصلت إلى هذا المقام حضر صاحبي العالم الذي اعتاد أن يناقشني في المسائل الهامة فقرأ هذا وقال هذا حسن وإن كان الإنسان في بادئ الأمر قبل الفهم يظن أن بعض القول يشبه الخروج عن الموضوع وفي الحقيقة كله في الموضوع ، اللهم إلا أن أكثر تلك الصناعات المحترعات لا يفهمها أكثر القراء لأنها أمور فنية لا يدركونها ولكن في ذكرها تنوير للمسلمين فيفكرون فيما ينفعهم عسى أن يفتح الله لهم باب الاختراع وكفى الفهم الاجمالي لتلك الاختراعات. ولكن ماذا تريد من شرح النبات والأنفس الانسانية في هذا المقام هذا الكتاب تقدم فيه ما فيه غنى للمستبصر في علم النفس وفي علم النبات ، ففي سورة الحجر قد رسمت الأزهار المختلفة وشرحت كيفية إلقاها وبينت الحساب الرياضي في أوراقها بمجداول ، وفي سورة الشعراء كذلك وفي سورة طه أمور أعجب وفي سورة السجدة وهكذا وفي سورة البقرة والأنعام والرعد وغيرها ، فهل هذا كتاب في علم النبات ، فأما علم النفس وتشريح الجسم فهو كثير في الكتاب ، فماذا تريد أن تكتب الآن ؟ قلت التي أكتبه الآن شيء لم يتقدم له نظير وهو السحر الحلال والجمال والبهجة والحكمة ، فسأريك الساعة معلم تراه لتعلم قوله تعالى « وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون » ثم قلت : أنا لا أريك زهرة ولا شجرة ولا حديقة ولا حقلاً ولا نمراً ، ولكن سأريك أمراً لا يؤبه له ، يحقره الجاهل والعالم ولكن بعد درسه الذي تراه يصبح ذلك الحقير في عظمة الشمس والأقمار والنجوم الثوابت والمجرات العظيمة .

فقال : لقد شاقني وصفك ، فما هو هذا ؟ قلت : ورقة سقطت من شجرة والناس يزدرونها . فقال : ما السبب في اختيارك الورقة ؟ قلت : السبب فيه أني نظرت رسمها في كتاب (علوم للجميع) باللغة الإنجليزية ومقالاً شرحها ، وهالك ترجمة ذلك المقال بقلم المستر (روبرت براون) الأستاذ في علوم النبات الخ تحت عنوان (الورقة الساقطة) قال :

إن الصيف هو الزمان الذي يعني فيه علماء النبات ثمرات علومهم ، وليس الخريف خالياً من مسراتهم وإسعادهم بالعلم ، إنه هو الفصل الذي فيه تعقد الحبوب وتجنح الثمرات الخ وتنضج الحبوب قبل فصل الشتاء الذي هو في أقطارنا الشمالية يضعف قوة الحياة ونشاطها إلى نهايتها . وبالجملة إن أشهر الخريف هي التي فيها تسقط الأوراق . إن الغابات ذوات الأشجار العريضة الأوراق المختلفة الأنواع والأجناس في هذا الفصل تكون أبهج للناظرين وأسحر لعقول المفكرين منها ، في منتصف فصل الصيف حيث يصنع الناس الدريس ، اعتاد الناس أن يروا في شهر يونيو ما لاحصر له من المساحات الواسعة للدهامات وهي غضة بهجة تسر الناظرين ، أما في شهر سبتمبر وأكتوبر فإن تلك الغابات تتلون بألوان مختلفات الأصفر والأحمر والأصفر وهكذا مما يشعر بدنو أجل تلك الأوراق وتوديعها الحياة . إن الأشجار إذ ذاك تجلج حللها السندسية وجلابيبها البنية . وبعد حين تلبس أخرى مسرة للناظرين . وهاهنا رسم الكاتب ثلاث ورقات (انظر الأشكال الآتية)



(شكل ٥٠)



(شكل ٤٩)



(شكل ٤٨)

(ب) الورقة الذابلة الجافة (ج) هيكل الورقة (ا) الورقة الخضراء التي لا يزال فيها ماء الحياة

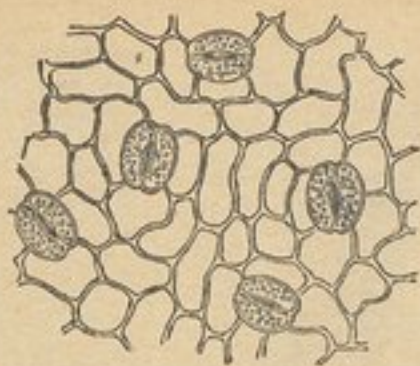
فورقة (ا) خضراء لا تزال تترقق بماء الحياة، لقد انزعناها من شجرة الحور . وورقة (ب) قد أصبحت مصفرة ذابئة وقد فارقت الحياة. والورقة (ج) لنفس هذا الشجر ولكن المادة التي عملاً ما بين خلال العروق في الورقة قد تعرت عنها وزايلتها ولم يبق إلا الهيكل الذي يقول :

ألا ليت الحياة تعود يوماً فأخبرها بما فعل المات

وهنا أخذ يصف الورقة فأبان أن هيكلها حافظ لشكلها الأصلي . ثم قال : (إن هذه الورقة الخضراء مدورة قليلاً أو كثيراً في هيئة رسمها شأن جميع الأوراق والطول يزيد كثيراً عن العرض وهي دقيقة الطرف حادته وهذه هي هيئة الثالث الذي لا يتقان فيه وتأملها تجد في وسطها ما يشبه العمود الفقري في الحيوان وقد تشعبت منه في الجهتين أضلاع وكل منها ذو فروع أخرى يتخللها جميعها مادة ناعمة تقوم مقام اللحم في هيكل الحيوان بحيث يظهر كل ذلك بهيئة شبكة منسوجة جزأت الورقة أدق الأجزاء وأصغرها . ولقد غطى كل ذلك بغطاء دقيق إذا عومل بآلة دقيقة واحتراس مع رفق واحتراس إذ ينقسم أقساماً في غاية الدقة . وفوق كل ذلك أننا نرى ظهر هذه الورقة (وكل ورقة أخرى من أي نبات كانت) أوضح لونا من وجهها الذي يقابل السماء ونرى أيضاً أن الأسفل ليس في النعومة كالأعلى . إن كل ما ذكرناه هنا قد عرفناه بمجرد العين ولو لم نستعين فيه بآلة بصرية كما هو ظاهر . ولما كانت آلة الإبصار الصناعية السامة بالسكرسكوب بمسكنة الشراء لجميع الناس تقريباً لرخص ثمنها أمكننا أن نستعين بها في تحقيق امتحاننا في هذا اللقمان لئلا نزل بالآلة مع الاحتراس قطعة صغيرة من غطاء أو جلد الوجه الأسفل للورقة ولنضعها بكل احتراس على قطعة من الزجاج تحت السكرسكوب . أتدري ماذا يحصل بعد ذلك ؟ يكون هذا الشكل الذي تراه أمامك الآن (انظر شكل ٥١) .



(شكل ٥٢ - الورقة مقطوعة عرضاً)

(شكل ٥١ - قطعة من ظاهر الورقة
تري فتحاتها وهي الأفواه)

وليست الفتحات شيئاً سوى أفواه جلد الورقة أو منافذها ، وهذه الفتحات عامة في جميع أجزاء النبات الخضراء المكسوة بهذا الجلد أو بهذا الغطاء وتكون أيضاً في أوراق الأزهار ولكنها أكثر جداً (في الأوراق لاسيما الوجه الأسفل منها) من أي جزء من ظاهر النبات وتختلف أعدادها قليلاً وكثرة بحسب اختلاف أنواع النبات ، ثم إن هذه المنافذ أو الأفواه التي رأيتها في جلد الورقة الآن موصلات إلى حجرات صغيرة مكونة من مادة ناعمة خضراء من الورقة وهن موصلات إلى منافذ الهواء التي تراها الآن في داخل المادة المرسومة في هذا الشكل (انظر شكل ٥٢) .

أتدري ما عدد الأفواه التي ذكرناها في الورقة ؟ إنها قد تكون في البوصة الواحدة المربعة عدد (١٢) وقد تكون (٢٤) وتزيد حتى تصل إلى (١٦٠٠٠٠) وقد يكون ذلك في ورق الشجيرات الصغيرة اللاتي تشبه النجم أي ما ليس بشجر بمقدار (٧٠٨٠٧٥٠) في البوصة المربعة أيضاً بينما كان عددها في ورقة شجر (الكسكس) مليوناً وثلاثاً وخمسين ألفاً (١٠٥٣٠٠٠٠) .

(وصف المادة التي في داخل الورقة)

ليس من السهل امتحان المادة التي في داخل الورقة ولكنها إذا فصلنا قطعة من جرمها اللحمي الذي تخللته تلك الشبكة رأينا تحت الميكروسكوب (المنظار العظيم) منظراً كالذي استحضرناه وأرنا كما فيما تقدم .

إننا هنا نلاحظ أن بين وجهي الورقة من أعلاها ومن أسفلها مادة خضراء قد جمعت بهيئة مثانة مدورة كما ترى وما هي هذه إذن ، هي المسماة بالخلايا جمع خلية في اصطلاح علماء النبات وكل خلية من هذه التي أمامك تحتوي على مادة خضراء عاتمة في مادة سائلة وهذه المادة السائلة تسمى (خضرة الورقة) وإذا أردت اسماً أطول من هذا قلنا لك (كلوروفيل) كما هو اصطلاح علماء النبات ويحيط بهذه المادة الشترقة حيطان شفافة يعلوها سقف مرفوع ، وما أشبه المادة الخضراء بين السقف والحيطان الأربعة إلا بسراج ذي لون أخضر أضاء على هذا السقف فظهرت الورقة بلون الخضرة البديع إذ الجلد أو الغطاء ليس فيه مادة خضراء وإن كان من نفس مادة الخلية وليس يحوي غير الهواء وهو مركب من ذرات صغيرة شبيهة بالبنات التي تبني بها الحيطان في منازلنا وقد وضعت وضعا محكماً بهيئة منظمة كل واحدة بجانب الأخرى لا يتخللها غير الهواء . إن الشبكة المنسوجة من الفروع الدقيقة مما يشبه العمود الفقري في الإنسان

في وسط الورقة تمتد في وسط الخلايا فتتخلل كل مسافة فارغة فتحشوها وتكون لها كأنها قوالب أو هياكل تحفظها .

إن هذا الامتحان السريع الذي لم نتعمق فيه فيما يشبه العمود الفقري وفروعه قد يكون كافيا ولكننا نريد أن نزيد عليه ما هو أجمل وأكمل ، ذلك أن هذه الفروع إن هي إلا حزم من الأنابيب مجتمعات أو أوان وضعت بجانب بعضها وربطت معا ، وهذه الأنابيب وظيقتها أنها تحمل المواد الغذائية من الساق إلى الأوراق ، أفلا يحق لنا الآن أن نسمى تلك الأنابيب بالعروق لأنها أشبهت في إيصال التغذية عروق الحيوان .

ها نحن أولاء أتينا على عجالة في تركيب الورقة من علم النبات ، وما هذه العجالة إلا رسالة صغيرة وضعت لإيضاح ما نحن فيه ، وقد اضطررنا أن نعمل فيها لأن ذلك كاف في مقصودنا . فنحن في الأسطر القليلة المقبلة نوضح هذه المسألة بتجربة كيميائية يعرف بها الفرق بين الغازين غاز الأوكسوجين وغاز الكربونيك أي جامض الكربون فنقول :

نضع ورقة (الحور) التي قطعناها حديثا في إناء من الزجاج واسع الفم ثم نغمرها بالماء ولنعرضها لضوء الشمس الوهاج ، فماذا نجد إذن ، نجد هناك فقائيع من الماء أخذت تطفو على وجهه . هذا في النهار . أما في الليل فانا نجد فقائيع مثلها كذلك خرجت من ذلك الماء . فهنا (أمران) إما أن نكون من علماء الكيمياء فانا نعلم علم اليقين أن الغاز الذي ظهر بالفقائيع ليلا غير الغاز الذي خرج بالفقائيع نهارا . فإنا إذا لم نكن كذلك فعلينا أن نسأل أهل الذكر بهذا العلم ومن هؤلاء إلا علماء الكيمياء ، فهؤلاء يقولون لنا إن الغاز الأول هو الأوكسجين والغاز الثاني هو غاز حمض الكربونيك ، فالأوكسوجين به حياة الحيوان وغاز الكربونيك هو الذي يخرج منه بالزفير لأنه يمت له ، والأوكسوجين إذا سلطت شرارة نار في قطعة خشب صغيرة أمدها وقواها فأخذت تسرى في جرم الخشب فتصير لها ، فهو إذن حياة الحيوان وموقد النار فإذا وضعنا هذه القطعة الخشبية قبل أن يتم إشعالها في إناء فيه غاز الكربونيك انطقت النار حالا . إن غاز الكربونيك يخرج من البراكين بمقادير عظيمة ، ومن أجواف الحيوان بواسطة الزفير ، ومن المصانع المعروفة وهو الذي يتبخر في الجو من النباتات التي أخذت تتحلل أجزاءها وتفسد هياكلها إذا لحقها الردى وحل بها الهلاك ، إن مقادير غاز حامض الكربونيك في الجو قليلة ولا نسبة بينه وبين الهواء الجوي إلا كنسبة واحد إلى ألف ألف ، وليس في الجو من الفحم الصافي إلا (١٣٨٩٦٦٠٧٥٨٩٢) طنا والطن حوالي (٢٢) قنطارا والقنطار (٣٦) أقة وهذا القدر الطائر في الهواء هو عينة من صنف غم الكوك للسمي بالفرنسية (تشرلوك) وهو الفحم الرخيص الذي يجعله الناس في مواقدهم للتدفئة ونحو ذلك ، فهذا القدر المذكور أحد جزئى ذلك الغاز وهو حامض الكربونيك لأن حامض الكربونيك مركب من جزء من الكربون (الفحم) وجزءين من الأوكسوجين ، فالجزء المذكور هو الذي تقدم وزنه ، والأوكسوجين يكون في الهواء مقدار خمسة ، وإذا كان الهواء (على فرض أنه أصبح سائلا بالتبريد) يصير عشرة أمتار على الأرض وهو الآن في حاله الغازية نحو (٦٠) كيلو مترا يكون حامض الكربونيك المذكور شيئا قليلا جدا لا يؤبه له في كلتا الحالتين . إن النبات بتعرضه لضوء الشمس يمتص غاز الكربونيك من الجو بمساعدة الأوراق وكل جزء أخضر في النبات فهناك يمتصه النبات ويدور فيه دورته ، ولن يكون ذلك إلا بمساعدة ضوء الشمس أولا وتأبيد المادة الخضراء في الورق ثانيا ، وما الورق إذ ذاك إلا معامل صناعية كيميائية يحلل لنا ذلك الغاز فيها فيأخذ جرم النبات الكربون (الفحم) ليتغذى به ويقم بنية هيكله ويدع الجزء من الآخرين من الأوكسوجين

فيخرجان بالزفير كما دخلا بالشهيق . إذن بهذا نفهم أن ما رأيناه خرج بزفير الورق بهيئة قفايع في الماء في الاختبار المتقدم إنما كان أكسوجينا ، ولو أننا هنا وضعنا على الزجاج قعاً من الفلين وغطيناها به لرأينا شرارة تنقد في ذلك الإناء وقد تصير لهبا ، فأما في الليل فإن التجربة هي بعينها تفعل مثل ما تقدم ولكن النتيجة هنا عكس ما تقدم فها هنا تمتص الورقة الأكسوجين وتدع الغاز يخرج منها بالزفير ولكن كميته قليلة جدا . وها هنا بحث العلماء في هذا الغاز من أين أتى ؟ أهو من نفس الأكسوجين والكربون اللذين هما في بنية النبات ، أم هو غاز من الذي امتصه النبات بالنهار ولم يتم امتصاصه في بنيته ؟ هذان رأيان لم يبت فيهما العلماء .

وها هنا يسأل سائل فيقول : إذا كان النبات هذا شأنه وأنه لا يلبث يخرج لنا غاز الكربونيك فإنه لا جرم يفسد الهواء . وأى فرق بينه وبين لحم الكوك (تشرلوك) إذا أوقدناه كلاهما يفسد الهواء . فلو أننا وجدناه في غرفة للمقابلة أو الجلوس فإنه يضر الأحياء أو يقتلهم .

وها هنا أجاب الكاتب قائلا : « إن هذا القول صحيح نظريا . فأما عند العمل فلا لأن النبات الذي يكون في النافذة مهما كثر فإن زفيره بالحامض المذكور قليل جدا . بل إذا نام قارى هذا الكتاب في نفس ما زرع فيه النبات وحفظ فيه فلا خوف عليه من الاختناق . وكيف يستضر بهذا الغاز ونحن لا نجد في سنة آلاف نباته مزروعة في أوعية قد أحكم الغطاء عليها (١٢) ساعة مالا يزيد عن جزء واحد و ٣٩ في الساعة من (١٠٠٠٠٠) جزء .

قد قلنا فيما مضى إن الشهيق والزفير يكونان بواسطة الأفواه المرسومة فيما تقدم . ومثل ما قلنا في النبات المشاهد في الأرض نقول أيضا في نبات الماء ، ولكن الامتصاص هنا يكون بجلد الورقة لا بالأفواه المتقدمة ، ثم إن الأكسوجين الذي يمتصه ذلك النبات يدور في بنيته ويمثل فيه فيدخل أولا في تلك الفتحات ويصل إلى تلك الخلايا ومن هناك يدور في هيكل النبات كله واصلا إليه بطرق هوائية صغيرة أو قنوات تحت تلك الخلايا .

﴿ النبات زبال الهواء ﴾

ألست ترى أيها القارىء بعد هذا أن النبات زبال الهواء ، وكيف لا وهو الذي يأخذ منه المادة الضارة وهو حامض الكربونيك فيحولها في داخل معمله إلى كربون ضار يبقى في بنيته لأنه يناسبها وإلى أكسوجين يرجعه نائيا إلى الهواء فيصبح صالحا لتنفس الحيوان عوضا عن ذلك الغاز الضار به وعلى ذلك نقول إن الورق في النبات يقوم بوظيفة الرئة في الحيوانات العليا ، والخلايا التي في الورق تقوم بوظيفة الخلايا التي في الرئة ، وإنما ذكرنا الحيوانات العليا هنا في التنظير لأن الحياة في أدنى درجاتها يكون العضو فيها قائما بأعمال كثيرة . أما في مراتب الحيوانات العليا فالأعمال موزعة توزيعا حسنا ، وذلك له نظير في المدينة . فالأمم الراقية أعمالها موزعة توزيعا حسنا ، أما المنحطة فإن الفرد الواحد يعمل جملة أعماله فهناك يقل الاختصاص ونبوغ الأفراد .

﴿ ندى الأشجار ﴾

وها هنا أفرد الكاتب فصلا شرح فيه الندى على الأشجار والنبات فأفاد أن الندى لم يكن من الجو وإنما هو عرق من هيكل النبات كعرق الإنسان ولذلك نشم من هذا الندى رائحة النبات الذي ظهر هو عليه كأنتم من عرق الإنسان رائحته هو سواء بسواء ، ومن الشجر ما يقطر ماء على هذا النمط . وقد مر في بعض هذا التفسير ما هو أوفى من هذا في الندى .

﴿ الورقة شجرة مصغرة أو هيكل حيوان ﴾

فلنتجاوز ذلك إلى ما ذكره المؤلف بعده بنحو ورقة من الكلام على هيكل الورقة ببيان أوضح وأجمل قال : « فإذا تصورنا عظام الحيوان وأوعية دمه وتمثلت أمامنا هيكله فإنه نجد هذه الصورة مطابقة تمام المطابقة لهيئة الورقة . وهنا عجيبة أخرى ألفت إليها نظرك أيها الحكيم ، فانظر واعجب : إننا كثيرا ما نرى نفس هيكل الورقة يشبه جد الشبه هيئة شجرته التي تحمله فصورة الورقة لها نظيران : هيكل الحيوان وهيكل شجرتها . حقا إن الشجرة التي جردت من أوراقها أيام الشتاء مثلا تكون صورة مكبرة للورقة التي سقطت منها . فإذا نظرت هيكل الورقة استبان لك النسبة بين تشعب فروع هيكلها وبين عروق جسم الحيوان . فانظر إلى الأوراق للتقدمة وتأمل . ألسنت نجد أن فيها عمودا وسط الورق وهذا العمود خرجت منه أضلاع من جانبيه . فهذه الأضلاع كونت مع ذلك العمود الذي في الوسط زاوية . وهذه الزاوية بعينها ترى فيما بين تلك الفروع وبين الأغصان التي تفرعت منها . فهذه الموازنة تراها جلية ظاهرة . ثم إن نفس صورة الورقة مشابهة تمام المشابهة لصورة شجرتها فان الزوايا الحاصلة فيما بين جنع الشجرة وفروعها هي بعينها الزوايا الواقعة بين جزء الورقة الممتد فيها وفروعها سواء بسواء . وبهذا تم الكلام في شرح هيكل الورقة وتبيان عجائبا . وملخص ما تقدم في هذا المقام أن للورقة في كل نبات :

- (١) خلايا جمع خلية ، وهي أشبه بالحجرات .
- (٢) وهذه الخلايا مركبات من حيطان شفافة .
- (٣) ولكل منها سقف مرفوع عليها يغطيها .
- (٤) وهذا السقف مكون من ذرات تشابه اللبنة التي تبنى بها منازلنا .
- (٥) وفي داخل الحجرات سائل فيه مادة خضراء .
- (٦) وهذه المادة الخضراء مضيئة تشع ضوءا على السقف وهو خال من اللون وليس يتخلله سوى الهواء
- (٧) وبهذا تظهر الأشجار بأنها خضراء والحقيقة أن الخضرة في تلك الخلايا داخلها ، وما هذه الخضرة إلا انعكاس .
- (٨) في كل بوصة مربعة (البوصة تساوي سنتين اثنين ونصف سنتي والسنتي جزء من مائة من المتر) ما يبلغ (١٢) خلية (٢٤) وهكذا إلى ما يزيد عن ألف ألف حجرة يوضع مئات .
- (٩) هذه الورقة إذا وضعناها في إناء زجاجي وعرضناها للشمس نظرنا في الماء فقاقيع وهكذا يحصل في الليل فقاقيع النهار أكسوجين وقاقيع الليل غاز الكربونيك المستخرج من جسم ذلك النبات ليلا أو مما بقي مما امتصه بالنهار .
- (١٠) ولو أننا أوقفنا الزجاج بالقليل لظهر لنا المحبوس من الأكسوجين بالنهار شررا ، وإذا ازداد ذلك صار لهبا .
- (١١) إن غاز الكربون الذي في الهواء قليل بالنسبة له بحيث لا يزيد على واحد في ألف جزء منه ، والكربون الذي فيه تقدم ذكر عدد طولاناته فلا نعيده .
- (١٢) وما النبات بالنسبة للهواء إلا كمثل مزرعة الجبل الأصفر في بلادنا المصرية بالنسبة لمستقدرات القاهرة فان مراحيض القاهرة تسير في أنابيب تحت الأرض وتسير أميالا كثيرة وهناك تخرج بالماء وتسقى بها تلك للزرعة وهناك يبقى بعض السباد ليخضب الأراضي الأخرى وزرعها

عجيب جدا ، فهكذا النبات بالنسبة للهواء فقد أخذ ما يفيد فأسلحه في جسمه ثم رده صالحا للتنفس وورق النبات يقوم مقام الرئة في الحيوانات الكبيرة والخلايا في هذه كالحلأيا في تلك .

- (١٣) غاز الكربونيك الذي يخرج من النبات لا يضر الناس ولا الحيوان لأنه قليل جدا فإن ستة آلاف نباتة بعد (١٢) ساعة لم يظهر منها (مع أن النبات مغطى) إلا مقدار يسير من ذلك الغاز الضار
- (١٤) للشجر وورقه عرق كعرق الإنسان يظهر بهيئة الندى المعلوم ولذلك نراه يحمل رائحة نفس النبات كما أن عرق الإنسان يحمل رائحته .
- (١٥) إن في هيكل الورقة لشبه الهيكل الحيوان ولهيكل نفس الشجرة ، ألم تر إلى الزوايا التي بين جذع الورقة وفروعها الكبرى وللزوايا التي بين الفروع الكبرى وأغصانها فهذه متساوية هكذا ترى نفس الشجرة جذعها مع فروعها الكبرى وفروعها الكبرى مع أغصانها كل هذه متساوية الزوايا انتهى ملخص الموضوع .

خطاب الورقة للناس عامة وللمسلمين خاصة

(في تفسير «سبحان الذي خلق الأزواج كلها»)

تقول : أيها الناس : ها أنا ذا ترونني أسقط من شجرتي في ظلها تحت أرجلكم وغاية ما تفعلون أنكم تزيلونني لتنظيف أمكنتكم ولكنكم لاتعلمون أي نور الله لتدسونني كما أن الحشرات نوره أزلت لكم لتدسونها ما أكثرنا نحن معاشر الورقات في الأرض ، وما أكثر أنواع الحشرات الطائفات عليكم صباحا ومساء ، أنا في حقولكم وفي بساتينكم وتحت أرجلكم والحشرات تطوف عليكم في الهواء ، أما أنا فاني علم وحكمة مجسمة واضحة أقيم عليكم الحججة لفهموا قوله تعالى « سبحان الذي خلق الأزواج كلها بما تنبت الأرض ومن أنفسهم وما لا يعلمون » فأما أنا فاني مما تنبت الأرض ، قد اخترعني وابتدعني منظم هذا العالم وخالقه وقد ملأني بالحكمة والعلم ، أتم تعظمون أمثال (اديسون) المخترع الأمريكي وقد ساعدكم في كشف أسرار الأنوار في منازلكم ، هو معظم عندكم منزله سامية ، تحبونه وتهابونه بقاوبكم لأنكم أدركتم آثار صنعته ، وها هو ذا ربني قد جعلني نموذجا لصنعتي ، فماذا صنع ، صنع لي سراجا كما صنع (اديسون) لكم سراجا ولكن سراج ربني هو الشمس ، ومن رحمته وحسن إبداعه أنه جعلها بعيدة عني بمقدار (٣٥٠) سنة بسير الفطار بمقدار (١٢) سنة بسير قلة للدفع وجعل لنورها سرعة بحيث يصل إلي في (٨) دقائق و (١٨) ثانية .

هذا هو سراج ربني فهذا النور هو والمادة الخضراء في داخل حجراتي أيام حياتي بهما أجذب أنا مادة حامض الكربونيك المفسد للهواء وأهضم في جسمي ذلك الفاسد وأخرج ما يصلح الهواء ، إن الفحم الذي يفسد الهواء هو الذي يدخل في تركيب كل فاكهة وزهر وورق وشجر ، هذه الحقول وهذه الجنات لاجابة لها إلا بما تستخرج من زبالة الهواء ، فأضواء الشمس وأكسوجين الهواء والكربون للضر فيه والأشجار وأوراقها وأزهارها وأثمارها والماء والأرض والرياح كلها متعاونات على نتيجة واحدة وهي حياتكم ، فأى نسبة بين سراج اديسون ومعامله وبين سراج الله وهو الشمس وبين معامله في الأرض ؟ إن معامل اديسون وأمثاله لن تقدر أن تصنع حجرة واحدة من حجراتي بحيث تكون حيطانها شفافة وسقفها يبنى بناء محكما وفيها سائل وفي السائل مادة خضراء تضيء وفي داخلها فروع كثيرات متداخلات فيها تحفظها حفظا تاما كالإطار

الذى يحفظ ما هو داخله . فالعامل في الأرض ليس في طاقتها أن تصنع خلية واحدة كهذه فضلا عن (١٢)
فضلا عن ألف ألف وبضعة آلاف في بوصة واحدة .

إن صناعات (اديسن) وأمثال اديسن أقرب لعقولكم ، وصنع الله لشدة عظيمته يعزب تذكرة عنكم
فعقولكم أقرب إلى تعظيم صانع في أرضكم من تعظيم خالق الكون لعظمة صناعته وأنها بعيدة المثال ، ولولا
رحمة ربي بغفلتكم عن فعله لهامت قلوبكم به هيأما ينسبكم أنفسكم ولكنه من فضله أدخل الغفلة عليكم حتى
ضعفت بصائرهم فكفتم على أعمالكم الجزئية . ولكن في الأرض أناس قليلون جدا سميت عقولهم
وارتقت أفكارهم . فهؤلاء يهيمون برهبهم لما بهرهم من عظمة صناعته . وهم الذين يحبونه حبا جما . فهم
في الأرض يعيشون لا يبتغون من الحياة إلا أن يكونوا مسعدين لأنهم مقتدين بما يرون من أعمال رهبهم
لشدة حبه إياه .

وهؤلاء هم عماد أهل الأرض وبقية الناس دونهم ، وهؤلاء ليس عندهم لذة غير ذلك الحب وكما غفلوا
عنه حزنوا واعتقدوا أنهم قد أذنبوا . فهم إذن يستغفرون . وإذا جاء الموت فرحوا به لأنهم به يرون محبوبهم
أولئك هم السعداء الفلحون .

فأما قوله تعالى « ومن أنفسهم » فقرأه فيما تقدم في (سورة السجدة) في تفسير قوله تعالى « يدبر الأمر
من السماء إلى الأرض » الخ ، وأما قوله « وما لا يعلمون » فذلك تذكرة لنا بأن هناك عوامل نظامها متسق
على مقتضى هذا النظام .

وهذا ما هو إلا ضرب مثل له . ألا ترى إلى قوله تعالى « ما ترى في خلق الرحمن من
تفاوت » وإلى قوله « وكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال » وإلى هنا تم الكلام على
أزواج النبات . كتب صباح يوم الأحد أول شهر ديسمبر سنة ١٩٢٩ .

أما أزواج الحيوان فما أكثرها في هذا التفسير . ولكن لندكر هنا ما حمل مما عثرنا عليها . فهناك مناظر
جميلة لأزواج الحيوان . فنذكر أولا أشكالا غريبة لأربعة منها وذلك من إحدى المجلات العلمية وهي [مجلة
الجديد] وثانيا نذكر ذكاء الحيوان وأعماله . وكذلك سمك الفردوس الذي يبني أعشاشه كالطير ويسبح
فوق سطح الماء . وثالثا نذكر رهوسة المختلفة (انظر شكل ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ و ٥٦ في الصفحة التالية) وسترى
أيضا باقى الصور فيما يلي من الصفحات .

أولا - الأشكال الغريبة الأربعة



(شكل ٥٤ - لاحاجة للمرأة)

هذه النعام تستطيع بما وهبها الله من عنق طويل لين أن ترى أى جزء من جسمها فلا تعوزها المرأة وأكثر من هذا أن لها طرقا متعددة فى النظر إلى ماحولها ، وعلى الرغم من كل هذه المميزات فإن منظر الحزن والكآبة لا يكاد يفارقها



(شكل ٥٣ - الريها)

نوع من أسرة النعام وقد ظهر أنها شديدة التقلد للطاووس حين جاورها فى المسكن



(شكل ٥٦ - رسم عجول الكودو وهو الذى سادته بعثة حديقة حيوانات لندن من أواسط أفريقيا ، وفى الصورة أحد الصبيان من الأهالى وهو يرضعه من زجاجة ليأثلف به قبل ترحيله)



(شكل ٥٥ - رسم غوريلا كبيرة يبلغ وزنها ٤٥٠ رطلا وطولها ١٧٠ سم وقد صاها الكولونيل (فن) من الكونغو البلجيكية)



(شكل ٥٨ - رسم شامليون عجيب طوله ١٤ بوصة وهو أطول شامليون عرف في العالم صادته بعثة حديقة حيوانات لندن في تجوالها الأخير في أفريقيا)



(شكل ٦٠ - حية يقتلها النمل)

بين أصناف الأفاعى التي صادتها بعثة حديقة حيوانات لندن هذه الحية التي افترسها النمل الأحمر هي وست مثلها في ليلة واحدة، وهي من النوع السام والذي تميت لدغته الواحدة



(شكل ٥٧ - أحدث طريقة لتحنيط الحيوانات) أعلن أستاذ علم الحيوان في جامعة فينا أن خير طريقة لتحنيط الحيوانات والنباتات هي غمسها في حمام البرافين إذ شاهد أن البرافين يمتصها وهي في حالتها الطبيعية كما ترى في الصور الأربعة وفي حالة النبات يحفظ لون النبات وشكل الزهور الطبيعي وهذا يساعد كثيرا في دراسة هذه الاحياء



(شكل ٥٩ - آكل النمل)

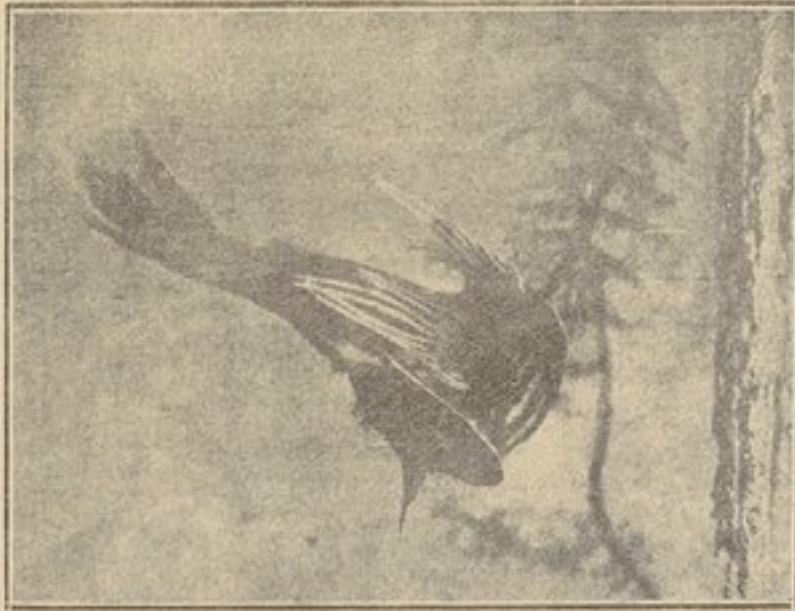
حيوان من أعجب الحيوانات التي أوفدت حديقة حيوانات لندن بعثة لجمعها ويدعى آكل النمل . غير أن هذا النوع لم يطل أمد تناسله بل حل مكان نوع آخر منه

(سمك الفردوس يبني أعشاشه كالطير، ويسبح فوق سطح الماء)

تعرف البحار الصينية بأنواع غريبة من الأسماك ، ومن أغربها النوع المعروف بسمك الفردوس وهو يتخذ أعشاشا كالطير، ويصنعها من مادة لزجة ينفخها بفعه فتصير كالفقايع وتسبح فوق سطح الماء. وصناعة هذه الأعشاش خاصة بالذكور دون الإناث. فإذا باضت الأنثى أخذ الذكر يبضها بفعه واحدة فواحدة ووضعها في العش اللزج فتلتصق به. ولما كانت الأنثى في سمك الفردوس ذات طباع وحشية، ونحب أن تأكل يبضها وما يخرج منه من الأسماك الصغيرة يرخم الأيب أو الذكر على هذا البيض حتى يفقس ويجرسه حراسة تامة حتى لانتهمه الأنثى (انظر الأشكال الأربعة الآتية)



(شكل ٦١ - سمك الفردوس)



(شكل ٦٢ - الذكر من سمك الفردوس يتفقد يبض الأنثى في العش)



(شكل ٦٣ - الذكر من ممك الفردوس برخم على بيض الأنثى في العش)



(شكل ٦٤ - ممك الفردوس)

ثانياً — ذكاء الحيوان وأعمارها

وأما أعمار الحيوان وذكاء بعضه ، فهناك ما جاء في (مجلة الجديد) تحت عنوان : أعمار الحيوان ،
وهي هكذا :

﴿ أعمار الحيوان ﴾

عثر بعض المسافرين الإنجليز عند مرورهم بجزر نونجا في الأفيانوس على سلحفاة كتب على ظهرها عام
١٨٣٧ وقد كتبها القبطان كوك عند مروره بهذه الجزيرة ، وقد اتضح لهم أن عمرها يبلغ ١٥٠ عاماً وفيها
يلي بيان بمتوسط أعمار الحيوانات المعروفة :

(التمساح من ٢٠٠ إلى ٢٥٠ عاماً ، الفيل من ١٥٠ إلى ٢٠٠ عام . النسر ١٠٠ عام . البجعة ١٠٠
عام . الغراب ١٠٠ عام ، السكر كدن ٦٠ عاماً ، الأسد ٦٠ عاماً . البيغاء من ٥٠ إلى ٨٠ عاماً . الأوز ٥٠
عاماً . الجمل ٥٠ عاماً . الصقر ٤٠ عاماً . الثور ٣٠ عاماً . الوعل ٣٠ عاماً . الخمار من ٢٥ إلى ٣٠ عاماً .
الحصان ٢٥ عاماً . العصفور الحسون ٢٥ عاماً . الطاووس ٢٥ عاماً . البرقش من ٢٠ إلى ٢٥ عاماً .
الخنزير ٢٠ عاماً . الجاموس من ١٨ إلى ٢٠ عاماً . القط ١٨ عاماً . الكلب من ١٠ إلى ٢٥ عاماً .
الدب ٢٠ عاماً . البقرة ٢٠ عاماً . الظبي ٢٠ عاماً . السرطان ٢٠ عاماً . الذئب ٢٠ عاماً . البيلبل ١٦ عاماً
القنبرة ١٦ عاماً . الثعلب ١٥ عاماً . ثعبان السمك ١٥ عاماً . الشاة ١٢ عاماً . الصرصار ١٠ أعوام .
عصفور السكناري ١٠ أعوام . الماعز ١٠ أعوام . العصفور الدوري ١٠ أعوام . الدجاجة ١٠ أعوام .
الأرنب ٨ أعوام . الأرنب البري ٧ أعوام . السنجاب ٧ أعوام . الفراشة ٧ أعوام . الخملة عام واحد
وتوجد في عين الفراشة (٥٠٠٠) عدسة مختلفة و (٥٠٠٠٠) عصب . وإذا وضعت قوقعة إلى جانب أذنك
سمعت صوتاً كاللوج ينشأ من تكبير الغطاء الخارجي لصوت ضربات الدورة الدموية الصادرة من أوردة
الرأس (انظر شكل ٦٥) .

خريج جامعة كولومبيا



(شكل ٦٦ - رسم طير غريب ، ومن غرابته أن
قدميه حمراوا اللون ، طول كل قدم (٢٧) سنتيمترا
ونصف سنتيمترا ، أما ارتفاعه فهو ٥٥ سنتيمترا فقط)



(شكل ٦٥)

جاز هذا السكب امتحانا عقد له خاصة
في جامعة كولومبيا لاختبار ذكائه وعمره
٥ سنوات .

ثالثاً - رسومات الحيوان المختلفة

أما رسومات الحيوان فاسمع ماجاء في (مجلة الجديد) تحت العنوان التالي وهذا نصه :

أعجب رسومات الطير



(شكل ٦٨)

الصقر للتوج ومنقاره الصغير المقوف يحدث أشد الرعب للطير والحيوانات الصغيرة ، وهو يأكل القردة والفيران والأرانب والطيور والأوز والحملان.



(شكل ٦٧)

رأس البطة المعروفة بذات المشط ، وهي من أندر أنواع البط ؛ وذلك أن عرفها الشبيه بالمشط يكون فوق رقبته لا فوق رأسها ، وليس لذلك أي سبب إلا أن تكون مخالفة لسواها في الشكل.



(شكل ٧٠)

رأس الطاووس ، وهو على الرغم من جماله وما يبدو عليه من الحجل تفرغ منه السحالي والضفادع ، وإن كان الطاووس نفسه يفضل أن يأكل الحبوب والسكريات



(شكل ٦٩)

رسم التوكان ، وطول منقاره كطول جسمه ويقرب منه في الحجم ، ولولا خفة هذا المنقار لما استطاع حمله



(شكل ٧٢)

رسم رأس دجاجة من بلاد غينيا بأفريقيا ولها
منقار صلب، وهي عارية من الريش تتكون من عظام
تشبه خوذة الفارس



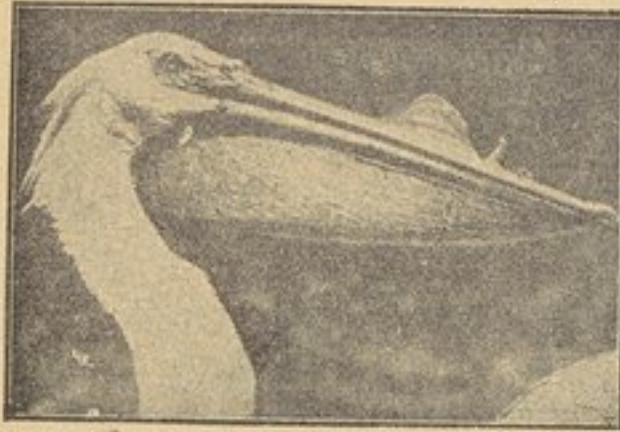
(شكل ٧١)

رسم رأس بشروش ويعرف بطول الرقبة
وضخامة المنقار الذي يشبه صندوقاً ذا غطاء محذب



(شكل ٧٣)

رسم رأس أييس أو أبي منجل ومنقاره طويل مستدق يدفعه بسهولة في طبقة من الأرض
غير قليلة السمك فيخرج الديدان والحشرات وهو مفيد للزراعة



(شكل ٧٤)

رسم حمل الماء وقد أعده الله بمنقار كالقربة لأنه لا يتغذى إلا بالسماك
فهو يحمل الأسماك في جعبة هذا المنقار لأفراخه الصغار

اللطفية السادسة

(في قوله تعالى - وتكلمنا أيديهم - وكيف تكلمت الأيدي في زماننا)
(الإجراء في اليابان والطرق الحديثة لمكافئته)

من هراء القول أو تحصيل الحاصل ذكر ما خطته اليابان في نصف القرن الأخير من التقدم العظيم في مختلف العلوم والفنون مما أدهش العالم وجعلتها محل احترام أرقى الأمم الغربية الحديثة فإن ذلك معلوم مشهور لا يحتاج إلى بيان وتفصيل . وإنما الذي حداني اليوم أن أكتب بعض الشيء عن ناحية معينة من نهضة اليابان وهي ناحية الأمن والطرق الحديثة المتبعة في مكافحة الإجرام هو ما تعمل له حكومتنا الآن من تعديل نظم البوليس والأمن العام تعديلاً يتمشى مع حالة العصر الذي نعيش فيه ويتكافأ مع النظم المتبعة في أوروبا وأمريكا حتى لا يكون هناك اعتراض من جهة ما على ما نطلبه من توحيد القضاء ومساواة الجميع من أجناب ووطنيين أمام قانون البلاد . الذي لفتني إلى دقة نظام البوليس في اليابان وارتكازه على الطرق العلمية الحديثة هو حادث قتل ارتكب في ضاحية من ضواحي طوكيو اطلعت عليه أخيراً في إحدى المجلات الأمريكية . وهو وإن يكن حادثاً عادياً في ذاته يحصل الكثير من أمثاله بل ما هو أشد فظاعة وغموضاً منه في أي بلد من البلاد وقد يصل رجال الأمن في تلك الجهات إلى معرفة الفاعل بعد تتبع إجراءات كثيرة وبذل مجهود عظيم . إنما محل الإعجاب في موضوعنا هذا هو حسن قيام البوليس الياباني بواجبه وتوزيع العمل بين رجاله توزيعاً روعى فيه التخصص واتكاله على الرجال الفنيين ذوي الخبرة الواسعة في كشف الجرائم وتبين أسرارها هو الذي كلل بمجهوداتهم بالفوز في القبض على المجرمين والأشرار في معظم الحوادث الجنائية مما صان هيئة الحكومة

في نظر الجميع . وقد أتج ذلك أثره في تقليل الجرائم بأنواعها . ولأجل أن يحكم القارىء بنفسه على دقة نظام البوليس في اليابان وارتكازه على العلم نسرده له باختصار هذا الحادث على سبيل المثال . وقبل ذكر موضوع الجريمة نقول إن بصمات الأصابع كانت العامل الأكبر في إثبات شخصية المجرم .

﴿ موضوع الجريمة ﴾

تاروكاوايستي شاب ياباني في العشرين من عمره أحب فتاة من بنات جنسه تدعى تيسوك كوجيكي ، عاملة في أحد المحال التجارية بطوكيو ولكن هذه لم تبادل له حبه لفظاً أخلاقه وإدمانه الخمر وصارت تباعده كلما حام حولها فأدى سلوكها هذا إلى تحريك كوامن الحقد والبغض في نفسه الشريرة وصمم على الاقتصاص منها جزاء معاملتها له . ففي ليلة ظلماء في إحدى حارات ناحية هودوجايا من ضواحي طوكيو وجد نفسه وجها لوجه مع كوجيكي معشوقته فبمجرد رؤيتها تغلبت عليه روح الوحشية والشر وطفعتها عدة طعنات قاتلة في رأسها بخنجر كان قد أعده لهذا الغرض ، وبعد انتهائه من فعلته الشنعاء مسح الخنجر من الدم بواسطة حزمة من السكلاً الأخضر الذي ينمو بطبيعته في الحقول المجاورة لمسكان الحادث . ولكن أثناء تنظيفه للخنجر انطبعت بصمة إبهامه الأيسر على السلاح بدون أن يلاحظ ذلك ، وبمجرد فراغه من عملية التنظيف ألقى بالسلاح على الأرض في جهة مجاورة لمحل الحادث ولاذ بالفرار تحت جناح الظلام . ولو كان يعلم أن في إلقاءه السلاح منطبعة عليه بصمة إبهامه فيه تسليماً لرقبته للجلاد لكان له رأى في احترام القانون يخالف ما قدمت يداه .

﴿ العثور على الجثة ﴾

لم تمر إلا برهة وجيزة حتى عثرت الشرطة للمرة بالجنة ، وفي الحال أبلغت الأمر لبوليس طوكيو . كان أول من وصل لمحل الجريمة هم رجال تحقيق الشخصية مع الآلات الفوتوغرافية والنظارات الليكروسكوبية والمواد الكيماوية والساحق والقرش الخاصة بإظهار البصمات الخفية وكذلك الطبيب الشرعي فباشروا عملهم بكل دقة وعناية حتى توصلوا إلى اكتشاف السلاح الذي ارتكبت به جريمة القتل وبخثوه بكل دقة فوجدوا بصمة إبهام منطبعة عليه فأسرعوا بنقلها على ورق للشمع (ورق خاص لهذا الغرض) ووضعوا عليها غطاء من السيلولويد لحفظها ، وكذلك رسموا الجثة ومحل الحادث والجهات المجاورة له . وبخثوا عن كل الآثار التي قد تفيد في كشف سر الجناية . ابتدأ رجال تحقيق الشخصية في بحث البصمة التي عثروا عليها فكبروها وصاروا يدرسون ماث الحظوظ والنقط الدقيقة عليهم يجدون لصاحبها سجلاً خاصاً في محفوظاتهم وعند فراغهم من تقسيمها التقسيم الفني حفظوها في سجل خاص بها لعدم العثور على بصمات لصاحبها محفوظة في الإدارة .

وانتظروا التحريات التي يقوم بها البوليس السري (البوليس السرى هناك كما هو الحال في أوروبا) مكون من رجال فنيين في علم الإجرام درسوا دراسة علمية خاصة فدرّبوا على القيام بعملهم أحسن تدريب .

ارتكبت تاروجريمتها في مارس وبعدهم مرور سنة من ارتكابها اعتقد أنه قد عفا النسيان على فعلته الشنعاء فاطمأن بالله وذهبت هواجسه واشتغل عاملاً في حانات الخمر والقهاوى منتقلاً من إحداها إلى الأخرى .

لم يتم الكشافون عن مواصلة بحثهم لكشف الستار عن سر هذه الجريمة ، ففي أغسطس الماضي سنة ١٩٢٧ قبضوا عليه في محل لعب البيسبٲسي* السمعة مشهور بأنه يجمع الأشرار وذوى السير العوجة . لم يفزع تارو من البوليس وسخر من أخذهم لبصمات أصابعه لاعتقاده أنه ليس لبصماته سجل محفوظ من قبل حتى يمكن معرفته وإدائته في جريمة القتل . أرسلت بصماته لإدارة تحقيق الشخصية فوجدت إبهامه الأيسر مطابقاً تماماً

للإبهام الذي وجد منطبعا على الخنجر الذي استعمل في ارتكاب الجريمة . عند ذلك تأكد البوليس أن القاتل قد وقع في قبضته . أودع تارو السجن وسردت له فيه قصة جريمة القتل التي ارتكبها منذ سبعة عشر شهرا ووضعت أمامه الصورة الفوتوغرافية لجثة القتيلة برأسها المشتم والخنجر الذي استعمله في ارتكاب الجريمة فأخذ الرعب يدب في قلبه وصار يهدى هذيان المموم واعترف بما قد أئتمت يده . هذه هي خلاصة الإجراءات التي اتبعت في هذه الجريمة وهي تدل على إحكام نظام البوليس في اليابان، وعلى أن رجال الحفظ في تلك البلاد تربوا تربية فنية خاصة ونظموا عملهم على أحدث القواعد العلمية بل كان لهم فضل كبير في استنباط طرق علمية لإظهار بصمات الأصابع أخذتها عنهم بلاد عريقة في المدينة والعلم . إدارة تحقيق الشخصية والباحث الجنائية في طوكيو هي أهم إدارات البوليس من حيث إنها عماد البحوث الجنائية فيها تتركز جميع المعلومات الخاصة بالجرائم في امبراطورية اليابان وجزيرة فرموزا وكوريا . وتحفظ السجلات الخاصة بالباحث الجنائية مع حفظ بصمات المجرمين وصورهم الفوتوغرافية . وكذلك آثار الأقدام والبصمات الفردية التي يتركها الجناة في محال الجرائم . وتسجل بصمات المجرمين وتحفظ على حسب طريقة الإجراء التي يتبعها المجرمون في ارتكاب جرائمهم . وهذا النظام يفيد كثيرا في سهولة العثور على المجرم لأن طريقة ارتكاب الجريمة تحصر البحث في عدد معين من المجرمين اعتادوا تنفيذ جرائمهم بطريقة خاصة ليس من السهل أن يجيدوا غيرها . ويتبع هذه الإدارة رجال البوليس السري الذين يناط بهم التحري عن الجرائم وكشف أسرارها . وعلى العموم فجملة النظام المتبع في هذه الإدارة هو ما يجرى عليه العمل في اسكتلنديارد في لندن وإدارة البوليس العامة في باريس .

﴿ متحف الجريمة ﴾

يوجد بالإدارة متحف هائل تحفظ به جميع الآثار التي يعثر عليها في محال الجرائم بعد أن تكون قد عثت بكثر يولوجيا . فيشاهد به مجموعة كبيرة من الأسلحة والملابس اليابانية والأوروبية على اختلاف أنواعها والأجهزة والآلات التي تستعمل في كسر الخزائن الحديدية وأوان زجاجية ومعدينية وغير ذلك من الآثار التي كان أو يكون لها شأن في إثبات الجرائم . ومن ضمن الآثار الهامة المحفوظة في هذا المتحف هو هذا الخنجر الذي قتل به الرئيس هارا رئيس وزارة اليابان منذ بضع سنوات في محطة طوكيو .

﴿ الأستاذ يوشيكواوا ﴾

رأس إدارة تحقيق الشخصية والباحث الجنائية في اليابان الأستاذ سومنيشي يوشيكواوا أحد خبراء العالم القلائل في المسائل المتعلقة بالإجرام والمجرمين وخاصة في كشف الجرائم الغامضة وهو أستاذ ضليع في فن بصمات الأصابع والتصوير الشمسي ، وكشاف ماهر للآثار الدقيقة التي يتركها أمهر المجرمين أثناء ارتكاب جرائمهم يستعين بالبحث السكبيائي الكهربائي والميكروسكوبي وجميع الوسائل الأخرى التي تلزم لهذه البحوث إن الأستاذ يوشيكواوا درس الطرق الفنية لبصمات الأصابع الجاري عليها العمل في اسكتلنديارد في لندن وفي إدارات البوليس في نيويورك وباريس وبرلين وهامبرج وفيينا . ولم يكتف بذلك بل واصل البحث والدرس حتى جعل لنفسه مكانة علمية لم ينلها إلا القليلون في العالم . يرجع إليه الفضل في اكتشاف أنه لو استعملت تترات الفضة في إظهار بصمات الأصابع ثم عرضت البصمات بعد ذلك للأشعة فوق البنفسجية لوضحت وضوحا تاما . وقبل اكتشافه هذا كان كثير من البصمات يعتبر عديم القيمة لعدم وضوح رموزها وضوحا كافيا، ولهذا كان يفلت كثير من المجرمين من يد العدالة . فتصوركم أدى هذا العالم إلى العدالة والإنسانية من الخدمات ، إذ أن

في الانقصاص من المجرم حياة للمجموع . هذا هو مجمل نظام القسم الفنى الجنائى للبوليس فى اليابان ذكرناه
كشال للأنظمة الحديثة للبوليس التى أفادت كثيرا فى مكافحة الأجرام وحصر دائرته .

محمد جمال الدين

مساعد مدير تحقيق الشخصية

﴿ مسامرة ﴾

حدثنى أحد نظار المدارس المصرية . قال : أسلم عالم ألماني فمثل لماذا أسلمت ؟ قال : لأنى قرأت
فى القرآن للترجم بالألمانية آية « بلى قادرين على أن نسوى بنانه » وعلم تحقيق الشخصية المبني على البنان لم يعرف
إلا فى زماننا هذا فعرفت أن هذا كلام الله فأسلمت اه .

﴿ النطق بلا لسان ﴾

(حوادث واقعية غريبة)

كان العالم الإنجليزى هكسلى فى مقدمة الذين يجزمون بإمكان النطق بلا لسان . وقيل إن الدين صابون
بداء السرطان يفقدون لسانهم فى بعض الأحيان ولكن بعضهم ينطقون ويميزون الطعم بعد فقده ، وما
يروى فى هذا الصدد أن هنرى الظالم قطع ألسنة بعض المبشرين بالإنجيل سنة ٤٨٤ ميلادية . فما لبث بعضهم
زمانا حتى عادوا إلى الوعظ والإرشاد من غير لسان . وأن البابا ليون الثالث فقد لسانه أيضا ولكنه لم يمنع
عن الكلام والتدوق ، وفى سنة ١٧٤٢ م خصت لجنة من الأطباء فى إنجلترا فتاة فقدت لسانها ورأت أنها
تحسن النطق والكلام مثل غيرها من الناس ، وفى بلاد الإنجليز الآن رجل بلغ السبعين من العمر قطع
لسانه من نحو ١٣ سنة وهو يتكلم ويغنى ويدوق بلا عناء . وأما التعبير عن المراد بالحركات والإشارات فمن
الأمور السهلة ، ولبعض القبائل فى الحديث إشارات وحركات تزيد على الألفاظ عددا ، وأكثر الأوربيين
استعمالا للإشارات فى الكلام أهل إيطاليا وأقلمهم استعمالا لها الإنجليز ، انتهى من (الصور) .

تذكرة

(فى قوله تعالى « ومن نعمه ننكسه فى الخلق أفلا يعقلون »)

وفها بيان أقوال علماء العصر فى هذين السؤالين : (الأول) متى يعيش الإنسان ١٤٠ سنة . (الثانى)
كم يجب أن تعيش تروعا لعقلاء المسلمين مع فوائد تليق بالمقام ، فهناك ما جاء فى مجلة كل شىء وهذا نصه :

﴿ متى يعيش الإنسان ١٤٠ سنة ﴾

(حديث مع الأستاذ فورونوف)

الأستاذ أو الدكتور فورونوف معروف فى القاهرة مذ كان طبيبا فيها فى أوائل هذا القرن وطببيا خاصا
للسراى الحديوية ، ثم لما انتقل إلى أوروبا واشتغل بتجاربه المشهورة فى إطالة العمر وتجديد قوى الشيوخ
بالتلقيح وتجربة ذلك أولا فى القروود وغيرها من الحيوانات طار اسمه فى كل ناحية لا كطبيب بل كمشتر
بإمكان إطالة الأعمار إلى ما فوق المائة وإمكان عود الشباب الذى تفرحت عليه أجفان الشاعر الباكي القائل:

ونحت على الشباب بدمع عيني فلم يجد البكاء ولا النحيب

وقد جرى له حديث مع مندوب مجلة إنجليزية فقال : (إن الأم التى تكون أول من يدفع إليها ولدها

لتجربة عملية تجديد الشباب فيه قد تكون مؤسسة نوع إنساني جديد وقوى ، أعطى أولادا تشتعل فيهم شرارة العبقرية، وأنا أربي لك نوعا من (السورمان) أى الرجال الكاملين يكون عمر الواحد منهم فوق المائة ويكون في الوقت نفسه قويا ونشيطا وعاملا بدنا وعقلا كالشباب منا ، ومشروعى هذا الذى بدأ بعمليات تجديد القوى في الأجسام الضعيفة قد يظهر كالجدل في عيون غير العارفين ولكنى أبنت بعد امتحانات طويلة ودقيقة صحة الدعاوى التى ادعيتها من وقت إلى آخر حتى امتلأ صدرى أملا من جهة المستقبل واعتقدت إمكان إخراج آرائى في هذا الموضوع من القول إلى الفعل ، بدأت تجاربي بالكباش فنقلت غدة حيوية من كبش حولى إلى كبش مسن في أواخر عمره فكانت النتيجة على مايرام حتى أعدت التجارب في حيوانات أخرى جاءت أحسن من الأولى ولكن عمل الطبيب يجب أن يكون دقيقا، فالواجب لذلك أن تعاد التجارب المرة بعد المرة بلا ملل . وبعد ذلك أخذت الغدد التى لتحت بها حيوانا تجددت قواه فحصلت بذلك على برهان مزدوج ، ذلك بأن الحيوان الذى استؤصلت منه الغدد عاد فتقدم إلى ما كان عليه إذ جعل يهزل وقد شبهته إلى الطعام وسقط شعره أو صوفه حتى بلغ درجة من الانحطاط أخط بما كان عليه قبل عملية التجديد الأولى فقلت في نفسى إذا نجحت هذه العمليات في الحيوانات، فلماذا لا تنجح في الإنسان ولكن عرضت هنا صعوبة وهى قلة الرجال الأقوياء الذين يقدمون أنفسهم لمساعدة الضعفاء ويضحون بمثل هذه التضحية الغالية مع أن استئصال هذه الغدد من الأقوياء الأصحاء لا يؤثر كثيرا في أحوالهم الطبيعية ولكن تلقيح الضعفاء بها ينفعهم أيما نفع ، وهنا بدأت تجاربي في النسائيس ويقول علماء الطب أن الشمبانزى أقرب هذه الأصناف إلى الانسانية وإذا أخذت قطرة دم من الإنسان ووضعت تحت الميكروسكوب هى وقطرة من دم نسانس لم تمكن معرفة الواحدة من الأخرى ، وقد جاءت تجاربي في النسائيس ناجحة جدا ، وفي مدة خمسين سنة أو أقل يمكن عمل عمليات مدهشة في الناس ١ وليس تجديد قوى الشيوخ بالتلقيح هو غرضى الأعظم بل إن غرضى الأعظم هو تلقيح الذكور الذين سنهم بين الثامنة والعاشرة بالغدد فتكون النتيجة إيجاد نسل من الرجال للتفوقين (سورمان) .

أما معظم الصعوبة الآن ، فقلة النسائيس ولكنى وضعت مشروعا للمحافظة على هذه الحيوانات النافعة وأصدرت الحكومة الفرنسية بناء على طلبى أمرا بمنع صيد الشمبانزى في المستعمرات الفرنسية وبأن لا يصدر منها إلا لغرض طبي ، ثم قصدت إلى (مدريد) وقابلت ملك أسبانيا فأصدر أمرا مثل هذا فيما يخص المستعمرات الأسبانية . وهكذا صنع ملك البلجيك عند مقابلتى إياه فى عاصمته بل أضاف إلى مثل هذا الأمر إصدار تعليقات بأن يجعل جزءا من الكنفوالبلجيكية حيث تكثر النسائيس مستودعا لها حتى تتم المعدات التى اتخذها لإصدارها منه . وآمل أن تساعدنى الحكومة الإنجليزية بمثل هذه الطريقة . وقضيت أشهراً من السنة الماضية أفتش عن مكان بين جنوا ومرسيليا يصلح ليكون مزرعة لهذه الحيوانات حتى وجدته وفيه الآن نحو مائة منها فإذا نجحت وكانت للزراعة ملائمة لصحتها فلم تضعف بتغير الإقليم فى عزى إنشاء سلسلة منها من (نابلى) إلى (مرسيليا) بمساعدة الحكومة الفرنسية ، ويجب أن يكون عمر الشمبانزى (٦) سنوات إلى (٨) قبلما يصلح لأن تستأصل غدناه ويلقح بها الإنسان . ومضى تغلبت على جميع الصعوبات وامتلات مزارعى حيوانات شديدة شرعت فى تجاربي على قدر كبير . وقد عملت إلى الآن (٦٠٠) عملية ناجحة والعملية بسيطة جدا لا يحتاج فيها إلا إلى مخدر موضعى ولا يبقى صاحبها راقدا أكثر من أسبوع . وأقول الآن عن اقتناع إنه لا ينصرم القرن العشرون حتى يمكن تجديد قوى الشيوخ وإزالة غبار السنين عن وجوههم كثيرة العضون والأسارب وأجسامهم المحدودة الهزيلة . ويمكن أيضا تأخير الشيخوخة ومضاعفة العمر

الذي هو الآن سبعون سنة على الغالب وسيتقى الدماغ والقلب صحيحين إلى الآخر . وقد يمكن تغيير الصفات والشخصيات والعادات بهذه الطريقة فتقل الجراثيم وتخلق العبقريات وتفرغ الشخصيات في قوالب على حسب الطلب . ومهما يكن زمان ذلك بعيدا فمما لا ريب فيه أن القروء ستكون أساسا قوية عقلا وجسما ودماغا وقلبا ونموا وذلك كله بواسطة التلقيح بتدورها اه .

﴿ كم يجب أن نعيش ؟ وفوائد أخرى ﴾

يقول هوفلند أحد العلماء الذين صرفوا عنايتهم إلى درس الحياة في كتاب وضعه وجعل عنوانه (فن إطالة العمر) إن المرء يولد مستعدا للحياة قرنين من حيث تركيب بنيته ونظام قواه قياسا على ما نراه في الحيوانات . أليس الإنسان حيوانا مثلها على أن هوفلند لم ينفرد في هذا الرأي . فكل الذين يدرسون طبائع مخلوقات يرون رأيه و يرون طلائع النور من أبحاثهم بإمكان إطالة العمر فيسمعون إلى التجارب والامتحانات المتعددة . ومن الملاحظات الحرية بالنظر ما ذكره بعضهم عن النسبة بين عمر البلوغ والعمر التام فقالوا إنها في الحيوانات على اختلاف أنواعها تكون كنسبة واحد إلى ثمانية أي أن السكاب يبلغ أتم نموه في سنة ونصف فهو يعيش إذا لم يمرض أو يقتل بمحادث ما ١٢ سنة ، والحصان يبلغ أتم نموه في ثلاث سنوات فهو يعيش في ١٤ سنة وقس عليهما سائر الحيوانات الدنيا . وإذا اعتبرنا الإنسان من حيث تركيبه البدني حيوانا وكان نموه لا يتم قبل بلوغه الخمسة والعشرين عاما فمن الضروري أن يعيش مثق سنة ويدعم هذا الرأي ما نراه من حياة بعض الناس الذين عاشوا أعمارا طويلة .

إن هنري جنسكس الإنجليزي الذي ولد في ولاية يورك بانسكترا عاش ١٦٩ سنة ولما بلغ سن ١١٢ كان يحارب في معركة فلورفيلد . وجون بافن البولندي عاش ١٧٥ سنة ، ورأى بعينه ثلاثة من أولاده يتجاوزون المئة من أعمارهم . ويوحنا سور تنغتون الزوجي الذي توفي سنة ١٧٩٧ عاش ١٦٠ سنة وكان بين أولاده من هو في المئة والخمس سنوات . وطوز مايار عاش ١٥٢ سنة . وكورتوال ١٤٤ سنة . على أن أكثر من عاش بين البشر حديثا على ما يعرف هو زنجي بلغ ٢٠٠ سنة .

والاحصاءات تدل على أن أعمار الناس أطول في اسوج وزوج وانسكترا منها في فرنسا وإيطاليا وكل جنوبي أوروبا، كما أن الذين عاشوا هذه الأعمار الطويلة إنما عاشوها ببساطة وكانت حياتهم حياة جد وعمل .

لامشاحة في أن العمل والعادات والاعتدال من العوامل الرئيسية لإطالة العمر . فالإفراط في كل أمر مع الانحراف عن النظام الطبيعي إنما هو سبب تقصير أعمارنا . ومن رأى البعض أن العبودية هي السبب الأهم في تقصير العمر . العبودية للشهوة والتقليد والبطالة والزي . فإذا حاولنا التخلص من عبودية المدنية الحاضرة والانصراف إلى كل ما هو قانوني وبسيط يمكننا مع الاعتدال أن نعيش مثق عام بشرط آخر هو أن لا يكون علينا استحقاقات شهرية ولا مسئولية عقلية تقضى على سلام حياتنا اه .

﴿ رأى نابليون في الطب ﴾

اشتهر نابليون بوناپرت بميله الشديد للطب وإحراز الكتب النفيسة ويتقديره للطب والهيجين ، وكان ميله للعلوم الطبية قويا إلى حد أنه تعلم علم التشريح وأنقنه إتقاننا لكنه لم يستكمل دراسة الطب لاتجاه آخر دفعه إليه القدر . أما ميله للطب والهيجين فكان بمقدار كرهه للدواء والعقاقير معتمدا كل الاعتماد على (الطبيعة الشافية) ومعبذا طريقة البابليين الذين كانوا يلقون المريض على قارعة الطريق حتى إذا مر به عابر أصيب بمثل ذلك المرض وشفي منه أرشده إلى العلاج الذي كان سبب شفائه . ومن أقواله : إن الأدوية لا تفيد

سوى جماعة الطراز القديم، وكان دواؤه الوحيد الحية والاستحمام بالماء الساخن والماء للملح . وقد قال يوما لأحد الأطباء : (إن الجسم آلة تطلب الحياة، وهو مركب لهذه الغاية فقط . فلندع فيه الحياة تنمو ونحيا كما نشاء ولنندعها تدافع عن نفسها بنفسها فإنها تفعل أكثر جدا مما تفعله أدويتكم التي تشل حركتها على الدوام) .

ومن أقواله أيضا : (إن الجسم يشبه ساعة تسير سيرا طبيعيا منظما مدة من الزمان وليس لساعاتي ما أن يفتحها أو أن يعالج ما اختل في نظامها إلا باحتراس كثير وعيناه معصبتان . وإذا وفق ساعاتي واحد بعد عناء عظيم وعذاب طويل إلى أن يصلح شيئا مما أفسده الزمان في ساعة جسمنا فكم وكم من الأغبياء يفسدون هذه الآلة العجيبة التي صنعها الخالق سبحانه وتعالى) هـ .

(وصايا طفل يخاطب والديه)

(في سنة الأولى) : الأقطرة الشديدة تنهك جسمي النحيل الرخص ، فلا تشداني بها وإلا فعلى القليل حلا وثاق من تلك الأربطة لأنفس قليلا ويجري الدم في عروقي .

(في الثانية) : النظافة تنفع جسمي الغض وتقويه فاغسلاني مرة أو مرتين في اليوم كل يوم وإلا فعلى القليل مرة في الأسبوع .

(في الثالثة) : القبلة تنقل إلى جرائم الأمراض الضارة والأسقام المؤلمة فلا تقبلنا نعري وخذى وعينى، ولا تسمحا لأحد بتقبيلي وإلا فعلى الأقل قبلا يدي فإنها تسكني .

(في الرابعة) : الزهرة خارج المدينة مفيدة لي والهواء النقي ينعشني وتقويني فسيرا بي لأمتع بمنظر الطبيعة الجميلة القوية وإلا فعلى القليل اصعدا بي إلى السطح .

(في الخامسة) : العاشرة الرديئة تفسد أخلاقي فلا تتركاني تحت رحمة الخادمة أو بين أولاد الأزقة وإلا فعلى القليل اجتمعا بي وحدثاني ولاطفاني ولو ساعتين في النهار .

(في السادسة) : المدرسة مصدر سعادتي في المستقبل فاتخبني لي مدرسة وطنية جامعة لأرضع فيها لبان العلوم العالية وإلا فعلى القليل العلوم البسيطة هـ .

(عمر المخلوقات)

جاء في مجلة « كل شيء » ما نصه :

يقول الناس أن كثيرا من الحيوانات والطيور تعمر أكثر من الإنسان، ولكن ظهر بعد فحص عمومي لمعدل أعمار المخلوقات على أنواعها أربعة فقط منها تعيش أكثر من الإنسان وذلك مع عدم الانتباه للشواذ وهاك بيانها :

(١) السلحفاة ١٥٠ إلى ٢٠٠ عاما.

(٢) نوع من السمك الألماني ١٠٠ إلى ١٥٠

(٣) العقاب ذو الرأس الأبيض ٥٠ إلى ١١٨ عاما

(٤) النسر ٥٠ إلى ١٠٤ عاما

وإليك معدل أعمار بعض المخلوقات . الكلاب ٣٥ - الحيل ٤٠ - البقر ٢٥ - الهر ٤٠ - الدجاج ٣٠ - البط ٧٥ - الأسود والهر ٢٥ - والسلمون (نوع من الأسماك) يعيش عادة مائة عام . والضفدع الأوروبي ٣٦ ويصل عمر التمساح إلى الأربعين ، وأقصر الأعمار توجد بين الحشرات ، فنوع من الحنافس يعيش من ساعة إلى ثلاث ساعات ، والدبابة ٣٤ يوما ، ولكن خنافس الأشجار تعيش أكثر من سائر الحشرات إذ أنها تعمر ٣٧ عاما : انتهى ما أردته من المجلة المذكورة .

لما كان هذا التفسير يراد به ارتقاء العالم الإنساني، لاسيما للمسلمين انتهزت كل فرصة لإفادة العقلاء بتجارب أمثالهم ليحذوا حذوهم . فهناك ما جاء في جريدة الأهرام يوم ١٩ مايو سنة ١٩٣٠ م تحت عنوان « كلمة شفيق باشا في الاحتفال ببلوغه سن السبعين » وهذا نصها :

سيداتي سادتي : قضيت سبعين حجة طويلة مررت فيها بأيام سعيدة وليالي هنيئة ، ولكني أعد هذا اليوم أسعد أيامي ، فأنا في جمع من خلاصة أصدقائي وإخواني . ليس فيهم إلا كل روفي يشاطرنى ما أحمل له في أعماق نفسي من حب ووفاء .

زملائي الأعزاء رجال الرابطة الشرقية : يسرنى أن أتوجه بالشكر إليكم على تذكركم الذي يزيدني قوة ونشاطا وسأحفظه بقية حياتي عنوان الثقة العالية ، كما أشكر حضرات الذين تفضلوا فأطروني إطرأ مبالغا فيه وأشكر جميع الذين شرفوني والذين حالت أعذارهم دون إسعادي بوجودهم فأرسلوا تهانيم بالبرق وبالبريد .

سيداتي سادتي : سألتى صديقي إسماعيل بك شيرين أن أبسط لحضراتكم ما اعتقده سر النشاط والصحة في هذه السن المتقدمة . وعندى أن ذلك يرجع إلى أسباب اتباعي أوامر الله بابتعادى عن تعاطي الشروبات الروحية . ومما ساعد على ذلك أنه كان لنا جار مدمن لا يعود إلى داره إلا وهو نشوان فتترجح رأسه بين كتفيه وتسلمها حائط إلى أخرى ولا يكاد يعي ما يقوله . وذات ليلة ممطرة رأيتة محمولا إلى الدار بخفيرين أحدهما من يديه والآخر من رجله وهو ملطخ بالوجل . انطبعت هذه الصورة البشعة في ذهني فزادت تقورى من الحجر وكراهيتي لها . ومنها أننى لم أدخن أبدا ولم أتعاط القهوة عادة إلا قليلا منها ممزوجا باللبن وقد اندهش بعض إخواني لتلك فهمست في أذنه عن السبب . واسمحوالى فلا أفصح عنه لأنه لا يقال إلا بين الرجال . ومن ذلك أيضا عدم الإسراف في ملاذ الحياة ، فلا فى الأكل كنتنهما ، ولا فى غيره كنت مسرفا ، وكانت البساطة وما تزال ملاك حياتي ، فإذا لم أصادف الفراش الناعم والحيز اللين رضيت مغتبطا بالفرش الحشن والكسرة الجافة .

ومنها تعودى الرياضة ، فأنا مولع بالمسير على الأقدام حيث أمشى الساعة والساعتين والثلاث فى اليوم ، فإذا عدت إلى مستقرى أكلت بشهية ونمت براحة مبكرا كما استيقظ مبكرا . ومنها أننى لم أعود التفريط فى وقتى فكنت منتظما فى ساعات عملى وأوقات راحتى ورياضتى ، ولا أقتل الوقت فى القهاوى والملاهى .

تلکم هى الأسباب الأولى عندى التى أشكر الله عليها وأسأله الزيد حتى أتمكن من أداء ما يشغل كاهلى من دين على للتاريخ ألا وهو نشر مذكراتى فى نصف قرن وبعد ذلك فعلى الدنيا السلام . انتهى كلامه ، وإلى هنا تم الكلام على اللطيفة السادسة والمحمد لله رب العالمين .

اللطيفة السابعة

(فى قوله تعالى - الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا - الخ)

جمال الله تجلى فى الأنس وفى الأشجار وفى كل مخلوق ، المادة كما تقدم فى (سورة النور) عند قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - عبارة عن نقط كهربائية يدور سالبها حول موجبها (٦) آلاف مليون مليون مرة فى الثانية فانظره هناك ، فإن الشجر والحجر والأرض والسما كلها نور تنوعت حركاته فنوعت

مناظره فقيل هذا حديد وهذا ماء ، وما هذا وما ذلك إلا تلك الأنوار الكهربائية الجارية حول بعضها ترسم دوائر كدوائر الكواكب حول الشمس وبينها فرجات ومسافات وهي للمسافات تعادل للمسافات بين الأرض والسيارات وبين الشمس . إذن المادة لم تخرج عن كونها مادة نورية غليظة وغلظها إنما جاء في نظر أعيننا . هذا هو رأى علماء العصر الحاضر وهذه الحقائق اخذت عن عيوننا ، فلما خلقنا الله في الأرض أحوجنا إلى الغذاء والغذاء احتاج إلى الحرارة ، وهكذا أجسامنا اعتراها البرد فاحتاجت إلى الدفء ، لهذا خلق الله النار ولكنها محبوة في الشجر والحجر فألمهم الآباء أن يحكوا عودا بعود فظهرت النار ففرحوا بها . الله لا يريد أن يعطينا شيئا إلا إذا اشتقنا إليه ومتى اشتقنا طلبنا ومتى طلبنا نلنا علما منه بأننا لانبالي بما لا نطلبه . هذه النار التي أوريناها من الحجر ومن الشجر عالم لطيف يذكرنا بالنور الأصلي وهو النور الذي منه كانت المادة وهو أقرب إلى اللطافة والجمال ، ومذكر بنور الكواكب والشمس والقمر . والنار رآها موسى فقال « إني آمنت نارا لعل آتيتكم منها بقبس أو أجد على النار هدى » وقد قال بعض المفسرين : هاديا يدلني على الله . ومتى ثبت أن المادة أضواء نورية لم يبق في الوجود الحلق إلا الله . ومن عجب أن هذه الفكرة هي التي يقولها الصوفية وهي التي يقولها سقراط وأفلاطون من علماء اليونان إذ يقولون : « لا معنى للموجود الذي يتغير » والمادة متغيرة فاطلاق اسم الوجود عليها مجاز ، ولا يتعلق العلم بها وإنما يتعلق بما هو ثابت . فها هنا عجبتان : (العجبية الأولى) إيقاد النار في العصور الأولى التي منحها الله البشر وهذه صورتها (انظر شكل ٧٥) .

وهذه المنحة قديمة العهد جدا مجهولة الابتداء ولكنها بقيت عند أقوام إلى الآن في بعض جزائر المحيط الهادى كما أن لهم عادات مزعجة إذ تفعل الأرملة بعد موت زوجها في نفسها ما يوجب فعله (انظر شكل ٧٦)



(شكل ٧٦ - أرملة في بونا جبتت شعر رأسها ووجهها بالجير والطين لأن ذلك من شعائر الحزن الواجبة على المرأة هنالك عندما تفقد زوجها)



(شكل ٧٥ - أول طريقة لاختراع النار وقد توفى إليها الإنسان الفطرى بشدة احتكاك قطعتين من خشب الأشجار ولاتزال مستعملة بين سكان جزائر المحيط الهادى فاعجب لإجهاد ستة من الرجال الأشداء كلما احتاجوا إلى ما تفعله نحن في لحظة واحدة بعود من التمام)

وأيضاً لهم أسلحة حجرية إلى الآن يستعملونها (انظر شكل ٧٧) وهكذا يضعون الورق على أجسامهم كما كان يفعل آدم عليه السلام هو وحواء (انظر شكل ٧٨).



(شكل ٧٨ - رسم فارس من حاشية أحد الرؤساء في جزائر المحيط الهادى وهو مكلف بخدمة المكاتب وما إليها. ولباسه الرسمى قبة وبذلة من أوراق شجرة جوز الهند مع دهن وجهه بملاط أسود وأحمر)



(شكل ٧٧ - أسلحة حجرية من بلاد بابوان، وقد أصبحت نادرة في جزائر المحيط الهادى إلا في هذه الجهة)

واعلم أن الله أبقى هذه العجائب في المحيط الهادى إلى الآن ليرينا كيف ارتقى الإنسان في إيقاد ناره، وفي عاداته وفي أسلحته وفي ملابسه ليعلم المسلمون الآن ومن معهم من الأمم أن في هذا العالم نعماً قد خبثت لهم لا ينالونها إلا بالعمل. تمت العجبية الأولى.

(العجبية الثانية) لا تؤخذ من الآية بطريق المفهوم ولكنها بطريق الاستنباح. ذلك أن الشجر والحجر إذا كان فيهما نار أفلا يكون في هذه النفوس الإنسانية سر تكون نسبة النفوس إلى ذلك السر كنسبة الشجر والحجر إلى النار، نعم ذلك هو السر المكنون وهو الذى استخرجه أفلاطون قبل الميلاد بعدة قرون قال ماملخصه :

مثل أفلاطون

يقول أفلاطون إن مثل الناس في الأرض كمثل قوم عاشوا في مغارة تحت الأرض وقد وضعوا وضعا بحيث لا يفتنون بمنة ولا يسرة ووجوههم مولية تلقاء آخر المغارة من الجهة المقابلة لبابها، وهناك نار أوقدت وراءهم في الطريق وبينهم وبين النار سور والناس يكدون ويروحون خلف هذا السور أى في الجهة التى فيها النار وهؤلاء الذين يمدون يمدون معهم صور الحيوان والنبات والشجر، فهؤلاء الذين في المغارة لا يرون إلا ضوء النار اللامع في المغارة أمام أعينهم وهم لا يرون النار ولا السور وإنما يرون تلك الصور

مرسومة على حيطان المغارة أى صور الناس والحيوان والنبات . فهؤلاء لا يعلمون من الوجود إلا تلك الظلال فيسمون تلك الظلال بأسماء على حسب ما يتفق لهم . قال فإذا أتيت لواحد منهم أن يخرج من المغارة إلى خارجها فإنه يرى الحقائق خلاف ما يرى إخوانه . يرى أن النبات والحيوان والإنسان الحقيقي غير الخيالات ويرى تلك الحقائق مجسمة فعلا ماثلة وراء السور أمام النار ، ثم ينظر فيرى أن إخوانه مغرورون إذ يظنون الظلال حقائق ثم ينظر هو فيرى أن الحيوان والنبات والإنسان وما أشبهها ماهى إلا صور صورت فوق الأرض بأسباب سماوية كضوء الشمس والقمر والكواكب بل نفس النار آتية بحسب أصلها من آثار ضوء الشمس في الأشجار والنبات وهناك يرى أن السبب الحقيقي لهذه المخلوقات إنما هي الشمس فيرى الليل والنهار والفصول الأربعة وإذ ذلك يدهش من هذا الجمال والإبداع ويعرف أصل الوجود اه .

فهناك (أمران : الأمر الأول) أهل المغارة يرون خيالات (الأمر الثانى) هذه الأجسام الحقيقية والنار المتقدة أصلها الشمس . فكما أن الخيالات في المغارة لاحقيقة لها هكذا النبات والحيوان وسائر الدواب والبيران لاحقيقة لها بالنسبة للشمس . فالشمس هي الأصل والمخلوقات على الأرض تتبع لها ، ثم إن أهل المغارة أشبهوا أهل الأرض والصور الخيالية في ضوء النار بالمغارة تمثيل لسلك جماد ونبات وحيوان ومخلوق على الأرض وضوء النار في المغارة تمثيل لضوء الشمس ، فالشمس وما تفرع عنها من الفصول والدهور وما خلق بسببها من الحيوانات والنباتات خيالات وصور غير ثابتة والوجود الحقيقي هو الخير المحض وهو الله تعالى .

فما أهل الأرض إلا عوالم لم يعرفوا الحقائق المحبوة وراء هذا العالم وهو الخير المحض الذى يدركونه إذا نظروا إلى نفوسهم وهذا الخير المحض هو الله تعالى . فانظر إلى أفلاطون القائل : إن هذا العالم له مثل (جمع مثال) وتلك للنل دائمة وهي عوالم روحانية دائمة وأن هذا العالم فان وأنه يجب علينا أن نطلب ذلك العالم الباقى ونذر هذا الفانى ولا يكون ذلك إلا بالجد والاجتهاد ، فكما أن أصحاب المغارة لا يمكنهم أن ينظروا نور القمر ولا نور الشمس إلا تدريجاً بمعنى أن الواحد منهم ينظر بعد خروجه أولاً إلى صور الأشياء فى الماء ، ثم إلى نجوم الليل فى الماء ، ثم إلى نفس ضوء النجوم ثم إلى ضوء القمر ثم إلى صور الأشياء نهارة فى الماء ثم إلى نفس الأشياء وهكذا كل ذلك بالتدرج . هكذا لا يمكن الناس أن يصلوا إلى الحقائق إلا تدريجاً بطرق منظمة على طريق الاحتيال . والحياة كلها يجب أن توجه النفس فيها إلى طرق العلم توجهها تاماً لاهوادة فيه ولا عوج ، وبدون ذلك لا يتسنى نيل المرغوب من الوصول لحقائق الأشياء ويقول إذا عرف الناس ذلك حقروا هذا العالم الفانى وأحبوا الوجود الحق .

أقول : ولكن ليس هذا بحسب الطريق التى يتبعها جهلة المسلمين الناعمين . كلا ، بل هي طريق العلم والعمل والجد المستمر . كل ذلك تشير له آية «الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً» الخ فأنه عز وجل ألهم الناس فاستخرجوا النار من الشجر ، ثم ازدادوا علماً بالختراعات فى عصرنا الحاضر ، عصر الراديو وعصر أعجب الاختراعات وألهم الحكماء من الناس فاستخرجوا من النظر فى نفوسهم معرفة ربهم فعاشوا فى الدنيا مفكرين فى إسعاد أنفسهم وأممهم والحمد لله رب العالمين . كتب يوم الاثنين ١٨ مارس سنة ١٩٢٩ .

﴿ تذكرة في قوله تعالى «الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا

فإذا أتم منه نوقدون» ﴾

(يوم الأحد ٢ فبراير سنة ١٩٣٠ عند صلاة سنة الصبح، وأنا أردد آية «وهل أتاك حديث

موسى إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا»)

تباركت يا الله وتعاليت ، وأعجبنا كلامك كما أدهشنا صنعك ، ذكرت لنا أنك جعلت لنا من الشجر الأخضر نارا وبهذا تذكرنا آية «الله نور السموات والأرض» وأنك سميت سورة باسم النور ولم تسم سورة باسم النار ، وأن رحمتك سبقت غضبك ، وأن لك شموسا كشفوها حديثا لاجل الحرارة فيها وليس يخرج منها إلا ضوء ، وأن الناس يريدون أن يجردوا أضواء الصاييح من الحرارة البالغة ٩٦ في المائة ويحولوها إلى ضوء وتصبح الحرارة (٤) في المائة والباقي يكون ضوء كشموسك التي جعلتها ضوء لاجل الحرارة فيه وتذكرنا قولك في (سورة الواقعة) «نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين» وهم الذين يكونون في الصحارى المقفرة فيقدحون الزندين ويستخرجون النار . وقولك «وقودها الناس والحجارة» وقولك «وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا» .

اللهم إن شأن النار في قولك وفي صنعك لعظيم ، النار صنعك وأنت جميل فصنوعك جميل يهيج العقول ويحير الأفكار ، جعلت النار تذكرة كما جعلتها متاعا لنا . إذن هي لعقولنا تنوير ولأجسامنا تدفئة ولما لنا مخرجة على هيئة بخار من البحار وهوائنا مجرية وهو يحمل سحبا وهي لنباتنا منعية وحيواننا منشطة ولعالمنا الأرضي كله نعمة لا عدد لأفرادها ولا حد لأوصافها .

لولا الحرارة ما كان حيوان ولا إنسان . لولاها لم يكن سحاب ولا رياح . النار نعمة من أجل النعم فهي والماء بهما الحياة وبهما الموت : بهما الحياة إذا اعتدلت بالميزان ، وبهما الموت إذا لم يكن اعتدال الميزان بيدك .

وزنت عالمنا وجعلت للنار حدا وللماء حدا ، وقلت لهما معا : أدخلوا أجسام كل حيوان وكل نبات وكونا نعمة لأهل الأرض إذا كان هناك نظام وكونا نعمة إذا لم يكن نظام . إن جسم الإنسان فيه حرارة وفيه رطوبة بقدر معلوم فإن زادت الرطوبة للمائة حصل الزكام والسل وجميع الأمراض الباردة ، وإذا غلبت الحرارة كانت أنواع من الحمى وما يماثلها ، ومتى اشتد أحدهما هلك الحيوان . إذن لا بد من الحرارة مصحوبة بالرطوبة في جسم الحيوان وهذا يشير له قولك «ومتاعا للمقوين» وقولك «لعل آتاكم منها قبس» وهذه الحرارة الظاهرة الناجمة من الشمس ومن جميع أنواع النيران المتقدة لها آثار في النفوس تشاكلها . وفي الحديث «إن كل أم يقبها ولدها» فإذا رأينا في الأجسام حرارة هكذا نرى في العقول والنفوس حرارة معنوية ولكن هذه أشد من تلك وأدوم . إذا اشتدت الحرارة على الأجسام أهلكتها ولكن إذا اشتدت آثارها كالحسد والغضب والحقد والغيرة والتعصب والطمع وأنواع العداوات وأنواع الحبة والعشق . فكل هذه إذا غلبت على الروح كانت لها عذابا واصبا . فاذا أهلكت النار الحسية الحمى في لحظة فإن النار للعنوية في النفوس تلازمها وتكون لها عذابا واصبا كما نرى ذلك في متاعى الحجر وأنواع التبغ والحشيش والأفيون فكل هؤلاء أصبحت نفوسهم فيها نيران الشهوات الخاصة قد لازمها ويشير لذلك «إن عذابها كان غراما» .

فهذه اللذات التي لا ترحم في مطالبتها للإنسان نيران تطلع على الأفئدة وهي المعبر عنها في القرآن بقوله تعالى «لنذيقهم عذاب الحزى في الحياة الدنيا، ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون» وقوله تعالى «ولا تحزنا

يوم القيامة إنك لا تخلف اليعاد» وأوضح هذا كله قوله تعالى «ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته» فإدخال النار الجسمية يتبعه الحزى والحزى هو مثل ما أراه في الدنيا من أن الإنسان قد يسلب ماله أو ملكه فيحزى لثماته الأعداء وفرحهم به . وهذا كله عذاب معنوي أشد من الحسى إذ جعله في الآية أشد من الحسى لأنه سبب الفضيحة والثماتة للمعذب بها . فنحن في هذه الدنيا بين (نارين) نار ظاهرة وهى إما معتدلة وهى المتقدمة فى منازلنا المديرة لآلاتنا الحازرة لحزنا الطائفة لطعامنا المحرية لسفننا المسيرة لقطرنا ولسياراتنا ولطياراتنا ولعرباتنا . فهذه نعمة علينا فى الأرض والبحر والهواء وفى أجسامنا وأجسام حيواننا . وإما غير معتدلة وهى التى تشب فى محازتنا وفى مدننا فجأة فتهلك الحرث والنسل . ونار باطنة وهى إما معتدلة فيكون منها الحب المورث انتظام الجماعات واستقامة الأمم . والكراهية المعتدلة التى بها يكون تفرق الجماعات على الأرض ليحصل الاتقاع بقطعها المختلفة . ولو أن الله لم يجعل فى القلوب إلا نار الحبة ولم يلفظها بما يضادها وهو الغيرة والحسد والتنافس لاجتمع الناس فى صعيد واحد فى الأرض وهلكوا . ولكن الغيرة والتنافس يورثان التباعد فيكون هناك ازدياد الحيرات والنترات . فكما كان فى النار الظاهرة نعمة لنمو النبات والحيوان ودوران الآلات هكذا فى النار الباطنة نعمة . فالحب نار نافعة والبغض نار نافعة إذا كان فيها اعتدال . فإذا لم يعتدلوا ازداد الحب حتى أعمى المحب عن المساوى أو ازدادت الغيرة والعظيمة والحسد حتى جاوزت المقدار كان هناك الحرب والإيذاء وخراب الديار . فالنار سواء أكانت ظاهرة أم باطنة منفعة لنا . وقد يكون فيها الهلاك .

وهنا سألتى بعض الإخوان قائلاً : أريد تلخيص هذا المقام فهو كثير الشعب لا ضابط له . فقلت انظر البيان الآتى :

القبس فرعان وهما :

- (١) الحرارة .
- (٢) الضوء .
- (٣) الضوء معنوي يهدى إلى العلوم والمعارف .
- (٤) حسى بالحواس الخمس المعروفة .
- (٥) أما الحرارة فهى معنوية وحسية .
- (٦) فالحرارة الحسية إما أن تعتدل وإما أن لا تعتدل .
- (٧) فإن اعتدلت فهى للتاع .
- (٨) والحرارة التى سميها متاعا هى إما جامعة وإما منمية وإما مدبرة وإما مثيرة .
- (٩) فهى فى نحو الطين والعجين جامعة وفى النبات والحيوان منمية وآلات الأرض كسكة الحديد وآلات الماء كالسفن البخارية وآلات الهواء كالطيارات (مدبرة) .
- (١٠) وللبخار من البحار وللهواء (مثيرة مبثرة) وبهذا تمت أقسام الحرارة المعتدلة التى سميها متاعا
- (١١) أما الحرارة التى لم تعتدل فهى التذكرة وهذه التذكرة تكون طاغية فى الأجسام وفى المدن والحقول .
- (١٢) فالطاغية فى الأجسام تحدث أنواع الأمراض كأنواع الحيات .
- (١٣) والطاغية فى المدن والحقول تهلك الحرث والنسل . وبهذا تم الكلام على الحرارة الحسية المعتدلة والتى لم تعتدل .

(الحرارة العنوية تنقسم كأقسام الحرارة الحسية المتقدمة)

- (١٤) أما الحرارة العنوية فهي معتدلة وغير معتدلة .
 (١٥) فإن اعتدلت فهي إما مثيرة للعزائم في الأعمال العظيمة .
 (١٦) وإما مديرة لنظام الفرد والأسرة والمدينة .
 (١٧) وإما منمية لتلك النظم .
 (١٨) وإما جامعة للناس بأنواع الحجة .
 (١٩) والحرارة العنوية إن لم تعتدل فهي إما محدثة لأنواع الأمراض المختلفة .
 (٢٠) وإما موجبة للحرب والقتل بسبب العداوات المفرطة .

ثم قلت : فهذا الجدول المفرع (٢٠) فرعا به تعرف أيها الذكي بعض أسرار قوله تعالى في هذه السورة «الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أتم منه توقدون» فيإيقاد النار عادة يكون للمتاع وهذا يناسب قوله في (سورة الواقعة) «ومتاعا للعوالم» وهذه لها تسعة فروع في هذا الجدول، وأما التذكرة في (سورة الواقعة) فلها فرعان وهذه هي النار الحسية وتلحق بها العنوية بقسميها ولها ستة فروع والهدى المذكور في (سورة طه) له فرعان . فقط ، إذن التذكرة والهدى والمتاع والقبس هذه الكلمات الأربع المذكورة في سور مختلفة تفرعت عليها جميع أعمال هذه الحياة ونظمها، ثم إن الهدى والتذكرة والمتاع آثارها في النفس باقية فإن حرارة شوق النفوس إلى العلوم وتحصيلها على مقتضى تلك الحرارة ومزاولة أنواع الآلات الصناعية في هذه الحياة تحدث في النفوس ملكات تختلف باختلاف الأشخاص وهذه الملكات عملية في فروع المتاع علية في فروع الهدى . ولا آخرة ولا جنة ولا لقاء لله في الآخرة ولا سعادة إلا على مقتضى هذين الأصلين القوى العلية بالهداية والقوى العملية بمزاولة أعمال متاع هذه الحياة .

اللهم إني أحمدك على العلم والحكمة وعلى معرفة بعض أسرار التنزيل في كتابك المقدس . إنك أنت اللهم أنت المنعم وأقول ما قاله بعض الصحابة رضوان الله عليهم .

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

فأنا يا الله لولا توفيقك وإلهامك ونصرك لعبد ضعيف مثلي ما كتبت حرفا واحدا وهذا هو قول المسلم في الرفع والاعتدال في الصلاة «اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطى لما منعت ، ولا راد لما قضيت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد ، فلك الحول ولك القوة ولك الملك والملكوت» .

فقال صاحبي هذا حسن جدا واضح جميل ولكن هذا الموضوع كان أليق بسورة طه أو بسورة الواقعة قلت : نعم ولكن لم يفتح الله به إلا في هذه الأيام في أوائل شهر رمضان فأثبتته في أقرب سورة إلى الطبع فقال : استوف المقام إذن لأنني أرى أن له بقية ، قلت : لا أدري ماذا تريد . فقال : أريد إتمام الكلام على قوله تعالى «وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا» الخ . لم هذا التشويق بجملة «وهل أتاك» الخ وعلى الشمس وحرارتها فإن لها بقية سالحة . قلت : نعم هنا (فصلان : الفصل الأول) في التشويق بقوله تعالى «وهل أتاك حديث موسى» الخ (الفصل الثاني) في إتمام الكلام على حرارة الشمس وضوئها .

الفصل الأول

(في الكلام على التشويق بقوله تعالى « وهل أتاك حديث موسى »)

اعلم أن القصص في القرآن أريد به بعث الهمم وشحن الأذهان . إن هذه الأمم الإسلامية التي نامت في القرون المتأخرة ستستيقظ من رقدتها بمزاولة القرآن واستكناه معانيه . ومماثل المسلم حين يقرأ علماً أو يستفيد حكمة من أي فرع من فروع العلوم العلوية أو السفلية الحسية والعقلية إلا كمثل رجل رأى قافلة مقبلة وأهله في منزله لا قوت عندهم وقد انتظروا الطعام وأنواع الأمتعة من هذه القافلة . أو رأى سحاب أقبلت وهو في أشد الجوع والعطش فأقبل إليهم يقول بشراكم ها هي ذة القافلة أقبلت أوها هي ذة السحاب ستمطركم وهذه عادة كل امرئ مع من يتصل به فهو إذا رأى مغنا قد اقترب وهم في انتظاره أسرع إليهم وبشرهم . وهل هذه إلا حال موسى عليه السلام . رأى نارا وهو متعب في طلب (أمرين) الهداية لله والدفء لأهله التي تضع ولا مغيب لها ولا معين في صحراء طور سيناء ، فأراه الله النار في شجرة العليق فبشر أهله بها . وهل هذه القصة جاءت لمجرد حفظها أو فهمها أو معرفة بلاغتها أو مجرد الإيمان بها : كلا . والله فهذه مرتبة العجايز وصغار المتعلمين

أيها المسلمون : لا يفرنكم البلقاء ولا الشعراء ولا صغار العلماء . أو لا يعلم المسلمون في أقطار الأرض أن كتب الحكماء ككتاب كلية ودمنة الذي جاء على ألسنة الحيوانات قد قبلته جميع الأمم وهذه الحوادث التي فيه كحادثة ابن الملك والطار (فرزه) فإن هذا الطائر كان له فرخ يلعب به ابن الملك فزرق في حجره فقتله فأقبل الطائر ففقأ عين ابن الملك اقتصاصا لابنه فأراد الملك أن يخذع الطائر ويقول له أقبل ويكون بيننا الصلح ففعل الطائر أنه يريد القدر به فلم يقبل وكانت نتيجة ذلك هذه الحكمة : (إنه لا أمان لعدو قوى له علينا نأر وإن أظهر لنا تضرعا وملقا) وكحادثة الجرذ والسنور إذ ضرب مثلا لرجل كثير أعداؤه وأحدقوا به من كل جانب فأشرف معهم على الهلاك فالتمس النجاة والخروج بموالاته بعض أعضائه ومصالحته فلم من الخوف وأمن ثم وفي لمن صالحه منهم ، ذلك أن الجرذ خرج يوما فرأى السنور وقع في شبكة الصياد ورأى ابن عرس خلفه يريد أخذه وفي الشجرة يوم يريد اختطافه أيضا فصالح السنور وهو أحد أعدائه لينجو منه ومن الباقي فقطع حباله إلا واحدا حتى لا يقتاله السنور ، ولما رأى ابن عرس والبوم اقترابه من عدوها يشا منه وانصرفا ، فلما أقبل الصياد نحو السنور أقبل الجرذ فقطع الحبل الباقي فنجى السنور بذلك كما نجى الجرذ وانتهى الأمر .

فهاتان الحادثنان يفرح بهما الأطفال والجهال باعتبار ظواهرهما ، أما رجال السياسة ورجال الحكمة وهم سادات الأمم في الدنيا والدين ، فانهم يقولون : إن القصد أن الأفراد والأمم عليهم أنهم إذا وقعوا في ورطة وتألبت عليهم الأعداء أن يصلحوا بعضهم مع الاحتراس وبهذه المصالحة ينجون من بقية الأعداء ومن نفس ذلك العدو الذي صالحوه ، وهذا هو الذي فعله الانسكيز إذ صالحوا أمة شرقية هي اليابان إذ حاربت الروسية التي كانت تناوى* انسكيترا ، وهكذا فيلعل الأفراد مع بعضهم . وهذه الطائفة إذا قرأت « وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا » نفهم فوق ما يفهمه الجهلاء . فماذا يقولون ؟ يقولون إن كل عاقل في الأرض لاسيا المسلمين عليه أن يسعى (لأمرين: الأول) إصلاح حال الأمة من حيث الأمور المادية (الثاني) إصلاحها من حيث الهداية العملية ، وهذان يجمعان القبس والهداية ، فالأول ، أدى والثاني عقل وهذا هو نظام

الأمم جميعها ، فلا نظام لأمة يخرج عن هذين الأصلين . وإذا كنا نجد مصالحة الجرذ للسنور ونجاته من ابن عرس واليوم جعلت رمزا لمصالحة بعض الدول المعادية أو الجماعات للنجاة من الجميع وهذا سر كلام فيلسوف مخلوق أفلا يكون كلام الله أولى باستنتاج الحكمة والعلم .

قال صاحبى : هذا حسن وليكن هذه المعاني مصرح بها في القرآن إذ يقول الله « وخذوا حذرکم » ويقول « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها » وأمثال ذلك في القرآن كثير فلا تطيل به . فقلت : نعم وليكن للرموز مزية ليست للتصريح . فالرمز آثاره قيمة نافذة عظيمة الأثر . فلناس حكم مسطورة في السكتب ككتاب [الأمثال] البيدائى ولهم حكايات مختلفة الأساليب وكلها ترجع لأغراض الحياة . هكذا القرآن فهو كما يقول « ولا يحبق السكر السوء إلا بأهله » هو نفسه يذكر عادا وعمودا وأصحاب الرس ويحتم أخبارهم بإهلاك الكافرين وهذه طرق مختلفة لا بد منها كما اختلف الطعام والشراب والزروع والأدوية . كل ذلك لنظام الحياة على الوجه الأكمل .

﴿ آية «لعلی آیتکم منها قبس» أيضا وآثارها عند فلاسفة اليونان ﴾

كتاب كليلة ودمنة كتاب هندي ترجم للفارسية وترجمه ابن القفيع للعربية وهانان الحادثنان ذكرناهما هنا لمجرد التنظير وإن كان بينهما بون بعيد لأن كتاب [كليلة ودمنة] قصد بظواهره الخرافة وبيواتنه الحكمة والعلم . أما قصص موسى فظاهره حقيقي لأنه نسب إلى نبي مع أهله وهذا السر وقع بخلاف مسألة السنور والجرذ فهما خرافيان . وهنا أمر جدير بالتعجب وهو أن القرآن ذكر النار وقبسها والهدى في هذه الآية التي ذكرناها هنا لمناسبة آية «الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا» الخ .

ذلك أن أفلاطون في جمهوريته ذكر النار في هذه المعاني نفسها قبل زول القرآن بنحو (٨) قرون وهذا هو معنى قوله تعالى « بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم » فلا زلنا نرى في القرآن آيات قد تقررت وثبتت في العلم والحكمة كالذي تقدم في سورة النور إذ يقول الله تعالى « وينزل من السماء من جبال فيها من برد » الخ . مع أنه لا جبال في السماء ينزل منها برد فظهر بالكشف الحديث أن في السماء جبلا من ثلج يصنع فيها البرد (انظر صورته المأخوذة ومعها الطيارة التي كان فيها الصور تصويرا شمسيا هناك) فهذه آية استبانت في العلم الحديث وذكرها القرآن قبل ذلك بنحو (١٣) قرنا وهكذا آية « أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا » الخ فهذه لم تظهر إلا حديثا إذ ظهر لأهل العلم أن الأرض والكواكب السيارة مشتقات من الشمس وهكذا سياتى في (سورة الحديد) أن الأقباط بمصر قد عثروا حديثا على أن الرهبانية ليست من أصل الدين المسيحي ولكنها ابتدعتها رجل مصري في القرن الثالث المسيحي خاف من الوثنيين الرومانيين الذين يحكمون البلاد ففر إلى الجبال وتبتل فصار ذلك سنة وهذا قوله تعالى « ورهبانية ابتدعوها » وأثبت بعض الأقباط في كتاب [الحريرة النفيسة في تاريخ الكنيسة] ذلك وقالوا لم نكن نعرف هذا إلا في زماننا ، فهكذا هذه الآية فإن قبس النار والهدى قد جاء في كتاب (جمهورية أفلاطون) فهي آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من اليونان وجاء بها الوحي . فإذا طبق الوحي الحكمة والفلسفة وأصبحت أقوال الفلاسفة شروحا لآيات القرآن سواء أكانت قديمة العهد أم حديثة أم مستقبلية . وهالك ملخص المقالة السابعة من جمهوريته ، وقد كتبنا لها ملخصا وجيزا في (سورة الأنعام) عند آية إبراهيم وأنه رأى كوكبا الخ فلنوسع المقال فيها هنا فنقول :

قال ماماخصه : إذا أردنا أن نعرف حال النفس الإنسانية علما وجهلا فلنتصور مغارة عميقة خلفها نار فيها أناس قد وضعوا في الأغلال وظهرهم إلى تلك النار ووجوههم موجهة إلى الجهة الأخرى فلم يروا

من الوجود إلا أشعة تلك النار قد أضاءت ما أمامهم من حائط المغارة وهناك أمام النار خلف ظهورهم حائط مرتفع وبين النار والحائط طريق يمر فيه أناس يعملون تماثيل مختلفة من أمتعة وحيوانات ونبات وجمادات ولا ريب أن النار المتقدة تحمل تلك الصور فتلقها مع الحائط بضوئها فيرونها .

فأصحاب المغارة هم ضرب مثل لنا نحن سكان هذه الأرض ، فهم لا يرون إلا الضوء والأشباح للصورة فيه فلا ريب يسمونها بأسماء مختلفة ، فإذا نبغ أحدهم وخرج من بينهم فرضا وأراد مقابلة الشمس فربما عمى فلا سبيل له إلا أن يبصر أولا ظلال الأشياء خارج المغارة ثم ظلالتها في الماء ثم نفس الأشياء ثم صور النجوم في الماء ليلا ثم نفس النجوم في السماء ثم صورة القمر في الماء ثم نفس القمر وضوءه ثم يرى صورة الشمس في الماء ثم نفس الشمس وضوءها ، وهناك يعلم علما ليس بالظن أن الأشباح التي يراها أصحابها في المغارة ليست حقائق بل هي خيالات لصور المواليد الثلاثة وغيرها مما على الأرض : وكل ما على الأرض من حيوان ونبات وجماد هي حقائق تلك التماثيل وهذه نتائج للشمس . فهنا أربع مراتب : الظلال ، التماثيل ، نفس الأشياء من نبات وحيوان الخ . الشمس . فالأصل الشمس وغيرها عنها وجد وأقلها مرتبة الظلال في المغارة إذن فسكر في نفسه وقال إن لي إخوة بالمغارة فلا بد من أن أرجع إليهم ، فإذا تصورنا رجوعه إليهم فإنه أولا لا يقدر أن يعيش في الظلام كما كان معهم إلا تدريجا ، فإذا استقر قراره وألقى عصاه واستقر به النوى هنالك يحاط بهم بما يقرب إلى أفهامهم لا بنفس الحقائق لئلا يكذبوه ولأنه إذا قال هناك شمس وهناك نجوم وهناك حيوان ونبات هي أصل لهذه التماثيل كذبوه فهو يسلك معهم سبيل الحكمة فلا يزال يعلمهم حتى يعرفوا منه أن لهذه الأشباح أصولا هي التماثيل والتماثيل صور للمواليد الثلاثة ونحوها وكل هذه من الشمس بل نفس النار المتقدة الأصل فيها ضوء الشمس إذ لو لاها لم تكن ويفهمهم الفصول الأربعة والسنين وكل شيء وهناك يكون أصل هذه المغارة طوائف ثلاثة : مصدقون ومكذبون وشاكون متحIRON . وهذا كله مثل لحالنا نحن فإن المغارة هي عالمنا المحسوس والنار ضوء الشمس والذي خرج من بين أهل المغارة هي نفس الفيلسوف مثلا إذا عرف الحقائق ورجوعه ثانيا إلى أهل المغارة مثل لإرشاده لأهل بلاده وتعليمهم شفقة عليهم . فالشمس بدل النار عبر بها عن الله وضوءها بدل ضوء النار عبر به عن إفاضة رحمته ونفس المخلوقات حية وغير حية بدل التي سميت (المثل الأفلاطونية) وهي عوالم روحية وهذه المخلوقات صور لها ظاهرة ونحن أهل الأرض مثل لأهل المغارة والأنبياء والحكماء مثل لذلك الذي خرج من بينهم فعرف ورجع ليرشدهم .

(٥)	(٤)	(٣)	(٢)	(١)
(١) ارتقاء نفس	نحن أهل الأرض	المثل الأفلاطونية	تدييره	(١) الله
الفيلسوف وتعليمه لأمته	سكان الغارة	العالم المحسوس	الضوء	(٢) الشمس
(٢) خروج أحد سكان	تصورهم لتلك الظلال	ظلاله في الغارة .	ضوء النار	(٣) النار
الغارة ثم تعليمهم ثانيا				
(٣) اختلاف أهل				
الغارة في قول عالمهم				
واختلاف الناس في				
أقوال فيلسوفهم				
وكل معلم لهم .				

هناك تدرك النفس حقائق الأشياء وترى أن هذه العوامل آثار العالم للعاني فتوجه إلى مبدع هذا النظام ثم قال : ولا سبيل لتعليم رؤساء الجمهورية الحقائق إلا بالتعود على الرياضات البدنية والموسيقى ولا بد من امتحانهم في المخاطر والصبر عن اللاذ ، وهكذا علوم الحساب والهندسة والهيئة ثم للموسيقى لتعود النفس للمراقبة الدائمة ثم يتلو ذلك الأعمال الحربية مدة عامين أو ثلاثة ثم علوم الرياضيات كرة أخرى فإذا بلغ التنفيذ (٣٥) سنة فلينتقل إلى علم معرفة الخير المحض والجواهر العقلية وهذا العلم هو الأصل وبقية الموجودات كالحيايات بالنسبة له بل هو الحقيقة وكل العلوم ظنون ، وهذا يكون في خمس سنين ثم يدربون على الأعمال الحربية وغيرها ثم تسلم لهم المدينة في سن الخمسين اه .

هذا ملخص الكتاب السابع من جمهورية أفلاطون ، وهل هذا الفصل كله إلا صدى لصوت موسى « إذ قال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعل آتيكم منها قبس أو أجد على النار هدى » ولست أقول إن أفلاطون قرأ هذه الآية فهذا مستحيل لأنها نزلت بعده بقرون ، ولكني أقول هذا الله وكلام الله آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم ، ومن الذين أوتوا العلم أفلاطون وأفلاطون ذكر أن أحد أهل الغارة عرف فرجع وعلم إخوانه وهو نفسه حكاية موسى إذ رأى نارا فرجا أن تكون له مخرجا في أمر المعاش بالقبس من حيث حرارتها وأمر العباد بالهدى من حيث ضوءها ، وهذا هو ملخص الكتاب السابع لأفلاطون فهو استنتاج من النار على حائط الغارة نتائج أوصلته إلى الشمس ثم إلى الله وهذا هو نفس الهدى الذي جاء على لسان موسى إذ قال « أو أجد على النار هدى » فهذا الفيلسوف وجد على النار هدى بالبحث دله على الله والنبي موسى عليه السلام نودي أن بورك من في النار ومن حولها فخاءه الهدى بطريق الوحي عند النار . اللهم إني أحمدك على العلم وأحمدك على التوفيق « اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت » اللهم إنك أنت اللهم والعلم ولو تركتني وشأني في هذا التفسير لم تكن لي قدرة أن أوازن ما بين كلام أفلاطون وهذه الآيات القرآنية ولم يكن لي من العلم ما يجمع بين هذه الأمور المتباينة ظاهرا المتشاكلة حقيقة .

أيها المسلمون . كفى نوما . ها هوذا موسى عليه السلام يقول لأهله « إني آنست نارا » وهامى ذه الحكمة في أقطار الأرض يتعلمها الناس وهذه الجمهورية الأفلاطونية تدرس في سائر أنحاء الغرب والشرق ومقالاتها في تربية الجنود والجيش والتدريب يتردد صداها بين أهل أوروبا الذين تنظرون لهم نظر الإعظام

والإجلال . إذن علوم الحكمة قيس من أنوار القرآن ، إذن لتدرسوا كل حكمة وعلم . ومن قرأ هذا التفسير أو أكثره فإنه لا محالة لا يستقر له قرار ولا يكون له اضطراب إلا إذا سعى سعيا حثيثا لرقى الأمم الإسلامية بل جميع الانسانية في الأرض . فليقل كل قارى لهذا التفسير أو نحوه لأتمته « إني آتست ناراً على آتسكم منها بقبس أو أجد على النار هدى » .

هذا ما خطر لى فى صلاة الصبح فى التاريخ المتقدم إجمالاً وكان تفصيله وقت الكتابة . انتهى الكلام على الفصل الأول فى التشويق بقوله تعالى « وهل أتاك حديث موسى » .

الفصل الثانى

(فى إتمام الكلام على حرارة الشمس)

معلوم أن الشمس تشع منها حرارة وضوء والحرارة تثير البخار وتثير الهواء وتثير السحاب . وهذه الإثارات الثلاثة يراد بها تنمية أغذية الحيوان والإنسان وإراحتهما وإسعادهما . فهاهنا ساقى الشمس بأمر الله ماء وهو للعالم الحيوانى . فلم يكن الغذاء ولم يكن الدواء ولا الروائح العطرية ولا لذائذ الذوق والفس وجمال المبصرات آتيا من الشمس مباشرة بل اتخذ التدبير الإلهى واسطة بين الشمس وبين الحيوان والإنسان ، ولكن الشمس التى هى مصدر هذا كله لا تنفخ عند هذا الحد ، فهى بحرارتها تحيط بجسم الحيوان كل يوم فتعيت الأحياء الثرية وهى (السكريبات) بنفسها بواسطة وتفعل فى الجوع المادة الملونة (كلوروفيل) العائمة فى وسط السائل الداخلى فى فتحات الأوراق اللاتى تعد بمثابة وبألوف وبملايين فى الورقة الواحدة . انظره فى قوله تعالى « سبحان الذى خلق الأزواج كلها » الخ الذى تقدم قريباً وبهذا الاتحاد بين ضوء الشمس وبين تلك المادة تجذب الورقة المادة الكربونية من الهواء وهذه المادة بها حياة الشجر وقيام هيكلها وصلاح حالها وظهور أزهارها وأثمارها وجمالها وحسنها وبهائها . إذن الشمس نعت الأحياء بواسطة الهواء والماء تارة وبفسها تارة أخرى . انتهت اللطيفة السابعة .

اللطيفة الثامنة

(فى قوله تعالى « فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء »)

وذلك فى بيان شكل الكون وسدمه والكشف الحديث لملايين النجوم ، أما شكل الكون إجمالاً فهناك ما جاء فى (المقتطف) وهذا نصه :

﴿ شكل الكون وعظمته ﴾

ارتأى الفيلسوف (فيثاغورس) فى القرن الخامس قبل المسيح أن الأرض كرة فوضع أساس علم الكون (كوسمولوجيا) ولكنه وجد من الصعوبة هو وتلاميذه فى إثبات رأيه مانجده الآن لإثبات مايرام علماء عصرنا فى شكل الكون وعظمته . والرأى المألوف عليه الآن أن الكون كرة مجوفة إذا سار النور من الطرف الواحد منها إلى الطرف الآخر ماراً بمركزها استغرق سيره مائة مليون سنة مع أنه يقطع فى الثانية من الزمان (١٨٦٠٠٠) ميل والعوالم كلها أى نجوم المجرة التى شمسننا منها والسدام كلها عوالم مثل المجرة وهى سابعة مثلها فى فراغ هذا الكون . ويظهر فى بادىء الرأى أن تصور ذلك ضرب من المحال لكثرة هذه الملايين

ولكن مامن أحد يتعذر عليه أن يقابل بين حبة رمل وبين جبل كبير كجبل القطم في مصر أو كجبل صنين في لبنان . حبة الرمل إذا كان قطرها ربع مليمتر تسهل رؤيتها ويسهل لمسها وإذا انصت بالطعام نشعر بها ونحن نعضه ونشألم من احتكاكها بأسناننا ومع ذلك فنسبها إلى جبل مثل جبل صنين من قاعه إلى قمته كنسبة واحد إلى نحو ألف مليون مليون مليون وإلى الأرض كلها كنسبة واحد إلى ستة ملايين مليون مليون مليون مليون مليون . وأما سدمه فهناك ماجاء في إحدى المجلات وهذا نصه :

قد يفوق السدم بعض عالمنا المجري ^(١) في العظمة والزهاء . وتنبأ (هرشل) بأننا إذا بحثنا في كنه هذه السدم فإننا سنجد بعضها يختلف اختلافا بينا عن كنهه النجوم ، وقد تحققت نبوءة هرشل هذه عام ١٨٦٤ حين حلل وللم هاجنز أطيف السدم فوجدها تختلف اختلافا بينا عن أطيف سائر النجوم ، وتدل دلالة واضحة على أن ثلث عدد السدم على الأقل من مادة غازية متخالفة ، وقد تقدم البحث في طبائع السدم تقدما كبيرا عندما بدى في استعمال طريقة التصوير الفوتوغرافي في الأرصاد الفلكية ، ففي عام ١٨٨٠ نجح هنري درير في الحصول على أول صورة فوتوغرافية للسديم الأكبر في برج الجبار ثم إن كمن وروبرتس حصلا في عام ١٨٨٨ لأول مرة على صورة ظاهر فيها النظام اللولبي للسديم الأكبر في برج اندروميديا (انظر شكل ٧٩) بأن عرضا لوحا فوتوغرافيا لمدة ثلاث ساعات أمام منظار عاكس قطره عشرون بوصة . ويبلغ عدد السدم التي يمكن تصويرها بواسطة أحد النظارات اليوم في أنحاء السماء نحو المليون ، وتنقسم السدم بوجه عام إلى قسمين . مجرية ولا مجرية وذلك على حسب قربها أو بعدها عن العالم المجري . والرأى السائد أن السدم اللامجرية تمثل عالمين في درجات متقاربة من أدوار تطورها . وقد سميت هذه العوالم بالجزر العالمية .

وبناء على هذا الرأى يكون هناك مئات الألوف من هذه الجزر العالمية متباعدة الواحدة عن الأخرى بما يقدر بملايين السنين الضوئية ^(٢) وقد قدر شدتلى قطر السديم الأكبر في برج اندروميديا بمقدار ٤٥٠٠٠ سنة ضوئية وقد قطر السديم الرموز له بالرمز (م) بحوالى ١٥٠٠٠ سنة ضوئية . وهذه الأبعاد وإن كانت تقل عن قطر عالمنا المجري إلا أنها كبيرة كبرا كافيا بحيث تسمح لنا باعتبار هذه السدم عوالم مستقلة كانت تقل عن قطر عالمنا المجري إلا أنها كبيرة كبرا كافيا بحيث تسمح لنا باعتبار هذه السدم عوالم مستقلة . (انظر شكل ٨٠) .

على مصطفى مشرفه

(١) نسبة إلى نهر المجرة ، واسمه في العامية (سكة التبان) وهو مجموعة من النجوم المتكاثفة تظهر لنا عرض السماء كنه مضيء . والعالم المجري مؤلف من المجموعة الشمسية وسائر نجوم نهر المجرة .

(٢) السنة الضوئية هي مايقطعه الضوء من المسافة في السنة وتساوى نحو ستة ملايين الملايين من الأميال .



(شكل ٧٩ - السديم الأكبر في برج اندروميديا) صورت يوم ١٨ سبتمبر سنة ١٩٠١ بمركزه بركس)



(شكل ٨٠ - السديم الأكبر في برج الجبار) صورت يوم ١٩ أكتوبر سنة ١٩٠١ بمركزه بركس)

نور العلم في أواخر هذه السورة

- (١) انحصر العلم اليوم في النور .
- (٢) ليس في الدنيا مادة محققة .
- (٣) كل ما تراه أو نسمعه أو نشمه أو ندوقه أو نلمسه إن هو إلا حركات .
- (٤) اقرأ هذا المقام فيما تقدم في (سورة النور) تحت عنوان (قطرة ماء) عند آية « الله نور السموات والأرض » الخ فهناك تجد الذرات المائية ترجع إلى الكهربية السالبة والكهربية الموجبة التي يجرى أولها حول ثنائها ستة آلاف مليون مليون في الثانية الواحدة .
- (٥) فإن نقص عدد الحركات كانت للظاهر غير ذلك كان نحس بها نورا وهو ينحصر في عدد بين (٤٠٠) و ٧٠٠ مليون مليون مرة في الثانية فأدناها لون الحمرة وأعلاها البنفسجي .
- (٦) وإن زادت سرعة الحركات عما تقدم في الحال الرابعة كان عندنا ما نشمه وندوقه ونلمسه من المواد كالحديد والنحاس وما أشبه ذلك .
- (٧) إذن العالم الذي نعيش فيه حركات والحركات بتنوعها صارت كهربية ونورا وماء وحيديدا ورصاصا
- (٨) وهذه المظاهر التي أحدثتها الحركة يحفظها نظام بديع جميل يختلف باختلافها .
- (٩) خذ لك مثلا عرف علماء القرن التاسع عشر في النصف الأول منه أن كل عنصر من العناصر الكيميائية لن يدخل في تركيب مادة إلا بنسبة خاصة لا يتعداها هي ومضاعفاتها ويسمى ذلك عندهم (قانون النسب المضاعفة) وقد تقدم بعضه في (سورة البقرة) عند آية « وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى؟ » فالأ كسوجين له رقم (١٦) وللسكربون رقم (١٢) فلن يدخل الأ كسوجين مع السكربون إلا على هذا العدد أو مضاعفاته كما أن الجرثومة الأولى التي يتكون منها الحيوان والنبات تسير على طريقة المضاعفة أيضا (١-٢-٤-٨-١٦-٣٢) وهكذا ، اقرأ هذا المقام في (سورة مريم) إذ ترى هناك أن هذه العوالم كلها عند تركيبها تسير على طريقة المضاعفات في رقعة الشطرنج . فحجم الإنسان والحيوان والنبات لا يتعدى نظرية الفيلسوف (صه بن داهر) الحكيم الهندي الذي طلب من الملك أن يمنحه حبات بر تكون بحسب المضاعفات للبدوء بعدد (١ - ٢ - ٤) للنتية بعدد (٦٤) وقد ظهر هناك أن القمح المزروع في الأرض كلها سنين وسنين لا يبلغ مبلغه . أقول : نظري هذه المسألة التاريخية جميع مركبات الأجسام الحيوانية والنباتية . فالمسألة التي ذكرناها هنا وهي تركيب الأ كسوجين مع السكربون على هذا النمط تسير هي وغيرها فيكون التركيب فيهما (٣٢) من الأ كسوجين مع (١٢) من السكربون أو (١٦) من الأول مع (٢٤) من الآخر وهكذا ، والذرات التي حسبها أولئك العلماء في القرن الماضي وبنوا عليها ما تقدم وعلى رأسهم (دلتن) وظنوا أنها لن تنجزأ بعد ذلك أصبحت في قرننا هذا مجزأة بحيث إن أخف ذرة من تلك الذرات تحلل إلى (١٠٥٠) جزءا يسمونه (الالكترون) وهل هذا الا لالكترون إلا نقطة كهربية ، إذن الدنيا كلها تقط كهربية كالذي تقدم في (قطرة الماء) في (سورة النور) ومن هذا الباب عرف العلماء اليوم أن العناصر التي كشفوها وهي نحو (٧٠) ليست ثابتة فشكل عنصر منها يمكن أن يحول إلى غيره مثل ما وجدوا أن الراديوم استخرج منه عنصر الهليون وعنصر الرصاص المعلوم الذي تصنع منه الأنابيب .
- (١٠) الأستاذ (السيرار نست رذرفرد) الأستاذ بجامعة كامبردج حول عنصر الأوزوت وهو (غاز) طبعا يكون في الهواء الجوي إلى عنصر الأيدروجين الذي هو أحد عنصري الماء وقد حصل على الأيدروجين من العناصر الآتية وهي : (البور ، الفلور ، الصوديوم ، الألومنيوم ، الفسفور) .

(١١) إذن لا حواجز تحجز المواد أن يتقلب بعضها إلى بعض وثبت ثبوتنا لاريب فيه لعلماء عصرنا أن العالم كله نقط كهربائية ، إذن نحن اليوم جميعاً في مواد نارية ولكنها ماطفة بهذه المظاهر ولم يعرف الناس ذلك إلا بالتحليل الذي تشير له حروف أوائل السور ومنها الياء والسين ، ومن نتائجهما أن الشجر الأخضر اتقد ناراً ، فإذا كان السكون كله ناراً والشجر الأخضر المذكور في الآية ضرب مثل له كله ، فلنعجب إذن من القرآن وعلومه التي تنطبق كل الانطباق على مباحث علماء العصر الحاضر . فعلماء عصرنا يقولون كما سمعته الآن أن القدرات الكهربائية ركبت منها حواسنا هذه المظاهر كلها والقرآن يحلل الحروف في أوائل السور ويذكر أن الشجر الكثيف الجسم حول إلى نار بالاحتكاك . ثم انتقل إلى المقصود إلى ماهو أدق فقال : «نما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون» .

إن الإنسان إذا نطق فلامعنى لنطقه إلا حركات في الهواء إن نقصت عن (٣٢) حركة في الثانية لم نسمعها وإن زادت عن (٣٢) ألف حركة في الثانية لم نسمعها كما أن الحركات في الأثير إن نقصت عن (٤٠٠) مليون مليون لم نرها وإن زادت عن (٧٠٠) مليون مليون لم نرها . إذن لاصوت ولا حرارة إلا بحركات ذات عدد مخصوص فلا فرق إذن بين كلامنا وبين ضوء السكواكب وغيرها في أنها كلها حركات . فكما أن نطقنا بالكلام توجد به عوالم الكلام هكذا تحريك الله للأثير يصدر عنه الأنوار وجميع المواد . إذن الوجود كله أمر أشبه بالمعنوي تنوعت مظاهره . لذلك ختم السورة بالحقيقة فقال تعالى . « ف سبحان الله بيده ملكوت كل شيء » ذلك لأنها كلها أمور جعلت مظاهر له هو وإلا فهي لا شيء .

باعتبار : اتفق العلم والقرآن اليوم اتفاقاً بديعاً ، ومن أعجب العجب أن تكون الآراء العلمية التي تحفظها عقولنا ماهي إلا حركات فكرية . إذن الأجسام كلها حركات نارية والمعاني كلها حركات فكرية قائمات بعقولنا . فكما أن الحركات القائمة بالأثير كونت ماسميناه مادة بحسب المظاهر هكذا الحركات القائمة بعقولنا كونت ما سميناه علماً ، ونحن إلى الآن لم نعرف ماهو الأثير الذي جرت فيه هذه الحركات الظاهرية ولا ماهي أرواحنا التي جرت فيها الحركات التي سميناهها علوماً .

فيا ليت شعري هل يعرف الناس بعدنا سر هذه الروح وسر هذا الأثير ولكننا نكتفي الآن بهذه الكلمة « بيده ملكوت كل شيء » ولما كانت النتيجة من هذا الوجود إنما هي الأرواح التي تربى فيه بالعلم والأخلاق ختم السورة بقوله « وإليه ترجعون » وأرواحكم تحمل علماً وأخلاقاً وعلى مقتضاهما تكون درجاتكم . إذن الحركات التي بها ظهرت المادة نتيجتها الأخيرة الحركات التي سميناهها علماً وهي التي بها تعمل العوالم الروحية « وإن إلى ربك المنتهى » كتب في صبيحة يوم الأحد ٢٩ يونيو سنة ١٩٣٠ م .

﴿ تذكرة ﴾

قد كنت كتبت جملة مختصرة من أقوال أفلاطون قريبا وهي من تلخيص العلامة (سننانه) التلياني ولما اطلمت عليها كاملة في نفس الكتاب المنشور حديثا فرحت بنعمة العلم وكتبتها تامة مفصلة والتفصيل بحسن بعد الإجمال والحمد لله رب العالمين .

تم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء السابع عشر من كتاب (الجواهر)

في تفسير القرآن الكريم

ويليه :

الجزء الثامن عشر وأوله

تفسير سورة الصافات

فهرس

الجزء السابع عشر من كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم

صحيحة

- ٢ تفسير سورة سبأ .
مقدمة في مبادئ السور .
- ٤ تقسيم السورة إلى (ثلاث مقامات : المقام الأول) في تفسير البسملة وفي قوله تعالى «واللهي أوحينا إليك من الكتاب» الخ .
- ٥ كل ما يتناقله بعض رجال الصوفية من ألوهية بعض الأئمة وتصرفهم إن هو إلا ترديد لصدى صوت جهال الأمم القديمة، وهو نوع من التشيع سرى إلى متأخريهم ولم يكن ذلك عند متقدميهم .
- ١٠ (المقام الثاني) سورة فاطر مكتوبة .
- ١٢ تفسير الآيات اللفظي من أول السورة إلى «والعمل الصالح يرفعه» .
تفسير الآيات اللفظي من قوله تعالى «والذين يمحرون السيئات» إلى آخر السورة .
- ٢٠ (المقام الثالث) في تفسير السورة مراعى فيه تقسيمها إلى (سبعة مقاصد : الأول) وصف الله بأبداع العالم الحسي والعقلي (الثاني) التذكير بالنعمة (الثالث) تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم (الرابع) نداء عام للناس أن يتخلوا عن الرذائل الخ (الخامس) ضرب الأمثال لما سلف من القسمين (السادس) تقسيم المؤمنين إلى قسمين من حيث العلم وإلى ثلاثة أقسام من حيث العمل (السابع) وصف الكأس التي يتجرعها الكافرون والتي يشربها المؤمنون وشرح ذلك كله شرحاً كافياً .
- ٢٣ جوهرية في قوله تعالى «ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها» وتبيان الرحمة التي فتحتها الله في العناصر للناس اليوم . إن الله قد صدق وعده للناس إذ قال «وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها» .
- ٢٧ الملح وفوائده .
- ٢٩ الألومنيوم وفوائده .
- ٣٠ بيان أن هذه العلوم كلها واجبة وهي فروض كفاية وضرب مثل لحال المسلمين مع ربهم بحال من قسم أرضه بين أبنائه وقد قصر أحدهم خرمه . وبيان أن هذا التفسير متى انتشر هب المسلمون على بكرة أبيهم لحوز العلوم . وبيان أن بلاد الحجاز ونجد والفرس والأفغان كلها مستقلة . فعلى كل من قرأ هذا الكتاب من أذكيائهم أن يذيع هذه الفكرة في بلاده وعلى الأغنياء أن يساعدوا بالمسال .
- ٣١ زجاج بلاس وفوائده .
- ٣٢ مسامرة في قصة «فون شونبرج» ومحبوبته «ستوستود» الأول .

٣٤ الاتحاد للمادى والاتحاد العنوى والثانى صناعى وطبيعى ، فالاتحاد للمادى كاتحاد الهيدروجين مع الأوكسجين.

- ٤١ (جوهرة فى خلق الله الآيات والشمس والقمر والأرض وما عليها من نبات وحيوان الخ) .
- ٤٢ اختلاف نتائج الطعام فى أحوال الناس .
- ٤٥ ثواب الناس وعقابهم كنتائج الأغذية .
- ٤٦ وصف مناطق القطبين من حيث علم الفلك .
- الآيات التى عرفها الناس فى زماننا بسبب قوتهم العنوية .
- ٤٧ نتائج تعليم الله لنوع الانسان فى هذا الزمان .
- حديث «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير» الخ .
- ٤٨ الكلام على مصادر القوة . وعلى الضباب الصناعى وعلى النبات الذى فيه طعامه فوق الأرض وبطاطس تحمها وأن الانسان ربما يتخذ غذاءه من الجوهر الفرد فى المستقبل والشمس أصل كل ما فى الأرض فذلك كله تفسير للأحاديث .
- ٥٠ قد أظهر الكشف أن النبوغ أكثره فى الأغنياء وهذه ضد القاعدة المشهورة .
- ٥١ آيتان فى الكشف الحديث :
- الأولى الحيوانات الذرية، الثانية حيوانات شقى فى الماء الصافى .
- ٥٢ الكلام على ما فتح الله به على الناس فى زماننا بكشف خيرات كانت خافية عليهم .
- ٥٣ رسم محطة الطيارات والبالونات فى القطب الشمالى كما تخيلها أحد المهندسين ، والكلام على الأرض فى دائرة القطب الجنوبى التى تنفع فى الانتفاع بصيد الحيتان من بحارها واستخراج المعادن .
- ٥٤ كيف نأكل نور الشمس وتتداوى به، والكلام على النسوجات الكيميائية .
- ٥٨ (أعجوبة البناء) ونقل الأمريكان كنيسة من مكانها إلى مكان آخر (شكل ٤) .
- ٦٠ استخراج الألماس . منظر عام للآلات التى يجلس عليها العمال القامعون بتنظيف الألماس (شكل ٥) .
- ٦١ (شكل ٦) عملية قطع الألماس .
- (شكل ٧) منظر الاختصاصى الذى يزن قطع الألماس .
- ٦٢ الجليد السخن وصنع الورق من ورق الدرة بالضغط العظيم المساوى لضغط الماء فى البحر على عمق (٢٥٠) ميلاً تحول الفولاذ إلى مادة لينة .
- ٦٤ ساعة تبين الزمن وأوضاع القمر وساعة تشتغل من نفسها ليلاً ونهاراً (شكل ٨) رسم ساعة تشتغل من نفسها (١٠٠٠ سنة) .
- ٦٥ اكتشاف الطيارات فى الجو . اختراع الستر بيرد . اختراع فونوغراف لتعليم اللغات . عجائب العلم الحديث وهى البكتريا ومعرفة الشمع وتقدم الكهرباء واحترق الآلات فى داخلها والبناء الحديث والمعادن، وطرق حفظ المواد الغذائية بدون تعفن . والطيارات والرحلات الجوية .

٦٨ (قوائد) منها معرفة أن البرق الصاعق يتم في (٧) من ألف من الثانية وأنه يكون من الأرض والسماء معا ، وأن القوى كلها من الشمس إلا قليلا ومنها قوة الانسان المستمدة من النشا المستمد من الشمس . المستر ولجسون الأمريكى وزوجته يعيشان في غواصة في الماء وبصوران عجائب الأعشاب والغابات وأصناف السمك البديع الجميل .

٦٩ (المسألة الحادية عشرة) مما فتح الله به على الناس تلك العقول الكبيرة للأطفال ، فهناك طفل في (سلوفاكيا) يحسب عمر كل إنسان ساعات ودقائق في بضع ثوان وعمره هو خمس سنين ، وفي الولايات المتحدة من عمره (٨) سنوات وهو يعرف ثمان لغات وله مؤلفات ، وطفل اسمه (هنرى) في الشهر العاشر من عمره كان ينطق كل كلمة في اللغة الألمانية .

٧٠ طفل بلجيكي في الثانية من عمره يضرب عددين مكون كل منهما من خمسة أرقام بسرعة ولا يخطئ بدون كتابة ، وصبي في الثانية عشرة من عمره في بيو يصارع الثيران . وفقى يسمى ترك مصرى ضرب أعدادا كثيرة في زمان قليل واستخرج الجذر التكعيبي وهكذا .

٧١ المقام الثانى مايسك الله من الرحمات مثل ما حصل من البرد في أوروبا سنة ١٩٢٩ في بريطانيا .

٧٢ في لبنان عطلت حركة التجارة وقطعت الطرق . وخسائر الجليد في العالم في كل شتاء (٢٠٠) ألف ألف دولار .

٧٣ صورة إحدى كنائس مدينة البندقية في إيطاليا تحت الجليد .

لطيفة في قوله تعالى « والله خلقكم من تراب » الخ وبيان أن الآلام موقظات لمعرفة الجمال .

٧٤ شكل ١٠ الجهاز الهضمى فيه الفم والرئى والعدة اللعابية والعدة الدرقية والقصبية الهوائية والعدة التيموسية وهكذا إلى الشرح .

٧٥ شكل ١١ شرح الجهاز الهضمى من الأنهر الستة في الفم والبلعوم والرئى والعدة والأمعاء الدقاق والغلاظ والمستقيم والزائدة الدودية وهكذا شرح أوسع لتلك في تقسيم الطعام على تلك الآلات .

٧٦ شرح شكل (١٢) فى المعدة وماحولها وهو (١٣) جهازا كالفناة الصفراوية والقناة البنكرياسية وهكذا . من حال إلى حال كما يرتقى التلاميذ فى مدارسهم ومايقى من الفضلات يخرج من مخرجه وما اصطفى من الطعام يغذى الأعضاء وينتهى إلى النخ وبصبر عقلا وفكرا . ومن عجب أن تكون العدد والآلات موزعات فى المضم على أنواع الطعام المختلفة « ذلك تقدير العزيز العليم » .

٧٨ شكل (١٤) القصبية الهوائية (شكل ١٥) الحويصلات الهوائية

شكل (١٦) النسيج الهدبى للقصبية الهوائية وأنه أشبه بالمسكنسة من حيث وصفه وأنه دائما يتحرك ليخرج الغبار الداخلى مع التنفس (شكل ١٧) رسم الرئتين وتفريع القصبية الهوائية فهما وهذا عجب . فهنا مايشبه الشجر والأغصان والفروع .

٧٩ (شكل ١٨) رسم يبانى للعدد البسيطه والأثبوية والعنقودية . وبيان أن هذا الدم أيضا يحتاج إلى آلات ومصانع ليبنى بها هذا الجسم كالعدة الصنوبرية لتحفظ التوازن فى نظام الجسم ونمو الشعر ، وعدم

طول العظام بغير نظام ، ومثلها الغدة النخامية وتزيد على ذلك أنها لها صلة بأعضاء التناسل وحفظ الدم ودقات القلب ومثل غدة تفرز الماء الملحي في العين ، وهكذا من الغدة الدرقية وجاراتها وهذه الأخيرة إذا أزيلت حصل التشنج . والبنكرياس تساعد الكبد في تلطيف بعض المواد والكبد يفرز الصفراء .

٨١ الغدتان فوق الكليتين (شكل ١٩) .

٨٢ أعصاب الحس وأعصاب الحركة . الهيكل العصبي للإنسان (شكل ٢٠) .

٨٣ (شكل ٢١) رسم المخ ، والحبل الشوكي ينقل الإشارات بين المخ وأطراف الجسم ، وهناك ١٢ زوجاً عصبياً في مناطق الرأس للحواس موصلات منها إلى القوة العاقلة ، وفي الحبل الشوكي تقوب بين الفقرات تمر بها أعصاب تبلغ ٣١ زوجاً موزعات على جانبي الجسم من الجانبين ، كل هذه للحركات الإرادية .

٨٤ وهناك الجهاز العصبي الاشتراكي ففيه العقد الشوكية (شكل ٢٢) وفيه عقد عصبية على جانبي العمود الفقري توزع في الغدد اللعابية والرتين وفي كل ما لاسلطان لنا عليه .

٨٦ (تذييل لهذا المقام) قراء هذا التفسير يشهدون بالحق لأنهم شاهدوا نفس الأعضاء وقد يقرأ عالم التشريح هذا وهو غافل عن حكمه كما يفعل الفلاح الذي يحافظ على الزرع عن حقايقه فمؤلاً غافلون لم يشهدوا بالحق وهو قوله تعالى « وإذ أخذ ربك من بنى آدم » الخ وقوله « شهد الله أنه لا إله إلا هو » الخ . مسامرة في نظام الإنسان وجماله . إيضاح نظرية المحبة .

٩٢ (لطيفة في بلدة المرج) جندي راكب يقبض على الفلاحين لأجل قتل الجراد الآكل للزرع فالجراد وباء يهلك البلاد ، إذن الاتحاد لا بد منه لاتقاء الأخطار . مبدأ الأمور كلها الجوع وهو يستلزم الطعام والأمم كلها يجب أن تتعاون لجلب النفعة ودفع الضر . إذن جسم الانسان أشبه بعلم الفسفة يجمع العلوم كلها أو كالقرآن .

تعجب المؤلف من خلق الجراد وخلق آفته وهو مكروب يعطى لواحد منها فيسرى الطاعون فيها كلها (لطيفة) في قوله تعالى « وما يستوى البحرين » وفيها فصلان :

الفصل الأول في بعض عجائب البحر .

٩٥ الفصل الثاني في الفلك المواخر في البحر .

٩٧ البرق السلبي والبرق غير السلبي .

١٠٠ لطيفة في قوله تعالى « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء » الخ وهاهنا يشير المؤلف إلى ما كتبه في (سورة الكهف) مما نقله هناك أن علم الألوان اليوم لا يزال في المهدي والسكن الذي علمناه منه يورث اليقين بالعبادة الخاصة كما يشاهد في حمار الحبشة للرسوم هناك وفي أبي دقيق الطاوسي .

١٠٤ رسم شجرة ذات جدائل (شكل ٢٣) .

١٠٤ صورة شجرة عجيبة في شمال (كاليفورنيا) يقصدها السائحون من كل فج عميق (شكل ٢٤) .

١٠٥ شجرة يسمونها ناطحة السحاب (شكل ٢٥) في برمين في ألمانيا عمرها ٩٠ سنة ارتفاعها ٢٥ متراً شجرة بالولايات المتحدة تسمى شجرة الفيل كأنها رأس فيل رفع خرطومها (شكل ٢٦) .

(الجوهرة الثانية) فيما جاء في علم الحيوان حديثاً وأن الحيوانات المعلومة نحو نصف مليون نوع ومن هذه الأنواع ما تطير وطيرانها على قسمين : قسم يطير بخفقان الأجنحة أعلى وأسفل كما هو مشاهد ،

- وقسم يطير بالفقرات مثل بعض أنواع السمك الطيار والسحالي الطائرة والسحاب الطائر .
- ١٠٧ (شكل ٢٧) و(شكل ٢٨) الوطاويط أثناء نومها وهي تحمل صغارها .
(شكل ٢٩) وطواط طول جناحيه خمسة أقدام. السكلام على ريش الطيور . وبيان أن ذكور الطيور هي التي تزين بالريش الباهر الزاهي والإناث لا يهتمن بالزينة خيفة أن تظهر للحيوانات المفترسة لها وهي تخضن بيضها فتأكلها ، وجوارح الطير لازينة لها لثلاث تعرفها فريستها فتفر منها .
- ١٠٨ (شكل ٣٠) هاهنا (٢٤) نوعا من الريش المختلف الأشكال كالعقاب وعصفور الجنة والعصفور الطنان . (شكل ٣١) وفيه (١٨) شكلا من أشكال الحيوانات المائية المذكورة مثل ماهو كالقنديل الذي يشبه المظلة . وما هو كالبالون وما هو فتاك وماله أعضاء منيرة وما هو كالخروف وهكذا الطائر السمي النساف علاقته مع أثناءه في غاية العجب إذ تستقر هي في جوف الشجرة ويساعدها هو بالغذاء إلى أن تربي أفرانها ويطرن .
- ١٠٩ السكلام على حيوانات قاع البحار التي عليها ضغط عظيم كما تقدم فلذلك كان لحمها قاسيا لا يؤكل ولها ضوء يقوم مقام ضوء الشمس الذي حرته .
(شكل ٣٢) صورة ذكر النساف خارج باب العش ومنقار أثناء متمد من الداخل .
جمال العلم والبهجة واستطراد بذكر أمر نباتي وهو صنع الورق من القشرة وأمر حيواني وهو الجراد الذي هجم على مصر وماحولها من البلاد في هذه الأيام .
- ١١٣ (شكل ٣٤) في كيفية وضع بيض الجراد .
- ١١٥ آية من آيات الجراد وهي الأحوال السياسية .
- ١١٧ (الأمر الثالث) الإصلاح الديني بسبب الجراد .
- ١١٨ بهجة هذه الآيات من قوله تعالى « ألم تر أن الله » إلى قوله « إنما يخشى الله من عباده العلماء » .
- ١٢٠ مثال حب العلم الذي أثبتنا أنه أعلى من سابقه .
- ١٢٣ بيان أن أجل اللذات وأعلاها معرفة الله تعالى والنظر إلى وجهه الكريم ، وأنه لا يتصور أن يؤثر عليها لذة أخرى إلا من حرم تلك اللذة .
- ١٢٦ ومق انتهى صفاء قلبه أحسن بلذة لقاء الله في هذه الحياة . وهاهنا ذكر لذة الصبيان والشبان ثم الحكماء وشرحها شرحا كافيا .
- ١٢٧ بهجة علمية في الحب والغرام .
- ١٢٨ بهجة الجمال ليلة ١٤ من شهر ذي الحجة سنة ١٣٤٨ هـ وما حصل للمؤلف منها .
- ١٢٩ جوهرة في قوله تعالى « أو لم نعمركم » الخ وبيان أن الأطباء يقولون : « إن الإنسان يعيش مائة سنة بالقياس إلى الحيوان إذ يعيش ثمانية أمثال مدة نموه ومدة نمو الإنسان (٢٥) سنة وأن الأطباء أجمعوا على أن ترك الشهوات والتنعم وتقليل الغذاء وإطالة الضغ تطيل الحياة ، وهذا تقرؤه في سورة طه في آخرها وفي أوائل الحجر وفي سورة الأعراف عند ذكر الإسراف وفي البقرة عند آية « وإذ استقى موسى » الخ وفي سورة الشعراء عند ذكر قصة إبراهيم .

- ١٢٩ تذكر المؤلف في مدة حياته امتثالا لهذه الآية .
حب الذكور للاناث .
- ١٣٦ (سورة يس) وذكر أنها أربعة فصول : البسملة . تفسير الألفاظ . وتلخيصها ، والعجائب العلمية (الفصل الأول) في تفسير البسملة . وذكر أن اليوم شروق وضحي وزوال وعصر : والسنة ربيع وصيف وخريف وشتاء . والانسان صبي وشاب وكهل وشيخ .
- ١٣٩ (الفصل الثاني) سورة يس إلى آخرها .
- ١٤٨ تفسيرها تفسيراً لفظياً .
- (الفصل الثالث) في ذكر ما كنت فسرتهما به منذ سنين وأنها ثمان مقاصد : أن النبي حق ، وأن للتدبرين صفان الخ وآخر المقاصد ثلاثة فصول . قدرته على مسحهم ، والانتفاع بالأنعام ، وإثبات البعث بأمر يعانونها كما ختم السورة السابقة بجوهرتين ويقوتين .
- ١٤٩ (المقصد الأول) يس الخ .
- (المقصد الثاني) «لننذر قوما» الخ .
- ١٥٠ (المقصد الثالث) «إنا نحن نحيي الموتى» إلى «إمام مبین» .
- (المقصد الرابع) «واضرب لهم مثلا أصحاب القرية» إلى «محضرون» .
- (المقصد الخامس) «وآية لهم» إلى «يسبحون» .
- ١٥٢ (المقصد السادس) «وإذا قيل لهم» إلى «ألم أعهد إليكم يا بني آدم» الخ .
- (المقصد السابع) «وامتازوا اليوم» ويدخل معه الثامن بفصوله الثلاثة .
- آيات العلوم في هذه السورة ، وآيات الأخلاق ، وآيات الأحكام .
- ١٥٤ (الفصل الرابع) في عجائب العلوم التي تشير لها هذه السورة . الياء والسين حرفان إما بمعنى الإنسان في لغة طيء أو يا محمد ، وفي سورة (آل عمران) إن الحروف تشير لتحليل الكلمات والعالم للشاهد ليس فيه إلا الحروف والعناصر فالأولى منها الكلمات والثانية منها هذه العوالم .
- الكلام على قوله تعالى «الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا» .
- ١٥٥ علوم الآفاق في مستقبل الزمان في بلاد الإسلام .
- ١٥٦ محاوره بين المؤلف وبين أحد العلماء وإيضاح الظواهر الكيميائية والطبيعية وأن إتيان النار في الشجر من علم الكيمياء .
- ١٦٠ الكلام على الصودا والبوتاسا المشتملين على الصوديوم وعلى البوتاسيوم وأنها داخلتان في شعر القطن وغيره من المواد المذكورة البالغة (١٣) مادة بنسب مختلفة وشرح كل منهما وأنها مادتان ناريتان دخلتا في أجسامنا وفي أشجارنا .
- ١٦١ البارود مركب من الفحم والكبريت وملح البارود ، ويختلف تركيبه باختلاف الدول . وخطاب المؤلف للمسلمين يقول لهم : (الشجر اتقاد ناراً ولكن الصوديوم والبوتاسيوم اتقاد ناراً في الماء . فهما أعجب من اتقاد النار من اللخ والعفار . فهذا اتقاد في ماء وذلك في شجر) . ثم تلخيص المقام في خمسة أمور
- ١٦١ (فائدة) في ذكر المركبات التي تكون منها النيران الخضراء والحمراء والبنفسجية . والكلام على

ملح الطعام وأنه مركب من الكاوك الذي يحدث السعال ويهيج الأغشية ويميت، ومن الصوديوم الذي يتقد ناراً في الماء وبضع فوائد له . ويدخل في الكاوك المركب السمي بالماء الملحي الذي يذيب البلاتين والذهب .

١٦٢ الكلام على بعض العلوم المرموز لها بالياء والسين ، إننا لم نسمع العربي يقول : « يس ففا نيك الخ »
١٦٤ لطائف هذه السورة .

١٦٥ اللطيفة الأولى : في هذه اللطيفة (فصلان : الفصل الأول) في قوله تعالى « يا ليت قومي يعلمون » وذكر حكاية من كتاب (إخوان الصفاء) إذ ذكروا أن جماعة نزلوا سفينة فكسرت للركب فوصلوا إلى جزيرة فيها قروء فأنسوا بها وتزوج الشبان منهم وولدوا ثم تذكروا بلادهم فصنعوا سفينة وبنوا ثم كذلك إذ انقض طائر على أحدهم فاخطفه وردة إلى منزله فهم يبكون عليه وهو يقول يا ليت قومي الخ .

١٦٦ (الفصل الثاني) في معنى « يا حسرة على العباد » وإحالة الأذكيا على المذكور في معنى الاستهزاء في (سورة التوبة) .

١٦٧ (اللطيفة الثانية) في غمر الأرض وتفصها المستمر والكلام على الراديوم وعلى مدة عمر الأرض .
(اللطيفة الثالثة) « والشمس تجري لمستقر لها » والموازنة بين سرعة النور والقنبلة وسرعة الأرض وسرعة الطائرة الفرنسية والأمريكية والمائية والأتوموبيل والرجل في مشيه والحلزون ونحو الشجرة .
١٦٨ ركوب الريح أو الطيران خمسة أميال في الدقيقة ، إن الطيارين يؤمنون أن يطيروا (٦٠٠) ميل في الساعة الخ (شكل ٣٥) فيه صور الزورق والقطار الكهربائي وهكذا .

١٦٩ (شكل ٣٦) بيان لأسرع الأشياء ، هل بلغ الإنسان أقصى سرعته في البر والبحر ؟ أسرع قطار يجري ٦٨ ميلاً في الساعة ، وأسرع قارب ٩٣ ميلاً ، وأسرع سيارة ٢٣٢ ميلاً في الساعة ، وأسرع طائرة ٦٩٣ ميلاً في الساعة ، ويظن أن السرعة ستبلغ ٥٠٠ ميل في الساعة إلى ألف وهو مبالغة . وقد كشفوا ذبابة سرعتها ٨١٥ ميلاً في الساعة أو ٣٦٠ متراً في الثانية . والعلم يحكم أن الانسان لا يستطيع أن يقود سيارة تجري ٣٠٠ ميل في الساعة لأن سرعة أعصابه في توصيل الإحساس أقل من ذلك .

١٧١ علم الفلك ودراسة الفلك فيما وراء البحار .

١٧٣ (شكل ٣٧) خريطة البلاد التي نشأت فيها حضارة المايا وازدهرت وقد عرفوا السنة الشمسية والقمرية والشهر القمري بالدقة والتقويم اليولياني ليس أفضل من تقويم المايا كثيراً فتقويمهم منذ ألقى سنة لا يبلغ الخطأ فيه أكثر من يوم في ٣٣٢٣ سنة والتقويم القمري لا يزيد الخطأ فيه عن يوم واحد في ٣٠٠ سنة وعرفوا دوران الزهرة والريخ ولشترى وزحل وعطارد ، وتقويم الزهرة جعلوه ضابطاً لتقويم الشمس والقمر وقد استنبطوا الصفر في الحساب قبل أهل الهند بألف سنة وأهل الهند لم يستنبطوه إلا في القرن السادس أو السابع بعد الميلاد ، إذن الأمم تتشابه في الحساب وإن لم تجتمع

١٧٥ (تذكرة للأمم الاسلام) وهاهنا تذكير بما مر في سورة يونس في أولها من صور مرسومة فلسفية وبروج وعجائب الأهرام ونسبة ارتفاعه ومحيطه إلى محيط مدار الأرض حول الشمس ، وكيف كان

أس القنطار والأردب والمساحة الخ وكيف رسم ذلك على صناديق اللوثي . وكيف حظى أموات المصريين بهذا العلم وجهله أحياءهم وأحياء أمة الإسلام الخ .

١٧٨ عجائب الحرارة والضوء في قوله تعالى « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار » الخ . وفيه بيان أن أمواج النور من (٤٠٠) إلى (٧٠٠) مليون مليون في الثانية . فهذه الموجات تسلك من الليل هكذا الأكسوجين يسلك من الأودروجين وهذا يتحد بالأوزون فيكون النوشادر ، فالأودروجين بطريق الكيمياء انسلخ من الأكسوجين وانحد بالأوزون فكان له في كل موطن حكم . إن الناس اليوم يريدون أن يسلكوا الحرارة من الضوء فترجع كلها ضوءاً وهناك شمس لاحرارة لها مثل مايتخيله الناس الآن هنا في الأرض .

١٧٩ (الكشف الحديث في الحرارة والضوء) وعظمة الأجرام السماوية .

١٨١ بهجة العلم في البصرات والمسموعات من حيث القلك واللوسيقى والشعر وغناء الأطيوار وعملي في الحقل

١٨٤ (بهجة البدر) إماما لما تقدم في سورة فاطر، إذ خيل لي أنه يخاطبني قائلاً : (إن أناسا سيفنون موقفك هذا ويمتحنون نفوسهم هل أحسوا في أنفسهم ما أحسنه أنت . ورون أن الجوزاء مقدار الشمس (٢٥) مليون مرة والسكواكب كثيرة العدد فكيف اختصت أرضنا بأن الله له فيها ولد وحدها منظر النخلات اللاتي كالقالب الحضر وهي أشبه بالراقصات والنجوم تلمع من خلالها ومنظر النجوم الباسمات للحكماء مراسلات من الحضرة القدسية ليرفعن نفوس أقوام في الأرض ليصيروا في الملا الأعلى والوازنة بينهن في تبسمهن للحكماء وبين تبسم العشوق للعاشق فيتبه هذا بذلك .

١٨٦ علاقة النظام السياسي بالنجوم والحساب والهندسة والتمرين العضلي واللوسيقى . في جمهورية أفلاطون أن اليقين لا يكون إلا بالعقل ولا بد من معرفة صورة الحجر الجوهري (الله) وفي طريق الفيلسوف عقبتان : عقبة في أيام التعلم . وعقبة أيام تعليمه الناس .

١٩١ علم الشعر أرجعه الخليل بن أحمد إلى خمس دوائر اشتملت على (١٥) بحراً من الشعر وهي كدوائر القلك التي شرحت هنا شرحاً كافياً .

١٩٢ شواهد محور الشعر وأوزانها مختصرة .

١٩٦ السكوكب السيار الجديد .

أشكال القمر الثمانية وشرحها .

١٩٩ (الكلام على حساب الشهور القمرية) وذلك من كتاب (صبح الأعشى) .

جدول لمعرفة حساب السنين .

٢٠٤ الجدول الأول .

٢٠٥ الجدول الثاني الذي فيه القصود .

٢٠٦ العلم أعلى السعادة فانه أظهر لنا أن حساب القلك والعروض ونعمات الطيور كلها من واد واحد الخ (بهجة العلوم) وأن أصحاب العلوم ثلاث درجات : قوم وقفوا عند الظواهر . وآخرون رجعوا إلى الحقائق . وآخرون سعدوا إلى ما وراء ذلك :

٢٠٧ وهل أتاك نبأ الحساب في الشعر وأنه نسب عجيبة هندسية بحيث أننا إذا نسبنا ربع بيت من بحر الطويل مثلاً إلى البيت كله كانت هكذا نسبة ٧ إلى ٥ كنسبة ٢٨ إلى ٢٠ وضرب ٥ في ٢٨ يساوي ضرب

- ٧ في ٢٠ وهكذا بقية البحور والنسب . وإذا نظرنا إلى العلوم الطبيعية وجدنا نفس هذا الحساب في العناصر الداخلة في المواليد وتزويد تلك المواليد بعجائب أبداع من هذه مثل إن المغنيسيوم والحديد والجزير والكبريت ، أولها يقوى العضل ويمنع الفتق ، وثانيها يجعل الدم أحمر ويمنع فقر الدم ، وثالثها يغذى العظم ويشفي الجروح ، ورابعها ينظف الدم ويمنع الروماتزم ، ولقد فرقت على العناصر فكانت هذه الأربعة مجموعة في الطماطم والسبانخ ومفرقة في غيرها ، وتزيد السبانخ منافع أخرى .
- ٢٠٨ (اللطيفة الخامسة) في آية « سبحان الذي خلق الأزواج كلها » الخ ، وبيان أن المادة ليست شيئا سوى حركات أحدثت أضواء فتراكمت بحسب ما نحس به فسمعناها أرضين وسموات وغيرها :
- ٢١٢ ورقة جافة وورقة تظهر الهيكل الأصلي ، ثم انظر قطعة من ظاهر الورقة تظهر فتحاتها وأخرى مقطوعة عرضا (شكل ٥١ و ٥٢)
- شرح وكيفية الورق الموجود في شكل (٥٢ و ٥١) .
- ٢١٦ خطاب الورقة للسلمين تقول لهم : (إن الناس لما فهموا مصاييح اديسون عظموه . أما الناس فانهم جهلوا مصاييح الله لأنها تعجز جميع الناس أن يصنعوا مثلها
- ٢١٨ ومن عجائب خلق الأزواج كلها النعامة والغورلا وعجل السكودو والريهيا وآكل النمل والنمل الضعيف قاتل الحية وشامليون عجيب وسمك الفردوس ، وكيف يتفقد هو بيض الأنتى ، وكيف يرقد هو على ذلك البيض بدل الأنتى التي تريد أكله لانتزاع الرحمة من قلبها ، وكيف امتحن العلماء كلبا في جامعة كلومبيا واختلاف رؤوس الحيوان كما هو مبين الأشكال من (شكل ٥٣ إلى ٧٤) .
- ٢٢٦ (اللطيفة السادسة) في قوله تعالى « وتكلمنا أيديهم » الخ وقصة الفتى (ناروكاوايتي) مع فتاة يابانية .
- ٢٢٩ حوادث النطق بلا لسان رواها قوم ، فهناك فتاة في انسكرترا قطع لسانها فصارت تنطق بغيره وبعض الشرين قطع لسانه فصار يعط الناس بلا لسان
- تذكرة في آية « ومن نعمه ننسكه في الخلق » وبيان أن تنكيس الخلق الذي يكون في هذه الأيام سببه جهل الناس بالصحة .
- ٢٣١ كيف كان من الناس من عاش مائتي سنة في زماننا وهو زنجي ، وجون بافر البولندي عاش ١٧٥ سنة وهنري جنكسن الإنجليزي عاش ١٦٩ سنة وهكذا فهذا شبه دليل لقابلية الناس لطول الحياة التي يريدونها (فورونوف) ويقول نابليون : (إن الأدوية لا تفيد شيئا فالحمية والاستحمام بالماء الساخن نافعة ولنترك البنية لصانعيها الحكيم ، فأما فتحها والبحث في داخلها فكم أهلك أناسا ، وكان له الملم يعلم الطب
- ٢٣٢ وصايا طفل يخاطب والديه عن ترتيب كيفية تطورات حياته
- ٢٣٣ كلمة شفيق باشا المعاصر في الحجر ومضارها
- (اللطيفة السابعة) في قوله تعالى « الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا » وهاهنا رجعنا إلى أصل المادة وأنها نقط ضوئية صارت في أعيننا شجرا وحجرا والبحث في ذلك
- ٢٣٤ (شكل ٧٥) لبيان أول طريقة لاختراع النار ظهرت بين سكان جزائر المحيط الهادى
- (شكل ٧٦) تضع الأرملة على جسمها وشعرها طينا وجبسا حزنا على زوجها وهكذا أسلحتهم الحجرية
- ٢٣٥ (شكل ٧٧) لتعرف الآن كيف تطورت الأحوال الاجتماعية ، وهكذا الفارس الذي هو في حاشية أحد الرؤساء هناك وملابسه كلها من ورق شجر الموز وذلك أشبه شيء بلباس آدم وزوجه

٢٣٧ تذكرة في قوله تعالى «الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا» الخ عند صلاة الصبح خطاب لله تعالى وأن نار المصاييح تشتعل على (٩٦) في المائة حرارة وعلى أربعة في المائة ضوء وأن من الناس من يريد أن يعكس الموضوع فزيد الضوء جدا فذكرنا هذا ما علمه الناس حديثا من شموسك التي لا حرارة فيها بل هي ضوء فقط بنفس الحرارة .

٢٣٧ اللهم إن شأن النار عظيم . فإن كانت حسية معتدلة كان بها خروج البخار من البحار وجرى الهواء وحمل السحاب ونمو النبات والحيوان والانسان . وإن طغت ولم تكن معتدلة أثار الأعمير وأهلك الحرث والنسل وخربت المساكن والمدن والحقول وأثارت بالأجسام الأمراض من الحمى والجدرى ونحوها .

٢٣٨ القبس فرعان وهما الحرارة والضوء الخ . وهنا تفصيل لذلك (٢٠) نوعا مثل أن الضوء معنوي وحسي والحرارة معنوية وحسية وهكذا ، وهذا التفصيل كله من أسرار ما جاء في (سورة طه) وفي (سورة الواقعة) من وصف النار بأنها متاع وأنها هدى الخ .

٢٤٠ الفصل الأول في الكلام على التشويق في «هل أتاك حديث موسى» وبيان القبس والهداية وأن الأول إصلاح مادي والثاني إصلاح عقلي وكل نظام يرجع إلى هذين وهذا هو كل شيء .

٢٤١ آثار آية «لعل آتيناكم منها بقبس» عند فلاسفة اليونان : وأن أفلاطون ذكر النار في المعارة وجعلها مثالا للشمس والشمس رمز الله الخ .

٢٤٤ الفصل الثاني في إتمام الكلام على حرارة الشمس .

(اللطيفة الثامنة) في آية « فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء » .

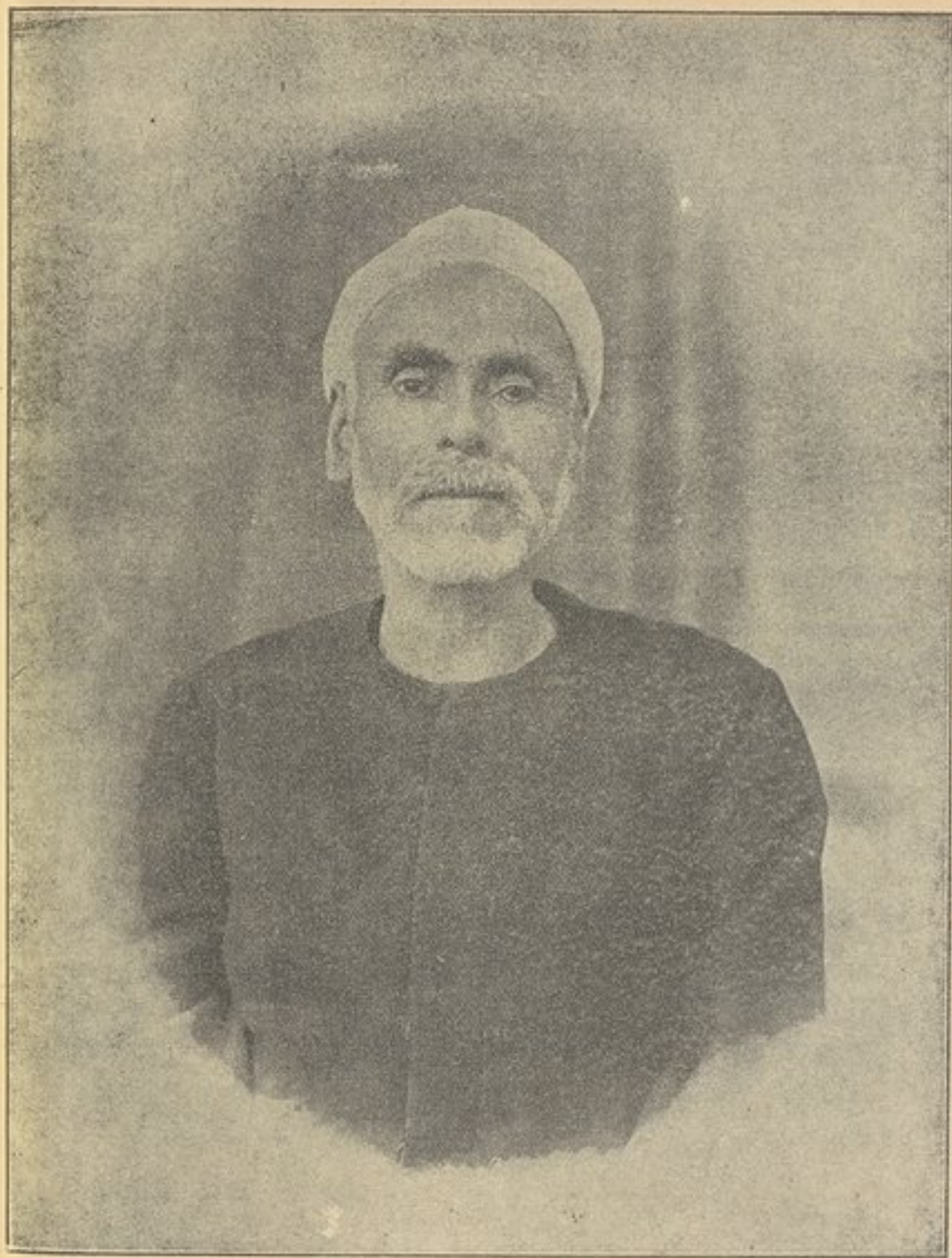
٢٤٦ (شكل ٧٩) السديم الأكبر .

السديم الأكبر في برج الجبار .

٢٤٧ نور العلم في أواخر هذه السورة .

لرغبة الكثيرين من العلماء والأدباء من قراء تفسير
الجواهر في مختلف الممالك الإسلامية واشتياقهم لمشاهدة
صورة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الحكيم
(الشيخ طنطاوى جوهرى)

أجبنا ملتسهم وصدّرنا هذا الجزء بآخر صورة
لفضيلته أدامه الله نخدمة العلم وبث المعارف
مُصَِّطَفَى البَابِ الحَلْبِىِّ وَأَوْلَادِهِ بِمِصْرَ



- (١) الدين والعلم نوعان
- (٢) الدين يدرك بحاسة السمع ، ومشاهد الطبيعة تدرك بحاسة البصر ، والعقل يدبرهما
- (٣) زمن اكتفى بحاسة السمع فهو جهول
- (٤) إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا

الجواهر

في تفسير القرآن الكريم

السيد علي عجايب بنع المكنون وغرائب الألباب أبا هراً

تأليف

الأستاذ تاج الحكيم شيخ طنطاوى جوهرى

الدرسن بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقاً
متع الله المسكين بمجاهدة أمين

الجزء الثامن عشر

الطبعة الثانية

١٣٥٠ هـ - رقم ١٧١

حقوق الطبع محفوظة

طبع بطبعة

مصطفى البانى الحلبي وأولاده بمصر

مباشرة بمهنايز عمران

فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة الصافات (هي مكية)

(آياتها ١٨٢ - نزلت بعد الأنعام)

وفيه « أربعة فصول : الفصل الأول » في تفسير البسملة « الفصل الثاني » في التوحيد ووصف ابداع الله في السموات وخلق الانسان وأن الله خلق ما هو أعظم منه شأنًا كما جاء في آخر (سورة يس) من قوله - أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم - فأول هذه مرتبطة بآخر تلك ارتباطًا وثيقًا ، ثم كيف جهل الانسان فأنكر البعث وما يتبع ذلك من محاوراة أهل الجنة وهم يظلمون على أهل النار ثم وصف أهل الجنة ونعيمهم الخ « الفصل الثالث » في قصص نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحق وموسى وهرون والياس وهو الياسين ولوط ويونس « الفصل الرابع » دفع فرية ان الملائكة بنات الله وإثبات انهم صافون مسبحون كما جاء في أول السورة لانهم بنات الله وفذلكة السورة بمدح المرسلين والسلام عليهم

﴿ الفصل الأول في تفسير البسملة ﴾

(مذكرة عن فكري قبيل فجر يوم الأحد ٢٤ مايو سنة ١٩٣٠)

ذكرت في أمثال هذا المقام اني أنام في فصل الربيع وما بعده فوق السقف تحت النجوم إجابة لداعي المحافظة على الصحة واتناسا بالنجوم واشراقها وأنوار القمر وبهجة السماء . ففي هذا التاريخ استيقظت حوالى الساعة الثانية بعد نصف الليل ، والظلام حالك ، وأنوار النجوم متلاطئات ، بهجات مشرقات ، يتخلل نورها تلك الظلمات الحالكات ، والرياح مهتاجة لها دوى وصرير وصفير على الحيطان وفي الشبايك والأبواب وفي الثقوب اللاتي تلاقها في ذلك المكان ، ولقد عجبت لهذه النفس تذكرها النسمات وتمتاجها عواصف الرياح وقواصفها

فكأنما هذه الدنيا قيثارات والرياح نوافها أومثان ومثالث بفنون الطرب وطرف الألحان وقعتها يد الزمن الغزير المواهب ، الجليل الفوائد ، الباهر الحكم ، هنالك غادر الخيال حاسنى السمع والبصر وأخذ يجرى على سنه فيجوس خلال العوالم ليحظى بفنون الحكم وبدائع العلم فيما وعاه من صور جيلة مخزونة يستثيرها وحكم غوال يأنس بها ، فأشرقت النفس بأنواره وازدانت بلوكه ولآلاته ، وأخذ العقل يجول في ميدانه وهو يقول « الأتوار أحاطت بالناس من كل جانب النهار والليل مشرقان زهران ، تغرب الشمس فيظهر القمر والنجوم وما أرضنا إلا ذرّة واحدة طايرة في عوالم لاحد لنهايتها ولا آخر لمداها اللهم إلا ما افترضه المفترضون من كرات المجرات وشموسها وكواكبها إذ يجرى النور حولها فلا يقطعها في أقل من مائة ألف مليون سنة مع العلم بأنه يقطع في الثانية الواحدة (١٨٦) ألف ميل أى (٣٠٠) ألف كيلو ولا يزيد جريه حول أرضنا عن جزء من سبعة من الثانية الواحدة وما أبعد الفرق بين سبع الثانية وبين مائة ألف مليون سنة ، ثم ان النور يحيط بهذه العوالم كلها بل كلها أنوار بل المادّة كلها نور قد تراكم فأظلم ولا يبره في عقولنا إلا العلم . انظره عند آية - الله نور السموات والأرض - في الكلام على « فطرة ماء »

الدنيا عجوز شوها عند الجهلاء وهى عروس لبست الحلل وحليت بحلى الماس والياقوت والدرر جيلة هيفاء حوراء عند الحكماء فكأنها السور الذى باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ، هنالك أخذت أفكر فى الجمال الظاهر فى هذا الوجود ومنظر النجوم وأصوات الرياح تزيدان الذكرى وتلهبان فى القلب نار الشوق والحكمة والعلم

يا سبحان الله : أتحبس فى سجن هذه الأرض فلا أعرف ما وراءه ، أتعيش ونموت ونحن جامدون خامدون ، أمثل هذا خلقنا ؟ نحن نرى الجمال يحيط بنا والرحمات لا تدعنا ، هذه الأنوار الشمسية لو أطفئت لمات أهل الأرض ، النور هو الحياة ، الرحمات لم تدر حشرة ولا بهيمة ولا إنسانا ، بالرحمة والرأفة والعطف رأينا للنملة (٤٠٠) عين (اقرأ رسالة عين النملة فى سورة النمل فى هذا التفسير) ٤٠٠٠ عين للذبابه ولغيرها أعين تعدّ بعشرات الآلاف كما فى نفس تلك الرسالة ، وإذا تعمقنا فى البحار فى الأماكن التى لا تسيبها الأنوار الشمسية وجدنا لاسمك أنوارا تشع له من نفسه كما تقم فى هذا الكتاب ، أينما قلبنا وجوهنا أبصرنا نورا وأينما فكرنا فى العوالم أدركنا رحمة ، ونحن لنا عقول تفهم الرحمة وتنظر النور ، هنالك تجسّمت أنواع الرحمات نصب عينيّ وتلاّات الأنوار فى الخيلة ، إذن هما زينتان : زينة ظاهرة ، وأخرى باطنة ، والزيتان قد تجلّتا معا فى « بسم الله الرحمن الرحيم »

هذه البسملة التى يقرؤها الجهلاء والعلماء وتحرّ على أكثر الناس مرور الرياح فى هذه الليلة والأنوار على الآذان والعيون فلا يأمهون لها وهم بها جاهلون ، فن عجز عن ادراك الجمال فى هذه الأنوار والظلمات والرياح الهباب فما أعجزه أن يدرك الرحمة فى البسملة ، لا تدرك معانى هذا القرآن إلا بدراسة هذا الوجود ، ألم تر أن الرحمة التى ذكرت فى البسملة فى أول هذه السورة قد سيقّت للتذكرة بما فيها من الرحمات والنجاب ، ذكرى يسبو لها قلب الحكيم ، وعلم يهفو له فؤاد الواله المغرم اللبيب

(١) ألم تركيف أبرزت الزينات الظاهرات فى ذكر السموات والأرض والمشارك والغارب وزينة السماء الدنيا بالكواكب ، باللحجب أليس ماشاقى اللبلة وأطب فى قلبى نار الشوق للحكمة والبحث هو نفس هذه الزينة ، ذكرت فى هذه السورة للملاءمتها لصفاء النفوس التى نقل فى نوع هذا الانسان الأرضى إذا كثرة محجوب عنه وهو غافل لا يستمع منادى الملائم العلمى الأعلى لأنه أقرب الى الحيوان مغمور فى الظين والمادّة

(٢) وكلما سنحت له ساحة أعرض وتولى وشمخ بأنفه ورجع الى بنى نوعه وأخذ يتبجح بالمجادلات

ويفرح بالغبلة في مجالس الأقران ، ويسخر من الحكمة والحكام ، ويعرض عن مناظر الآلاء ،
ويهزأ بالمباحث العقلية والآراء الفلسفية
(٣) فهنا تجلت الرحمتان :

- (١) أولاً في ظهور الأنوار كما بيناه وفي عمومها
(ب) ثانياً في حوار القرناء إذ يلوم كل منهم الآخر بعد فوات الفرصة تقر بها للقلدين في هذه
الأرض وتذكروا للفكرين منهم وتبيننا لنا أن لانعيش محمولين على أجنحة آراء غيرنا ونحن
في ذلك مسخرون ، ففي الأنوار رحمة الحياة الجسمية الكلى على الأرض ، وفي
الاعتبار بتساؤل أهل النار إذا قبل بعضهم على بعض رحمة أخرى فيها تكون الحياة العقلية ، فهنا
رحمتان : رحمة جسمية ، ورحمة عقلية موضوعتان في السورة وضعا منظما مرتباً
(ج) وثالثاً تسأول أهل الجنة إذ قصّ قائل منهم قصصه مع قرينه وهو في الدنيا وأنه أهمل
دلالتة الجدية وآراءه اللاتي كاد يغويه بها فتولى عنها معرضاً وسلك سبل السعادات في الجنات
وهذه أشبه بنتائج ما قبلها من الحياة الجسمية ومبادئ الحياة العقلية فإن من اعتبر بالقلدين
الضالين يحفره ذلك أن يكون هو من المفكرين العاقلين ، وهذه هي قصة هذا الإنسان تدب
فيه الحياة ومن أهم أسبابها الأنوار ، فإذا استوى وقوى أخذ يفكر في شؤون هذه الحياة
فتعرض له الشبهات ، وهذه هي المرتبة الثانية ، فإذا صد عنها ووصل إلى الحقائق فقد كملت
حالته في الدارين . هذه هي قصة هذا الإنسان أولاً وآخره ، إذن لم يبق إلا تطبيق أحوال
الأمم السابقة على هذه المقدمات
(د) فذكر نوحاً وأنه نجا وفاز هو ومن معه وهلك أعداؤه ، فالنارزون كالكسب الثالث
والهالكون كالكسب الثاني فيما تقدم
(هـ) ومثل نوح في ذلك إبراهيم الذي نظر في النجوم المذكورة في أول السورة وهي مناط
فكر العظماء وأجلهم الأنبياء مع تبيان ما أصابه من الأعداء فنصر عليهم ، وما أصابه من
الابتلاء بذبح ولده وكيف رحمة الله تعالى . فهنا تجلت الرحمتان ، رحمة في دعوته للناس ،
ورحمة في فداء ولده ، وكل ذلك تذكرة للمسلمين اليوم وانهم ان صبروا نجوا
(و) ومثل إبراهيم ونوح الياس ولوط ويونس . وهنا انتهى التطبيق على المقدمات الثلاث
فسبر هؤلاء الأنبياء نقص علينا أبناء الرحمتان الواردات على الأنبياء واتباعهم بعد ما قصّ علينا
رحمتان الأنوار ورحمتان النجاة من قرناء السوء ثم الوقوف على الحقائق ثم لخص السورة كلها
لما كانت السورة مبدوءة بالقسم بالملائكة الصافين على أن الله واحد وهم أرواح لها سلطان على عالم
المادة وهم باذن ربهم يدبرون الكائنات فتكون الأنوار والظلمات والحياة والأمم وتبع ذلك أن الأنبياء فانزورون
منصورون وأن أعداءهم حالكون ختمها بإفاضة الكلام . أولاً في الملائكة فأخذ يفند ما يفتر به الكافرون
عليهم من أنهم بنات الله ونحو ذلك ، فلم يبق إلا ان الملائكة هم الصافون المسيحون ، كل له عمل يخصه
لا يشاركه فيه سواه . وثانياً ان المرسلين منصورون والجنود الذين معهم غالبون ، ثم لخصها تلخيصاً أكثر
اجتلاءً ، فهو منزّه عما يصفونه به واذن تكون ملائكته القائمون بأمره على حال غير ما وصفوها والمرسلون
كثبت لهم السلامة . فلا جرم أن الهلاك لأضدادهم والمجد لله رب العالمين
ومن عجب أن ﴿سورة يس﴾ لخصت في آخرها كما لخصت الصافات كما تقدم . هذه هي الرحمتان التي
تجلت في هذه السورة تبياناً لآية (بسم الله الرحمن الرحيم) واعلم أن قوله تعالى - وسلام على المرسلين -

بينه وبين قوله تعالى - سلام قولاً من رب رحيم - صلة أن الأمان من المخاوف هو أعظم الرجاءات في الدنيا والآخرة ، فمن كانت الخواطر النفسية نائرة عليه مضجرة له منهكة لقواه فلاسلام له والمرسلون لم تبق لهم في أنفسهم خواطر السوء لأنهم مطلعون على الرجاءات الواسعات المحيطات بالناس والحيوان ولم يحجبهم عنها ما يحجب أكثر هذا الانسان من جدال وحوار وعداوات وذنوب ومطامع وكبر وعجب وما أشبه ذلك فهذه كلها حجب أسدلت على أكثر عقول هذا النوع الانساني الذي حكم عليه بالسجن في هذه الدار المملوءة جبالاً وقد صدته عن جبالها الحروب والكروب وما تقدم من فواجع الدهر وقواملع الأخلاق السائئة ، فلا يفقه أكثر الناس ولا يعقل بهجة الأنوار ولا جبال النجوم والشمس والقمر ولا عجائب الرياح وغرائبها وانها تحمل السحب المطرات فلا يكاد الضوء ينقطع عنا بالسحاب حتى نرى آثاره بالقطرات التي أمطرها علينا فنحيا بها . ومن عجب أن الدارسين لهذه العلوم أكثرهم غافلون كأنهم جاهلون أيضاً لأنهم نظروا اليها باعتبار غاياتها ومنافعها المادية ولم ينظروا اليها باعتبار مبادئها من الرجاءات العالمة فضلت عقولهم وتاهت في بيضاء المادة ولم تجتمع تلك العجائب عندهم في موجود واحد منه كان صدورها حتى تفرح به قلوبهم ويشعروا بحب عظيم بل حبههم مفرق لا اجتماع له

هذا هو سرّ البسملة في أول السورة . فهذه العوالم إن لم تكن النفوس العالمة بها ملاحظة الرجاء المتجلية فيها المبسوطة المنشورة في كل ذرة وحشرة كما تقدم فانهم لا يشعرون بالرحيم - ومن يعش عن ذكر الرحمن تقيض له شيطاناً فهو له قرين - ومن لم يشعر بأن هذا الوجود انما ظهر برحمة وعلم وأن هذه هي نتائجها فإن حياته كلها ذلة ولاسلام له لأن الأمان لمن يعلم أن روحه في يد رحيم حكيم ، فأما من يرى أن هذه الدنيا لامدبر لها وانها هكذا نائمة من الأزل الى الأبد فإن روحه أبداً معذبة متألبة لا يدري من أين يأتيه البلاء أمن الفقر أم من الفل أم من المرض أم من الموت . أما الآخر فإنه يرى نفسه سعيداً لأنه يشعر بذات رحيمة تقوم بأمره ، ومثل هذا ينال الأمان في هذه الحياة وبعد الممات هذا معنى « بسم الله الرحمن الرحيم » في سورة الصافات وبهذا تم الكلام على الفصل الأول في تفسير البسملة والحمد لله رب العالمين

الفصل الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا * فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا * فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا * إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ * رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ * إِنَّا زَيْنَبًا السَّامِيَةَ أَلَدُنْبَا زَيْنَةَ الْكَوَاكِبِ * وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ
شَيْطَانٍ مَّارِدٍ * لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ * دُخُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ
إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ * فَاسْتَفْتِهِمْ أَهْمُ اشْدُ خَلَقْنَا أَمْ مِّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ
مِّنْ طِينٍ لَّازِبٍ * بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ وَإِذَا دُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ * وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ *
وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ * أَوَدَا مِثْنَا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظَامًا أَوَدَا لَسْبَعُونُ * أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ *

قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ * فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ * وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ
 الدِّينِ * هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ * أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا
 يَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ * وَقَوْمُهُمْ لِيَهُمُ الْمَثَلُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنْتَاصِرُونَ *
 بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ * وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالُوا إِنَّا كُنْكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ
 الْيَمِينِ * قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ * وَمَا كَان لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ *
 سَخَقَ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ * فَأَعْوَبْنَا كُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ * فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ
 مُشْتَرِكُونَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَعْمَلُ بِالْمُجْرِمِينَ * إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ *
 وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ * بَلْ جَاء بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ * إِنَّا كُنَّا لَمَذْمُومِينَ
 لِمَقَالِمِ الْأَلِيمِ * وَمَا تُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ * أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ
 مَعْلُومٌ * فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ * يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ
 مِنْ مَدِينٍ * بَيْنَهُمْ لُؤْلُؤٌ مِنْ لَبَنٍ * لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ * وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ
 عِينٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ * فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي
 قَرِينٌ * يَقُولُ أَهْلَكَ لِمَنِ الْمُدَّوِينِ * إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنَّا لَمَدِينُونَ * قَالَ هَلْ أَنْتُمْ
 مُطَّلِعُونَ * فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ * قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتُرْدِينِ * وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ
 مِنَ الْمُخْضَرِينَ * أَمَا نَحْنُ بِمَبْتَلِينَ * إِلَّا مَوَدَّتْنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ
 الْعَظِيمُ * لِيُنذَلَ هَذَا فَاسْتَعْمَلَ الْعَالِمُونَ * أُولَئِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً
 لِلظَّالِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْمُهَا كَأَنَّهُ رُؤْسُ الشَّيَاطِينِ * فَإِنَّهُمْ لَا يَكْلُونَ
 مِنْهَا قَالُونَ مِمَّا الْبَطُونِ * ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حِمْرٍ * ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ * إِنَّهُمْ
 الْفَوَا آباءُهُمْ ضَالِّينَ فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ * وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأُولِينَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
 فِيهِمْ مُنذِرِينَ * فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(والصافات صفا في فلزاجات زجوا في فتاليات ذكرا) أقسم الله بالملائكة (١) بتمون صفوفهم في مقام العبودية في صراحتهم (٢) ويزجون الكواكب المسخرات وهن جاريات مدبرين شؤون العالم رادعين الناس عن الشر بالأطعام والشتايطين عن الوسوسة لهم (٣) ويتلون آيات الله على الأنبياء والأولياء ، وبالعلماء الذين يحذون حذو الملائكة صفا في العبادات وزجوا عن الجهالات وتلاوة للآيات ، وبالغزاة الحاذين حذو العلماء صفا في الجهاد وزجوا للعدو وتلاوة للكتاب ، وهذه المعاني كلها تحتملها الآية ، فكل هذه صافات وكلها زاجرات وناليات والعطف لاختلاف الصفات لا الذوات ، وكل وصف لاحق أرقى من سابقه ، فالصف للعبادة كمال والمنع من الجهالة والمعاصي تكميل بالمنع من الشر والتعلم بالكتاب إفاضة للخير وهذا غاية المقاصد السامية من الأرواح العالية ، أقسم الله بالملائكة الذين اتصفوا بالكمال في النفس وبتكميل الناس ونظام العالم وبالعلماء الذين حذوا حذوهم وبالغزاة التابعين لهم ، ولاجرم أن تناق الصفوف وانتظام الأحوال دليل على وحدة المبدأ ، ثم أخذ يفيض بذكر صفاته في جواب القسم فقال (إن إلهكم لواحد في رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق) أي مطالع الشمس وهي (٣٦٥) مشرقا لكل يوم من أيام السنة الشمسية مشرق ، فأما رب المشرقين ورب المغربين فأماهما للصبح والشتاء . وأما رب المشرق والمغرب فهما جهة المشرق وجهة المغرب (إنا زينا السماء الدنيا) القرني منكم تأنيث الأذني (بزينة الكواكب) بالاضافة وعدمها أي بزينة هي الكواكب من حيث جاهلها ولألاؤها وبهجتها وتناسب أشكالها وحسن أوضاعها لاسيما عند الخاصة الدارسين لنظامنا المفكرين في حسابنا إذ يرون أن السيارات مثلا بينها مسافات متناسبات بحيث يكون كل سيار بعده عن الشمس ضعف بعد الكوكب الذي قبله . وإن يعرف هذا إلا الدارسون المفكرون الناظرون في ملكوتنا الحاسبون الذين هم يعقلون . فلزينة إذن زينتان : زينة للعامّة والجهلاء وهذه تظهر بالعين في الليلة الليلية ، وزينة عند الخاصة وهي لا تظهر إلا للعلماء ، ولذلك أرفقه بقوله (وحفظا من كل شيطان مارد) خارج عن الطاعة متمردات سواء أكان من شياطين الانس أم من شياطين الجن ، ثم بين حالهما فقال (لا يسمعون إلى إلا الأظنى) إلى كلام الملائكة والكتبة (ويقدفون) يرمون (من كل جانب) من جوانب السماء إذا قصدوا صعودها (دحورا) أي مدحورين مطرودين (ولهم عذاب) آخر (واصب) دائم شديد وهو عذاب الآخرة . يقول الله لا يسمعون إلى عالم الملائكة واستثنى من اختلاس من كلامهم مسارقة فقال (إلا من خطف الخطفة فأبعه شهاب ناقب) كوكب يثقب الجوق بضوئه . يقول الله : « أقسم بهذه العوالم المنظمة المرتبة من ملك وكوكب ونبي وعالم ومجاهد بحيث تلاهمت وتضامت وانصلت وكانت متناسقات الوضع منظمات وهي زاجرات كزجر الملك للكوكب والمجاهد للعدو والعالم للجاهل . ولاجرم أن الملك والنبي والمصلي والعالم والمجاهد تالون للذكر

هذه العوالم ينسب بعضها إلى بعض وهي أسباب ومسببات فكأنها عالم واحد بحيث ترى وحدة منظمة فالعالم علويه يفيض على سفليه وسفليه قابل من علويه فنرى الشمس والقمر والكواكب مفيضات أنوارها على الأرض ولا ترى في خلق الرحمن من تفاوت بل ترى اتحادا واتسلافا نظم وحدتها وجمع مفرقتها ، ولاجرم أن ذلك دلالة على وحدة الصانع وذلك برهان ذكره فيلسوف يوناني وهو أفلاطون وإن وحدة العالم دلالة على وحدة الله عز وجل ، ثم أخذ يوضحه فقال : « رب السموات والأرض وما بينهما » وأتم ترونها متصلات منظمات ،

فألوحده فيهما ظاهرة والألفة بينهما معروفة مشاهدة »

الدنيا بيت فرشه الأرض وسقفه السماء وسراجها الكواكب فلذلك قال - وربّ المشارق - ألا وان البيوت الرفيعة العماد كاتضاء بالأنوار تزين بالنقوش و بأنواع الجلال والبهجة والصور الجليّة ، ولا يكون البيت مسعداً لأهله ساراً لسكانه إلا إذا أشرقت جوانبه وازدانت أركانه بأنواع الجلال والصور الحسان التي تهواها النفوس وترضاها الشرائع ، وأيّ سقف أجلّ من السماء ؟ وأيّ فرش أبهج من الأرض ؟ وأيّ سراج أجلّ من الشمس وأيّ زينة أبهج من النجوم فلذلك قال - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب - . لانه يكون القصور المشيدة والبيوت الرفيعة حافلة بالسرور مأمونا على جلالها وزخرفها إلا متى حفظت من المصوص السارقين ومتسوّري محاريبها فلذلك حفظ الله السماء أن يتناول لبرك جلالها واتساق صافيتها و بهجة بنايتها ومحاسن نظامها إلا للملائكة الصافون والأنبياء والعلماء المخلصون ، فأما الجهال والسيّاطين فأولئك عن جلالها غافلون وهم عن آياتها معرضون ، فالسما منهم في حصن حصين ولقد يعيش المرء ويموت وهو في غفلة عن درك هذا الجلال لأن السماء حوست منه ، وهل يعرف الفضل إلا ذووه ، فالعيون مفتحة ولكن أين ابصارها وهل ينال العلم إلا عاشقوه أو يبهر الجلال إلا عارفيه . ومن لم يحركه العود وأوتاره والربيع وأزهاره فهو فاسد المزاج يحتاج إلى العلاج . ولقد تلوح للعرض من الجلال وتغنّ له سائحة وتبدوله بارقة من المحاسن فتخطف بصبره كالشهاب الثاقب فيحترق إلى مثلها ويصوب إلى أختها ويتعلق قلبه بالجمال . ذلك تأويل قوله - إلا من خطف الخطفة - ولكن ظاهر القول كما هو مشهور أن الشياطين يسترقون السمع فيحترقون بالشهب وقد تخطفهم الشهب فيعودون ليسمعوا كالسارقين من نوع الإنسان والقاتلين رجاء أن لا يقفوا في قبضة الحاكمين وهذا المعنى إذا أريد كما هو المشهور فليكن كناية وهي لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز ارادة المعنى الأصلي فلنقل هذا هو المعنى وهو كناية عن المعنى المتقدم فيكون المنع الحسي رمزاً للمنع العقلي والكناية من أجل أنواع البلاغة فاصطلح المعنيان وتساوقا في الميدان وأبقينا الظاهر على ظاهره وتمتع الحكيم والفكرى بباطنه . ألا ترى رعاك الله أن كثيراً من الناس حولك محبوسون في هذه الأرض غائبة أبصارهم لا يسمعون إلى الملا الأعلى ولا يفهمون رموز هذه الدنيا ومجائبها وقد تذفوا من كل جانب مطرودين طردتهم شهواتهم وعداوتهم وكبر يأذهم وحزبهم وطعمهم وشرهم عن تلك المعاني العالية . فهم مغمورون في حماهم تائهون في سكراتهم تخطفهم من كل جانب الأهواء والشهوات وانغمسوا فيها فلا يخلصون إلى ذلك الجلال ولا يفقهون ذلك السقف المنقوش . إن النجوم أشرقت بجمالها للحكامه وبهرت بمنظرها العلماء وزيفت السماء للناظرين وهي من جهة أخرى أزجت الحرارة إلى الأرض فأبغى الزرع ودرّ الضرع واغتنى الجمع فنظفت الشهوات وكثرت اللذات فأعمت البصائر عن النظر والعقول عن الفكر وأصبح الناس صرعى أرواهم قلى أهوائهم مطرودين عن الحكمة ، ثم إن شياطين الجن كشياطين الإنس غاية الأمر أن الأولين ليسوا في الأجسام البشرية وأن الآخرين فيها ولكن البصيرة واحدة ومن كان في الجسم أعمى فهو إذا جرد منه أعمى فشياطين الإنس وشياطين الجن كلاهما محرّمون من الحكمة العالية ، ألا ترى أن الخواطر الحكيمية لا يناها في هذه الدنيا إلا أهلها ولكل أناس في الأجسام البشرية وفي الحال الروحية خواطر خاصة بهم كأنهم صفوف لا يتعدون مراتبهم فن خطف الخطفة على أحد حالين إما أن تهديه إلى الصراط السويّ وأما أن تقف في طريقها الشهوات وتجثتها اللذات والأهواء . فعلى المعنى الأول يكون الاستثناء متصلاً كما قدمناه . وعلى المعنى الثاني يكون منقطعاً على ما هو مشهور وكلا المعنيين حق . فكأن من الناس جاءتهم بارقة العلم فاستضاء بها . وكما أناس سمعوا الذكر فأعرضوا عنه وهم بجهاالتهم مشغولون . ذلك تفسير هذه الآية

فتش الناس حولك . انظر تجد هذه المعاني متجلية - ولكن أكثر الناس لا يعلمون - لقد قلّ الذين

بهرهم الجمال وذاقوا حلاوة الحكمة وأكثر الناس لا يعلمون لأنهم عنها مصروفون

﴿ مثال يوضح المقام ﴾

قرأ قارىء - المال والبنون زينة الحياة الدنيا - فالآية معناها معلوم وهو أن زينة الحياة الدنيا لابقاء لها فالباقيات الصالحات خير أى أن يكون سعى الانسان لثواب الآخرة . فهذه الآية يذهب عندها السامعون مذهبين : مذهب لفهم المعنى المقصود والتفكير فيه . والآخر للتحسر على الدنيا ولذاتها ويقول الانسان أين المال . أين الولد . أين زينة الدنيا ؟ يقول ذلك وهو يعلم المعنى المقصود . لماذا ؟ لأن بصيرته لم تستعد للمعنى بل هو مشغول بالعاجلة . فهذان القسمان من الناس أولهما خطف الخطفة فاهتدى . وثانيهما خطفها فتبعته الهواجس فقتلت الفكرة في مهدها وكأنما ذلك شهاب نارة يهتدى بضوئه ونارة يهلك بناره . هدى الأول بضيائه وأهلك الثاني وأمات وجداده بناره

بجلّ العلم وجلت الحكمة وجلّ الله الذى جعل هذه المعاني في تلك المباني وصرف عقول العارفين عن تقاض المعاني الى النظر الى العالم العلوى والحكمة القدسية

إن خواطر الناس الشريفة كلها خطفات من الملائكة الأعلى . إن المعارف والعلوم والمعاني الشريفة تشرق على النفوس لتصلها بعوالم مشرقة فيها هذه المعاني . وما عقولنا إلا كالعين . وماتلك العوالم إلا كالسكواكب المضيئة . وما المعرفة إلا انكشاف المعاني بتلك الأنوار الباطنية فنسبة تلك العوالم الى عقولنا كنسبة الشمس الى أبصارنا ونسبة انكشاف المعاني الى بصائرنا كنسبة انكشاف المرئيات الى أبصارنا . فلولاه الضياء مارأى الناس الأجسام هكذا عالم الملائكة . ذلك كله تقرير الحكماء السابقين والعلماء المحققين

﴿ لطيفة ﴾

اعلم أن مسألة الشهب كانت عند القدماء من المشكلات الدينية . ألا ترى أن السماء كانت في رأى قدماء الفلاسفة لا تقبل المحرق ولا الالتئام فكيف تكسر الكواكب وينزل شهب منها في الأرض ؟ فكان علماء التفسير رحيم الله يؤثرون نارة ويكذبون علوم الفلاسفة أخرى . أما الآن فما أجل العلم فإن العلم الحديث يعتبر الشهب من نفس الكواكب السماوية وهي قطع صغيرة تقدم إيضاحها في هذا التفسير في النصف الأول من القرآن فقرأه في ﴿ سورة الحجر ﴾ وما قبلها فلاشكال وذلك مجزئة للقرآن ، خالف الفلاسفة البائدة ووافق الحاضرة

﴿ أسرار القرآن في علم الأرواح وعلم التصوف ﴾

يقرأ القارىء هذه الآيات ولا يخاطر بالله أن الكشف الحديث أبرزها . لقد سأل علماء النفس في أوروبا بعض الأرواح عن اتصالهم بالناس وحضورهم اذا طلبوهم فأجابوا قائلين ما نسه : « إن الأرواح العالية لا تنجس إلا نفوسا صافية لا تريد إلا الخير للناس مع استعدادها للحكمة ومستحيل أن تنجس من شوق قلوبهم الكبرياء وألهم الشهوات . أما الأرواح الناقصة فإنها تسرّجدا بمحادثة الجهلاء من الناس وتعطيهم أكاذيب وأساطير وتفرح بذلك كما يفرح جهلة المسلمين والمسيحيين بالكذب الذى اعتادوه في أول ابريل . وفوق ذلك قالوا : إن كل ما كان من حديث الأرواح لامور العاجلة فهو من سقط المتاع لانهاهوا إلا الأرواح الشريرة وما كان من قبيل العلم والحكمة والمنفعة العامة فهو شغل الأرواح العالية السماوية تلقىه الى من هم مستعدون » اه فتبين من ذلك أن الملائكة الأعلى من الملائكة والأرواح لا يأنسون إلا بما هو نفع عام ويأفنون من الامور الخاصة كالمال والبنين وزينة الحياة الدنيا

﴿ علماء التصوف ﴾

أما علماء التصوف فانهم قد يأمرودن تلاميذهم بالجوع والسهر وترك الكلام والعبء وما أشبه ذلك مع الذكر وحسن السير . فبعض هؤلاء يكشف لهم وهذا الكشف قد فصلوه تفصيلا فقالوا : « إن كان للامور

العاجلة كموت زيد وحياء عمرو وغناه وفقره فذلك من الكشف الظلماني . فأما ان كان كشفاً للأموال العلمية والحكمة والمعارف فهو كشف نوراني ،

أليس ما يقوله الفريقان قديماً وحديثاً هو عين هذه الآية . أليس هوساً لها ؟ فالصوفي ومحضر الأرواح إن قصدا بالكشف الدنيا والمال والعظمة تركتهم الأرواح العالية وأحاطت بهم الشريرة ويكون العلمان وبالاعلى من تعلمهما واذن الجهال أفضل وهم عن قال الله فيهم - وأضل الله على علم - فهو لاء كتجار التجرو باعة الخنازير وشاربي الخمر والحشيش بل هؤلاء أشد وهم الذين لا يسمعون الى الملائكة الأعلى بل الى الملائكة الأسفل ويقذفون من كل جانب دحوراً لأنهم مطرودون عن التلقي عن الأرواح العالية التي لا تنجى إلا من هم مستحقون . يقول مؤلف الكتاب فالجد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله . لقد ظهرت معاني القرآن اليوم أى بعضها وظهر سرّ قوله تعالى - سرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - وسرّ قوله - وقل الحمد لله سيركم آياته فتعرفونها -

ولكم سألتى سائلون عن هؤلاء المتصوفة الذين ظهوروا ببلاد الاسلام كقوم ببلاد مراکش لا يصلون ولا يصومون وينتسبون لوليّ عظيم واذا جلسوا معا وتواجدوا طار أحدهم الى قبة المسكان الذي هم فيه جالسون واذا جىء لهم بشاة أو عذرة خرقوا بطنها وشووها وأكلوها . فهذه فتنت كثيرا وظن الناس أن هؤلاء عندهم سرّ عظيم وماهى إلا توجه نفوسهم الى أمور جزئية فنالوها ولكنها أمور منحطة قدره دنيئة لا ترقى النفوس البشرية بل هى أمور ظلمانية . فاذا عجز المصلى والمزكى والعالم المسلم عن هذا فليس معناه ضعف حاله . وأن هؤلاء يعاون عليه بن هم قوم حصرت نفوسهم فى أمر جزئى صغير فلامهم فى العبر ولا فى التفبر بل تجب محاربتهم وقتلهم . ان هؤلاء لا يسمعون الى الملائكة الأعلى . واذا رأيت أمثال هؤلاء يتخبرونك بشئ فى نفسك فلا تطلق الأمر عظيماً . فهذا الكشف حقير لأنهم لا يسمعون الى الملائكة الأعلى لضعف نفوسهم وإنما يسمعون الى الملائكة الأدنى ويقذفون من كل جانب دحوراً وهم عذاب دائم يوم القيامة لأنهم أضاعوا أنفسهم فى أمور جزئية وغفلوا عن هذه الدنيا وجمالها وعلومها ولم تصلح نفوسهم لعالم الملائكة . فينثروا العلم والحكمة بين الناس

﴿ ذكر نظير هذا فى المعروف بين الناس ﴾

إن هذه الأحوال هى التى نشاهدها فى العالم الانساني ، انظر أأنت ترى أن أكبر العلماء والحكماء لا يستطيعون أن يذكروا شيئاً من حكمتهم وفلسفتهم أمام الجهلاء ولو ذكروها لم ينلهم منهم إلا تنسخرية والاستهزاء ، أأنت ترى أن العلماء قالوا : « إن الحكماء خلقوا ليعلموا العلماء والوعاظ ليعلموا العامة » فهل يخاطب الحكماء الجهلاء ؟ كلا . ثم كلا . هكذا هذه الآية . يقول الله - لا يسمعون الى الملائكة الأعلى - لأن الملائكة الأعلى لا يخاطبهم لعدم التلاؤم ، فسبحان من أظهر هذه المعاني حتى صارت من المؤلفات ، وأشرقت الأرض بنور ربها فى سرّ الكتاب ، قال تعالى (فاستفتهم) فاستخبر بنى آدم (أأهم أشد خلقاً أم من خلقنا) من الملائكة والسماء والأرض وما بينهما والكواكب والشهب الثواقب فكيف ينكرون البعث وأبىن هم بالنسبة لهذه العوالم التى خلقناها (إنا خلقناهم من طين لازب) أى لاصق أولازم فأبىن هم من كواكب السماء وعالم الملائكة وتلك العوالم النورية المشرقة ، فاذا قدرنا أن نخلق تلك العوالم العظيمة فهل يهجزنا أن نعيد ما هو مخلوق من طين لا يصلح للحياة إلا باشراف الأنوار عليه ووصول الأنوار اليه من العوالم الأخرى (بل عجبت يا محمد من تكذيبهم إياك ومن انكارهم البعث وهم (يستخرون) من أمر البعث (واذا ذكروا لا يذكرون) ودأبهم أنهم اذا وعظوا بشئ لا يتعظون (واذا رأوا آية) مهجزة كانشقاق القمر (يستخرون) يستدعى بعضهم بعضاً أن يسخر منها أو يبالغون فى السخرية ، فهو لاء كالذى خطف الخطفة فأتبعه شهاب قتله وأمات

فكرته وأضاع رشده وأضلّ عقله فأمثال هذا أحياء وماهم بأحياء كما قال تعالى - أموات غير أحياء -
* وقال الشاعر

ففر بعلم تعش حيا به أبدا * الناس موتى وأهل العلم أحياء

فهؤلاء يسخرون (وقالوا إن هذا لإسحربين) سحرظاهر ساحرته (أنذا متنا) استفهام إنكارى
(وكنا ترابا وعظما أننا لمبعوثون) أى أنبعث إذا كنا ترابا وعظما (أو أبأنا الأولون) أى أبعث أيضا أبأنا
متبعدين ذلك زيادة استبعاد لأن آباءهم أقدم منهم فيكون بعثهم أشد غرابة (قل نعم وأتم داخرون)
صاغرون وإذا كان كذلك (فأتماهى زجرة واحدة) صيغة واحدة وهى نفخة البعث (فإذا هم ينظرون)
أى فإذا هم أحياء بصراء ينظرون الى سوء أعمالهم أو ينتظرون ما يحلّ بهم (وقالوا) إذا قاموا من القبور
(يا ويلنا هذا يوم الدين) يوم الحساب فتقول الملائكة (هذا يوم الفصل) يوم القضاء بينكم وبين المؤمنين
(اللى كنتم به) فى الدنيا (تكذبون) فتقولون انه لا يكون (احشروا الذين ظلموا) أى اجعوا كل ظالم
بشرك أو غيره (وأزواجهم) وأشباعهم وأمثالهم بحيث يكونون فى مباءة واحدة كما يرى فى هذا العالم المادى
إن المواد الأرضية مجنوبة الى الأرض والهوائية الى الهواء والمائية الى الماء وأصحاب الحرف المتنفقة يتفقون
ويتفاهمون وأصحاب الأخلاق الوضيعة يتحاورون وذووالنفوس الشريفة يأتلّفون ، فهذا العالم المادى والروسى
على نسق واحد فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ، فالحجة فى الدنيا لاتفاق الأشكال وفى الأخرى
لاتفاق العلوم والأخلاق - ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت -

وهل تألف الغربان لإسربها ، أو الحمام لإلفها ، أو الزناير لإخوانها ، أو النمل لإطاعتها . فيا عجباً .
تساكبت الدنيا والآخرة وما يذكره القرآن عن الآخرة نشاهده فى الدنيا . فلسأله فى الدارين باتفاق الصفات
واختلافها ، لهذا تزلت البيانات وقرئت العلوم ونظمت العلوم وألفت الكتب وبنيت الكليات وأقيمت
الجامعات . كل ذلك لتربية العقول وصلها بصقال واحد . إن ذلك هو النظام العجيب

يقول الله - احشروا الذين ظلموا وأزواجهم - (وما كانوا يعبدون من دون الله) من الأصنام زيادة فى
تحيرهم (فاهدوهم الى صراط الجحيم) ففرّ فوهم طريقها ليلسكوها لأنهم على مشرب واحد . وفى الحديث
« أنت مع من أحببت » وذلك كله بطريق الجاذبية والاستعداد - وما ربك بظلام للعبيد - (وقفوههم)
احبسوهم فى الموقف (إنهم مسؤولون) عن العقائد والأعمال (مالكم لاتناصرون) لا ينصر بعضكم بعضاً
(بل هم اليوم مسلمون) منقادون لجهنم (وأقبل بعضهم على بعض) أى الرؤساء والأتباع أو الكفرة
والقراء (ينساءلون) يسأل بعضهم بعضاً للتوبيخ أو يتخاصمون (قلوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين) أى
من قبل القهر والقوة لأن اليمين موصوفة بالقوة أى انكم نعلموننا على الضلال وتقهووننا عليه ، أو من قبل
الدين فضلوننا وتقولون لنا إن الدين ما فضلوننا به (قلوا) أى الرؤساء للأتباع (بل لم نكونوا مؤمنين)
أى بل أبيتتم أتم الإيمان وأعرضتم عنه وأنتم مختارون ، وهل لنا سلطان على ضمايركم وهذا قوله (وما كان
لنا عليكم من سلطان) تسلط نسلبكم به اختياركم (بل كنتم قوما طاغين) مختارين الطغيان (حق علينا قول
ربنا) فلزمننا جميعاً وعيد الله بالسخط والعذاب (إننا لذائقون) العذاب فى النار (فأغويننا كم إنا كنا
غافرين) أى فدعونا كم الى التى لتكونوا أمثالنا لأن الطيور على أشكالها تقع والناس مولعون بتكثير سوادهم
ومن هم على شاكلتهم ليأنسوا بهم كما تفعل الأمم كلها يعلمون الأمم لغاتهم وعلومهم وتاريخهم ليكونوا على
شاكلتهم وينتفعوا بهم (فانهم) فان الأتباع والمتبعين (يومئذ فى العذاب مشتركون) كما كانوا مشتركين فى
القوابة (إننا كذلك) أى مثل ذلك الفعل (نفعل بالمجربين) بالمشركين وبين سببه فقال (إنهم كانوا اذا
قيل لهم لا إله إلا الله يشكرون) أى عن كلمة التوحيد وعن الداعين اليها (ويقولون أننا لئناركوا آلهتنا

لشاعر مجنون) يعنون محمدا ﷺ فرد الله عليهم قاتلا : كلا (بل جاء بالحق وصدق المرسلين) أى ما جاء به قام عليه البرهان وتطابق عليه المرسلون (إنكم لذائقوا العذاب الأليم) بالاشراك وتكذيب الرسول (وما تجزون إلا ما كنتم تعملون) أى إلا مثل ما عملتم (الإعباد الله المخلصين) هذا استثناء منقطع

﴿ وصف أهل الجنة ﴾

ما كلهم ، ومجالسهم ، وشرابهم ، ونساؤهم

﴿ ما كلهم ﴾

هى الفواكه للتلذذ مع الاكرام وعدم النصب فى التحصيل وهم فى الحدائق وهو قوله (أولئك لهم رزق معلوم فى فواكه وهم مكرمون فى جنات النعيم)

﴿ مجالسهم ﴾

يجلسون على سرر وهم متقابلون ، وقد جاء فى آية أخرى - ونزعنا ما فى صدورهم من غل - أخوانا على سرر متقابلين - لا يسمهم فيها نصب - وذلك قوله تعالى (على سرر متقابلين)

﴿ شرابهم ﴾

يشربون الخمر من نهر ظاهر للعيون أو خارج منها وهى بيضاء لذينة لشاربها ليس فيها غائلة تفسد عقولهم كما فى خمر الدنيا وتصدعهم وتحدث فىهم البول والقيء والعريضة وأمثالها ، يقال غاله اذا أفسده ولا يسكرون منها وهذا قوله (يطاف عليهم بكأس) باناء فيه خمر (من معين) من شراب معين أو نهر معين (بيضاء لذة للشاربين) صفتان للكأس (لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون) يقال نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف

﴿ نساؤهم ﴾

قصرن أبصارهن على أزواجهن فلا يعين غيرهم نجل العيون أى واسعاتهن جمع عيناء يشبهن بيض النعام المصون من الغبار ونحوه فى الصفاء والبياض المخلوط بأدنى صفرة فانه أحسن ألوان الأبدان وهذا قوله (وعندهم قاصرات الطرف عين - كأنهن بيض مكنون)

﴿ وصف حديث أهل الجنة ﴾

بعد أن ذكر الله ما كلهم وشاربهم وقلوبهم المؤلفة ونساءهم أخذ يذكر أحاديثهم فى شؤون مضت وانقضت فى الدنيا قبل البعث كما قال الشاعر :

وما بقيت من اللذات إلا - - - محادثة الرجال ذوى العقول

وهذه لذة عقلية أشرف من اللذات الحسية السابقة ، فهؤلاء يطاف عليهم بكأس من معين وهم يتصادفون كما يحصل ذلك بعد الانتصار فى الحروب العظيمة فيقول أحدهم : « لقد كان لى جليس فى الدنيا يؤبىخنى على التصديق بالبعث » ويقول : « ونحن ندان (أى نجزي) اذا أصبحنا ترابا وعظاما ؟ كلا - ثم كلا - انظروا ، انظروا أيها الاخوان هاهوذا فلان الذى كان شأنه ذلك » (هل أتم مطالعون) الى أهل النار لأرىكم ذلك الترين (فاطلم) عليهم (فراه) أى قرينه (فى سواء الجحيم) أى وسطه فلما رآه (قال) له (نائلة إن كدت لتردين) لتهلكنى باضلالك (ولولا نعمة ربى) بالهداية والعصمة (لكنت من المحضرين) معك فى جهنم ، يا هذا أنحن مغلدون منعمون فما نحن بميتين ولا معدتين إلا موتنا الأولى بخلاف الكفار فهم يموتون الموتة الأولى مثلنا ثم هم فى جهنم يتمنون الموت كل ساعة . قيل لحكيم : ما شر من الموت ؟ قال الذى يتمنى فيه الموت وهذا القول يقوله المؤمن تحديدا بنعمة الله عليه بسمع من قرينه ليكون توبيخا له فيزيد تعذيبه ثم قال لقرينه (إن هذا) الأمر الذى نحن فيه (لهو الفوز بالعظيم) قال الله (مثل هذا فليعمل العاملون)

﴿ وصف جهنم ﴾

قال تعالى (أذلك خير نزلاً) تمييز (أم شجرة الزقوم) أى أنعيم الجنة وما فيها خير نزلاً أم شجرة الزقوم والنزل ما يقيم للنازل بالمكان من الرزق والزقوم شجر مرّ بهامة (إن جعلناها فتنة للظالمين) محنة وعذاباً فى الآخرة أو ابتلاء فى الدنيا إذ قالوا كيف يكون فى النار شجرة والنار تحرق الشجرة (إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم) فنبتها فى قعر جهنم وأغصانها ترتفع الى دركاتها (طلعها كأنه رؤس الشياطين) أى رؤس الحيات القيحة المنظر التى يسمها العرب شياطين أو نفس الشياطين التى لم يرها الناس ولكن وقع فى وهمهم شاعتها وقبح منظرها كما فى بيت امرئ القيس * ومسنونة زرق كأنياب أغوال * (فأنهم لا يكلون منها) من الشجرة أو من طلعها (فالثون منها البطون) لغلبة الجوع (م إن لم عليها شوبا) أى خلطاً (من جيم) ماء حار يشوى وجوههم (ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم) فليخص ذلك أنهم يؤتى بهم من دركات الجحيم الى شجرة الزقوم فىأكلون ثم يسقون ثم يرجع بهم الى محاطهم من الجحيم ، ثم بين السبب الذى أوقعهم فى الكفر المسبب لذلك فقال (إنهم ألفوا آباءهم ضالين * فهم على آثارهم بهرعون) الأهرام الاسراع الشديد كأنهم يحثون حثاً (ولقد ضلّ قبلهم أكثر الأولين) أى ضلّ قبل قريش الأمم الخالية بالتقليد وترك النظر (ولقد أرسلنا فيهم منذرين) أنبياء حذروهم العواقب (فانظروا كيف كان عاقبة المنذرين) الذين أنذروا وحذروا أنهم هلكوا جميعاً (لإعباد الله المخلصين) الذين أخلصوا دينهم لله فأنهم لم يهلكوا . انتهى التفسير اللغظى للفصل الثانى

﴿ لطيفة فى التقليد والنظر ﴾

نبين فى هذا الفصل ما تكون عاقبة التقليد بقاء أولاً فى قول القائل فى الجنة لقرينه فى النار انه نجا من اغوائه ولو أنه اتبعه لوقع فى الجحيم ، وثانياً فى قوله - إنهم ألفوا آباءهم ضالين * فهم على آثارهم بهرعون - ثم زاد على ذلك أن أكثر الأمم الخالية ما هلكوا إلا بالتقليد ، فظهر من هذا المثال أن التقليد أوله وآخره شؤم على المقلد وعلى من يقبعه ، إن العالم الانسانى لاسعادة له إلا بالنظر والفكر والبحث فى حقائق الأشياء دنيوية وأخرية ، فلينظر العقلاء فى التعاليم الاسلامية الخالية وليفكروا فى نظام الدين الاسلامى وليعلموا أن اتباع الأمم الاسلامية المتأخرة فى تعاليمها قد أضاع الأمم الكثيرة فى الشرق ، فلينظم تعليم الاسلام بجميع العلوم والصناعات باعتبار انها فرض والافلعلوا أنهم لاحتون بالأمم التى أبادها الجهل وأضاعها الجاهلون

﴿ جوهره فى قوله تعالى - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب - الخ ﴾

لقد تقدم الكلام على المسكوكب والكشف الحديث فيها فى أول سورة البقرة وفى سورة الأنعام وسورة يونس وغيرها ، ولا بد هنا من ذكر أبداع ماجاء فى الكشف حديثاً لتبتهج أيتها الدكن بالعلم والحكمة فهناك ماجاء فى « مجلة السياسة » الأسبوعية وهذا نصه :

﴿ اكتشاف علمى جديد ﴾

(المجرة ومركز الكائنات)

(نظرية الدكتور شابلى فى سعة هذا الكون)

نحن نطلق لفظة الكون على ما نشاهده وما لا نشاهده من الأجرام العلوية التى تسبح فى الفضاء ، وقد كانت النظريات العلمية تؤكد حتى الآن أن الكائنات (على سعتها وكثرة أجزائها) محدودة وأن ورائها ظلمات فوق ظلمات وفرانغا لا أول له ولا آخر . على أن الدكتور شابلى مدير مرصد جامعة هارفرد الأمريكية ومن أشهر علماء الفلك فى الوقت الحاضر قد جاءنا اليوم بنظرية جديدة وهى أنه ليس فى الكون فراغ بالمعنى

العلمي وأن الأجرام الفلكية تملأ هذا الوجود الى مالا نهاية له ، وقد نشرت إحدى المجلات العلمية الأمريكية مقالة في هذا الموضوع رأينا أن نلخصها فيما يلي

« يؤخذ من أحدث المباحث العلمية أن الفراغ الذي تسبح فيه الأفلاك شفاف وأنه ليس منه جزء فارغ كما كان يظن حتى عهد قريب بل هو يعج بالأجرام الفلكية في كل ناحية من أحيائه وليس فيه بحجرة واحدة بل عدة مجرات وأن بعضها كبيرة جدا حتى ان المسافة بين طرفيها تزيد على ألوف الملايين من السنين النورية ويرجع فضل هذا الاكتشاف الى الدكتور شابلي فقد أثبت بعد البحث العلمي الدقيق هذه الحقيقة العلمية الجديدة وهي أن نظامنا الشمسي ونظام المجرة هما في الواقع نظام واحد يدور بسرعة مائتي ميل في الثانية أو بسرعة تزيد على ستة آلاف وثلاثمائة وسبعة ملايين ومائتي ألف ميل في السنة ، وأنه يكمل كل دورة من دوراته في ثلاثمائة مليون سنة (وبعبارة أخرى) ان اليوم من أيام هذا النظام يعادل ثلاثمائة ألف سنة (لأن اليوم بالاعتبار الفلكي هو دوره الجرم على محوره ودورة النظام الذي نحن بصدده على محوره تستغرق ثلاثمائة مليون سنة) وتبلغ المسافة التي يجتازها هذا النظام في كل دورة من دوراته وثلاثمائة واثنين وتسعين ألف ومائة وستين ألف ألف ألف ميل . ويعتد الدكتور شابلي أنه لن ينقضي زمان طويلا حتى يتوصل العلماء الى اكتشاف سر الحياة في أحد تلك الأجرام فإن معظمها قديم جدا ، وليست كرتنا الأرضية بالنسبة اليه سوى طفل حديث الولادة ، وقد كان الأقدمون يعتقدون أن الكرة الأرضية هي مركز جميع الكائنات وأن الشمس وجميع الأفلاك تدور حولها ، ثم تقدم العلم فثبت أن الأرض لم تكن مركز الكائنات ، وقام الاعتقاد بين جمهور العلماء أن الشمس هي ذلك المركز ، وظلت النظريات تتغير وتتقلب الى أن جاءنا الدكتور شابلي بنظريته الجديدة وهي أن مركز الكائنات هي نقطة اتصال الأبراج المعروفة بالعقرب والحية والرامي وتبعد هذه النقطة عن الكرة الأرضية نحو خمسين ألف سنة نورية أي نحو ثلاثمائة ألف ألف مليون ميل فالنور الذي نراه الآن منبعئا من ذلك المركز والنور الذي انبثق منه منذ أكثر من خمسين ألف سنة أي قبل أن يظهر الانسان على هذه الكرة

وبما يجدر بالذكر أن الاستاذ (ادنجتون) الذي يعتبر أعظم علماء الفلك في الوقت الحاضر (وهو أستاذ الفلك في جامعة كمبرج بإنجلترا) أعلن منذ عشر سنوات أن الشمس هي مركز المجرة وأن طرف المجرة يبعد عن الكرة الأرضية عشرة آلاف سنة نورية وأنه ليس وراء ذلك الطرف سوى فضاء لا حدود له ، أما الآن فقد أثبت (الدكتور شابلي) أن الكائنات أوسع من ذلك بكثير ، اذا نظرت الى السماء في ليلة صافية الأديم أمكنك أن ترى بالعين المجردة نحو خمسة آلاف نجم من النجوم المختلفة الأحجام والدرجات وهذه النجوم مبعثرة في قبة الفلك بالنظام ظاهر ويختبرها في الوسط طريق المجرة الذي هو أشبه بنهر متعرج ، على أن ما نراه بالعين المجردة ليس سوى جزء صغير من مجموع النجوم التي يتألف منها عالمنا (أي نظامنا الشمسي والمجرة معا) فان عدد نجومه يبلغ عشرة آلاف مليون نجم ، وما شمسنا سوى نجم ناهه يدور هو والأرض وجميع أجرام النظام الشمسي حول مركز الكائنات الذي سبقت الإشارة اليه

ويقول الدكتور شابلي أيضا : إن حول هذا المركز نحو مائة مليون نجم (والنجم هو الشمس بعينه) ومن هذه المجموعة تتألف نواة المجرة ولكن بقية أجزاء المجرة لا تزال محوطة بحجب السحب ، وإنما هنالك قرائن تدل على أن ضخامة نظام المجرة تبلغ نحو خمسة وخمسين ألف سنة نورية وأن قطرها أكثر من ذلك بكثير (ترى ما الذي وراء مركز الكائنات ؟)

يعتقد الدكتور (شابلي) أنه لن يموت طويلا حتى تنجلي لنا أسرار كثيرة ، أما النظرية القائلة بوجود شمس عظيمة تستمد منها جميع الشمس نورها وهي مركز الكائنات فهي خرافة لا طائل تحتها ، ونظريته

النسبية (وهي أحدث النظريات العلمية وأصدقها في الوقت الحاضر) تؤكد لنا أن لكل جرم حدودا لا يتعداها ، فالنجم المسمى (منكب الجوزاء) هو عبارة عن شمس هائلة يمكن وضع خمسة وعشرين مليون شمس كنسبنا في بطنها ومع ذلك لا يمكن (بحسب مذهب النسبية) تصور شمس أكبر من منكب الجوزاء لأن قوة الجاذبية فيها تكون هائلة جدا تصطدم بقوة إشعاعها وتمزقها شراً ممزقاً

مركز الكائنات يشرف على نظامنا الشمسي ونظام المجرة معا ويحفظ التوازن بين جميع أجرام النظام ، وقوة جاذبيته تفوق قوة أي جرم آخر يفرضه العلم ، وقد المباحث العلمية الحديثة أيضا على أن مركز المجرة يحيط بألوف الملايين من النجوم المبعثرة في الفضاء ، وللدلالة على سعة الفضاء الذي تشغله تلك النجوم قول : « إن محيطه لا يقل عن ثمانمائة ألف سنة نورية ونخاتته لا تقل عن مائة وخمسين ألف سنة نورية ، أما نظامنا الشمسي فواقع خارج محيط المجرة عند أحدها طرفها ، ولا يخفى أن جميع أجرام الفلك تدور على محورها بلا انقطاع ، وقد قلنا أن اليوم يتكوّن من دورة الجرم على محوره ، فالיום باعتبار كرتنا الأرضية يتكوّن من دورة الكرة على محورها وهو بحسبنا أربع وعشرون ساعة ، أما الكائنات التي يتألف منها نظامنا الشمسي ونظام المجرة معا فهو يعادل ثمانمائة مليون سنة لأن هذه الكائنات تدور مرة حول محورها كل ثمانمائة مليون سنة ، وعليه فإن ستة أيام أو سبعة من نوع الأيام التي نحن بصددنا تكفي لنشوء كائنات بأسرها ، أما الذي حل (الدكتور شابلي) على القول بأن نطاق الأفلاك أوسع كثيرا مما يتوهم العلماء وأن عدد الأجرام التي تتألف منها الكائنات غير محدود فهو النجوم المعروفة بالمغيرة ، فقد اكتشف منها عدة آلاف وهو يعتقد أن الكون ملؤه بها ، وقد درس حالة هذه النجوم درسا مدققا فابتكر طريقة علمية لقياس درجة نورها ولعانها ، والمجال لا يتسع لشرح تلك الطريقة وإنما نقول إن الدكتور شابلي توصل بواسطتها إلى معرفة أبعاد تلك النجوم وقد أثبت أنها تقع خارج الحدود التي كانت مفروضة للكائنات أي في الفضاء الذي كان يقال حتى عهد قريب أنه فراغ ليس فيه شيء من الأجرام الفلكية ، وقد وجد أن قوة إشعاع بعض تلك النجوم تفوق قوة إشعاع الشمس أكثر من ثلاثين ألف ضعف فتأمل

وبناء على هذا الاكتشاف أصبحت حدود الكائنات أوسع بكثير مما كان العلماء يتصورونها حتى أوائل هذا القرن ، ويظهر الآن أن النجوم المتعبدة توجد بشكل مجموعة مبعثرة حول أطراف المجرة وإنما حدود الكائنات التي يتألف منها نظامنا الشمسي ونظام المجرة معا ، أما حقيقة شكل الكائنات المذكورة فهي أنها نسبة قرصا مئجنا مستطيلا يتألف من نظامنا الشمسي ومن المجرة ، وليس نظامنا الشمسي مركزا لتلك الكائنات بل هو يبعد عن ذلك المركز نحو خمسين ألف سنة نورية كما سبق القول فيه

(ووراء هذه الكائنات كلها ؟)

كان العلماء يزعمون حتى عهد قريب أن وراء الكائنات فراغا لا حدود له وأن هذا الفراغ يتبدى بعد المجرة بقليل وليس له آخر إلا أن الدكتور شابلي قد أثبت اليوم أن مجرتنا ليست هي المجرة الوحيدة بل إن هنالك مجرات أخرى ومجموعات نظم شمسية لاعداد لها وهي تدور حول نواة مركزية ، وقد أطلق عليها الدكتور شابلي اسم جزائر كونيّة ويمكننا رؤية عدة مئات منها بواسطة التلسكوبات الحاضرة ، ومنى أنشئ تلسكوب مرصد (مونت ويلسون الجديد) الذي سيبليخ قدر عدسته مائتي بوصة فالأرجح أننا سنتمكن من مشاهدة ألوف كثيرة من تلك الجزائر ، وتظهر هذه الجزائر لأول وهلة بشكل مجموعات مظلمة من النجوم أو السدم المبعثرة في الفضاء ، ومع أن هذه الجزائر ليست من مكتشفات (الدكتور شابلي) إذ قد كانت معروفة من قبل إلا أن القول بأن كلا منها هي مجرة قائمة بذاتها هو قول جديد ، وقد ثبت الآن أن بعضها يبعد عن نظامنا الشمسي نحو مائة مليون سنة نورية أو أكثر

ومما يدل على سعة هذا الكون أنه لو أصيبت مجرتنا (وفيها نحو عشرة آلاف مليون جرم فلدي) بحصية محقتها وأزالتها من الوجود فإن الذين في أقرب الجزائر الكونية (إذا صح أن في تلك الجزائر مخلوقات) لا يشعرون بتلك المصيبة إلا بعد مئات الألوف من السنين لأن أنوار المجرة تظل سائرة في الفضاء ولا تصل إلى أقرب جزيرة إلا بعد اقتضاء مئات الألوف من السنين ، انتهى ماجاء في المجلة المذكورة

هذه هي المقالة التي أحببت أن أثبتها هنا قبولا لنعمة الله علينا بالعلم والحكمة ، فانظر أيها الحكيم إلى عظمة الله التي لا تقناهى وكواكبه التي لا حد لها ، اللهم إن هذه هي السعادة الحقيقية أن تزيد معارفنا بحمالك وبهائك وزى أنفسنا في يد رحيم لانهاية لرحمته ، عظيم لانهاية لعظمته ، إن القلب إذا أدرك هذه العظمة وعقل هذه الرحمة يكاد يذوب وجدا على بعده عن مسدى هذه النعم ويغنى لوبراه ، بل كثير من قرأ هذا التفسير العاشقين للعلم ستكون حياتهم كلها سعادة بعمل نافع للأمم جمعاء ، وبرون أن الموت نعمة من أجل النعم ، بل سعادة لاحد لها ، لأنهم يودون أن يروا مسدى هذه النعم صانع هذه العجايب مبدع هذا الجمال بعد أن يكونوا قد آتموا ما أعد لهم له في هذه الأرض

يا سبحان الله : كأتى أشاهد كثيرا من قرأ هذا التفسير قد امتازوا بأنهم في الدنيا مشرقة أنوارهم العلمية وقد اشتاقوا لمسدى هذه النعم وحققوا معنى الحديث « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه » ولاسيلا لهذه المحبة بغير دراسة هذه الدنيا ، وأنا أجدك يا الله أن جعلت هذا التفسير جامعا لأجل ما في العلوم وزهراتها إن قرأ هذا التفسير فضلاءهم إذا سمعوا قوله تعالى - وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون - وسمعوا قوله تعالى - تخرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة - لا تطيش سماءهم ولا يضل سمعهم ولا يظنون التناقض والتناقض بل هم يعلمون علما ليس بالظن أن الله يخاطب الناس كما يخاطب أحدنا طفلا صغيرا بل كما يخاطب الدواب ، إن منزلتنا من الله أبعد من ذلك وإنما ضربنا ذلك مثلا إذ ليس المقام مقام تحديد اليوم بألف سنة ولا مقام تحديده بخمسين وإنما يراد مدة عظيمة عبر عنها بما نسق له ، ولا جرم أن اليوم (٢٤) ساعة وهذا هو المعروف عندنا وهذا مبنى على دوران أرضنا ولكن هناك كواكب أخرى أكبر من أرضنا وهناك مجرات وسدم وهذه مجرتنا التي فيها شمسنا يومها (٣٠٠) ألف سنة كما رأيت وقد يكون أكثر من ذلك غيرها ، فإذن ألف سنة ليس قيما وخسون ألف سنة كذلك وثلاثمائة ألف سنة كذلك ولا يعلم أيام جميع الكواكب وجميع المجرات وجميع السدم إلا من لانهاية لعلمه ، إذن هنا فهما قول علمائنا رحمهم الله « إن العدد لا مفهوم له » قالوا هذا عند الكلام على أن السموات سبع وأن الأرضين سبع ، أفلمت ترى أن هذا زمان عجائب القرآن ، يقول : إن يوما عند الله يبلغ ألف سنة ، ثم يقول خمسين ألف سنة ، لماذا ؟ ليفتح العقول أبواب الفكر فيفكر العاقل ويقرأ العلوم فيعلم أن ذكر العددين يفتح باب الدرس حتى يعرف أنه لا حد للسنين ولا وقوف لها عند حد والله واسع عليم - يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب - انتهى نصف السابعة الثانية من ليلة الأحد (٥) يناير سنة ١٩٣٠ وبهذا تم الكلام على الفصل الثاني والحمد لله رب العالمين .



الفصل الثالث

في قصص الأنبياء الذين أجلوا في قوله تعالى - ولقد أرسلنا فيهم منذرين الخ -

بَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنِمَّ الْمُجِبُّونَ * وَتَجَبَّنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَجَعَلْنَا دُرِّيَّتَهُ هُمُ
 الْبَاقِينَ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى نُوْحٍ فِي الْعَالَمِينَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ *
 إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ * وَإِنْ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ
 سَلِيمٍ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ * أَتُنْكِلُ آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ * فَاظُنُّكُمْ بِرَبِّ
 الْعَالَمِينَ * فَانظُرْ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ * قَالَ إِنِّي سَقِيمٌ * فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ * فَرَاغَ إِلَى آلِهِمْ
 قَالَ أَلَا تَأْتُونَ مَالَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ * فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ * فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ *
 قَالَ أَمْتَعِدُونَ مَا نَمْنَحِيُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ * قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْفُوهُ فِي الْجَحِيمِ *
 فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْقَلِينَ * وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ * رَبِّ هَبْ لِي مِنَ
 الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ
 فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أُمَّتِ أَعْمَلُ مَا تَوَكَّرُ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ
 لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ
 الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَقَدَيْنَاهُ بِرَبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ *
 كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنْ
 الصَّالِحِينَ * وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ دُرِّيَّتَيْهَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ * وَلَقَدْ مَنَّا
 عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ وَتَجَبَّنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْفَالِقِينَ *
 وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ * وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ
 عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * وَإِنْ إِلَى يَسِيبَ
 الرُّسُلِينَ * إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ * أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ * اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ
 آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ
 سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * وَإِنْ لَوْطًا لِمَنْ
 الرُّسُلِينَ * إِذْ تَجَبَّنَاهُ وَأَهْلَهُ أَتَمِّينَ * إِلَّا نُجُورًا فِي الْفَاطِرِينَ * ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ * وَإِنَّا لَنَكُفِّرُكُمْ

لَتَمُرُّنَّ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ * وَبِالْبَيْلِ أَفْلًا تَقْفُلُونَ * وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ أُنقِيَ إِلَى الْفُلْكِ
 لَشُحُونٍ * فَنَاسَهُمْ فَمَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ * فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ * فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ *
 لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ * وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ *
 وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ

﴿ التفسير اللفظي ﴾

﴿ قصة نوح عليه السلام ﴾

قال تعالى (واقعد نادانا نوح) لما أيس من قومه المقلدين لآبائهم فأجبناه (فلنم المجهبون) أي فوالله
 لنم المجهبون نحن (ونحنيناه وأهله من الكرب العظيم) من الفرق ومن أذى قومه (وجعلنا ذرّيته هم الباقين)
 إذ كان له ثلاثة أولاد سام وهو أبو العرب وفارس والروم، وحام وهو أبو السودان من المشرق إلى المغرب، ويافت
 وهو أبو الترك وياجوج وماجوج. هذا هو المشهور على ألسنة المؤرخين وليس في القرآن نص على هؤلاء
 ولا على غيرهم (وتركنا عليه في الآخرين) من الأمم نناء حسنا وذكرا جيلا فيمن بعده من الأنبياء إلى
 يوم القيامة، ثم قال الله (سلام على نوح في العالمين) أي سلامة وسعادة منا على نوح من بين العالمين في
 زمانه (إنا كذلك) هكذا (نجزي المحسنين) بالقول والفعل بإنشاء الحسن والنجاة بتبشيرها بالنجاة والذكر
 الحسن لكل من آمن وعمل صالحا (إنه من عبادنا المؤمنين * ثم أغرقنا الآخرين) وهم كفار قومه

﴿ قصة ابراهيم ﴾

قال تعالى (وإن من شيعته) ممن شايعه في الإيمان وأصول الشريعة (لإبراهيم * إذ جاءه به بقلب
 سليم) إذ ظرف متعلق بشيعته لما فيها من معنى المشايعة وسلامة قلبه خلوصه من الشرك ومن آفات القلوب
 وهي المهلكات من الذنوب القلبية كالكبر والحسد (إذ) بدل من إذ الأولى (قال لأبيه) آزر (وقومه)
 عبدة الأوثان (ماذا تعبدون) من دون الله قالوا نعبد أصناما قال لهم إبراهيم (أتعبدون آلهة) أي أتريدون
 آلهة دون الله لأجل الأفك أي الكذب (فما ظنكم برب العالمين) أي فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف
 يعاقبكم وقد عبدتم غيره وعلمتم أنه المنعم على الحقيقة فكان حقيقا بالعبادة (فنظر نظرة في النجوم) أي نظر
 في النجوم راميا يبصره إلى السماء ليريههم أنه ينظر فيها لاعتقادهم علم النجوم فأوهمهم أنه استدل بأمره على
 أنه سقيم (فقال إني سقيم) أي مشارف للسقم وهو الطاعون وكانوا يخافون العدوى كما هي الحال اليوم في
 جميع الأمم فنفرقوا عنه بهذه الحيلة وتركوه في بيت الأصنام ليس معه أحد ففعل بالأصنام ما فعل وهذا من
 مماريض الكذب لأنهم فهموا أنه سقيم الآن وهو يريد ساقم بل إن كل من كان الموت لاحقه فهو به
 سقيم أو نفس السلامة داء كما في المثل «كفي بالسلامة داء» أو اني سقيم بكفركم (فتولوا عنه مدبرين)
 مولين الادبار (فراغ إلى آلهتهم) مال إليها (فقال) استهزاء (ألا تأكلون) من الطعام الذي أماتكم فلم
 يعين (مالكم لانطقون) لا يجيبون (فراغ عليهم) فأقبل عليهم (ضربا باليمين) أي ضاربا بسبب الخلف
 السابق منه ليرى في يمينه، أو ضاربا يمينه للدلالة على القوة، فرجعوا إلى أصنامهم فوجهها مكسرة (فقبوا
 إليه يزفون) يسرعون فقالوا نعبد ما أنت تكسرها فأجابهم (قال أنعبدون ما تحتون) بأيديكم (والله
 خلقكم وما تعملون) وخلق ما تعملونه من الأصنام، أو وخلق أعمالكم فلم تعبدون غيره؟ (قلوا ابنوا له)
 لأجله (بنيانا) من الحجر طوله عشرون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا (فألقوه في النيران الشديدة

(فأرادوا به كيدا) بالقائه في النار (فجملناهم الأسفلين) المقهورين عند الالتقاء نخرج من النار (وقال إني ذاهب إلى ربّي) أي إلى موضع أمرني بالذهاب إليه (سهيدين) سيرشدني إلى ما فيه صلاح في ديني ويعصمني ويوقفتني (رب هب لي من الصالحين) أي بعض الصالحين أي الولد (فبشرناه بسلام حلیم) فالبشارة بثلاث : انه ذكر ، وانه يبلغ أوان الحلم ، وانه حلیم . ومن - لعله انه رضی بالذبح كما سيأتي (فلما بلغ معه السعي) أي بلغ أن يسعى مع أبيه في أشغاله وحوادثه وكأنه قيل مع من يسعى ؟ فقيل مع أبيه ، فاذن معه بيان لا يتعلق ببلغ ولا بالسعي (قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك) إذ قيل له في المنام اذبح ابنك ورؤيا الأنبياء وحى ، فلما أصبح روى في ذلك من الصباح إلى الرواح ، أمن الله هذا الحلم ، أم من الشيطان ؟ فمن ثمة سمي يوم التروية فرأى مثل ذلك في الليلة الثانية فعرف انه من الله فسمى يوم عرفة ، ثم رأى الليلة الثالثة مثل ذلك فهمم بنحره فسمى يوم النحر (فانظر ماذا ترى) من الرأي على وجه المشاورة ، يريد أن يختبره ليعلم أيجزع أم يصبر (قال يا أبت افضل ما تؤمر) أي ما تؤمر به (ستجدني إن شاء الله من الصابرين) على الذبح (فلما أسلما) انقادا لأمر الله وخضعا (وتله للجبين) صرعه على جنبه ووضع السكين على حلقه (ونادينا أن يا إبراهيم ✽ قد صدقت الرؤيا) أي حققت ما أمرناك به في المنام من تسليم الولد للذبح وجواب لما مخدوف أي كان ما كان مما لا يحيط به الوصف من استبشارهما وجدتهما الله وشكرهما له على نعمة دفع البلاء (إنا كذلك نجزي المحسنين) أي إنا كما عفونا عن ذبح ولده كذلك نجزي المحسنين في طاعتنا (إن هذا هو البلاء المبين) أي الاختبار الظاهر إذ اختبرناه بذبح ولده (وفديناه بذبح عظيم) كبير الجثة سمين ، يقال ان جبريل أتى له بكبش أملح أقرن من الجنة ، ويقال انه رمى فيها أربعين خريفا ، وقيل انه وعل أهبط عليه من نيبير ولما هرب من عند الجرة رماه بسبع حصيات حتى أخذه فصارت سنة ، ويقول الحنفية : « من نذر ذبح ولده لزمه ذبح شاة » (وتركنا عليه في الآخرين ✽ سلام على إبراهيم) هو كما سبق (كذلك نجزي المحسنين ✽ إنه من عبادنا المؤمنين) وقوله (وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين) أي بوجود اسحق أي ولما أسلم أمره لله في ذبح اسماعيل بشره الله باسحق بعد ذلك (وباركنا عليه) أي أفضنا عليه بركات الدين والدنيا (وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن) في عمله (وظالم لنفسه) بالكفر والمعاصي (مبين) ظاهر ظلمه

(لطيفة)

في هذه القصة الشجاعة بالفتك بالعادات المزرية بالانسانية والشجاعة في اقتحام الأحوال وقد قدم بمثل ذلك نبينا ﷺ وفيها الصبر والحلم والاناة وأن يستعد الانسان لتسليم نفسه لله كل وقت لا يبالي بما يصيبه من فقد أو قتل أو نقص ، كل ذلك تعليم لنا وتهيئة للعالي ، ولقد سبق في (سورة البقرة) اني ذكرت لك هناك « لغز قانس اليوناني » قبل الميلاد بخمسماية سنة إذ شرح كل الأحوال الانسانية من علم ومال وولد وملك فلم يجعل للانسانية سعادة إلا بالصبر على ما يصيب الانه ان ، فالصبر أول الامور وآخرها ، وأخرج من السعادات العلماء والشعراء والأغنياء والملوك وأهل الجلال والوارثين فقد حكم على هؤلاء جميعا بأنهم ليسوا سعداء وجعل كل ما يقرؤه الناس في الكتب من الأخلاق أدبا مزورا . فأما الأدب الحقيقي فهو الأخلاق وأهمها الصبر على التوائب وحكم بأن هؤلاء جميعا قبل أن يتناولوا بالمصائب ليس أحد منهم سعيدا ولهذا وحده جاءت هذه القصص وكيف يرضى إبراهيم بذبح ولده . وكيف يرضى اسماعيل بالذبح لذلك وردت هذه القصص في القرآن . ومن عجب أن تتحد الفلسفة والدين على أمر واحد أمر الصبر وانه السعادة القصوى . يقول قانس « لأن النفس مادامت تفرح بالنعمة وتؤلمها بالنعمة فانها رعناء جاهلة طفلة لأن المال والولد كالليل والنهار يطلعان على الفاجر والصالح . والسعادة التي اصطلاح عليها الناس لا بقاء لها فهي رعناء تفرح بها النفوس الرعناء ، فالسعادة إذن أن تكون النفس مطمئنة لكل ما يأتي عليها وهذا قوله تعالى - لكيلا تأسوا على ما فاتكم

ولاتفروا بما آتاكم - وقوله - إن الله لا يحب الفرحين - وهذا الخلق يحصل بأحد أمرين : إما بتوالي النوائب على امرئ حتى يصير قادرا على احتمالها . وإما أن يدرس هذا العالم درسا مدققا فيذكر إذ ذاك أن العالم نظام واحد له مرب يريه مطلع على كل جليل وصغير وحينئذ يرى أن الله معه في السراء والضراء فيرضى وقتا ويغلبه الطبع وقتا ولكنه أقرب الى الرضا من الجهال

﴿ قصة موسى وهرون ﴾

قال تعالى (ولقد مننا على موسى وهرون) أنعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من النعم الدنيوية (ونجيناها وقومهما من الكرب العظيم) من تغلب فرعون ومن الفرق (ونصرناهم) الضمير لهما مع القوم (فكانوا هم الغالبين) على فرعون وقومه (وآتيناهما الكتاب المستبين) البليغ في بيانه وهو التوراة (وهديناهما الصراط المستقيم) الطريق الموصل الى الحق (وتركنا عليهما في الآخريين) * سلام على موسى وهرون * إنا كذلك نجزي المحسنين * إنا من عبادنا المؤمنين

﴿ قصة الياس ﴾

هو الياس بن ياسين من ولد هرون أخى موسى وقيل هو ادريس النبي عليه السلام (وان الياس لمن المرسلين إذ قال لقومه ألا تتقون) عذاب الله (أن دعون بعلا) أى أعبدونه وهو اسم صنم كان لأهل بك بالشام وهو البلد الذى يقال له الآن بعلبك ويطلق البعل على الرب بلغة اليمن ويصير المعنى أن دعون بعض البعول (وتذرون أحسن الخالقين) وتركون عبادته (الله ربكم ورب آبائكم الأولين) بدل من أحسن (فكذبوه فأنهم لمحزونون) أى فى العذاب (إلا عباد الله المخلصين) بدل من الواو (وتركنا عليه فى الآخريين) * سلام على إيلياسين) لغة فى الياس كسينا وسينين (إنا كذلك نجزي المحسنين) * إنا من عبادنا المؤمنين

﴿ ذكر لوط ﴾

قال تعالى (وان لوطا لمن المرسلين) * إذ نجيناها وأهلها أجمعين * لإلحجوزا فى الغابرين * ثم دمرنا الآخريين * وانكم) يا أهل مكة (لترآون عليهم مصبين) داخلين فى الصباح (وبالليل) أى مساء (أفلا تعقلون) أى أفليس فيكم عقل تعتبرون به

﴿ ذكر يونس ﴾

قال تعالى (وان يونس لمن المرسلين) * إذ أبى) هرب (الى الفلك) من قومه بغير إذن ربه (المشحون) المملوء (فسأهم) فقارع أهل الفلك (فكان من المدحضين) المغلوبيين بالقرعة * روى انه لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل أن يأمره الله تعالى به فركب السفينة فوفقت فقالوا ههنا عبد آبق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال أنا الآبق ورمى بنفسه فى الماء (فالتقمه الحوت) فابتلعه وهو من اللقمة (وهو مليم) آت بما يلام عليه (فلولا انه كان من المسبين) الناكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره أوفى بطن الحوت إذ كان يقول : « لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين » وقيل من المصلين (اللبث فى بطنه الى يوم يعثون) ميتا (فنبذناه) طرحناه (بالعراء) بالأرض الخالية عن الشجر والنبات (وهو سقيم) عليل وكان لبثه فى بطن الحوت ثلاثة أيام (وأنبثنا عليه شجرة من يقطين) هو القرع ، وكل نبت يمتد على وجه الأرض كالقرع يقطين * قيل لرسول الله ﷺ إنك لتحب القرع . قال : أجل هي شجرة أخى يونس (وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون) هم قومه أهل نينوى . واعلم أن كلام المفسرين مضطرب هنا فترجمك ملخص كلام التوراة :

« إن الله أرسل « يونس » الى نينوى المدينة العظيمة فهرب يونس من وجه الرب فنزل الى بابا ووجد سفينة ذاهبة الى ترشيش فجاءت ريح شديدة وكان ما كان مما هو

معروف من أمر القرعة ، ولما خرجت القرعة بأن يرمى في البحر خافوا خوفا شديدا ثم طرحوه فسكن البحر ، وأما الرب فألم حوتا فابتلعه

﴿ الاصحاح الثاني ﴾

فصلى يونان الى الرب إلهه من جوف الحوت الى آخر ما هنالك فنبذه الحوت بعد ثلاثة أيام الى البر

﴿ وفي الاصحاح الثالث ﴾

إن الله أمر يونس أن يذهب الى أهل نينوى رسولا ثانيا فذهب اليهم وقال بعد أربعين تنقلب نينوى قائم من أهل نينوى وصاموا ولبسوا المسوح جميعهم من الملك الى أدنى رجل فعفا الله عنهم ولم يهلكهم

﴿ وفي الاصحاح الرابع ﴾

ان يونان لما رأى ذلك اغتم غمما شديدا وقال يارب أنا كنت بادرت الى الحرب لأنى أعلم انك ستفعل ذلك وتغفوعنهم ، ثم جلس شرقى المدينة وجعل لنفسه مظلة ليجلس تحتها فأثبت الله له يقطينة فارتفعت على رأسه ليخلصه من غمه ففرح يونان فرحا عظيما ثم أرسل الله لها دودة وقت الفجر فضربت اليقطينة فيبست وعند طلوع الشمس جاءت ريح شرقية حارة فضربت رأس يونان فذبل فطلب لنفسه الموت فقال الله ليونان هل اغتظت من الصواب من أجل اليقطينة ؟ أنشفق على يقطينة لم تتعب فيها بنت ليلة بنتت وبنت ليلة هلكت أفلاشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة وفيها خلق كثير لا يعرفون يمينهم من شمالهم وبهائم كثيرة . انتهى ملخصا من التوراة

ثم قال تعالى (فآمنوا) أى الذين أرسل اليهم يونس (فتعناهم الى حين) الى انقضاء آجالهم . انتهى التفسير اللفظى للفصل الثالث من السورة

﴿ لطيفة فى قصة يونس وقصة ابراهيم عليهما السلام ﴾

إن يونس نجى الله فأمّا ابراهيم واسماعيل الذبيح فانهما صبرا ، إن ابراهيم فانت لله شاكرا لأنعمه صابر فففيه الصبر والشكر ، فأمّا يونس فانه ذا كره لله ولكنه استجبل ، ولذلك قال الله تعالى لبيد عليه السلام - فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم - فاذن القصد من هذه السيرة ترقية المسلمين أى ان الصبر هو عمدة السعادة فى الدنيا ، فابراهيم صابر شاكر ، وأمّا يونس فانه قد استجبل مع انه يذكر الله ، فذكر الله نفعه ولكن الصبر درع ، ذلك هو التصود من هذه القصص ، وقد قدمت لك أن الصبر عليه مدار السعادة فى الدنيا لأن الامور ليست تحت تصرف العباد ، فالتاس جميعا معرضون لما لا يرضونه كل أن فان لم يكن صبر فلا سعادة ولا شرف فى الدنيا ولا الآخرة . انتهى الكلام على الفصل الثالث

﴿ الفصل الرابع ﴾

فَأَسْتَفْتِهِمْ • أَرَأَيْتَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ • أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ • أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِنْكِبِهِمْ • لَيَقُولُونَ • وَوَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ • أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ • مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ • أَفَلَا تَذَكَّرُونَ • أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ • فَأَتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ • وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَقَدْ عَلِمَتْ الْجَنَّةُ إِنَّهُمْ لَهُمْ خُضْرُونَ • سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصْنُونَ • إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ • فَإِنَّكُمْ وَمَنْ تَعْبُدُونَ • مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ • إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ

الجحيم * وَمَا مِثْلَ آلِهِ مَقَامٌ مَقْلُومٌ * وَإِنَّا لَنَعْنُ الصَّافُونَ * وَإِنَّا لَنَعْنُ الْمُسَبِّحُونَ * وَإِن
كَانُوا لَيَقُولُونَ * لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ * لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ * فَكَفَرُوا بِهِ
فَسَوْفَ يَدْعُونَ * وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا لِلرُّسُلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَإِن جُنَدُنَا لَهُمُ
الْعَابِدُونَ * فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ * وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ * أَفَمِمَّا بِنَا يَسْتَعْجِلُونَ * فَإِذَا نَزَلَ
بِأَحْسَنِمْ فِئَاءً صَبَّاحُ النَّذِيرِينَ * وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ * وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ * سُبْحَانَ رَبِّكَ
رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصْنُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

﴿ التفسير اللفظي ﴾

هذا النصل فيه ملخص الفصلين السابقين فان أول السورة ذكر الصفات وهم الملائكة وهنا أخذ يستفتى
أهل مكة في تسميتهم بنات الله ثم ذكر انهم هم الصافون المتقدمون في أول السورة ، وفي وسط السورة ذكر
المرسلين وهنا ذكر انهم منصورون . فاذن هذا الفصل ملخص الفصلين السابقين وهذا قوله تعالى (فاستفتى
أر بك البنات) الاناث (ولهم البنون) عطف على ما تقدم في أول السورة - فاستفتىهم أهم أشد خلقا أم من
خلقنا - والكلام هنا في انهم نسبوا لله الولادة والله منزه عن المذة فكيف ولد ؟ وفي انهم جعلوا الولد
أضعف الزوجين الذكر والأنتى وفي أن الملائكة الذين لا يوصفون بما يوصف به الحيوان إناث وهذا قوله تعالى
(أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون) حاضررون (ألا انهم من إفكهم) كذبهم (ليقولون ولد الله) إذ
لادليل عليه (وانهم لكاذبون) فيما يتدينون به (أصطفى البنات على البنين) استفهام انكار واستبعاد (مالكم
كيف تحكمون) بشما تقضون لأنفسكم ترضون لله مالارضون لأنفسكم (أفلا تذكرون) انه منزه عن ذلك
(أم لكم سلطان مبين) حجة واضحة أو كتاب بين فيه أن الملائكة بنات الله (فأتوا بكتابكم) الذي نزل
عليكم (إن كنتم صادقين) في قولكم (وجعلوا بينه وبين الجنة نسا) أى الملائكة ويسمون جنا لاجتماعهم
(ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون) أى ولقد علمت الملائكة أن الذين قالوا هذا القول لمحضرون في النار
(سبحان الله عما يصفون) من الولد والنسب والاصابة . وقوله (إلا عباد الله المخلصين) استثناء منقطع
من المحضرين (فانكم) يا أهل مكة (وما تعبدون) ومعبودكم (ما أنتم) وهم جميعا (عليه) على الله
(بفاتنين) بمضلين (إلا من هو سال الجحيم) أى اسم تضلون أحدا إلا من استعدوا للفتنة بحسب فطرهم
فيكفرون فيصلون جهنم كما هو مقتدر أزلا كقوله تعالى - إن عبادى لىس لك عابهم سلطان - يقال فتى
على فلان امرأته أى أفسدها عليه . قال جبريل عليه السلام (وملنا) أحد (إلا له مقام معلوم) في المعرفة
والعبادة والاتهاء الى أمر الله في تدبير العالم * وعن ابن عباس « ما فى السموات موضع شبر إلا وعليه ملك
يصلى أو يسبح » فهذا وحديث « أطت السماء وحق لها أن تنطق »^(١) يفيدان كثرة الملائكة (وانا لنحن
الصافون) في أداء الطاعة (وانا لنحن المسبحون) المنزهون عما لا يليق به وبصح أن يكون الكلام في
النبي ﷺ والمؤمنين ، فهم صافون في الصلاة ، ومنزهون لله عن المحدثات . والكلام هنا كالكلام في
أول السورة (وان كانوا) أى كفار مكة قبل مبعث النبي ﷺ ان محنفة من الثقيلة (ليقولون لو ان عندنا
ذكرا من الأولين) أى كتابا من الكتب التي أنزلت عليهم (لكنا عباد الله المخلصين) لأخلصنا العبادة له

(١) الاطيط أصوات الابل

ولم يخالف مثلهم فجاءهم الذكر الذي طلبوه وهو القرآن (فكفروا به فسوف يعلمون) مغبة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) الكرامة قوله (انهم لهم المنصورون * وان جنودنا لهم الغالبون) وسميت كلمة كما قال ابن مالك * وكلمة بها كلام قد يؤم * (فتول عنهم حتى حين) الى مدة يسيرة (وأبصرهم) أى أبصر ما ينالهم يومئذ (فسوف يبصرون) ذلك . أو أعلمهم فسوف يعلمون (أفبعذابنا يستجابون) قبل حينه (فاذا نزل بساحتهم) بفنائهم (فساء صباح المنذرين) صباحهم (وتول عنهم) يا محمد (حتى حين) الى وقت هلاكهم يوم بدر (وأبصر) اعلم (فسوف يبصرون) فسوف يعلمون ماذا يفعل بهم بعد الموت ويوم القيامة (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) عما قاله المشركون مما سكى في السورة (وسلام على المرسلين) سلم الله على الرسل عموما بعد سلامه في الفصل الثالث على المذكورين في السورة (والحمد لله رب العالمين) على هلاك الأعداء ونصر الأنبياء وفيه تعليم المؤمنين أن يقولوا ذلك ولا يخالوا به * قال على رضى الله عنه : « من أحب أن يكتال بالمكربال الأولى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه - سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام على المرسلين * والحمد لله رب العالمين - » واعلم أن المؤمن في كل تشهد يقول : « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » ولاجرم أن الصالحين يشملون الأنبياء فكان المؤمن يحس كل روح شريفة من الأرواح المفارقة للمادة وعند قيام المرء من المجلس يسلم على المرسلين ويحمد الله مربي العالمين وترية العالمين تشمل الارسل والهداية وتعذيب الكافر والعاصي واثابة الطائع المؤمن . فالؤمن بحمد الله على تربيته للعالمين وما الخير والشر في التربية إلا أخوان . فالمرء والحياة والضر والنفع سواء في التربية . وفي هذه بشرى لكل مصلح من أتباع الأنبياء فانهم يهنئون بالسلامة وبالاكرام من الله وينجون نعمة عظيمة في الدنيا بالنصر وفي الآخرة بالنظر لوجه الله الكريم والتقرب منه ومشاهدة جماله اه

(لطائف هذه السورة)

- (١) في قوله تعالى - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب -
- (٢) في قوله تعالى أيضا - إنا زينا السماء الدنيا - الخ
- (٣) في قوله تعالى - احشروا الذين ظلموا - الخ
- (٤) في قوله تعالى - إني كان لى قرين -

(اللطيفة الأولى)

(في قوله تعالى - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب * وحفظنا من كل شيطان مارد * لا يسمعون الى الملائكة الأعلى ويقذفون من كل جانب * دحورا - الى - شهاب ناقب -)
(خواطر في يوم الاثنين كتبت ليلة الثلاثاء ٢٨ يناير سنة ١٩٣٠)

معلوم أن الصفات صفا هم الملائكة المذكورون قبل آخر السورة - وانا لنحن الصافون * وانا لنحن المسبون - فهؤلاء الصافون هم القائمون بنظام العالم وتدييره بأمر ربهم وهم الملهمون الناس العلم كما ان الشياطين يوسوسون بالشر - فالزاجرات زجرا - اشارة الى الأعمال النظامية - فالتاليات ذكرا - اشارة الى العلوم ولاوظيفة إلا العلم والعمل . وزينة السماء الدنيا بالكواكب مبدءا لعلوم الأمم وتربية الحكما والفلاسفة في الأرض . يخرج الانسان طفلا فراهقا فتى فينظر فبرى كواكب وشموسا وهو في هذه على إحدى (أربع حالات * الخال الأولى) أن يرى الكواكب ببصره وهو لا يشعر بحمال ولا يجب بها إما لتصور في نظره وإما لاعراض كمرض أو عواطف خاصة أو أمور شاذة جسمية أو عقلية . فهؤلاء كلهم يرون النجوم والشمس والقمر كما يرون المدر والحجر فلا تعجب ولا احساس بالجمال (الخال الثانية) أن يحس بالجمال . ولاجرم أن

هذا أرقى من سابقه لأن الأول شارك الدواب والنمل والنحل في انها نظرت الأنوار بل الثبات له احساس بالنور إذن لاجزية للاول على غيره من الأحياء ولكن الثاني لما رأى أن فيها جمالا تبدى بلائها وبهجتها وصار يتأملها المرة بعد المرة عشقا وغراما وابتهاجا بها ، فهذا ارتقى من حال الحيوانية الى مبادئ الانسانية (الحال الثالثة) تتوقف على السابقتين إذ يقول في نفسه هذا جمال وهذه بهجة وهذه العوائس الأوائس والحنس الجوارى الكنس أراها عرائس تزف كل ليلة ولها أنواع من السير والنظام فلا بحث عن كيفية دورانها وسننها وشهورها وبروجها ومنزلها ونظامها وحيث يقول : « إن النظام الذى أدركه عقنى بالحساب والمعالم الرياضية لانسبة بين جماله وشرفه وبين جمال وشرف الألوان الظاهرة . فالثاني لفظ والأول معناه . والثاني عرض والأول جوهر . والثاني مبتدأ والأول خبره . والثاني قشر والأول لبه . والثاني زهر والأول ثمره . هنالك تتجلى تلك المعاني البديعة في نفوس المطلقين فترى البصيرة من بدائع الحركات وفنون النظم وجمال الابداع وحيث يفسون الجمال الظاهرى وتسكر عقولهم بلذة الأفراح العلية في باحات الأفلاك السماوية (الحال الرابعة) تتوقف على الثلاثة قبلها فتشاهد عقولهم ملاءعين رأت ولاأذن سمعت ويقولون جمال ظاهر ونظام بحساب لاخطأ فيه بين آلاف الآلاف من الكواكب بل المجرات والسدم ولكل كون سيارات وللسيارات أقمار وكلها ذات حركات سريعة لانصطدم ولاتخطئ . فهنالك تؤدّ النفس لو يتاح لها مشاهدة المبدع لهذه العجائب وهنالك تكون السعادة التى لاحد لها . فمن أدرك ذلك فى الدنيا وشعر بما أكتبه شعورا مبنيا على علم حقيق فهو من الذين لاخوف عليهم ولاهمم يحزنون من الآن لأنه أدرك نظاما جيلا أحسّت به نفسه فسمعت سعادة حقيقية وابتهج بادراك صانعه وأحسّ بأنه جواد حكيم . وكل ما اعتراه من نصب أو ألم يرى أن ذلك الصانع حكيم فى فعله فيسكن قلبه وتطمئن نفسه

فهؤلاء هم خير الذين زينت لهم السماء حقا . فأما الفريق الثانى والثالث فهما أقل من هؤلاء . فأما الأولون فهم همج الهمج . ذلك أن هذا الفريق قد جعل من بين أيديهم سد ومن خلفهم سد وذلك السد معنوى فلا يرون ما وراء غيرهم . فلهم أبصار ولكن لا يبصرون وأسماع ولكن لا يسمعون إما لنقص الفطرة وقص القريحة أول للشهوات واللذات أوللآلام أوللعداوات وهكذا . فهؤلاء هم الذين قيل فيهم على سبيل الرمز - وحفظا من كل شيطان مارد - . وكيف يسمعون الى الملائ الأعلى وهم لا يفرحون إلا بلذات بطونهم وشهوات فودجهم والاستعزاز بالمال والجاه والتفاخر والكواكب تطوف حولهم والشمس والقمر وأنواع الجمال فهم غارقون فى لوهوسم والدنيا حافلة بأنواع الجمال والكمال . ومن هؤلاء فى الدنيا من يسمع حكمة فتيهه فى لحظة فيحس بأمر لم يعهده فى نفسه فتارة يثابر عليه ويستزيد علما وهذا العلم إما أن يكون علما بالجزئيات واما علما بالكلية . فالعلم بالكلية أمثال ما ذكرته فيما تقدم من الابداع فى النظام والحكمة والعلم بالجزئيات مثل أن يفكر فى أهل أوروبا الآن وأهل الشرق وأرباب البيانات فىرى أن بعض المسلمين اليوم قد غلبوا على أمرهم وأن أهل أوروبا هم الغالبون بالسلاح والكرام وأن الناسق والكافر يسود ويفلب الصالح الناسك وأن كثيرا من الصالحين فقراء وكثيرا من الفاسقين أغنياء . فهنالك يحصل الشك والكفر والفتن فالخطفة على قسمين : خطفة تؤدى الى الهدى فى النظر الى النظام العام العجيب . وخطفة تؤدى الى الردى وتوقع الانسان فى هوة الملاك بالنظرات الجزئية وهذا هو الذى يحصل فى هذه الأرض وهو الرموز له بالخطفة التى يتبعها شهاب ثاقب . فهذا الشهاب الثاقب المذكور هنا والشهاب المبين المذكور فى سورة الحجر إما للهلاك واما للحكمة والعلم . ومن يجب أن الشهاب يهدى ويهلك كالماء به الحياة والمعات وهكذا النور . ولا أحد ممن تعلموا من جهال نوع الانسان يخلو من إسداهما . فأهل الأرض إما قوم صالحون آمنوا بأنبيائهم بلا بحث ولا تنقيب . فهؤلاء هم الصالحون ولهم مراتب تناسب عقولهم فيعيشون فى الجنة الجسمية ويكونون من

أصحاب اليمين . واما قوم قلوبا كلا نحن نريد أن نعرف بمقولنا وهؤلاء قسبان : قسم بحث فلم يصل وكسل
ومال الى الترف والنعيم ، وهؤلاء هم الدرجة الوسطى من الباحثين وهم أهل الضلال . وقسم وصل وعرف
أمثال ما في هذا التفسير ، فأولئك هم الذين أنعم الله عليهم بالعلم والحكمة وهم الفائزون وهم المقربون ومن
قبلهم هم أصحاب المشأمة

ملخص ما تقدم أن للناس جميعهم ﴿ أربع درجات ﴾ ناظرون لا يعقلون ، وناظرون يعقلون الأنوار
المحسوسات ، وناظرون يدركون سرّ الحركات والنظام ، وناظرون يدركون ما وراء ذلك ، والفريق الأول
منهم من ينظر نظرة فلما أن يلحق بأحد الأقسام الثلاثة بعده ، واما أن يهلك فيردى ، هذا ملخص ما تقدم
وهو من أسرار هذه الآية

﴿ نظرات الناس في قراءة لقرآن كمنظراتهم في الأفلاك ﴾

وكما أن الناظرين في الفلك وجاله يكونون أربعة أقسام ، هكذا قراءة القرآن ، فمنهم من يكتفى بلفظه
فيقرأ هذه الآيات ويكتفى بالتلاوة فهذا كالفريق الأول ، وقسم يجب بالبلاغة والاعراب وأنواع المجاز
والاستعارات والتقديم والتأخير والذكر والحذف وهكذا من فنون علم المعاني والبيان والبدیع . فهذه الطبقة
الثانية هي التي تقف عند الفرح بمحاسن الكلام كما وقف أولئك عند محاسن الأنوار من كواكب السماء
وجهاوا بنائها ، وهؤلاء هم أكثر علماء البلاغة والمدرّسون في المدارس الشرقية والغربية المختصون بفن
البلاغة ، وقسم ثالث يقول . كلا . لا بد من المراساة والعلم بهذا الوجود ، وقسم رابع يخطو وراء ذلك خطوات
وهذان القسمان يشبهان القسمين الثالث والرابع فيما تقدم . فهنا اجتمع الفريقان : فريق الناظرين .
وفريق السامعين وان كانوا في مبدأ الأمر مفترقين

﴿ نظرات فلاسفة العالم أربعة ﴾

ألا تعجب من أيها الذكي : انك مهما قلبت طرفك في آراء علماء اليونان والرومان والعرب والألمان
والانجليز والفرنسيين وجميع فلاسفة الشرق والغرب لا ترى غير هذه النظرات . سبحانك اللهم وبحمدك .
إنك جعلت (طالبس الماطلي) ومن بعده من (ديموقراطيس) قد وقفوا على المادة وقلوا إن الهواء أو الماء
أو النار أو الأرض أو الأجزاء التي لا تتجزأ هي أصل هذا الوجود كله فلا إله ولا ملك ولا نبي ولا رسول فالعالم أوله
وأخره لأصل له إلا ذلك . وهذه الطائفة هنا تشبه الطائفة الأولى من الطوائف الأربعة المتقدمة بعض الشبه
مع اختلافهم في تعيين المبدأ منها . فهم اتفقوا في الأصل واختلفوا في تعيينه . وجاءت طاقة ثانية فقالت :
« والله نحن متحيرون ! هذه الأرض لا علم فيها ولا حقيقة . وكل امرئ له أن ينظر كما يشاء » وهؤلاء هم
السوفسطائية . وقسم ثالث نظر فقال . كلا . هنا في الطبيعة حساب وهنأ هندسة ونظام . إذن الحساب
أصل أو يقولون هنا محبة ونفور ودفع وجذب . إذن أصل العالم محبة ونفور أو حساب مثل ما يقوله فيثاغورس
وانبذقليس . وقسم رابع قال : « لا حساب بلا حساب : ولا محبة ولا نفور بدون فاعل لها » وهؤلاء هم
انكساغورس مم سقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس فهؤلاء أقرّوا بالله ولكن الأول ظنه لا عمل له إلا في
الكليات والآخرون يقولون بأنه يحيط علما بجميع الجزئيات

فهذه الطوائف الأربع لا يخرج عن حصرها أحد في العالم قديما وحديثا ومستقبلا . فلذا سمعت أن
طائفة من المتعلمين بمصر وبلاد الشرق القريب على مذهب بجنرال ألماني المفسر لذهب (داروين) والدكتور
(شبل شميل) المترجم لهذا الكتاب الى اللغة العربية فاعلم أن هؤلاء في صف القسم الثاني والأول فهم إما
متحيرون واما واقفون عند المادة . واذا سمعت قومائهم يقولون : « إن الإله موجود ولكنه ترك المادة
حبلها على غاربها » فهؤلاء أشبه بمذهب انكساغورس الذي تقدم وهكذا

واعلم أن هذه درجات نوع الانسان في كل عصر وجيل لانخلاق الأرض منهم وذلك على مقتضى جبلاتهم
ومنتهى ما وصلت اليه عقولهم ، والسبب في ذلك (أسعدك الله) أن لكل امرئ حدا في المعرفة كما قيل :
الناس شتى اذا ما أنت ذقتهم * لا يستون كما لا يستوى الشجر
هذا له ثمر حلو مذاقته * وذاك ليس له طعم ولا ثمر

﴿ نظرات التحليل عليه السلام ﴾

ومن عجب أن هذه المراتب الأربع هي التي أشار الله لها في القرآن في نظرات التحليل ، فان الكواكب
والقمر والشمس لم تكفه في نظراته فتخطاها وقال - وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض - الخ
واباك أن تقف عند اللفظ فليس التحليل عليه السلام بالذي يقف عند هذه المناظر . كلا . بل هذا رمز للمعارف
والعلوم وانها درجات بعضها فوق بعض حتى تنتهي الى الدرجة الرابعة المتقدمة ، واعلم أيديك الله أن نظرات
التحليل ذكرت في القرآن ليتعلم المسلمون كيف يرتقون في أسباب العلوم وأن هذا لا بد منه لمن يريد الوصول
لله وليس المعنى أننا نكتفي بهذه الآيات أو بلاغتها أو معناها . كلا . ثم كلا . فالقرآن أنزل ليعلم العروج لله
بالحكمة والفهم والتعقل

أفلا ترى أن هذا من غرائب القرآن ومجائبه ، ثم ألا تحب أن أريك أمرا عجيبا يناسب ما ذكرناه هنا
وهو ما جاء في « اخوان الصفاء » الذي ألف منذ نحو ألف سنة وقد يقرؤه بعض أهل العلم ولكن أكثرهم
كانوا لا يفهمونه ، وكيف يفهمون ما لم يدركوه ؟ وكيف يدركه امرؤ لم يدرس علوم الحكمة من الرياضيات
والطبيعات حتى يعرف جمال الله في تشریح الانسان والحيوان ونظام النبات وكان أكثرهم يظنون أن
هذه العلوم تنافي الدين فوقفت العقول وطمست البصائر ، وربما كان بعضهم يرى تأويل آية في ذلك الكتاب
فيعد هذا التأويل كفرا فينفر من الكتاب ، فاذا قلت لك الآن جملة صالحة منه فاني أقول نحن الآن لسنا
مقلدين لأحد ، فنحن نأخذ الحكمة آتى وجدناها ونذرنا لادليل عليه . هذا ديدنا في هذا الكتاب وغيره
ولا يصدق عن العلم أن يقال : « ان صاحبه قد أخطأ في بعض المسائل فما فيه الخطأ أنا أجتنبه لاني أترك
ألف حكمة لأجل خطأ موهوم أو محقق في حكمة واحدة . إن هذا جهل وغرور ولو كانت هذه القاعدة صادقة
لم يخلق الله العالم . إن الماء وإن النار وإن الهواء وإن الشمس كل من هذه فيها هلاك باغراق ناسك ، واحراق
محموز واحداث أمراض بالهواء الفاسد وازدياد المرض لمن به حتى واحداث ضربة الشمس . فلو كان الضرر
القليل يوجب ترك النفع العظيم لوجب أن يفتى هذا العالم كله ولكان خلقه عبثا - وما خلقنا السموات
والأرض وما بينهما لآعين - إذن فلا أقص عليك ما جاء في كتاب « اخوان الصفاء » في الجزء الثالث منه
تحت العنوان التالي وهذا نصه :

﴿ فصل في جزاء المحسنين ﴾

اعلم يا أخي أن جزاء المحسنين يتفاضل في الآخرة بحسب درجاتهم في المعارف واجتهادهم في الاعمال
الصالحة والناس متفاوتو الدرجات في أعمالهم كل يعمل على شاكلته وأجود أحوال العامة والجهال كثرة
الصوم والصدقة والصلاة والقراءة والتسبيح وما شاكل ذلك من العبادات المفروضة والمسنونة في الشرائع المشغلة
لهم عن فضول و بطالة وما لا ينبغي لهم كيلا يقعوا في الآفات وأفضل أعمال الخواص التفكير والاعتبار بتصاريف
أمور المحسوسات والمعقولات . وبخاصة ما يتعلق بالدين وقد قيل أفضل أعمال الخير خصلة واحدة وهو التفكير
قال الله تعالى - قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تفكروا - ثم اعلم أن الانسان إذا
عقل الأمور المحسوسة وعرفها وتفكر في الأمور العقلية وبحث عنها وعن عللها استقبلته عند ذلك طريقتان

إحداهما ذات اليمين تؤديه الى الهداية والرشاد والأخرى ذات الشمال تؤديه إلى التلويح والضلال وذلك ان أمور العالم نوعان كلييات وجزئيات لاغير فاذا أخذ الانسان يفكر في كليياتها ويعتبر أحوالها وتصاريفها ويبحث عن الحكمة فيها بانته وأمكنه أن يعرفها بحقائقها وأرشد اليها فكما تقدم فيه ازداد هداية و يقينا ونورا واستبصارا وتحققا وازداد من الله قربا وكرامة واذا أخذ يتفكر في جزئياتها والبحث عنها وعن عللها خفت وانقلقت منحها وكما ازداد تفكرا ازداد تحميرا وشكوكا ومن الله بعدا وكان قلبه من أجل ذلك في عذاب أليم . مثل ذلك انه اذا ابتدأ الانسان أولا وتفكر في نفسه ونظر الى بنية هيكله ونفسه وكيفية تركيب جسده وكيف كان أولا في صلب أبيه ماء مهينا . ثم كيف صار نطفة في قرار مكين . ثم كيف صار مضغة . ثم كيف كسا العظام لحما . ثم كيف صار جنينا بعد أطوار متعاقبة . ثم كيف قبل جسده نور شعاع فيض روح القدس الالهي . ثم كيف أخرج من الرحم الذي هو عالم كونه إلى الدنيا الذي هو عالم آثرته . ثم كيف صار طفلا حساسا . ثم كيف تربى وهو طفل صبي جاهل . ثم كيف نشأ وصار شابا عالما أو جاهلا . ثم كيف صار رجلا عالما فيلسوفا حكما مدبرا متملكا على ماله . ثم كيف صار زاهدا عابدا . ثم ان طال عمره كيف يرجع كما كان بدنيا ضعيفا ذاهب القوة . ثم كيف ظهر بعد الشباب والقوة الضعف والشيبة - الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء - فاذا فكر الانسان في هذه الحالات التي ينقل فيها من أدونها الى أعلاها ومن أسفلها الى أعلىها فيعلم بالضرورة وبشهادة عقله ان له صنعا حكما هو الذي اخترعه وأنشأه وأتمه فاذا تحقق عنده ما وصفت من هذه الحالات جعل نفسه عند ذلك مقياسا على سائر أبناء جنسه فعمل عالما يقينا انه قد فعل بهم مثل ما فعل به وهكذا سائر الحيوانات وكما ازداد تفكرا في هذا الباب ازداد بر به يقينا وبأوصافه معرفة وعلم أن الله تعالى حي عالم قادر عليم حكيم محسن جواد كريم مشفق رحيم ولو نظر في التشریح أوفى كتاب منافع الأعضاء أو كتاب الحيوان أو كتاب النبات أو كتاب المعادن أو كتاب الآثار العلوية أو كتاب تركيب الافلاك وما شاكلها من الكتب والعلوم والمعارف من وصف مصنوعاته ومخترعاته فانه كلما ازداد فيها نظرا ازداد بالله علما وبأوصافه اللاتقة به معرفة واستبصارا وإليه قربة وإلى لقاء الله اشتياقا فهذا هو الطريق ذات اليمين المؤدى سالكه إلى الله تعالى وإلى نعيم جنانه * وأما الطريق الآخر ذات الشمال المؤدى الى الشكوك والخيرة والضلالة والعمى وهو أن يتدبى الانسان قبل النظر في العلوم والآداب والرياضيات وقبل أن يحسن أخلاقه ويهذب نفسه بالكشف عن الأمور الجزئية الخفية المشككة على الحذاق من العلماء والفلاسفة فضلا عن غيرهم نحو معرفة ألم الأطفال وطلب معرفة مصائب الأخيار والبحث عن الأنبياء وتيسير أمور الأشرار ولم زيد الحازم فقير وعمرو العاجز غني ولم جعفر النبي أمير وعبدالله الحكيم حقير ولم هذا الرجل ضعيف والآخر قوى صحيح ولم هذه السودة صغيرة وهذا الجبل كبير ولم النبل مع كبرجته له أربع قوائم والبق مع صغر جثته له ستة أرجل وجناحان ولماذا يصلح البق والنباب والقردان والبراغيث وأي فائدة في خلق الخنازير والوزغ وأي حكمة في خلق العقارب والحيات وما شاكل ذلك من المسائل التي لا يحصى عددها إلا الله ولا يعلم سواه عللها فاما الانسان فانه لا يعرف الحكمة في عللها الا بعد النظر في العلوم الالهية وهو لا يعرف الا بعد النظر والتفكر في الامور الطبيعية وهو لا يعرف الا بعد النظر في الامور المعقولة وهو لا يعرف الا بعد النظر والتفكر في الامور المحسوسة فمن لم يكن مناضيا بهذه العلوم والمعارف ولا متأدبا بها ولا صافي النفس ولا صالح الأخلاق فيبتدى أوليا يطلب الامور المشككة التي تقدم ذكرها فلا يدركها ولا يعقلها فيرجع عند ذلك خاسرا متفكرا متحميرا غافلا بنفسه وسواسا في قلبه فينظر عند ذلك الى أمر العالم مهملا والكائنات بافتقار لا بعناية حكيم ولا صنع صانع عليم أو يظن أن رب العالمين غافل عن أمره عاله حتى يجرى فيه ما لا يليق بالحكمة أو يظن أنه لا يعلم ما يجرى فيه أو أنه لا يفكر في هذه الامور الجزئية ولا يهتمه أو يظن انه قلن قليل الرحمة والنظر

اضعاف الخلق أو انه جائر في قضائه وأحكامه متعب لخلق مفراط في تقديره غير عدل ولا حكيم في كثير من أفعاله لا يرجع الضعيف وما شاكل هذه من الظنون والشكوك والحيرة والضلال الذي قدناه في طلب معرفته عقول كثير من العقلاء المتقدمين المرتاضين بالعلوم الحكمية فكيف غيرهم ممن ليست له رياضة ولا معرفة بحقائق سرار المعروفة وقيل ان حكيم الفرس بزر جهر لما تفكر في هذه الامور المشككة ولم يعرف عللها قال عند ذلك احتجاجا لنفسه إذ قد تبين له بأن الله حكيم عدل فان مصائب العباد اذن لعل لا يعرفها اقرارا على نفسه بالجهل عن معرفة هذه الامور المشككة ويقال ان نبيا اجتاز مرة بعين من الماء في سفح جبل فتوضأ منها ثم ارتقى الى الجبل ليصلي فينما هو كذلك اذ نظر الى فارس قد أقبل على تلك العين فشرب منها الماء وسقى فرسه ثم ركب فحسب ونسى عند العين صرة فيها دراهم ثم جاء من بعده راعي الغنم ورأى الكيس فأخذه ومضى ثم جاء بعده شيخ حطاب عليه أثر البؤس والمسكنة على ظهره حزمة من الحطب ثقيلة حملها فخط هناك حزمته واستلقى يستريح مما به من شدة الضعف والتعب والريق والانهار ففكر النبي وقال في نفسه لو أن ذلك الكيس مكانه لكان هذا الشيخ الضعيف أولى بأخذه من ذلك الراعي الشاب الغني القوي فما كان الا قليلا حتى أن الفارس فترجع الى مكانه الذي شرب الماء منه وطلب الكيس فلم يجده فطالب الشيخ فأبى الشيخ وقال ما عندي خبر هذا فضر به وعذبه حتى قتله ومضى الفارس فقال عند ذلك يارب ما وجه الحكمة في هذه القضية وأين هذا من العدل فأوحى الله تعالى اليه ان أبا الشيخ قتل في الزمان الماضي أبا الفارس وكان على أبي الفارس دين لاني الراعي بمقدار مافي الكيس فأخذت القود ورددت الدين وأنا حكيم عادل . ولذلك يحكى أن نبيا من أنبياء الله تعالى اجتاز نهر فيه صبيان يلعبون وبيهم حبي مكفوف وهم يفوضونه في الماء و يولعون به وهو يطلبهم ولا يظفر بهم ففكر النبي في أمره ودعا ربه أن يرد بصره ويسارى بينه وبين الصبيان فلما رآه الله بصره فتح عينه ففرب الى واحد من أولئك الصبيان فتعلق به وغوصه في الماء ولم يفارقه حتى قتله وطلب آخر كذلك وهرب الباقيون فدعا النبي حين ذلك ربه أن يكفهم شره فأوحى الله تعالى اليه وقال اني قد فعلت ولكن لم ترض بحكمتي ونعرضت في تديري لخلقتي فبين للنبي ان كل ما يجري في العالم من أمثال هذه الامور فانه تعالى فيه سر وتدير وحكمة لا يعلمها الا هو . وقد أخبر الله تعالى في القرآن من حديث نبيين وما جرى بينهما من الخطاب في هذا المعنى أحدهما موسى عليه السلام وهو صاحب شريعة وأمر ونهى وحدود ورسوم وأحكام والآخر الخضر عليه السلام وهو صاحب سر وغيب وكنيان وكيف تعرض له موسى عليه السلام فيما يفعله بواجب حكمة وكيف اعتذاره اليه لما لم يستطع معه صبرا وانما ذكرنا هذه الحكايات في هذا الفصل لان أكثر الآراء والمذاهب تشعب من هذه الامور المشككة التي فكر فيها العلماء وطلبوا عللها فاذا لم تبلغ أفهامهم كيفية معرفتها تفرقت بهم الآراء والمذاهب عند ذلك الامن عصمه الله وهدى قلبه وعرفه كماله - ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء - وقال الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا - وقوله - ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلمنا - اه

هذا ما اخترته من ذلك الكتاب . وها هوذا أوضح لنا (ثلاث مسائل * الأولى) أن النظر في هذه العوالم يقر بنا الى الله ويحطنا مشتاقين الى لقائه . ولن يتم ذلك لأحد من أهل الأرض إلا اذا استوتق من عجائب الطبيعة البهجة البديعة للجبية . وهذه الخصلة هي نهاية حكمة الحكماء في الأرض . فاذا اشتقنا الى لقاء الله كان الموت لنا سعادة لا حزنا وألما إذ به ترمى ذلك الذي أرانا شموسا جميلة وكواكب وجعل أضواءها سببا في نظام النبات وتنوعه بحيث يسد الجوع ويكسو الجسم ويهبج النظر ويؤتي السواء ويزيل الداء ويهبج حاسة الشم بالروائح وحاسة اللمس بالمعوسات الناعمة . فهذا الصانع الحكيم الذي يبدع هذا الابداع ويجعل شمسه العظيمة موانية في فتاتها لحواسنا ورغباتنا . اليه يشاق المفكرون ولكن ليس كل من قرأ هذا المقال وفهمه تحس نفسه بهذا النعيم العلمي . كلا . مم كلا . فهذا المقال نفسه يقرؤه ألف واحد ولكن

الذى يقدره حقّ قدره عدد قليل وهم الكاملون في العلم وغيرهم يسمعون من وراء حجاب لضف الاستعداد - وقليل من عبادى الشكور - (المسألة الثانية) إن اشتغال النفس بالامور الجزئية من قوت وحياة وقر وغنى لاتعطي إلا الشكوك وظنّ السوء (المسألة الثالثة) ان العلماء المفكرين يحصل عندهم يقين بأن الجزئيات لها أسرار تخفى عليهم لأنهم لما نظروا في الكليات صار عندهم يقين بأن صانع العالم ليس بذرة بلا حساب وهو عدل في الجزئى كما انه ثبت انه عدل في الكلّى . أما العامة فلما عجزوا عن البرهان المذكور فهؤلاء يقال لهم أمثال حكاية الفارس المذكورة وحكاية الصبي الأعمى وحكاية الحضرموسى عليهما السلام انتهت اللطيفة الاولى والحمد لله رب العالمين

(اللطيفة الثانية)

(في قوله تعالى أيضا - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب * وحفظنا من كل شيطان مارد * لا يسمعون الى الملاّ الأعلى - الى قوله - شهاب ثاقب -)
(كتب في صباح يوم السبت (٢٩) مارس سنة ١٩٣٠)

قبل أن نخوض في هذا المبحث العجيب أقدم مقدّمة فأقول : « لقد تقدّم في هذا التفسير مارآه سقراط وتلميذه أفلاطون من أن هذه المادّة وماتركب منها لا يستحقان ولا يصلحان أن يكونا مناط العلوم ولا مسميين باسم الموجود . المادّة عندهم لاتصلح موضوع العلم ، العلم ثابت دائم والمادّة متحركة غير ثابتة . هي دائمة التغير والتعثر في أذيال الكون والفساد فكيف ينكى عليها العلم ؟ وكيف تكون له مهديا ؟ »

هذه هي النظرية التي نسقتها أفلاطون ، وجاء من بعده أرسطاطاليس فأقرّ هامن جهة وخالقها من جهة أخرى . فقال : « نعم المادّة لاتصلح مناطا للعلم ، ولكنى لا أوافق أستاذى في أن العلم مناطه ومتعلقه هو عالم المثال . كلا . إذ لا برهان عليه ، ولا أريد أن أطيل في هذا المقام لأنه معروف في سابق هذا التفسير وفي لاحقه إن شاء الله في (سورة القتال) عند آية - فاعلم أنه لا إله إلا الله - وانما سقت الكلام في هذا الموضوع توطئة لتفسير الآية . ذلك أن القوم لما جعلوا المادّة لاتصلح مناطا للعلم بل لاتصلح أن توصف باسم الموجود إذ الوجود لا معنى له إلا اذا كان دائما ، أما الوجود المؤقت فما أقلّ ضعه وما أضلّ سببه فوجوده عدم وعلمه جهل . هذا ما أردت أن أقدمه لتفسير الآية وعلى هذا الأساس أقول :

إذا كان العلم لا يبنى على المادام له وكذلك الوجود فليكن هكذا الفرح ، فإذا فرح الناس بما لا يبقا له ففرحهم غرور وسرورهم غمّ ونعيمهم شقاء وغنائهم فقر . ولقد اعتاد هذا الانسان أن يفرح بالزينة المنصوبة في الأرض وفي السماء ، والزينة على قسمين : زينة طبيعية ، وزينة صناعية . فلزينة الطبيعية كالأزهار والأشجار والأنهار وجمال الحدائق الفناء وجداول الماء وبهاء الوجوه ومحاسن الوجود وجمال النجوم والشموس والأقمار وبهجة الأشجار الثمينة ، كل ذلك جمال طبيعي لسكان هذه الأرض به يفرحون وبه في أوقات فراغهم ينسرحون . أما الزينة الصناعية فهي ما يصنعه الناس من زينة في ثيابهم ومنزلهم ومساجدهم ومعابدهم وما يزينون به نساءهم من الدياتج والأقراط والخواتم والحلى والحلل وما تزدان به ملوكهم من التيجان والقصور وما يقيمون من الزينة في الولائم والمسرات لمولود أوختان أو عقد لزواج أولزفاف أو نصر على عدو أو لتتويج ملوكهم وأعيادهم أو حفلات دينية كالأعياد والمواسم التي اعتاد الناس أن يرفعوا فيها الرايات وينصبوا الأعلام ويتحلوا بما يحلوهم من الملابس ويلبسوا كل ما غلا ثمنه وجل منظره وندر الحصول عليه من الأشجار الكريمة كالزبرجد والياقوت والماس والزمرد وأمثالها

هذه مجامع الزينة التي اعتاد الناس أن يظهروها في مواسمهم وفي أفراسهم الخاصة وهي تتبع في نظامها ثروة الذين قاموا بانظارها . فإذا كان القائم بتلك الزينة دولة من دول الأرض وكانت ذات بسطة وفوذ وغنى

ممت سرادقتها وتلاأت أنوارها ولزدهرت أفنان الأشجار ليلا بما يعلق عليها من أفانين الأنوار من أصفر
فلق وأخضر ناضر وأحمر قلن وأبيض يقق ، ففرى الزينة تبه العقول تذكرا لحوادث وطنية وأحوال سياسية
أو أعياد دينة

هذه مجامع مايزدان به الناس في الأرض وبه يهيمون وله يهرعون ويفرحون . هذه كلها زينة الأرض
وكلها فانيات . أما زينة السماء فهي تلك النجوم الجميلة التي رصعها الله في الجوق الذي فوقنا ، فهي دائمة
باقية في أفراحنا وأحزاننا وموتنا وحياتنا ، فنحن في مصر في هذه الأيام قد كانت لنا أنواع من الزينات في
شهر مارس سنة ١٩٣٠ فيها ما هي لملك البلجيك ، ومنها ما هي لنفس ملك مصر بحيث ازدادت جميع السواوين
بالأنوار المتلاثة وذلك في يوم أو بعض يوم ، وهكذا تمر الأعياد الدينة تلو الأعياد وينصب الناس الزينة لأجل
وليمة العرس أو الختان أو غيرهما ثم تنتهي تلك الزينات ويرجع الناس إلى أعمالهم ، ولكن زينة السماء باقية ،
زينا منازلنا ومدننا أم لم تزيناها فزينة السماء الدنيا باقية ، فإذا أزيلت الزينة من الأرض فزينة السماء باقية
ليلا ونهارا وهي زينة بديعة شمسها الوهاجة تجري ولا نظير لنورها في مصابيح زينة الأرض . وكذا القمر
والنجوم الثابتة والسيارة . فهذه كلها مضيئة جميلة بهجة سارة للناظرين . زينة العرس تتلوها المسام وكل
زينة نصبناها في الأرض يعقب الفرح بها رد فعل وهذا قوله تعالى - إن الله لا يحب الفرحين -

تأمل أيها الذكي ما تقدم بسميه وهما زينة لاندموم وهي الأرضية وزينة دائمة وهي السماوية ، ولاجرم
أن لكل زينة رافعا لها ومنظما ، ومنظم الزينة المقيم لها غير المتفرجين عليها الفرحين بها . فهنا ثلاثة :
منظم الزينة ، ونفس الزينة ، والناظرون لها . فنظم زينة الولايم في الأعراس أناس لهم علم بانقائها والمدعوون
للفرح قوم آخرون ، فالسما ركواكبها من الزينة والملائكة هم المقيمون لها والناس هم الناظرون ، ولكن
ليس كل ناظر للزينة ينشرح به صدره ، فالرجل الذي ساورته الهوموم ، وأحاطت به النجوم ، وأرهقته الديون
إذا مرّ بأعظم زينة لا يحس بها فؤاده ، ولا ينشرح بمرآها صدره ، ولا يسر بمعهدها قلبه ، بل لا منزلة لها
عنده ، هكذا الناظرون إلى السماء أكثرهم لا يعقلون جلالها إما للجهل أو لانصراف النفس لامور عارضة
أو لتقص التظنة أو الفطرة ، والنفس الكبيرة تألف الزينة الباقية ، والنفس الصغيرة تألف الزينة الفانية
* قال الشاعر

على قدر أهل العزم تأتي العزائم * وتأتي على قدر الكرام المكارم

ويعظم في عين الصغير صغيرها * وتصغر في عين العظيم العظائم

ترى الأطفال والجهال والنساء ومن على شاكلتهم يفرحون بما يرون من زينة الأرض طبيعية أو صناعية
وهم للصناعية أميل لأن صانعيها من أمثالهم من الناس ، أما الطبيعية فهي في المرتبة الثانية لأن صانعيها ليس
من الناس ، أما الزينة السماوية فهم لا يفكرون فيها ولا هم منها يتعجبون لأنها من صنع الملائكة المسخرين
بأمر الله ، إن للملائكة علما وعملا والعمل أشير له في الآيات بالزجرات زجرا ، وزجرات السحاب مثلا فعل في المادة
وهؤلاء لهم السلطان على المادة فيتصرفون فيها بالكون والفساد والانعماء والافناء والتصوير والابجاد ، والعلم
والعلم أشير له بالتاليات ذكرا ، أقسم الله بالصفات الزجرات التاليات وهؤلاء هم الملائكة كما قال تعالى في آخر
السورة في شأنهم - وما منا إلا له مقام معلوم * وأنا لنحن الصافون * وأنا لنحن المسبون -

وأبهر مظاهر هؤلاء الملائكة تزيين السماء بالكواكب فهذا هو قوله تعالى - والصابف صفا * فالزجرات
زجرا * فالتاليات ذكرا - إلى قوله - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب -

عجب وألف عجب من نظم القرآن الحكيم ، يقول الله هنا - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب -
ويتبعه بقوله - وحفظا من كل شيطان مارد * لا يسمعون إلى اللأ الأعلى - الخ ولكنه لم يقل نظير ذلك في

قوله تعالى - إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها - بل قال - لنبلوهم أيهم أحسن عملا * وانا لجاعلون ماعليها صعيدا جزا - . فزينة السماء حفظها من الشياطين ، وزينة الأرض لم يحفظها منهم بل ابتلى الناس بها وفي الناس شياطين كما في الجن كما قال في آية أخرى - شياطين الانس والجن - ولاجرم أن العقول المظلمة من بنى آدم المتجسدين ، ومن الأرواح التي ليست من نوع بنى آدم في الأرض لاتعقل جمال النجوم والشمس والقمر . كلا . ويناسب هذا قوله تعالى في سورة أخرى - وزيناها للناظرين * وحفظناها من كل شيطان رجيم * إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين - فزينة السماء محفوظة ، ونتيجة ذلك ما نشاهده في بنى آدم ان أكثرهم لايعقلون جمال هذه النجوم ولايشاقون لفهما ولايعرصون على اكتناه كنهها ولا يتذكرون بها عظمت مبدعها ، فهذه الزينة فوق متناول عقولهم . أما زينة ملائكتهم وأعيادهم وأعراسهم ومما شبه ذلك فهم بها فرحون ، ولها وامقون ، وعليها يحرصون

ومن هذا القبيل قوله تعالى - زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين - الخ وقوله - حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وطق أهلها أنهم قادرون عليها أنهارا ليلأ أنهارا بضعناها حصيدا - الخ وقوله تعالى - أن زين له سوء عمله فرآه حسنا - وقوله - والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة - وقوله - ولأنعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا -

فهذه بمجل أنواع الزينات التي لابقاء لها ونهى عنها الخواص وأغرم بها الجهلة والعوام ، وهؤلاء مبعدون عن زينة السموات لابلخل في العطية ولكن لقصر نظرهم وضعف فطرتهم ، فتلهم كمثل الأيتام إذ يمنعون أن يعطوا ما لهم حتى يبلغوا الحلم ، أو كمثل السفهاء من نحو النساء والصبيان الذين قال الله فيهم - ولأنؤتوا السفهاء أموالكم - الخ أو كمثل الغلامين اليميين في المدينة وقد خبي الكنز لما فاقم الخضر الحافظ عليه ليحفظ حتى يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما

جالس أيها النكي من نشاء من بنى آدم فانك تستخرج مافي نفسه بالمحادثة ، وسرعان ماتدرك أحوال الشياطين المدحورين ، أم من الملحقين بالملائكة المكرمين ، فان كان نزاعا الى معالى الامور مغرما بالامور العالية كاستكناه عجائب النظام العام والكواكب مغرما مولعا بمبدعه مجببا بتلك الآثار فاعلم ان هذا اذا سار في سبيله صار أبا من الآباء الذين خلقهم الله في الناس وفرق بينهم كأبنائه فهو ينفعهم ماديا وأديبا كما أن الملائكة كذلك ولا تحجب عنهم الأسرار الكونية الممكنة لأمثال أهل الأرض ما داموا أحياء

(تبصرة)

إن أنواع الزينة المنصوبة في الأرض آنا فآنا مذكرات بالزينة السملوية ، فالحكيم بحقر ما يقنى ولا يغرم إلا بما يقنى ، وما جمال الوجوه في الناس ولا أنواع الزينات فيها إلا أعراض زائلات مذكرات بالجمال الدائم والحياة الروحية الخالدة التي يدكرنا بها دوام الكواكب وأنوارها والشموس وأقمارها ، فهذه بدوامها الممكن لها تقول لنا بلسان حالها : « كل زينة عندكم كاللعدوم » وهذا يدكرنا بقول أفلاطون المتقدم : « إن الكائن الذي لابقاء له ليس جسديرا بأن يكون مناط العلم ، بل ليس جسديرا أن يستحق اسم الموجود » فهكذا هذه الطائفة الكبيرة النفوس لاتبالي بالزينة العرضية وتوجه وجهها للزينة الدائمة التي حفظها الله لهم فلا يشاركون فيها الفوغاء . وهذا هو الأمر المدهش . زينة يراها البار والفاجر طالعة غاربة ولكنها لا يفرح بها إلا الأقلون

هذا ما فتح الله به في تفسير قوله تعالى - والصافات صفا * فلزاجرات زجرا - الى قوله - فأتبعه شهاب

ثاقب - مساء يوم الثلاثاء أول ابريل سنة ١٩٣٠ م

﴿ بهجة العلم ﴾

(في قوله تعالى - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب * وحفظا من كل شيطان مارد *

لا يسمعون الى الملائة الأعلی - الآية)

(كتب في صباح يوم الاثنين ٢١ يوليو سنة ١٩٣٠)

توجهت ليلة السبت ١٩ يوليو سنة ١٩٣٠ الى قرى الريف في المزرعة التي اعتدت أن أراقب أحوالها وبت مع الفلاحين هناك وأنا أشاهد النجوم في الجوّ الرائق البهيج اللطيف ، فإذا رأيت ؟ رأيت بهجة الكواكب وجالها والنسمات تلعب بالأشجار والحشائش والزرورع والفلاحون يتحدثون ويدبرون السواقي لتسقي الجنات المعروشات من البطيخ والسنطاوى وأشباههما فسألني سائل : ما الذي نشاهده في السماء كأنه سحب وليس بسحاب ؟ فقلت هذه اسمها عندنا المجرّة . فقالوا هي عندنا طريق التبانة لأنها أشبه بما في طرقكم من التبن . فقلت هي عند علماء الدين أبواب السماء وعند الانجليز الطريق اللبني وأخذت أذكر لهم عدد نجومها ولكنني ألفت أن القوم لاتحمل نفوسهم هذه الجباب ، فلما ان انطلق عمود الصباح وقال المؤذن « حي على الفلاح » خيل لي أن يد العناية العظمى القدسية امتدت جهة المشرق صباحا وقد أخذت تسدل على الظلام ستارا ، وهيجي من هذا الستار لم أره نظيرا في الأرض ، ستار لاهومن صوف ، ولامن وبر ولامن شعر ، ولامن قطن ، ولامن تيل ، ولامن حرير ، بل هو ستار من نسيج غير النسيج الأرضي مرصع بجواهر جمعت أصناف الألوان من أحمر وبرتقالي وأصفر وأخضر وأزرق ونيلي وبنفسجي ، والمادة المنسوجة لاتراها العيون ، ولاتخيلها الظنون ، ولا يعرف كتبها المفكرون ، لم ينسج على منوالها الناسجون ، نسيج هذا الانسان في مادة غليظة من الصوف والقطن الخ ونسيج رب الانسان في موجود سماه الناس أثيرا ، كيف نسجه وهو لا يرى ياترى ! نسجه بحركات منتظمة ، حركات تسريعات تكاثرت واتحدت فصارت ذات مظاهر ملقونة بالألوان السالفة ، فهذه هي ألوان ضوء الشمس في عالم الأثير ولكل لون عدد خاص من الحركات في الثانية . فبينما يكون عدد الحركات فيها (٤٠٠) مليون مليون للون المجرّة اذا هذا العدد يزداد في غيرها بالتدريج حتى يصل الى (٧٠٠) مليون مليون في الثانية في البنفسجي

أيها المسلمون : ههنا نسيج كاللهي نفسجه على منوال لاتقدر على تقليده . منوال بديع . ما أجهل الانسان والحيوان في الأرض . سبع نسايج تدخلت وامتزجت وكوّنت ستارا واحدا ألقى على السماء فأخفي كواكبها وعلى الأرض فأبان مواكبها من جبال وبحار وأنهار وأشجار وزروع جيلات وأشجار باسقات تبارك الله : ستار واحد يخفي معالم السماء ونجومها ويظهر بهجة الأرض وجالها . إن الذي وضع هذا الستار بين العالمين العلوي والسفلي لجليل وبديع . يلتقي على السماء وعلى الأرض ستارا وليس بستار يخفي النجوم وهو مظهر الجبال . بهذا الستار تجلي معنى القايب الباسط . فهاهو ذا قبض أنوار النجوم وظلام الليل فأصبنا لآرامها وهكنا بسط الزروع والحقول والأنهار فأصبحنا نراها

تباركت يا الله . انك أنت الذي علمت أصحاب دور الصور المتحركة (السينما) كيف يقلدون ليالك بالظلام ويقلدون نهارك بالضياء . فاذا أرادوا اظهار صور البلاد الثانية والأمم القاصية والديار البعيدة فأنهم يقبضون النور ويسطون الشرائط التي رسمت عليها تلك الأشكال ويروضونها الى نور ضئيل فأخذت الجباب تبرز للناس في تلك الدور بهيئة عجيبية وهم فرحون لما رأوا من مناظر لم يروها ومعالم لم يهتدوا اليها كما نراك أنت فعلت مع الناس ليلا إذ تزيهم في دجنات الظلمات كواكب وكواكب وتبهير الحكماء ، العلماء بباهر الجمال وبديع الصنع . فاولئك العلماء متى نظروا تلك النجوم هامت نفوسهم في الحكمة والفلسفة . وهل يكون ذلك إلا في الظلام

مناظر النجوم . فأما أكثر الناس فظنهم يقفلون أعينهم وينامون نوما عميقا فتظهر لهم صور وأشباح وأحلام . إذن الظلام يعطى النفوس الانسانية فرصة الحرية التي بها يجولون في عوالم الكواكب السماوية ويسبحون في بحار ليلية من عوالم الأحلام وفي مواكب مختلفة مذكريات بسواف الأيام وأعاجيب الزمان ، فإذا قلده صنعك مديرو دور التمثيل بعض التقليد في تقليدك الليل والنهار فلنك قلد حيواناتك بنو آدم في صناعاتهم كما تقدم في (سورة طه) فعاشوا في الكهوف كما عاش الجرذان تحت الأرض وفي الأدواح كما عاشت فيها الطيأة والمها واتخذوا بيوتا كما اتخذ النمل . وصنعوا القناطر والجسور لما رأوا (الكستور) وهو (الجنديادستر) يصنع سدودا لمنع قوة السيل . واتخذوا السفن في البحار لما رأوا السنجاب يركب خشبة في البحر ويجعل ذنبه مواجها للرياح ليكون أشبه بالسكان (الدقه) التي تضبط سير السفينة . وهكذا رأوا الدب الشمالى يسافر في البحر على قطعة من الثلج واصطاد لما رأى الثعلبين البرى والبحرى يعيشان على الصيد الى آخر ما تقدم مما ذكر هناك وهي (٣١) صناعة قلد فيها الانسان الحيوان وأجاد واستفاد وأفاد . أما في تقليد الليل والنهار فقد أحكمه أيضا إذ أظهر وقت الاظلام مناظر الصور المتحركات كما تتحرك النجوم في مداراتها فإذا انتهى الدور أبرزوا النور فتوارت تلك الصور كما تتوارى نجوم الليل اذا أشرقت الشمس صباحا وتمحى تلك الأحلام في دياجى الظلمات والعيون هاجعة والحواس خامدة والناس نيام وانى لا أزال في حيرة من أمر هذا الستار القمى يلقى على الأرض فيظهر جلالها واذا رفع عنها أظلمت أرجاؤها وأوحشت ساحاتها

هيا هيا : لقد لمت لوامع النور من وراء ستار الظلام الدامس وأخذت أفهم الجواب بعد اللتيا والتي . ذلك أنه كلما كان الصانع أظف كانت الصنعة التي هي أقرب اليه أظف . فإذا كان صناع بنى آدم يعملون في كتان وصوف وحرير والفلاحون في طين وماء فان الشمس ذات الاشراق صنعت بيد العناية ذلك النسيج الذي تشرق عليه أرواح علوية . وأعنى من ذلك أن الأنبياء ينسجون العقول بالدين والحكام بالحكمة فالمصنوع الغليظ نتيجة صنع عوالم الحيوان والمصنوع اللطيف كضياء الشمس مناسب لاشراقها لأنها جسم ناري والمصنوع الذي هو أظف من ذلك هو النسيج العقلى من العلم والحكمة فهو أرق صناعة وأظف من صنعة الضياء . وليس الناسج له أجساما حيوانية ولا شموسا نازية . ولقد مر ما يقرب من هذه الخواطر في أول سورة الأنعام عند قوله تعالى - الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور - ولكن لم يخضر لى هذا السؤال هناك فهنا أجبت . ولكن الناسج لذلك أرواح وهي درجات بعضها فوق بعض - والله من ورائهم محيط - . لطفنا من الله بالناس جعل ستارهم الضوئى غاية في اللطف ونهاية في البهجة والجمال . لم يرهقهم بستائر جسمية . أشرق عليهم بنوره . أضاء لهم تارة وأظلم ليلهم تارة أخرى اظهارا للرحمة والجمال . المنظر باهر وساحر ولكن الناس مسحورون بغيره . هم منومون أنامتهم الشهوات وأبعدتهم الحسرات . لو أن الناس أدركوا جمال هذه الحوادث لانبهروا أشد البهر ولكن الحكمة قضت أن يكونوا في غمرة ساهين لاهين حتى يعيشوا أمدا يقضى الله أمرا كان مفعولا

(نظرى في مزرعة قطن)

فلما أشرقت الغزالة وملأت البطاح ونجلت المزارع أخذت أجول في تلك الأصقاع فصادفت مزرعة قطن ولا جرم أن القطن أخص مزارع بلادنا وعماد ثروتها . ولكنى نظرت اليه نظرة أخرى وكأنتى من عالم غير هذا العالم الأرضى وكان الدنيا قد لبست ثوبا قشيبا جيلا
الله أكبر : الناس غشت على عقولهم العادات حتى قال الله - اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون -
كلما كان الجمال أبهج كان الاعراض عنه أعم وأكثر . هذه مزارع القطن التي نمر عليها غدوا وعشيا وفيها

لبلاب جيل وأنواع مزارع أخرى نظرت إليها إذا هي محلاة بالزهر المختلف الألوان . وهناك جوزات القطن ضمت فصوصها ضما لتحفظ في داخلها شعر القطن وبدنه ، وهما هي ذرة إحدى الجوزات قد تفتحت بالحاح حرارة الشمس عليها وكأنهن جميعا يخاطبني قائلات : « انظري الزهرات الجيلات ، وإلى الجوزات الخضراوات ، وإلى شعر القطن الذي تفتحت عنه الأكام ، هذه الملابس اليك نهديهما من شعرنا لتمنع عنك الحر والقر ، وهذه الزهرات جمال يسر الناظرين ، وهذه الجوزات اللاتي تخفي في داخلها شعر القطن والبذر ليم نضجهما ويكمل خلقها ، كل هذه اليك ناظرة لاسيما الزهرات الباهرات الجيلات وزهرات أخرى في أنواع الشجرات الأخرى وأن الزهر الأحمر والأزرق والبنفسجي ناظرات اليك مسلمات عليك ، وقد حليت كل هذه الأزهار وأوراقها بأقراط من الماس وهبها إياها قطر الندى ، فازيفت الأرض بأجل زينة ، وازدانت بالبهجة والجمال ، وهناك لم يسعني إلا أن أصبح قائلا : يا الله أنت يجب أن نحبك لأن نخاف منك ، أفع هذا الجمال كله يكون خوفنا منك ، إن من جهلك أحق بالخوف منك ، ومن أظهرت له جلالك أولى بحبك لأنك قربته ، وانما خوفك يكون طيبته منك أو خوف بعده عنك

فجيت لنفسي طربت لهذا الجمال مع ان ما ألفتة النفس لاجمال له ، كم نظرت هذا في حقولنا وكنت أنا في زمن الشباب من زرعاه ، فما هذا الذي ألبسه لباس الجمال في نظري الآن ؟ العقل الانساني اذا لم يزخره العلم عن مقره في الصبا ولم يوقظه النظر والفكر بقي أسير العادات قليل النظر قليل الفكر ، فاذا استيقظ أدرك انه يعيش في بيئة من الجمال والبهجة والحسن والاشراق ، وأين كانت هذه المزرعة ؟ كانت في المكان الذي فيه تخيلت أن البدر يخاطبني في وسط النخيل بالقرب من المرج بالقرب من القاهرة وذلك تقدم في ﴿ سورة فاطر ﴾ عند آية - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء - الخ وما أدري لماذا لم تستيقظ نفسى ليلا سابقا ونهارا لاحقا إلا في هذا المكان ، ثم لماذا خطرت هذه الخواطر في هذه الأيام ؟

الله أكبر : لقد تجلت الحقيقة واضحة ، أنا لم أتم ليلة واحدة في ذلك الحقل ولكني نمت هذه الليلة ، لماذا هذا ؟ عرفت الجواب أن ذلك لسر ظهر وحكمة بهرت وهي انها جاءت لتفسير قوله تعالى في هذه السورة التي قد استعدت المطبعة لطبع تفسيرها في هذا الشهر (أغسطس سنة ١٩٣٠) أليس هذا هو قوله تعالى - إنا زينا السماء الدنيا بمصابيح - وهذه المصابيح تدعو العقلاء للتفكير في جلالها وفي حكمها وفي حسابها كما تقدم في ﴿ سورة يس ﴾ عند قوله تعالى - والشمس تجري لمستقر لها - وفي سورة يونس عند قوله تعالى - هو الذي جعل الشمس ضياء - الخ وفي سورة الأنعام وفي سور أخرى كثيرة ، ويقول في آية أخرى - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها - الخ ويقول في ﴿ سورة الحجر ﴾ - وزيناها للناظرين - . إذن الله لم يزين السماء لمن لبسوا أهلا للنظر ، إذن الحكماء في هذه الأرض هم الذين زين الله لهم السماء . أما الجهلاء فلم يزين لهم إلا شهواتهم ليعيشوا غالبا كما تعيش الأنعام وهم خامدون . إذن بهذا نفهم قوله تعالى - وجعلناها رجوما للشياطين - فشياطين الانس وشياطين الجن يعيشون ويموتون ولاهم يعقلون جمال هذه الشمس ولا بهجة هذه النجوم وانما هم محبوسون . إن هذه هي التي أجراها الله على لسان العاتمة في بلادنا المصرية إذ هم اذا رأوا سحبا منشورة في السماء مقطعة غير ملتزمة قالوا إن السماء مزينة وانما زينت لعالم مات . فهم يقولون إن العالم اذا مات تزين له السماء أى تزين لروحه اذا صعدت كما تزين المدن لتقديم الملوك والعظماء ولكن في الحقيقة هي مزينة له في هذه الحياة الدنيا وهو الذي يفهم جلالها فاذا مات ازداد بصيرة في ذلك الجمال ففطرة العاتمة قد ألت بطرف من معنى الزينة . فالأرض مزينة للحكماء والسماء والنجوم والجبال والشجر والوداب فهم أبدا في سعادة وحبور . وليكونن قرءاء هذا التفسير المفردون بالعلم من أرقى هذه الطبقة في عالم الانسان . وبهذا انتهى المقال في تفسير هذه الآيات صباح يوم الاثنين ٢١ يوليو سنة ١٩٣٠ في نفس اللحظة

التي افترقت بلادنا فرقتين : فرقة أوصدت دار النياحة في وجوه الأمة . والفرقة الأخرى هي جميع الأمة المصرية فهؤلاء يريدون دخول البرلمان هؤلاء يمنعونهم وسر ذلك كله تدخل الأجانب في هذه البلاد . وذلك كله منشؤه أن رجال الشرق ينقصهم العلم والتعليم . وهأنذا أت بما يجب علي وعلى كل امرئ في بلاد الاسلام أن يقوم من التعليم بما أطمه الله وأقدره عليه . - والى الله ترجع الامور -

(ما حقيقة السموات . وهل للمور وزن ؟ وهل النور خالد ؟)

واذا بقي دهر اطويلا أفليست الأرواح أحق بذلك ؟)

في يوم الثلاثاء ٢٢ يوليو سنة ١٩٣٠ حضر صديقي العالم الذي اعتاد محادثتي في هذا التفسير فقال حسن ما قلت في هذا المقام ولكني أسألك سؤالاً في نفس موضوع الآية . إن ما ذكرته هنا إنما هو وجدانيات قامت بنفسك فسطرتها والوجدان شئ والعلم شئ آخر ، وانك لم تذكر إلا الصباية والعشق والغرام وما ذلك إلا عواطف كعواطف العشاق الانسانية الشائعة بين الناس وما كل امرئ بعاشق لأن العشاق استعداد ، فهل أنت على استعداد أن تحادثني في حقائق السموات ؟ فقلت حبا وكرامة . فقال حياك الله ، هل السماء مبنية شديدة ؟ فقلت أذكر كأيها الصديق بما مر في أول (سورة البقرة) عند الكلام على السماء وقد ذكرت هناك أن هذا العالم لافراغ فيه فهو يملؤه بوجود سموه الأثير وهو موجود لأنه به يقوم الضوء والكهرباء والجاذبية فهو إذن موجود ، إذن عالم السماء موجود . فقال حسن هذا وأنا أذكره وأذكر انك أثبتت هناك عدم الفراغ ببرهانين برهان القدماء القائل : إن هذا الذي سميناها فراغا لا يتخلو من شيء من النور والظلمة من أحد أمرين اثنين : إما أن يكونا جوهرين ، وإما أن يكونا عرضين أو أحدهما عرض والآخر جوهر فإن كانا جوهرين فالسموات إذن موجودة وان كانا عرضين أو أحدهما فالعرض لا بد قائم بجوهر إذن ثبت انه لافراغ وأن السموات موجودة فعلا ، هذا ما قلته أنت إذ ذاك عن القدماء ، وأما المحدثون فانك أثبتت قولهم بأنهم استدلوا بأن التلغراف السلكي والذي لا سلك له كالأصباح المحمول وهل الحامل يكون معدوما ؟ إذن هو موجود . إذن القدماء والمحدثون يجمعون على ذلك ، فالسما المذكورة في الآية هنا موجودة ، فأنا الآن لا أسألك في وجود السماء وقد عرفته فيما تقدم في هذا التفسير وإنما سؤالي هل هي مبنية وهل هي شديدة ؟ إن البناء لا يكون لما هو كالخيال . وهل خيالنا مبنية ؟ وهل خيالنا متين قوي ؟ وهو يفتي حالا . فقلت : هل الأثير خيال ؟ فقال أنت عبرت بهذا القول سابقا فقلت انه كالخيال . فقلت : سأبرهن لك على أن الأثير قوى متين وعلى أنه أقوى من أبنيتنا وكل بناء عرفناه . فقال ياليت شعري كيف يكون ذلك ؟ فقلت : أيها الصديق . ألتست تسل بأن هناك قوة جاذبية بها تجذب الشمس ما حولها من السيارات وأرضنا منها . فقال أسلم به لأنها قضية مسلم بها . فقلت : لو اني أنا وأنت وأناس آخرون معنا حاولنا أن نزرع صخرة من مكنتها وربطنا فيها حبلا وأخذنا نجر ذلك الجبل ونحن عصبة أولو قوة وزحزحنا هذه الصخرة وأخذنا ندور بها أدوارا منتظمة حول محور فإذا تقول في هذا الجبل الذي به جذبنا هذه الصخرة أضعيف هو أم متين ؟ قال بل قوى متين . قلت فإذا جذبت الشمس كل سياراتها بقوة الجاذبية القائمة بالأثير أفلا يكون الأثير قويا متينا بنفسية هذه الأجرام . أفلا يكون نسبة هذا الأثير إلى الشمس والأرض كنسبة الجبل إلى عصبتنا والصخرة المذكورة قال بلى والله هذا حق . قلت إذن ثبت أن عالم الأثير أقوى من البناء وأمتن شئ عرفناه في الوجود . فإذا سمعنا الله يقول - والسماء بينناها بأيد وانا للموسعون - وسمعناه يقول في (سورة النبا) - وبيننا فوقكم سبعاً شدادا - فانا نقول هذه الحقيقة ياربنا لم يتجمل لنا بعض معناها إلا في هذا الزمان لأن الناس عندهم شكوك وأوهام في هذا الموضوع . فقال إن هذه المسألة لم أسمع لها جوابا شافيا إلا الآن . فقلت فلتحمد الله على العلم وعلى الحكمة . وهذه تكمل ما نقصنا من العلم في تفسير بسملة (ص) فقال لم أفهم مرادك . فقلت أم تقل

هناك ان الانسان له قوى علمية وهي الخواص الخمس والعقل وقوى عملية وهي اليدين والرجلان وأن الخواص بها عرف الناس ماحولهم ووصلوا لما قرب من الكواكب وأن المجاهر والمناظر المعظمة التي أسداها العلم لهم زادت علومهم . فقال بلي تقدم ذلك . فقلت والعقل اقتنص الصور بالخواص فكانت العلوم الطبيعية وصور المقادير فكانت العلوم الرياضية وأن الآلات الجارية على الأرض مساعدات للأرجل وهكذا الطائرات والسفن وهكذا جميع المجالات والآلات المتحركة مساعدات الأيدي في أعمالها . قال عرفت ذلك . فقلت بقي شيء واحد لم يذكره هناك ولكن هنا محل ظهوره . فقال وما هو ؟ قلت إن اللسان يوصل العلوم كما قلنا هناك . ونقول هنا انه يستخدم الهواء وينوب عنه التلغراف السلكي والذي لاسلك له والتلفون . قال هذا حق . قلت ولا واسطة لمساعد اللسان المذكور إلا الأثير . قال حقا . إن هذا البرهان وكل ما ترتب عليه حسن ، ولكن اذا عضدته ورسخته بكلام علماء الفن يكون أهدى سيلا وأقوم قيدا وأوضح تأويلا . فقلت انهم يقولون إن كثافة الأثير هي ألف طن للمليمتر الواحد والطن نحو ٢٢ قنطارا ، إذن كثافة المليمتر الواحد من الأثير تعادل نحو ٢٢ ألف قنطار . فقال يا للجب : هذه كثافة لانظير لها في كثافة ما نعرفه من الحديد والرصاص والحجارة وحقا ان الذي به تجذب الشمس سياراتها يجب أن يكون كذلك ليتحمل ذلك كله ، وانظر ما كتبه بعض المجالات العلمية وهو المقتطف في شهر ديسمبر سنة ١٩٢٩ تحت العنوان الآتي وهذا نصه :

(تحوّل الآراء في الأثير)

(من نيوتن الى اينشتين)

مهما يكن تصوّر نوع الفضاء الذي يحيط بنا صعبا . ومهما تختلف الآراء في نوعه وحدوده الهندسية ومهما يكن تصبيرنا عن ادراك كنهه وحقيقته . فإن له صفات طبيعية خاصة به يمكننا درسها ومعرفة بعض قوانينها . وعليه لا يمكننا أن نسميه فضاء خصب . بل علينا أن نطلق عليه اسما ينم على خواصه الطبيعية أو بعض هذه الخواص . وأول من بحث في هذا الموضوع بحثا دقيقا وسمى هذا المجهول بالأثير كان الطبيعي الانكليزي العظيم السراسحق نيوتن . يستحيل علينا أن نصف صفات الاثير الطبيعية بالدقة التامة بالتعابير والمصطلحات التي نستعملها لوصف خواص المواد الارضية . لكننا لانستطيع غير هذا السبيل فنضطر الى استعمال هذه المصطلحات لكوننا لانعرف سواها . وفي مثل هذه الحال يجب علينا أن نبقى متذكرين انها لاتعبر عن الحقيقة بالدقة التامة ولكنها تفعل ذلك لو كان الأثير مادة عادية . نحن نتكلم عن مرونة الأثير وكثافته مثلا . فباي حق نفعل ذلك ؟ ليس الأثير مادة عادية كوادنا لنسب اليه صفاتها . ومع ذلك نقول ان كثافة الأثير هي ألف طن للمتر المكعب . ومرونته تساوي حاصل ضرب كثافته في مربع سرعة النور . وبهذا نعني أنه لو تحوّل الاثير مادة لكانت له تلك الكثافة وهذه المرونة . يمثل هذه التحفظات يمكننا أن نستعمل الاصطلاحات العادية لتعداد خاصيات الاثير المعروفة فنقول :

(١) الاثير شفاف

(٢) » عديم الاحتكاك بالمواد

(٣) » عظيم الكثافة

(٤) » تام المرونة

(٥) » عديم الحرارة

(٦) » عديم الصوت

(٧) » موصل حسن للجاذبية والنور والامواج الكهربية - المغناطيسية

(٨) » وسيط لتلاصق دقائق المادة وتماسكها

(٩) الأثيروسيط للجاذبية الكهربية (أو الالف الكهربية)

(١٠) « بلاء كل فراغ من المادة . اه ما جاء في مجلة المقتطف

لست الساعة بصد أن أوضح :

(١) نظرية نيوتن الذي اضطر أن يفرض وجود الأثيريين عرف تاموس الجاذبية العام وقال « لا تصور

أن قوة هائلة عظيمة تنتقل من الشمس الى عوالمها بدون موصل لهذا التأثير » (إذن هو حبل يوصل

الجاذبية كما قلنا في الحبل الذي جذبت به عصبتنا الصخرة فيما تقدم)

(٢) ولا بصد أن أذكر (هويجنس) الذي يقول : « إن الأثير مؤلف من ذرات في غاية الصغر

سريعة الحركة ثقيلة الوزن عظيمة الكثافة ، وما النور إلا موجات فيه لأنه ذرات كما قال نيوتن »

(٣) ولا أنا في مقام شرح نظرية (فرنل) الفرنسي الذي جعل الأثير مختلف كثافته باختلاف مواقفه

(٤) ولا في مقام آراء كوتنفي في الذي يؤيد وجوده بسبب ما نراه من الظواهر الكهربية والمغناطيسية

في الأرض

(٥) ولا أنا الآن أود أن أشرح نظرية (جورج توكس) القائل « انه سائل شفاف عديم الاحتكاك

بالأرض والسيارات عند حركتها فيه ولكنه صلد قوى متين عند ما تنظر اليه من جهة اتصال

الجاذبية والنور » وقد أيد هذا الرأي (السراوليغولودج) بالتجربة وهكذا

(٦) نظرية (ماكسول) إذ قال بالمرونة والكثافة فيه وأن المرونة تساوي حاصل ضرب الكثافة في

مربع سرعة النور

(٧) وخالف العالم (أمافين) هؤلاء العلماء في الكثافة وهكذا

(٨) العالم (ماكس كولاغ) فانه قال « انه لا يقبل الضغط »

(٩) والعالم (اينشتين) يقول : « انه خيال من الفضاء والوقت يصعب على من لم يتعمق في الرياضيات

أن يدرك كنهه »

أقول : أنا لست في مقام شرح هذه الأقوال وإنما المهم الاتفاق على الجدول المتقدم المحترم عند جمهور

هؤلاء العلماء وغيرهم . إذن ثبت هنا أن السماء أولاً موجودة . ثانياً انها أشد الأبنية وأمتها وأقواها . ثالثاً

ظهر بهذا أن اشارات القرآن أصبحت اليوم واضحة جلية في العلوم الحديثة ، فإذا كانت السموات بناء وإذا

كانت شديدة فهذه أصبحت واضحة جليا . فهل كفالك ماسمعت عن علماء الفن ؟ فقال كني والحمد لله

أقول : لقد مررت الاشارة الى هذا الموضوع في غير هذا المكان والابيضاح هنا أتم

﴿ هل للنور وزن ؟ ﴾

ثم قال : ولكني أريد أن أسأل في النور . لقد سمعتك تذكر أن النور حركات في الأثير والحركات لا

تكون إلا بقوة دافعة والقوة الدافعة تحرك الميزان حتما . إذن النور موزون ، ولكني ماسمعت أحدا يقول

ذلك . فقلت له : انه موزون وله ثقل . فقال : كيف ذلك ؟ فقلت : هاك ما جاء في بعض المجلات العلمية

وهذا نصه :

﴿ أربعة ملايين طون فولتة من أشعة الشمس في الثانية ﴾

(هل النور له وزن ؟)

يقول العامة « ضربه الشمس » كأن أشعتها تشتمل على مادة تضرب بها الاشياء . وما أقرب هذا للتعبير

الى ما اكتشفه العلم الحديث في هذا الشأن فهو في الواقع حقيقة وليس بالمجاز كما يريد أن يفهمه الناس . ولكن

إذا كان الأمر كذلك فلا بد أن يكون للأشعة وزن كسائر الأشياء المادية فقد برهن العلم صحة هذا الاكتشاف

ويقرر العلامة السير جيمس جاز أنه يمكن أن يصب مقدار كبير من الأشعة نحو شخص قوى قائم على قدميه فيطرحه على الأرض بقوة دفع الأشعة . وتدل أدق الأجهزة الضوئية على أن النور والحرارة يمكن وزنهما وأن يكن قلهما ضئيلا للغاية . وذلك أنه اذا وزنت الأشعة الكاشفة التي تنبعث من جهاز قوته خمسين حصانا في مدة مائة سنة ما بلغت أكثر من جزء من عشرين من الأوقية . فهل يمكن أن يشعر الانسان بوزن أشعة يبلغ قتلها في قرن من الزمن نصف عشر الأوقية . ولكنه يبين على أي حال على أن النور مادة ذات جرم ووزن ولنبحث الآن اذا كان من الممكن أن ندرك في ضوء هذا الاكتشاف مقدار ما تفقده الشمس من مادتها لاضاءة أرجاء العالم . تبلغ قوة كل بوصة مربعة من قرص الشمس مقدار الضوء الكشاف الذي تقدم ذكره وتبلغ قوة جهازه خمسين حصانا . ويقدر العلماء قوة ضوء الشمس بهذا الرقم وهو - ٣٢٣٣ متبوعا بخمسة وعشرين صفرا أو ٣٢٣٠ سبتيون شمعة . فاذا كان ينبعث من كل بوصة مربعة من سطح الشمس من الأشعة ما زنته جزء من عشرين من الأوقية في كل مائة سنة . فان وزن ما ينبعث من سطحها جميعه من الأشعة يبلغ ٤٠٠٠٠٠٠٠ طونولان في الثانية . وهل يمكن أن تتصور ما يراد بوزن قدره ٤٠٠٠٠٠٠٠ طونولان من المادة . لو فرض أن هذا المقدار من تراب الأرض لا يمكن أن يقام به عمود قاعدته ١٠ ياردات مربعة وارتفاعه ربع ميل واذا كان ما يحمله أكبر قطار حديدي لايز يدعى ٤٠٠ طونولان فإنه يلزم لحل المقدار السابق من الشمس ١٠٠٠٠٠٠ قطار في كل ثانية . لنقل ما تحمله الأشعة من المادة . ويبلغ وزن ما تفقده الشمس في الدقيقة الواحدة ٢٥٠٠٠٠٠٠٠ طونولان من الأشعة والحرارة فهي تنقص على الدوام بمقدار كبير للغاية . ويقدر الفلكيون نقصان وزنها هذه اللحظة بنحو ٣٦٠٠٠٠٠ مليون طونولان عما كانت عليه في مثل هذه الآونة من اليوم الماضي . ولكن الأيهم مما تقدم أن الشمس آخذة في النقصان باستمرار وأنه قديماً في وقت يذب اليها الفناء . ومعنى ذلك القضاء على جميع الكائنات الحية في أرجاء العالم . ففكر علماء الفلك وسواهم في هذه المسألة طويلا ولكل فر يق منهم أغرب الاجابات والحلول لما يتهدد العالم من هذا النقصان الدائم وليس من سألوا يتأسى بها معظمهم وتهدي روعه إلا أن الشمس قد لبنت على هذه الحال أكثر من آلاف ملايين السنين وعلى ذلك ينتظر أن تخلد في كبد السماء أطول الآجال والدهور وهي تمد العالم بذرات جسمها الناري لتبعث النور والحرارة في كل مكان وتنفخ الحياة في جميع الكائنات الحية اه

﴿ هل يمكن استنتاج خلود الأرواح من وجود النور ؟ ﴾

فلما سمع صاحبي ذلك قال حسن والله ولكن بقي شيء خطرتي . فقلت وما هو ؟ فقال إن أقصى ما سمعناه في هذا التفسير عن النور أنه قد جاء الى أهل الأرض من مسافة مائة مليون سنة أو أكثر فكيف لا ينطفيء النور . وكيف يكون أشبه بالخالد . فقلت نعم هذه مسألة عجيبة جدا . لقد ثبت أن النور الذي يخرج من الشمس البعيدة يصل لنا في الأرض بعد مرور مئات الملايين من السنين ولا يزال الكسوف يتوالى بظهور كواكب والضوء متصل ولم نجد دليلا ولا شبه دليل على أن نور كوكب موجود قد وقف في الطريق بسبب انه فنى . ومعنى هذا أن النور الذي يخرج الآن من شمسنا لا يزال يسبح في الفضاء ولا يقف ويمر على قوم آخرين وهناك قوم الآن يصل لهم ضوء شمسنا اليوم فيحسبون فيجدونه قد خرج منها منذ مائة مليون سنة أو مائة ألف مليون سنة كذلك كما تفعل نحن مع الشمس . فاذا كان ذلك حال الضوء وما هو إلا حركات في الأثير فما بالك بجوهر النفوس انها أولى بالخلود والبقاء . فقال والله اني لم أر انتصارا للعالم كما رأيت اليوم ولا سمعت براهين أقوى وأمتن مما عرفت اليوم . فقلت الحمد لله رب العالمين

﴿ ازدياد بهجة العلم ﴾

(في قوله تعالى أيضا - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب -)

﴿ وصف الكواكب وبهجتها وأنا في الحقل ليلا حتى مطلع الفجر ﴾

اللهم إنك أنت الحي القيوم ومن حياتك استمدت العوالم حياتها ، ومن علمك استمدت علمها ، ومن قدرتك استمدت قدرها ، ومن جالك استمدت جالها ، أنت الذي نقشت لنا السماء ، ونقشت الأرض ، وزخرفتهما بزخرفك ، وأنزتهما بنورك ، عجبت للنقش والرقش وللجندرة وللإبداع في تزويق الأرض بنباتها وبجبالها ، وفي تزيين السماء بنجومها وشموسها وأقارها ، لنا عقول تظهر لي أنها كبيرة جدا بدليل انها مستعدة لأن تفهم بعض مصنوعاتك

ولعلما كنت مشوقا أن أنام في العراء ليلا لأشاهد جبال النجوم قبيل الفجر وهي طالعة فوق الحقول والجبال والصحارى والقفار . كنت أود ذلك كثيرا ، نعم أنا أشاهدها كل ليلة فوق سقف المنزل ولا حاجز بيني وبين النجوم وجبالها ولكن أين الثريا وأين الثرى وأين منظر النجوم في القاهرة حيث المنازل والأبجزة المتصاعدة ودخان الآلات البخارية وبين منظرها في الخلوات ، ولقد هيا الله لي هذه الفرصة الآن لأصف في هذا التفسير تلك المناظر الجميلة أيضا لقوله تعالى - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب - فتوجهت الى مزرعتنا بجهة المرج وهي الى الجبل الشرقى أقرب وليس وراءها إلا الصحراء والجبل فبت بعض الليالي هناك في نفس الحقل في أواخر شهر يوليو سنة ١٩٣٠ واستيقظت قبل الفجر فماذا رأيت ؟ رأيت زينة حقيقية ، ياسبحان الله : نحن نشاهد فيما يقيمه الناس من الزينة في الولايم العاتمة وأفراحهم والموالد التي يحتفلون بها مصايح يوقدون فيها ويضعونها صفوفًا منتظمة ، وإذا هبت الريح أخذت تلك المصايح تضطرب اضطرابا يكسبها جلالا على جبال ، فهذا إذا في هذه الليلة اطلعت فنظرت المصايح السماوية تهتز طربا وقد ظهرت بهيئة لم أعهد لها في المدن ولا في القرى ، فلنك رأيت النجوم ليلا أيام الشباب وأنا في قرية كنا كفر عوض الله حجازي وهكذا في القاهرة ، ولكن هنا في الجبل والصحراء والحقل تبنت لي راقصة ضاحكة مستبشرة ، ما أبدع هذا المنظر ، إن فرق ما بين الثوابت والسيارات أن الأولى كثيرة الاضطراب أما الثانية فهي لا اضطراب فيها وإن كانت أكبر حجما في نظر العين ، وما أكثر الثوابت وما أقل السيارات ، لذلك كان ذلك المنظر أمامي أجمل مارأته عيني في الحياة وخيل لي اني في جنة عرضها السموات والأرض ، مبدعة أيما ابداع ، متقنة أيما اتقان ، قد ازينت ولكن للناظرين ، وحسنت ولكن للعالمين (بكسر اللام) وشعرت نفسي كأنها كانت في هذه الساحات الجميلة وقد أبعدت عنها بسفروانها رجعت الى مستقرها وفرحت بالرجوع الى وطنها . ومن الجيب أن الزراعين قد يبيتون في الحقول كما بت ، بل بعضهم نام في الحقل معي . هذه المناظر أمامهم ومع ذلك لا تحرك فيهم ساكنا ولا توقف فيهم ذاسنة فلجمال ظاهرها والمحسن باهرة وأكثر أهل الأرض لا يدرسون فيينا أرى الثريا قد أخذت تشرق طالعة اذا البران ذوات النور الأحمر قد تلاها وقد ساق أمامها نجومها بهيئة ضلعي مثلث ووراءه من المقعة ثم المنعة ونجوم الجبار التي يعبر عنها بالجوزاء فأذكرني ذلك ماجاء في «صبح الأعشى» من وصف هذه النجوم فأحببت ذكره وهاهوذا تحت هذا العنوان

﴿ الصنف الثاني : نجوم منازل القمر التي ينتقل فيها القمر من أول الشهر الى الثامن والعشرين منه ﴾

ونكتفي من هذا الفصل بما نحن فيه إذ ذكر الشرطين والبطين ثم أتبعهما بذكر الثريا فقال مانصه :

﴿ الثريا ﴾ ويسمى النجم علما عليها ، وبه فسر قوله تعالى - والنجم إذا هوى - وهي ستة أنجم صغار

يظنها بعض الناظرين سبعة أنجم ، وهي في شكل مثلث منساري السابقين ، وبين نجومها نجوم صغار جدا

كالشاش ، ومطلعها الى الشمال عن مطلع الشرطين والبطين ، وأول ما يطلع منها ويغيب هو الجانب العريض دون الأنفاذ منها ، وهي عند أصحاب الصور بالقرب من محل ذنب الثور المقطوع . قال ابن يونس : وليست من صورة الثور ، وبعضهم يسميها ألية الحمل لقربها منه

﴿ الدبران ﴾ ويسمى تالي النجم لكونه يطلع نوا الثريا ، وربما سمي حادى النجم لذلك ، ويسمى أيضا المجدح وعين الثور ، وهذه المنزلة سبعة أنجم تشبه شكل الدال ، واحد منها مضى . أحر عظيم النور ، واسم الدبران واقع عليه في الأصل ثم غلب عليه وعلى باقي المنزلة . وهذه الكواكب السبعة عند أصحاب الصور هي رأس الثور ، وأول ما يطلع منه طرف الدال ، ويصكون رميها إلى الجنوب وفتحها إلى الشمال ، والكوكب الأخر المضى . هو آخر ما يطلع منها ، والعرب تقول للكوكبين القرييين منه : كداه ، والباقي غنمه وربما قالوا . قلاصه ، ويقولون في خرافاتهم . إن الدبران خطب الثريا الى القمر فقالت . ما أصنع ببروت ؟ فساق اليها الكواكب المسميات بالقلاص مهرا ، فهربت منه فهو يطلبها أبدا ، ولا يزال نابعاها ، ومن ثم قالوا في أساطيرهم : أرفى من الحادى وأغدر من الثريا .

﴿ الحقة ﴾ سميت بذلك تشبيها بدائرة تكون في عنق الفرس ، وقدم القول عليها في الكلام على أوصاف الخيل ، وهي ثلاثة كواكب محيية صفار تسمى الأثافي ، وهي على أعلى القدم اليسرى من التوهم المعبر عنه بالجوزاء . اهـ

أقول : ومن أجل المناظر ماسماه الحقة وما عبر عنه بالجوزاء . نظرت فرأيت هذه النجمات تلبها نجوم دقيقة ممتدة في نظر العين قد صنعت قوسا بديعا جيلا واسعا بهجا كأنه عند من الماس رصعت به السماء فأبهج وزاد جاهها . ثم نظرت وراءها اذا أنا بنجوم الجوزاء التي يسمونها الجبار وهي أضوأ النجوم في نظر العين فهناك ثلاث نجوم من القدر الأول وأمامها نجوم أخرى تصنع معها ما يشبه زاوية حادة ويسمىها العامة ميزان تشبيها بميزان الباعة في بلادنا . ولقد وصفت نفس هذا المنظر في السنة الفاتية في نفس هذا التفسير في تفسير البسطة في بعض السور التي تلا سورة العنكبوت ولكن وصفها في هذه المرة جاء في الحقل لاني المنزل وتلا ذلك ما نقلته من كتاب « صبح الأعشى »

إن في الحقل لتسعا للخيال . تبدو المناظر للعين وتسمع الأذن طين الحشرات فكأنها حفلة جمعت ما يستر العين ويهيج الأذن . انهاجته مجلت للفكرين الذين يعقلون قوله تعالى - ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح - الألفاظ لتلك المدرسون ولتكن للسلمين مدارس في الحقول ليدرسوا الحقول والحدائق والأنعام والبهائم والأنهار والجبال نهارا ويدرسوا النجوم ليلا والأفليطوا انهم عن ربهم معرضون وعن الرقي في الدنيا والآخرة مبعدون . ولن يذهب ما كتبه عن هذه المناظر سدى سيشهد ما شهدته التلاميذ والمدرسون - تعرف في وجوههم نظرة النعيم - ولكم ينافس في ذلك المتنافسون -

وهل هذه المناظر يقف جاهها عند ما ذكرناه ؟ كلا . أوليست الجوزاء هي التي كشف العلماء اليوم كما تقدم في هذه السورة آتفا أن بعض نجومها أكبر من الشمس (٢٥) ألف ألف مرة ، ومعلوم أن شمسنا أكبر من أرضنا ألف مرة وثلاثمائة ألف مرة ، ويقولون إن ضوء الشمس بالنسبة لضوء ذلك الكوكب من الجوزاء المذكورة أشبه بنور الجباب بالنسبة لضوء الشمس ، إذن الجلال الظاهري الذي تمتع به هذه الليلة ليس شيئا مذكورا بالنسبة للعلوم المتخزة في هذه المناظر . إذن الدينافيهامفاتيح الجنة ، فأول مفاتيحها جمال الظواهر وبيانها العلوم التي عرفها نوع الانسان وراء هذه الظواهر والعلوم هي السعادة بل هي مفتاح الجنة ، ومن لم يشعر بالسعادة العلمية في هذه الحياة فكيف يسعد بالنظر الى مبدع هذا الجلال اهـ

﴿ امتحان عقول الناظرين من الأمم ﴾

انظرالى البدوى فى العراء المذكور فى «صبح الأعشى» كيف وقف أمام الدران والثريا والقمر ونصّور فى نفسه أن القمر خاطب والثريا مخطوبة والدران هو الندى ساق بأمر القمر النجوم السبعة لتكون مهرا ، فهذا تصوّر لطيف انتزعه الرجل من أحوال الانسان واخترع للسماء نظاما كنظام أهل الأرض فيه الأحوال الاجتماعية ، وتارة يقول قائلهم :

أليس الليل يجمعنى وسلمى * وإيانا وإياها تدانى

فههنا تخيل الليل خيمة قد جعلته مع سلمى وان تناوت الديار ، وبارة نسمع قائلا يقول من المتأخرين من الأمم الاسلامية العربية :

ياليل طل باشوق دم * إنى على الحالين صابر
لى فيك أجر مجاهد * إن صح أن الليل كافر
يهنيك بدرك حاضر * ياليت بدرى كان حاضر
حتى يبين لناظرى * من منهما زاه وزاهر
بدرى أرق محاسنا * والفرق مثل الصبح ظاهر

وأونة نسمع آخر يقول :

سل يا أنا البدر نجم الليل عن سهرى * تدرى النجوم ولا تدرى الورى خبرى

ونسمع آخر يقول فى ممدوحه وذلك فى حسن التعليل فى علم البديع :

لولم تكن نية الجوزاء خدمته * لما رأيت عليها عقد منتطق

فالبمدوى فى البادية كان خياله أقرب الى الفطرة ، أما المتأخرون فإن خيالهم نزل بالمنظر السماوية الى اللذات التى ملكت على تلك الأجيال مشاعرهم إذ ملكوا زمام الأمم وأغننتهم الغنائم بانساع الملك وكثرت لديهم الجوارى الحسان من الأمم فأخذوا يتفكرلون وجاراهم فى ذلك علماء اللغة وكلما زادوا ابداعا قيدوه فجعله من العلم ، ولم يكفهم ذلك حتى تخيلوا تلك النجوم قد تنزلت فصارت من خدام ملوكهم الذين يمدحونهم ، ولماذا هذا المدح ؟ ذلك لأجل الجوائز التى يأخذونها من مال الدولة بلامقابل إلا ذلك المدح ولكن الله كأنه يقول : إنا زيننا السماء للناظرين المفكرين فأما أن تكون النجوم لأجل الغزل أو لأجل التزلف للملوك فذلك كله خيال الشعراء - والشعراء ينبعهم الغاؤون -

إن شعر الأئمة وخيالها يدلان على درجتها ، وهذه الأمم العربية المتأخرة نسبت أصل الفضائل وأفرطت فى اللذات فرجعت الى باديها حتى تستقيم أجيالها كرة أخرى ثم بانى لها من يوقظها كرة أخرى ، وهذا المقام أوضحته فى «سورة الشعراء» عند تفسير هذه الآية وذكرت هناك ما قاله سيدىالفرنسى أن مجموع الشعراء عند الأمم العربية الاسلامية أكثر من مجموع الشعراء فى الأمم كلها ، ولكن الافراط فى الشعر عند المسلمين فى الأندلس والفسك والتعقل عند الاسبانين جعل الآخريين يغلبون الأولين والله فى خلقه شؤون وقد ذكرت هناك أن ذلك من معجزات القرآن فى آية الشعراء ، والله زين السماء للناظرين وقال :

- إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا - ولقد ابتلى الله آباءنا العرب لما عظم ملكهم واستولوا على فارس والروم فانصرف متأخروهم عن بهجة علوم الكائنات الى بهجة الغلمان والفتيات وابتدأ ذلك فى عصر بنى أمية وعظم فى عصر بنى العباس ، وانظر ماجاء فى الجزء الأول من كتاب « تاريخ آداب اللغة العربية » وهذا نصه :

كان الشاعر الجاهلى يقول الايات تفزلا فى حبيته يهبر بذلك عن حبه أو مانكنه جوارحه من الغرام

أوالشوق ولا يشب في غير حبيبته أو خطيته وقد سميها بغير اسمها . والغالب أن يكنى عنها بأحدى عرائس الشعر لثلا يعلم أهلها بتشبيهه فيمنعوه من التزوج بها . لانهم كانوا شديدى الغيرة على النساء حتى ان أحدهم اذا سطا عليه عدو وخاف على حياته منه عمد الى امرأته أو حبيبته فيقتلها غيره عليها من أن يمسه سواه بعد موته (١) ويندر في الجاهلين أن يشب شاعرهم بغير حبيبته . واذا فعل فلداع فوق العادة كما فعل دريد بن الصمة اذ رثى أخاه بقصيدة صدرها بأبيات غزلية (٢) وقد رأيت الشعراء العشاق في الجاهلية يعدون على الأصابع فأصبحوا في العصر الاموى أضعاف ذلك واكثروا من وصف الحب وأعراضه وأحواله

وذلك طبعى في الأمة بانتقالها من البداوة الى الحضارة وخصوصا اذا كان ذلك على أثر الفتوح وفيها الغنائم من السبايا فيصيب الرجل منهم جارية أو بضع جوارى في كل معركة ملكا حلالا له . وكانت السبايا في صدر الاسلام كثيرات وأكثرهن من الروم والفرس . والفاتحون يبعونهن أو يستخدمونهن في حاجات المنزل ويستبقون الجيلات ممنهّن للقسرى فتحركت القلوب وتنهت القرائح للمواضيع الغزلية وصار الشعراء يشبون بالنساء الجيلات . وكان الخلفاء الراشدون يعدون ذلك خروجا عن حرمة الادب فحذروا التشبيب ذنبا يستوجب القصاص . وكان عمر بن الخطاب لا يسمع بشاعر يشب بامرأة الا جلده (٣) فلما أفضت السولة الى بنى أمية وقد انتقلت عاصمتها من المدينة الى دمشق وكثر الاختلاط بالأعاجم وأخذ العرب بأسباب الحضارة وذهبت هبة العفة من نفوسهم وانقضت شدة الراشدين في المحافظة عليها هان عليهم التشبيب فاكثروا منه ولا سيما في المدينة لأن أهلها من أسبق المسلمين الى القصف واللهو لقيام بعض أبناء الصحابة بين اظهريهم وقد أغرقهم معاوية بالعطايا والرواتب ليشغلهم باللهو عن طلب الملك فكانوا ينفقون الاموال على المغنين ونحوهم فكثرت اللهو في المدينة وسبقت سائر المدائن الاسلامية الى الغناء وشاع القصف بين أهلها وتجراً الشعراء على التشبيب بغير أحبابهم وجاء في هذا الكتاب أيضا في موضع آخر مانصه :

كان في المدينة على عهد معاوية طائفة من أبناء الصحابة يخشى قيامهم للطالبة بالخلافة كما فعل أحدهم عبد الله بن الزبير فاعلمهم معاوية بالعطايا وقيدهم بالاحسان ووسعهم بالحلم فركنوا الى التمتع بالدنيا من طعام وشراب وسماع . ينفقون في ذلك الاموال وهى تندفق عليهم من خزائن الشام . فلما تولى عبد الملك بن مروان (سنة ٦٥ هـ) كانت المدينة قد أصبحت مسرحا للهو والغناء ونبع فيها طائفة من المغنين وتكاثر فيها المنشون وأهل القصف الا من كان فيها من الحفاظ والقراء اه المقصود منه

أفلاترى أيها الذكى أن فساد الأمم العربية في القرون المتأخرة انما حصل بكثرة الافراط في اللذات والانحراط في سلك الترف والتنعم الذى هو آفة العمران ، فالخلفاء الراشدون كما رأيت منعوا التشبيب وبنو أمية أباحوه والعباسيون أعظموا أمره ، ألا ترى معى أن الاسراف في ذلك ناجم من الاسراف في مال السولة وفي الانغماس في اللذات وهذا وذلك أبعث المسلمين عن معرفة جمال هذه الدنيا لأننا بين جالين : جمال يقصرنا على الشهوة الحيوانية وهو ما رأيت ، وجمال يفرحنا ويشرح صدورنا بجمال العلوم ومعرفتها والعروج الى الله بمعرفتها ، فان غلب الأول انحطت الأمة ، واذا غلب الثانى ارتقت ، وهذا معنى - لنبلوهم أيهم أحسن عملا - فالأرض مزودة بالجمال وكل يصيب منه ما استعد له . وكتاب الأغاني الذى انتشر في الخلفاء من أسباب كثرة الفجور وسقوط الأمة الأندلسية لأن أبناء الأشراف هناك كانوا يقرؤن المحاضرات المنقرعة عن ملوك العباسيين وعشقتهم للجوارى ومعاقره بنت الحان فظنوا ذلك حقا فاعتنقوا تلك المذاهب فهلكوا . كل ذلك داخل في معنى - إما زينا السماء الدنيا - الخ ومعنى - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا -

يا أمة الاسلام : هذبوا الأدب العربى . لانلقوا بالكتب الموروثة بين أيدي شبانكم . عشقوهم من إبان

(١) الاغانى ١٤٥ ج ١٢ (٢) الصمدة ١٢٢ ج ٢ (٣) الاغانى ٩٨ ج ٤

صفرهم في جبال السماء وجبال الأرض لافي الغزل والتشبيب . احذروا هنا الأدب فانه أدب ضال . فليروا
الأشعار الفاضلة لا الغزلية كآيات عمرو بن كلثوم في الفخر في معلقته إذ يقول :

إذا ما الملك سام الناس خسفا * أينما أن نقرّ الذل فينا

وكآيات زهير بن أبي سلمى إذ يقول :

ومن يك ذا فضل فيخل بفضله * على قومه يستغن عنه وبذم

وكقول طرفة بن العبد في معلقته :

لَمَعْرُكَ إِنِ أَلَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى * لِكَالطَّوْلِ الْمُرْخِي وَنَيْبَاهُ بِالْيَدِ

مَتَى مَا يَشَأُ يَوْمًا يَبْدُوهُ لِحْتَفِهِ * وَمَنْ بِكَ فِي أَسْرِ النَّبِيَةِ يَنْقَدِ

من ما يسمعه الفتى أيام حداثته عاتق لاشك بفؤاده ملازم له بقية حياته ، ونرى الفريجة في تعليمهم
للأحداث يدرسون لهم في المدارس كتباً فيها صور جميلة نباتية وحيوانية وسماوية فيعشقون العلم والبحث
والنظر في هذه العوالم . وهذا هو المنطبق بعض الانطباق على هذه الآية - إنا زينا السماء الدنيا - الخ وآية
- إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها - الخ

أفليس المسلمون أولى باقتفاء آثار القرآن . هأنذا حذرتكم أيها المسلمون . فأما أدب الأغاني والكتب
الأخرى التي تماثله فليس يجوز أن تكون عامة بل تخصص لها طائفة لحفظ المأثور . أما التعليم العام فيجب
حذف التشبيب منه بتاتا واستبداله بجمائب الدنيا الجميلة والله خير حافظا وهو أرحم الراحمين

(اعتراض على المؤلف وجوابه)

هنا سألتني أحد الفضلاء فقال : وهل في شرعة التأليف أن تذكر أشعار الغزل وذمها وأشعار الفضائل
ومدحها ومعاني المدينة فسوق الأندلسيين وذهاب دولتهم وهكذا ؟ هل الآية تحتمل هذا كله ؟ فقلت وأكثر
منه . إن الزينة السماوية والزينة الأرضية قد جمعنا جميع العلوم . فإذا صرف الانسان عقله للزينة العاتمة في
العوالم كان حكما . وإذا حصر عقله في الجزئيات فإن كانت مؤلة أورثته الشك كما تقدم عن اخوان الصفاء
وان كانت سارة كما في محاسن النساء وسائر الشهوات أورثته العصيان . فالزينة إذن تشمل العلوم كلها وتشمل
ما يبعثر النفس في الشهوات التي تخفض النفس وتمنعها من الرفعة في الدنيا والآخرة . أليس القرآن يفسر
بعضه بعضا . ألم يقل الله في سورة الكهف (بعد أن ذكر في أولها أن ما على الأرض زينة لها) - واتل
ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا * واصبر نفسك مع الذين يدعون
ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه
عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا -

إذن هذه الآية تكملة للآيتين في الصافات وفي الكهف . فهو يقول إن الزينة زينتان : زينة الحياة
الدنيا وهي مذمومة . وما هي زينة الحياة الدنيا ؟ قد فسرناها بقوله - المال والبنون زينة الحياة الدنيا -
وكل ما ألهانا عن العلم فهو زينة الحياة الدنيا وهي مذمومة . وكل ما ذكرته لك داخل في هذا . إذن هذا
كله تفسير للآية . إذن الآيات مرتبات هكذا

(١) - إنا زينا السماء الدنيا - الآية

(٢) - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها -

(٣) - ولا تعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا -

(٤) - المال والبنون زينة الحياة الدنيا -

(٥) - زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل

المسومة والأفهام والحرف ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب -

(٦) - أفن زين له سوء عمله فرآه حسنا -

فالأولى والثانية للزينة العامة . والثالثة أخرجت الزينة المهيجة للشهوات . والرابعة مفصلة بعض التفصيل للثالثة . والخامسة مفصلة للرابعة . والسادسة لبيان أن الزينة قد تعدت ذلك الى سوء أعمال الناس التي رأوها حسنة في بادئ الرأي . إذن كل ما ذكرناه هنا لا بد منه حتى نعرف لماذا زين الله لنا السماء وما الزينة المضمومة ؟ وما الزينة الممدوحة ؟ وهل الفول إلا ما يرجع الى النساء المذكورات في هذه الآيات ؟ وهل يضير أمثال ما كتبناه يكمل انتفاع المسلمين بمجمال آيات القرآن . فقال : * إن من البيان لسحرا *
فقلت : اللهم إني أجدك على البيان والتبيين وانشرح الصدور واطهار الحقائق لأم الاسلام . انتهى
صباح يوم الأربعاء (١٣) أغسطس سنة ١٩٣٠ م

(نور على نور)

أذكرك بما تقدمت في أول (سورة البقرة) عند آية الجنة واتي نقلت لك هناك عن الامام الغزالي في الاحياء أن العلم جنة العارفين وأن الجنة الحسية للجاهلين فارجع اليه هناك فأى علم هذا الذي اذا أدركناه يكون جنة ياليت شعري : أعلوم اللغات من الصرف والنحو والبلاغة التي فتن بالوقوف عند حدتها المتدوعون من الأجيال الفاتنة الاسلامية بعد العصور الثلاثة الأولى الذين لم يجدوا لهم منقذين من الجهل ، وكلما نبغ نايغ لينقلهم كفروه جهالة ونذالة ، أم علم الفقه وأصوله مع الوقوف عليهما . كلا . بل هي العلوم التي بها تعرف نظام هذا العالم (وبعبارة أخرى) هي العلوم التي قد جمع زهراتها هذا التفسير
الله أكبر : أليس في تقديم الكلام على تلك العلوم في هذه السورة شاهد على ذلك . أم يقدم الله هنا ذكر جلال العوالم وزينة السماء على ذكر قصرات الطرف الحور العين اللائي كأنهن البيض المكنون وعلى ذكر كأس المعين البيضاء التي تلذ الشارين ولا تضر عقولهم ولا تسكرهم بل قدم الله آية جلال العوالم وزينة السماء على ذكر لذات الجنة وحورها وخزنها فقال - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب - ولا جرم أن هذه لذة العقول ولذات الجنات الظاهرة حسية ولذات العقول أقوى من لذات الأجسام ولذات الجنات كانت لذة الملوك والقواد أشد من لذات العمال والصناع ، وفوق هؤلاء وهؤلاء لذات العلماء ، واللذة بالمعرفة لاخذ لها ، والله يوم القيامة يجعل الناس في منازلهم بحيث لا يتخطونها فمن لم يعرف من اللذات إلا النساء والشرب والأكل أدخله الجنة الحسية ، ومن ارتقى فوق هذه الطبقة فعرف الله أعطاه فوق ذلك النظر الى وجهه على مقدار علمه في الدنيا فيزيد هناك انكشافا

(سوانح وخواطر في هذا المقام)

يظهر لي أن معنى الشجاعة والحب هما الصفتان اللتان بهما سعادة الحياة والممات ، وأن الجبن والبغض بهما شقاء الحياة والممات ، وللعجب مفتاح وهذا المفتاح والحمد لله أصبح في أيدي الأذكيا قارئ هذا التفسير وهو النظر في جلال هذه العوالم . فكلما زدنا علما زدنا حبا لصانع العالم . وهذا الحب يجعل حياتنا كلها نشاطا في أعمالنا ونحس فيها بشعور المحبة الانسانية العامة والخاصة . فترى الذين وصلوا الى هذه الدرجة مغرمين باسعاد الأم لأن العالم في نظرهم أصبح واحدا ويقدمون اسعاد أم الاسلام الذين هم أقرب اليهم ولا يتلكؤن في اسعاد الأم الأخرى . فياليت شعري كيف يرى الانسان ذلك الجلال العام الذي ضربت لك مثله بما شاهدته في الحقل هذه السنة في آخر شهر يوليو سنة ١٩٣٠ ليل قليل الفجر في أول هذا المقال من بدائع الجلال والنور المشرق في سائر الأرباء . وذلك الجلال وذلك النور دراهما ما هو أجل وأبهى وأبهى وهي

نفس الحقائق العلمية . أقول كيف يرى الانسان ذلك وانه لاحد له في البهجة والكمال والامتداد ولا تكون حياته كلها علما وجالا واسعادا للناس قاطبة . ثم كيف يرى ذلك مم يخاف من الموت وقد علم علما ليس بالظن أن روحه في يد مبدع هذا الجلال لاسيما انه أحبه وبقدر المحبة تكون لفته النظر للحجوب . وهذه الأجسام مائة منه . فاذن تكون هذه الحياة عاتقة عن النظر . إذن هذا الحب تصعبه الشجاعة فاذا لم يخف من الموت فم يخاف إذن فلامصيبة في هذه الأرض أقوى عند الانسان من الموت فاذا لم يكن مصيبة أصبحت جميع أحوال الحياة سهلة وضعفت آثار ما نسميه مصائب فيها . فهنا أصطحبت الشجاعة مع الحب وبضدها تميز الأشياء . فاذا عاش الانسان جاهلا فلم يعرف هذه الجباب لم يدخل الحب قلبه . واذا عمل عملا صالحا لم يكن له باعث عليه إلا أحد أمرين : إما أن ينتظر المكافأة عليه في الدنيا على أيدي الملوك والأمراء والعامة واما أن ينتظرها في الآخرة بالطور الحسان وكأس المعين والحلى والحلل . وهذا وما قبله آثارهما أضعف من آثار المحبين لربهم أولئك الذين يعملون في الدنيا ويرون انهم سعداء بنفس أعمالهم ويرون اطلاع محبوبهم على أعمالهم خير مشجع لهم وهؤلاء سعدتهم في الآخرة تكون على هذا المنوال فهم أبدا في ازدياد العلم ونفس العلم لهم سعادة حقيقية ولوانهم منعوا ذلك النعيم ووقفوا عند حد المطاعم والمشارب والطور لرأوا أنهم معذبون عذابا لا يطاق . وفي هذا العالم اليوم من اذا قال له الملك أنا أعطيك أجل جارية عندي تحظى بها ومن المال ماتنتهي ولكن لا تحضر مجلسي لأنك لا تصلح للوزارة ولا للشاورة ولا للخدمة لكان ذلك عليه أشد من الموت لأنه إذ ذاك سقطت كرامته في نفسه وأصبح ذليلا مهينا . فاذا كان هذا في الطبقة الوسطى وهم الملوك والأمراء ومن على شاكلتهم وهم أرباب اللذة الوسطى فما بالك بمن فوقهم من أرباب اللذة العليا العقلية وهم الحكماء ، ولقد قدمنا كثيرا في هذا التفسير أن لفته المحسوسات أدنى ولفته الحكم والغلبة أرقى كلمة الأسد بنسبة لفته العز والفرال . فأما لفته العلم والحكمة فهي أحق من جميع اللغات . ولن يصدق هذا القول إلا من عرف هذه الأقسام الثلاثة وجربها بنفسه فان من لم يجرب ولم يذق فستحيل عليه أن يصدق ذلك أو يتصوره والله الخلق والأمير وهو رب العالمين

مم إن هؤلاء المحبين لربهم بسبب هذه العلوم يرون أن كل من أحب غيره فان ذلك المحبوب يشعر بحب من أحبه وهذه تعطيم تشجعا إذ يرون أن الله يحبهم حبا يليق بجلاله لا تحب المخلوق لاسيما اذا قرؤا قوله تعالى - يحبهم ويحبونه - وقوله - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله ويغفر لكم ذنوبكم - واعلم أن الأذكياء من قرءاء هذا التفسير سيكون حبههم لله مفرطاً . ذلك أن الانسان كلما ازداد علما ازداد حبا . وهذا العلم الموجب للحب انما هو علم الجباب والجباب في كتب الحيوان والنبات والمعادن وعلم طبقات الأرض والفلك وغيرها مشتتة في الكتب بل صعبة الفهم فلذلك لا نجد البارعين في تلك العلوم عندهم هذه المحبة بل ربما أنكروا الالهية أو صدقوا بها ولكنهم غافلون لأن علومهم أخذوها منفصلة غير متصلة ولا موصلة لمبدعها . أما في هذا التفسير فانها متصلة مفضلة . إذن هي موصلة لذلك الحب ولم تكن هذه الجباب في القرون الأولى واضحة لعموم الناس كما اوضحت في هذا الزمان لاسيما بالصور الفوتوغرافية . وسيزيد يقينك بما كتبت الآن ما أقله لك عن الامام الغزالي في الاحياء تحت العنوان الآتي وهذا نصه :

﴿ بيان السبب في تفاوت الناس في الحب ﴾

اعلم ان المؤمنين مشتركون في أصل الحب لاشتراكهم في أصل المحبة ولكنهم متفاوتون لتفاوتهم في المعرفة وفي حب الدنيا إذ الأشياء انما تتفاوت بتفاوت أسبابها وأكثر الناس ليس لهم من الله تعالى إلا الصفات والأسماء التي قرعت سمعهم فلتقنوها وحفظوها وربما تخيلوا لها معاني يتعالى عنها رب الأرباب وربما لم يطلعوا على

حقيقتها ولا تخيلوا لها معنى فاسد ابل آمنوا بها ايمان تسليم وتصديق واشتغلوا بالعمل وتركوا البحث وهو لاهم
 أهل السلامة من أصحاب اليمين والتخيلون هم الضالون والعارفون بالحقائق هم المقرّبون وقد ذكر الله حال
 الأصناف الثلاثة في قوله تعالى - فأما ان كان من المقرّبين فروح وريحان وجنة نعيم - الآية فان كنت لاتفهم
 الأمور الابالأمثلة فلنضرب لتفاوت الحب مثالا فنقول أصحاب الشافعي مثلا يشتركون في حب الشافعي رحمه الله
 الفقهاء منهم والعوام لانهم مشتركون في معرفة فضله ودينه وحسن سيرته ومحمد خصاله ولكن العايم يعرف
 علمه بجلا والفقية يعرفه منفصلا فتكون معرفة الفقيه به أم و إعجاب به وجه له أشد فان من رأى تصنيف
 مصنف فاستحسنه وعرف به فضله أحب له لا محالة ومال اليه قلبه فان رأى تصنيفا آخر أحسن منه وأعجب تضاعف
 لا محالة حبه لانه تضاعفت معرفته بعلمه وكذلك يعتقد الرجل في الشاعر انه حسن الشرفي حبه فاذا سمع من
 غرائب شعره ما عظم فيه حذقه وصنمته ازداد به معرفة وازداد له حبا وكذا سائر الصناعات والفنائل والعايم
 قد يسمع أن فلانا مصنف وانه حسن التصنيف ولكن لا يدري ما في التصنيف فيكون له معرفة بجملته ويكون له
 بحسبه ميل بمجل والبصير اذا اقتبس عن التصانيف واطلع على ما فيها من العجائب تضاعف حبه لا محالة لان عجائب
 الصنعة والشعر والتصنيف تدل على كمال صفات الفاعل والمصنف والعالم بمجملته صنع الله تعالى وتصنيفه والعايم
 يعلم ذلك ويعتقده وأما البصير فانه يطلع تصنيف صنع الله تعالى فيه حتى يرى في البعوض مثلا من عجائب صنعه
 ما ينهر به عقله ويتحير فيه له ويزداد بسببه لا محالة عظمة الله وجلاله وكمال صفاته في قلبه فيزداد له حبا وكلما
 ازداد على أعاجيب صنع الله اطلاعا استدل بذلك على عظمة الله الصانع وجلاله وازداد به معرفة وله حبا وبحر هذه
 المعرفة أعني معرفة عجائب صنع الله تعالى بحر لا ساحل له فلا جرم تفاوت أهل المعرفة في الحب لاحصر له وما يتفاوت
 بسببه الحب اختلاف الأسباب الخفية التي ذكرناها للحب فان من يحب الله مثلا لكونه محسنا اليه منعما عليه
 ولم يحبه لذاته ضعفت محبته إذ تتغير بتغير الاحسان فلا يكون حبه في حالة البلاء كحبه في حالة الرضا والنعماء وأما
 من يحبه لذاته فلانه مستحق للحب بسبب كماله وجماله ومجده وعظمته فانه لا يتفاوت حبه بتفاوت الاحسان اليه
 فهذا وأمثاله هو سبب تفاوت الناس في المحبة والتفاوت في المحبة هو السبب للتفاوت في سعادة الأخرة ولذلك قال
 تعالى وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا

(بيان السبب في قصور أفهام الخلق عن معرفة الله سبحانه وتعالى)

اعلم أن أظهر الموجودات وأجلها هو الله تعالى وكان هذا يقتضى أن تكون معرفته أول المعارف وأسبقها
 الى الافهام وأسهلها على العقول وترى الأمر بالضد من ذلك فلا بد من بيان السبب فيه وانما قلنا انه أظهر
 الموجودات وأجلها لمعنى لانهمم الابدال وهو انا اذا رأينا انسانا يكتب أو يخيط مثلا كان كونه حيا عندنا من
 أظهر الموجودات خيانه وعلمه وقدرته وارادته للخياطة أجلى عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة اذ صفاته
 الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه ومحبته ومرضه وكل ذلك لا نعرفه وصفاته الظاهرة لانعرف بهضاه بعضه انشك
 فيه كقصدار طوله واختلاف لون بشرته وغير ذلك من صفاته أما خيانه وقدرته وارادته وعلمه وكونه حيوانا
 فانه جلي عندنا من غير أن يتعلق حس البصر بخيانه وقدرته وارادته فان هذه الصفات لانحس بشئ من
 الحواس الخمس مم لا يمكن أن تعرف خيانه وقدرته وارادته الابحياطة وحركته فلو نظرنا الى كل ما في العالم
 سواء لم نعرف به صفة فاعليه الادليل واحد وهو مع ذلك جلي واضح ووجود الله تعالى وقدرته وعلمه وسائر
 صفاته يشهدله بالضرورة كل ما نشاهده ونذكره بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر ومدر ونبات وشجر وحيوان
 وسماء وأرض وكوكب وبرّ وبحر ونار وهواء وجوهر وعرض بل أول شاهد عليه أنفسنا وأجسامنا وأوصافنا
 وتقلب أحوالنا وتغير قلوبنا وجميع أطوارنا في حركاتنا وسكناتنا وأظهر الأشياء في علمنا أنفسنا محسوساتنا

بالحواس الخمس ثم مدركنا بالعقل والبصيرة وكل واحد من هذه المدركاته مدرك واحد وشاهد واحد ودليل واحد وجميع ما في العالم شواهد ناطقة وأدلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحركها ودالة على علمه وقدرته ولطفه وحكمته والموجودات المدركة لاحصر لها فان كانت حياة الكائن ظاهرة عندنا وليس يشهد لها الا شاهد واحد وهو ما أحسنابه من حركة يده فكيف لا يظهر عندنا مالا يتصور في الوجود شيء داخل نفوسنا وخارجها الا وهو شاهد عليه وعلى عظمته وجلاله اذ كل ذرة فانها تنادي بلسان حالها انه ليس وجودها بنفسها ولا حركتها بذاتها وانها تحتاج الى موجد ومحرك لها . يشهد بذلك أولا تركيب أعضائنا واتلاف عظامنا وحوامنا وأعصابنا ونبات شعورنا وتشكل أظرفنا وسائر أجزائنا الظاهرة والباطنة . فانا نعلم انها لم تأتلف بأفئتها كما نعلم أن يد الكائن لم تتحرك بنفسها ولكن لما لم يبق في الوجود شيء مدرك ومحسوس ومعقول وحاضر وغائب الا وهو شاهد ومعترف عظم ظهوره فانبهت العقول ودهشت عن ادراكه فان ما تقصر عن فهمه عقولنا فله سببان : أحدهما خفاؤه في نفسه وغموضه وذلك لا يخفى مثاله : والآخرا ما يتناهى وضوحه وهذا كما أن الخفاش يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار لالخفاء النهار واستتاره لكن لشدة ظهوره فان بصر الخفاش ضعيف يبهره نور الشمس اذا أشرفت فتكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سببا لامتناع إبصاره فلا يرى شيئا إلا اذا امتزج الضوء بالفلام وضعف ظهوره فكذلك عقولنا ضعيفة وجمال الحضرة الالهية في نهاية الاشراف والاستنارة وفي غاية الاستغراق والشمول حتى لم يشذ عن ظهوره ذرة من ملكوت السموات والأرض فصار ظهوره سبب خفائه فسبحان من احتجب بأشراق نوره واختفى عن البصائر والابصار بظهوره ولا يتعجب من اختفاء ذلك بسبب الظهور فان الأشياء تسبان بأضدادها ومعهم وجوده حتى انه لا ضلله عسر ادراكه فلو اختلفت الأشياء فدل بعضها دون بعض أدركت التفرقة على قرب ولما اشتركت في الدلالة على نسق واحد أشكل الأمر ومثاله نور الشمس المشرق على الارض فانا نعلم انه عرض من الأعراض يحدث في الأرض ويزول عند غيبة الشمس فلو كانت الشمس دائمة الاشراف لا غروب لها لكننا نظن أنه لاهية للأجسام الألوانها وهي السواد والبياض وغيرهما فانا لانشاهد في الاسود الا السواد وفي الأبيض الا البياض فأما الضوء فلاندركه وحده ولكن لما غابت الشمس وأظلمت المواضع أدركنا تفرقة بين الحالين فعلمنا أن الاجسام كانت قد استضاءت بضوء واتصفت بصفة فارقتها عند الغروب فعرفنا وجود النور بعدمه وما كنا نطلع عليه لولا عدمه الا بعسر شديد وذلك لمشاهدتنا الاجسام متشابهة غير مختلفة في الفلام والنور . مع أن النور أظهر الحسوسات إذ به تدرك سائر الحسوسات فما هو ظاهر في نفسه وهو مظهر لغيره انظر كيف تصور استنباه أمره بسبب ظهوره لولا طريان ضده فإلله تعالى هو أظهر الأمور وبه ظهرت الأشياء كلها ولو كان له عدم أو غيبة أو تغير لانهتت السموات والأرض وبطل الملك والملكوت ولأدرك بذلك التفرقة بين الحالين ولو كان بعض الأشياء موجودا به وبعضها موجودا بغيره لأدركت التفرقة بين الشئين في الدلالة ولكن دلالة عامة في الأشياء على نسق واحد ووجوده دائم الاحوال يستحيل خلافه فلا جرم أدركت شدة الظهور خفاء فهذا هو السبب في قصور الافهام وأما من قويت بصيرته ولم تضعف منته فانه في حال اعتدال أمره لا يرى الا الله تعالى ولا يعرف غيره يعلم أنه ليس في الوجود الا الله وأفعاله أثر من آثار قدرته فهي تابعة فلا وجود لها بالحقيقة دونها وانما الوجود للواحد الحق الذي به وجود الافعال كلها ومن هذه حاله فلا ينظر في شيء من الأفعال الا يرى فيه الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث انه سماء وأرض وحيوان وشجر بل ينظر فيه من حيث انه صنع الواحد الحق فلا يكون نظره مجاوزا الى غيره كمن نظر في شعر انسان أو خطه أو تصنيفه ورأى فيه الشاعر والمصنف ورأى آثاره من حيث أثره لا من حيث انه حبر وعص ورازج مرقوم على بياض فلا يكون قد نظر الى غير المصنف وكل العالم تصنيف الله تعالى فنظر اليه من حيث انه فعل الله وعرفه من حيث انه فعل الله وأحبه من حيث انه فعل الله لم يكن ناظرا الا في الله ولا عارفا الا بالله

ولاحبا الاله وكان هو الموحد الحق الذي لا يرى الا الله بل لا ينظر الى نفسه من حيث نفسه بل من حيث انه عبد الله فهذا يقال فيه انه فنى في التوحيد وأنه فنى عن نفسه واليه الاشارة بقول من قال كنا بنا ففينا عنا فبقينا بلا نحن فهذه أمور معلومة عند ذوى البصائر أشكات لضعف الافهام عن دركها وقصور قدرة العلماء بها عن إيضاحها وبيانها بعبارة مفهومة موصلة للغرض الى الافهام وباشتغالهم بانفسهم واعتقادهم أن بيان ذلك لغيرهم مما لا يعينهم فهذا هو السبب في قصور الافهام عن معرفة الله تعالى وانضم اليه أن المدركات كلها التي هي شاهدة على الله انما يدركها الانسان في الصبا عند فقد العقل ثم تبدو فيه غزيرة العقل قليلا قليلا وهو مستغرق الهم بشهوته وقد أنس بمدركاته ومحسوساته وألقها فسقط وقعها عن قلبه بطول الانس ولذلك اذا رأى على سبيل الفجأة حيوانا غريبا أو نباتا غريبا أو فعلا من أفعال الله تعالى خارقا للعادة عجيبا انطلق لسانه بالمعرفة طبعا وأعضاؤه فقال سبحان الله وهو يرى طول النهار نفسه وأعضائه وسائر الحيوانات المألوفة وكلها شواهد قاطعة لا يحس بشهادتها لطول الانس بها ولو فرض أنك بلغ عاقلا ثم انقضت غشاوة عينه فامتد بصره الى السماء والأرض والأشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجأة تخيف على عقله أن يفهم لعظم تعجبه من شهادة هذه العجائب لخالقها فهذا وأمثلة من الأسباب مع الانهماك في الشهوات هو الذي سد على الخلق سبيل الاستضاءة بأنوار المعرفة والسباحة في بحارها الواسعة فالناس في طلبهم معرفة الله كالدهوش الذي يضرب به المثل اذا كان راكبا لحماره وهو يطلب حماره والجلبيات اذا صارت مطلوبة صارت معاتضة فهذا سر هذا الأمر فليحقق ولذلك قيل

لقد ظهرت فما تخفى على أحد * الاعلى ا كنه لا يعرف القمر
لكن بطلت بما أظهرت محتجبا * فكيف يعرف من بالعرف قد ستر

﴿ زبرجدة ﴾

(في قوله تعالى - فأتبعه شهاب ثاقب - وظهور أسرار القرآن في عصرنا الحاضر)

اعلم أيها الذكي أن كثيرا من العقلاء وأهل العلم والفلسفة اذا سمعوا هذه الآية توهموا وظنوا أن هذه لا تخلو من أحد أمرين : إما أن تكون أمرا خياليا وضع للوعظ والتعليم ، ولما انه مجاز ، فلما أن يكون هناك شياطين يرتقون الى السماء ومتى وصلوا اليها سمعوا الملائكة وأن شهابا تقابلهم في طريقهم فتمنعهم ، فهذا مما لا سبيل اليه بحسب ما نشر من العلوم

هنا هو الذي يظنه أكثر أهل العلم في زماننا وفي كل زمان . واعلم أن العلم الناقص هذا شأنه فيحكم بما علم على ما لم يعلم ، وهأنذا باسط لك أيها الذكي آراء المتقدمين وعلماء العصر الحاضر في هذه المسألة لتقف أولا على حقيقة الشهب بحسب العلوم المدونة في زماننا ثم أحدثك بعدها عما فتح الله به من أسرار هذه الآية ليذول الحرج من صدرك وتعلم من العلم ما لم ينله كثير من الفضلاء وليتلج صدرك ولتكون من الموقنين الفرحين بالعلم الذي هو جنة مجلبة للعارفين في هذه الحياة الدنيا فأقول والله الفضل والممة وهو رب العالمين قد تقدم بعض هذا المقام في سورة الحجر ولكن هنا لا بد من استيفائه فأقول نافلا عن كتابي « بهجة العلوم في الفلسفة العربية وموازتها بالعلوم العصرية » وهذا نصه :

﴿ حوادث كرة الاثير من الشهب الساقطة وانقضاض الكواكب ذوات الاذئاب ﴾

أما الأقدمون فيقولون اننا نرى في السماء صورة أعمدة مخروطة قائمة قاعدتها مما يلي كرة النار ومخروطها مما يلي وجه الارض وما هي الاذخان يابس لطيف سعد من الأرض كما قدمناه والجال والبرارى فاذا بلغت الأبخرة الكرة الزمهريرية تتلاقى في أعلاها بكرة الأثير وهي الكرة النارية التي حدثت فوق كرة الزمهرير بسبب سرعة الحركات الفلكية التي ولدت الحرارة فأنشأت هذه الكرة ونقل حرارتها كلها اقتربت من كرة

الزمهرو الفاصلة بينها وبين كرة النسيم فاذا بلغ الدخان كرة الأثير المذكورة اشتعل نارا كما ترى الدخان الطائر من السراج المتلطي يشتعل بملاقاته لسراج متقد وكما ترى تشتعل في النفط الابيض ثم تفتيه بسرعة فينطفئ وانما اعتبروها دخانا محترقا لانهم يقولون انها تظهر في أيام الجذب أكثر والجذب يقل معه المياه في الارض فيقل البخار ويكثر الدخان ويستدلون على انه دخان أيضا بأن النار عند اشتعالها فيه ترى عظمة فلا تزال تقل حتى تختفي فيخيل للناظرين انها نار نارلة من السماء . وتارة ترى كأنها كرة صغيرة متدحرجة على سطح كرة كبيرة فهي تتبدى في حركتها من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق ومن الجنوب الى الشمال وبالعكس وتارة تنسكب فكأنها في نظر العين كرة من فطن اشتعلت فيها النار ثم رميت في الهواء وكلما احترقت بالنار تنار شررها وصغرت حتى تفتي . ومما لها الكرة التي يلعب بها أصحاب الخيالات يجنونها من سندروس وأجزاء عقاقير ويشعلون فيها النار ويأخذونها في أفواههم فاذا رقصوا أو تنفسوا رأيت النار تخرج من أفواههم ومن آخرهم وهكذا حتى تفتي . ويقولون في ذوات الأذئاب انها تظهر قبل طلوع الشمس أو بعد غروبها ولا تحدث إلا في كرة الأثير وهي تدور مع فلك القمر على توالي البروج كسير الكواكب السيارة وتارة تتأخر راجعة ومادتها هي المادة المتقدمة البخارية ولكن هذه أطف فتعقد وتكون شفاقة كالبلور واذا أشرفت عليها الشمس شفت من الجانب الآخر فلا يزال المذنب يشرق ويفرب حتى يمحى من الوجود . وملخص كلام القدماء أن الدخان اعلى في الجوق واشتعلت فيه النار ككرة القطن أو كالنفط المشتعل أو كالسندروس المخبون مع غيره . وأن نجمة الذنب أشف مادة وأبقى مدة وأطول أجلا ثم تضمحل . سبب هذا الرأي . أنهم كانوا يرون نعا للقدماء ان الكواكب لا تقتاتر ولا تنكسر ولا يكون فيها شظايا لأنها باقية الى الأبد وقد علمت بطلانه

(أراء علماء العصر الحاضر في المذنبات والشهب والنيازك)

المذنب نجم ذو ذنب فله رأس وله ذنب وهو أنواع منه ما لا ذنب له وهي كثيرة القلب وقد تكون ريوس المذنبات أجساما مستقلة . وأما الأذئاب فهي أجسام كبيرة لطيفة المادة دقيقة لها ولطاقة الأذئاب مستتجة من خفتها ولقد نعلم أن السيارات تسير في مدار واحد لجهة واحدة . أما المذنبات فلانظام لها في سيرها وأما أكثرها فهي كسمك البحر عدا . وذنبها يكون أكثر ظهورا كلما اقتربت الرأس من الشمس والرأس تنجذب نحو الشمس متى اقترب المذنب منها . فأما الذنب فأنما يكون اندفاعه الى الجهة الاخرى ومذنب (دوناتي) أول ما ظهر في شهر يونيو سنة ١٨٥٨ واختفى عن العين بعد قليل ونور المذنب ليس مستعرا كنور القمر وكرة هذه النجمة يسمى نواة أو لبا ورؤية ذوات الذنب لا يمكن الا في جزء من مدارها أي حين قربها من الشمس وذوات الذنب متفاوتة في المقدار والضوء فهما تتعسر رؤيته ولو بالآلة . ومنها ما يشتعل بسبب عظم ذنبه ثلث السماء أو نصفها بحيث يكون أعظم من ٦٠ درجة الى ٩٠ فالنجمة التي ظهرت سنة ١٨١١ افرنكية كانت لا تكاد ترى فكما قربت من الشمس صارت بخارا وأضفى جومها شفاقا وهي لا ترجع الا بعد ٣٠ قرنا ولم يتحقق العلماء من رجوع نجوم ذات ذنب عما رصدها الا اثنتين وهما

(١) نجمة هليه التي تقطع فلكها في ٧٥ سنة ونصف وقد ظهرت سنة ١٩١٠

(٢) النجمة القصيرة الدور وهي تقطع فلكها في ثلاث سنين ونصف وقد ظهرت سنة ١٨٢٩ وفيها بعدها ومن النجوم ذوات الذنب ما لا تقطع فلكها الا في عدة قرون . ومنها ما يذهب جهة النجوم الثابت فيخفي عنا ولا يرجع أبدا

اذا رؤيت ذوات الذنب لا يحكم عليها بأنها دورية أو غير دورية وكيف يعلم ذلك وقد علم أن مدد دورة

بعضها يعد بالالوف أو بمئات الالوف من السنين حتى ترجع ومن ذابض من رجوعها

الشهب والنيازك . الكرات النارية . الحجارة الجوية

الشهب جمع شهاب وهو ما يرى كأنه كوكب اقض والنيازك جمع نيزك وهو مغرب (نيزه) بالفارسية

ومعناه الرجح التصبر ويطلق على الشهاب تشبيها ويقال شهاب ثاقب ونجم ثاقب لانه يشق الظلام بضوئه :

(الشهب)

الشهاب ما يرى في الليالي قد اقتض من السماء وليس كوكبا وإنما هي أجسام صغيرة ربما لا تزيد الواحدة عن حجم البلاطة وهذه الأجسام كثيرة جدا ومنها مجموعة تسمى الاسديت وهي تم دورتها حول الشمس في شكل اهليلجي في ٣٣ سنة ولا يحصى عدد هذه الشهب وقطرها ١٠٠٠٠٠ ميل أو أكثر . والأرض لا تخترق في سيرها هذه الاسديت الا ثلاث مرات كل مائة عام وآخر مرة كانت سنة ١٨٦٦ وفي كل مرة تضيف آلاف الآلاف من هذه الشهب أو النيازك مما ينزل على سطحها . وأما النور الذي يظهر من تلك الشهب فأنما يكون من سرعتها واحتكاكها بمادة الجو كما يتضح الزناد وهي أكثر سقوطا في ليال معلومة فهي تزيد في ١٠ اغسطس و١٣ نوفمبر وتقل في ٢٠ ابريل و٢٧ نوفمبر و١٨ و٢٠ أكتوبر و٦ و٩ و١٣ ديسمبر ويقال ان عدد الشهب التي نراها بالعين المجردة والمقارب المتوسطة مما يخترق جونا كل عام يبلغ نحو ١٥٠٠٠٠٠٠٠ والآلاف آلاف منها تصيب أرضنا وتبقى عليها

(الكرات النارية)

هي أيضا أجسام مضيئة تظهر وتختفي بسرعة كالشهب ولكنها أبطأ منها وتترق غالبا بالقرب من الأرض فتحدث فرقة وقد يكون منها اهتزازات وما يقع منها على الأرض يسمى الحجارة الجوية ويدخل في تركيبها الحديد والسليس والنيوزيا والنيكل وغيره وارتفاع الشهب من ٨ كيلو مترا الى ٦٠ و ١٠٠ و ٢٠٠ كيلو مترا وسرعتها متغيرة كارتفاعها وقد تساوى سرعة الأرض بل تزيد عنها ويقولون ان هذه الكرات عبارة عن مادة قطعها صغيرة الجرم دائرة حول الشمس ومتى قربت الأرض منها جذبت اليها بعض تلك القطع فنسقط نحو الأرض وتشتعل في الجو على هيئة شهب أو تسقط الى الأرض على هيئة حجارة جوية اه . فتأمل تجد الفرق بين القدماء والمحدثين ان الاولين يزعمون أن تلك المذنبات والشهب والنيازك والكرات عبارة عن بخار أرضي قابل النار فاحترق . وعلماء العصر الحاضر يقولون سلنا بالاحتراق من الاحتكاك لامن كرة الأثير فنحن لا نقر بها ولكن لانسلم ان المحترق هو البخار كلا وإنما المحترق اجسام وقطع صغيرة دائرة حول الشمس كما يدور سرب الحمام والقطا في الجو فتي مرت الأرض به في أيام معلومة اختلطت منها آلافا مؤلفة فطبختها بالحرارة في جوها من الاحتكاك بها كاحتكاك الزناد مم التهمت فأكلتها وكان هذه الاسديت المذكورة وأمثالها قطعان من البقر والغزلان تأكل منها الأرض اذا مرت بها وقد جاءت وقد تأكل في أوقات معلومة فان للأرض كل ثلاث وثلاثين سنة مدة يقال لها الفرق بين السنين القمرية والسنين الشمسية ويكون الفرق بينهما سنة في تلك المدة وتلك المدة بنفسها هي التي تمر فيها في الاسديت فاذا كان مائة سنة يكون الفرق بين السنين الشمسية والقمرية ثلاث سنين فهكذا ستمر في تلك الاسديت لتأخذ زادا للسفر ثلاث مرات فكم في الكون من حجب وقبل ما تبلمه تصلحه بالنار في جوها كما تفعل نحن في طعامنا وأقول لقد اطلعت على بعض تلك الأشجار التي حفظت في المتاحف المصرية والله أعلم

(توضيح الفرق بين المحدثين والقدماء فوق ما تقدم)

فانظر أيها العاقل للعقول الانسانية قديما وحديثا فالقدماء لما اعتبروا الأرض مركز العالم والسماء لا كسر فيها جعلوا ذوات الذنب والسهام والكرات النارية من الأرض . والمتأخرون قالوا كلا إنما هي أجرام دوائر حول الشمس تنزل اليها وترى فوق سطحها والجميع عرفوا أنها تارة تكون سهاما وتارة تكون كرات وان نورها في الجو وحرارتها بالحركة والسرعة عند المتأخرين وان النار أحرقت الدخان عند المتقدمين وكل من الأولين والأخريين يسمون حكماء لانهم عرفوا الحقائق على مقدار الطاقة البشرية انتهى علم الآثار العلوية . انتهى ما أردته من كتابي بهجة العلوم

هاهي ذه أيها الذكي آراء القدماء وآراء المحدثين في الشهب والنيازك التي ذكرنا معها المذنبات تميزا للبحث العلمي ، وقد علمت أن الشهب تبلغ نحو (١٥٠) مليوناً في السنة حول أرضنا كما ان المذنبات تبلغ عند سمك البحر ، فينتج من هذا كله أن جو الأرض مملوء من تلك الشهب ومن ذوات الأذئاب ونحن لا نرى منها إلا القليل ، فهل هذه الشهب التي تحترق أرضنا وهي تجرى حولها ليلاً ونهاراً هي التي تحرق الشياطين وتمنعها من صعود السماء

أقول : اعلم أن الشياطين (نوعان) شياطين الانس وشياطين الجن ، أما شياطين الانس فهم النفوس المحجوبة التي تعيش في أبدانها في هذه الأرض من بني آدم فهؤلاء الآن شياطين بالقوة فاذا ماتوا صاروا كهية الشياطين بالفعل ، ألم ترى قوله تعالى - فككبوا فيها هم والغاؤون * وحنود ابليس أجمعون - إذن هم أصحاب واخوان وأصدقاء وكل ما أوتوا من زينة الحياة الدنيا من مال وولد ونعمة إن هي إلا عذاب لهم كما قال تعالى - فلا تهجك أموالهم ولأولادهم انما يريد الله ليذهبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون -

والانسان لا يستطيع الحياة إلا مع من هم على شاكلته فالعالم لا يعيش عبثاً يناسبه إلا في هيئة عالية واللص يفرح باللصوص وهؤلاء لا يعيشون في جو مكهرب بالعلم والمطر ينزل من السحاب ويجري في الأنهار ولكنه سرعان ما يكر راجعاً الى موطنه الأصلي وهو البحر الذي استخرجه ضوء الشمس منه فارتفع فصار سحابة هكذا المفكرون في العجائب في هذه الدار المحبون للحكمة يرجعون الى مقرهم عند ربهم لأنهم دائماً يحنون الى ذلك المقام . وشياطين الانس الذين يعيشون في الأرض الآن لم يحببهم عن الحقائق العلمية إلا أدراة الذنوب والشهوات كما أن الأنبياء صفت نفوسهم فاطلعوا والحكام فكروا فعرفوا معرفة أقل صاروا خلفاءهم . وللنفوس المحجوبة الشيطانية الاشارة بقوله تعالى - بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون * كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون * ثم انهم لصالوا الجحيم * ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون - وللنفوس الفاضلة الاشارة بالآية بعدها - كلا إن كتاب الأبرار لاني عليين وما أدراك ما عليون - إذن النفوس الشيطانية من بني آدم لها شهوات وأهواء ومعاص وزنوات منعها من الاطلاع على الحقائق . ومن ذلك اسرافها في الماء وكل والمشرب وتفانيها في طهي الطعام الذي يلذ طعمه ويقل خيره وهل خيره إلا مادة الحياة المسماة بالقيامين المتقدم كثيراً في هذا التفسير والذي سيأتي الكلام عليه في (سورة ص) عند آية - فبعرزتكم لأغوينهم أجمعين - فالتفاني في التوابل وفي الطبخ بالنار التي هي القاتلة لمادة الحياة في الطعام كما أظهره الكشف حديثاً والتباعد عن الفطرة من تعاطي الطعام وهو غير مطبوخ من كل ما يمكن أكله بلا طبخ فأصبح ذلك طبيعة للناس عالقة بهم لا يجحدون عنها محيماً كما لا يجحد الكبر محيماً عن السكر وهو يعلم انه نار تطفى عليه . كل ذلك مورث للأمراض وضعف الصحة ومانع عن فهم الحقائق

فلننظر إذن الى بيت التصيد وهي النفوس الشيطانية التي فارقت الأجساد من بني آدم وقتلنا انهم هم اخوان الشياطين لأن القبيلين من واد واحد ، ولأذ كرك أيها الذكي بما تقدم في سور كثيرة بما قتله عن علماء الأرواح أولاً وعن الشيخ الدباغ والخواص وأمثالهما سابقاً ، وتجد بعضه في (سورة التوبة) فانك تجد هناك أن الأرواح في البرزخ قبل يوم القيامة لا تكون في الجنة الحقيقية ولا في النار الحقيقية ، فالجنة والنار الحقيقيتان تكونان يوم القيامة ، ألم ترى أن الله يقول - النار يعرضون عليها غدواً وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب - الخ فهؤلاء هم واخوانهم الشياطين يكونون في الجحيم لا يرتقون الى الملأ الأعلى ، وهذا الجحيم مملوء بهذه الشهب وهذه الشهب كثيرة الحركات فيه وكثرة الحركات فيه تجعله مبدانا لانشغال النفوس واضطراب الأفتدة ، إذن كما اتنا نعيش في أرض قد ملئت بالحرب والحرارة والبرودة والأمراض

وهكذا وذلك كما يشغل الأذهان عن الوصول للحقائق إلا قليلا من الأكاره هكذا الشياطين واخوانهم من
أرواح بنى آدم الشريرة يعيشون في جو مملوء من الاضطراب والزلافة المانعين من صفاء الأذهان الموصل
للإطلاع على الحقائق ، إذن في الجوّ أوصاب واضطراب يمنع سكانه من معرفة الحقائق كما في الأرض ، وعلى
هذا يكون قوله تعالى - ويذفون من كل جانب * دحورا ولم عذاب واصب - جاء على حقيقته ، فكما أن
المجرمين من بنى آدم الساكنين معناني الأرض قد أضاعوا حياتهم في الشهوات واللذات والحرب والضرب
والقتال وهم عن معرفة الحقائق بهذه الأعمال محجوبون هكذا المجرمون من الأرواح الانسانية واخوانهم
شياطين الجنّ الذين ضعف نفوسهم فلم يماوروا جو أرضنا - لهم عذاب واصب - بغموم نحن نجعلها وهموم
ومنها أخلاقهم التي اكتسبها بعضهم في الأرض ولم يظهر لنا من ذلك العذاب إلا تلك الحجارة النارية التي
تجعل جوهم خاليا من الصفاء كما نرى الناس يقتتلون في الميادين ونفوسهم مشغولة بالدافع والنيان التي تقذف
منها على المتحارين ، وكما أن المدافع والغازات الخائفة والمعوية تنزل على المتحارين بأيدى غيرهم هكذا
هذه الشهب نسقط في الأجواء بأيدى الملائكة المذكورين قبل ذلك الموصوفين بلزجات زجرا ، فهم كما
يزجرون السحاب ويزجرون العالم العلوي والسفلي ليكون خاضعا لأمر الله وحكمه . هكذا يزجرون بتلك
الشهب تلك الأرواح عذابا لها لتحججها عن الإطلاع على الحقائق كما حجت نفوس كثير من أهل الأرض
عنها لأنها ليست أهلا لتلك والله يقول - ورجني وسعت كل شئ - وهذه الأرواح المحجوبة منعت معرفة
الحقائق رحمة من الله بها لأنها لم تستعد لها ولوعرفت هلكت ، فالنع الذي هو عذاب لهم قد صاحبه رحمة
حقيقية لأن العالم كله خلقه وهو أرحم الراحمين والمد لله رب العالمين والى هنا تم الكلام على اللطيفة الثانية
في قوله تعالى - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب - الى قوله - شهاب ثاقب - انتهى صباح يوم الخميس
(١٤) أغسطس سنة ١٩٣٠

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

(في قوله تعالى - احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم

الى صراط الجحيم * وقفوهم انهم مسؤولون -)

أيها المسلمون : ظهر الحق واستبان السبيل . الناس طائفتان : طائفة جاهلة وأخرى عالة . فالجاهلة تعيش
وتموت كما يعيش ويموت الدود ولو كانت من ذرئى الديانات والعلوم وهم في غفلة معرضون . أما الطائفة العالة
فهي التي أدركت اليوم قبل يوم القيامة ادراكا يقينيا أن هذه العوالم كلها تجري على نظام ثابت من حيث
المناسبات فكما اتنا نرى الطيور في الجوّ والأنعام على الأرض والسماك في البحر بحيث لا يقدر أحدها أن يعيش
في غير مكانه المعتدله . وأيضا كل طائفة من الانسان والأنعام والطيور لا يجب أحدها أن تعيش إلا مع أمثاله وهو غريب
بعيد عن غير نوعه . هذا أمر واضح . فهكذا سنكون بعد الموت فأصحاب الجحيم هم هنا الآن مجتمعون معا
كما سيجتمعون معا هناك . وسترى الحكام الظالمين لا يحبون إلا أمثالهم واللصوص وأرباب الكبائر جميعا يألف
بعضهم بعضا فالله الدنيا والآخرة على وتيرة واحدة

أيها المسلمون : العالم مقبل على أيام انقلاب عظيم وسوف يختلطون بالأمم عاجلا أو آجلا . والأمم
المعاصرة لنا كلهم أوجلهم اخوان أو أصحاب المسيح الدجال لأن المسيح على قسمين : مسيح صادق وهو المسيح
ابن مريم وأتباعه القديسون . ومسيح دجال كاذب يظهر الصلاح وليس بصالح وهذا هو المسيح الدجال
الوارد في الشريعة وقد ظهر أعوانه في الأمم المعاصرة لنا . إن المسيح الدجال الذي ورد في الحديث يظهر أنه
يسعدنا بما يشبه الجنة ويهددنا بما يظهر لنا انه جهنم . فإذا دخلنا ناره أصبحنا في نعيم وبالعكس اذا دخلنا

جنته . الله أكبر : أليس هذا حاصلًا فعلاً حقاً وصدقاً . ألم تدخل أوروبا بلاد الشرق لارتقائنا ثم هي تملأ بلادنا بالخر وأتواع المخدرات . فوا أسفاه على بلادى المصرية . واحسرتاه على عقول ونفوس ذلت وهلكت تقدم في هذا التفسير أتى نقلت عن (هنرى الفرنسى) انه قال : « إن الجزائر التى يستعملها المستعمرون في إهلاك الشعوب لم تؤثر في بلاد الجزائر » ولكن أنا أقول متعصراً متأسفاً : « لقد نال المستعمرون ما أرادوا ودخل مسيحيوهم الدجالون بلادنا ونحكوا على العقول وملؤا البلاد بالمخدرات والمسكرات والسموم المهلكات فانظر ما جاء في مجلة « الدنيا المصورة » تحت العنوان الآتى وهذا نصه » :

﴿ عبيد السموم البيضاء ﴾

﴿ أولئك الذين اشتروا الموت بالشرف والكرامة ﴾

﴿ حركة جديدة مباركة لمحاربة هذه السموم من مكتب مكافحة المخدرات بحكمداية القاهرة ﴾

اذادهم البلاد عدو قادر ينهب الأرواح ويدمر الأملاك ويعيث في الأرض فساداً فان الواجب يقضى على جميع أبناء البلد الواحد بأن يتآزرُوا ويتضامنوا لدفع أذى هذا العدو السفاح وصون البلد من شره وويله . وقد ينكب العالم بالحروب . وبالجماعات . وبالابوثة . ولكنه لم ينكب من قبل بمثل نكبة المخدرات التى تفترس الأرواح قبل الأجسام وتقضى على الاخلاق والعزائم وتجعل من بنى الانسان الذين خلقوا للعمل وللجهاد جيشاً بالية وحطاماً فانياً . وقد نكبت مصر كما نكبت البلدان الأخرى بهذا الداء الويسل الذى نقت سمومه بين طبقات فيها العمال وقتك فتكا ذريعاً وكان من حسن حظ مصر أن آلى حضرة صاحب السعادة حكمداير بوليس القاهرة أن يحارب هذا الداء الفتاك محاربة قاسية لا تعرف الشفقة والرحمة . وقد ظهرت نتيجة هذه الجهود وأثمرت ثمرات حسناً وبعد أن كانت الوسيلة التى اتبعتها الحكمداية هي وسيلة القمع والتهديد . والحكم بالسجن الطويل والغرامات الفادحة على تجار هذه السموم ومدمنىها عمدت الى وسائل الوعظ والارشاد والترغيب وكثيراً ما أفلحت الوعود حيث لا يفلح الوعيد . ولهذا المخدرات أحياء خاصة تنتشر فيها كما ينتشر الوباء في الهشيم اليابس . ومن هذه الأحياء المنكوبة سحى التربة البولية . طوفة واحدة في ذلك الحى تبين لك أهوال هذه السموم وقتكها الفريع بالنفوس . فاذا جلت بين الدور الحقةرة والأزقة والحرارات خيل اليك أنك تجول في مقبرة لفظت أمواتها نخرجوا أشباحاً مجردين من اللحم والدم يهيمون في الطرقات وهم عظام نخرة تكسوها طبقة من الجلد الداكن الذى فقد رونق الحياة ونضرة الصحة . يفيض هذا الحى بأولئك العمال البائسين وأكثرهم من الصعابدة ، ومن الطبقة السفلى الذين أدمنوا تعاطى هذه المخدرات فأصبحوا لا يعيشون الا لأجلها فلا يهمهم أن يأكلوا أو يشربوا أو يلبسوا . وإنما كل مهمهم أن يحصلوا على ما يشبع فيهم تلك الشهوة المفترسة . شهوة شم السموم وحقتها . ولم تكن الحكمداية تجهل مصائب هذا الحى . بل كانت لها في كل حين هجمة على تجاره تقودهم الى أعماق السجون وبحث دقيق بين ساكنيه يؤدي بمن يضبط معه شئ من هذه السموم الى الحبس . ولكن ماحيلة البوليس في شخص تراه مهلهل الثياب زانغ البصر محطم الأعصاب مطروحاً على الارض لا يقوى على الحراك وان قوى فأنما يسمى للحصول على دراهم قليلة يشتري بها شيئاً من الكوكايين أو الهروين يسمم به جسده البالى . ماحيلة البوليس فيه وهو لا يحمل معه من المخدرات ما يجعله طريده السجن ؟ لتلك قامت قوة من رجال البوليس في الصباح المبكر من يوم الاربعاء الماضى وطافت في ذلك الحى المكسوب . وراح أفرادها يتصيدون تلك الجنث المتحركة من الأزقة والشوارع والخوانيت . ولم يكن البوليس في حاجة الى من يرشده الى مدمنى تلك السموم فان لهم طابعا خاصاً . طابع البؤس والجوع والقذارة والجنون . ولم تمض ساعات قليلة حتى جمع البوليس حول ٢٥٠ شخصاً من المدمنين الذين

تم مظاهرهم عليهم ثم جلهم في السيارات الكبيرة الى دار المحافظة وجلس ذلك الجيش الجرار في فناء المحافظة وهم لا يكادون يفقهون ما حولهم . وكان مشهدا مفرعا هو عبدة المعتبرين . وهو الدرس البليغ لمن تحدته نفسه بأن يقضى على نفسه وعلى روحه وعلى كرامته هذا القضاء الشنيع . وراح رجال البوليس يحققون أمرهم . واتضح أن الكثيرين منهم سجنوا صرارا لاحتزازهم المخدرات ثم أفرج عنهم بعد أن انتهت مدة سجنهم فلم يروعه السجن بل عادوا الى شر ما كانوا عليه . و بينهم شبان في مقتبل الحياة وقد اضمحلت قواهم العقلية وظهرت عليهم دلائل البله والجنون وخارت قواهم الجسمانية فكأنهم في دور الاحتضار . واشتد بهم البؤس حتى لم يجدوا ما يسترون به أجسادهم الناحلة الاخرقا بالية واسمالا مهلهلة . وطاف بهم سعادة الحكمدار وضباط الحكمدارية وسار بينهم جناب الميرالاي بيكر بك يسوق اليهم النصح ويذكرهم بأولادهم الجائعين وعائلاتهم المنكوبة وكرامتهم الضائعة وهم جود ذاهلون . ولاشك في أن أولئك المنكوبين بمجموعة آلام وأحزان وشقاء فإن لكل منهم قصة كاملة ملؤها الفواجع والتسكبات . ويكفي أن نروي هنا قصص بعضهم حتى يدرك القارى مقدار ما تصنع تلك المخدرات بشحايها . فهذا عامل كان يشتغل نجارا وله زوجة وابنتان . ابتلى بداء المخدرات فما لبث أن طرد من عمله . ولم يجد وسيلة للحصول على ثمن السم الا ببيع أثاث منزله . وحاولت زوجته أن تردعه فلم يردع ولم يعد لديه ما يصلح للبيع فراح يأمر زوجته بأن تشتغل حتى تأتيه بالمال الذي له بعد في وسعه الحصول عليه بعد أن خدت قواه . ولكن الزوجة كانت عاجزة عن العمل . وأرهقها الزوج التعس بطلب المال وبغت به الخسة أن عرض عليها أن تتاجر بعرضها الذي هو عرضه . فذهبت غاضبة الى منزل أحد جيرانها حيث لم يكن لها أهل في القاهرة . وأما البنتان فقد سعى الأب حتى استطاع أن يرسل كلاهما خادمة في منزل ويحصل لنفسه على أجرة خدمتهما . وبعد شهور قليلة فرت احدى البنتين واختفت آثارها . ولو كان في الأب بقية من قوة تساعد على البحث لعثر عليها في دور الفجور . وغيره شيخ كبير لم يجد وسيلة للحصول على المال ليستم جسده الا بالسرقة فسرق وسجن . وخرج من السجن فلم يجد أثرا لابنته التي كانت تعوله وقد جوفتها الأقدار القاسية في سبيلها . وهذا كان «افنديا» . وكان موظفا . ثم ابتلى بهذا الداء وكان يحسبه في أول الأمر طوا بسيطا . ومالبت ذلك اللهو أن أصبح شغلا شافلا . وطرد من وظيفته بعد أن اتقطع عن أداء عمله وطلقت منه زوجته ورحلت الى أهلها . وانتقل من الشقة التي كان يسكنها الى مندرة حنبرة في حي بولاق . وعاش عائلة على تجار المخدرات بوزع لهم بضائعهم المسمومة مقابل أن يمنحوه شيئا يشبع به شهوة شمه وبلغ نيابه وسار في الطرقات عارى الرأس حافى القدمين . ثم ضبطه البوليس فسجن . وقضى في السجن شهورا وخرج منه وليس في العالم بأسره من يهتم بأمره . فكان يرقد ليلة تحت الجدران في الازقة المظلمة ويسعى نهاره للحصول على قروش معدودة بأية وسيلة . فكانت الوسيلة التي هداه اليها البحث أن يرشد طلاب اللهو الى منازل الدعارة السرية ؟ أولئك هم عبيد السموم البيضاء الذين اشعروا الموت بالشرف والكرامة . وسرى في الرسم الآتي في الصفحة التالية (شكل ١) صورة طائفة كبيرة من المصريين المدمنين على تعاطي الكوكايين



(شكل ١) - أخذت هذه الصورة للدمنين على الكوكايين - وكان عددهم ٢٥٠

نفسا - في حوش المحافظة ويرى بجوارهم العساكر

وجاء في جريدة الأهرام في يوم الثلاثاء الموافق ٢٨ يناير سنة ١٩٣٠ مانصه

﴿ بيان رسل باشا في لجنة الأفيون ﴾

﴿ صراحة رسل باشا ووقع بيانه ﴾

جنيف في ٢٧ يناير - افتتح اللواء رسل باشا في لجنة الأفيون المناقشة في منع الاتجار بالمخدرات فبسط الحالة في مصر بسطا مقرونا بالصراحة والشجاعة ، وكان لكلامه عن انشاء هذه الآفة وعن العمل السوء الذي يقوم به أصحاب مصانع المخدرات الاوربية وقع عظيم في النفوس . وقد قال ان هذه التجارة كانت قبل الحرب الكبرى مقتصرة على الحشيش السورى والأفيون السودانى وكانت اضرارها محصورة في دائرة ضيقة فبعد الحرب قامت تجارة الكوكايين وتلتها تجارة المروين وجنى المهربون منهما أرباحا طائلة . وقد انتشر استعمال هذه المخدرات فتناولها جميع الطبقات حتى الفلاحين وانتشرت بين الشبان على الخصوص وأصبح الأدمان على هذه السموم يشمل أكثر من نصف مليون نفس من مجموع السكان الذى يبلغ أربعة عشر مليونا . ووصف رسل باشا بعبارة مؤثرة فعل هذه الآفة وانتشار عدواها بين سكانهم من أصحاب الناس بنية وأعظمهم نشاطا وقال هل من العدل أن تصب أوروبا المئات من السموم على مصر وتنادى جميع البلدان التى تصنع المخدرات أن تعاون في منع هذه الآفة التى تعمل لجنة عصبة الأمم بعزم صادق في سبيل القضاء عليها وتكلم بعبارة بليغة عن وجود التضامن السولى في هذا الكفاح وعن ان عمل أوروبا يجب أن يكون مقرونا بشعورها بالتبعة والمسئولية . ثم كشف بصراحة وشجاعة النقاب الذى يلقى بعض صروب الاعمال البرلمانية والادارية على أعمال القائمين بهذه التجارة فى كثير من الاحيان وهكذا قدم رسل باشا للجنة الأفيون مثلا حسنا فى استقلال الرأى والحزم والصراحة وذكر الأعمال السيئة التى قامت بها عصابات مركزها فى سويسرا وعمل بعض المصانع الألمانية والفرنسية . واستشهد بقضية مولر فى بل وهو لا تزال لدى القضاء وأشار الى الفروع المنتشرة فى ايطاليا وفرنسا وألمانيا واليونان وتركيا وقال ان أساليب أصحاب هذه الصناعة ومصدرى موادها قد اكتشفت فى أكثر الأحيان بفضل يقظة رجال السلطة فى مصر . وأثنى على ما أبداه رجال السلطة الفرنسية . والسلطة السويسرية من المعاونة فرد عليه المسيو بورجو مندوب فرنسا قائلا ان الحكومة الفرنسية مصممة على متابعة

هذه المعاونة لمنع هذه الآفة وأكده الميسوكارير مندوب سويسرا معاونة الحكومة السويسرية وأشار الى تلافى النقص الذى كان فى التشريع السويسرى ووقع بسببه ما أشار اليه رسل باشا فى بيانه وهنا رسل باشا بما أبداه من النشاط والخدم . وقد أشار رسل باشا الى التحقيقات التضائية الجارية وستعود اللجنة الى المناقشة فى جلسة خاصة وبفضل ما أبداه رسل باشا من الحزم سيفضى الأمر باللجنة الى طلب ايضاحات من بعض الحكومات عن عمل بعض المعامل الكبيرة التى تصنع العقاقير وهكذا عادت الى بساط البحث مسألة تحديد صنع المخدرات التى كانت اللجنة تتجنب البحث فيها من قبل

﴿ الافشاءات الخطيرة فى تقرير رسل باشا ﴾

﴿ أقوال جريدة منشستر جارديان ﴾

لندن فى ٢٧ يناير - نشرت جريدة منشستر جارديان اليوم رسالة لمكاتبها من جنيف ضمنها نتيجة مقابله اللواء رسل باشا وقد قال عنه أنه صرح له بحقيقة راهنة وهى أن الافشاءات التى بدت فى تقريره تتفرع منها حقيقتان هما بمثابة تحد للبلدين المختصين وتستفزان رفع الدعوى وقد قال رسل باشا بنفسه انه قد يكون فى السجن يوم الاثنين عند ما يمثل امام اللجنة ويقدم ادعاءين كل منهما بمثابة تحد فيما يتعلق بشؤون معمل موهاوس وكيمارى بزوريج . اذ يتبين من تقرير رسل باشا أن معمل موهاوس استحضر وصدرا الى الخارج سنة ١٩٢٨ من الهروبين ٤٣٤٩ كيلو جراما وهذا يساوى أكثر من ضعف ما يلزم للعالم كله من هذه المادة للمقتضيات الطبية والعلمية ويربى على مجموع ما صدرته فرنسا من هذا الصنف كما ورد فى التقرير الفرنسى عن سنة ١٩٢٨

اما فيما يتعلق بكيمارى بزوريج فقد علم رسل باشا من الميسوكارير أن القانون السويسرى سيعدل بهذا الشأن ويبقى علينا أن نرى ماذا يقول مندوب فرنسا الميسو بورجوا عن معمل موهاوس . فالميسو روزيت رئيس مكتب المواد المخدرة الذى انشئ حديثا فى فرنسا وصل أخيرا الى جنيف لمساعدة الميسو بورجوا . ويقول رسل باشا أن أرقامه مأخوذة من دفاتر معامل موهاوس بمعرفة أحد رجال البوليس المصرى الذى كان يعمل بمعاونة أرباب السلطة فى موهاوس

لندن فى ٢٧ يناير - أنشأت جريدة منشستر جارديان اليوم مقالا افتتاحيا قالت فيه : نعم ان مطالعة تقرير رسل باشا تحزن ولكنها تثير العواطف وتستحق الاهتمام . فقد استطاع رسل باشا وزملاؤه أن يكشفوا عن خطوط مواصلات خفية تربط بين كبار تجار المواد المخدرة فى الاسكندرية ولندن ومصانع هذه المواد فى اوربا الوسطى . وقد وجهت الآن العناية الى محاربة المصانع الكيميائية التى تنتج من هذه المواد أكثر مما يجب اذ لا فائدة من الاقتصار على مقاومة الموزعين والتجار وترك المصانع وشأنها مادام مصنع واحد فى الازاس يمكنه أن يستحضر من الهروبين فى كل عام أكثر من ضعف ما يلزم العالم منه للاغراض المشروعة فقد يقضى لتجار المخدرات أرباب الأموال الطائلة أن يشتروا كل ما ينتجه ذلك المصنع وفى تقرير رسل باشا معلومات مختصرة وافية للجنة عسبة الأمم للنظر فى خطط فعالة لتحديد منتجات المعامل من هذه المواد طبقا للمقتضيات الطبية ولكن مادام العالم يزيد من زرع القنب وشجر الكوكا أكثر مما تطلبه الحاجات الطبية لا بد أن يستمر صنع المواد المخدرة وتجارها المحرمة . ثم أن تدخين الأفيون واصله فى الشرق الأقصى يجعل الآن تحديد محصوره تحديدا دقيقا غير يمكن عمليا ولكن ربما تسنى ذلك فى المستقبل اه

﴿ تذكرة ﴾

(في صباح يوم الخميس ١٧ يوليو سنة ١٩٣٠)

نأمل أيها الذكي هذه الصورة وأعجب لآيقنا التي نحن بسددها - احشروا الذين ظلموا وأزواجهم - الخ
واذ كر قوله تعالى - فكسبوا فيها هم والفاورون و جنود ابليس أجمعون - وقوله تعالى - لأملأن جهنم
منك ومن تبعك منهم أجمعين -

أتدري ما سبب هذا كله ؟ سببه الجهل ، لولا الجهل ما تعاطى هؤلاء المخترات القاتلات ، وما هؤلاء
المرسومون المساكين الذين أغراهم زبانية جهنم من الاورو بين الذين يسعون لاهلاك الشرقيين احتقارا
لعقوهم واستصغارا لأنهم وقياما بحق الاهلاك الذي سنته شرائعهم التي اتفقوا فيما بينهم عليها منذ أيام الحروب
الصليبية ومن قبل ذلك في الحروب الأندلسية ، ذلك أنهم رأوا في أمة العرب قوة شكيمة فهرعوا الى الخديعة
والغدر وأجمعوا أمرهم بينهم أن لا يحاربهم إلا بالعادات وادخال الغفلات عليهم ، وعاهدوهم على أن يكون
التعليم حرا والتجارة كذلك ، هنالك قام رجل يقال له (ابن مصعب) فنادى في قومه قائلا : « أيها القوم :
سيأتي يوم ينسى أبناء العرب مجد آبائهم بما يترؤون في كتب الاورو بين وينعمون وينغمسون في الشهوات
ويسرفون في المال كل والمشارب ويحترقون دينهم مم يتفرقون شيعا وبدوق بعضهم بأس بعض . فقالوا :
أنت رجل قصير النظر لا تعرف في السياسة شيئا »

هنالك أقاموا الأفراح شهرين بعد هذه المعاهدة ورئيس الأمراء يومئذ (ابن عباد) ولبعض الملوك
الاسلاميين جيوش نعال خيلهم من ذهب ، ولقد صدقت فراسة (ابن مصعب) وحق القول على المسلمين في
الجزيرة (اقرأ هذا الموضوع في غادة الأندلس) وصار الشاب يلبس الحرير ويتختم بالذهب واستدانوا من
الفرنجية بالربا وشربوا الخمرهارا جهارا ودموا العرب وأخلاق العرب وتاريخ العرب وعكفوا على الشر وتركوا
الصلاة واتبعوا الشهوات فلقوا غيا

هنالك ذهب الحية وافترقوا شيعا وذاق بعضهم بأس بعض وتفرقوا عشرين دولة وهم صاغرون ،
ثم هلكوا ومن بقي منهم تنصروا ومنهم من غرق ومنهم من طرد الى فرنسا ومنهم من سار الى بلاد مراکش
وما والاها والله الأمر من قبل ومن بعد

وهذه النظرية التي فعلوها في الأندلس هاهم أولاء يفعلونها في بلاد الاسلام الآن ، فانظر كيف ضحكوا
على أذقاتنا وأدخلوا السم بلادنا جريا على أخلاق المسيح الدجال . دخلوا متظاهرين باسم رقينا واسعادنا ودسوا
السم في الدسم . فأما المتعلمون منا فعلمهم قشور وفضلات ، والدليل على ذلك انهم لا يعرفون من علومهم
إلا أن ينطقوا بالفرنسية مثلا أو الانجليزية . ويظن أكثرهم أنهم بسبب هاتين اللغتين أو بعض العلوم الأدبية
قد ألموا بعلم الغربيين وجهلوا انهم أصبحوا مغمورين في مخازي سفهائهم وشرور جهالهم واندمجوا في
وهمائهم فطاحت القومية وضاعت لتفرق الأهواء وتخاذل سفهاء الرؤساء سعي وراء الشهوات التي اتبعوها
باغراء القوم وازدراء للاوطان والأديان الشرقية تقليدا لأولئك الاورو بين فهم لا يلبسون إلا من مصانهم
ولا يغازلون إلا النساءهم ولا ينامون إلا في فنادقهم ولا يتعاطون مشروبا ولا مأكولا إلا من أيدي خادمي فنادقهم
والمنازل المعدة للشرب والطعام . فما أشبه الليلة بالبارحة

لقد ذكرت في الأجزاء السابقة قصة ذلك الراهب الاسباني في قرطبة الذي اشترى عنب قرطبة كلها
وعصره وقال أنا لا أعطيه إلا لأبنائي وأحبائي تلاميذ المدارس المسلمين وهذه أر بعامة سنة والغفلة مستحكمة
ولم يظهر في أم الاسلام عقول راجحة تنهم العاتمة ما حاق بهم من القتل والظوان والجهلة ولاني لم أجد رجلا في

الشرق استيقظ لذلك إلا نايغة الهند وهو غاندي فانه حرم الملابس الفرنجية والتحرر وكان الأجدد بهذا أم الإسلام
 إذن ليس هؤلاء المرسومون في الصورة المتقدمة المخترين وحدهم . كلا . فأتم الإسلام اليوم في بلادنا
 مخترة لأن التخدير على قسمين : تخدير ظاهر وهو ما رأيت ، وتخدير باطن وهو تخدير المتعلمين والأغنياء
 وأرباب الجاه ، أولئك الذين يعيشون ويموتون ولا هم يدكرون فلا يعقلون ما يراد بهم ، إن جميع أنواع التجارة
 الأوروبية من باب التخدير ، يجب أن يجتهد أهل الشرق في المصانع والمعامل والمناسج والمزارع والتجارة حتى
 يضارعوا أهل الغرب في كل فرع من فروع الحياة والا فهم مخترون وصدق فيهم قوله تعالى - احشروا الذين
 ظلموا وأزواجهم - وحشرهم في الآخرة قد ظهرت بوادره في الدنيا بأمثال هذه الصورة وباشترك سكان
 شمال افريقيا من مصر الى مراکش لسكان بعض الشرق الأدنى من أهل الشام والعراق والموصل في
 الاستعباد للأمم الأوروبية لغفلة العلماء والأمراء السابقين بسبب استحكام الجهالة ، فذن رأينا المرسومين في
 هذه الصورة السابقة مسوقين الى المحاكم عند الحكومة المصرية ليترجمهم في السجن لثربن هذه الأمم
 العربية في شمال افريقيا وغرب آسيا مسوقين لسجن الاحتلال والاستعباد واذلال أهل أوروبا برسفون في
 القيود وهم لا يعلمون

ومن رعى غنما في أرض مسبعة * ونام عنها تولى رعيها الأسد

اللهم إن هذه هي نفسها صفة المسيح السجال ، إذن المسيح السجال المذكور في الأحاديث الآتية في آخر
 الزمان له أمثال وأشياء هؤلاء المسيحيون السجالون يطلق عليهم المسيح السجال من باب الكناية لأن الكناية
 لفظ أطلق وأريد به لازم معناه فليس المسيح السجال الذي في الأحاديث على معناه الظاهري ولكن المقصود
 هنا في زماننا هو المعنى الكنائي كما ذكره الامام الغزالي في حديث « إن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب ولا
 صورة » فقال هذا الحديث باق على معناه وهذا لا يمنع من المعنى الكنائي وهو ان الذين امتلأت قلوبهم
 بالشهوات الرموزها بالصورة أو بالقوة الغضبية الرموزها بالكل لا تتصل الملائكة بقلوبهم فهم أبعاد الناس
 عن العلم فهكذا هنا فليبق السجال على معناه الظاهري ولكنه يرمز الى ما نحن فيه الآن ، إن المسلمين اليوم
 دخل عليهم هؤلاء المسيحيون السجالون فأعموهم عن الحقائق وصاروا جهالا فعمسومهم في الشهوات واللذات
 والجهالات فامت النفوس ، بل أكثر هذا النوع الانساني اليوم مختر مختر ك هؤلاء الذين في هذه الصورة فهم
 يأكلون ولا يعقلون كيف يأكلون ، انظر الى ما تقدم في سورة طه وسورة الشعراء وأول سورة الحجر وفي سورة
 البقرة عند آية - أنتبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير - ففي تلك المواضع وضع ما يقوله الأطباء في زماننا
 في الذي يجب أن نأكله وفي أنواع المداراة ، ثم انظر الى ما يأتي في « سورة ص » عند آية - يادلود إنا
 جعلناك خليفة في الأرض - وكيف تسمع أفلاطون حاكيا عن سقراط في الجمهورية وهو مخاطب غلاكون
 إذ يذم أبناء الجمهورية الذين يعيشون عيشة الترف وأن ذلك مضغ للأجسام مضغ للعقول ، وكيف تدهش
 حين تسمع منه هذا الأمر العجيب الغريب وهو أن هناك علاقة تامة وصلة ثابتة بين القضاة والأطباء وبين
 الماء كل والمغاني ، وأن الناس كلما أكثروا من ألوان الطعام ولم يكتفوا بالبساط من الأطعمة كثرت عندهم
 الأمراض فاحتاجوا الى الأطباء ، وأن المغاني وإن كانت ملطقات لأمرجة الجيوش الذين يراولون الأعمال
 الرياضية (بالجناستك) لا يجوز التفنن فيها لأن ذلك يورث الفسوق والعصيان وذلك من موجبات الوقوف
 أمام القضاة فوجب أن تنون المغاني بسيطة وكذلك آلات الطرب وكذلك الماء كل ، وعار على أبناء
 الجمهورية أن يحتاجوا الى الأطباء إلا نادرا ولا الى القضاة إلا في أمور خامة ، وأخذ يحقر من يفتخر بأنه قد
 غلب خصومه بالحجة أمام القضاة قائلا : « إن الحياة السهلة التي خلت من القضايا ومن المشاغبات هي الحياة التي
 تليق بالانسان »

إذن المختررون المرسومون في الصورة لهم اخوان كثيرون لم يرسموا وهم أكثر المتعلمين نصف تعليم من الذين درسوا في المدارس النظامية ومن الأغنياء في ديار الاسلام ومن رجال السياسة ، فهم قد زجوا في نارين : نار تقليد الفرنجة وشراء بضائعهم ونار الجهل في الماء التي توقع كثيرا منهم في المرض مع الشهوات الأخرى كالبطخ والحرص والحسد الموقعات في المشاحنات واقامة القضايا أمام القضاة ، فلئن حشر هؤلاء المختررون في السجون المصرية كما سيحشرون يوم القيامة معا هكذا حشر أولئك المتعلمون والأغنياء من أبناء العرب ونحوهم في شمال افريقيا والشرق الأدنى في حظيرة الاستعباد كما سيحشرون يوم القيامة في البرجة التي كانوا عليها في الدنيا معا

هنالك سألتني صاحبي قائلا : علام هذه الضجة كلها ، ألسنا الآن في تفسير القرآن ؟ قلت بلى . قال : وهل هذا كله ينطبق على - احشروا الذين ظلموا وأزواجهم - الخ مع انها لم ترد إلا في الكفار يوم القيامة وأنت صيبت كلامك كله على المسلمين في الحياة الدنيا . فأين الآية - وأين ما ذكرته أنت . إن من يقرأ هذا يقول إنك أنت لك قصد قوله فأثبت به تبع الآية والافالآية بريئة منه . فقلت له : هو تفسير للآية حقا وصدقا ومماثل في هذا إلا اكمل عمر رضى الله عنه في قصة الربيع بن زياد المذكورة في ثنايا هذا التفسير إذ كان أميرا من أمراء البحرين تحت رئاسة أنى موسى الأشعري إذ كتب له عمر احضر أنت ومن معك فحضروا جميعا واكلوا بدلم من يقوم بالحكم مدة غيابهم ، واحتمل الربيع الذى هو أحد الأمراء أن يفعل ما يرضى أمير المؤمنين بإشارة غلام عمر المسمى (برفأ) بأن اتخذ فعلا مطارقة أى ذات رفاع من جلد غبر منتظمة وليس أهداما بالية وأجاع بطنه يومين كاملين حتى يقدر أن يأكل طعام أمير المؤمنين الحشن وهذا الأمير ومن معه ماتوا ودوا الطعام الحشن ، فلما أن مدت المائدة لم يكن فى الأمراء من كان أسرع إليها من الربيع لشدته جوعه فأعجب به عمر رضى الله تعالى عنه فأخذ يحادثه دون رفاقه فسأله الربيع بأمر المؤمنين هل لك أن تتخذ طعاما أئين من هذا فزجره عمر وقال ماذا تقول ؟ فقال لو انك أمرت أن يكون خبزك في يوم الأكل لكان أسهل لك فقال له أعلى هذا غرت (بضم أوله وسكون ثانيه وفتح ثالثه) أى أنت تريد هذا ، ثم استرسل معه فقال : يارب ربيع لو شئت للمأت هذه الرحاب صلاتق وسباتك وصنابا ولكنى سمعت الله يعير قوما إذ يقول - أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون - والمراد بالصناب ككتاب الزبيب المصنوع مع الخردل ليقوى شهوة الطعام التي دتمها أطباء العصر الحاضر ، والمراد بالصلاتق أنواع اللحوم والسباتك ما يصنع من الدقيق الناعم الأبيض الذى استنكره أطباء زماننا ، إن هذه الآية وردت في الكفار ولكن عقول الصحابة وآراؤهم لم تكن كعقولنا وآرائنا فهو أدرك المقصود من الآية وهو أن الذين ينهمكون في الشهوات يعاقبون لأن الانهماك نفسه سبب للنتيجة لافرق بين مسلم وكافر فلذلك قرأ الآية ولم ينكر عليه أحد والعلماء المتأخرون يقولون في مثل هذا انه اعتبار بما في الآية فأنا أقول : الذين ظلموا وأشباههم يحشرون في جهنم . فأنا إما أن أفهم كقوله عمر رضى الله عنه ويكون كل هذا داخلا في معنى الآية وان وردت في الكفار ، وإما أن يكون ذلك أمرا راجعا للاعتبار بالآية كما يقوله علماء الاصول وكلامنا هنا كلام علمى تاريخى لامناقض ينقضه . نعم الجهل هو الذى ينقضه والجهل شؤم كله . فأنا إذن فسرت الآية إما تفسيراً أصليا على طريقة عمر أو تفسيراً بالاعتبار على طريق المتأخرين والحمد لله رب العالمين

واعلم انه لولا ضيق المقام هنا لذكرت لك أيها الذكرى هنا قولاً جامعاً في حبس الناس في عاداتهم وأخلاقهم وأحوالهم مناسبة صور أولئك المدمنين على المخدرات ولكن اقرأه في (سورة ق) عند آية - يوم نقول

لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد - فهناك ستسمع حديث السكير الذي ملكت الخرفواذه فلم يقدر على التخلص منها والحديث المبكى المذكور في الجرائد المصرية وبين الحديثين أر بعون سنة والحديث الثاني حديث من وقع في المختبرات المذكورة هنا وكان تلميذا في الابتدائي . فهناك وصف محزن لهذه الطائفة التي ابتليت بشم الكوكابين الذي جلبته أوروبا لنا لاهلاكنا . وهناك تبيان واسع لبيان أن هذه أمثال ساقها الله لنا وانحة تدل على ما عند هذا الانسان من العادات الموروثة والشهوات التي حصرت في أحوال خاصة منعت من الخروج منها مما يدل على أن حياتنا الدنيا في صورتها أشبه بصفر جهنم فالكس يريدون أن يخرجوا من شهواتهم ومن عاداتهم ولكنهم لا يقدرون كما هي الحال في أهل جهنم والحمد لله على ما علم وله الشكر على ما أطم

﴿ جوهره في قوله تعالى - وقفوهم انهم مسؤولون بـ مالكم لاتناصرون بـ بل هم اليوم مستسلمون - ﴾
 جاء في الحديث أن ابن آدم لا تزول قدمه من عند ربه حتى يسأل عن خمس : عن شبابه فيم أبلاه ، وعن عمره فيم أفناه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفق ، وماذا عمل فيما علم
 اعلم أيها الأمم الاسلامية أن سؤال الآخرة ووقوفنا بين يدي الله تعالى له مقدمات ظاهرات في الدنيا خافيات ، فنحن في تعاطي الطعام مسؤولون وان كنا به جاهلين كما أنا مسؤولون في نظام مدننا وفي افاضة الخبر على غيرنا وان كنا غافلين ، لا عنر للجاهلين في الدنيا ، ولو كان الجهل عذرا لم نزل الذين يسرفون في طعامهم وشرابهم نقتابهم الأمراض ولا أولئك المسرفون في أموالهم ترهقهم الديون ولا الكسالى والمترفون يفتشاهم الفقر والذين يتعاطون المختبرات في بؤس وعذاب مهين في هذه الحياة وعذابهم لزام كأنهم يشربون شرب الطيم ، ولا الأمم الشرقية التي غفلت عن العلوم والصناعات قد ملك زمامها الاوروبيون - وقفوهم انهم مسؤولون بـ مالكم لاتناصرون بـ بل هم اليوم مستسلمون -

أتم مسؤولون عن صغيرات الامور وكبيراتها في الآخرة كما أنكم مسؤولون في الدنيا . هاأناذا في مصر بلادى أرى جهالة شائعة وأعمالا فاسدة وتقاليد ظالمة والناس بها مفتونون ، اهدموا التقاليد وأزيلوا الحجب وأميطوا الأذى من طرق الاصلاح ، أمرتني شوارع القاهرة فأرى شبانا وزهرات الجيل الحاضر محشورين زمرا زمرا في مشارب القهوة يتعاطون أنواع المشروبات وهم يقرؤون علم الطب في الكتب ونظام السياسة في الجرائد ولكن أكثرهم لا يعلمون

التجارة في يد الأجنبي وهو الذي يدبر تلك المحال ويستنزف الثروة ويضيع شباب شبانا ويفتح لهم باب شهوات فتقل الأمانات ولهم امتيازات وتفضل على الوطني نالوه قديما ونحن نأتمون منذ نحو (٧٠٠) سنة اجتمع أساطين الأمم المسيحية مع البابا وبارونات أوروبا ودوق فينيزيا وقالوا « لاطاقة لنا اليوم بحرب هؤلاء العرب بالأندلس فلنعاهدهم على حرية التجارة والدين والتعليم ، وهؤلاء سليموا القلوب فلندخل عليهم ما نشاء من التعاليم » فاجتمعوا وعاهدوا ملوك الأندلس تحت رئاسة ابن عباد وتم ذلك والقوم كانوا عن الحقائق معرضين فأيقظهم رجل منهم يسمى ابن مصعب فتولوا عنه مدبرين ، شربت الخمر في الأندلس ، زال البأس والشهامة والنخوة ، تباهى الشبان والنسبات بالفسوق وعدوا ذلك مدينة حديثة ، عصر راهب اسباني عنب قرطبة كله خراجا في أحبابه وهم تلاميذ المسلمين ، تتهقرت الأخلاق ، طاحت الأنساب ، ذلت الأعقاب ، زلت الأقدام . هلكت الجيوش ، زالت العروش ، طردوا من بقى من البلاد وهم محقورون مرذولون منبذون - وقفوهم انهم مسؤولون بـ مالكم لاتناصرون بـ بل هم اليوم مستسلمون -

زال الأندلس ولم يبق منها إلا الذكرى ، إن الذكرى تنفع المؤمنين وقفوهم انهم مسؤولون ، لم يعتبر

أبناء العرب بما حلّ باخوانهم ، جهلوا أصلهم ، حقت عليهم كفة ربهم ، ساء مصيرهم . وقفوهم انهم مسؤولون
 نبغ أم ودول في أوروبا ساروا سيرا سابانيا ، دخلوا شبل أفريقيا من تونس والجزائر ومراكش ومصر
 والعراق والشام ، بماذا دخلوا ؟ بنفس الدرس والاسلوب الذي أسسه البابا وبارونات أوروبا ودوق فينيزيا
 فتحوا لهم أبواب الشهوات ، زجواهم في محال القهوات . استهويهم بالغادات الحسان . شغلواهم بالعبادات
 بفضوهم في العبادات وفي كل ما هو شرقي . سقواهم خرم . وأجلسوهم في أماكنهم . أخذوا قودهم .
 حقروا لهم دينهم وأصلهم وما كانهم وملابسهم ومشاربهم وسير آباءهم . مقتوهم . كرهوهم . وقفوهم انهم
 مسؤولون - وهم يتبرؤن منهم ويقولون - وما كان لنا عليكم من سلطان بل كتمت قوما طاغين -
 ذلّ المصري والمراكشي والجزائري والتونسي وأفضلت الطليان زوايا السنوسيين في طرابلس وتمزقت
 وحدة السورى لأن هذه الأمم متفرقة وأمرأؤهم السابقون وعلماءهم وصلحاؤهم لم يكونوا يتواصلون
 وكل حزب بما لديهم فرحون . فذلت الأعتاب وأهيت الأنساب وحلّ البطش وتفرق الجع - وقفوهم انهم
 مسؤولون * مالكم لاتناصرون * بل هم اليوم مستسلمون -

ذلّ الجع . واتسع الصدع . وفتق الرنق . وقلّ الجند . وذهب المجد وزال الجند^(١) وقلّ الجند^(٢) والمسلمون نائمون
 - وقفوهم انهم مسؤولون -

بقيت امتيازات الأجنب في البلاد لجهاثهم لأن تجارتهم رابحة وأعمالهم رابحة . ربطت العادات على
 قلوب الشبان فهم في تلك الأماكن يكرعون . ومن ما كانهم يتغذون . فتوطدت الامتيازات وبقي الذلّ
 - وقفوهم انهم مسؤولون -

استيقظ بعض الأمم الشرقية كأهل الهند فدعوا الملابس الأجنبية وحاربوا الخمر لأن الأمرين بلان للفن
 وخراب الأسرة وضياع المال وبقاء الاستعمار ولكن في بلادنا وأمناها لاسميع ولا محجب - وقفوهم
 انهم مسؤولون -

وينشأ ناشئ الشبان منا * على ما كان عوده أبوه

اعتاد الناس تعاطي الدخان وتغالوا في شرب الخمر وأتبع ذلك الشاي وغيره ومخدرات وسموم والناس
 ساهون لاهون والفرنجية هم المضلون والمسلمون مهمالون - وقفوهم انهم مسؤولون -
 ليحرم علماء الاسلام أن تفتش تلك الأماكن أماكن الفرنجية التي تخالف الصحة في هواثها القاسد بكثرة
 الأنفاس وأنواع الشراب وهكذا يتناوب الكوب الواحد في اليوم عشرات الشاربين . ويتعاطون الدخان
 والقهوة والخمر . ولقد أسدر الأطباء حكمهم على هذه لاسيا أطباء أمريكا وتقدم نقل ذلك في سورة البقرة
 عند آية الخمر ولكن أكثر المسلمين جاهلون - وقفوهم انهم مسؤولون -

تفرقت القلوب شيئا في بلادنا وذاق بعضهم بأس بعض - وبأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى -
 حرص على المال وغراما بالشهوات فلك الأجنبي ذلّ الوطني وعسى أن يزول ذلك قريبا - وقفوهم انهم مسؤولون -
 بعض الصوفية يسيطرون على العقول وهم أنفسهم جاهلون فلا رباضيات درسوا ولا الطبيعيات تعلموا
 ولا الإطيات فهموا - وقفوهم انهم مسؤولون -

قلت الصناعات وطاحت التجارات في البلاد وخلت الديار وضاق الخناق وتفرقت الأهواء وكثر
 المراء وظهر الجدل واضمححل العلم والدين ولا مغيث ولا معين - وقفوهم انهم مسؤولون -

ما ملك الفرنجية ولا أبقاهم في بلادنا إلا طموح الأفراد للشهوات السافلة في محالهم وافتنائهم بصناعاتهم
 ولو أن الشعب عرف الحقيقة وتخلّى عنهم لخرجوا من البلاد وهم مسرعون ولكن المسلمين ساهون لاهون

- وقفوهم انهم مسؤولون -

أجسام الشرقيين قوية ، وعقولهم صحيحة ، وأنسابهم رفيعة ، الدين من بلادهم ظهر ، وكل نبي فهو من الشرق باصطفاء الله نابت ، عرفت أوروبا قدر الشرقيين تخافوا بأسهم ، حذروا أن يقرؤا علومهم ويعرفوا صناعاتهم فبردوا كيدهم في منحهم فشاغولهم بالشهوات ، وأفشوا بينهم العداوات ، إنهم باتباعهم فرحون ، وعن تعليمهم قاصرون ، واقتصر علماء الدين نحو ألف سنة على فروع الفقه ونسوا أكثر ما ذكره في القرآن ونسوا آيات الله في الأكوان في الأرض والسماوات فأقلوا باب علوم القرآن - وقفوهم انهم مسؤولون -

أتحد الأطباء في اليابان وأمريكا وأوروبا على تحليل الأطعمة . أيها أصلح لنوع الانسان وأنها أضرت ؟ فأجمعوا في هذه الأيام على أن ما أنفجته النار قليل النفع وما يتعاطى بلا طبخ ينفع الأجسام وينج الأمراض ويحفظ العقول ورجعوا بالناس الى آدم وحواء قبل الأكل من الشجرة ، ولكن المسلمين قلّ فيهم الأطباء فلم يدلوا دلومهم في الدلاء لأن المسلمين لا يعلمون - وقفوهم انهم مسؤولون -

درس الأطباء في العالم أيضا نظام الملابس والهواء والماء والضياء فأجمعوا أن تعريض الأجسام للشمس نهارا كما يعرضها الحاج في عرفة والحياة الخلوية في الهواء الطلق منعمة للأبدان مقوية للعقول قاتلة لكل مرض ولكل (مكروب) حيوان ذرسي ولكن هؤلاء الأطباء في المسلمين يقولون لأن أكثر المسلمين لا يعلمون - وقفوهم انهم مسؤولون -

درسوا أيضا فوائد الرياضات البدنية وتقوية الأعضاء بالأعمال الزراعية والمشى في الخلاء ودوام الحركة وحققوا أوقات النوم واليقظة كما فعل ذلك كله من قبل علماء الطب كابن سينا في كتاب القانون إذ رأته ذكر جميع أنواع التمريعات بأوسع مما ذكره الفرنجة ، ولكن المسلمين المتأخرين هم النائمون وان قرأ بعضهم الطب وملحقاته فأعماهم للفرنجة مقلدون - وقفوهم انهم مسؤولون -

رأوا في جزيرة العرب أمراء وملوكا يحكمون أما لا تزال على فطرتها وعقولها قوية ونفوسا شريفة تستعد لأرفع المدنيات ، وتصلح لأقوم سبل الخيرات . فهاهم الآن يريدون أن يجعلوا بأسهم بينهم شديدا ليصرفوهم عن العلم الى الحرب . فالدرس الذي تعلموه من قدماء الاسبانيين لا يزالون له حافظين ولكن المسلمين عن ذلك ذاهلون - وقفوهم انهم مسؤولون -

اللهم إني أكتب هذا وأنا أعلم انك سألني عن كل ما علمته من النقص في أم الاسلام ولقد سهلت لي سبيل العلم والنشر فأنا مسؤول وكل تقصير يقع مني في تلك السبيل أعتقد اني عنه مسؤول والجزاء عليه في الدنيا بالحربان وفي الآخرة بالعذاب يوم أقف بين يديك ويتف المسلمون والملائق أجمعون - وقفوهم انهم مسؤولون -

المسيح مسيحيان : مسيح صادق . ومسيح كاذب . فالمسيح الصادق هو ابن مريم ويشاكله في الصدق أناس وأمم في أزمان مضت في دهر الدهار ير . وأما المسيح الكاذب وهو السجال فله أمثال وأشكال وجيوش مستعدة في جميع الأمم شرقا وغربا وهم الكذابين الخائثون من أهل السياسة وغيرهم وعلى قدر غفلة المسلمين بالجهل سلب الله هؤلاء عليهم وهم أصحاب السيف والنار والمدافع والغازات هكذا هم أصحاب الوظائف وتولية الأمر والوزراء وإباحة الشهوات واكثارها في البلاد سرا فتكون الشهوات مقصودة مرغوبة فنارهم من اصطلاحها نال جنة الاستقلال وجنتهم الشهوية من المطاعم والملابس والاعتزاز بالوظائف والامارة من دخلها لم يفلت منها وتقلب عليهم ناراً حامية فكانها شراب الخمر والخمرات يذل شاربه وهو لا يقدر على الفرار منه وهذه الطوائف في نارهم يحترقون - وقفوهم انهم مسؤولون -

أيها المتعلمون : أيها الأمراء . أيها الملوك في الاسلام : افشوا الصناعات والعلوم وعمموا تعليمها وزنوا العقول بالقسطاس المستقيم امتحاناً في المدارس وضعوا كل امرئ فيمادله عليه استعداداً من زراعة في الحقول أو صناعة في المدن أو سياسة أو علم ، فلكل امرئ شأن واستعداد ينحصر والمسلمون لذلك تاركون - وقضوهم انهم مسؤولون -

استخرجوا كل قوة من قوى أفراد الشعب ، لانتضيعوا استعداد النفوس التي خلقها الله لكم ولا تذروا حقلاً ولا سهلاً ولا جبلاً ولا نهراً إلا بعثتموه وعرفتم طرق الانتفاع به ، ولا يفتنى لكم ذلك إلا بتعليم طائفة من الشبان الأذكياء العلوم المختلفة لظهار منافع ما تملكون وتذكروا - وقضوهم انهم مسؤولون -
اللهم إني نصحت وبذلت طاقتي في إيقاظ هذه الأمة وهذا جوابي يوم أسمع النداء - وقضوهم انهم مسؤولون * ما لكم لاتناصرون * بل هم اليوم مستسلمون - وبهذا تم الكلام على اللطيفة الثالثة . كتب في مدينة حلوان يوم الجمعة بعد العصر ١٥ أغسطس سنة ١٩٣٠ والحمد لله رب العالمين

﴿ اللطيفة الرابعة ﴾

(في قوله تعالى - إني كان لي قرين -)

لقد تقدمت في ﴿سورة سبأ﴾ عند قوله تعالى - ولوترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم - الخ كيف كان الاتباع والتقليد الأعمى في الامور الاعتقادية وسير الناس وراء القادة والرؤساء بلا عقل ولا هدى ولا كتاب منير أوقع الأمم الاسلامية في الجهل قروناً وقروناً وأفضت هناك في الكلام على محمد بن تومرت وملخص تاريخه وانه أسس دولة واستقل بها إزالة للظلم واقامة للعدل ولكن جعل نفسه معصوماً الى آخر ما تقدمت هناك ، وقد أبفت أن مثل هذا لا يدوم نفعه وانما دوام النفع بتعميم التعليم للذكور والاناث ، فأما هنا فان القرين لم ينبع قرينه بل فكر واستبصر وعرف سبيل الهدى ولم يكن لامة كالهابة تسير وراء قائدها فلذلك أخذ يقول :
- إني كان لي قرين * يقول أئتلك لمن المصدقين - الخ

ومن عجب أمر القرآن جاء في ﴿سورة سبأ﴾ بالمحاوراة بين الرؤساء والمرؤسين وكل يوقع اللوم على الآخر بعد وقوع العذاب فأما هنا فكأنه يشير الى أن الناس قد احتسروا مما وقع فيه المقلدون بلا عقل فلذلك نرى القرين لا يتبع إلا الحق ولا يتبع قرينه فلذلك يقول الله هنا - تالله ان كدت لتردين * ولولا نعمتي لكنت من المحضرين - بدل أن يقول هناك - لولا أتم لكننا مؤمنين - الخ فهذه المحاوراة لعاقل أراد صاحبه اضلاله فلم يعبأ به واتبع عقله وهذه خصلة أم الاسلام في مستقبل الزمان يتعلمون ولا يتفرقون تابعين في ذلك أهواء الرؤساء المضلين والشيوخ الجاهلين بل هم أنفسهم متى تعلموا أدركوا أن أم الاسلام لا تعيش بالافتراق الذي جناه عليهم الرؤساء وانما تعيش بالوئام والمحبة العاتمة وقطع دابر التخاذل والتنابد والخصام واذن يقول المسلم لمن كاد يضله - تالله إن كدت لتردين - . أكتب هذا على انه تنظير لا انه نفس معنى الآية بل هو أهم مقصود القرآن

هذا وليعلم المسلمون في أقطار الأرض أن الآراء التي يتلقاها الناس كبراً عن كبر قد تكون مدخولة مضلة وان كان الناس لا يعلمون :

(١) مثال ذلك مسألة التيازك وهي الصخور المعدنية (وأكثرها حديد ونيكل) التي تسقط على الارض من السماء آتية من اجرام سماوية أخرى . ففي أواخر القرن الثامن عشر أظهر بعض العلماء بناء على مشاهدات حقة أن هناك كتلا معدنية صخرية مختلفة في الحجم وفي الثقل تسقط على الارض من بعض الكواكب فقابل

أغلب العلماء هذا الاكتشاف بالعداء والسخرية وانفرد من بين هؤلاء العلامة الأشهر لاقوازيه (واضع أصول الكيمياء الحديثة) فظن أشد الطعن على هذا الاكتشاف الجديد مستندا على قانون الجاذبية العام قائلا بأن كل جرم سماوي يجذب أجزاءه اليه وأنه من المستحيل أن تسقط الصخور من السماء على الأرض وقدم تقريرا جازما الى مجمع العلوم بباريس ساخر فيه من هؤلاء العلماء الذين ساقهم عقلم الى الشك في قانون الجاذبية هذا الشك الفاضح . ثم صرحت الاعوام وظهر من تكرار المشاهدات أن لاقوازيه كان خاطئا وأن النيازك حقيقة لاشك فيها وأنها تسقط من الكواكب على الأرض رغما عن سيطرة الجاذبية

(٢) وهناك مسألة أخرى خاصة بالكائنات البحرية وتلخص في أنه كان من البديهي عند العلماء في النصف الأول من القرن التاسع عشر أنه لا يوجد أثر للكائنات تحت عمق اربعمائة متر في البحر الملح وذلك لان الضوء لا يصل الى هذا العمق وأن الضغط على جسمها يبالغ عند هذا العمق عشرات أضعاف الضغط الجوي وأنها لا يمكنها أن تعيش مطلقا تحت هذا الضغط . فن البديهي اذن أن لا يوجد كائنات حية تحت هذا العمق . ولا يخفى أن هذه البرهنة واضحة وبسيطة متماسكة منطقيا فكان من المعقول أن يكتبني بها العلماء وأن يطمئنا الى حقيقتها ولكن أظهرت الابحاث التالية في صيد الحيوانات البحرية على أعماق مختلفة وذلك بالآلات صيد خاصة تدل بالضغط على العمق التي أخذت فيه هذه الحيوانات من أن هناك كائنات حية متعددة ومتنوعة من أسماك وقشريات ونجميات على أعماق بعيدة يصل بعضها الى سبعة آلاف متر أو أكثر . وأن هذه الكائنات تتحمل ضغطا يقدر بسبعمائة ضغط جوى وانها رغما عما كان ينتظر منطقيا منها عمية بدروع صلبة تجعل أعضائها الداخلية في مأمن من العطب بل ان أغلب هذه الحيوانات هي على الضد من ذلك طرية اللص والجدار كبعض مثيلاتها في المياه السطحية والعقل يحار أمام السر الذي تخفيه هذه الحيوانات في تحمل هذا الضغط العظيم . ولما تكرر صيد الاعماق البحرية نبئت هذه الحقيقة شيئا فشيئا حتى أصبحت لاشك فيها الآن ودخلت في مجال العلم رغما عن مخالفتها لتنطق الذي استندت عليه الآراء القديمة

(٣) ولما ظهر دارون بكتابه «أصل الأنواع» قامت القيامة في وجهه وانتقده العلماء وسخروا به لأن آراءه الجديدة كانت مخالفة لما تعودوه من التفكير ولكن لم يلبث أن خضع له الكثيرون ممن كانوا لا يؤمنون به . وان كانت آراء دارون الاصلية قد تشقت كثير منها في مهب الريح الا أن اثرها في تطور الابحاث العلمية لاشك فيه ومركزها في تاريخ العلم مركز عتيق

(٤) وكذلك لما قام العلامة باستور بابحاثه المعروفة في المكروبات وأظهر لعالم الطب الدهش أن كثيرا من الامراض سببها تكاثر ميكروبات خاصة في عضو من أعضاء الانسان أو الحيوان وأنه من الممكن زرع هذا الميكروب في سوائل خاصة واحداث المرض نفسه في حيوان سليم . لما فعل باستور ذلك قامت قيامة علماء الطب عليه وصاروا يطعنون أشد الطعن في هذه الآراء الجديدة ولكن كل هذا العداء من جانب علماء ذلك العصر لم يمنع نظرية الامراض الميكروبية من التقدم والتحسين حتى أصبحت الأصل للجراحة والطب الحديثين

(٥) ولما أظهر باستور بواسطة لتجارب المنقنة المحكمة أن الكائن الحي لا يتكوّن الا من كائن حي سابق وأنه من المستحيل أن تتكوّن الحياة في سائل عضوي معقم تعقبا كافيا أي ان نظرية التولد الذاتي مستحيلة التحقق وكانت هذه النظرية شائعة كل الشيوخ بين علماء ذلك الوقت . لما اثبت باستور ذلك احتج عليه العلماء من كل صوب محظين كل التجارب مستندين الى ما تعودوا رؤيته وكل هذه الضجة الهائلة لم تمنع آراء باستور من الانتصار

(٦) ولقد شاعت نظرية دوران الشمس حول الأرض ، ولكن لما ظهر الحق على أيدي علماء الاسلام
 أولا كإتقّم إيضاحه في أول ﴿ سورة يونس ﴾ وأن الأرض هي التي تسبح حول الشمس وعرفها علماء أوروبا
 فلما ظهرت على أيدي بعضهم صودر وحبس وحكموا عليه بالكفر ولكن ظهر رأيه وانتشر في الأرض
 فهذه ست مسائل مما فاز باظهاره العلم بعد أن كان الجهل به حقيقة لا يشك فيها ، أليس معنى هذا أن
 المسلمين في المستقبل غير المسلمين الحاليين النائمين الذين يعيشون بفكر غيرهم وكثير منهم أشبه بالحشرات
 اللاتية تمتص دم الانسان وهي ضعيفة - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - ولقد قلت مرارا في
 هذا التفسير أن أم الاسلام في المستقبل غيرها في الماضي والله هو الهادي الى سواء السبيل . انتهت اللطيفة
 الرابعة وبها تم الكلام على سورة الصافات والحمد لله رب العالمين



تفسير سورة ص

وقال لها سورة داود عليه السلام

(وهي مكية)

(آياتها ٨٨ - نزلت بعد القمر)

والكلام عليها في « ثلاث فصول » الفصل الأول « في تفسير البسملة » الفصل الثاني « في تفسير الألفاظ » الفصل الثالث « في مقصود السورة »

﴿ الفصل الأول في تفسير البسملة ﴾

لما قمت هذه السورة الى الطبع حضر صديقي العالم الذي اعتاد أن يناقشني في هذا التفسير فقال : لقد فسرت البسملة في السور السابقة بطرق شتى بحيث لا يسبق الى الفهم تكرار في التفسير ، فهل تريد أن نكتب شيئاً في تفسير البسملة هنا . فقلت نعم . فقال : وهو يفاير ما تقدمت ؟ فقلت نعم . فقال : من أي وجهة ؟ فقلت من وجهة الوحدة والكثرة ، فالوحدة في لفظ الجلالة لأن هذا الاسم لا يلحظ فيه إلا اللغات وأما الرحمن الرحيم ، فهنا للرحمة آثار لانهاية لعدتها ، إذن هنا وحدة وكثرة ، فالوحدة للذات الإلهية والكثرة في آثار الأسماء الدالة على الصفات وأسماء الله جميعها تدل على الصفات . فقال : هذا كلام اجمالي والوحدة والكثرة ذكرها الصوفية ولكن كلامهم مجمل ، ويذكرها الحكماء في علم ما وراء الطبيعة ويقولون : « إن العالم ذو وحدة تقسم الى جوهر وعرض وكل منهما يقسم أقساماً ، وهذه الأقسام هي المقولات العشرة المشهورة وهناك تقاسيم أخرى لا حاجة الى الأفاضة فيها وكلها ترجع الى تقسيم وحدة العالم الى كثرة حتى ان تقسيم العلوم الرياضية والطبيعية يرجع الى هذه الكثرة المنجوبة في وحدة العالم . فقلت هذا حق ولكن الوحدة والكثرة التي سأذكرها هنا تؤخذ من المشاهدات الطبيعية مثلي في ذلك مثل علماء الهندسة إذ يعرضون على الطالب أموراً معلومة للجاهل والعالم ويستنتجون علوماً لا يعرفها إلا الخاصة فهم يقولون الكل أكبر من الجزء والنقيض لا يجتمعان وإذا أضيف شيئاً متساويين الى شيئين متساويين يكون الجميع متساويين وإذا حذف شيئاً متساويين من شيئين متساويين فالباقي متساو وهكذا ويستنتجون من هذه نظريات وراء نظريات حتى يصلوا بعد (٣٣) نظرية الى أن زوايا المثلث الثلاث تساوي قائمتين . وبعد نيف وأربعين قضية يقولون إن مربع وتر الزاوية القائمة يساوي مجموع مربعي الضلعين الآخرين وهذا الشكل يسمونه شكل العروس ، فهذه مسائل دقيقة استنتجوها من أمور أولية بديهية ، فهكذا هنا أنا أبحث في الوحدة والكثرة في الامور المشاهدة أولاً وأقني على ذلك بما هو أعلى وأعلى . فقال : لقد شاقني وصفك فكيف يكون ذلك ؟ فقلت : ما من امرئ إلا وهو يعتقد انه واحد وهذه الوحدة مشتملة على كثرة ، فلكل انسان أعضاء للاحساس وهي خمس وأعضاء للعمل وهي خمس أيضاً ، اليدين والرجلان واللسان ، فاليدان بلجيع الصناعات على الأرض والرجلان لانتقال الأجسام واللسان لنقل المعلومات في الهواء ومن صناعات اليدين الخط وهو مساعد اللسان في نقل علم الأولين الى الآخرين وعلم الحاضرين للفتانين ، إذن الرجلان واللسان وبعض أعمال اليدين لنقل الأجسام ونقل العلوم . ثم ان العين من أعضاء الحس واليد من أعضاء الحركة كل منهما مركبة من أجزاء مختلفة كالشبيكية والبلورية في العين وكالجلد والعرق والعضل في اليد ونحو الجلد والشبيكية والبلورية كل من هذه يسمى جزؤه باسم كله . فقطعة من الجلد وقطعة من الشبيكية وقطعة من العضلات وقطعة من العروق كل هذه يكون شأنها شأن ما قطعت منه في التسمية . فقطعة من العظم وأخرى من اللحم لا يتغير اسمها عما

قطعت منه بخلاف الجلد اذا كسطناه عن اللحم فكل منهما يحمل اسما يغير الآخر . وهذه الأجزاء التي تسمى جزؤها باسم كلها مركبات من عناصر دخلت فيها وتنتهي هذه الأجزاء الى الالكترونات وهي النقط الضوئية الصغيرة جدا ، فهذا عرفنا وحدة الانسان في قوله انا وكثرته بهذه الأجزاء التي لا يعرف مدى قسمتها وتحليلها ، ولا جرم أن الوحدة هي التي جمعت هذه الكثرة وحفظتها ولذلك اذا خرجت الروح من الجسم وهي الجامعة لتفرقاته في الحياة رأينا هذه الوحدة قد تفرقت شذرمذري في الأرض والماء والهواء إذن الوحدة لها السلطة والغلبة على الكثرة وكثرة بلاوحدة ضائعة متفرقة ، وحدة الأسرة والمدينة والأمة والانسانية جمعاء والحيوانية وهكذا الى أن نقول وحدة الكرة الأرضية ، ومثل ماقلنا في وحدة الجسم وكثرته نقول في وحدة الأسرة المركبة من أفراد لها رئيس جامع لها وكثرتها وهكذا القرية والأمة الواحدة والأم الشرقية والغربية ثم الانسانية جمعاء فكل هذه لها كثرة ووحدة بوجهين مختلفين ، واذا علونا الى ماهو أوسع من الانسانية اعتبرنا الحيوانية فالعوالم النباتية فالعالم الأرضي كله فالكرة الأرضية جميعها فلها وحدة وطا كثره كجسم الانسان وبالوحدة البقاء وبالتفريق الملاك فلا بد من وحدة تضبط الكرة ، واذا علونا فوق ذلك رأينا السيارات مع الشمس لها وحدة نسميها المجموعة الشمسية التي نرى لها تسع سيارات باعتبار الكوكب الذي وراءه بتون الذي كشف في هذه السنة ، وهناك ذوات الأذنان والنيازك والشهب الجاريات حول الشمس التي يقال ان عددها كعدد سمك البحار فهذه كلها مع الشمس معتبرة وحدة . الأثرى الى مايسمونه الجاذبية ، تلك الحال التي تضم الأرض والكواكب السيارة وأقمارها فتجعلها لا تحيد عن أماكنها كما لا تترك اليد ولا الرجل جسم الانسان وغيره

تباركت يا الله : لنا أجسام ذات وحدة جمعت كثرتها فاذا فارقتها الوحدة بمخروج الروح تفرقت أجزاءنا وللمجموعة الشمسية وحدة كوحدة الروح مع الجسم بحيث نرى الكواكب في أماكنها ولولا الجاذبية لتفرقت وطاحت ، إذن هنا أمر عام في المجموعة الشمسية حكمه حكم الروح في جسمي اذا خرج منها تفرقت تلك الأجزاء وتناثرت وتباعدت وطاقشت في أقطار الخلاء البعيد المدى وفي المجرة الواحدة مئات الملايين من تلك المجموعات الشمسية التي نشاهدها في الليل بهيئة نجوم صغيرة جدا في رأي العين ، وحكم المجرة الواحدة مع كواكبها الثابتة التي هي في الحقيقة مجموعات شمسية لها حكم ماذكرنا أولا من الجسم ومابعده (انظر بعض هذا في أول سورة سبأ) وليس في السماء مجرة واحدة بل هناك مجرات وسدم (جمع سديم) تعد بمئات الملايين وقد فعلها ما فعل بما قبلها بحيث أصبح العلماء اليوم يقولون : « إن العالم كله كرة واحدة يسير النور حولها مائة ألف مليون سنة . ومعلوم أن النور يسير في الثانية الواحدة (١٨٦) ألف ميل (٣٠٠) ألف كيلو . إذن هذه العوالم جميعها جعلت كرة واحدة كما جعل الانسان الواحد جسما منظما له روح يجمع وتضم وتحفظ أجزاء جسمه كما ان في العالم معنى يحفظه وقوة تضمه يسمونها الجاذبية وهي عين الوحدة

﴿ نظام الجسم الانساني مع هذه العوالم ﴾

قلنا إن الجسم الانساني له حواس للعلم وله أعضاء للعمل . فأما الحواس الخمس فأولها حاسة اللمس التي تم كل حيوان حتى البودة بل هي سارية في النبات أيضا وهذه قسطها من العوالم حولنا ما قرب منا بالاحساس بالبرودة والحرارة واليبوسة والرطوبة وهكذا ويلبها حاسة النوق بالحلاوة والملوحة والمرارة والحرقاة والعذوبة وهكذا ثم الشم للروائح التي يحملها الهواء ثم السمع للأصوات من سائر الجهات ثم البصر لما هو أبعد حتى أقصى النجوم من القدر السادس . ثم بعد ذلك يستعين الانسان بالعلم فيصن الى معرفة أقدار النجوم وأبعادها ويعرف بالمجهر الى القدر العشرين . إذن الحواس الخمس عرفت مبدأ العلوم والعلم أغاث الانسان فرفعه فوق ما رفعت هذه الحواس . إذن الجسم الانساني من حيث العلم قد شهد العوالم بحواسه ثم بعقله وبهذا انتهى الكلام

Please repair binding

(both at beginning and end
of book),

thank you.



على القسم العلمي من الجسم الانساني

أما القسم العملي فهو أعضاء العمل وهي قسمان : قسم للانتقال ، وقسم للأعمال . أما قسم الانتقال فهما الرجلان اللتان نسير بهما على الأرض وقد ساعدهما سفن البحار وقطار البخار في الأرض والآلات الجارية كالعربات وما يسمونها السيارات (الأتوموبيلات) وهكذا كل ما يجرى على الأرض بجر الحيوان أو يدفع البخار أو بمادة البنزين المستخرجة من الفحم أو بالكهرباء ، كل ذلك على الأرض ، وبلى ذلك الطائرات التي تطير في الجو وتحمل الناس والأقال ، فهذه كلها قامت مقام سعي الرجلين وبهذا تم الكلام على العضوين اللذين أعدنا لنقلنا وسيرنا على الأرض

أما العضوان اللذان أعدنا للأعمال فهما اليدين اللتان بهما نصنع ما نحتاجه للطعم والملبس والسكن وما تفرغ منهما واستعنا على ذلك بالآلات فقامت مقام عمل اليدين كما قامت المجاهر مقام العينين في بحث الكواكب البعيدة وقامت الطائرات في الهواء والسيارات على الأرض والسفن في البحار مقام الرجلين ، وهذه الآلات التي قامت مقام اليدين أو ساعدتهما إما أن تديرها اليدين أو الحيوان أو الفحم أو الكهرباء ، كل ذلك لا تمام عمل اليدين وحفظ حياتنا على هذه الأرض ، وبالجملة هذه العوالم مزرعة الانسان من وجهين : وجه العلم ، ووجه العمل وجسمنا خلق على استعداد لهما ، أما اللسان فهو رسول بين الأفراد يوصل العلم من واحد الى الآخر ويبين على الأعمال العاتمة فهو بمركته عامل وعمله ينتج العلم . هذه هي حال الانسان بالنسبة للعوالم المحيطة به وأكثر ما ذكرناه هو معلوم طبيعية لصور خارجية في العوالم الأرضية والسماوية

﴿ الصور الخارجية والصور الذهنية والعلوم الرياضية ﴾

قلنا إن أكثر ما ذكرناه عالم طبيعية إذ هي ترجع الى المادة المحسوسة المشاهدة ولكن هذه العوالم المشاهدة كما قررنا لها وحدة ولها كثرة من وجهين والكثرة لاحد لها ، فإذا لم ترجع الى الوحدة في أذهاننا كما أنها واحدة في الخارج كان جهلنا بها عظيماً لأن العلم لا يثبت إلا لما هو ثابت ولانبات لإيقوانين ، أما الكثرة التي لا قانون لها ولا ضابط فهي خارجة عن الحصر وما نرجع عن الحصر لا يعلم ، هنالك احتاج الانسان الى علم العدد والحساب ، ولا جرم انه كما قلنا واحد في نفسه لأن له روحاً جمعت أجزاء هذا البدن وإذا خرجت هذه الروح من الجسد تميزت تلك الأعضاء وطاحت تلك الحواس وتناثرت تلك الأجزاء وضاعت في كل فج عميق ألم يشاهد الناس أن الميت هذه حاله لا ضابط لأجزاء جسمه الممزقة ولا حافظ لأعضائه المختلفة ، فالذي جمع ذلك كله وحدة هي الروح ، فليس في الأرض امرؤ يقول في نفسه انه اثنان بل يقول أنا ، ففيه معنى الوحدة بداهة ثم ينظر في أعضائه فيجد فيها الرأس وهو واحد والعينين والأذنين واليدين والسبيلين وهكذا فهما اثنان ، ويرى في كل أصبع ثلاث مفاصل ويرى أعضاء البطن أربعة وهي اليدين والرجلان وأعضاء الحواس خمسة وأصابع اليد الواحدة خمسة وبضعيفها تكون العشرة ثم العشرين بضم أصابع الرجلين وهكذا يضاعف العدد الى المائة والألف والآلاف والملايين وما فوق ذلك وينتهي ذلك كله بأن تقول علم العدد . إذن الانسان فعل في صورة الذهنية ما فعله بالصور الخارجية . إن الانسان كما انتقل من جسمه الى العوالم فأرجعها كلها الى كرة واحدة فعل بعلم العدد هذا العمل نفسه . فالعشرة عنده وحدة والمائة وحدة والألف وحدة والمليون وحدة وهكذا وينتهي الأمر بعد آلاف آلاف الملايين أن يقول هو العدد والحساب كما قال في العالم المحسوس هو الكرة التي يسير الضوء حولها كذا وكذا فما تقسم . إذن الانسان اخترع لنفسه صوراً ذهنية هي الأعداد وهذه الأعداد لا وجود لها في الخارج وهل في الخارج إلا المعدود . والسماء والأرض والبحر والجبل ليست أعداداً كلا . بل هي معدودات . وما الأعداد إلا صور ذهنية اخترعها العقل الانساني ليكبح بها جماح الصور الخارجية التي تريد أن تفلت من يده فضمها وجهها ففترت في يديه وحضرت لديه ففرقها فكان بذلك قروبر العين

وبلى الحساب علم الهندسة . وما علم الهندسة إلا نظام للقادير المتصلة من المخطوط والسطوح والأجسام كالخط المستقيم والمنحنى والمنكسر وكالزاوية والمثلث والمربع وكالكرة والمكعب وما أشبه ذلك ، فالقوانين الهندسية التي سبق كثير منها في ﴿ سورة الروم ﴾ عند آية - فطرة الله التي فطر الناس عليها - بها ضبطنا كثيرا من هذه الأجسام فبقيت في عقولنا وحفظت في أذهاننا فأرجع اليها فانك تجد هناك نسا وصلة ورجا بين أنواع الأشكال في مساحتها كالنسب والصلة بين ذوى الرحم من نوع الانسان . إذن الهندسة متممة للحساب في ضبط المادة كي يعلمها الانسان ويساعد ذلك كله علم الجبر وعلم الفلك وعلوم أخرى مفرعة على ذلك . وما ذلك كله إلا صور ذهنية اخترعتها العقول الانسانية بحكمة دبرت وآيات أبدعت في خلق الروح المودعة في هذه الأجسام . إذن الانسان قدر أن يصنع في نفسه نوعين من الصور : نوع له وجود في الخارج وهي مواد العلوم الطبيعية . ونوع لا وجود له في الخارج وهي الأعداد وعلوم الهندسة والأعداد مقادير منفصلة والهندسة مقادير متصلة إذ ترى المثلث مثلا اتصلت أضلاعه وزواياه بخلاف واحد اثنين فهما منفصلان لامتصلا وهنا يقولون إن الوجود له ﴿ أربع مواطن ﴾ وجود في الأذهان كهذه الأعداد ونظريات الهندسة . ووجود في الأعيان وهي المعدادات والأشكال الهندسية للموسة . ووجود في اللسان وهي الكلمات البدالات على ما في الأذهان . ووجود في البنان وهي الكتابة الدالة على ما نطق به اللسان . إذن الموجود أصالة هو الخارجي وهو المعداد مثلا ويبر عنه العدد الذهني ويبر عنه اللسان وينوب عنه القلم . فأولا مرتبة الخارج يتبعها الفهم يليه اللسان فالبنان . ولكن الذي في الخارج هو المعداد والذي في الفهم هو العدد فهما متغايران من هذه الجهة

﴿ البحث فيما وراء المادة ﴾

(ومعرفة الله تعالى ونظام السياسة في الأمم)

نظر الانسان بعد ذلك فقال : هذه علوم طبيعية وهذه علوم رياضية والآخرة حفظت الأولى ولكن ما الحافظ لهؤلاء جميعا والذي حله على ذلك غريزته وفطرته كما ان نفس الفريزة هي التي اخترعت علم العدد . فهناك قال الانسان : « إن للعالم صنعا ولكن كيف أتصوره ؟ المادة مشاهدة . والأعداد ونحوها متخيلة مستنتجة من المشاهدات المحسوسات » هنالك أخذت الخيلة تخلق له صورا وأشكالا . ويانه أن الانسان يتصور السماء والأرض وما بينهما في تخيلته اذا كان بصيرا كما شاهدهما ويتصور المسموع بصورما يراه ويشاهده بعينه لأن البصيرات أغلب عند المبصرين وهكذا يتصور الأعداد بصورما يشاهده بعينه . أنا منذ الصغر حفظت القرآن عن ظهر قلب بلا عقل فأنا ألاحظ الآن أن سور القرآن سورة سورة مرسومة في ذهني مفصلة بهيئة صور لها ألوان مما أشاهده في العالم وهذا من المسموعات ولكن هذه الصور المخترعة في تخيلتي للمسموع من القرآن ليست في الوضوح كصور السماء والأرض ثم أرى صورا أخرى في خيالي للأعداد من الواحد والعشرة والمائة وما بينها فهي مرتبة منظمة بحسب ما يشاهده بصري . وليس من المعقول أن الأعشى يتصور هذه الصور كما يتصورها البصراء . إذن الانسان في صور المحسوسات والصور المخترعة للعد يتخيلها بحسب ما غلب عليه . إذن الانسان في تصوّره لم يلتزم طريقة بعينها فهو حر يتصور بحسب ما غلب عليه . فاذا كانت هذه حالة فيما له صورة في الخارج ونحوه فهو فيما ليس له صورة في الخارج أغور في الحرية وأعرق وأبعد مدى في التصوير . ألا ترى الى ما يقوله الحكماء : « ان الطبيعيات هي ما تحتاج في ادراكها الى المادة في الفهم وفي الخارج والعلوم الرياضية ما يحتاج في ادراكها الى المادة في الفهم ولا في الخارج وذلك كالنخلة في الأول والمائة في الثاني والله في الثالث ههنا أخذت عقول الناس تجول فيما حولها . فأخذ كل يصف الله في خياله بما غلب عليه مما هو عظيم

في نظره من بقرة يحترث الأرض عليها وقيل هائل المنظر وحية عظيمة وفرد شمس وقر وكوكب فالخيال هنا كان أوسع حرية بخلافه في المحسوسات فإن صورها ظاهرة فلا داعي لسعة الاختلاف في تصورها ، ولذلك رأينا أهل هذه الأرض ملؤها بالأصنام اللاتي تصور لكل أمة ماغلب على طباع أهلها ، وتارة يتخيلهن صانع العالم رجلا عظيما كما تخيلوه كوكبا منيرا ، بل منهم من تخيله شريرا كثيرا الشر لما غلب على الطبع من أن الشرير يخاف كأمثال قوم يسمون اليزيدية يعبدون إبليس ويقولون إن الله رحيم فلا حاجة إلى عبادته ولكننا نجد إبليس لأنه شرير وهكذا من الصور التي لا حد لها ، ولكن الإنسان ذلك المخلوق الذي أدرك في نفسه وحدة وكثرة ووحدته حفظت كثرته رجع فقال . كلا . الوحدة في جسمي وفي العوالم والوحدة في الأعداد كما تقدم ، فالإله ليس متعددا بل هو واحد وما هذه إلا مظاهره كما إن روي واحدة والأعضاء مظاهرها لا غير ، لذلك تسمع علماء الهند يقولون : « إن الآلهة الثلاثة التي يعتقدونها ماهي إلا صفات للجواهر الحقيقي وهم براهما وسيغا وفشنو ، فهم إذا ملؤوا بلاد الهند بالأصنام فكلمها آلهة ثانوية ترجع إلى الثلاث والثلاثة إنما هي صفات والله واحد ، وهكذا تسمع المسيحيين يقولون قولاً أخفى من هذا فيقولون : « الثلاثة واحد » ولكنهم لا يفصحون كما يفصح أهل الهند لأن هؤلاء مقلدون لهم والمقلد لا يعقل ما يعقله من علمه فلما جاء الإسلام أعلن الحقيقة مرة واحدة فكسر الأصنام ومنع تعدد الآلهة وأنكر الآبوة والبنوة وقال الله واحد ، فقوله تعالى حكاية عن الكفار في هذه السورة - أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجيب * وانطلق الملا منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد * ماسمعنا بهذا في المرة الآخرة إن هذا إلا اختلاق - منشؤه نظرهم إلى الكثرة والكثرة بلا وحدة ضائعة

﴿ سياسة الأمم تتبع عقائدها ﴾

إن الأمم لآبات لها ولادوام إلا بوحدها ، ولا وحدة لها إلا بعلم يحفظها كما حفظت الصور المحسوسات في نفوسنا وعلمت بضوابط حسائية ، فكما أن العلوم الرياضية رباط العلوم الطبيعية وحفاظ لها هكذا العقائد الثابتة في الأمم رباط الجماعة الإنسانية تحفظها من الهلاك والتشقق ، ولذلك نجد دين الإسلام شرع الأمرين معا : وحدة الخالق ، وتبعا وحدة الأمة : العرب في البداية كانوا أشتاتا كل يفخر بأتمه وأسرته وعشيرته اغراقا في البداوة كما يفخر بصمه الذي يعبده ويحقر صنم سواه ، فهو بعشيرته وبصنمه مقتون ، هنالك تفرقتوا سياسة كما تفرقتوا عقيدة ، فقال الإسلام لهم : « أيها الناس : لا فضل لعربي على عجمي إلا بالقوى ، ما هذا التفرق ، ما هذا الخذلان ، ما هذا التباعد ، هذه وحدات ضائعات متفرقات متباعدات ، اجتمعوا هذه الوحدات كلها في وحدة تجمعكم ، قم يا بلال أذن في الكعبة وأتم أيها العرب اسمعوا أذانه ، وإن زعمتم أنكم أولى بالكعبة من كل الأمم ، أتم بنو آدم لابنو عدنان ومقطان فقط ، فاتكونوا أيها الناس أمة واحدة ، ألم تكسر أصنامكم المفرقة لكم ، ألم قل لكم إن إلهكم واحد رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق ، إذن الوحدة عاتمة في الكون فمن أين أتيتم بالتعدد ؟ وهذه الوحدة يجب عليكم أن تفتدوها بالصلوات الخمس محبة لأبدانكم وقوة لإيمانكم وجامعة لمدينتكم وحافظة لمولتكم والزكاة من أعظم الروابط بينكم واشتراكم في صيام رمضان يقوى إيمانكم ودولتكم والحج يجمعكم ،

هذه هي أركان الإسلام التي تجمع المسلمين على عقيدة واحدة وعمل واحد وهذا العمل يقوى العقيدة ويحفظ الوحدة ، ولما ترك المسلمون الصلوات وما بعدها وتمانونا فيها حاق بهم الدال لأن العقيدة لم تجد ما يفنديها ويقويها وبمحفظها تفرقت الوجهة وساء المصير

فقال صاحبي بعد أن سمع هذا . الله أكبر : إن هذا خير بيان في هذا المقام ولكن يتوجه إليك - مؤالان

فأرجو أن تأذن لي في ذكرهما . قلت : لك ذلك . قال : ﴿أولاً﴾ ان اليابان عابدة الأصنام والفرنيجة الذين يؤمنون بثلاثة آلهة قد اتحدوا ولا توحيد عندهم والمسلمون للموحدون لرابطة لهم . إذن لأعلاقة بين العقائد ونظام السياسة ﴿ثانياً﴾ أنا الآن في تضير البسمة في أول ﴿سورة ص﴾ والى الآن لم تبين مافى هذه السورة من الوحدة والكثرة وما تقدمت عليه إن هو إلا أشبه بالمقتضات . قلت : أما كون الأمم التي لا توحيد في عقائدها قد نجحت في سياستها والأمم التي وحدت في عقائدها قد اضطرت سياستها كالأمم الإسلامية ، فهذا يحتاج الى البيان . توحيد العقائد والاشراك فيها أمر يرجع الى العلم والجهل . فهو إذن راجع لجهل الروح وعلمها . واعتقاد التوحيد قد يجر الى اتحاد السياسة ونظام المجموع . وقد يقف عند الايمان المجرّد فاذا غدى ذلك الايمان بما يزيد يوماً فيوماً من الاجتماعات العامة في الصلوات كالصور الأولى ، وبما يؤدى الناس من الزكاة للضعفاء والمرضى ، وبما يحجون ويصومون ويتصدقون

فهذه كلها مغذيات منميات لتلك الوحدة وينقل التوحيد من العلم الى العمل ويصبح الناس اخواناً . واذا دهمهم عنو تألبوا عليه . وازدياد الحوادث تزيدهم اتحاداً . فأما اذا بقى التوحيد أمراً قلبياً إيمانياً أو يقينياً بالعلم ولم تسع الأمة الى إيجاد روابط عملية بالصلوات والاجتماعات العامة في خطب الجمع والأعياد فمن أين يتعدى التوحيد العقول ويسرى الى الأجسام ويوحدها . فليس كل من وحد استوفى شرائط التوحيد ولا كل آمن بالله جذيراً بنصره . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون . ولا جرم أن أركان الاسلام الخمس هي النواة والحجر الاساسى لبنان الأمة وسلامتها وحفظ كيانها . هذا هو السبب في تحاذل المسلمين وعدم اتحادهم في القرون المتأخرة

إن اتحاد الأمم في السياسة له طرق شتى ونواح مختلفة وترجع كلها الى توحيد وجهة الأمة وذلك كما يحصل بالدين يقوم بالعصية والوطنية والاتحاد في اللغة وفي النسب وفي الاتباع لملك جامع لهم وفي المعاهدة وفي مصاهرة الملوك وفي الاستعداد بأن تنبع الأمة من استعبودها وهكذا مما ذكره العلامة الفارابي في كتابه « آراء أهل المدينة الفاضلة »

كل هذه جعلها النوع الانساني طرقاً ومسالك للاتحاد وهي درجات بعضها فوق بعض فان قاموا بشرائطها جمعهم وان لم يقوموا بها تفرقوا شذروا ، وبهذا تفهم كيف اجتمعت اليابان فقد جعلتها الحاجة الى الدفاع عن وطنهم واتحادهم في النسب واللغة والوطن وقد قاموا بما يجب لهذا كله والله يقول . وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون . فهم لما أصلحوا أحوالهم النظامية لم يكن ظلمهم بالكفر سبباً لاهلاكهم كما أن الحيوانات التي في الغابات لا حصر لها تعيش في أمن وسلامة فليس الانسان أذى منزلة منها لأن الله رحيم رحيم يسع في ملكه كل من أصلحوا معيشتهم في الحياة الدنيا وان كفروا بأسر الأديان إما لأنه لم يبلغهم على وجهه كما هو المعروف الآن ولما للتكبر والأنانية والعظمة وهذا قليل

فقال صاحبي : لقد اجتمع أهل مصر وتونس وطرابلس والجزائر ومراكش وسوريا والعراق والموصل في اللغة والدين وتجاور الأوطان وفي النسب فلماذا لم يتحدوا ؟ قلت له : الجواب على ذلك ظاهر مما تقدم . فكما عجزوا عن تنفيذ العقيدة الدينية بالظواهر المغذية لها التي توجب اتحادهم في السياسة الدينية فضلاً عن محبة الله والسعادة الأخروية هكذا عجزوا عن القيام بحق اللغة وآدابها ونشرها وعن قراءة علم تاريخ أسلافهم وتواصل المودات بينهم والتعارف فالعجز عن مغذيات الدين بأعماله الظاهرة نظيره العجز عن مغذيات اللغة والنسب وقرب الجوارى الوطن . كل ذلك متروك كما ترك غيره . فأما الأمم الأخرى فان لهم روابط كثيرة بل ان أوروبا المسيحية تجتمع ضد الشرق وتحارب مراكش ويكون الدين من أهم روابطها لأن المدار على الاعتقاد والاعتقاد له جميعات تحافظ عليه فاستبان بهذا وظهر ظهوراً لامرية فيه هذا الموضوع وعرفت أيها

الذكي أسباب اتحاد أمم وعلوها وضعف أمم وسقوطها . ولا يظن ظان أن اتحاد التلاميذ في ملابسهم ونظامهم في الأعمال والتحرير الرياضي والدروس وهكذا إقراءتهم في المدارس الثانوية علوما رياضية وطبيعية وتاريخية وفلكية لم يقصد به تلك الوجهة العامة . إن اتحاد العقول في علوم عامة واتحاد الأجسام في مظاهر ملابسها ورواقها كل ذلك ذرائع لاتحاد الأمة حتى ان الأمة الواحدة قد تنسع لأديان كثيرة ولكن كثرة المقومات للوحدة تمنع تفرق المجموع ولو بحسب الظاهر والقانون . ولا ريب أن أقوم مقومات اتحاد الأمم هو الدين اذا قام الناس بحقه . غير ما أنزل الله للناس هو هذا الدين الذي جمع الناس عقلا وعقيدة ودنيا وآخرة . ولما أهمل حاملوه أصبحوا في مؤخر الأمم . واعلم أن الانسانية لن تسعد ولن تستريح راحة تامة إلا بالوحدة شاملة . كذب هذا الانسان . كذبت المدينة الحاضرة

عجبي : نسمع أن الأمة التركية قد تركت دين الاسلام أي ان الحكومة أعلنت ذلك ولكن قرأت في مجلة « السياسة الأسبوعية » في شهر يونيو سنة ١٩٣٠ ماملخصه أن جماعات أنت الى بلاد الترك من أمريكا وهم من السود المتزجين بأهل البلاد الأصليين وهؤلاء يبلغون نحو مائة أوزيدون على ما أذكر وانهم عرفوا الاسلام هناك من جمعية الرفق باليتام وانهم يقولون : « نحن آمننا بالدين المسيحي الذي أتانا به الجنس الأبيض (وهم الاوروبيون) ومع ذلك لا يزالون يكرهونا ومتى رأوا من أحدنا ذنبا سقيرامز قوه شر مزق واخوانهم بهذا فرحون : ونحن لما سمعنا بالاسلام وسهولته فهمناه حق فهمه ولم نفهم الدين المسيحي . وهانحن هاجرنا من أمريكا الى هذه البلاد لتعيش مع اخواتنا الترك المسلمين » أقول وقد قابلت أحدهم بعد ذلك بمصر وهو عالم عظيم ولا جرم أن هذا القول ينطبق على السود الذين هم في الولايات المتحدة فهم هناك يمزقونهم كل مزق على صراخ ومسمع من الشرطة في تلك البلاد . إذن الانسانية اليوم لاتزال طفلة . فالتعصب يكون للدين كما يكون للون وللوطن فالناس لا يزالون في أحضان الجهالة يتربون . عجب وألف عجب لدين الاسلام الذي لا يفرق بين أمة وأمة ولا وطن ووطن ولا لغة ولغة ولا لون ولون وأذان بلال بالكعبة شاهد صدق على ما نقول أمام العرب المتعصبين لوطنهم ونسبهم . إذن فلتخجل الانسانية الحالية فإن مدينتها مدينة جاهلة سواء أ كانت بالوطن أم باللغة أم بغيرها . وخير المدينيات أن يكون جميع الناس متعاونين

إن الأمم التي عندها اجتماع ما بلغة أو بدين أو وطن كأهل أوروبا وأمريكا فهي أمة عوراء وهذا العور أفضل ألف مرة من العمى لأن أمم العرب المتجاورة لم تعن به بل بقيت منعزلة كأنها لم تسمع بالاسلام أول تسمع باللغة أو بالوطن أو غيرهما . إذن الأمم عمياء اذا لم يكن لها اجتماع بوحدة مما تقدم . عوراء اذا اجتمعت بلغة أو بدين أو وطن وهكذا . بصيرة اذا اجتمع الانسان كله اجتماعا صادقا مع العدل وحفظ العقول والعلوم واستخراج قوى النفوس وقوى الطبيعة

فيا أيها المسلمون : نحن أمة أكثرنا لم يصل الى درجة العور فنحن في أخريات الدرجات فارتقوا درجة واتحدوا كالأمم حولكم ثم بعد ذلك ارتقوا بالانسانية الى الدرجات العالية وهي أن يكون النوع الانساني كله على بصيرة . لذلك نفهم معنى كونه ^{صلى الله عليه وسلم} رحمة للعالمين . وهل يكون رحمة العالمين تعصب أمريكا على السود والحمر أو تعصب أوروبا على سوريا وتجزيقها الى دول صغيرة وتشتت شمل المسلمين في بلاد الجزائر وصراكش واذلالهم في عقردارهم . كلا . فهذه ليست رحمة

الأمم الحاضرة لاتصلح لرقى نوع الانسان . واعلموا أيها المسلمون أن هذا الكتاب ستعقبه نهضة في الشرق يتلوها رجة في الغرب يعقبها سعادة الانسان - ولتعلمن نبأ بعد حين - وبهنا تم الكلام على سؤالك الأول (الجواب عن السؤال الثاني) وهو قولك اننا الآن في تفسير البسملة في أول (سورة ص) واني لم أبين مالي هذه السورة من الوحدة والكثرة فأقول :

اعلم أن أسماء الله الحسنى دالة على صفاته وصفة الرحمة مصاحبة للعلم والارادة والقدرة لأن رحمة الله لم يعرفها إلا بالآثار ولا آثار إلا حيث كانت قدرة أظهرتها والقدرة تتبع الارادة ولا ارادة إلا حيث يكون العلم ، فالرحيم الذي لا علم عنده كالأم تكون رجاتها مضرّة ، والرحيم الذي لا قدرة له عاجز عن إيجاد ما قصده من الخير فالرحيم العالم المرید القادر هو الذي يستعان به ، ولذلك نجد للرحمة سورة بتامها كما أشرنا اليه سابقا في سورة أخرى إذ جعلت ﴿ سورة الرحمن ﴾ كلها كالنصير لآثار الرحمة ، بل جميع ما في هذه الدنيا والآخرة آثار للرحمة وحديث : « ان لله مائة رحمة وإن رحمة واحدة منها جعلت في الأرض بها ترفع الفرس حافرها عن ولها خشية أن تصيبه وأن هذه الرحمة تنضم الي ٩٩ رحمة الأخرى تكون لأهل الجنة » يوضح هذا المقام ، فعالم الدنيا والآخرة آثار الرحمة ، فإذا لم تكن هذه العوالم لم نعرف الرحمة . إذن الوجود آثار من الرحمة والعدم آثار الغضب ولا جرم أن القرآن من الرحمة ولذلك يقول الله - الرحمن - علم القرآن - فالقرآن من الرحمة وما في هذه السورة طبعا من الرحمة ، وما في الدنيا والآخرة من الرحمة وهذا هو الباب الذي دخل منه سيدنا على كرم الله وجهه إذ نقل عنه انه لو شاء لكتب وقرسبعين بعيرا في تفسير البسملة وهذا حق لأن الرحمة شملت العالم العلوي والسفلي والآخرة والدنيا وهذا هو السر في الابتداء بها في أول كل سورة ، ومعاني القرآن كلها داخلة تحت أسماء الله الحسنى الدالة على صفاته ، إذن الأمر ظاهر ولكن ليس معنى هذا أن يكون تفسير القرآن كل شيء بل القرآن يفسر بالطرق التي يراها المفسر أقرب لعقول أهل زمانه ويكتب ما يفهمونه هذا هو المقصود من التفسير لأنه يكتب كل شيء بل يكتب بحسب ما يناسب زمانه لا غير فلذا حاد عن ذلك لم يكن مفسرا بل هو ناقل وكل بعير فهو ناقل

فإذا سمعت ما يأتي في هذه السورة من قصص سليمان وداود اللذين أغدقت عليهما النعم وسمعت قصة أيوب الذي ابتلى بالنقم فاعلم أن النعمة والنقمة يرجعان لأمر واحد وهو الصبر بل الصبر على النعمة أشد على النفس من الصبر على النقمة كما ذكرناه سابقا تقلا عما نسب الي (أرسطاطاليس) إذ أرسل الي الاسكندر يهنئه بالنصر في فارس ويذكره بأن النعم تنتقل من دولة الى دولة اذا ترك الناس في حال أمنهم فبطروا العيش وشموا الرخاء وأن الناس في حال الخوف والحرب أنشط وأسرع عملا وفي حال الامن هم يكسلون ويطيرون ويذهب ملكهم . فهم يحتملون أيام المخافة ولا يكادون يصبرون على النعم لأنها تقيمهم وتقتلهم بالبطننة وسامت مصبرا

ومن هذا الباب ما جاء على لسان سليمان في ﴿ سورة النمل ﴾ - هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر - إذن سليمان عليه السلام المذكور في هذه السورة ابتلى بالنعمة بل ابتلاؤه أشد من ابتلاء أيوب على هذا القياس . فهنا أمران : رحمة بالابتلاء والخير والشر ووحدته فان الخير والشر وان كانا متقاربين جمعهما الابتلاء . فهنا وحدة وهنا كثرة والوحدة بها جعت الكثرة كما ان تعجب الكفار بقولهم - أجعل الآلهة إلها واحدا - الذي أملاه عليهم الجاهل يدحضه الوحي والعقل ويرجعان الى التوحيد . إذن الوحدة في الالهية بوجبه الوحي والعقل والتفريق بوجبه الجهل . والوحدة في نظام الأمم بوجبه الوحي والعقل والتفريق بوجبه الجهل . والنظام في الأمم إما لا أساس له كالأمم الوحشية واما متوسط الأساس وهو نظام الأمم الحالية واما ثابت الأساس وهو اتحاد الأمم جميعا والله يهدي من يشاء الى سواء الصراط . انتهى الكلام على الفصل الأول في تفسير البسملة والحمد لله رب العالمين

﴿الفصل الثاني﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ • بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ • كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ
 مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلا تَحِلُّ عَلَيْنَا حَرٌّ مِنْ مَنَاصِرٍ • وَنَحْيُوا أَنْ يَأْتِيَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَاذِبُونَ هَذَا سَاحِرٌ
 كَذَّابٌ • أَجَعَلَ الْآيَةَ الْإِلَهَ وَاحِدًا إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ يُعْجَبُ • وَانْطَلَقَ لِلَّامِ مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأْمِيرًا عَلَى
 آلِهِتِكُمْ إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ • مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آيَةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ • أَنْزَلْنَا
 عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَبْدُؤْا عَذَابَ • أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ
 رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ • أَمْ لَهُمْ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَليُرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ
 جُنْدٌ مَا هُنَاكَ مَهْرُومٌ مِنَ الْأَخْرَابِ • كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَارِ •
 وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَخْرَابُ • إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّابٌ أَرْسُلَ فَحَقَّ عِقَابٌ •
 وَمَا يَنْظُرُ هُوَ إِلَّا صَيْخَةً وَاحِدَةً مَأَلَمًا مِنْ فَوَاقٍ • وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا لَنَا فِطْنًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ •
 أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ • إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسْبِغْنَ
 بِالْعِشِيِّ وَالْإِنْسِرَاقِ • وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ • وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلْنَا
 الْخِلَافَ • وَهَلْ أَتَاكَ نَبْوًا أَنْطَمَ إِذْ تَسَوَّرُوا الْغُرَابَ • إِذْ تَخَلَّوْا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لا تَخَفْ
 خَصَنِانِ بَنِي بَعْضًا عَلَى بَعْضٍ فَاخْطُبْ بَيْنِنَا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ • إِنْ هَذَا
 أَخِي لَهُ تَسْعٌ وَسِتُّونَ نَجْةً وَإِلَى نَجْةٍ وَاحِدَةٍ فَقَالَ اسْكُنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِلَافِ • قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ
 بِسْوَالِ نَجَّتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنْ كَثِيرًا مِنْ الْخِلَافِ لَيَبْنِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ • فَفَرَّنا لَهُ ذَلِكَ وَإِنْ لَهُ عِندَنَا
 لَزُلْفَى وَحَسَنَ مَآبٍ • يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ
 الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ •
 وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ فَانُّ الَّذِينَ كَفَرُوا قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ •
 أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ • كِتَابٌ
 أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرُوا أُولُوا الْأَلْبَابِ • وَوَهَبْنَا لِداوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ

إِنَّهُ أَوَّابٌ • إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِيَاتُ الْجِيَادُ • قَالَ إِنِّي أُخِيبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ مِنْ ذِكْرِ
 رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ • رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ • وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا
 عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ • قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ
 أَنْتَ الْوَهَّابُ • فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ • وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ
 وَغَوَّاصٍ • وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْنَادِ • هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ • وَإِن لَّهَ
 عِنْدَنَا لِرِزْقٍ وَحُسْنِ مَآبٍ • وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ •
 أَرْكَضْ بِرِجْلِكَ هَذَا غَنَمٌ بَرْدٌ وَشَرَابٌ • وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رِزْقًا مِنَّا وَذِكْرِي
 لِأُولَى الْأَلْبَابِ • وَخَذْ بِيَدِكَ صِفَةً فَأَضْرِبْ بِهَا وَلَا تَحْنُثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ •
 وَأَذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ • إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرِي
 الدَّارِ • وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لِنَ الْمُصْطَفِينَ الْأَخْيَارِ • وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنْ
 الْأَخْيَارِ • هَذَا ذِكْرٌ وَإِن لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ مَآبٍ • جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَفْتُحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ • مُتَّكِنِينَ
 فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِمَا كَانُوا يُكْفَرُونَ بِهَا مِن قَبْلُ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِيفًا جِئْتَهُمْ فِيهَا
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي مَقَابِلِهِمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ • وَإِن لِّلطَّاعِينَ لَشَرَّ مَآبٍ • جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا
 فَنَبِّئُكَ عَنْهَا أَن تَكُونَ لِلنَّارِ لِقَاً أُولَى الْأَنْبَابِ • هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَصِمٌ
 مَعَكُمْ لَا مَرَجَ بَيْنَ يَدَيْهِمْ وَإِنَّمَا صَاحُوا النَّارَ • قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَأَمْرَجِبَا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَنَبِّئْ
 الْقَرَارُ • قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرِّدْهُ عَذَابًا صِغْفَاءً فِي النَّارِ • وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا
 نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ • أَمْخَذْنَاهُمْ سِحْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ • إِنَّ ذَلِكَ لَلْحَقِّ بِخَاصِمٍ أَهْلِ
 النَّارِ • قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ • رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
 الرَّزِيزُ الْفَنَارُ • قُلْ هُوَ نَبِؤُا عَظِيمٌ • أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ • مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِاللَّائِلِ بِالْأَعْلَى إِذْ
 يُخْتَصِمُونَ • إِن يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ • إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ
 طِينٍ • فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَخَضَعْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقُولُوا لَهُ سَاجِدِينَ • فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ •
 إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ • قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ
 اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ • قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ • قَالَ
 فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ • وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ • قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ •
 قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ • إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ • قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ • إِلَّا عِبَادَكَ

مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ • قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ • لَا مَلَانَ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَرَمِنَ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَتَمِّينَ • قُلْ
مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ • إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ • وَتَلَمَّحْنَ نَبَأَهُ
بَعْدَ حِينٍ •

﴿ التفسير اللفظي ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(ص) تقدم في سورة آل عمران والعنكبوت والروم ويس بعض أسرار الحروف وستخصصها بالكلام في الفصل الثالث لتعرف أنها مغزى السورة كلها والمقصود المهم منها (والقرآن ذي الذكر) أي أقسم بالقرآن ذي الشرف والبيان انه لمجز وان محمدا لصادق (بل الذين كفروا في عزة وشقاق) أي ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه ، وانما ذلك الكفر لعزة أي استكبار عن الحق وشقاق أي خلاف لله ورسوله ، واذا ثبت أن القرآن مجز وأن هؤلاء معاندون لم يبق إلا انذارهم ولذلك قال (كم أهلكنا من قبلهم من قرن) من أمة (فنادوا) فدعوا واستغاثوا حين رأوا العذاب فأجابتهم الملائكة قائلين (ولات حين مناص) أي ليس الحين حين مناص أي نجاة لأن وقته فات (وهجيبوا أن جاءهم منذر منهم) أي بشر مثلهم (وقال الكافرون) فيه وضع الظاهر موضع المضمحل للتشبيح عليهم بالكفر (هذا ساحر) فيما يظهره مجيزة (كذاب) فيما يقوله على الله (أجعل الآلهة لها واحدا) بأن جعل الالهية منحصرة في واحد (إن هذا لشيء عجيب) بليغ في العجب فانه خلاف ما أطبق عليه آباؤنا (وانطلق الملائكة منهم) أي انطلق أشرف قریش من مجلس أبي طالب بعد ما بكتهم رسول الله ﷺ قائلين بعضهم لبعض امشوا وابتوا على عبادة آلهتكم فلا تنفكوا مكلته وهذا قوله (أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد) أي إن هذا لشيء من ريب الزمان يراد بنا فلا مرد له (ماسمعا بهذا) أي بالنبي يقوله (في الملة الآخرة) في الملة التي أدركنا عليها آباءنا (إن هذا إلا اختلاق) كذب ثم أخذوا ينكرون اختصاصه بالوحي وهو مثلهم أو أدون منهم في الشرف والرياسة فقالوا (أأنزل عليه الذكر من بيننا) ثم أضرب عن انكار ذلك الى ذكر سبب انكارهم وهو الشك لميلهم الى التقليد ثم أضرب عنه أيضا الى أنهم الى الآن لم يذوقوا العذاب ومتى ذاقوه فأنهم يلجئون الى التصديق وهذا قوله تعالى (بل هم في شك من ذكرى بل لما يذوقوا عذاب) ثم أخذ يتهم بهم قائلا (أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب) أي بل أعندهم خزائن رحمة وفي تصرفهم حتى يصيبوا بها من شأوا ويصرفوها عن شأوا فيتخيروا للنسوة بعض صناديدهم (أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما) أي بل لهم ملكهما أي ليس لهم مدخل في أمر هذا العالم الجسماني التي هو جزء من خزائنه تعالى وان كان لهم ذلك فليصعدوا في المعارج التي يتوصل بها الى عرش هذا الملك حتى يستوا عليه ويدبروا أمر هذا العالم فينزلوا الوحي الى من يستصوبون وهذا قوله تعالى (فليترقوا في الأسباب) الارتقاء الصعود ، والأسباب المعارج والطرق التي يتوصل بها الى الاستيلاء على العرش ، ثم وعد بنصر نبيه ﷺ فقال : هؤلاء الذين يقولون هذا القول (جندما هناك مهزوم من الأحزاب) الكفار المتحزبين على المؤمنين مغلوبون في الوقائع هنالك في مصارع بدر وغيرها فأنى لهم تدبير الامور الالهية والتصرف في الخزانة الربانية وما في - جندما - مزيدة للتقليل ، أخبر الله نبيه ﷺ وهو بمكة انه سيهزم جند المشركين وهذا عجيب لأنه وهو بمكة لاجندله جاء تأويلها يوم بدر ونحوها وهذه من أعظم المعجزات ثم عزى الله نبيه ﷺ فقال (كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذوالأوتاد) أي ذوالملك

ولقد غنوا فيها بأنهم عبثة * في ظل ملك ثابت الأوتاد

(وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة) وأصحاب الفيضة وهم قوم شعيب (أولئك الأحراب) يعني المصزيين على الرسل الذين جعل الجند المهزوم منهم كالأحزاب الذين تحزبوا عليك ، ثم بين سبب انهزامهم وعقابهم فقال (إن كل إلاكذب الرسل حق عقاب) يعني ان أولئك الطوائف والأمم الخالية لما كذبوا أنبياءهم يجب عليهم العذاب فكيف حال هؤلاء الضعفاء المساكين اذا نزل بهم العذاب (وما ينظر هؤلاء) أى وما ينظر كفار مكة (إلا بصية واحدة) وهى النفخة الأولى (ما لها من فواق) أى من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين ، أو ما لها من رجوع ، من افاق المريض اذا رجع الى الصحة ، ويقال فواق الناقة أيضا ساعة يرجع الهر الى ضرعها وهو بالضم والفتح (وقالوا ربنا عجل لنا قطنا) قسطنا من العذاب الذى توعدنا به وهو من قطه اذا قطعه ، ويقال لصحيفة الجائزة قط لأنها قطعة من القرطاس أى عجل لنا صحيفة أعمالنا ننظر فيها (قبل يوم الحساب) وهذا الاستعجال على الوجهين منهم استهزاء (اصبر على ما يقولون) فيك واحذر أن تهين في مصابرتهم وتحمل أذاهم (واذ كرعبدنا داود) أى قصته ليعلموا أنه مع عظم شأنه وبخه الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تظن ، فلتحذرن أنت حتى تصون نفسك أن تزل وقوله (ذا الأبد) أى ذا القوة فى الدين (إنه أوأب) رجاء الى مرضاة الله * روى انه كان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل (إننا سخرنا) ذلنا (الجبال معه يسبحن) أى مسبحت بتسيحه اذا سبح والمضارع اختير للتجدد (بالعشى والاشراق) العشى وقت العصر الى الليل والاشراق هوجين تشرق الشمس أى قضى وهو وقت صلاة الضحى كما فسره ابن عباس ، وأما الشروق فهو الطلوع تقول شرقت الشمس ولما تشرق بضم التاء (والطير محشورة) أى أى وسخرنا الطير مجموعة من كل ناحية (كل له أوأب) أى كل واحد من الجبال والطير لأجل تسيحه رجاء الى التسيح مع المداومة على ذلك (وشددنا ملكه) وقويناه بالهبة والنصرة وكثرة الجنود * روى أن رجلا ادعى بقره على آخر وعجز عن البيعة فأوحى اليه أن اقتل المدعى عليه فأعلمه فقال صدقت انى قتلت أباه غيلة وأخذت البقرة فظلمت هيته بذلك (وآتيناه الحكمة) النبوة وكمال العلم واثقان العمل والاصابة فى الامور (وفصل الخطاب) علم القضاء وقطع الخصام والفصل بين الحق والباطل ، ثم ابتداء سبب حاته نبأ عجيبا من أنبائه وشوق الى استماعه بالتعجب منه فقال (وهل أتاك نبأ الخصم) أى خبر الخصم وهو يطلق على الواحد والجمع (إذ تسوروا المحراب) أى صدروا وعلاوا سور الفرفة التى كان يشتغل فيها داود بالطاعة (إذ دخلوا على داود) متعلق بتسوروا (ففرغ منهم) ذلك أن ملكين بعثهما الله اليه فى صورة انسانين طلبا أن يدخلوا عليه فوجداه فى يوم عبادته فنههما الحرس فسورا عليه المحراب فلم يشعر إلا وهما بين يديه جالسان ففرغ من ذلك لدخولهما فى وقت الاحتجاب لأنه كان يجزى زمانه يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للوعظ ويوما للاشتغال بخاسته (قالوا لا تخف) نحن (خصمان) متخاصمان (بنى بعضنا على بعض) وهذا من باب الفرض (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) ولا تجر فى الحكومة (واهدنا الى سواء الصراط) أى وسطه وهو العدل (إن هذا أذى) بالدين والنصيحة (له تسع وتسعون نجمة ولى نجمة واحدة) هى الأتى من الضأن (فقال أكفنيها) ملكيتها (وعزنى فى الخطاب) وغلبنى فى مخاطبته إياى (قال) داود قبل أن يسمع كلام المدعى عليه للمدعى (لقد ظلمك) المدعى عليه (بسؤال نجتك الى نعاجه) أى والله لقد ظلمك بذلك ، ثم استطرد فقال (وان كثيرا من الخلقاء) الشركاء (ليبنى) ليتعدى (بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم) أى وهم قليل وما مزيدة للإبهام والتعجب من فعلتهم ، فلما قضى داود بينهما نظر أحدهما الى صاحبه وضحك وصعدا الى السماء فعلم داود أن الله ابتلاه إذ قال له الخصمان - احكم بيننا بالحق ولا تشطط

واهدنا الى سواء الصراط - حكم للمدعي بدون أن يسمع كلام خصمه (وظن داود) أى يقن (أتماقتناه)
 ابتليناه وامتحنناه لحكمه للمدعي قبل أن يسأل المدعي عليه (فاستغفر ربه) لذنبه (وخرّ راکعاً) للوجود
 مصليا كأنه أحرم بركتى الاستغفار (وأنايب) ورجع الى الله بالتوبة (فغفرنا له ذلك) أى ما استغفر عنه
 (وإن له عندنا لرتقى وحسن ما ب) أى لقربة بعد المغفرة وحسن مرجع فى الجنة ، وأما ما روى أن بصره
 وقع على امرأة فضحكها فأوحى الى رئيس الجيش أن يقرب زوجها أورياه بين مدى العدو فيقتل وأنه تزوجها
 بعد ذلك فان ذلك من كلام القصاصين . ولقد روى عن على رضى الله عنه انه قال : « من حدّثكم بحديث
 داود على ما رويته القصاص جلدته مائة وستين » وكيف يليق ذلك بمن يخاطبه الله قائلا (يا داود إنا جعلناك
 خليفة فى الأرض) أى استخلفناك على الملك فيها (فاحكم بين الناس بالحق) بحكم الحق (ولا تتبع الهوى)
 ما تهوى النفس من المبادرة الى تصديق المدعى قبل سؤال المدعى عليه (فيضلك عن سبيل الله) دلالة التى
 نصها للحق (إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) أى بسبب نسيانهم
 وهوضلاهم عن السبيل فان تذكره يقتضى ملازمة الحق ومخالفة الهوى ومن الهوى الاسراع الى تصديق أحد
 الخصمين لجودة إلقائه وحسن بيانه وما أشبه ذلك من استئجار المحامين الذين هم أقدر على البيان فى هذا
 الزمان ، فالقاضى بسبب ذلك معرض للزلل كل حين . ولما كان آدم وبنوه خلفاء الله فى الأرض يقومون
 بالعدل والنظام على مقدار طاقتهم وقيامهم بالعدل تابع للنظام العام كما قال تعالى - ووضع الميزان - ألا تظنوا فى
 الميزان - ناسب أن يذكر عدله وحكمته فى السموات والأرض فقال (وما خلقنا السماء والأرض وما
 بينهما باطلا) مبطلين عابثين أو الباطل الذى هو متابعة الهوى بل للحق الذى هو مقتضى العدل (ذلك ظن
 الذين كفروا) أى خلقهما باطلا ظنهم (فويل للذين كفروا من النار) بسبب هذا الظن وذلك لأنه حكم
 بلا دليل كما يحكم القاضى لأحد الخصمين قبل سماع الآخر كما تقدم . وإذا كنا فتننا داود فى القضاء وعلم انه قد
 فتن بسبب اصفائه لأحد الخصمين دون الآخر فنحن فتننا هذا الانسان على وجه الأرض وامتحنناه فى نظامنا
 فمنهم من يرى أن إمانتنا واحياءنا واحداث الأمراض والأرزاء فى الأرض والوباء والحروب والأكاذيب
 والأراجيف والفتن كل ذلك باطل لامعنى له فيعيش الانسان ويموت وهو يقول : لم هذا كله ؟ وهلا خلق
 الله الناس فى راحة وطمانينة وسعادة لا يمرضون ولا يشقون ولا يحاربون ولا يخاصمون ولم أمر الآساد أن تأكل
 الطباء والأرانب وحدد أنياب الآكلات ومنع المأكولات السلاح والمقاومة . والناظرون فى هذا على قسمين
 قسم ينكر ذلك انكارا قلبيا فمنهم من يظهره كبعض الذين تعاملوا فى العصر الحاضر تعليما سطحيا . ومنهم من
 يخفيه وهم كثير من المتدينين بأى دين . وقسم يقرأ علوم الحكمة ويستوعبها وهذا يشعر أن هذا النظام
 جليل وأن كل ذلك فيه مقدّمه لحال أعلى من هذه وقد أوضحناه فى هذا التفسير ايضا كثيرا . إن من يحكم
 أن نظام هذا العالم باطل أشبه بمن يحكم لأحد الخصمين . فاذا أراد أن يحكم بالحق فيقرأ علوم الحكمة التى
 تبحث فى نظام هذا الوجود وهذا هو الذى يبين قضية الخلق وكيف خلقه الله ؟ فكأن الانسان اذا نظر فيها
 قد أصغى أيضا الى المدعى عليه وفهم حجته وحجته هو هذا النظام البديع ومتى أدركه الناس بطلت الفكرة الأولى
 وهى ان هذه الدنيا مبعثرة غير منظمة الى آخر ما تقدم . وما يثير الشكوك فى نظام هذا العالم أن الظلم فيه
 مجسم ولا سيما فى هذا الانسان ، كيف لا ونحن نرى أن المصلحين والصالحين فى الأرض مغبونون لا ينالون
 جزاء أعمالهم فى الدنيا ، ونرى كثيرا من المفسدين متمتعين بالنعمة والعافية ، فأى عدل وأى نظام هذا
 ولكن اذا أدرك الناس أن هذه الحياة ستعقبها حياة أخرى ترجع فيها الامور الى حقائقها كما دلّ عليه علم
 الأرواح المنتشر حديثا فى أوروبا وأجعت عليه البيانات . فانهم يعرفون أن النظام عدل لتلك أعقبه بقوله
 (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار) هذا انكار للتسوية

بين المؤمنين والكافرين ، ثم بين المتقين من المؤمنين والمجرمين منهم فان من يسوى بين هؤلاء يكون سفيها هذا (كتاب أزلناه اليك مبارك ليذبوا آياته) أى ليندبروا ويتفكروا فيها (ولينذروا أولوا الأبواب) أى وليتعض بالقرآن أولوا العقول السليمة ويستحضروا ما هو مركزوز في عقولهم من تمكثهم من المعرفة بالدلائل الكونية والجهانب الخلقية . روى عن الحسن انه قال : « قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لاعلم لهم بتأويله حفظوا حروفه وضيعوا حدوده » اه

وهذا القول منطبق على أكثر المسلمين في هذا الزمان ، إن الأمة اليوم لا تقرأ القرآن غالبا إلا للتعبد وأما التفكير فلا وهذا هو السبب في ضياع ملك الاسلام وعظمته ووقوعه نهبا مقسما بين دول أوروبا ولكن هذا هو الزمان الذى أذن الله فيه اذنا حقا يبعث هذه الأمة من مرقدها وتقوم بواجبها كما قال تعالى - ليظهره على الدين كله - وهذا هو الزمن الذى سيظهر فيه وهذا أمر حتم سيكون قريبا

﴿ قصة سليمان عليه السلام ﴾

قال تعالى (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد) سليمان (إنه أبواب) رجاع الى الله بالتوبة (إذ) ظرف لأبواب (عرض عليه بالعشي) بعد الظهر (الصافنات) الخيول القائمة على ثلاث قوائم وقد أقامت الأخرى على طرف حافر ولا يكاد يكون ذلك إلا فى العراب الخالص (الجباد) جمع جواد وهو الذى يسرع فى جريه (فقال) لما عرضت عليه فأجروها أمامه وذلك لاستعدادها للفرز (لاني أحببت حب الخير) آثرت حب المال ومنه الخيل المعروضة (عن ذكر ربى) أى اتى لأحبها لأجل الدنيا ونصيب الفنى وانما أحبها لأمر الله تعالى وتقوية دينه ثم أمر بأجرائها وأعدادها حتى توارت تلك الخيل بالحباب أى غابت عن بصره ثم أمر برد الخيل اليه وهذا قوله تعالى (حتى توارت بالحباب) ثم قال (ردها على فطلق) يمسح (مسحا بالسوق والأعناق) أى يمسح سوقها وأعناقها تشريفا لها لكونها للجهاد والجهاد من أعظم الامور وليباشرا الامور بنفسه ليقتمدى به الوزراء ورجال الدولة كما كان يفعل صلاح الدين الأيوبي إذ كان ينقل الأحجار بنفسه فى بناء الأسوار أيام الحروب الصليبية وليكشف عن أمراض الخيل وعلاها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض

﴿ فتنة سليمان عليه السلام ﴾

روى مرفوعا أن سليمان عليه السلام قال : « لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تأتى كل واحدة بفارس يجاهد فى سبيل الله ولم يقل إن شاء الله فطاف عليهن فربحهن فربحهن إلا امرأة جاءت بشق رجل ، فوالذى نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا فرسانا » فهذا قوله تعالى (ولقد فتنا سليمان) ابتليناه (وألقينا على كرسيه جسدا) وهو شق الطفل المذكور حتى به على كرسيه فوضع فى حجره (ثم أناب) رجع الى الله مما فعل وهو أنه لم يقل ان شاء الله . والأنبياء يحاسبون على ما لا يحاسب عليه سواهم لشدة قربهم من ربهم ، وأما حديث الخاتم والشیطان وعبادة الوثن فى بيت سليمان عليه السلام فمن أباطيل اليهود وذلك أنهم قالوا ان زوجته كانت تسجد لصورة أيها ودام ذلك أربعين يوما وهو عليه السلام لا يعرف فلما علم كسر الصنم وعاقب المرأة ، ثم إن الله عاقبه بأن سلط شيطانا يسمى صخرأ فأخذ خاتم الملك فصار الشيطان فى صورته عليه السلام أما هو فأصبح منكرا لا يعرفه أحد فتكذب أربعين يوما ثم طار الشيطان ووقع الخاتم فى البحر فالتقطته سمكة واصطادها صياد فووقت فى يد سليمان فخر ساجدا لله . هذه هى الأباطيل اليهودية ويكون صخر هو الجسد الذى أتى على كرسيه (قال رب اغفرلى) ذنبى (وهب لى ملكا لا يذنبى) لا يصلح (لأحد من بعدى) إنك أنت الوهاب) نهب الملك والنبوة لمن تشاء وذلك لأنه أحب أن يخلص بخاصية كما خص داود بالانه الحديد وعيسى باحياء الموتى ، ولذلك روى انه عليه الصلاة والسلام كما فى الصحيحين قال ان عفرينا من الجن تفلت على البارحة

ليقطع صلاتي فأمكنني الله منه فأخذته فأردت أن أربطه الى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة أخى سليمان - رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي - فردده خاشا ثم قال تعالى (فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء) لينة ليست بعاصفة (حيث أصاب) حيث أراد (و) سخرنا له (الشياطين كل بناء) يبنون له (وغواص) * وآخرين مقرنين في الأصفاد) فاذن الشياطين منهم بناؤن ومنهم غواصون يستخرجون اللؤلؤ من البحر . ومنهم سرده الشياطين يقرب بعضهم مع بعض في القيود والسلاسل للتأديب والكف عن الفساد ، والصفد القيد ، وربما كانت الأصفاد تمثيلا لكف شرهم وجسهم حسب ما يناسب أجسامهم النارية (هذا) الذي أعطيناك من الملك والمال والبسطة (عطاؤنا فامنن) فأعظمته ماثتت من المنة وهي العطاء (أو أمسك) عن العطاء ، وقوله (بغير حساب) حال من عطاؤنا أى جفا كثيرا لا يكاد يقدر على حصره (وان له عندنا لئني) في الآخرة مع هذا الملك العظيم في الدنيا (وحسن ماآب) وهو الجنة

﴿ قصة أيوب عليه السلام ﴾

قال تعالى (واذ كره عبدنا أيوب) وهو ابن عيسى بن اسحق (إذ نادى ربه) بدل من عبدنا (أنى) معنى الشيطان) أى بأنى (نصب) تعب (وعذاب) ألم ومرض وبلاء وانما نسب المس الى الشيطان لأنه بسبب وسوسته أعجب بكثرة ماله فسه الله بالمرض لأجل ذلك فأرسل الله له جبريل فقال له (اركض برجلك) الأرض فضرب فنبعت عين فقيل هذا مغسل أى ماء يغسل به ويشرب منه فيبرأ ظاهره وباطنه وهذا قوله تعالى (هذا مغسل بارد وشراب) ثم قال تعالى (ووهبنا له أهله) بأن جعلناهم عليه بعد فقرهم (ومثلهم معهم) حتى كان له ضعف ما كان (رحمة منا) أى لرحمتنا عليه (وذكري لأولى الألباب) تذكري لهم لينظروا الفرج بالصبر أولا والالتجاء الى الله ثانيا فيما يحق بهم ، وعطف على - اركض - قوله (وخذ بيدك ضعفا) حزمة صغيرة من الحشيش ونحوه (فاضرب به ولا تحث) . ذلك أن زوجته رجلة بنت افرائيم بن يوسف ذهبت لحاجة فأبطأت خلف ان برئ ضربها مائة ضربة فخلل الله بيمينه بذلك ويجب أن يصيب المضروب كل واحدة من المائة وهذه الرخصة باقية على شرط اصابة المائة للمضروب كما عرفت (إنا وجدناه صابرا) على ما أصابه في نفسه وأهله وماله وليس شكواه الى الله من الشيطان جزعا (نعم العبد) أيوب (إنه آوآب) مقبل على الله (واذ كره عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولى الأيدي والأبصار) أولى القوة في الطاعة والبصيرة في الدين (إنا أخلصناهم بخالصة) جعلناهم خالصين لنا بخالصة خالصة لا شوب فيها هي (ذكري الدار) ذكري الدار الآخرة دائما فانا نزعنا من قلوبهم حب الدنيا وذكراها وأخلصناهم بحب الآخرة وذكراها (وانهم عندنا لمن المصطفين) المختارين من بين أبناء جنسهم (الأخيار) جمع خير وخير بالتشديد والتخفيف (واذ كره اسماعيل واليسع) لام التعريف دخلت على يسع (وذا الكفل وكل) أى وكلهم (من الأخيار) يقال ان ذا الكفل هو ابن عم يسع أو هو ابن أيوب ويقال انه فرأ اليه مائة نبي من بنى اسرائيل من القتل فأوآهم وكفلهم . ثم ان أول السورة - ص * والقرآن ذى الذكر - وقد ذكر قصص الأنبياء وصبرهم وأعمالهم الشريفة . ولما أتم الكلام عليهم قال (هذا ذكر) كأنه يقول هذا ذكر مما اشتمل عليه القرآن المذكور في أول السورة أى الذى يتلى عليكم شرف وجليل تذكرون به

﴿ وصف الجنة ﴾

قال تعالى (وان للثقلين لحسن ماآب) مرجع ثم عطف على حسن ماآب عطف يان فقال (جنات عدن) حال كونها (مفتحة لهم الأبواب) * متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب * وعندهم فاصرات الطرف أتراب) مستويات الأسنان والشباب والحسن بنات ثلاث وثلاثين سنة ومناخيات لا يبقاضن

ولا يتحاسدن ، ومعنى أصرات الطرف أى قصرن أطرافهن على أزواجهن (هذا ما توقعون ليوم الحساب) أى لأجله فإن الحساب علة الوصول الى الجزاء أى قيل للؤمنين - هذا ما توقعون - الخ ويقول أهل الجنة (إن هذا لرزقنا ماله من نفاذ) انقطع بل هو دائم كما قال تعالى فى سورة أخرى - أكلها دائم - (هذا) أى هذا الأمر كما ذكر

﴿ وصف جهنم ﴾

قال تعالى (وان للطاغين لشر مآب * جهنم يصلونها فبئس المهاد) المهد والفرش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالنم تقديره جهنم (هذا) مبتدأ وقوله (جيم وغساق) خبر وجلة - فليذوقوه - اعتراض والغساق هو ما يفسق أى يسيل من صديد أهل النار والحجم الماء الحار . وقال ابن عباس : الغساق هو الزمهرير يحرقهم بيرده كما تحرقهم النار بحرمتها ، وعذاب (آخرون شكله) من مثل العذاب المذكور فى الشدة والفظاعة (أزواج) صفة لآخر أى أجناس وأصناف ، ثم يقول الخزنة للقادة اذا دخلوا النار ودخل بعدهم أتباعهم (هذا فوج) جمع كشيء (مقتحم معكم) أى دخل النار فى صحبتكم ، والافتحام الدخول فى الشيء بشدة والقحمة الشدة (لامرحبا بهم) أى الأتباع تقول لمن تدعوه مرحبا أى أتيت رحبا من المكان لاضيقا وتدخل عليه لا فى دعاء السوء ، وهذه الجملة من كلام الرؤساء (إنهم صالوا النار) أى داخلوها (قالوا) أى الأتباع (بل أتم لامرحبا بكم) مخاطبين رؤساءهم الذين دعوا عليهم (أتم قتمتموه لنا) أى قتمتم العذاب لنا أى دعوتونا الى الكفر فكفرنا باتباعكم (فبئس القرار) النار (قالوا) أى الأتباع أيضا (ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا) مضاعفا (فى النار * وقالوا) أى رؤساء الكفرة (مالنا لآثرى رجالا) هم فقراء المسلمين (كنا نعدهم) فى الدنيا (من الأشرار) من الأراذل الذين لا خير فيهم ولا جدوى (أخذناهم سخرىا) ينكرون على أنفسهم ويؤنبونها على استسغارهم منهم فى الدنيا (أم زاغت عنهم الأبصار) أى مالت فلانراهم ، ومعنى ذلك أن الكفار اذا دخلوا النار نظروا فلم يروا فيها الذين كانوا يسخرون منهم فقالوا مالنا لآثرى هؤلاء الذين أخذناهم سخرىا لم يدخلوا معنا النار أم دخلوها فزاغت عنهم أبصارنا فلم ترهم حين دخلوها (إن ذلك) الذى حكينا عنهم (لحق) لا بد أن يتكلموا به هو (تخاصم أهل النار) فى النار وذلك لأن قول القادة للأتباع والأتباع للقادة لامرحبا بكم من باب الخصومة (قل) يا محمد للمشركين (إنما أنا نذير) أنذركم عذاب الله (وما من إله إلا الله الواحد) الذى لا شريك له (القهار) الغالب وفى ذلك رهبة لهم ثم أعقبه بما يدل على الرجاء فقال (رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار) فهو مهرب والترية احسان وكرم وجود وهو غفور للذنوب وان عظمت وكل هذا دال على الرجاء (قل هو) أى القرآن (نور عظيم * أتم عنه معرضون) لا تفكرون فيه فتعلمون صدق فى نبوتى

﴿ قصة آدم عليه السلام ﴾

قال تعالى (ما كان لى من علم بالألأ الأعلى) يعنى الملائكة (إذ يختصمون) فى شأن آدم فهذه فى صورة الخصومة والمناظرة والافاللة لا يخاصم يعنى انما علمت هذه الخصومة بوحى من الله تعالى (ان يوحى الى إلا إنما أناذير مبين) أنذركم وأبين لكم ما أنآونه وتحتنبونه بلفظة تعلمونها ، ثم بين الخصومة فقال (إذ) بدل من - إذ يختصمون - (قال ربك للملائكة إنى خالق بشر من طين) يعنى آدم (فاذا سويته) أعمت خلقه (وفضخت فيه من روحى) أضاف الروح الى نفسه للتشريف والاضافة للملك كما تقول بيت الله ، وأيضا الروح جوهر شريف قدسى (فتعوا له ساجدين) وقد تقدم هذا الموضوع فى البقرة (فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا ابليس استكبر) تعظم (وكان) وصار (من الكافرين) بسبب استكباره واستنكافه عن المطوعة (قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) أى خلقته بنفسى من غير توسط كآب وأم ، وفى ثنية

اليد اشعار بما في خلقه من مزيد القدرة واختلاف الفعل (أستكبرت أم كنت من العالين) أي أنعمت
 بنفسك عن السجود أم كنت ممن علا واستحقّ التفوق ، فأجاب ابليس (قال أنا خير منه) يعني لو كنت
 مساويا له في الشرف لقبح السجود له فكيف يكون الحال اذا كنت خيرا منه ؟ ثم بين ذلك فقال (خلقتني
 من نار وخلقته من طين) والنار أشرف من الطين وأفضل منه ، ففضلى بشرف عنصرى الذى خلقت منه
 ألا ترى أن النار تغلب الطين وتحرقه (قال فأخرج منها) من الجنة أو من السموات (فانك رجيم) مطرود
 من الرحمة (وإن عليك لعنتي) عذابي وسخطي (الى يوم الدين) يوم الحساب (قال) ابليس (رب فأظفرتني)
 فأظفرتني (الى يوم يعثون) من القبور (قال) الله (فانك من المنظرين) المؤجلين (الى يوم الوقت المعلوم)
 الى النفخة الأولى (قال فبعزتك) فبسلطتك وقهرك (لأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين) الذين
 أخلصهم الله لطاعته وعصمهم من الضلالة (قال) الله (فالحق) يميني أوقسى ، وقوله (والحق أقول) جملة
 اعتراضية وجواب القسم قوله (لأملأن جهنم منك) من جنسك وهم الشياطين (ومن تبعك منهم) من
 ذرية آدم (أجمعين) أي لأملأن جهنم من المتبعين والتابعين لأترك منهم أحدا (قل ما أسألكم عليه من
 أجر) أي على القرآن أو على تبليغ الوحي (وما أنا من المتكفئين) المتصنعين بما ليسوا من أهله على ما عرفتم
 من حالي فأتجعل النبوة وأتقول القرآن (إن هو إلا ذكر) عظة (للعالمين) للتعليم (ولتعلمن نبأ) وهو
 ما فيه من الوعد والوعيد وصدقه (بعد حين) عند ظهور الاسلام أو ظهور العالم التي تضمنها ولم تكن معروفة
 من قبل . انتهى التفسير اللفظي

﴿ الفصل الثالث في مقصود السورة ﴾

أى فى معنى - ص - وفى قوله تعالى - واصبروا على آلهتكم - وقوله - اصبر على ما يقولون - وقوله
 - وهل أناك نبؤا الخصم - وقوله - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما باطلا - وقوله - وألقينا على
 كرسية جسدا - وقوله - إنا وجدناه صابرا نعم العبد - الخ - وقوله - هذا ذكر - وقوله - فسجد الملائكة
 كلهم - الخ - وقوله - قل ما أسألكم عليه من أجر - وقوله - إن هو إلا ذكر للعالمين * ولتعلمن نبأ
 بعد حين -

لقد عرفت ما للحروف التي في أوائل السور من المعاني الشريفة في سور كثيرة ولكن لها خواص في
 كل سورة بحسبها فتأمل في لفظ - ص - فإنها فضلا عن صفتها العامة لها مقاصد سامية في هذه السورة ،
 إن في السورة تحليلا لشجائل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ليقتدى بها ، ولقد جاءت الصاد في لفظ - اصبر على
 ما يقولون - وفى لفظ - واصبروا على آلهتكم - وفى - إنا وجدناه صابرا - وهكذا نجد معنى الصبر وافهما في
 مسألة الخصمين إذ دخلوا على داود فإنه لم يصبر حتى يسمع كلام الخصم حكيم وفى قصة سليمان إذ عزم أن
 يدخل على سبعين امرأة كل واحدة منهن تأتي بولد ذكر يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله ، ولقد
 عوقب على هذا ، فكأنه عليه السلام لما لم يكمل الأمر لله بذكر المشيئة عند كونه غير صابر ، هكذا كل كافر
 يظن أن السموات والأرض خلقنا باطلا بلا نظام فإن هذا الزعم منه ناشئ من تسرعه وعدم صبره على المشقات
 في سبيل البحث في الحكمة حتى يعرف كيف كان العالم منظما وهكذا ابليس تكبر واعتز بأصله ولم يسجد
 لآدم وهذا لأنه لم يصبر على تحمل مكارم الأخلاق . صبر أهل مكة على آلهتهم وتواصوا بالصبر على ذلك وتحمل
 كل مضى في سبيل إبقاء العقيدة الموروثة عن الآباء . ونبت كل برهان معقول ومغالبة الأدلة المحسوسة . كل
 ذلك لحفظ العقائد الموروثة فأمر الله رسوله أن يقابل صبر هؤلاء المبطلين بصبر الصادقين فقال : - اصبر على
 ما يقولون واذكر عبدنا داود - وقص قصص الخصمين وذكر انه قد لأمه الله على تسرع بالحكم لأحدهما

قبل سماع الآخر هكذا أنت يا محمد قد قاومتك قومك وصبروا على مقاومتك فإياك أن تملى وتصبى ولا تستجبل
واعلم انك منصور ولقد امتحناك بهم كما امتحنا داود بالخصمين فاصبر على الامتحان فبه يكرم المرء أويهان
إننا امتحنا داود في الحكم بين الخصمين فأسرع ولما فرجع الى ربه فنحن بذكر قصصه نخندرك ونخندركل
مؤمن أن يحكم قبل التحقيق والياسون من نصر الله عند الصدمات والشدائد لا ينالون المعالي لأنهم ليسوا
صابرين . واذا صبر المبتلون فما أحرى الصادقين أن يصبروا لأن الصادقين منصورون ، هما صابران أحدهما
مغلوب والثاني غالب ، واذا كان المغلوبون في العاقبة يصبرون فأجدر بالذين لهم العقبي أن يكونوا أذوم صبرا
وأقدر على المقاومة ، فليصابر كل مؤمن على الأعمال الصالحة فانه منصور وليقرأ - أن امشوا واصبروا على
أطمتكم - ويقرأ معها - واصبر على ما يقولون واذا ذكر عبدنا داود - وليجب كيف كان آخر الصبرين أبقاهما
وأنتعها وأدومهما ، مملينظر كيف كان لفظ - ص - في أول السورة يتضمن هذه المعاني الجليلة ، ولما كان
الصبر أهم الامور في الحياة الدنيا والمداومة على الأعمال والثقة بالله تعالى في انجازها أهم الامور كلها إذ لا عمل
في الدنيا ولا الآخرة إلا بالصبر ، ابتداء السورة بقوله - والقرآن ذي الذكر - وختمها بأنه ذكر للعالمين ،
وقال بعد قصص الأنبياء في وسط السورة - هذا ذكر - وقال أيضا - كتاب أنزلناه اليك مبارك ليذتبروا
آياته وليتذكر أولوا الألباب - فهذه كلها تشير الى أن السورة مسوقة للصبر على المشاق والأعمال وأن المدار
على العمل لاعلى ألفاظ القرآن بل الأمر كله في الصبر ومقاومة الصعاب

حتم الله الصبر على من أصابته البأساء ومن منح النعماء فأيوب صبر على بلائه وسليمان وداود قد
عوقبا على عدم الصبر في بعض عملهما . يقول الله اني امتحن جيع عبادي لافرق بين الملوك وغيرهم ، لم
أخل سليمان في ملكه ولداود في قضائه ودولته من الامتحان في الصبر وهكذا أيوب المبتلى . كل من هؤلاء
وهؤلاء مبتلون ، ابتلى الله من هم في بحبوحة النعيم والملك العظيم ومن هم في البلاء والبؤس يأملون ،
وهذا معنى قوله تعالى - ونبأكم بالشر والخير فتنة - ولذلك قال الله على لسان سليمان عليه السلام - هذا
من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر - كما تقدم ، ومعلوم أن الشكر ملازم للصبر فمن عمل برًا فقد صبر عن
الشر الذي هو قادر عليه في مقابلته ، فمن نظر في المصحف فهو في الوقت نفسه قد صبر على غض طرفه عن
النظر للحرّمات عليه ، ومن تلا القرآن والعلم فهو في الوقت نفسه صابر عن توجيه همته من هجر القول والنهم
والضحك وما أشبهها الى القول النافع المفيد . ألا تعجب كيف كان لفظ - ص - رمزا الى متصود السورة
وكيف جمع صبر المبتلين من الكفار وصبر نبينا ﷺ وصبر أيوب وأن هؤلاء الأنبياء مثني عليهم وغالبون
فائزون ، وكيف كان ذلك أيضا رمزا الى اللوم على من لم يصبر ولم يتم عمله فكأنه قيل : فكروا في الصبر
واحترسوا من الاسراع ، وكيف كان من لم يفكر في نظام هذه الدنيا حتى يقف على الحقائق وأسرع بالحكم
على نظام هذا العالم وانه باطل أشبه بمن أسرع في الحكم لأحد الخصمين قبل سماع الآخر ، وكيف كان ذلك
رمزا الى أن المقصود من الحياة إنما هو الحكمة والعلم ، فأما القضاء ونحوه فانما هو لنظام نوع الانسان في
الحياة الدنيا ، ولعمري ما أبعد الفرق بين المقامين مقام القضاء بين العباد ومقام معرفة الحقائق والوقوف على
الدقائق في نظام السموات والأرض . ان أولهما مقدّمة وثانيهما نتيجة ، لذلك تجدد قضاء داود تبعه ذم الذين
يظنون أن السموات والأرض خلقتا باطلا . إن في هذه السورة حثا على حسن القضاء بين العباد لحفظ الدولة
ونظام الأمة وبهذا النظام وقيامه يقدر الناس أن يفكروا ويفقهوا فأما اذا لم يكن قضاء ولا نظام فلأمفكرين
ولاحكام لأنهم لا يجدون أمنا في البلاد فلا يقدررون على التفكير ولا العلم

يقول الله في آخر السورة - ولتعلمن نبأه بعد حين - وهذه الآية شرحها طويل ، فمن نبأ القرآن هذه
الأمة الاسلامية المترامية الأكتاف التي تبلغ الآن نحو (٣٥٠) مليوناً من المسلمين ، أفليس هذا من أعظم

أنبأها ، ومن نبأ القرآن العلوم التي كشفها للناس حديثا ، وكيف جاء علم الأرواح الحديث مطابقا لهذا القرآن وأن الأرواح بعد الموت أحياء وأن من الأرواح من هم مغرمون بالمادة والمال والحياة والصيت والذكر في هذه الدنيا وهؤلاء يكونون بعد الموت مجذوبين الى المادة معتديين بذلك ومنهم من يكونون أرقى علما وحكمة وأخلاقا ، وهؤلاء يتباعدون عن المادة ويقتربون من ربهم وأن أعلى الأرواح وألطفهم وأعلمهم وأرقاهم من يتخلص من المادة ويقرب من الله وبراه وان من الأرواح من هم في غاية الصفاء والطف ومنهم من هم في ظلمة وكشافة فلا تقدر الأرواح العالية أن تلمهم ، وان من الناس في هذه الأرض من لطف نفوسهم فلا تقدر الشياطين على الوسوسة اليهم كما لا يقدر الصعاليك على مقابلة الملوك كما قال تعالى - إن عبادي ليس لك عليهم سلطان - أفلا ترى أن هذا مجزة للقرآن ، أفلا ترى أن هذه الامور المذكورة في هذه السورة قد أصبحت تقال في المجمع النفسية علنا وهذا هو نفس القرآن ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ هو ما في هذه السورة من ذا كان يظن أن نبأ بقاء الأرواح بعد الموت وحسابها يظهر في الدنيا قبل يوم القيامة

﴿ حكاية عجيبة ﴾

هل لك أيها الذكي أن تسمع ما أرويه لك عن حال نفسي : كنت أيام مجاورتي بالجامع الأزهر نائما به إذ رأيت كأني في قريتنا (كفرعوض الله حجازي) وكأن قائلا يقول لي : انظرا انظرا ! فنظرت فرأيت كرة بيضاء تميل الى الحجر وسطازقة الجوّ تعلو عن المقابر قليلا مقدار خمسة أمتار فقال هذه هي الروح ، وكان ذلك ليلة الخميس فاستيقظت وقت مع اخواني المجاورين لتوجه الى قصر النيل وما جاوره للرياضة فوجدت عند أحدهم كتاب ابن مسكويه في علم الأخلاق ولاعلم لي بهذا الكتاب ولا بهذه العلوم فمدت يدي الى الكتاب فقرأت في أوّله مسألة الروح والاستدلال على وجودها فحجبت كل العجب وصرت مغرما به وبغيره ، ثم تمددت الى الزمان حتى هذه الأيام الأخيرة أي بعد هذه الحادثة بأربعين سنة فاطلعت على علم الأرواح فوجدت انهم لما سألوهم في المجمع النفسية أي لما أحضروا بعضها قالت : « إن الأرواح بعد الموت ترتفع في الجوّ على مقدار خلاصها من المادة وكلما كانت أجل أخلاقا وأعزرها كانت أبعد عن الأرض ، فحجبت كل العجب من موافقة تلك الرؤيا لأقوال الأرواح التي خاطبوها وأنا الآن لست أقول ان هذا تحقيق المقام بل أقول ان الموافقة هي العجب العجيب ، وأعجب من هذا انها توافق آراء ابن سينا والفلاسفة القائلين هذا القول وأن الانسان على قدر انجذابه الى المادة يبعد عن الله ويقرب بعده عن الله يقرب من المادة ولعل مرتبة الروح في القلاة عند صعودها دالة على مرتبتها في جهنم . أليس هذا قول الله تعالى - بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون * ثم انهم لصالوا الجحيم * ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون -

يقول علماء الأرواح : « إن النفس بعد الموت اذا كانت متردية رداه الذنوب جللتها وزملتها وحجبتها عن الأرواح العالية حتى لا تقدر على تعليمها » ويقولون أيضا : « انه كلما كان الانسان أشد انكارا للبعث كانت روحه عند الموت أشد عذابا لأنه يفتازعها عاملان : عامل الانجذاب الى المادة واليأس من حياة أخرى وعامل خروج الروح الذي قضت به التواميس الإلهية في الأرض ، وكلما كان الانسان أكثر صلاحا كان أكثر سهولة في انفصال روحه من جسمه . قالوا : وأرواح الأشرار بعد الموت الظاهر تبقى متصلة بجسمه مدة حتى يحس المنصرون برعى الدود في أجسامهم ويحكم عليهم بعد الموت بامور فظيعة لأنهم لم يصبروا على ما أصابهم فيضطرون لعذاب عظيم لا يطاق هناك »

وقالوا : « إن النفس متى خرجت من الجسد اطلعت على جميع أعمالها مسطرة في جسمها كأنها تشاهدها لا تحتاج في التعريف الى شيء آخر ، وهناك تعرف مقدار ما عملت وتعرف الثواب وتعرف مقدار

العقوبات التي سنالها ، وكل نقص في النفس يتبعه ألم هناك ، وهناك يكون العذاب والتعيم التي أصاب النفس مقبها حول الروح فهو هناك كالأرواح هنا ، فهم إما في إطار من شقاء أو من نعيم «
 يا عجبا كل العجب ، جاء في الحديث : « القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار » وهذا هو الذي جاء في العلم الحديث اليوم ، ويقول الله - اقرأ كتابك كفي بنفسك اليوم عليك حسيبا - وهو عين ما تقدم

انظر كيف يقولون أيضا : « إن عواطف المحبة والبغضاء والحسد والغيرة والتندامة والاشفاق وما أشبه ذلك تكون لها سوائل روحانية محيطة بالنفس فهي كروائح الزروع المختلفة في جسم الانسان . إن علم النبات يفهمنا ذلك ففيه الروائح العطرية المختلفة وفيه الروائح الكريهة الكثيرة والانسان يميزها بشمها ، فإذا متنا ميزنا سوائل الفضائل المختلفة كما يميز روائح النباتات المتميزات واذن يظهر لمرء قوله تعالى - كفي بنفسك اليوم عليك حسيبا - فيعرف الانسان كل شئ بنفسه كما يميز في بعض الأوقات حبيبه من عدوه مما يشعر به في نفسه من الميل ومن النفور »

ويقولون أيضا : « إن كل خلق ذميمة تأذي به هناك له عقاب ، وكل ما يصيبنا من آلام الدنيا ومصائبها يزيل عنا بعض هذه العيوب ويبقى منها ما يلزمنا بعد الموت ، والروح في حال البرزخ يعذب عذابا ماديا أو معنويا على مقتضى ذنوبها حتى ان المتكبر يقاسى آلاما لا تطاق في حال البرزخ »
 وقالوا : « إن المقوم بالمال والحشم والخدم والشهوات يصاب بألم نفسي لأنه يطلع فيرى الناس اقتسموا ماله وأخذوا ثروته وهو يراهم ولا يقدر على منعهم وهذا عذاب لا يطاق »

ويقولون : « إن القتلى والسفاكين نطاردهم أشباح من أماتهم فلا يهدون ولا يقدر على الاحتجاب من هذا العذاب ، وهؤلاء وأمثالهم لا يطلعون على بعض أحوال مستقبلهم للظلمات المتركة عليهم »
 ويقولون : « إن الأرواح العالية ترى مالا عين رأت بعد الموت وتطير الى العلا جاعات جاعات وينتهجون بالجمال الإلهي واحكام الصنعة البديعة في السموات ويقون سكري آمادا وآمادا وهم يسبحون زمرا متصايين كل جماعة في درجاتهم الخاصة التي ماتوا عليها وهم متحابون متجاذبون كتجاذب المواد الأرضية وتظهر على أيديهم العجائب في عالم الأنيراليج البديع ، والذي يجمعهم انما هو انخلاعهم من الكبرياء واتحادهم في الفضائل وتكون أجسامهم خفيفة لطيفة غلبت روحانيتها »

ويقولون : « انهم يوقعون في طبقات الأنيراليج الخائنا بديعة وقد يجتمعون حول روح أعظم منهم فيعطيهم تعاليم ترقبهم ، ثم إن أجسامهم لا تعرض كأجسامنا للظلمات وخفتها »
 ويقولون : « انهم يقيمون أفراحا وأعيادا باجتماع الأرواح العالوية من أقطار الكون كله وكل منها يتلأأ بسناه اللطيف الدال على صفاته ودرجاته في الرقي »

هذا هو الذي أحيت أن أتقله لك الآن من كتب الأرواح المسطورة أماي ، إياك أن تظن أني أبجل هذا القول المقول عن المجمع النفسية قولا لا يحتاج الى دليل انما المقام مقام تفسير قوله تعالى - وتعلمن نباءه بعد حين - فنقول نعم ياربنا عرف عبادك بعض ما جاء في كتابك فهاهم أولاء عرفوا أن الأرواح لها نعمات وموسيقى في اجتماعها وهذا هو الذي قاله بعض المفسرين في قوله تعالى - إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون - فعدوا من ذلك النغمات الموسيقية وعرفوا انهم نزع ما في صدورهم من غل أخوانا على سرر متقابلين وهذا لا يكون إلا للأرواح الخالصة من شوائب الحسد والغل الخ وعرفوا أن للروح تقراء أعمالها في شكل جسمها الروحي وغير ذلك مما أوضحته في هذا المقال ، فليس المقام مقام تحقيق صدق هؤلاء وكذبهم بل المقام في أنه مطابق ما في القرآن ، ولست أيها الذي ملزما أن تبحث عن كون قولهم حقا أو باطلا

فأمامك القرآن نصّ عليه فإن أردت البحث فاقرا طرق تحضير الأرواح من كتابي المسمى «الأرواح» واستحضرها بالطرق الواضحة هناك وكن مخلصا في البحث لأجل العلم والمعرفة لا لأجل الدنيا فستعرف الحقائق بنفسك لا بأهل أوروبا الذين أخبرونا أن أرواح القديسين الصالحين هذا شأنهم وهكذا الظالمون والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين . انتهى الفصل الثالث في مقصود السورة

﴿ لطائف هذه السورة ﴾

- (١) في بعض أسرار - ص - وسورتها
- (٢) في قوله تعالى - ياداد إنا جعلناك خليفة في الأرض -
- (٣) في قوله تعالى - رب اغفر لي وهب لي ملكا - الخ
- (٤) في قوله تعالى - قال فبعتك لأغوينهم أجمعين -

﴿ اللطيفة الأولى في بعض أسرار - ص - وسورتها ﴾

(كتب صباح يوم الجمعة ٢٤ يناير سنة ١٩٣٠)

استيقظت الليلة بعد نصف الليل وكنت نمت قبل أن أصلي العشاء فصليت وفي ركعات الوتر قرأت آيات من ﴿سورة ص﴾ وفيها - ياداد إنا جعلناك خليفة في الأرض - الخ فمرّ بفكري بعض عجائب هذه السورة وبعض عجائب الأرض والسماء وذلك أن (ص) كما قدّمنا جاءت في أول حروف الصبر وأول كلمة في السورة جاءت الصاد في أولها - واصبروا - والهمزة فيها للوصل ، ثم أمر ﷺ أن يصبر في آية - اصبر على ما يقولون - في مقابلة قولهم - امشوا واصبروا على آلتكم - إذن الكفر عند أهله لا يتم إلا بالصبر والنيّة عند أهلها لا يتم إلا بالصبر ولكن يبعد ما بين الصبرين ، وهنا أعقبه بقوله - واذكر عبدنا داود - الخ فإذا نرى ؟ نرى انه ذكر داود وسليمان وأيوب ثم إبراهيم واسحق الخ ، فهنا رأينا داود وسليمان ملكين وأيوب ابتلى بنعم الدنيا مرضا وفقرا ولكن هذان النبيان مع هذا الملك قد ابتليا بما يشبه المعصية وهذا يحزنهما كما حزن موسى بقتله القبطي . إذن الألم عند الأنبياء ﴿نوعان﴾ نوع يرجع الى الألم الروحي الديني الذي يورث الندم ، ونوع يرجع الى الألم الجسمي والمالي ونحوهما ، فلتنوع الأول ظاهر في أمر موسى وداود وسليمان ، والثاني ظاهر في أمر أيوب وإبراهيم واسحق وإسماعيل ، فالأول بيدنه وماله وأهله والثاني بالنار وبذبح ولده والثالث والرابع بذبحه هو ففسر الجميع ففازوا ونجوا . إذن في الملك امتحان وفي الجسم امتحان وفي الفقر امتحان وهذا كله لم يقصد منه في القرآن أن يعز الله الأنبياء كلا والله بل قصد منه تعليمنا نحن ، ومعنى هذا انني أحد في نفسي خزيا وحزنا من أمور سبقت اذا تذكرتها دلت على انني كنت غير كامل الخلق ولا ممتازا بالصبر كأن أنطق بقول لاقية له أو أفعل فعلا غير جيد فيقول الله لي إن موسى لم يمنعه قتل القبطي الذي أورثه الندم أن يكون نبيا ورسولا وأن داود وسليمان اللذين ابتليا بما ظاهره انه ذنب فندما ولكن هذا الندم ليس معناه انهما أدلا نفسيهما طول الحياة وقعدا عن الأعمال . كلا . بل ان الندم مظهر يدل على أن النفس به ترقى وربما تكون بعد الذنب خيرا منها قبله فان معصية توجب ذلا وانكسارا خيرا من طاعة توجب عزا واستكبارا ، وهكذا قد يعثر أحدنا نقص في الأموال والأفئد والثمرات فيقول الله له إياك أن تقنط فكما صبر أيوب على النقص في ذلك وصبر إبراهيم واسحق ويعقوب على ما ابتلوا به ففازوا جميعا هكذا أنت اصبر تنل ، إذن يكون هذا تطبيقا على آية البقرة - وبشر الصابرين الذين اذا أصابهم مصيبة قالوا إنا لله وانا اليه راجعون - أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون - فذكر البشارة

والصاوات والرحمة والهداية لهم هو الذي ظهر مثاله هنا بفوز داود وسليمان وأيوب وأمثالهم بعد اصابتهم جميعا بمصائب روحية دنيوية أو مصائب جسمية ومالية إذ يقول الله يا محمد اذكر عبدنا داود الخ فهو لاء جميعا ابتلوا بانواع من البلاء في أنفسهم وأهلهم وأنت ابتليت بأهل مكة إذ كذبوك وقد صبروا على كفرهم فاصبر على إيمانك وصبرهم وستفوز كما فاز من قصصهم عليك من الأنبياء ، فهكذا أنا وقرءاء هذا التفسير يقول الله لنا كل ما يصيبكم لا يخرج عما ذكر فهو إما مصائب من أذى الناس وإما من ذنوب تقدمت وأما من نقص الأفس والأموال والثمرات وقد صبر نبينا ﷺ على الأول وبعض الأنبياء على الثاني وبعضهم على الثالث ففازوا جميعا وأنت تفوز كما فازوا اذا تعلمت الصبر وهذا هو بعض سر (ص) في أول السورة إذ ظهر أن المدارج جميعه في هذه السورة على شئ واحد وهو الصبر

أقول : ثم بعد أن خطر لي هذا الخاطر تذكرت أمرا عجيبا وهو قوله تعالى - كتاب أنزلناه اليك مبارك ليذبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب - فقلت فما الذي يتذكره أولوا الألباب ياترى في هذه الآيات ؟ هناك وجدت رابطة وثيقة بين الصبر المنتقم بجميع فروعه وبين صبر القضاة على القضاء بالحق لأنهم معرضون لسخط الناس وسخط الملوك الذين ولوهم ، والله يقول هنا - فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى - وهذا لا يكون إلا بالصبر . فهذا أيضا من سر (ص) فهناك ما جاء في كتاب «العقد الفريد ، للملك السعيد» من صبر القضاة على العدل وقول الحق ثم فوزهم ، وفي هذا المقام عشر قضايا وهذا نصها :

﴿ خاتمة لهذا الركن ﴾

من عادة من له خاطر وقاد وفكر نقاد وقلب الى ادراك الفضائل منقاد انه اذا وقف على القواعد الكلية في المقاعد العلية والمقاصد المرعية لاسيما في المرصد الشرعية أن يتطلع الى الوقوف على شئ من جزئياتها ويتوقع معرفة شئ من أحوال سالكي طرقها ليكون على بصيرة من التفاوت بين الجامعين أصناف صفاتها القارعين وصيد صفاتها وبين القانعين منها بمجرد أسماء شبهاتها التابعين أهواء نفوسهم الأمارق في ملاذها وشهواتها وهذه وقائع وقضايا صدرت من جماعة من القضاة المتقدمين القائمين بأحكام المسلمين فيها اعتبار جامع للتوسمين واذكار نافع والذكري تنفع المؤمنين تصدع بأن قضاة الشريعة هذا وضعها وولاة أحكام المسلمين هذا صنعها والوقائع الصادرة عنهم كثيرة يبعد جمعها وفي ذكر بعضها تبصرة ييم نفعها ويعظم وقعها وقد وقع الاقتصار من أحكامها على ذكر عشرة لاحاجة معها الى زيادة تذكره

﴿ القضية الاولى عن عدل محمد بن عمران الطلحي ﴾

قال نعيم المدني قدم علينا أمير المؤمنين المنصور المدينة ومحمد بن عمران الطلحي متولى القضاء بها وأنا كاتبه فحضر جماعة من الجمالين واستعدوه على أمير المؤمنين المنصور في شئ ذكره فأمرني أن أكتب الى المنصور بالحضور معهم أو انصافهم فقلت له تعفني من ذلك فإنه يعرف خطي فقال اكتب فكنت وختمت فقال والله ما يمضي به غيرك فخصت به الى الربيع وجعلت أعتذر اليه فقال لا بأس عليك ودخل بالكتاب على المنصور ثم خرج الربيع فقال للناس وقد حضر وجوه أهل المدينة والأشراف وغيرهم ان أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم اني دعيت الى مجلس الحكم فلا أحد منكم يقوم اذا خرجت ولا يبدأني بالسلام ثم خرج وبين يديه السبب والربيع وأنا خلفه وهو في ازار ورداء فسلم على الناس فما قام اليه أحد ثم مضى حتى بدأ بقبر النبي ﷺ فسلم عليه ثم التفت فلما رآه ابن عمران القاضي أطلق رداءه عن عاتقه ثم احتج به ودعا بالخصوم الجمالين ثم دعا بالمنصور فادعى عليه القوم وقضى لهم عليه ثم انصرف فلما دخل المنصور الدار قال للربيع اذهب فاذا قام القاضي من مجلسه فدعه فلما دعاه ودخل على المنصور سلم عليه فرد عليه السلام وقال

له جزاك الله عن دينك وعن نبيك وعن حسبك وعن خليفتك أحسن الجزاء قد أمرت لك بعشرة آلاف
صلة لك فاقبضها فكانت عامة أموال محمد بن عمران من تلك الصلة فما أبرك سلوك السنن القويم واتباع
الصراط المستقيم

﴿ القضية الثانية عدل عاقبة بن يزيد القاضي ﴾

نقل أن عاقبة بن يزيد القاضي كان يلي القضاء ببغداد للمهدى فجاء في بعض الايام وقت الظهر للمهدى وهو
خال فاستأذن عليه فلما دخل عليه استأذنه في من يسلم اليه القمطر الذي فيه قضايا مجلس الحكم واستغفاه من
القضاء وطلب منه أن يقبله من ولايته فظن المهدى أن بعض الاولياء قد عارضه في حكمه فقال له في ذلك وانه
ان عارضك أحد لتنكر عليه فقال القاضي لم يكن شيء من ذلك قال فما سبب استغفائك من القضاء قال
يا أمير المؤمنين كان تقدم اليّ خصمان مندمر في قضية مشككة وكل يدعي بيته وشهودا وبدلي بحجج تحتاج
الي تأمل وتلبث فرددت الخصوم رجاء أن يصطلحوا وأن يظهر الفصل بينهما فسمع أحدهما أي أحب الرطب
فعمد في وقتنا هذا وهو أول أوقات الرطب لجمع رطبا لا يتهيا في وقتنا جمع مثله لأمر المؤمنين ومارأيت أحسن
منه ورشا بواني بدراهم على أن يدخل الطبق على ولا يبالى أن يرده عليه فلما أدخله على أنكرت ذلك
وطردت بواني وأمرت برده الطبق فردّ عليه فلما كان اليوم تقدمت الخصمان اليّ فاستأذنا في عيني ولا قلبه
فهذا يا أمير المؤمنين ولم أقبل فكيف يكون حالي لو قبلت ولا آمن أن تقع على حيلة في ديني وقد فسد الناس
فأقلني يا أمير المؤمنين أذاك الله واصفني عفا الله عنك

﴿ القضية الثالثة عدل شريك بن عبد الله قاضي الكوفة ﴾

روى عمر بن هياج بن سعد قال أتت امرأة يوما شريك بن عبد الله قاضي الكوفة وهو في مجلس الحكم
فقال أنا بالله ثم بالقاضي قال من ظلمك قالت الامير موسى بن عيسى ابن عم أمير المؤمنين كان لي بستان على
شاطئ القرات فيه نخيل وورته عن أبي وقاسمت اخوتي وبنيت بيني وبينهم حائطا وجعلت فيه رجلا
فارسيا يحفظ النخل و يقوم به فاشترى الامير موسى بن عيسى من جميع اخوتي وسالمني ورضيني فلم أبعه فلما
كان هذه الليلة بعث بمحمسائة غلام وفاعل فاقتلعوا الحائط فأصبحت لا أعرف من نخلي شيئا واختلط بنخل
اخوتي فقال يا غلام أحضر طينة فأحضر نختها وقال امض الي بابي حتى يحضر معك جفأت المرأة بالطينة
المنخومة فأخذها الحاجب ودخل على موسى فقال قد أعدى القاضي عليك وهذا ختمه فقال ادع على صاحب
الشرطة فدعاه فقال امض الي شريك وقل ياسبحان الله مارأيت أعجب من أمرك امرأة ادعت دعوى لم تصح
أعديتها على قال صاحب الشرطة ان رأي الامير أن يعفني من ذلك فقال امض وياك فخرج وقال لفلانة
اذهبوا واجلوا لي الي حبس القاضي بساطا وفراشا وما تدعو الحاجة اليه ثم مضى الي شريك فلما وقف بين يديه
أدى الرسالة فقال لفلان المجلس خذ بيده فضعه في الحبس فقال صاحب الشرطة والله قد علمت انك تحبسني
فقدمت ما أحتاج اليه الي الحبس وبلغ موسى بن عيسى الخبر فوجه الحاجب اليه وقال له رسول أدى رسالة أي
شيء عليه فقال شريك اذهبوا به الي رفيقه الي الحبس فجلس فجلس فلما صلى الامير موسى العصر بعث الي اسحق
ابن الصباح الاشعبي والي جماعة من وجوه الكوفة من أصدقاء القاضي شريك وقال لهم أبلغوه السلام وأعلموه
أنه استخف بي واني لست كالعامة فمضوا اليه وهو جالس في مسجده بعد صلاة العصر فأبلغوه الرسالة فلما
انقضت كلامهم قال لهم مالي أراكم جئتموني في غيرة من الناس فكلمتموني من ههنا من قتيان الحمي فأجابه
جماعة من القتيان فقال ليأخذ كل واحد منكم بيد رجل فيذهب به الي الحبس ما أتم الاقنعة وجزاؤكم الحبس
قالوا له أجادت أنت قال حقا حتى لا تعودوا رسالة ظالم فحبسهم فركب موسى بن عيسى في الليلة الي باب السجن

وفتح الباب وأخرجهم كلهم فلما كان من الغد وجلس شريك للقضاء جاءه السجنان فأخبره فدعا بالمظفر
نقته ووجه به الى منزله وقال لفلانة الخلق بثقل الى بغداد والله ما طلبنا هذا الامر منهم ولكن أكرهونا
عليه ولقد ضمنوا لنا فيه الاعزاز اذ تقلدناه لهم ومضى نحو قنطرة الكوفة الى بغداد وبلغ الخبر الى موسى
ابن عيسى فركب في موكبه فلاحقه وجعل يناشده الله ويقول يا أبا عبدالله تثبت انظر اخوانك تحبسهم دع
أعدائي قال نعم لأنهم مشوا لك في أمر لم يجز لهم المشي فيه ولست ببارح أو يردوا جميعا والا مضيت الى أمير المؤمنين
المهدي فاستعفيت مما قلدني فأمر موسى بردّهم جميعا الى الحبس وهو واقف والله مكانه حتى جاء السجنان فقال
قد رجعوا جميعا الى الحبس فقال لأعدائه خذوا بلجام دابته بين يدي الى مجلس الحكم فمروا به بين يديه
حتى أدخل المسجد وجلس في مجلس القضاء فجاءت المرأة المتظلمة فقال هذا خصمك قد حضر فقال موسى
وهو مع المرأة بين يديه قبل كل أمر أنا قد حضرت أولئك بمخرجون من الحبس فقال شريك أما الآن فتم
أخرجوهم من الحبس فقال ماتقول فيما يدعيه هذه المرأة قال صدقت قال تردّ ما أخذت منها وتبني حاطها سر بها
كما كان قال أفضل ذلك قال لها أتبي لك عليه دعوى قالت بيت الرجل الفارسي ومتاعه قال موسى بن عيسى
وردد ذلك كله بتي لك عليه دعوى قالت لا ببارك الله عليك وبذاك خيرا قال قومي فقامت من مجلسه فلما فرغ
أخذ بيد موسى بن عيسى وأجلسه في مجلسه وقال السلام عليك أيها الأمير أنا أمر بشئ فقال أي شئ أمر وشحك
فقال له شريك أيها الأمير ذاك الفعل - حق الشرع وهذا القول الآن حق الادب فقام الأمير وانصرف الى
جلسه وهو يقول من عظم أمر الله أذل الله عظماء خلقه

﴿ القضية الرابعة عدل القاضي شريك أيضا ﴾

قال عمران بن خالد بن سعيد كنت من أصحاب القاضي شريك فأثبتته يوما في منزله باكرا فخرج الى
في رداء ولبس تحته قميص وعليه كساء فقلت له قد أصبحت عن مجلس الحكم فقال غلت ثيابي أمس فلم تحب
اجلس فجلست فجعلنا نتذاكر باب العبد يتزوج بغير اذن مواليه قال ما عندك فيه وما تقول فيه وكانت الخيزران
قد وجهت رجلا نصرانيا على الطراز بالكوفة وكتبت الى موسى بن عيسى أن لا يعصى له أمر بالكوفة وكان
مطاعا بالكوفة فخرج علينا ذلك اليوم من زقاق ومعه جماعة من أصحابه وعليه جبة خز وطيلسان وتحته بردون
فاره واذا بين يديه رجل مكتوف وهو يصيح واغوثاه أنا بالله ثم بالقاضي واذا في ظهره آثار السياط فسلم على
شريك وجلس الى جانبه فقال الرجل انا بالله ثم بك أصلحك الله أنا رجل أعمل هذا الوشي أجرتي كل شهر
مائة أخذني هذا منذ أربعة أشهر واحتبسني في طراز يجرى على القوت ولي عيال قد ضاعوا وهلكوا وأقبلت
اليوم نحوهم لأراهم فلحقني ففعل بظهري ما ترى فقال القاضي قم فاجلس مع خصمك يا نصراني فقال أصلحك
الله يا أبا عبدالله هذا من خدم السيدة مر به الى الحبس قال قم ويك واجلس معه كما يقال لك فجلس معه فقال
ما هذه الآثار التي يظهر هذا الرجل من أثرها فقال أصلحك الله القاضي انما ضربته أسواط بيدي وهو يستحق
أكثر من ذلك مر به الى الحبس فألقى شريك كساءه ودخل داره وأخرج سوطا ثم ضرب يده الى مجامع
ثوب النصراني وهو يقول لا تضرب والله بعدها المسلمين فهم أعوانه أن يخلصوه فقال شريك لفتيان الحمي
خذوا هؤلاء الى الحبس فهرب الاعوان وبقى النصراني فضربه أسواط فجعل يبكي وهو يقول ستعلم فلما
فرغ من ضربه أتى السوطي الدهليز وقال لي يا أبا حفص ماتقول في العبد يتزوج بغير اذن مواليه فأخذنا فيما
كنا فيه كأنه لم يصنع شيئا وقام النصراني الى البرذون ولم يكن له من يمسه فجعل النصراني يضرب البرذون فقال
له شريك أرفق به ويك فإنه أطوع لله منك ثم قال خذ فيما كنا فيه قال عمر فقلت له مالنا ولهذا لقد فعلت
اليوم فعلة ستكون لها عاقبة مكروهة فقال لي أعز أمر الله يعزك الله خذ فيما كنا فيه فذهب النصراني الى

موسى بن عيسى فقال شريك فعل بن كبت وكبت فقال له والله ما أقرض لشريك فمضى النصراني الى بغداد ولم يعد بعدها الى الكوفة

﴿ القضية الخامسة عدل عبيد بن ظبيان قاضي الرشيد بارقة ﴾

قال الزبير بن بكار حدثني عمي مصعب قال كان عبيد بن ظبيان قاضي الرشيد بالرقعة وكان الرشيد اذ ذاك بها فجاء رجل الى القاضي فاستعدى اليه على عيسى بن جعفر فكتب اليه القاضي ابن ظبيان أما بعد أتى الله الامير وحفظه وأتم نعمته أناني رجل فذكر أنه فلان بن فلان وأن له على الامير أبقاه الله تعالى خمسمائة ألف درهم فان رأى الامير يحضر مجلس الحكم أوبوكل وكيلاً يناظر خصمه أو يرضيه فعل ودفع الكتاب الى رجل فأتى باب ابن جعفر فدفع الكتاب الى خادمه فأوصله اليه فقال له قل له كل هذا الكتاب فرجع الرجل الى القاضي فأخبره فكتب اليه أبقاك الله وأمتع بك - حضر رجل يقال له فلان بن فلان وذكر أن له عليك حقاً فسر معه الى مجلس الحكم أو وكيلك ان شاء الله تعالى ووجه الكتاب مع عونين من أعوانه فحضر باب عيسى بن جعفر ودفعوا الكتاب اليه فغضب ورمى به فانطلقاً فأخبره فكتب اليه - حفظك الله وأمتع بك لا بد أن تصير أنت أو وكيلك الى مجلس الحكم فان أبيت أنهيت أمرك الى أمير المؤمنين ان شاء الله ثم وجه الكتاب مع رجلين من أصحابه فقعدا على باب عيسى بن جعفر حتى طلع فقاما اليه ودفعوا اليه كتاب القاضي فلم يقرأه ورمى به فعادا فأبلغاه ذلك نظم قطره وأغلق بابيه وقعد في بيته فبلغ الخبر الى الرشيد فدعا وسأله عن أمره فأخبره الخبر وقال يا أمير المؤمنين اعفني من هذه الولاية فوالله لا أفلح قاض لا يقيم الحق على القوى والضعيف فقال له الرشيد من يمنعك من إقامة الحق فقال هذا عيسى بن جعفر فقال الرشيد لابراهيم بن عثمان سر الى دار عيسى بن جعفر واختم أبوابه كلها ولا يخرج منها أحد ولا يدخل اليها أحد حتى يخرج الى الرجل من حقه أو يسير معه الى مجلس الحكم فأحاط ابراهيم بداره خمسمائة فارس وأغلق الابواب كلها فتوهم عيسى بن جعفر أن الرشيد قد حدث عنده رأى في قتله ولم يعرف الخبر فجعل يكلم الاعوان من خلف الباب وارتنع الصراخ في منزله وضج النساء فسكتن ثم قال لبعض الاعوان من غلمان ابراهيم ادع لي أبا اسحاق لأكله فأعلموه فجاء حتى وقص على الباب فقال له عيسى ويحك ما حالنا فأخبره بخبر القاضي ابن ظبيان فأمر باحضار خمسمائة ألف درهم من ساعته فاحضرت وأمر أن تدفع الى الرجل فجاء ابراهيم الى الرشيد فأخبره فقال اذا قبض الرجل ماله فافتح أبوابه وعرفه أن القاضي من عمل حكمه فيك ما رأيت فإياك ومعارضته

﴿ القضية السادسة جراءة عمر بن حبيب القاضي ﴾

قال عمر بن حبيب القاضي حضرت مجلس الرشيد يوماً فبثت مسألة فتنازعها الخصوم وعلت الاصوات فيها فاحتج بعضهم بحديث يرويه أبو هريرة عن النبي ﷺ فدفع بعضهم الحديث وزادت المدافعة والخصام حتى قال قائلون منهم أبو هريرة منهم فيما يرويه وصرحوا بتكذيبه ورأيت الرشيد قد نحنا نحوهم ونصرفوهم فقالت أنا الحديث صحيح عن رسول الله ﷺ وأبو هريرة صحيح النقل صدوق القول فيما يرويه عن رسول الله ﷺ فنظر الى الرشيد نظر مغضب وانصرفت الى منزلي فلم ألبث أن جاءني غلام فقال أجب أمير المؤمنين اجابة مقتول وتحنط وتكفن فقلت اللهم انك تعلم أني دفعت عن صاحب نبيك أن يظعن على أصحابه فسلمني منه فادخلت على الرشيد وهو جالس على كرسي حاسر عن ذراعيه بيده السيف وبين يديه النطع فلما بصرتي قال يا عمر بن حبيب ما تلقاني أحد من الدفع والرد لقولي بمثل ما تلقيتني به وتجرات على - فقال يا أمير المؤمنين ان الذي قلته ووافقت عليه وجادلت عنه ازراء على رسول الله ﷺ وعلى ما جاء به فإنه اذا كان أصحابه ورواة حديثه كذابين فالشريعة باطلة والفرائض في الأحكام في الصلاة والصيام والنكاح والطلاق والحدود

مردودة غير مقبولة فآله الله يا أمير المؤمنين أن تظن ذلك أو تصني إليه وأنت أولى أن تغار لرسول الله
 ﷺ قال أحبيتي يا عمر بن حبيب أحياك الله أحيتني أحياك الله وأمره بعشرة آلاف درهم

﴿ القضية السابعة عدل حفص القاضي ﴾

قال يحيى بن الليث باع رجل من أهل خراسان جالا على مرزبان المجوسى وكيل أم جعفر بثلاثين ألف
 درهم فخطه بمنها وعوقه عن سفره فطال ذلك على الرجل فأتى الى بعض أصحابه وشاوره كيف يعمل فقال اذهب
 الى مرزبان وقل له أعطنى ألف درهم وأحل عليك بالمد الباقى وسافر الى خراسان فاذا فعل فعرفنى حتى
 أشير عليك ففعل الرجل وأتى الى مرزبان فأعطاه ألف درهم فرجع الى الرجل فأخبره فقال له عد اليه وقل
 له اذا ركبت غدا فاجعل طريقك على القاضى حتى أوكل رجلا يقبض المال منك فى دفعات وأروح أنا الى
 خراسان فاذا جاء وجلس الى القاضى فاذع بمالك كله فاذا أقر حبسه القاضى وأخذت مالك منه فرجع الخراسانى
 الى مرزبان وسأله ذلك فأجابته وقال غدا انتظرنى بباب القاضى فلما ركب من القدر قام اليه الرجل وقال ان
 رأيت أن تنزل الى القاضى حتى أوكل قبض المال وأروح فنزل مرزبان فنتقما الى القاضى وكان حفص بن
 غياث فقال الرجل أصلح الله القاضى لى على هذا تسعة وعشرون ألف درهم وادعى عليه فقال له حفص ما تقول
 يا مجوسى قال صدق أصلح الله القاضى قال قد أقر لك قال يعطىنى مالى والا الحبس فقال للمرزبان يا مجوسى
 ما تقول قال هذا المال على السيدة أم جعفر قاله حفص يا أحمق تقرم ثم قول هذا على السيدة ما تقول يا رجل
 قال ان أعطانى مالى والا حبسته فقال حفص يا مجوسى ما تقول قال المال على السيدة قال حفص خذوا بيده
 الى الحبس فلما حبس بلغ الخبر الى أم جعفر فغضبت وبعثت الى السندى وقالت وجه بمرزبان الى وعجل فأسرع
 السندى فأخرجه من الحبس وبلغ الخبر الى حفص أن مرزبان قد أخرج فقال أحبس أنا ويخرج السندى
 والله لاجلست للقضاء أورد مرزبان الى الحبس وغلق باب بيته فسمع السندى ذلك فجاء الى السيدة أم جعفر
 فقال الله الله فى فان حفصا من لاناخذة فى الله لومة لأثم وأخاف من أمير المؤمنين الرشيد يقول لى بأمر من
 أخرجت ربه الى الحبس وأنا أكلم حفصا فيه فأجابته وردته الى الحبس وقالت أم جعفر للرشيد قاضيك هذا
 أحمق حبس وكىلى واستخف به اكتب اليه بومره لا ينظر فى الحكم فأمر لها بالكتاب وبلغ حفصا ذلك فقال
 للرجل أحضر لى شهود الاسجل لك على المجوسى بالمال وجلس حفص وسجل على المجوسى فجاء خادم السيدة
 ومعه كتاب الرشيد فقال هذا كتاب أمير المؤمنين فقال له حفص مكانك نحن فى حكم شرعى حتى تفرغ منه
 فقال كتاب أمير المؤمنين فقال اسمع ما يقال لك فلما فرغ حفص من السجل أخذ الكتاب من الخادم وقرأه
 وقال اقرأ على أمير المؤمنين السلام وأخبره أن كتابه ورد وقرأته وقد أنفذت الحكم عليه فقال الخادم قد
 عرفت والله ما صنعت أبيت أن تأخذ كتاب أمير المؤمنين حتى تفرغ مما تريد والله لأخبرن أمير المؤمنين بما
 فعلت قاله حفص قل لى ما أحببت فجاء الخادم وأخبر هارون الرشيد بذلك فضحك وقال للحاجب مر حفص
 ابن غياث بثلاثين ألف درهم فركب يحيى بن خالد فاستقبل حفصا منصرفا عن مجلس الحكم فقال أيها القاضى
 قد سررت أمير المؤمنين اليوم وقد أمر لك بثلاثين ألف درهم فما كان السبب فى هذا فقال حفص تم الله سرور
 أمير المؤمنين وأحسن حفظه وكلاوته ما زدت على ما أفعل كل يوم قال ومع ذلك قال لا أعلم الا أننى سجلت
 على مرزبان المجوسى بمال وجب عليه فقال يحيى فن هذا سر أمير المؤمنين قال حفص الحمد لله كثيرا من قام
 بحقوق الشريعة ألبسه الله رداء المهابة

﴿ القضية الثامنة عدل القاضي أبي حازم ﴾

قال أبو الحسن عبدالواحد الحصببي حضرت القاضي أباحازم وقد جاءه طريف الخلدی من أمير المؤمنين المعتض بالله وقال يقول لك أمير المؤمنين لنا على فلان مال وقد بلغنا أن غرماءه أئبتوا عندك أفلاسه وقد قسطت لهم ماله فاجعلنا كأحدهم وقسط لنا فقال أبو حازم قل له أطال الله بقاءه إذا كر لما قال لي وقت أن قلدي القضاء قد أخرجت الأمر من عنقي وجعلته في عنقك ولا يجوز أن أحكم في مال رجل لمدع الا بينة فرجع طريف وأخبره فقال له قل له فلان وفلان يشهدان يعني رجلين جليدين من أعيان الدولة كما في ذلك الوقت فقال يشهدان عندي وأسأل عنهما فان زكيا قبلت شهادتهما والا أمضيت ما ثبت عندي فامتنع أولئك من الشهادة فرعا أن لا يقبل قولهما ولم يدفع للمعتض شيأ فهكذا يكون القضاء السديد

﴿ القضية التاسعة نادرة في عدل أبي حازم عبدالحميد القاضي ﴾

ذكر وكيع القاضي قال كنت أتقلد لأبي حازم عبد الحميد القاضي وقوفا في أيام المعتض بالله منها وقف الحسن بن سهل فلما استكثر المعتض من عمارة القصر المعروف بالخلافة أدخل فيه بعض وقف الحسن بن سهل الذي تحت يدي ونظري وهو مجاور القصر وبلغت السنة آخرها وقد جيت مال الوقف الا ما أخذه المعتض بجئت الى القاضي أبي حازم فعرفته اجتمع مال السنة واستأذنت في قسمته في سبيله على أهل الوقف قال هل جيت ماعلى أمير المؤمنين فقلت ومن يجسر يطالب الخليفة فقال والله لا قسمت الارتفاع أو تأخذ ماعليه والله لئن لم ترح اليه لاوليتله عملائم قال امض اليه الساعة وطالبه فقلت ومن يوصلني فقال امض الى صافي الحرمي وقل له انك رسول أنفذت في مهم ليستأذن لك فاذا وصلت اليه فعرفه فما قلت لك بجئت فقلت لصافي ذلك فاستأذن لي وأدخلني وكان آخر النهار فلما صرت بين يدي الخليفة نلت أن أمر اعظما قد حدث فقال هيه فقلت اني أتولى لعبد الحميد قاضي أمير المؤمنين وقوف الحسن بن سهل وفيها ما أدخله أمير المؤمنين الى قصره ولما جيت مال هذه السنة امتنع من تفرقة الى أن أجي ماعلى أمير المؤمنين وأنفذني الساعة فصدنا بهذا السبب وأمرني أن أقول اني حضرت في مهم لاصل اليك قال فسكت المعتض ساعة متفكرا ثم قال أصاب عبد الحميد يا صافي أحضر الصندوق فلما أحضره قال كم يجب لك قال قلت أر بعمانه دينار قال أتعرف النقد والوزن قلت نعم قال هاتوا ميزاننا ثم قال أزن أر بعمانه دينار فقبضتها وانصرفت الى أبي حازم فعرفته ذلك فقال أضفها الى ما عندك من الوقوف وفرقه غدا في سبيله ولا تؤخر ذلك فمن حكم بالحق نفذ حكمه وأطيع أمره وأرضى ربه وأبرأذنت

﴿ القضية العاشرة عدل اسماعيل القاضي ﴾

قال الدار قطنی سمعت عبدالرحيم ابن القاضي اسمعيل بن اسحاق يقول كان في حجر أبي يقيم فبلغ له أم وأختها في دار الخليفة المعتض بالله فقالت أم اليقيم لأختها كلي أمير المؤمنين حتى يرفع اسمعيل القاضي الحجر عن ولدي فكلته فدعا المعتض عبيد الله بن سلمان بن وهب وزيره وقال له قل لاسمعيل القاضي بفك الحجر عن فلان فقال له الوزير أن أمير المؤمنين يأمرك أن ترفع الحجر عن فلان فقال القاضي حتى أسأل عنه وقام فسأل عنه فلم يجبر عنه برشد فتركه ومضت على ذلك أيام فرجعت والده الصبي الى أختها وسألها أن تعارد أمير المؤمنين وكان المعتض لا يعاود خشوته فعادته فقال أليس قد أمرت فقالت لم يرفع عنه بعد فدعا وزيره عبيد الله ثانيا وقال أمرتك أن تأمر اسماعيل القاضي بأن يرفع الحجر عن فلان فقال قد كنت قلت له عن ذلك فقال حتى أسأل عنه فقال قل له يرفع الحجر عنه فدعا الوزير ثانيا وقال له وأمير المؤمنين يأمرك أن ترفع الحجر عن فلان فأطرق القاضي

ساعة ثم استدعى دواة وورقة وكتب شيئاً وختمه فاستعظم الوزير أن يختم عنه كتاباً ولم يقل له شيئاً لجل اسمعيل من الورع والعلم ثم دفع ذلك للوزير وقال له توصل هذا الى أمير المؤمنين فانه جوابه فأخذ الوزير ودخل على المعتضد وقال زعم أن هذا جواب أمير المؤمنين ففتح المعتضد الكتاب وقرأه وألقاه وقال لا تعاهده في هذا فأخذ عبيد الله الوزير الكتاب واذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم ياد اود انا جطناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله

فهذه سيرة القضاة المتصفين بما سبق من الاوصاف المقتفين في أعمالهم طريقة العدل والانصاف فلا جرم استقرت أحكامهم وجرت أقلامهم وشكرت أيامهم ولم تعثر بهم آثامهم اه

هنالك أخذت أفكر في قوله تعالى - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار - الخ ههنا يتذكر أولو الألباب المناسبة بين خلق السموات والأرض وبين العدل في القضاة وليس من البسور أن يعرف الناس تلك المناسبة بقراءة علوم السموات والأرض وهنا يكون الجب من الأمم الاسلامية المتأخرة ، حرمت علوم السموات والأرض نظراً عليهم السقف من فوقهم ولكن الأمم الاسلامية في النصور الأولى كانوا يفهمون هذه الامور بعقولهم وهكذا الأمم الذين بعضهم في زماننا وبعضهم بعد مفارقتنا هذه الدار سيفهمون هذا حق الفهم ويقولون إن الله يقول لداود - فاحكم بين الناس بالحق - ثم أعقبه بأن السموات والأرض لم يخلقها باطلاً وفي آية أخرى قال - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاصين ما خلقناهما إلا بالحق - ثم يقولون فلننظر عسى أن نجد في علم النبات هدى فيجدون أن العناصر التي تدخل في تركيب النبات بتحليله تحليلات كيميائية هي :

الكربون . الاوكسجين . الايدروجين . الاوزون . الكبريت . الفوسفور . البوتاسيوم . الكلسيوم

الحديد . المغنسيوم

ويحصل النبات على الكربون من الهواء وعلى معظم الاكسوجين والايديروجين من الماء ، أما بقية

العناصر فيحصل عليها من الأملاح الذائبة في التربة

(انبات ضرورة العناصر السابقة للنبات)

اذا عمل محلول من ماء أذيت فيه أملاح تشتمل على العناصر الآتية الذكر فإن النبات ينمو فيه بحالة طبيعية (شكل ٢ - ١) واذا أقص من المحلول أحد هذه العناصر فقد ينمو النبات الى حد ما (شكل ٣) ولكنه يضعف ويموت بعد ذلك ، وقد يحتوي النبات النامي في التربة عدا ما تقدم على عناصر السليس والصوديوم والكور إلا ان هذه العناصر ليست ضرورية جدا ويمكن للنبات أن ينمو بدونها بحالة طبيعية . والنبات لا يمتص المواد الضرورية له بنسبة واحدة فهو يحتاج مثلا الى مقدار قليل جدا من الحديد في حين أنه يحتاج لكميات أكبر من الاوزون كما أن نسبة كل من العناصر الموجودة في النباتات تختلف باختلاف النباتات نفسها (انظر شكل ٢ في الصفحة التالية)



(شكل ٢)

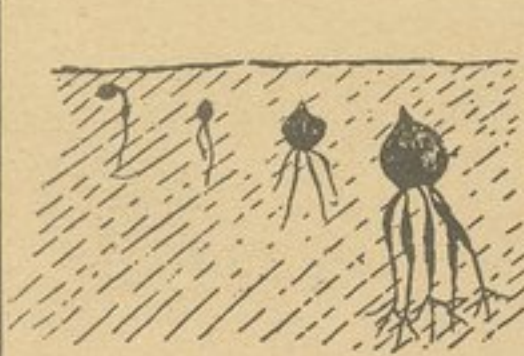
- (١) نبات نام في محلول يحتوي على جميع العناصر الضرورية
 (٢) نبات نام في محلول يحتوي على جميع العناصر ماعدا البوتاسيوم
 (٣) نبات نام في محلول يحتوي على جميع العناصر ماعدا البوتاسيوم الذي استبدل بها الصوديوم
 (٤) نبات نام في محلول يحتوي على جميع العناصر ماعدا الكالسيوم
 (٥) نبات نام في محلول يحتوي على جميع العناصر ماعدا الازوت

فإذا رأوا ذلك قالوا هذا مثل من أمثلة السموات والأرض وانهما لم يخلقا عبثا ولا لعبا بل خلقا بالحق كما قال تعالى - ما خلقناهما إلا بالحق - وذلك الحق كالخلق المذكور في آية داود - فأحكم بين الناس بالحق - الله حق وفعله في تغذية النبات حق بحيث إذا نقص النبات في (شكل ٢) السابق البوتاسيوم فقط كان صغيرا جدا وإذا نقص الازوت كان أكبر وهكذا ، أما إذا كان تاما التغذية فإنه يتم كإله . هذا هو الحق في نظام النبات وهو فعل الله ، وليس هناك اختلاف في هذا القانون ، فلم يسمع الناس أن نباتا نقص أحد هذه العناصر ثم كان تاما في شكله غير منقوص وهذا هو نفس الحق الذي تقدم في القضايا العشر التي نقلتها لك عن القدماء ، وأى فرق بين عدل محمد بن عمران الطلحي إذ يكتب إلى المنصور فيحضر فيحكم عليه وبين نقص النبات أمانا إذا نقص عنصرا من عناصر التغذية ، وإذا كنا نحن خلفاء الله في الأرض على رعايانا من الأعضاء والحواس والأسرات والممالك فوجب أن نتبع من استخلفنا وزن الأمور على مقتضى وزنه لتصح لنا الخلافة في الأرض وبهذا نستحق أن نكون ، - في مقعد صدق عند مليك مقتدر - فهذه العنبة تقتضي ذلك الحق فيعدل محمد بن عمران ويحكم على الخليفة ويعدل شريك ويحكم على الأمير موسى بن عيسى وهكذا فهذا الفعل مناسب تمام المناسبة لما رأينا من العدل في أمر تغذية النبات كإله وتقضا ، فمن وفي من الزراع

بالعناصر وفيت له ومن نقص نقصت له بقدر لازية ولا تقص وهذا عين قوله تعالى - أم نجعل الذين آمنوا
وعملوا الصالحات كالفاسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار - الخ أي كما لم نجعل ناقص التغذية من النبات
الذي خلقناه بالحق ليس ككامل التغذية ، فالناقص كالفاسدين في الأرض والسكامل كالمتقين

فاذا عرف هذا أهل العلم من المسلمين في زماننا والذين بعدنا يزدادون علما بالله عز وجل وعلما بمصنوعاته
وحكمته وتكون لهم سعادتان : سعادة روحية ، وسعادة جسمية ، أما السعادة الروحية فهو الحب الحقيقي
لصانع العالم ، وإذا كان الانسان بهم شوقا ويحب أيما محباب بشريك القاضى ومن معه لاحقاقتهم الحق في
القضايا فبالك بمن قضايه لانهاية لعدددها وكلهاحق وأصبح الناس يشاهدونها بعقولهم ، وأما السعادة الجسمية
فهى ازدياد ثروة الأمم الاسلامية بازدياد العلم والحكمة ومعرفة حقائق الأشياء ، إن الأمم التي يكثر فيها المحبون
للعلوم على هذا النمط الذي في هذا التفسير وهم طبعاً يحبون الله تعالى ويحبون عباده بالاجتهاد في ترقيتهم ترقى
سريعا وخواصها المذكورة أوصافهم يكونون في سعادة وازدياد علم لا يعرفه سواهم لأن حب العلم وحب الله
وحب رقى الناس متى اجتمعت في امرئ ترادفت عليه أنواع السعادات العلمية وانشراح الصدر وكان الله
في عونته - والله يحب المحسنين -

فهؤلاء الذين يزدادون علما بعدنا لا يقفون عند حد فيه فيرون أن جذور الأنواع المختلفة لا يتزاحم
بعضها مع بعض في مستو واحد من التربة بل تمتد الى أعماق مختلفة (شكل ٣) بخلاف جذور
النباتات الحولية إذ تمتد وتتفرع في العادة بالقرب من سطح الأرض ، أما جذور النباتات المعمرة فانها تمتد الى
أعماق أبعد ولكل منها عمق خاص تنمو جذوره فيه فاذا اقتلعت إحدى الأبصال وزرعت في مستو أعلى من
مستواها الطبيعي تتكون عليها جذور خاصة تعرف بالجذور الشاذة تلتوى كالبريمة فتجذب البصلة الى أسفل
حتى تصل بها الى المستوى المناسب (انظر شكل ٤)



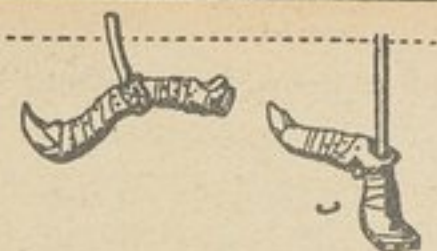
(شكل - ٤)

المستويات التي توجد عليها البصلة الواحدة في سنوات
متتالية بعد انبات البذرة لاحظ الجذور الشاذة التي
تجذبها الى أسفل



(شكل ٣ - نمو جذور النباتات
الصحراوية في مستويات مختلفة)

وكذلك اذا زرع أحد النباتات ذات الريزومات الأرضية في مستو غير مستواه الطبيعي فان الريزوم يتجه
الى أسفل أو أعلى حسب الظروف حتى يصل الى العمق الخاص المناسب لنموه وبعد ذلك يسير موازيا لسطح
الأرض (انظر شكل ٥ ، ب في الصحيفة التالية)



(شكل ٥)

- (أ) ريزوم زرع في مستوى أعلى من مستواه الطبيعي فاتجه الى أسفل
 (ب) ريزوم زرع رأسي في مستوى أعمق من مستواه الطبيعي فاتجه الى أعلى متخذاً وضعا أفقياً

وفي السنوات التي يقل فيها سقوط الأمطار عن المعتاد يشاهد أن الشعيير المزروع في هذه الأراضي يقف نموه قدر يجيئ ثم يجف في حين أن النباتات البرية لاتتأثر كثيراً ، وذلك لأن جذور الشعيير توجد كلها في مستو واحد وتزاحم بعضها مع بعض فلا تجد المقدار الكافي من الماء ، أما النباتات البرية فان ترتيب جذورها على درجات مختلفة المستوى يمنع تزاحمها فيتمكن كل منها من الحصول على الماء اللازم له . وما يلاحظ أن الأمطار تسقط بكثرة على سواحل البحر الأبيض المتوسط ويقل سقوطها شيئاً فشيئاً كلما بعدت عن الشاطئ فيقل عدد النباتات النامية وتتحول الأراضي الى صحار قاحلة بالتسريح . انتهى ما أردته من كتاب علم النبات إذن يرقى المسلمون الذين يزدادون علما في زماننا والذي بعده فيدرسون ويقولون هذا الشعيير اذا جف الماء ضعف كله وهكذا القمح وجميع النباتات التي تزرعها لأنها جذورها في منطقة واحدة من مناطق التربة الأرضية ، أما النباتات الصحراوية فان جذورها تمتد في مناطق مختلفات وكل منطقة فيها تربة خاصة يتغذى بها نبات خاص ، ذلك لأن الزارع لها هو الله وهو عدل ومن عدله أن أعطي كل نبات منطقة خاصة يعيش بغدائها ولكن لو كانت كلها في منطقة واحدة لأهلك أقواها أضعفها ، فأما أمثال الشعيير والقمح فان الله جعل الانسان قائما عليها ليسقيها واذا نبت معها نبات يشاركها في منطقتها الطينية فان الانسان نفسه هو الذي يحافظ على زرعه كما ان حيوان البرية لا أمراض تلحقه والحيوانات التي مع الناس تلحقها الأمراض والناس يداوونها

﴿ تذكرة ﴾

أفلا تزي أيها الذكي أن المسلمين الذين يقرؤون هذه العلوم هم الذين تكون لهم سعادة في الحياة الدنيا والآخرة ، ألا ترى كيف اجتمع هنا علم النبات وعلم القضاء وأخبار القضاة العادلين الجيلة ، أأنت ترى أن عدل الله في النبات قد طلب من الانسان أن يسير على منواله ، أليس هذا هو نفس قول المسلم - اهدنا الصراط المستقيم - صراط الذين أنعمت عليهم - والصراط المستقيم هو صراط الله الذي له مافي السموات ومافي الأرض فهذا هو صراط الله ، أولست ترى أن الانسان كلما أوغل في هذه العلوم حصلت له ملكة بها يكون رجلا نافعا وهامهم أهل أوروبا قد سبقونا في هذه العلوم ولهم دول عظيمة وأهل أمريكا واليابان والصين ففأفونا بهذه العلوم إذ أكسبتهم ملكة التفكير والاختراع ونحن من ذلك محرومون . أليس هذا بعينه هو قول الله تعالى - أفلم يسروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لاتعمى الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور -

﴿ عبرة في التاريخ ﴾

لقد ذكرت في سورة يونس اني أرسلت خطابا (وهناك نصه) الى المجلس النيابي المصري في أول حياته

والى رئيس الوزراء والى وزير المعارف وقلت فيه « إن الأمة المصرية كانت عندها العلوم قبل الاحتلال فى المدارس الثانوية . وفى زمن الاحتلال أصبح التعليم يجهل تشرح جسمه ومعرفة دابته التى يركبها والسماء التى فوقه وطبقات الأرض تحته فسيصبح القاضى والوزير والمهندس كل هؤلاء جاهلين بهذا الوجود ، فأنا أقترح أن يجعل التعليم الثانوى خمس سنين كما كان ويرجع علم الموالي الثلاثة وعلم الفلك وطبقات الأرض كما كان قديما » هذا هو الذى كتبت منذ بضع سنين ، وبعد ذلك قرروا خمس سنين ، وقرروا علوم النبات والحيوان ، أفلا أجد الله إذ يكون ما نقلته اليوم من الكتب التى ألفها الشبان فى أيامنا هذه فى المدارس المصرية . إذن رقى الأم الإسلامية سيكون سريعا كما ذكرناه من قبل وبرهانه ما أقوله الآن ، والذى يهمنى فى هذا المقام أن تقول : « ومن الدليل على أن ترك هذه العلوم مضعف للأمة أن المحتلين لبلادنا منعوا أيام سلطتهم وهامى هذه رجعت لنا بعد سلطتهم ، وإنما كتبت الخطاب المذكور لمجلس النواب وللحكومة لأنى أعلم لهم تعلموا فى زمن الاحتلال وأكثرهم لم يعرفوا هذه العلوم إلا قليلا ، كما أنى كنت فى أيام التدريس بالمدارس أولف كتبنا للمسلمين وأقول فى نفسى إذا كان المحتلون منعوا هذه العلوم من البلاد فماذا أكتب مجملها فى كتبى لتكون تذكرة للمسلمين جميعا »

أما الآن فانى أجد الله إذ رجعت العلوم لبلادنا مع الاستقلال النوعى الذى ينتظر أن يتم فى المستقبل . وأقول إن هذا التفسير كتاب دبنى والذى شيقروه إن شاء الله المسلمون ويجدون فيه هذه العلوم مبسطة مشروحة ، فهم إذن لا يقف فى طريقهم عائق يصدتهم عن قراءة هذه العلوم لأن الذى يمنع العلوم الكونية من أرضية وسماوية عن المسلمين شيطانان : شيطان داخلى ، وشيطان خارجى . أما الشيطان الداخلى فهو ما يتبعه الجهلاء فى الدين أن هذه العلوم تنافى الدين ، والشيطان الخارجى هم المحتلون لأى بلد من بلاد الإسلام فانهم قد يمنعون العلم عنهم كما حصل فى بلادنا قبل تأليف هذا التفسير ، فهؤلاء حين يرون أمثال ما أكتبه الآن لا يرجعون عن هذه العلوم مهما كلفهم ذلك ، وعليه أقول : إن أم الإسلام بعد هذه النهضة الحالية سيكونون خير أمة أخرجت للناس

﴿ وصية المؤلف ﴾

وانى أوصى كل من يقرؤن هذا التفسير أن يذيعوا بين الناس كل ما يعرفونه لأن اذاعة العلم بين الناس ونشره يرجع فى نفس الحياة الدنيا على الناشر بازدياد العلم لأن دورة العلم تمر بالناس ثم ترجع اليه وفيها ازدياد فيزداد هو علما كما اتفق لى فان تقرير هذه العلوم فى البلاد المصرية كان سببا فى أن الحكومة أمرت بعض الشبان فبحثوا فى النباتات المصرية كلها ونشروها فى الكتب ومنها بعض ما كتبناه فى هذا المقام ، فلولا أن هؤلاء الشبان قرؤا هذا وبحثوه ورسوموه ما نشرت شيئا منه ولا عرفته ، الأثرى أنى كنت أتقل لك ما كتبه الانجليز ورسوموه فى كتبهم ، ولما قرأت كتب أهل بلادى فى الحركة الحديثة كتبت ما تقدم من كتبهم ، فلتكن كل أمة دارسة نبات بلادها وحيوانه وكل شئ فيها والا كانت فى الأذلين . انتهت اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

(فى قوله تعالى - يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق - ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب -)

﴿ كيف نربى قضاة الأمم الإسلامية وحكامها وخلفاءها ﴾

أحمدك اللهم على نعمك ، وأشكرك على ما أهدت من العلم وحبوب من الحكمة ، نزل القرآن ومضت

أجيال وأجيال والأم الإسلامية ساكنة ساكنة نائمة بعد الصدر الأول وبقى القرآن مهجورا والعلم محبوسا حتى انبجس في أم أخرى بعيدة عن الاسلام . إن كتابك آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم . إنك لم تنزله للناس لتحبس عقولهم وتكبل أفهامهم كما يظن الجاهلون . كلا . بل أنزلته هدى وتبصرة وذكري وقلت فيه - لعلمكم تنفكرون في الدنيا والآخرة - وقلت - ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا - وقلت - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - وقلت - أفلم يسبروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها - . أفلم يأنر للسلمين اليوم أن يسمعوا ويعقلوا ؟ نعم آن ذلك فأقول :

➤ تربية الأمة وقضاتها وحكامها ➤

لقد قرأت في « جمهورية أفلاطون » حجابا في ذلك فلاذكره أولا ثم أقفي على آثاره بما يناسبه من الكتاب والسنة : « يعلم المسلمون أن القرآن لا يزال بكرا وانه يستحيل علينا أن نعقل ما فيه ونعرفه حق معرفته إلا بمقدار ما نعرف من علوم الأمم . إن القرآن بلاعقول مفكرة تعقله ولا نفوس قيمة تفهمه لكتاب مهجور متروك ، الحفظ وحده وفهم المعاني اللفظية لا يقينا قتيلا ، أليس من الجب أن نسمع أفلاطون وأستاذه سقراط قبل نزول القرآن بنحو عشرة قرون يقول : « إن من العار علينا أن يكترفي بلادنا صنفا من الناس وهم القضاة والأطباء ، فكثرة القضاة في البلاد دليل على سوء التربية وقلة الأدب والجهالة . ويقول : نعم نحن أبحنا بعض الموسيقى البسيطة ولكننا لا نبيح الايقال فيها والتفنن ، إن التفنن في الموسيقى يجرّ الى الفضول والفضول والفسوق يجرّان الى المشاحنات الموجبات للنقاضي عند القضاة »

وهكذا أخذ يذم كثرة ألوان الطعام والتغالي فيه فذلك موجب للأمراض المختلفة وهذا يسبب طلب الأطباء . إذن الأمة يكون فيها جيشان وهما عائلة على الأمة ، وهذان الجيشان أكبر دليل على قص الأمة وقلة تربيتها ، وعليه يجب أن تربي الأمة كلها على القناعة لحفظ الصحة وعلى التهذيب الأخلاقي الذي يبعد النفس عن الخلاعة فيقلّ القضاة والأطباء

ولما قرأت هذا القول دهشت أشدّ الدهش من أمة الاسلام ، تلك الأمة التي يتهافت مجموعها على المحاكم وعلى الأطباء لاسيا في زماننا بمصر فان المحاماة صناعة رابحة في بلادنا ، وعندنا ثلاثة جيوش جرارة : قضاة ومحامون وأطباء ، وهؤلاء أكبر دليل على قص في الأخلاق وفي الصحة وأن المآكل غير منتظمة والأحوال غير حسنة وحسبنا الله ونعم الوكيل

وما أشبه الليلة بالبارحة ، لقد قلت عن الامام الغزالي سابقا أن علماء الاسلام أكبوا على علم الفقه لأنه يوصلهم الى كراسي القضاة وأخذ ينتمهم ويقول : « يا قوم هذه فتنة . ما الفقه إلا علم واحد والمسلمون يحتاجون الى علوم كثيرة » وقد تنكرت لهذا في التفسير . إذن علماء الاسلام السابقون كانت حياتهم وشرفهم وعظمتهم تتوقف على أمر واحد وهو جهل الأمة وقلة تربيتها . ومتى شاع الأدب في البلاد قلت القضاة فيقلّ القضاة وهكذا متى صحّت الأبدان قلّ الأطباء

لما كتبت هذا اطلع عليه صاحبي فقال : أحب أن أسمع بعض أقوال (أفلاطون) في هذا . فقلت هذا نفسه في المحاوره بينه وبين غلوكون :

(س) وهل تنكر على الاثنيين تأتقهم في صنوف الحلوى

(غ) بشدة أنكروه

(س) فليس من الخطأ موازنة نظام المعيشة بنظام الموسيقى والغناء المستعمل في مختلف الأوزان

(غ) لاشك في انها موازنة صحيحة

(س) أوليس صحيحا أيضا انه كما يولد التنوع الموسيقي فجورا في النفس تولد الأظعمة عللا في الجسد .
أما البساطة في الألعاب الرياضية فانها تولد الصحة كما انها في الموسيقى تولد العفان
(غ) بلاشك

(س) واذا انتشرت في المدينة الأمراض وصور الفجور أفلا تضطر لانشاء المستشفيات والمحاكم ؟ أولايه
الطب والحقوق مجبأ متى وقف كثيرون من الشرفاء حياتهم على هذه المهن بوافر الرغبة
(غ) وماذا عسانا أن نتوقع غير ذلك ؟

(س) فأية حجة على سوء تهذيب المدينة وانحطاط سكانها أقطع من افتقار أهاليها الى نفس الأطباء
وأساطين القضاة ؟ ليس فقط بين طبقات العمال الدنيا بل أيضا بين من يتبعون شرف النبعة ،
أولاترأ انحطاطا أدبيا ودليل نقص وتهذيب اضطرارنا الى شريعة يسنها الأجانب كسادة وقضاة
لنا بسبب فقر الوطن ؟
(غ) لا اهانة أعظم من ذلك

(س) أو تظن انها إهانة أخف على الانسان أن يقضى الجانب الأكبر من حياته في المحاكم بين مدع
ومدعى عليه ، بل انه زاد على ذلك انه جهلا منه يفتخر بأنه حريف في ارتكاب الكبائر وأستاذ
في الحيل والمواربة والدهاء والمكر بتملصه من قبضة العدالة والنجاة من برائن العقاب ، وكل ذلك
لقاء أشياء طيفة تافهة جاهلا بأفضلية الحياة المنظمة المستقيمة وجاهلها على مثوله أمام قاض خامل
(غ) تلك إهانة أعظم مما سبق ذكرها

(س) أو لا تحسب الاحتياج الى المعالجة الطبية عيبا ، اللهم إلا ما كان لجرح أو لمرض موسمي وافد ؟ أعني
به احتياجنا الى المعالجة بسبب كسلنا ونوع معيشتنا فتملأنا الرياح والأخلاق كما تملأ المياه القنطرة
الحماة فيلزم أبناء اسكولاييوس أن يستنبطوا أسماء جديدة للأمراض كتقبل البطن والزكام
(غ) حقا إن هذه أسماء جديدة غاية في الغرابة

(س) اذا مرض النجار مثلا تناول من طبيبه علاجا لافراز مرضه بالقيء أو بالاسهال أو بالسكى أو بعملية
جراحية . أما اذا أشار عليه طبيب بالمعالجة الدائمة كالامساك عن الطعام والأربطة على الرأس ونحو
ذلك من أساليب العلاج فترحالا وأجاب مشيره الطبي أن لا وقت عنده للامزمة الفراش وأن الحياة
على هذا النظام لا تستأهل عناء الآلام الدائمة والخوف الشديدة مهتما بمرضه مهملا عمله فيودع
طبيبه ويعود الى حياته العادية فلما أن يستعيد صحته ويستمر في عمله أو اذا لم تحتل بيته ذلك
أراحه الموت الزوام من شقائه

(غ) نعم ذلك ما يظن انه نفع المعالجة الطبية لرجل في مثل هذه الحال

(س) صحيح أن الأطباء يحرزون مهارة عظيمة اذا قرنوا منذ الحداثة درس الطب بمعالجة عدد وافر من
شر الحوادث المرضية واختبروا في أشخاصهم كل أنواع المرض ولذلك لا تكون لهم صحة جيدة
لأنى لا أظن أن جسد الطبيب هو الذى يشقى أجساد الآخرين والا لما جازله أن يكون ذا علة
أرأن يمرض ولكن عقله هو الذى يشقى . فاذا أصيب في عقله تعذر عليه أن يكون طبيبا ماهرا
(غ) انك مصيب

(س) ولكن القاضى يا صديقى يحكم العقل ^(١) بالعقل فلا يجوز أن ينشأ عقله منذ نعومة أظفاره في بيئة
فاسدة العقول ويألف معشرها ويعترف كل أنواع الشرور اقتداء بها لسكى يختبر في نفسه ماهية

(١) وردت في بعض الترجمات (النفس) بدل العقل فلا ينس القارى ذلك

الأجرام فيمكن بهذا الاختبار من زلات الآخرين بقياسهم على نفسه على نحو تصرف الطبيب في الأمراض الجسدية بل بالعكس يجب أن يكون الحاكم منذ الحداثة حرا من هذا الاختبار وبمعزل عن عوامل الشر والفساد إذا أريد أن يتصف بالكمال الفائق ويحسن رعاية العدالة وهذا هو السبب في سهولة انخداع الصالحين في شبيبتهم إذ ليس في نفوسهم مثل يقبسون شرور الأعداء به

(غ) نعم وهم معترضون كثيرا لهذا الانخداع

(س) ولذا لا يكون أفضل القضاة شابا بل شيخا عرك الدهر وخبر البطل لا كشيئ استقرت في نفسه بل كأمر خارجي أدركه ودرسه درسا طويلا مدققا في حياة الآخرين (وبعبارة أخرى) انه يقاد بالمعرفة لا بالاختبار الشخصي

(غ) حقا إن ذلك أشرف نوع في الحكم

(س) وهو صالح أيضا ، هذه هي نقطة البحث لأن ذا النفس النقية صالح ، أما القاضي المرعب الذي اقترف كثيرا من موبقات الآثام وهو يزعم انه بارع لكونه عاشر أمثاله من الشبان فيبدي شديدا الحذر قياسا على ما في داخله من نماذج الشر وهي نصب عينيه كل يوم . على أنه متى اجتمع بالشيخ والأبرار ظهر بازائهم غرا أحق بريته الشاذة وجهله السجية الكاملة لفقدانه مثلا لها في نفسه وانما لأن علاقته بالأشرار أكثر منها بالأبرار لاجل له ولأمثاله انه حاذق لا أحق

(غ) غاية في الصواب

(س) فلان نشئت كما كنا الصالح في هذا الصف بل في سابقه لأن الرذيلة لا يمكنها أن تعرف نفسها والفضيلة معا . أما الفضيلة في الكامل التهذيب فانها بمرور الزمن تتمكن من معرفة الأمرين : نفسها والرذيلة . فالقاضي الحكيم في مذهبي هو هذا الفاضل لاذك الرذيل

(غ) أوافقك في ذلك

(س) أفلا نشئ في مدينتك ادارتين : طيبة وقضائية . تتصف كل منهما بما ذكرناه من الأوصاف ؟ فتسبغان بركات خدمتهما على أحماء الأبدان والعقول مع اعمال سقاء الأبدان فيموتون واعدام الأشرار الفاسدين غير القابلين اصلا

(غ) نعم وقد تبرهن أن ذلك خير للدولة ولأولئك السقما

(س) وواضح أن الشبان يحترسون من افتقارهم الى هذه الشريعة ماداموا يمارسون الموسيقى البسيطة التي قلنا انها تنشئ رزاة النفس

(غ) دون شك . انتهى ترجمة الاستاذ حنا خباز

فقال صاحبي عندئذ : عجبا ! هانحن أولاء في هذا القول رأينا (عجيبين : الحب الأول) في سورة يس إذ تقدم هناك أن علم الموسيقى والشعر وعلم الفلك كلها من واد واحد واقض لنا هناك إذ ظهر أن حساب الفلك يرجع الى دوائر منتظمة مكررات كما في السين الكيسة والبسيطة ومثلها في ذلك نظم الشعر ونغمات الموسيقى والطير (الحب الثاني) هنا فقد أصبح الطب والقضاء توأمين في أن كثرة كل منهما دليل على سقوط أخلاق الأمة وآدابها . ولقد اضطرت حكومتنا المصرية في هذه السنة أن توسع مستشفى القصر العيني وهي تبني بناء عظيم يسع (٤٨٠٠) سرير للمرضى . إذن هذا دليل على الجهل المطبق في هذه الأمة وهكذا كثرة القضاة والمحامين شرعيين وأهلين . كل ذلك دليل على سوء تربية الأمة وعلى سوء ملكة أهلها . فقلت نعم حق ما تقول وذلك السوء ليس من طبيعة بلادنا بل ذلك أمر ينبع احتلال الأجنبي لبلادنا . ومن أقبح

ما اطلعت عليه بنفسى انى منذ أربع سنين قبل كتابة هذا الموضوع ذهبت الى ولية وقد كانت بلادنا أخذت استقلالاً جزئياً فسمعت الموسيقى تصدح في تلك الولاية اذا هي موسيقى الحكومة المصرية فكان دهشى عظيماً إذ سمعت كل الأشعار من أقاويل الجهال والسخفاء وأحقر الطبقات وكلها تنطق بالفسوق والجهالة والعمى فسأت الرئيس فبكي بكاء مرّاً وقال إن السلطة للرئيس الأجنبي ولما عارضنا في ذلك عاقبونا فأرغمنا أن ننفي هذا الغناء الحقير . فعلت بهذا وبغيره أن الأمم التي تتدهور أخلاقها كما حصل لأمتنا انما يكون ذلك أكثره من الأجانب المحتلين للبلاد

فقال صاحبي : عرفنا تربية الأمة على سبيل الاجال فتريد أن نعرف تربية الأمراء والقضاة ونحوهم . فقلت : لقد تقدمت في ﴿ سورة يس ﴾ عند الكلام على الموازنة بين الموسيقى والفلك أن أفلاطون يحتم أن يقرؤا الرياضيات من الحساب والهندسة والجبر والفلك وأن يمارسوا الفضائل وتكون دراستهم لتلك العلوم موجهة في ظواهرها الى منفعة العموم العملية وفي باطنها الى أن تتلمس الروح من الحساب البديع المنظم مبدع العالم فتعرف من استقرار الحساب وجوبه على وتيرة واحدة في الأحوال الفلكية وغيرها أن وراءها قوة ثابتة وعلمها وحكمة ورحمة وهناك تتصل نفوس الأمراء والقضاة والملوك بتلك الذات القدسية فيحس هؤلاء بأنهم خلفاؤه في الأرض وانهم هم آباء الناس والناس أبنائهم . وكما تراه أوجب الرياضة البدنية والعفة على العامة وأوجبها على الجيوش وعلى الأمراء . إذن القاضي والأمير والملك يجب أن يكون أكلمهم وشربهم بسيطين وأن يكثروا التمرين الجسدى والعقلى بالعلوم الرياضية . وأن يفكروا في منظم الكون بحيث يقتربون منه بعقولهم حتى يحسوا بأنهم خلقوا أشبه بمخلقة الذهب في المعادن . فاذا استحقّ الذهب أن يكون ما كما في معاملات الناس وله السيادة على المعادن فهكذا يجب أن يعلم القضاة الحقيقيون أنهم خلقوا لتلك

فقال : أنا الآن فهمت خوى كلام أفلاطون الناقل عن سقراط فأين هذا القول في القرآن وفي الحديث كما وعدت أنت ؟ فقلت : يقول الله تعالى في ﴿ سورة البقرة ﴾ يصف الملك - إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم -

فقال : هذا كلام اجالى فأين التنصلي كما فصل سقراط . فقلت : اقرأ القرآن . ألم تر أن هذا الملك نفسه هو الذى أمر قومه أن لا يشربوا من النهر وأن من شرب منهم لم يقدر على المقاتلة ومن لم يشرب أو شرب قليلاً حارب والذين لم يشربوا كانوا قليلاً والذين شربوا كانوا كثيراً ولم يحارب إلا أولئك الأقولون فانتصروا . وهل هذه القصة موجهة لأحد إلا الينا معاشر المسلمين الآن وذلك أن نعم الشعب الاسلامى العفة لتم الصحة والعافية والشجاعة ويقل الاحتياج للأطباء : أفليس هذا يكون سبباً في قوة البدن المذكور في الآية وهو قوله - وزاده بسطة في العلم والجسم - . فقال : زدنى من هذا . فقلت : يقول الله تعالى - أذهبتم طبيائكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون - ويقول - واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول فدمرناها تدميراً - ويقول - نخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً -

أفلا يكفيك هذا في أن ما قاله أفلاطون وسقراط قد وضع في القرآن . فقال : هذا في علم الحقوق فإذا في الطب . فقلت : يقول الله سبحانه - وكأوا واشربوا ولا تسرفوا - ويقول - أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير - فقرأ معنى هاتين الآيتين : الأولى في سورة الأعراف والثانية في سورة البقرة . فقال : أين التمرينات العضلية التي ذكرها أفلاطون . فقلت : انها في « السبق والرعى » الآتى الكلام عليهما قريبا هنا فقال : أين مقابل الموسيقى . فقلت : هي الصلاة فالصلاة التي جاءت بالوحى هي التي تحفظ كيان الأمة وتمهذب أخلاقها . والبرهان على ذلك أن الصلاة عاشت بها أمم وأمم وفتحوا بلاداً وبلاداً وعمروا أرض الله . أما

تعالم أفلاطون فلم نجد لها أمما دامت عشرات السنين . فقال : حسن هذا كله . فأريد الآن أن تفيض القول فيما جاء في السنة (١) من حيث بساطة الطعام والشراب (٢) ومن حيث التمريعات العظيمة . فقلت : جاء في كتاب (رياض الصالحين) تحت عنوان «باب فضل الجوع» مانصه :

عن عائشة رضی الله عنها قالت : «ما شبع آل محمد ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض» متفق عليه (١) . وفي رواية «ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة من طعام البر ثلاث ليال تباعا حتى قبض» وعن عروة عن عائشة رضی الله عنها أنها كانت تقول «والله يا ابن أخي ان كنا لننظر الى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في آيات رسول الله ﷺ نار . قلت : يا خالة فما كان يعيشتكم؟ قالت الاسودان التمر والماء إلا انه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار وكانت لهم مناجح وكانوا يرسلون الى رسول الله ﷺ من ألبانها فبسقينا» متفق عليه . وعن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضی الله عنه انه مر بقوم بين أيديهم شاة مصلية فدعوه فأبى أن يأكل وقال خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير . رواه البخاري . مصلية بفتح الميم أي مشوية . وعن أنس رضی الله عنه قال : «لم يأكل النبي ﷺ على خوان حتى مات وما أكل خبزا مرققا حتى مات» رواه البخاري . وفي رواية له «ولا رأى شاة سميطا بعينه قط» . وعن النعمان بن بشير رضی الله عنهما قال : «لقد رأيت نبيكم ﷺ وما يجد من الدقل ما يملأ به بطنه» . رواه مسلم . الدقل تمر ردي . وعن سهل بن سعد رضی الله عنه قال : «ما رأى رسول الله ﷺ النقي من حين ابتعثه الله تعالى حتى قبضه الله تعالى فقيل : له هل كان لكم في عهد رسول الله ﷺ مناخل؟ قال ما رأى رسول الله ﷺ من خلا من حين ابتعثه الله تعالى حتى قبضه الله تعالى فقيل له كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول؟ قال كنا نطحنه وننفضه فيطير ما طار وما بقي ثريناه» رواه البخاري . وقوله النقي بفتح النون وكسر القاف وتشديد الياء وهو الخبز الحواري وهو البرمك وقوله ثريناه هو بئاء مثله ثم راه مشددة ثم ياء مشاة من تحت ثم نون أي بلناه ومجناه . وعن أبي هريرة رضی الله عنه قال خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أوليلة فاذا هو بأبي بكر وعمر رضی الله عنهما فقال ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟ ألا الجوع يارسول الله ﷺ قال وأنا والذي قضى بيده لأخرجني الذي أخرجكما قوما فقاما معه فأبى رجلا من الأنصار فاذا هوليس في بيته فلما رآته المرأة قالت مرحبا وأهلا فقال لها رسول الله ﷺ أين فلان قالت ذهب يستعذب لنا الماء إذ جاء الأنصاري فنظر الى رسول الله ﷺ وصاحبه ثم قال الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيفا مني فانطلق بجاءهم بعدق فيه بسر وتمر ورطب فقال كلوا وأخذ المدينة فقال له رسول الله ﷺ إياك والحلوب فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما أن شبعوا ورووا قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر رضی الله عنهما والذي قضى بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم . رواه مسلم . (قولها) يستعذب أي يطلب الماء العذب وهو الطيب ، والعذق بكسر العين واسكان الذال المججمة وهو الكباسة وهي الفصن والمدينة بضم الميم وكسرها هي السكين والحلوب ذات اللبن والسؤال عن هذا النعيم سؤال تعديد النعم لاسؤال توبيخ وتعذيب والله أعلم ، هذا الأنصاري الذي أتوه هو أبو الهيثم بن التيهان كذا جاء مبينا في رواية الترمذي وغيره . وعن خالد بن عمر العدوي قال خطبنا عتبة بن غزوان وكان أميرا على البصرة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فان الدنيا قد آذنت بصرم دولت حذاء ولم يبق منها إلا صباية كسباية الاناء يتصاها صاحبها وانكم منتقلون منها الى دار لا زوال لها فانتقلوا بخير ما يحضرنكم فانه قد ذكر لنا أن الحجر يلقي من شفير جهنم فيهب فيهب فيها سبعين عاما لا يدرك لها قعرا والله لثقلان أفحجتهم ولقد ذكر لنا

(١) معنى هذه أن البخاري ومسلم اتفقا عليه

أن ما بين مصراعين من مصارع الجنة مسيرة أر بعين علما وليأتين عليها يوم وهو كظيظ من الزحام ولقد رأيتني سامع سبعة مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الشجر حتى قرحت أشدنا فالتقطت برودة فشقتها بيني وبين سعد بن مالك فأنزلت بنصفها فما أصبح اليوم منا أحد إلا أصبح أميراً على مصر من من الأمصار واني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيماً وعند الله صغيراً . رواه مسلم . قوله آذنت هو بعد الألف أى أعلمت وقوله بصرم هو بضم الصاد أى باقتطاعها وفنائها وقوله وولت حذاء هو بحاء مهملة مفتوحة ثم ذال مججمة مشددة ثم ألف ممدودة أى سريعة والصبابة بضم الصاد المهملة وهو البقية اليسيرة وقوله يتصاها هو بتشديد الباء قبل الهاء أى يجمعها والكظيظ الكثير الممتلئ ، وقوله قرحت هو بفتح القاف وكسر الراء أى صارت فيها قروح * وعن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال أخرجت لنا عائشة رضى الله عنها كساء وازارا غليظا قالت قبض رسول الله ﷺ في هذين (متفق عليه) * وعن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال : « إني لأؤل العرب رى بسهم في سبيل الله ، ولقد كنا نفرز مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الحبلية وهذا السمر حتى ان كان أحداً ليضع كما تضع الشاة ماله خلط » متفق عليه . الحبلية بضم الحاء المهملة واسكان الباء الموحدة وهى والسمر نوعان معروفان من شجر البادية * وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا » متفق عليه ، قال أهل اللغة والغريب معنى قوتا أى ما يستد الرمق * وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال والله الذى لا إله إلا هو ان كنت لأعتمد بكبدى على الأرض من الجوع وان كنت لأشد الجحر على بطنى من الجوع ، ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذى يخرجون منه فرأى النبي ﷺ فتبسم حين رآنى وعرف مائى وجهى ومائى نفسى ثم قال أباهر قلت ليلىك يارسول الله قال ألقى ومضى فأتبعته فدخل فاستأذن فأذن لى فدخلت فوجد لنا فى قدح فقال من أين هذا اللبن قالوا أهدها لك فلان أو فلانة قال أباهر قلت ليلىك يارسول الله قال ألقى الى أهل الصفة فادعهم لى قال وأهل الصفة أضياف الاسلام لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد ، وكان اذا أتته صدقة بعث بها اليهم ولم يتناول منها شيئاً ، واذا أتته هدية أرسل اليهم وأصاب منها وأشركهم فيها فساءنى ذلك فقلت وما هذا اللبن فى أهل الصفة كئنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها . فلذا جاؤا أمرنى فكنت أنا أعطيهم فقلت وما عسى أن يبلغنى من هذا اللبن ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بد فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا واستأذنوا فأذن لهم وأخذوا بحالهم من البيت قال أباهر قلت ليلىك يارسول الله قال خذ فاعطهم قال فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد على القدح فأعطيه الآخر فيشرب حتى يروى ثم يرد على القدح حتى انتهيت الى النبي ﷺ وقد روى القوم كلهم فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر الى فتبسم فقال أباهر قلت ليلىك يارسول الله قال بقيت أنا وأنت قلت صدقت يارسول الله قال أقعد فاشرب فقعدت فشربت فقال اشرب فشربت فما زال يقول اشرب حتى قلت لاوالذى بعثك بالحق لأجد له مسلكا قال فأرني فأعطيت القدح فحمد الله تعالى وسمى وشرب الفضلة . رواه البخارى * وعن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضى الله عنه قال لقد رأيتني واني لأخر فيما بين منبر رسول الله ﷺ الى حجرة عائشة رضى الله عنها مغشياً على فيججى الجائى فيضع رجله على عنقى ويرى أى مجنون وماى من جنون ماى إلا الجوع . رواه البخارى * وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « توفى رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودى فى ثلاثين صاعاً من شعير ، متفق عليه * وعن أنس رضى الله عنه قال « رهن النبي ﷺ درعه بشعير ومشيت الى النبي ﷺ بخبز شعير وامالة نسخة ، ولقد سمعته يقول ما أصبح لآل محمد صاع ولا أمسى وانهم لتسعة آيات ، رواه البخارى . الاهالة بكسر الهمزة الشعم للذائب والنسخة بالنون والنخا المججمة وهى المتغيرة * وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : لقد رأيت سبعين من أهل الصفة مامنهم رجل عليه رداء إما

ازار واما كساء قد ربطوا في أعناقهم منها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته . رواه البخارى * وعن عائشة رضى الله عنها قالت : وكان فراش رسول الله ﷺ من آدم حشوه ليف » رواه البخارى * وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كنا جلوسا مع رسول الله ﷺ إذ جاء رجل من الأنصار سلم عليه ثم أدبر الأنصاري فقال رسول الله ﷺ يا أبا الأنصار كيف أخى سعد بن عبادة (١) فقال صلح فقال رسول الله ﷺ من يعود منكم فقام وقتنا معه ونحن بضعة عشر ماعلينا نعال ولا خفاف ولا قلانس ولا قمص نمشي في تلك السباح حتى جئناه فاستأخر قومه من حوله حتى دنا رسول الله ﷺ وأصحابه الذين معه . رواه مسلم * وعن عمران بن حصين رضى الله عنهما عن النبي ﷺ انه قال « خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » قال عمران فما أدري قال النبي ﷺ مرتين أو ثلاثا ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون ويحسبون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن » متفق عليه * وعن أبي أمامة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يا ابن آدم انك ان تبدل الفضل خير لك وان تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف وابدأ بمن تعول . رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * وعن عبيد الله بن محسن الأنصاري الخطمي رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من أصبح منكم آمنا في سربه ، معافى في جسده ، عندة قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » رواه الترمذى وقال حديث حسن . سربه بكسر السين المهملة أى نفسه وقيل قومه * وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « قد أفلح من أسلم وكان رزقه كفافا وقعه الله بما آتاه » رواه مسلم * وعن أبي محمد فضالة بن عبيد الأنصاري رضى الله عنه انه سمع رسول الله ﷺ يقول طوبى لمن هدى للإسلام وكان عينه كفافا وقنع . رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان رسول الله ﷺ يبيت الليالى المتتابعة طاويا وأهله لا يجدون عشاء وكان أكثر خبزهم خبز الشعير رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * وعن فضالة بن عبيد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان اذا صلى بالناس يخرّ رجال من قائمهم في الصلاة من الخصاصه وهم أصحاب الصفة حتى يقول الأعراب هؤلاء مجانين فاذا صلى رسول الله ﷺ انصرف اليهم فقال : لو تعلمون مالكم عند الله تعالى لأحببتم أن تزدادوا فاقة وحاجة . رواه الترمذى وقال حديث صحيح . الخصاصه الفاقة والجوع الشديد * وعن أبي كريمة المقداد بن معديكرب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ماملأ آدمى وعاء شرا من بطن بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه ، فان كان لا محالة ثلث لطفامه ، وثلاث لثرا به ، وثلاث لنفسه . رواه الترمذى وقال حديث حسن . وقوله أكلات أى لقم * وعن أبي أمامة إياس بن ثعلبة الأنصاري الحارثي رضى الله عنه قال : « ذكر أصحاب رسول الله ﷺ يوما عنده الدنيا فقال رسول الله ﷺ ألا تسمعون ألا تسمعون ان البذاذة من الايمان ان البذاذة من الايمان يعنى التقهل . رواه أبو داود . البذاذة بالباء الموحدة والفتح المعجمتين وهى رثانة الهيئة وترك فاخر اللباس ، وأما التقهل فبالقاف والحاء قل أهل اللغة التقهل هو الرجل اليابس الجلد من خشونة العيش وترك الترفه * وعن أبي عبد الله جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال بعثنا رسول الله ﷺ وأمر علينا أبا عبيدة رضى الله عنه تلقى عير القريش وزودنا جرابا من تمر لم يجد لنا غيره فكان أبو عبيدة يعطينا تمر تمر فليل كيف كنتم تصنعون بها قال نعمها كما يصنع من تمر لم يجد لنا غيره فكان أبو عبيدة يعطينا تمر تمر فليل كيف كنتم تصنعون بها قال نعمها كما يصنع

(١) « فائدة » سعد بن معاذ الأنصاري رضى الله عنه هو سيد الأوس كنيته أبو عمرو وهو الذى نبت في

الصحيح أن رسول الله ﷺ قال فيه « اهتر عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ » وفيه أنشدوا :

وما اهتر عرش الله من موت هالك * سمعنا به إلا لسعد أبى عمرو

انتهى من هامش بعض النسخ منقولاً من خط المصنف رحمه الله تعالى اه

الصبي ثم شرب عليها من الماء فتكفينا يومنا الى الليل وكنا نضرب بمصينا الخبط ثم نبله بالماء فأنكه قال
وانطلقنا على ساحل البحر فرجع لنا على ساحل البحر كهيمة الكتيب الضخم فأتيناها فإذا هي دابة تدعى العنبر
فقال أبو عبيدة مية ثم قال لا بل نحن رسل رسول الله ﷺ وفي سبيل الله وقد اضطررتم فكلوا فأقنا عليه
شهرًا ونحن ثلثائة حتى سمننا ولقد رأينا نفرت من وقب عينه بالقلال الدهن وقطع منه الفدر كالثور أو كقدر
الثور ، ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فأقعدهم في وقب عينه وأخذ ضلعا من أضلاعه فأقامها ثم
رحل أعظم بعير معنا فمر من تحتها وتزودنا من لحمه وشاتق فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا
ذلك له فقال هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم من لحمه شيء فقطعتمونا فأرسلنا الى رسول الله ﷺ منه
فأكله . رواه مسلم . وقوله الجراب وعاء من جلد معروف وهو بكسر الجيم وفتحها والكسر أفصح ، وقوله نمصها
بفتح الميم ، والخبط ورق شجر معروف تأكله الابل ، والكتيب اتل من الرمل ، والوقب بفتح الواو واسكان القاف
وبعدها باء موحدة وهو قرة العين ، والقلال الجرار ، والتندر بكسر الفاء وفتح الدال القطع ، وقوله رجل
البعير بتخفيف الحاء أى جعل عليه الرجل ، والشاتق بالشين المهجمة والقاف اللحم الذى اقتلع ليقتدم منه
وأنه أعلم * وعن أسماء بنت يزيد رضى الله عنها قالت كان كم قيص رسول الله ﷺ الى الرصغ . رواه
أبو داود والترمذى وقال حديث حسن . الرصغ بالصاد والرصغ بالسين أيضا هو المنصل بين الكف والساعد
* وعن جابر رضى الله عنه قال : « إنا كنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة جفاؤا الى النبي ﷺ
فقالوا هذه كدية عرضت فى الخندق فقال أنا نازل ثم قام ويطنه معصوب بحجر ولبننا ثلاثة أيام لانذوق ذواقا
فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب فعاد كتيبًا أهيل أو أهيم فقلت يارسول الله انذن لى الى البيت فقلت
لامرأتى رأيت بالنبي ﷺ شيئاً ما فى ذلك صبر أفعدك شئ فقلت عندى شعير وعناق فذبحت العناق
وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم فى البرمة ، ثم جث النبي ﷺ والجبين قد انكسر والبرمة بين الأثافي
قد كادت تنزع فقلت طعم (كذا) لى فقم أنت يارسول الله ورجل أو رجلان قال كم هو فذكرته فقال كثير طيب
قل لها لانزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتى فقال قوموا فقام المهاجرون والأنصار فدخلت عليها فقلت
ويحك قد جاء النبي ﷺ والمهاجرون والأنصار ومن معهم قالت هل سألك قلت نعم قال ادخلوا ولا تضاغطوا
فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة والتنور اذا أخذ منه ويقرب الى أصحابه ثم يزع فلم يزل
يكسر ويفرق حتى شعوا وبقى منه فقال كلوا هذا وأهدى فان الناس أصابتهم مجاعة « متفق عليه وفى رواية
قال جابر « لما حفر الخندق رأيت بالنبي ﷺ خصا فانكفأت الى امرأتى فقلت هل عندك شئ فأتى رأيت
برسول الله ﷺ خصا شديدا فأخرجت الى جرابا فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن فذبحتها وطحنت
ففرغت الى فراغى (كذا) وقطعتها فى برمتها ثم ولت الى رسول الله ﷺ فقالت لا تفضحنى برسول الله ﷺ
ومن معك جثت فساررته فقلت يارسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنت صاعا من شعير ففعلت أنت ونفر معك
فصاح رسول الله ﷺ فقال يا أهل الخندق إن جابرا قد صنع سوؤا فخبلا بكم فقال النبي ﷺ لا تنزلن
برمتكما ولا تخبزن عجينة حتى أجيء بجث النبي ﷺ يقدم الناس حتى جثت امرأتى فقلت بك وبك
فقلت قد فعلت الذى قلت فأخرجت عجينا فبسق فيه وبارك ثم عمد الى برمتنا فبسق وبارك ثم قال ادع خائزة
فلتخبز معك واقدمى من برمتكم ولا تنزلوها وهم ألف فأقسم بالله لا كلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا
لتنظت كما هي وان عجينا ليخبز كما هو « وقوله عرضت كدية بضم الكاف واسكان الدال وبالياء المثناة تحت
وهي قطعة غليظة صلبة من الأرض لا يسمل فيها الفأس ، والكتيب أصله تل الرمل والمراد هنا صارت ترابا
ناعما وهو معنى أهيل ، والأثافي الأشجار التى يكون عليها القدر وتضاغطوا تراحوا والمجاعة الجوع وهي بفتح
الميم والمحص بفتح الحاء المهجمة والميم الجوع ، وانكفأت اقلبت ورجعت ، والبهيمة بضم الباء تصغير بهيمة

وهي العناق بفتح العين ، والداجن هي التي ألفت البيت ، والسور الطعام الذي يدعى الناس اليه وهو بالفارسية
وحبلا أي تناولوا وقولها بك وبك أي خاصته وسببه لأنها اعتقدت أن الذي عندها لا يكفهم فاستحيت
وخفي عليها ما أكرم الله سبحانه وتعالى به نبيه ﷺ من هذه المجيزة الظاهرة والآية الباهرة ، بسق أي
بصق ويقال أيضا بزق ثلاث لغات وعهد بفتح الميم أي قصد . واقدسي أي اغرفي ، والمقدحة المغرفة وتفظ أي
لغليانها صوت والله أعلم * وعن أنس رضي الله عنه قال قال أبو طلحة لأم سليم قد سمعت صوت رسول الله
ﷺ ضعيفا أعرف فيه الجوع فهل عندك من شيء ؟ فقالت نعم فأخرجت أقراسا من شعير ثم أخذت خارا
لها فلفت الخبز ببعضه ثم دنته تحت ثوبي وردتني ببعضه ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ فذهبت به فوجدت
رسول الله ﷺ جالسا في المسجد ومعه الناس فمعت عليهم فقال رسول الله ﷺ أرسلك أبو طلحة
فقلت نعم . فقال الطعام ؟ فقلت نعم . فقال رسول الله ﷺ قوموا فانطلقوا وانطلقت بين أيديهم حتى
جئت أبا طلحة فأخبرته فقال أبو طلحة يأم سليم قد جاء رسول الله ﷺ بالناس وليس عندنا ما يطعمهم
فقال الله ورسوله أعلم فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ فأقبل رسول الله ﷺ معه حتى دخلا
فقال رسول الله ﷺ هلمي ما عندك يأم سليم فأتت بذلك الخبز فأمر به رسول الله ﷺ ففت وعصرت
عليه أم سليم عكة فأذنته ثم قال فيه رسول الله ﷺ ماشاء الله أن يقول ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم
فأكلوا حتى شعوا ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة حتى
أكل القوم كلهم وشبعوا والقوم سبعون رجلا أو ثمانون متفق عليه . وفي رواية « فإزال بدخل عشرة
ويخرج عشرة حتى لم يبق منهم أحد إلا دخل فأكل حتى شبع ثم هيأها فإذا هي مثلها حين أكلوا منها »
وفي رواية « فأكلوا عشرة عشرة حتى فعل ذلك ثمانين رجلا ثم أكل النبي ﷺ بعد ذلك وأهل البيت
وتركوا سؤرا » وفي رواية « ثم أفضلوا ما بلغوا جيرانهم » وفي رواية عن أنس قال جئت رسول الله ﷺ
يوما فوجدته مع أصحابه وقد عصب بطنه بعصاة فقلت لبعض أصحابه لم عصب رسول الله ﷺ بطنه ؟ فقالوا
من الجوع فذهبت إلى أبي طلحة وهو زوج أم سليم بنت ملحان فقلت يا أبتاه قد رأيت رسول الله ﷺ
عصب بطنه بعصاة فسألت بعض أصحابه فقالوا من الجوع فدخل أبو طلحة على أمي فقال هل من شيء فقالت
نعم عندي كسر من خبز وتمرات فان جاءنا رسول الله ﷺ وحده أشبعناه وان جاء آخر معه قل عنهم
وذكر تمام الحديث . انتهى ما أردته من كتاب « رياض الصالحين » والحمد لله رب العالمين

فلما سمع ذلك صاحبي قال : لقد أصبحت حوقنا أن دين الاسلام في المستقبل سيفهم فهما غيره بالأمس
فقد ثبت في الصحيح أنه ﷺ كان يجوع هو وأصحابه ، وأن خبزه لا ينخل ، وأن أهل بيته يمر عليهم
الملال والملال فلا يوقدون نارا ، ومعنى هذا أنهم عاشوا عيشة الصحة فان العلم اليوم أثبت أن الخبز بدون
النخالة والسنن كله ضرر كما تقدم في هذا التفسير ، فترك النخالة والسنن اليوم جهالة تورث الأمراض والشقاء
والنذل وأثبت أيضا أن القوة لا تكون إلا فيما لم يطبخ ، أما الطعام المطبوخ فان قوته قد ذهب أكثرها . إذن
عدم طبخ الطعام أيضا صفة جيدة أثبتته الطب الحديث . إذن النبوة المحمدية في واد والمسلمون في واد ،
فالمسلمون ينخلون الدقيق ويكثرون الطبخ ويتفاني علماءهم وصلحاءهم وملاؤكهم في ألوان الطعام جهلا منهم
فلاهم أطاعوا النبي ﷺ ولاهم قرؤوا العلوم الطبية الحديثة المشروح مقصودها في هذا التفسير فيما تقدم
ولقد نجد السيدة فاطمة رضي الله عنها كما في حديث البخاري تطلب منه ﷺ أن يعطيها جارية من السبي
لتساعدتها في طحن الدقيق بالرحى فأبى وأمرها بالعبادة علما منه أن الطاحن يعطي الجسم قوة فقد جمعت
إذن بين العفة وتمارين العضلات فإزدادت قوتها واذ ظهرت هذه الحقيقة ونهجت . فأرجو أن تذكر ما وعدت
به من « السبق والرى » فقلت جاء في كتاب « تيسير الوصول . لجامع الأصول » تحت العنوان الآتي مانصه

﴿ كتاب السبق والرمى ﴾

(وفيه فصلان)

﴿ الفصل الأول في أحكامهما ﴾

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لاسبق إلا في خف أو حافر أو نصل » أخرجه أصحاب السنن . والمراد بالخف الأبل وبالخافر الخيل وبالنصل السهم . والسبق بفتح الباء الجعل وباسكانها مصدر سبقت أسبق سبقا . وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « كان رسول الله ﷺ يضمرا الخيل يسابق بها » أخرجه أبو داود . وعنه رضى الله عنه قال : سابق رسول الله ﷺ بين الخيل وفضل القرع في الغاية « أخرجه أبو داود » وعنه رضى الله عنه قال : « أجرى رسول الله ﷺ ما ضم من الخيل من الخيباء الى نية الوداع ولم يضم (بتشديد الميم) من الثانية الى مسجد بنى زريق » أخرجه الستة
وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من أدخل فرسا بين فرسين وهو لا يأمن أن يسبق فليس بقمار ، ومن أدخل فرسا بين فرسين وقد آمن أن يسبق فهو قمار » أخرجه أبو داود
وعن أنس رضى الله عنه قال كان للنبي ﷺ ناقة تسمى العضاء لانسبق لجاء اعرابي على قعود فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال ﷺ حق على الله أن لا يرتفع شئ من الدنيا إلا وضعه ، أخرجه البخارى وأبو داود والنسائي

وعن فقيم اللحى قال : قلت لعقبة بن عامر رضى الله عنهما تختلف بين هذين الفرضين وأنت شيخ كبير ويشق عليك فقال لولا كلام سمعته من رسول الله ﷺ لم أعانه سمعته يقول : « من تعلم الرمي ثم تركه فليس منا ، أو قد عصي » أخرجه مسلم ومعناه الشئ مقاساته وملابسته
وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه المحتسب في عمله الخير ، والرامي به ، والممد به » وفي رواية « ومنبله فارموا واركبوا وأحبب إلى أن ترموا من أن تركبوا ، كل طوباطل ، ليس من اللهو محمود إلا ثلاثة : تأديب الرجل فرسه وملاعبته أهله ، ورميه بقوسه ونبله ، فانهن من الحق ، ومن ترك الرمي بعد ما علمه فانها نعمة تركها أو قال كفرها » أخرجه أصحاب السنن ، وهذا لفظ أبي داود ، والمنبل الذى ينال الرامى النبل ليرى به وهو للممد به وقوله كفرها أى جعلها

وعن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ على نفر من أسلم ينتضلون بالسوق فقال ارموا بنى اسماعيل فإن أباكم كان راميا . ارموا وأنا مع بنى فلان فأمسك أحد الفريقين بأيديهم فقال مالكم لاترمون ؟ فقالوا كيف نرمي وأنت معهم ؟ فقال ارموا وأنا معكم كلكم . أخرجه البخارى اه
فلما أتمت ذلك قال صاحبي الآن حصحص الحق . لقد استبان الآن أن كثيرا من علوم الأمم مفصلات ومبينات ومشيرات لمعانى القرآن والافكتاب السبق والرمى يقرؤه المسلمون في جميع أقطار الاسلام ولا يعمل كثير منهم به فوجب على طلاب العلم جميعا وأكثر العامة أن يكون لهم ساعة في كل أسبوع ليتقنوا هذا الفن لأنه يعطى قوة بدنية وصناعة حربية وشجاعة . والمحافظة على الصلاة تؤلف بين القلوب لاسما اذا كانت في جماعة وهذا قوله ﷺ « الصلاة وما ملكت أيمانكم » للإشارة الى أن الصلاة أثارا فعلا في المعاشرة وهذا سر قوله تعالى - إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر -

إن سقراط يقول « الموسيقى تهذب الخلق ولكن لها شروط فإذا فقدت فسدت الأخلاق واحتاج الناس الى القضاء » فأما الصلاة فانها اذا زادها الانسان فإنه يقرب من ربه وقد دلت التجربة على أنها تنهى عن الفحشاء

والمنكر كنص الآية . وقد تقدم قول بنتام أن النظافة تحسن الأخلاق ولم يذكر الصلاة وعدة هذه النظافة من محاسن الدين الاسلامي ونسى هو أن يذكر الصلاة لأنها ليست من دينه فهو يجعلها . وعليه يجب على الأمم الاسلامية

(١) أن تذيب الصنائع اليدوية بين المتعلمين لأنها تقوى البدن والعقل

(٢) وأن تذيب السبق والري

(٣) وأن تعمم تعليم الجندي بقدر الامكان

(٤) وأن يكون القضاء من أفضل هؤلاء وأعلمهم

(٥) وأن يكون الأمراء والملوك أعلى من الجميع أخلاقاً وعلماً وصحة واستقامة فيكون علمهم أكمل وأجسامهم أصح وأراؤهم أعلى ، فأما الاتسكال على نسبتهم لآبائهم وحدها فانه ضرر ومخالف للدين الاسلامي ، فليكن للملوك والقضاة أصح أجساماً وأرق عقولاً وعلوماً من جميع الأمم المحكومة بهم

وإذا وجدنا أن النحل تربي خشرها أي الملكة التي تحكمها وهكذا الأرض فلماذا لا تربي الملوك والقضاة تربية خاصة كما فعلت هذه الطوائف من الحشرات . ألم تر أن النحل يجعل عسلاً أيضاً خاصاً بالملكة التي تربيها فيكون جسمها أكمل وتميزها أتم ، وهكذا نجد ملكة الأرض أكبر حجماً وأقوى تميزاً من جميع ممالكها كما تراها مرسومة فيما تقدم في ﴿سورة سبأ﴾

فأنت الذي ألهم بعض الحشرات أن تربي رؤسها تربية خاصة هو نفسه الذي يقول في القرآن - وزاده بسطة في العلم والجسم - والله يؤذي ملكه من يشاء والله واسع عليم -

فليعلم المسلمون ذلك وليعملوا به والله هو الولي الحميد . كتب ليلة الأربعاء بعد نصف الليل ٢٥ يونيو سنة ١٩٣٠ بشارع زين العابدين بقسم السيدة زينب بمصر المحروسة . تمت اللطيفة الثانية

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

(في قوله تعالى - رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب *)

فسخرناه الرجح - الخ)

اعلم أن الناس بالنسبة للنعم على ثلاثة أقسام : عامة ، وخاصة ، وخاصة الخاصة . فأما العامة فأنهم يفرحون بظواهر النعم مثل روائعها العطرية ولذاتها المختلفة وبهجة زينتها والافتخار بكثرتها وازدحام مخازنهم بها وتحدث الناس بفنائهم واعظامهم في المجالس لكثرة أموالهم . وأما الخاصة فأنهم لا يقفون من النعم عند ظواهرها وإنما يفنيهم من الأغذية ما يفيدهم الصحة ويعطيهم العافية ويزدرون ما وراء ذلك من اللذات التي يفرح بها العامة ، ولا يقفون في الموسيقى عند ظواهر نعماتها ، ولا في الفلك عند ظواهر حساب الشهور والسنين الذي ينفعهم في نظام الحياة بل يرتقون الى ما فوق ذلك من التعجب من القوانين البديعة المحكمة التي تظهر في الأشعار والموسيقى ونعمات الطيور وعلم الفلك وحساب الأوزان في علم الكيمياء مثل ما في تركيب الماء من الاكسوجين والادروجين . فهذه كلها نسبها منظمة موسيقية لأن نسبها كلها هندسية على وتيرة واحدة فهناك تصحح العلوم كلها عندهم علماً واحداً ونظاماً واحداً ويحسون في نفوسهم بسعادة علمية . وأما خاصة الخاصة فهم يرتقون فوق هؤلاء درجة ولا يكتفون بهدايا الملك ونعمه واحسانه والنظر في ملكه وسياسة دولته بل يشعرون بقربهم منه ولطفه وعطفه عليهم وموانسته لهم . وهناك يجدون لذة فوق الطائفتين السابقتين (انظر هذا المقام مشروحاً في ﴿سورة يس﴾ عند آية - والشمس تجري مستقرها - الخ) فهنا نقول إذا كان سليمان عليه السلام طلب أن يعطيه الله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فلن يكون إلا من الطبقة الثالثة

بل هو في أعلى طبقات هذه السرجة وليس يريده لمجرد ظواهر الطيارة الطائرة في الريح على سبيل المجزة ولا لمجرد عظمة الملك وسطوته ولا لمجرد حفظ مملكة بني اسرائيل وأمنها بل هو يريده ما هو أعلى من ذلك وهو أن يفرح بالنعم من حيث هو منعم لا بالنعمة فالنعمة وسيلة لا غاية . فاذا فرح العامة بالنعمة لأجل لذاتهم هم وجدوا ربهم على ذلك . وإذا فرح الخاصة بالنعم من حيث انها صادرة من الله تعالى وانهم أهل لرعايته واختصاصه خاصة الخاصة انما يفرحون بالنعم نفسه من حيث هو منعم . فالملك الذي طلبه سليمان عليه السلام الذي لا يبنى لأحد من بعده هو المذكور في الآية وهي تسخير الريح وما بعده وهذا الملك لم يشاركه فيه أحد الا ترى أن الريح لم تسخر لموسى ولا لعيسى ولا لنبينا ﷺ وإذا ظهرت الطيارات في الجوّ اليوم فلم تكن إلا بالصناعات العلمية والحذق والهربة والمران في تلك الصناعات ولم تسخر الريح لأحد منا وانما التسخير هناك بلاصنعة صانع ولا حكمة حكيم فهي هناك مجزة وهنا صناعة كما ان الجهال قد يعرفون بعض المستقبل بطريق الرؤيا ولكن الأنبياء يعرفون بعض المستقبل بالوحى فهما وان كانا من عالم واحد قد اختلفا وأحدهما أقل من الآخر (٤٥) مرة وليس يطلب سلمان الملك من حيث هو ملك كالعامة بل طلبه من حيث انه وسيلة للانتقال من النعمة الى النعم وهناك يصل الى الغاية المطلوبة والنعمة المحبوبة ويرتقى من الأدنى الى الأعلى في لمح البصر وهو أقرب ويكون ظواهر الملك هنا أشبه بالنفقات اللواتي ترجع بالنفس الى عالم الجبال والجمال وبتظواهر الجبال المذكرات بالمبدع الحكيم

أما نبينا ﷺ فانه أعطى الكوثر وهي النعم الكثيرة وأعطى المقام المحمود الذي يحمده فيه الأولون والآخرون فالجهتان منفكتان ، فليمان طلب نعمة الملك الديوبى ليكون القرب من هذه الناحية ، فأما موسى فبالكلام ، وأما عيسى فبالروحانية العاتة ، وأما محمد ﷺ فبأمور كثيرة من مقام الحمد والكوثر وهكذا . انتهت اللطيفة الثالثة والحمد لله رب العالمين

﴿ اللطيفة الرابعة ﴾

(في قوله تعالى - قال فيبزنك لأغوينهم أجمعين -)

عزّ الله وتعالى ونزّه أن يطلع على جماله وبهاء كماله وحسن اتقانه وعجيب نظامه إلا أولوا الأبواب ، أما أكثر الناس فان لهم في بدوهم وحضرهم ومدنهم وقراهم وجهلهم وشهواتهم في ما كلهم وملبسهم واقضارهم بجاههم ومالمهم وأحسابهم وأنسابهم ، وفي أضعافهم وأحقابهم على أعدائهم وتنافسهم وتكاثرتهم لشغلا شاغلا وغمرات هم فيها ساهون

قدما غوى ابلوس آدم ، وحديثا غوى ذريته ، والتاريخان متطابقان ، الا ترى وعاك الله أن بنى آدم فوق الأرض قد مثلوا نفس التمس الذي ذكره الله في آدم ، آدم أغواه ابلوس فأكل من الشجرة فبنت له هو وزوجته سواتهما فواريا عوراتهما بورق الشجر وأخرجوا من الجنة وأصبح الأبناء أعداء وأخسروا يسعون للرزق ليلا ونهارا

هذه قصة آدم فانظر في قصة بنه ولا ينبئك عنها إلا الجغرافية الأرضية عند تفصيلها ، فهناك قوم في خط الاستواء عثر عليهم السائحون قريبا لا يجمعون بينهم وبين ضوء الشمس ستر ، فهم يعيشون عراة ويموتون عراة كما أثبتته الرحالة (ستانلى) وتمرّ على القوم عشرات السنين فلا يسمع الناس عنهم بفاحشة ولا خنا ولا زنا وهم من هذه المفسد آمنون . ثم انظر بعد ذلك الى ماتقّم في آخر ﴿ سورة يس ﴾ في آية - الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً - وكيف رأيت ذلك الشكل المرسوم فيه صورة الرجل الذي تحلى بملايس في بعض جزائر المحيط وكلها من ورق الموز . أليس أولئك العراة يقابلون آدم قبل الأكل من الشجرة وذلك

الرجل الذي لبس ورق الشجر الذي رأته يمثله وزوجته بعد أن ارتكبا الخطيئة . وسوس الشيطان لحواء وهي ساعدته على اغواء آدم فنبذنا عيش البساطة والسهولة وأخذنا يتفتنان في طرق الحياة ويزاولان حياة جديدة ما كانا نعلمها . منها لولا القدر المقدور . ونفس الشيطان وسوس لأبناء آدم كذلك فأخذ يدخل بين رجال القبائل ونسائهم ويسطاد العقول في أقصى السودان وجزائر المحيط ويقول لأولئك العراة الذين يجهلون الخنا والزنا ويعيشون في بحبوحة الهناء والرخاء يقتاتون من الفاكهة ويشربون من شلسبيل العيون ولا يصيبهم في حياتهم نصب ولا يحلّ بساحتهم طيب ولا جراح أريب إذ لا مرض يزورهم ولا يؤس يصيبهم وهم في جنة الأرض التي هم بها آمنون . فلا تزال الوسواس تتغلغل في قلوبهم والهواجس تنابع في أفئدتهم حتى يستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير . وهل الأدنى إلا التباعد عن الحياة الطبيعية وريدا رويدا والتهافت على مائتات الأرض من بقلها وقتائها وفومها وعدسها وبصلها وقطنها وتيلها وحبر دودها من كل ما لا ينبت إلا بشق الأضس ولا يحصل إلا بكثد الرجل وجدّة المرأة ومزاولة الطبخ والحرق والسقي والحصد والخزن ومقاومة الأعداء ودفع ضرائب الحكومات والغزل والنسيج والحيطة والغسل والتنظيف وإظهار الزينة والتغالي في إبداء الحسن والتبجح بأنواع الصبغ والتلوين والتطريز وما أشبه ذلك من كل ما استغنى عنه القريب الأول الذين هم في جنات الحياة يسعدون ، إذن تاريخ الانسان الحاضر في كرتنا الأرضية اليوم أعاد لنا تاريخ آدم المذكور في القرآن ، بأسبحان الله ، لماذا يكرّر الله لنا قصة آدم في بضع مواضع في القرآن ؟ ولماذا يعيدها تكررارا مع قصة ابليس ؟ أما الجهلاء وصغار العلماء في كرتنا الأرضية فهؤلاء يقرؤون ولا هم يذكرون ، فأما الحكماء وأما أولوا الألباب فهم الذين يذكرون ويقولون : « لقد تكررت قصة آدم واغواء ابليس له تذكيرا لنا نحن فلم يكن الله بالقرآن ليعلم آدم ولأبيه ولاحواء وزوجه وإنما يريد أن يعطينا النموذج الذي ظهر لنا بانساع العلوم في زماننا ، فأدم لم نره ولكننا رأينا آثار القصة فينا ، ففينا العراة الأظهار كآدم في أول أمره وفينا الذين خصفوا ورق الشجر على أجسامهم ، وفينا فئة نالت نسيب فوا كه الجنة الأرضية ما كالا وأوراقها ملبسا وأخذت نجد في استنبات الأرض لتسد الحاجة في مطعمها وملبسها ، فنظر الله للناس نظر الأب الشفيق لطفه الصغير - وبته المثل الأعلى - إذ يلح في الطلب فيجيب لما طلب فأكثر لهم الماء كل والملابس وعلى مقدار تقنتهم أعطاهم ما سألوا وذلك رحمة منه لأنه يعطي بقدر ويمنع بقدر وهؤلاء هذه مرتبتهم من الوجود وهذا استعدادهم في الحياة

هذه هي قصة الانسان الموافقة لقصة آدم . فهذه قصة جغرافية وافقت القصة التاريخية الأثرية . والعلم إن لم يجر العسل ضائع . والكلام اذا لم يفد سامعه فوائد فلماذا يقول . ومن أجل مقاصد هذا التاريخ الذي استوى فيه آدم وبنوه أن نفكر نحن معاصر المسلمين في زماننا ونقول : « التاريخ للعبارة أما مجرد القراءة أو التبعيد فأنهما مبدآن لانهايتان وهذا التاريخ يعلمنا أن هذا الانسان كله استعبده الشهوات وأفسدته الليثات وأخذ في طعامه وشرابه ولباسه يخبط خبط عشواء ويمشي على غير الصراط السوي حتى أصبحت أنواع المخترات وأصناف الملابس الصناعية يستعملها المستعمرون شبكة يصطادون بها الضعفاء من الأمم ويسترقون الغافلين . إذن هذه الشهوات الطارئة اتخذها الانسان وسائل لاذلال أخيه بالتجارة كما اتخذها الشيطان قديما وسيلة لاستدراجه فأخرجه من الجنان . إذن لاقه بما عليه حال هذا الانسان الآن في جميع ضروب الحياة . وليس اسبغ النعم وتراكم الخيرات واللذات بدليل على أن هذه سعادات للانسان . فاذا حرمانا من نعمة الحياة الأولى التي خلقت من ذل الكد والكسح ومن ذل الفواحش التي فيها عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولا سبيل للرجوع اليها فعلينا أن نبحث ضروب هذه الحياة من جديد . ولكن ليس معنى ذلك اننا نترك الأمم حولنا وشأنها . كلا . بل علينا أن ننظر ماذا قال العلماء في عصرنا في هذا الموضوع ولأى حد

وصلا . فاذا عرفنا آراءهم وجب علينا أن ندقق في أبحاثهم وننظر في آرائهم ونمتحنها ونساعد في رقي نوع الانسان لأن الناس من بدو وحاضرة بعض لبعض وان لم يشعروا خلد

والذي وصل الينا الآن من آراء الأمم في هذا الموضوع أى موضوع الماء كل والملابس شذرات تصلح للبحث فيها والنظر والتأمل وتلك الشذرات ترجع الى مسألة (الفيتامين) أى مادة الحياة التي لم يعرفها الناس إلا في قرننا هذا وهو القرن العشرون . يقولون إن ضوء الشمس هو القوة التي نستمد منها الحياة . فالجلب والفاكهة تعطينا قوة وهي التي اكتسبتها من نور الشمس والطعام المطبوخ والمحفوظ في العلب والمغلي وما أشبه ذلك كله قد ماتت منه تلك القوة فليس مفيدا لنا . ونظريه النوع الانساني في حرارة النار التي يخبز بها الخبز ويطبخ بها الطعام نظرية خاطئة كاذبة . ولا معنى لطبخ الطعام بالنار إلا إماتة الحياة منه . ولا معنى لعله في العلب أمدا طويلا إلا أنه يفقد خواصه وتزهق منه روح الحياة ، وهذه الملابس الحريرية والقطنية والكتانية ماهي إلا موانع من سعادة الحياة وسد حصين وسور يفصل ما بين أجسامنا وحرارة الشمس التي بها الحياة ، وإذا كنا نحتمل على الحياة بتعاطي الجيوب والقواكه التي خزنت فيها أضواء الشمس فندخلها في أجسامنا لتعطينا قوة الحياة الشمسية المخزونة فيها فأولى ثم أولى أن نلاقها بأجسامنا مباشرة فنلامسها كما نلامس كل نبات وكل حيوان فتدخل في منافذه وتتصل بعروقه وتساعد دورته النموية فتعطي النشاط

(اعتراض على المؤلف وجوابه)

بيننا أنا أكتب هذا إذ حضر صديقي العالم الذي اعتاد أن يناقشني في هذا التفسير فقال : ما أجل قولك وما أئينه وما أحسن هذا الاستنتاج ولكن هناك أمر جدير بالذكر وهو أنك بهذا خالفت أصول الدين ونبذت سلوك سبيل المؤمنين ، أتريد أن الناس يصلون وهم عراة ؟ أم تريد أن يتجرد الرجال والنساء من الملابس ومن حبل هذا فقد كفر والعياذ بالله تعالى ، أنت لست كسقراط إذ بحثت نلاميذه ولادين له . كلا . إنك الآن في تفسير القرآن فلنكن المباحث غير خارجة عن الشرائع الاسلامية . فقلت : أيها الأخ : هل رأيتني لوحت أو صرحت بما تقول ؟ فقال : كلا . ولكنك عممت القول وهذا ربما يأخذه جاهل أو حاسد فيؤوِّله الى ما ذكرته . فقلت : أذكرك بأني قلت في أول هذا المقال اننا نريد أن نقرأ مباحث الأمم ثم نبص فيها لا انني أعمت البحث وهل الانسان يستغرق في الطعام طول نهاره ؟ قال : كلا . بل يكون وقتا دون وقت . قلت فليكن هكذا استضاءة أكثر الجسم بضوء الشمس وقتا دون وقت مع مراعاته الشرع ، أنا أذكرك بقصة آدم في (سورة الأعراف) ألم تر أن فيها خصف الورق على جسمه وجسم زوجته ليواريا سواتهما قال بلى . قلت : ألم أقل لك ان الحال الأولى لا سبيل للرجوع اليها . قال بلى . قلت : أنت ذكرت ذلك في أول هذا المقال تريد بذلك أن هنا أحوالا جديدة يجب البحث فيها . قلت : ألم يقل الله في هذه الحال الجديدة - يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين - فأباح لنا كل ما أعطانا ولكنه أعلننا بأنه لا يجب المسرفين منا ، وقال - يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سواكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير - فجعل المدار على التقوى ورفع النفس ، فأما اللباس الظاهري فالشرع يراعي فيه الأحوال الطارة على الانسانية إذ - لا يكلف الله نفسا إلا وسعها - وليس في سعة الناس التخلى عن عاداتهم في الملابس ، فالأنبياء لا يكلفون الناس ما لا يطيقون فيقولون كونوا عراة كأبيكم آدم بل ينظمون بأمر الله أحوالهم التي هم عليها ، والنظام هو الاعتدال وعدم الاسراف ولكنه ذكرنا فقال : السترا الظاهري ليس أجل مقصود بل المقصود الأهم لباس التقوى فأحسنوا الظواهر فسي أن تصلح البواطن . إذن هو أباح لنا كل طعام ولباس على شرط عدم الاسراف . فقال : وهل للاسراف من قواعد ؟ فقلت قد قدمت بعض تلك القواعد في (سورة الأعراف) فقال انك لم تذكر هناك مسألة (الفيتامين) بل انك لم تكن تعلم

عنها شيئاً فالمقام يحتاج الى إيضاح . فقلت اقرأ ما تقدم في سيرة النبي ﷺ وكيف كان آل محمد ﷺ لا يوجد في بينهم نار الهلال واللال والهلال ، وكيف كانوا لا ينخلون الدقيق . ليس هذا يكفيك فتعرف أن النبوة قد أوضحت ما أجله القرآن من نبد الاسراف . فقال ولكن اذا ظهر أن آثار النبوة المحمدية قد ظهرت في زماننا وأن الأطباء أخذوا يرجعون النوع الانساني عن عادته الرديئة ويقرّبونهم من الأخلاق النبوية بخبر بك أن تسمعي مقالا في الاصلاح الحديث وان لم يكن تاما حتى اذا وافق الأخلاق النبوية والسيرة المحمدية ورأينا أن النبي ﷺ قد وافقه العلم الحديث في الطعام فهناك يكون أمر عظيم (أولاً) انه معجزة جديدة لم تظهر إلا في قرنتها هذا (ثانياً) ان المسلمين يرجعون للسيرة النبوية ويعرفون ماصح ومالم يصح في طعامه وشرابه ثم يدرسون العلوم الحديثة في الطعام مم هم أنفسهم بلاصرية سيغيرون طرق ما كلهم متى عرفوا الحقيقة . فقلت لقد قدمت في هذا المقام كلاما في (سورة البقرة) عند آية - أنستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير - وفي (سورة الأعراف) عند آية الاسراف ، وفي (سورة الحجر) في النصف الأول منها عند الاشارة الى قصة آدم ، وفي (سورة طه) عند قصة آدم في آخرها ، وفي (سورة الشعراء) عند قوله تعالى - واذا مرضت فهو يشفين - وهناك مواضع أخر . فقال ولكن لا أزال أقول ان العلم في زماننا سريع الترقى فاذ كرر لي آخر ما وقفت عليه في أمر الطعام . فقلت : سأسمعك « مقالين » الأول « هو ما جاء في كتاب « دستور التغذية » لصديقنا الاستاذ محمد فريد وجدي » فسأذ كررنا لباب ما ترجم من آراء الدكتور الأربعة وهم : هيج الانجليزي ، وكنتاني التلياني ، وسوبرسكي الفرنسي ، وكوهن الألماني . هؤلاء وغيرهم الذين يريدون من الانسان الرجوع الى حال النظرة في الطعام كآدم قبل الأكل من الشجرة وهذا من أسرار القرآن التي لم تظهر إلا في هذا الزمان ، ثم ألقى على آثار ذلك بضرب مثل لآراء هؤلاء العلماء بنهر النيل والمزارع المصرية مع الجسد وما فيه من الدم الخ فيكون ذلك « فصلين » وأتبعهما بفصل ثالث في ست فوائد طبية عن علماء عصرنا

﴿ الفصل الأول فيما ترجمه المؤلف من آراء أولئك الدكاترة ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه الى يوم الدين ، (أما بعد) فان الانسان بتطوراته المتوالية في المدنية ، وذهابه في الابداع الصناعي كل مذهب ، وبما استتبع ذلك من اخلاجه الى معيشة الترف ، واغراقه في تطاب الملاذ البدنية ، قد أخرج مسألة التغذية عن حقيقتها فبعد أن كان يأكل طلبا لاقامة حياته وحماية جثمانه من العطب أصبح يفضله طلبا للذة المججلة حتى دفعته هذه العاطفة الى تناول الأغذية الضارة المبيدة لجثمانه وهو يعلم ذلك ويشعر به ، إلا أنه قد شعر بأن خروجه هذا على القوانين الطبيعية كان له أسوأ تأثير على جسده وعقله معا ، وأن هذا المتاع الحيواني سريع الزوال ثم يعقبه دور من الآلام والأعراض يطول أمده عليه ولا يزال به حتى يصصره على أبتع الأحوال بعد أن يحرمه من جميع الطيبات الجسدية والعقلية

عنى العلم منذ عهده الأول بسن سنن مقررة للتغذية ، وما زال العلماء والفلاسفة يعملون هذا الموضوع من أهم مباحثهم حتى يومنا هذا بل استحال أمره في العهد الأخير الى اعتباره أولى بالعناية من الوجهة الصحية والعلاجية من كل المسائل التي لها علاقة بالحياة الجسدية لما ثبت أن الغذاء هو العامل الأكبر في الصحة والمرض ، وفي طول الحياة وقصرها حتى قال العلامة البكتريولوجي (منشيكوف) مدير معهد باستور بباريس « ان الانسان خلق ليعيش ثلاثمائة سنة (١) وإنما هو يقتل نفسه بسوء سيرته في تغذيه » وأقر

(١) الذي يقوله الجمهور غير هذا وهو أن الانسان يعيش مائتي سنة بناء على أن مدة نموه (٢٥) سنة

بهذه الحقيقة جمهور الباحثين والمقيين ، وجاءت العلوم الكيماوية فأيدت أوقولهم بالتحليلات إذ بينت ما يحويه كل نوع من أنواع الأغذية من المواد المختلفة وما يحتاج اليه الجسد كل يوم من كل منها ، وحدثت بجانب هذه الفتوحات الكيماوية فتوحات أخرى طيبة أثبتت بالتحليل أن أدواء القلب والسرطان والروماتيزم والبول السكري والزلاقي وتصلب الشرايين والشلل والامساك المستعصى الى ما لبها مما يطول عدته كلها متولدة من سوء التغذية وعدم تخير صنوف الطعام فأصبحت هذه المسألة والحالة هذه في عداد المسائل المحسوسة الممكنة تجربتها تحليلا وتركيبا ، فهبّ الفيورون على الانسان في أوروبا الى وضع المؤلفات في هذا الصدد حتى صار لا يمكن إحصاء ماصدورها في هذه الجسين السنة الأخيرة

﴿ مذهبها الطب ﴾

للطب اليوم مذهبان أحدهما يرى أن الجسم يحتاج أحيانا الى العلاج بملواد مختلفة مع استخدام التدابير الصحية و يرى الآخر أن العلاج قديفيد العضو المريض فيعوله من حال الى حال ولكنه في الوقت ذاته يوجب مرضا على عضو آخر قد يكون فيه هلاك الشخص . فالطب في نظر هؤلاء يجب أن يقتصر على استخدام قوى الطبيعة من هواء طلق وغذاء جيد صحي خال من اللحم والمهيجات وعمل جسدى معتدل واستحمام بالماء الفار أو البارد وغير ذلك من التدابير التي تعين الاعضاء المريضة على مكافحة المرض الذي حل بها . ان هؤلاء يقولون ان العلاج لا يشفى المصاب ولكن الذي يشفيه هي القوة الحيوية في جسمه ، تلك القوة تظهر للحس بفعلها على الجراح . ألم تر أنه لو أصابك جرح أخذ بعد حين في الاندمال من نفسه فلا يزال سائرا في طريقه حتى يصح العضو المجروح و بصير كأن ليس به شئ وتعود اليه جميع وظائفه ولم يبق للجرح عين ولا أثر . هذا الأمر المحسوس للاندمال والشفاء التدريجي هو أثر القوة الحيوية التي خلقها الله لتحفظ لنا وجودنا الى حين . فإذا أصاب أحد الاعضاء مرض لا مهمالنا لقانون الصحة تولته القوة الحيوية بالعناية والعلاج كما تولت الجرح فلا يجوز أن يكون لنا إذ ذاك من عمل المساعدة فعل القوة الحيوية باتباع قوانين الصحة ومراعاة الحية والعناية باستنشاق الهواء النقي وغير ذلك فتعمل القوة الحيوية عملها في ذلك العضو ولا يمر غير قليل حتى يشفى المريض . أما لو أعطى علاجاً وهو في تلك الحالة ازدادت حالته سوءاً وتفاقم مرضه فان نجائه فلا يكون ذلك الا ببذل مجهود كبير من قواه الحيوية تهيئه لمرض مزمن . قالوا وقد جاءت شهادات كبار الأطباء في ضرر العلاجات تؤيد ذلك

قال الدكتور (غراينشتان) وهو من أقطاب الطب بألمانيا وقد نقله عنه الدكتور بلز في كتابه الطب الطبيعي : « الضعف في درجاته وأشكاله التي لا تحصى ليس هو على وجه عام النتيجة العلاج بالعقاقير سواء أ كانت جيدة أم رديئة . العلاجات ان استعملت كما ينبغي تغلبت على المرض الاصلى ولكنها تترك دائماً في الجسم بقايا تظهر أجيالاً أو عابلاً وتكون نتائجها غير قابلة للشفاء . وعليه فلنناس الحق في تسمية هذا النوع من الضعف بالضعف العلاجي . ثم قال : « من عهد أجدادنا الكيمياء بالمركبات المختلفة للزئبق والانترون وقشر الكسكينا (كذا) وحض البروسيك والرصاص والزرنيخ والكبريت الخ ومن عهد السباح بتعاطيها بنوع من الجراءة المتناهية باعتبارها علاجات قوية التأثير ضد الآلام التي كانت مجهولة في العصور السابقة ، من ذلك العهد انتشر الضعف بحالة يؤسف لها وانتقل من الآباء الى الابناء . فالمدى يلقي به القدر مرة واحدة تحت كلا كل هذا المرض يكون قد وقف حياته على التردد على الصيد لات

وقال الدكتور (كيسر) كما نقله عنه الاستاذ بلز في كتابه المتقدم ذكره « ان الحكمة القديمة القائلة بأن الدواء قد يكون شرا من الداء ، والطبيب شرا من المرض ، هي صحيحة في كثير من الاحوال . ان عددا

كثيرا من الأمراض تشفى بقوى الطبيعة وحدها وأمانى الأمراض كافة فالشيء الوحيد الذى يجب على الطبيب عمله ويستطيعه هو حصر وابعاد المؤثرات القاتلة عن المريض ، وإبطال الحركة غير الطبيعية لبعض أجهزته وأعضائه . فان فعل أكثر من هذا ليرضى المريض المحب للدواء ويحقق نظريته الوسواسية وشهوته النفسية فقد أضرمه كل الضرر . على هذه الطريقة كثيرا ما يولد الاطباء الامراض الصناعية ويمكن القول بأنه فى كثير من الامراض التى يعالجها الاطباء عدد كبير من الامراض المزمنة منها ما قد سببه الأطباء أنفسهم . وفى الحالة الحاضرة للطب العملى يجب أن يجعل المريض معزول عن كل طبيب كما يعزل عن كل سم قتال . هذا ما يشهده تاريخ الطب ، فان كل نظرية طبية خاصة استدعت عددا من الضحايا البشرية لم يتوصل الى الفتك بمثله أنكأ الاربية ولأطول الحروب .

وقال الاستاذ (ستيفنس) أستاذ الكلية الطبية بنيويورك كما نقله عنه الاستاذ بلز . « كلما تقدم سن الاطباء قل اعتقادهم فى تأثير الادوية وزادت قنهم فى قوى الطبيعة . ثم قال : رغما عن كل المخترعات الحديثة التى أحيطت بالتهليل فان المرضى لا يزالون يشكون الامراض كما كانت حالتهم قبل أربعين عاما . ثم قال : ان سبب بقاء تقدم الطب ناتج من ان الاطباء بدلا من أن يدرسوا الطبيعة درسوا كتابات من تقدمهم »
وقال الاستاذ الدكتور (سميث) كما نقله عنه الاستاذ بلز : « كل العلاجات التى تدخل فى الدورة الدموية تسمم الدم بعين الطريقة التى تسمم بها السموم الجالبة للأمراض . الادوية لا تشفى أى مرض كان بل الذى يشفيها هو الخاصة الطبيعية ليس الا . ان البيجيتال قد قتل ألوقا من الناس وحض البروسيك كان يستعمل بكثرة فى أوروبا وأمريكا ضد السلس الرئوى وقد عالجوا به ألوقا من المرضى فلم يشف منهم واحدا بل انه قتل مئات منهم انتهى وقد نقل الاستاذ بلز عن أكثر من ثمانين علما من علماء الطب الرسميين مثل هذه الاقوال التى تؤيدها المشاهدة فثبت من ذلك كله ان أثر العقاقير فى شفاء الامراض أترمهلك وجدير بالانسان اذا أصابه مرض ان يحتجى عن الاكل وان يعنى بأمر الصحة مستخدما الوسائل التى ذكرها الاطباء الطبيعىون من الاستشفاء بالماء والهواء ذلك خبر من التعرض لاطار العلاجات المختلفة : لم يكن العالم الى اليوم من الطب من فائدة غير تخفيف الآلام بالمسكنات وكلها سام قتال ولقد كثرت الاطبات والصيدلات ولا تزال الامراض والمرضى آخذين فى الازدياد وقد طرأت أمراض ما كان يعرفها آبائنا ولا تعرفها الآن الأمم الخالوية التى لا تعرف طبيا ولا علاجيا فما أثر الطب بعد ذلك ؟ يظهر لنا ان علم الطب سيضمحل ويحل محله علم قانون الصحة وسيزول كل ما يعزى للعلاجات من التأثيرات والخواص لظهور أثر الغلوفيا ولن يبقى الا علم الجراحة فهو العلم النافع الذى لا شك فى نفعه . هذا ما يقوله أنصار الطب الطبيعى

﴿ أساليب العلماء فى معالجة الأمراض ﴾

ويقولون أعجز الاطباء معالجة أقل الامراض خطورة فلم يتوصل طبيب الى ازالة فقر الدم وضعف الاعصاب وغيرها مما يعترى الناس من جراء أعمالهم بمحض خواص العقاقير فأكثر الناس يشكون الضعف وفقر الدم وقد صرفوا السنين فى تعاطى العلاجات المقوية بدون فائدة . هذا بالنسبة للضعف وفقر الدم أما بالنسبة لغيرهما من أمراض القلب والرئتين والكبد والمعدة والمنع حدث ولا حرج وان قلت ان واحدا ممن صاب بهذه الامراض لم ينل خيرا من العلاجات الطبية وانتهى أمره الى اليأس لما كنت بعيدا عن الواقع . هذا العلم الظاهر من العلاجات دفع كثيرا من فضلاء الاطباء الى تلمس وسائل جديدة لشفاء الأمراض فأطالوا البحث وصرفوا العمر فى التجارب فأهدتوا لنتائج ان لم تكن هى الواقع بعينه فقد أدت خدما جليلة . نذكر من هؤلاء العلماء الاطباء هيج الانجليزى وكنتانى الايطالى وسورويسكى الفرنسى . وقد أحدث كل من هؤلاء

حوادث من الشفاء عزت على الطب والاطباء وطارت شهرتها الى اقصى المعمور

﴿ أسلوب الدكتور هيج في علاج الامراض ﴾

يقول الدكتور هيج ان اسباب الأمراض هي الحوامض السامة التي تنضاف الى الدم من سوء التغذية أكبرها خطراً حمض البولييك (اسيدأوريك) وحمض الاوكساليك والنطرون وصرح بأن لاسبب للنوراستانيا وهو مرض ضعف الاعصاب الذي ينتشر اليوم انتشاراً مريعاً بين جميع الطبقات الاحمض البولييك ، وكذلك هو من الاسباب للاصابة بالنقطة والروماتيزم وألم الرأس والصداع والصرع والجنون وضعف القلب ووقوفوالربو والتهاب الشعب وسوء الهضم والبول السكري وأمراض القلب . ليس هيج أول من عرف ضرر حمض البولييك ولكنه أول من حد دائرة نفوذه الضار من الوجهة المرضية . قال هيج ، وهذا القول أساس مذهبه ، ان السميات التي تتخلف من المواد الغذائية تثبت في فقرات الاربعة السبوية وتسد الاربعة الشعرية فتقل قوة سريان الدم ويستند ضغطه على القلب ويكون سبباً لضعف عام للبنية واختلال جميع الأعضاء فاذا أبطأت الدورة قلت تغذية الاعضاء ومتى اشتد الضغط على القلب يحدث له مرض ثم تنتشر سموم الاغذية بتوالي تواردها في سائر الاعضاء فتمرضها أيضاً . فيشكو صاحبها العوارض المختلفة ويعرض نفسه على الاطباء فيشخصه كل منهم على ما تسمح له به نظراته فتارة ينصحونه بتعاطي المقويات وأخرى بأخذ المنومات ومرة يأمرونه بالسياسة وأخرى بالراحة وحيناً يمزقون جلده بابرالحقن وهم في ذلك كله يعمدون عن حقيقة الداء فلو علموا انه ناشئ عن سموم الاغذية وعنوا بمعرفة مقادير السموم منها وأشاروا بحموية صحيحة لشفي المصاب ولكنهم يعتمدون على العقاقير الطبية فتتضم الى كمية السموم وتزيد فعلها . يقول هيج ان تراكم حمض البولييك في اوعية الدم يسبب انحرافاً في العقل واضطراباً في الحياة وهي أخص أعراض النوراستانيا فاذا سهل خروج حمض البولييك تغيرت حالة العقل حالاً كأنها حادثة سحرية وتنقلب الحياة في نظر صاحبها سارة حتى ان الانسان ليحدث نفسه باتيان الاعمال المستحيلة . وقال هيج ان جميع الامراض تزول بازالة حمض البولييك فاحذفوا هذا الحمض تعيشوا مائة سنة ولا يوجد هذا الحمض غير الغذاء . بالتحليل وجد أن هذا الحمض يوجد في اللحم والقول والعنس والبازلة والفاصولياء واللوبياء الجافة والشاي والقهوة والكافور . ثم قال وعليه فيجب الاكتفاء بكل النباتات . وخصوصاً الاسفاناخ والحجازي والكرب والقنبيط والفواكه والبن والجبن والامتناع عن اللحم والقول والعنس والبازلة والفاصولياء واللوبياء الجافة . اذا سار المصاب بأي مرض على هذه الحمية مدة تحلت السموم وتسربت من الكليتين والجلد وغيرها وطهر الجسم منها وزايلته جميع الاعراض المرضية

﴿ أسلوب الدكتور كاتاني ﴾

قاعدة الدكتور كاتاني غير قاعدة هيج وان كانت النتيجة واحدة فانه قال بأن حمض البولييك هو سبب كل مرض في جسم الانسان ولكنه ليس هو العلة بل العلة قلة الاوكسيجين في الجسم لتحويله الى بول وزوله مع الفضلات . قال والذي يجب قص مقدار الاوكسيجين في جسمنا انه يستهلك باكثرنا من تناول الاغذية الايدراتية الكربونية (كالكسكرو والنشا) والدهنية . فان لم يتناول الانسان هذه الاغذية بقي الاوكسيجين في دمه خول حمض البولييك الى بول فأتقى الجسم شره كلما تكوّن . وعلى ذلك فالدواء الوحيد لجميع الأمراض عند الدكتور كاتاني هو اتباع حمية فلاياً كل الانسان فيها الدهنيات ولا السكر والنشا يمتنع عن الخل والمخللات واللبن والجبن والامراق والجبنيات والرز والبطاطس والحلوى والتوابل ويكتفي بالبيض والنباتات الخضراء والفواكه مع الحركة في الهواء الطلق .

﴿ أسلوب الدكتور سو برويسكى ﴾

يقول هذا الدكتور ان سبب جميع الامراض فساد تركيب الدم ومافساده الا كونه حامضا غير محتو على قلوبات فصلاحيته أن يكون قلوبا حلوا ، وعدم صلاحيته أن يكون حامضا . والدليل على أن سبب الامراض هو خلو الدم من القلوبات انك لا تجد في الدم ولا في البول املاحا قلوبية في جميع الامراض الحمية وهذا برهان على أن هذه الأملاح حرب لتلك الأمراض فقد ثبت أنها تقتل الميكروبات البدنية وتلاشى سمومها كما يقتلها السليمانى فالفضل للمرضى أن يعطوا أغذية كثيرة القلوبات فان المرض يزول مهما كان نوعه حتى تسلح الدم بالقلوبات فالقواكه والليمونادة تشفى أكثر مما تشفيه الحور غالية الثمن ولا يسقط مريض بضعف القلب اذا أعطى قلوبات كافية فاذا تكوّن سم في الدم انفرز حالا بفعل تلك القلوبات . ولما كانت الوظائف الحيوية تسرع الحيات فتستهلك القلوبات فيجب إعطاء المريض أغذية قلوبية . أما المرق فلاحوائه على البوناس يضعف القلب والقواكه أولى منه بالعناية . الامراض المزمنة تشفى باعطاء الدم قلوبات وينوب الرمل الصفراوى تحت تأثيره ويشفى البول السكرى والنقطة . وعدم وجود القلوبات في الدم يوجد الهرم الباكر

وقال الدكتور سو برويسكى . كل تاكسيد بيطىء التغذية والتصريف فلا يصل للاعصاب غذاء كاف فيعطل نشاطها فيعترى الانسان ما لا يعنسب من أمراضها وكل الذين عاشوا كثيرا كانوا قنوعين جدا . فبالافراط في الاكل تبقى فضلات كثيرة وعلى قدرها يستهلك الجسم القلوبات من الدم . لا يوجد لدم قنائه وزيادة قلوباته الا النباتات من القواكه والاعشاب وأفضلها ما كانت قلوباته أكثر . الامراض كثيرة وسببها واحد وهو اختلال أعضاء التصريف حتى لم تختل فلامرض وتلك الاعضاء المصرفة هي الرنتان والسكيتان والجلد والامعاء فان مرضت احداها وقع الجسم في المرض لاحالة . ان مرضت الرنتان يبقى في الدم كثير من حمض الكبرون وهو سم ، وان تعبت السكيتان بقيت البولينا (الاورية) وحمض البوليك في الدم وناهيك بهما من غولين للصحة ، وان انسدت مسام الجلد تبقى في الجلد السموم التي يجب أن تتصاعد منه بالتبخر الجلدى ، وان تعبت الامعاء بقيت الفضلات في البدن . فالذين يقعون مرضى كانوا مرضى من قبل بأحد هذه الأعضاء فأهملوها ثم أخذ الدكتور سو برويسكى يفصل في قيمة الأغذية من الوجهة القلوبية فقال للنباتات التي تحتوى على القلوبات الشكوريا والراوند والاسفاناخ والكمثرى والحماض والهندبا والخس والكرفس والجرجير والفجل أما النباتات التي لها خاصية طرد حمض البوليك فهي الاسفاناخ والكربن والقنبيط وكرنب بروكسل والبالزة الخضران لان بها حوامض تعيق افراز حمض البوليك (الاوريك) . هذه أساليب الذكارة الثلاثة فكلمها ترمى الى غرض واحد وهو العناية بأمر الغذاء وعدم ادخال شئ الى المعدة بغير حساب . فالطب كل الطب أن يتدل الانسان في غذائه وأن يكون نباتيا معتمدا في تقويم جسمه على النباتات والقواكه الناضجة فان أصابه مرض فعليه أن يعتمد الى الطرق الطبيعية من استنشاق الهواء النقي وتهدد الجلد بالنظافة والحمية التامة والله الشافى . هذا رأى رجال من أقطاب الطب العصرى وهو رأينا أيضا ولكل انسان بصيرة يتجرى بها الصواب والله يهديننا الى سواء الصراط . ولا بأس من تعزير هذا البحث بإيراد رأى عالم المائى كبير في أسباب الامراض قالك :

﴿ العلامة (كوهن) الالمائى يرى أن لجميع الامراض سببا ﴾

(واحدا وعلاج واحد)

نقل مذهب العلامة (كوهن) الالمائى المشهور عن الاستاذ بلز فقد نشره في المجلد الاول من كتابه الطب الطبيعى صحيفة (٩٣٣) فنقول : يرى كوهن أن الأمراض كلها لها سبب واحد وعلاج واحد كذلك

فهو يقول انه لا يوجد الا مرض واحد يظهر بمظاهر مختلفة . والعلّة الحقيقية لهذا المرض هي اجتماع اجسام غريبة في جسم الانسان ليس لها دخل في تركيبه وحفظه ، فهي اجسام غريبة وان شئت فقل جراثيم مرضية لم تستطع الأعضاء المفترزة وهي الامعاء والكليتان والجلد والرتان افرازها . هذه الاجسام الغريبة يرى (كوهن) أنها تنسرب الى ابداننا من تعاطينا اكثر مما نحتاج اليه من الأغذية ، ومن تناولنا أغذية ضارة ومضادة للشروط الفيزيولوجية للحياة الانسانية كاللحم والتوابل والاشربة الكحولية المخدرة من النبيذ والبيرة والعرق والقهوة والشاي الى غير ذلك فهي من جهة ليس فيها قيمة غذائية ومن جهة أخرى تحدث تبييها للجسم يعقبه الضعف لا محالة . ومن الاجسام الغريبة التي تسبب لنا الامراض في رأى (كوهن) السموم الصيدلية التي تناول باسم علاجات والتبغ والسعوط (النشوق) وسم تلقيح الجندي الذي اذا دخل الجسد قل أن يخرج منه ويكون مصدر جراثيم مرضية له : وما يوجد الاجسام الغريبة في البدن ما يحمله معه الهواء الفاسد والابخرة المتصاعدة من الاصطبلات والغازات التي تستعمل للتطهير في البيوت ، وما يتصاعد من عرق الغير والغير التائر في الطرق الخ كل هذه تنسرب الى ابداننا وتمكث فيها فتسبب لنا الامراض المختلفة . ثم ان مما يحدث المواد المرضية التعب فانه يهلك عددا عظيما من خلايانا فتتمكث في ابداننا بسوء نوع معبثنا بدل أن تنصرف في السهم ومنه تخرج الى الجوق بواسطة الاعضاء المفترزة للسموم . هذه المواد الغريبة المرضية المختلفة من الاغذية يحاول الجسم بمخوضه للقانون الطبيعي الذي يدبر كل حياة ان يعده عنه باعتبار أنه غير نافع له اضرار به . ولكن أعضاءنا المفترزة لا تستطيع نظرا لكثرة المواد ان تفرزها كلها في آن واحد فتراكم ما يبقى منها في الجهة السفلى من البطن . ومن هنالك تتجه رويدا رويدا الى الأطراف وتلبث هناك تبعا لتناموس الثقل وتبعا للوضع العام للجسم إما ذات اليمين أو ذات الشمال أو أمام أو خلف . فتبقى هذه المواد غير محسوس بها أو تصيب صاحبها قشعيرات واضطرابات لا يمكن التعبير عنها وقلق عام . وبالجملة تصيبه جميع الاعراض التي تسبق الامراض الحادة أو الحية . تلك المواد التي تتخلف في الجسم هي مواد عفنة أو متخمرة . والتخمر نوع من التخفن سببه التحلل الواقع في بعض المواد العضوية فاذا حدث سبب داخلي أو خارجي أو برودة أو حرارة أو انفعال تحيا هذه المواد المرضية وتخمّر ثم تبحث لها عن مخرج فتتحرك على موجب مواضعها والمراكز اللينفاوية للجسم متجهة الى أعلى الجسم والى الجلد أولا . فاذا وجدت مانعا يحول بينها وبين الخروج تحدث تمددا في الجهة التي تحمل فيها فتولد وربما ظاهرا أو باطنا : وقد يحدث ان هذه المواد المرضية تسقط الى الاطراف السفلى وتمكث في الساقين والقدمين . هذه المواد تندفع على النوم للبعد عن مستودعاتها على قدر الامكان والنسرب الى الاعضاء البعيدة عنها كالأرأس والعنق والابدى والارجل والاصابع واهمام القدم . وهنالك قف لأنها لا تستطيع ان تخرج من مسام الجسم لعدم العناية بصحة الجلد ولأن المعيشة ضد الطبيعة جعلت المسام الجسدية كأنها لم توجد أو قليلة الفائدة . وقد يكون الجلد على ما يرام من ناحية وظيفته ولكن تدفق تلك المواد عليه جأء لا يمكنه من تصريفها بمسامه دفعة واحدة . فاذا كان نشاط الجلد ضعيفا أو معدوما ، والامعاء والكليتان والرتان لا تؤدي وظائفها على ما ينبغي كلها في الحالة العامة الآن تسبب عن تلك المواد الغريبة في الانسجة الجسمية تغيرات مرضية تفسد الشكل الطبيعي للجسم رويدا رويدا فتجمد الانسجة وتوتر العضلات بعد أن كانت لينتة في اللس ويكون توترها ظاهرا محسوسا في أثناء تحركها . وفي أحوال أخرى يسبب وجود المواد الغريبة في الجسم تمددا فيه . ويمكن التحقق من صحة هذه الاحوال . ويكفي أن نلاحظ أصحاب الاجساد السمينتة الذين تمددت ابدانهم بترآكم المواد السمية الغريبة فيها أو ان نتأمل في الاشخاص النحفاء الذين نجد أنسجتهم متوترة على درجات مختلفة . قلنا ان المواد الغريبة تميل على النوم أن تتجه الى الاطراف . والرقبة تكون كضيق بين الجذع والرأس فتظهر تلك المواد الغريبة فيها متراكمة على الخصوص

هذا سبب الامراض فها هو البواء ؟ قل (كوهن) لما كان سبب جميع الامراض واحدا كما رأيت وهو تراكم المواد الفريية في أجسادنا من جراء تعاطينا أغذية لا توافق تركيبنا وتعرضنا لتعب المفرط واستنشاق الغازات الضارة . فليس لها الادواء واحد وهو ينحصر في الامرين الآتين اللذين نتيجتهما قطع الامداد عن تلك المواد السمية وتسهيل خروجها .

(أولا) الاقتصار في الغذاء على النباتات

(ثانيا) استعمال الحمامات الجذعية والحمامات الجلوسية مع ذلك الجسم بفضة خشنة مبتلة والحمامات البخارية .
الحمامات الجذعية هي أحواض يغمر الانسان فيها جفج جسمه فقط أى من عنقه الى فخذه . والحمامات الجلوسية هي أحواض تغمر فيها المتعدة مع جزء من الظهر والبطن . والحمامات البخارية هي احاطة الجسم بالبخارة . جميع هذه الحمامات تباع في محل التجارة انتهى أقول

(ملخص هذا المقام)

هذه هي الأساليب الثلاثة لهؤلاء الأطباء الثلاثة الاول ، فالسبب عند (هيج الانجليزى) هو أن يكون البول حشيا بمواد لا تلائم الجسم ، وهذه المواد تقف في فروع العروق فتسدّها فيحصل الضغط على القلب وتكون أمراض مختلفة يعطى لها الأطباء أدوية مختلفة قتالة والبواء عندهم (الاكتفاء بالنباتات والفواكه) وترك اللحم وبعض الحبوب المذكورة كالقنول الخ والشاي وما عطف عليه . والدكتور كاتناتى كلامه مثل كلام هيج ولكنه أشبه بمن يقول : « يجب أن يكون في شوارع القاهرة زبالون لجل الكناسات من البيوت » فالدكتور هيج أشبه بمن يقول : « قذارة البيوت سببها بقاء الكناسة فيها » والدكتور كاتناتى يقول : « نعم قواك صحيح ولكنى أقول : إن عدم الزبالين هو السبب فلوجد الزبال لرفع الكناسات من المنازل والذى يكون سببا في إيجاد هذا الزبال لازالة القمامات من المنازل (هو النباتات الخضراء والفواكه والبيض مع ترك الحبل والمخللات والجبن والمرق والهجينات والأرز والبطاطس والحلوى والتوابل) والدكتور (سورر ويسكى) يقول : « إن هذه الزباله تحللت وأثمتها جميع طبقات المنزل . وذلك أن المادة الضارة اذا كانت في الماء فهي في السم والعلاج هو أكل النباتات »

إذن أكل النبات متفق عليه للشفاء من جميع الأمراض عند الثلاثة الاول وقد اختلفوا في اللبن وما تفرع منه وكذا البيض ونبذوا ما يتعاطاه الناس من التبغ ونحوه . وكوهن الألماني جعل السبب أعمّ وهي أجسام غريبة تتخلل البنية والمعنى واحد . فهو متحد مع من قبله اجالا والبواء واحد وهو الأغذية النباتية أيها التكي : خذ النتيجة التي ساقها الله لنا . كل النبات والفواكه ودع اللحم والقهوة والشاي والتمر والتبغ والسكر وما اشتق منه من الحلويات هذا ملخص ما تقدم . أما اللبن ففيه خلاف سببه أن البيهمة ربما كانت مريضة فيقتل المرض الينا من لبنها . هذا ملخص هذا المقام . انتهى الفصل الأول

﴿ الفصل الثاني ﴾

(في ضرب مثل لأجسامنا ودمها وغذائها وأمراضها بالأرض المصرية ونيلها (والفرين) وهي المواد التي تجعل لونه قريبا من الحجرة وهي أهم أغذية النبات والسود التي تمنع الماء أن يصل الى بعض الأرض)

اعلم أن كثيرا من الناس يقرؤن كلام الأطباء فيتحبرون ويصعب عليهم الفهم . فاعلم وعاك الله أن أجسامنا كالأرض ودماءنا كماء النيل (والفرين) الذي فيه وهو المسمى بالطمي في بلادنا أشبه بالمواد الغذائية

التي تجرى مع الدم ليوصلها للأعضاء الباطنة والظاهرة . النيل وفروعه كالعروق الصغيرة والكبيرة والتمثيل صحيح وأعضاؤها كالزروع والأشجار التي يسقيها ماء النيل . فلوانا سدنا ماء النيل من أى مكان بسد أو سدنا أى فرع من فروع النيل فإن الماء يرجع الى الورا . وهناك يحصل ضرران كبيران وهما حرمان ما بعدهما السد من السقي فيحصل تلف في الزرع من جهة قلة الماء . وهلاك الزرع الذي قبل ذلك السد بظغيان الماء عليه هكذا في الجسم اذا سد عرق كبير أو صغير بمواد لا توافق الصحة حصل افراط فيما قبل هذا السد وتقر يط فيما بعده فتحصل أمراض مختلفة في الجسم على حسب استعداده . وكما أننا اذا أردنا تلافى اهلاك زرعنا في حقولنا فتحنا تلك السدود سدنا سدا . هكذا اذا أردنا الصحة أزلنا الحواجز التي في تلك العروق وفروعها .

وماتلك الحواجز إلا المواد الغريبة

هذا ملخص كلام هؤلاء الأطباء الأربعة . فاذا سمعت قول هيج الطيب الانجليزي أن حض البوليك وحض الاوكساليك والنظرون وغيرها هي أسباب (النورستانيا) والنقطة والرووماتيزم وآلم الرأس الخ فما خرج عن انه نظير قولنا ان ماء النيل اذا سد في أى بقعة اختل نظام النبات فهلك أكثره إما بقلة الماء وإما بكثرتة والنبات مختلف وألنا عليه يكون على مقدار تضعه هكذا هنا فانها تحصل أمراض مختلفة يسبب عنها ببارات مختلفة كما يقال في النبات قد هلك القمح والبرسيم والبطيخ وهكذا ولكل واحد من هذه النباتات منزلة عندنا تتألم لتفقد بسببها ، واذا سمعت قوله أيضا : « إن تراكم حض البوليك في أوعية الدم يسبب انحرافا في العقل واضطرابا في الحياة » أو قوله : « إن السميات التي تتخلف من المواد المغذية تثبت في فترات الأوعية الدموية وتسبب الأوعية الشعرية فتقتل قوة سريان الدم » فانه كقولنا « إن وقوع الحجارة والطين في مساقى النيل يمنع الماء عما خلفها ويضر بكثرة الماء ما أمامها من الزروع »

واذا سمعت هيج يقول : « أزيلوا حض البوليك تعيشوا مائة سنة » فهو كقولنا « أزيلوا السدود من المساقى يشرب زرعكم ويدثر زرعكم وتعيشوا الى حين »

واذا سمعت هيج أيضا يقول : « دع القول والعنس والبازلة والفاصوليا واللوبيبا الجافة والشاي والقهوة والكافو » فهو أيضا كقولنا : « امنعوا الحشائش من مجرى الماء لسقي الزرع في الأرض »

واذا سمعت أن البلاد المصرية من قبل حكم المغفور له (محمد على باشا) لم يكن بها مهندسون فكان الماء يجرى بلا قانون فكثرت الجفاف في وقت وكثرت الماء في وقت آخر فاضمحت مصر لقلّة زرعها ، هكذا نقول في منزعنا ومساقيا وهي أجسامنا ، فنحن اذا أكلنا السكر والنشا والدهنيات والخل والمخللات ولبن البهائم المجهولة صحتها وجبنها والمرق والمجيبات والارز والبطاطس والحلوى والتوابل من كل ما ذكره (كاتباني) الايطالى أو أفرطنا في الأكل كما قال الدكتور (سوبر ويسكي) الفرنسى ، أو قاطبنا اللحوم والتوابل والأشربة الكحولية الخترة من النبيذ والبيرة والعرقى والقهوة والشاي ، أو تدأونا بالسموم الصيدلية ، أو استعملنا السعوط (النشوق) أو أكثرنا الوقوف في الأماكن التي فسد هواؤها وتصاعدت أبخرتها مثل الاصطبلات أو كان فيها غازات لتطهير في البيوت ، أو جلسنا مع القوم الذين عرقهم له رائحة ، أو سرتنا في الطريق ذات الغبار ، فهذه كلها تدخل أجسامنا وتضعفها كما قاله كوهن الألماني

أقول : اذا فعلنا ذلك كله أو بعضه كما قاله هؤلاء الأطباء فان أجسامنا تكون سعادتها وصحتها على حسب المصادقة كهية الأمة المصرية قبل أيام (محمد على باشا) فقد كان سكانها نحو مليونين فقط لأنهم كانوا يعيشون بالمصادقات . فأما اذا أكلنا النباتات الخضر والبقوليات مع الحركة في الهواء الطلق كما قاله كاتباني المذكور وفضله الدكتور (سوبر ويسكي) الفرنسى وقد ذكر بعضها وهي المحتوية على القلويات مثل الشكوريا والراوند والاسفاناج والكمثرى والحماض والهندبا والخس والكرفس والجرجير والفجل

فهذه وأمثالها هي القلوبات وهناك نباتات أخرى تضارعها في فائدتها ولكن من طريق طرد ما يضرّ
الجسم مثل حمض البوليك كالاسفاناج أيضا والكرب والقنبيط وكرب بروكسل والبازلة الخضراء التي بها
حوامض تعيق إفراز حمض البوليك

أقول : إذا سرنا على هذه الطريقة وأضفنا إليها ما يقوله الدكتور كوهن الألماني وقفينا ببعض تجاربه
كالحمامات الجذعية والحمامات الجلوسية مع ذلك الجسم بقطعة خشنة مبتلة والحمامات البخارية
أقول : إذا اتبعنا هذا الصراط في حياتنا (لا سيما إذا قرأت أيها التذكيّ) تمام الكلام على تلك الحمامات ونحوها
وفوائد أخرى في ﴿سورة الشعراء﴾ عند آية - وإذا مرضت فهو يشفين - وآخر ﴿سورة طه﴾ عند قصة
آدم فانك تجد هناك تفصيلا وشرحا كافيا لتلك الحمامات وغيرها ، وهكذا نظائر أخرى في ﴿سورة الحجر﴾
عند الاشارة لقصة آدم في أولها وهكذا في ﴿سورة الأعراف﴾ عند آية - ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين -
وهكذا عند آية - أنستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير - ففي هذه المواضع كلها ملخص علم الصحة
وشذرات جيلة في علم الطب) فاننا نكون في صحتنا أشبه بالمصريين من حيث نمو السكان في هذا القرن إذ
صلحت الترع والمجاري بعناية المهندسين وصار السكان (١٤) مليوناً بعد مليونين قديماً

﴿ تذكرة ﴾

أيها التذكيّ : ها أنا ذا مثلت لك أجسامنا بالأراضي المصرية والنيل كالنم والسود فيه كالأحماض الضارة
والأجسام الغريبة فيه ، فأنت بين «أمريين اثنين لثالث لهما» إما أنك تعيش كما يعيش أغلب نوع الانسان
الذين أشبهوا آدم حين أكل من الشجرة ولم يتعظوا بقصته ولم يعلموا مقاصد الكتب السماوية من ائزال
هذه القصة وأمثالها وتكرارها في القرآن ، فأذن كل كما يأكل الناس مقلدا لحم ، وإما أنك تنظر في هذه
الحياة وتسلق سبيلا آخر بحسب الطب الحديث على مقدار طاقتك ، فهناك ترجع لحال آدم قبل الأكل من
الشجرة . ويظهر لي أن النوع الانساني مقبل على زمان أجل وأبهج ، فإذا سلكت هذه السبيل الحديثة فأعلم
انها هي التي تؤخذ من قصة آدم . فالتناس جميعا آكلون ما يشتهون من هذه العوالم الأرضية وهم غافلون عما
بصرّ وينفع . وها هو ذا زمان ظهور عجائب القرآن . فأنت اذا أكلت النباتات والفواكه وهكذا فان هذه
النباتات نفسها تفتح سدود جسمك ولا تحتاج الى ما يحتاج اليه النيل من المهندسين . واذا أكلت الأطعمة
الأخرى كاللحم أو الخلل أو السكر وكل ما اشتق منه فانك تحتاج الى مهندس يفتح سدودك وهذا المهندس
هو الطبيب يعطيك مركبات سمية وينزل عليك بالابر فيملأ جسمك سما زعافا مع تقطيع الجلد ودخول الحقن
السامة . الله هدانا النجدين فلننقب أسهل النجدين . وبهذا تم الكلام على الفصل الثاني وهو ضرب مثل بالنيل
وفروعه للجسم ودمه الخ

﴿ الفصل الثالث ﴾

(في فصائح عاتمة من كبار الأطباء وهي ست فصائح منقولة من ذلك الكتاب)

﴿ النصيحة الأولى ﴾

(رأى الاستاذ هندهيد فيما يأكله الانسان في اليوم)

أهم ما يجب أن يدقق فيه من يريد لنفسه دوام الصحة هو مسأله التغذية فان عذرا مدار الحياة والخطأ
في وجوهها الطبيعية يؤدي الانسان الى أشنع الأمراض المسببة لأشد الآلام . لذلك عنيانا في هذا الكتاب
بالإضافة في هذا البحث وسنفيض فيه ما وجدنا للإضافة موضعا . وقد اطلعنا على بحث جليل لأحد أطباء الانجليز
نشرته إحدى الجرائد نقلها عنها المقطم فرأينا أن نقله لقراء كتابنا هنا فان فيه فوائد جلية وقواعد قيمة

قال «المقطم» في عدد ٨٣٨٩ الصادر في ١٩ أكتوبر سنة ١٩١٦ ما يأتي :

« وقد طالعتنا مقالة لأحد أطباء أوروبا يبين منها أن الذين اعتادوا أكل اللحم والبيض وما يدخل في حكمهما من الأطعمة يفرطون في الاكثار منها فيؤذون أنفسهم أذى كبيرا من حيث لا يدرون . وهذه المقالة مفعمة بالفوائد فآثرنا اقتطاف أهم ماورد فيها ونشره عملا بما جرينا عليه من نشر المقالات المفيدة في حفظ الصحة . استهلّ الطيب الكاتب مقالته بهذا السؤال وهو : كم يحتاج الجسم البشري من البروتين (الالبومين) لكي يؤدّي وظائفه حقّ الأداء ؟ والبروتين اسم جنس للأطعمة النتروجينية أو الالبومينية وهو العنصر الجوهرى في اللحم الطبر والبيض واللبن والأجزاء الالبومينية في بعض البقول . والموضوع من أهم مواضع حفظ الصحة فإن الأمراض الناشئة عن الافراط في أكل البروتين كثيرة والوفيات بها تزيد على الوفيات بسواها فإن أمراض القلب والكليتين والكبد ناشئة عن سوء تمثيل البروتين . ففرقة مايجب أكله من اللحم والبيض واللبن ونحوها من الامور التي تعدّ أساسا لحفظ الصحة وإطالة العمر . ثم إن أعظم الأطباء يجمعون على أن بعض الأمراض الأخرى العضالة كالسرطان ناشئة عن الخطأ في تعيين مقدار (البروتين) في الطعام وحسبنا هذا وذلك دليلا على وجوب افرغ العناية في هذا البحث . وأول من بحث في هذا الموضوع الدكتور (هندهيد) النمركي فظهر له من أبحاثه أن (٢٥) غراما من البروتين في اليوم تكفى الشخص العادى وتحفظ صحته . وكان المظنون قبالا أن المقدار اللازم يبلغ أربعة أضعاف هذا القدر . وقد قال هذا الطيب : « إن زيادة هذا المقدار في الطعام مضرّ بالجسم »

ولا يخفى أن أطعمة البروتين كاللحم والبيض هي أعلى الأطعمة وأن الفقراء والمتوسطين يتعبون كثيرا في تدير أثمانها ولكن متى ثبت لنا أن الناس يدفعون الأثمان العالية لشراء الضرر والأذى وقصر العمر غلب علينا الضحك لولا أن المسألة من المبكيات . وقد دقق الدكتور هندهيد في تجاربه توصلنا الى النتيجة التي استنتجها فكان يختار رجالا من الذين يعملون الأعمال اليدوية العنيفة ويكيل لهم الأطعمة ويزنها ويدقق في وزن مفرزات أجسامهم ويفحص قوتهم وأعضائهم . وبين التجارب التي جرّبها انه جاء برجلين اقتصر في اطعامهما علما كاملا على البطاطس والمرجرين (الزبدة النباتية) وكان يجنس الطعام يوميا بحيث يكون أقلّ ما يصب الواحد منهما كل يوم ما لا يقل عن (٢٠) غراما الى (٢٥) غراما من الالبومين بدلا من (٨١) غراما وهو المقدار الذي عين من قبل بالتجارب العلمية . والمعلوم أن البروتين قليل جدا في البطاطس . فاستخلص المقدار المطلوب من الالبومين في البطاطس يقتضى ثلاثة أرطال منه فكان الطيب النمركي يطم كلّا من هذين الرجلين هذا المقدار من البطاطس كل يوم مع ست أوراق (٥٤) درهما من المرجرين ويمتعهما من أكل اللحم والبيض واللبن فكانت صحتهما في آخر العام من أجود ما يكون وحاضر أحدهما مع العدائين فقطع (٢٦٤) ميلا في (٩٩) ساعة أى في أقلّ من الوقت المفروض . وهذا بعض ما استنتجه الدكتور هند هيد من أبحاثه وتجاربه :

(١) إن الالبومين الموجود في الأطعمة النباتية يفضى في الجسم عن الالبومين الموجود في الأطعمة الحيوانية كاللحم والبيض واللبن وأن مقدار الالبومين الذي يحتاج الجسم اليه أقلّ من المقدار الذي كان يظنّ لازما له

(٢) إن الأطعمة التي يقلّ الالبومين فيها تزيد قوّة الجسم على احتمال المشقة والتعب فقد قال الطيب المذكور : « لا أعرف واحدا من الذين يكثرون من أكل اللحم أحرق قلبه سبق في محاضرة طويلة

(٣) إن عدد الوفيات بأمراض الكبد والكليتين والامعاء يبلغ بين سكان المدن المترفين نحو أربعة

أضف ما يبلغه بين الفلاحين الذين معظم طعامهم من الخبز والبطاطس والأدهان (الزبوت) وقال « إن العرب الذين يأكلون الخبز والتمر فيهم من صلابة العود وشدة الصبر على التعب ما يدعش الاوروبيين وأن جرابة جنود السخ الهنود وهم من أشد جنود الدنيا عبارة عن كأسين من اللبن و٢٥ أوقية من الخبز وأوقيتين من الزبد وأربع أواق من الفاصوليا وخمس أواق ونصف أوقية من البطاطس وهم لا يأكلون اللحم إلا مرتين أو ثلاثة في الشهر ونم ما يفعلون »

ويخلص استنتاج الدكتور هندهيد بقولنا أن قيمة الالبومين النباتي أفضل من قيمة الالبومين الحيواني ولكن يجب الاعتدال جدا في استعماله وبكميات معينة وانه يجدر بالناس أن يقلوا من أكل اللحم وأن لا يكون أكله مع القلة مستمرا بل أن يؤكل في فترات متباعدة

قال الطبيب الدكتور : « ولو كانت تجارب الدكتور هندهيد فريدة في بابها لما أعرتناها هذا الاهتمام فقد اتفق غير مرة للعلماء أن أخطوا في البحث مدفوعين بعامل الحماسة الى استنتاج ما يتوقفون الى تأييده . وأعظم التجارب تدقيقا قد لا يخلو من الخطأ فيؤدى الى نتائج مغلوطة . ولكن التجارب المذكورة تطابق ما توصل اليه باحثون آخرون . فمن ذلك أن الأستاذ تشندن تعمق في مثل هذا البحث فاقنع هو وأنصاره بأن تنقيص البروتين في الطعام هو سبيل الصحة وأن السواد الأعظم من الناس ينكب عن هذا السبيل عمدا وقد جرب الأستاذ تشندن هذه التجارب بنفسه وبجماعة من زملائه وتلاميذه وبينهم نفر من لاعبي الألعاب الرياضية فألقى أن صحته تحسنت وقوته زادت بانقاص ما يأكل ولا سيما من أطعمة البروتين ووافقته على ذلك آخرون فكانوا يقوون ويجود صحتهم اذا قصوا مقدار الطعام الذي يأكلونه

وعما يبعث على الاستغراب في هذه التجارب أن نتائجها كانت متماثلة في لاعبي الألعاب الرياضية وفي الذين يعيشون عيشة ساكنة هادئة فان قوتهم ازدادت بانقاص ما يأكلون من اللحم والبيض عما ألفوه قياسا على ما نطلبه قابليتهم . وقد تبين للأستاذ تشندن أن هذه القابلية التي نحسبها طبيعية ونعتمد عليها في الدلالة على مقدار ما يجب أن نأكله ليست دليلا مأمونا بل هي نتيجة عادات سيئة في الأكل حادت بالانسان عن جادة الصواب فان للقابلية اذا كانت طبيعية لا تسمح للمرء أن يأكل من الطعام إلا نصف القدر الذي يأكله الناس عادة أو ثلثه »

الى أن قال : « ولكن الأمر المهم في مسألة الطعام هي عدم الافراط في شيء منه ولكن الخطر كل الخطر ناشئ عن الافراط في أطعمة البروتين أي اللحم والبيض والبن . ويجب ملاحظة الفرق بين الآكلين فالذي يعمل أعمالا بدنية عنيفة يجب أن يعطى من الطعام أكثر مما يطعم من كان قليل الحركة أو كان شغله من الأشغال العقلية . وختم الطبيب مقالته ببعض الوصايا العائمة التي يجدر بالمرء مراعاتها في طعامه وهي :

- (١) الاعتدال في الأكل من جميع أنواع الطعام التي تقتم على المائدة ولأننا نأكل من طعام واحد مرتين
- (٢) اترك المائدة وأنت شاعر بأنك تستطيع أن تأكل زيادة عما أكلت
- (٣) زن جسمك مرة بعد مرة وقابل بين أوزانه وعدل طعامك بحسب ما ترى من نقص الوزن أو زيادته فان لم تهتم هذا الاهتمام القليل وتنعن هذه العناية البسيطة بجسمك فلا يحق لك أن تشكو اذا اعتلت صحتك ولا ينتظر أن تكون من طوبى العمر » انتهت النصيحة الأولى

➤ النصيحة الثانية ➤

(ضرر الافراط في الأكل)

(مترجمة من كتاب « صناعة إطالة الحياة » للعلامة الدكتور جاستون دورفيل)
قال الدكتور دورفيل : « الافراط في الأكل جرح دام في جسم الانسانية . واني لأستطيع أن أؤكد

بأنه يقتل بوميا أكثر مما يقتله السلّ والسرطان مجتمعين وأنه غالبا سبب هذين الهمامين . وقد قال المفكر الكبير تولوستوى وأصاب : اتنا لنا كل ثلاثة أضعاف ماتطلبه أجسامنا فنصاب بأمراض لا عدد لها تقطع الحياة قبل بلوغها أقصى حدّها «

وقال الفيلسوف سنيك : « الحياة ليست بقصيرة ولكننا قصرها بأبدينا » وقد كان الدكتور المشهور (هيكبه) يمزح قائلا لظهاة مرضاه الأغنياء : « أنا مدين لكم بالشكرأيها الأحباب على ما تؤدّونه من الخدم الينا معاشر الأطباء » وكان الفيلسوف سنيك المتقّم ذكره يقول : « إنكم تشتكون من كثرة الأمراض فاطردوا طهاةكم » وقد ذكر الدكتور كارتون في كتابه « الثلاثة الأغذية المميّنة » المصارعين الذين تراهم يمتثلين عضلا ودما من كثرة ما يعنون بالأكل . ثم قال : إن دولة قوّة هؤلاء الأقوياء قصيرة الأمد وأن قوتهم المفرطة هذه ليست إلا كمنار القش لأنهم كالفلتات الطبيعية أو النباتات المدفوعة للإفراط في النمو المعرضة لان تحترق في يوم من الأيام بحرارة السهام الشديدة الذي هو سبب نموها غير الطبيعي «

قال الدكتور جاستون دورفيل بعد إيراد هذه الآراء : « بعض المفرطين في الأكل ليسوا يمتثلين شعما فبهم من يكونون على العكس نحاف الأجسام ، ويستوى القهان في الهلاك بسرعة وان جهل كل منهما ما يؤديه اليه سم الأغذية من سوء المصير ، فترى الناس يحسدون الأوّلين (السمان) ويرجون الأخيرين (النحاف) فيظنون أن بهم ضعفا أوفقرا دمويا ويزيد الأطباء حالتهم سوءا بإعطائهم المنبهات والمقويات ، فياحسرة على هؤلاء الضعاف الذين يصف لهم الأطباء اللعوم النيئة المهلكة وزيت كبّد الحوت الذي لا يستطيع أن تهضمه أشد الامعاء ، فكّم من الزمن يجب علينا أن نقضيه في الصباح ليعلم الناس أن الرجل الضعيف لا يفقد دمه كراته الجراء إلا لأن سم الأغذية يبدها ويستدها ، فاعطاه اللحم يزيد في تسممه الذي هو سبب هلاكه ويقربه من حفرة القبر ، من الناس من يفرط في الأكل ولا يصيبه أذى بل تظهر عليه علامات الصحة الكاملة ، فترى وجهه موردا ومحيا متلاثا فيعيش السنين الطوال لا يشكّي بأقلّ وجع ثم لا تلبث أن تسمع بأنه قد مات وهو في عنفوان القوّة فتدهش لذلك ولا موجب للدهش فان هذا الأكل لم يكن له في جسده مراقب عتيد يعاقبه على كل إفراط وتفريط فتأدى في شأنه فتراكت عليه السموم فقتلته ولا كرامة ، ولكن من المفرطين في الأكل من لا ترايلهم الأعراض المرضية فنزكهم الى دمل الى نزف الى مرض جلدي ، وما هذا كله إلا أدلة على أن جسمه يقاوم السموم فيصرفها كلما تراكت فيه بهذه الأمراض المتتالية وهو عندي أفضل من الأوّل الذي يعيش صحيحا محسودا سنين معدودة ثم يصعق فجأة ، وترى الأطباء يرون الضعيف المفرط في الأكل مصابا بدمل أو بمرض جلدي أو بزيّف أو بغير ذلك فلا يسألونه عن كيفية معيشته ولا مقدارا كله ولا أنواع غذائه بل يسعون في مكافئة الأعراض المرضية فتزداد حالته سوءا وربما هلك بين أيديهم » انتهت النصيحة الثانية

﴿ النصيحة الثالثة ﴾

﴿ ضرر الأغذية المركزة ﴾

يقول الدكتور جاستون دورفيل : « اذا كان الإفراط في الأكل من الأخطار الكبيرة فان تناول الأغذية المركزة كالسكر واللحم بقصد التقوى أو تحسين التغذية أشدّ خطرا على الصحة ، نعم إن تلك الأغذية التي نعتبرها مقوية توجد لنا قوّة فنحس بسعادة جسمية ولكنها سعادة مؤقتة إذ تنقلب الى ضعف وانحطاط ، فهذه الأغذية التي يخيل للناس أنها مقوية هي كضربة سوط تنزل على الحصان المعبي فتجعله يجري قليلا ثم ينحط انحطاطا لا قيام له منه . فبمن الناس نهما هذا القرن الذي يقال انه قرن النور ؟ لم يتناول الأغذية المركزة من خلاصات اللحم ومستخرجات اللحم والبيتون والأنبذة والفوسفات والدقيق المشحون بالازونات والبرشامات المملوءة

بالمهيجات والسكريات والشكولاتات الخ مما لا يمكن استيعابه ؟ قليل من علم الفسيولوجيا يفهمك نتيجة فعل الأغذية المركزة على خلايا أجسامنا . ذلك ان الأغذية التي تتعاطاها قسماً : قسم يعوض أنسجة أجسادنا وهي المواد الزلالية . وقسم أعد للاحتراق فباحتراقها بفعل الاوكسوجين الذي في الدم تعطينا قوة نسرى في عضلاتنا وأعصابنا وتحفظ حرارتنا

« للأغذية وظيفة ثالثة وهي تهيج خلايانا الجسمية . من هذا التهيج يتبع التبادل الذي يميز حياتنا . فاذا كان الغذاء الذي تتعاطاه ذاتياً كان تهيجه لطيفاً بطيئاً مترقياً ولكن اذا كان الغذاء مركزاً كان تهيجه قوياً فجائياً . فلنفرض أن غذاءنا مكون من الخبز والبطاطس بمقادير مناسبة ومن النباتات الخضراء والفواكه فان خلايانا بعد انضمام هذه الأغذية تأخذ منها الزلال بمقادير صغيرة ضرورية لتعويض مادتها الحيوية المستهلكة . وأما المواد الاحترافية فتأتى بكمية مناسبة أيضاً وذاتية من البطاطس والخبز والفواكه فتتأثر خلايانا بتهيج لطيف أى فسيولوجى . ولكن اذا كان الغذاء مؤلفاً كما هي عادة معاصرنا من اللحوم والحلوات المشبعة بالسكر والشكولاتا والكحول مهما كان مقداره صغيراً اتجهت هذه المواد الى خلايانا بجمعة فأحدثت فيها اضطراباً غير فسيولوجى يتوهم انه قوة بدنية ولكنه في الحقيقة ليس إلا خطوة نحو الصدمة النهائية »

قال الدكتور (باسكولت) في كتابه « التهاب المفاصل والافراط في التغذية » ما يأتى : « التهيج اللطيف للخلايا يحفظ الحياة بتسهيله تمثيل الاصول المغذية ، والتهيج القوي يختصر الحياة بحملها على الاسراع في عملها بحيث يعثرها التعب والانحلال قبل موعده الطبيعى »

وقال الدكتور (بول كارتون) في كتابه « الثلاثة الأغذية المميته » مانسه : « حين تصل الى خلايا الجسم أغذية شديدة التركيز تتكبد تلك الخلايا هجومها عنيقاً يمتد مضافاً لحياتها الطبيعية وهذا التهيج المضاد للفزيولوجيا يقتضى رد فعل فجائياً شديداً من الخلايا الجسدية يفرح به صاحبه في حينه ولكنه مع الادمان ينقلب مضعفاً هادماً مولداً للمرض ، هذه الجهود المفرطة التي يجب أن تعملها خلايانا لتتسارى مع شدة التهيج الغذائى تخيلها دائماً مظهراً كاملاً من مظاهر الحياة والصحة ، فكما لفظت الآلة وارتعدت تحت تأثير الحرارة المفرطة افتخر صاحبها وارتاح ، وكما صار الأولاد أكثر تورداً وسمناً تحت تأثير اللحم والسكر ازداد أهلهم سروراً بهم ومع ذلك فلاشئ أكثر خدعاً من هذه الظواهر القشاشة ولاشئ أكثر خطراً من هذه النتائج الجيلة التي يتحمسون لرؤيتها غاية التحمس لأن عقباها التي لامناص منها الانحطاط والفساد والمرض والموت الباكر لجسم استنفدت جميع ذخائره الحيوية » انتهت النصيحة الثالثة

﴿ النصيحة الرابعة ﴾

(ضرر السكر الصناعى وفوائد الطبيعى)

يقول الدكتور جاستون دورفيل : « السكر أحد الأغذية المهلكة لأجسادنا فالتناول منه كعادة معاصرنا من أربعة الى ست قطع فوق الغذاء المفرط يكون بمثابة الحكم على الجسم بزيادة الحركة زيادة مرضية يميته ، لقد كان أبائنا منذ ثلاثة أجيال يجهلون السكر الصناعى وكانوا أبطأ منا انحطاطاً في قواهم ، تقدم الينا الآن الأغذية السكرية فنناول منها بافراط ونعطي منها لأولادنا ، وقد شوهد أن كثيراً من أحوال الأرق لاسبب لها غير الافراط في تعاطى السكر ، وذلك سهل التفسير فان السكر أقوى الأغذية الاحترافية يعطينا ميلاً شديداً للعمل فكيف يمكن النوم مع هذا الميل ، ولقد عالجت حالات أرق مستعص بمنع المصابين من تناول السكر مساءً ، هل معنى هذا الامتناع عدم تعاطى السكر بمتان ؟ لا ولكن الواجب معرفته أن السكر الصناعى علاج كالعلاجات يضر وينفع ، فهو نافع لأهل الأعمال الجسدية كالزراع والصناع ، وضار لدرى الحياة الجلوسية

كالمؤلفين والسياسيين فلا يجوز لهم أن يتناولوا منه أكثر من قطعتين في اليوم ، ويجب عليهم الامتناع عنه وعن كل الأغذية الاحتراقية مساء كالنشا والحبوبات أيضا ، ثم إن من الاضرار بالأطفال إعطاءهم السكريات فإن السكر الطبيعي يكفي لجميع حاجتنا وهو موجود في الفواكه حيا وعلى حالة ذوبان ، ولكن السكر الصناعي محروم من الحياة أى من قواه المغناطيسية فهو غذاء ميت . إننا لنعلم الفائدة العظيمة لأجسامنا من تناول الأغذية المتمتعة بحركتها الحيوية ، وقد كان الناس يضحكون من أهل القرون الوسطى الذين كانوا يعتقدون في القوة الحيوية ولكنهم اضطروا اليوم لأن يرجعوا عن غيرهم ، فقد دلتنا الفز بولوجيا التجريبية على أنه من العبث إعطاء الضعفاء الحديد لتقويتهم لأن الحديد إذا لم يعط حياة لا يمتلئه الجسم بخلاف الحديد الحى المشمول في النباتات فإنه مقو عظيم للكرات الحمراء للدم

وما قلته عن السكر أقوله عن الكحول فإن المشروبات الروحية خطيرة جدا ، يقول لنا الدكتور كلرتون في كتابه « الثلاثة الأغذية المميته : » إن المقادير التى تستهلك من اللحم قد بلغت ثلاثة أضعاف ما كانت عليه قبل ثلاثين سنة فلانفس انه بجانب هذه الزيادة المضافة الى زيادة مقادير الكحول والسكر نشاهد أن السل الرئوى يحتاج سنويا أكثر من ١٠٠٠٠٠٠ والسرطان أكثر من ٣٠٠٠٠٠ نسمة الضرر لم يقف عند هذا الحد المادى بل تناول العقول أيضا ، وحسبى أن أقول بأن عدد المجانين كان سنة ١٨٦٥ نحو ١٤٠٠٠ فبلغ ٧١٥٤٦ فى سنة ١٩١٠ وزاد كذلك عدد المنصرين حتى بلغوا أكثر من ثمانية أضعاف ما كانوا عليه منذ بضع سنين « انتهت النصيحة الرابعة
(النصيحة الخامسة)

(متى وكيف وماذا يأكل الانسان ويشرب)

(مترجمة من كتاب « الطب الطبيعى » للأستاذ بلز)

قال الاستاذ (بلز) مامعناه تحت عنوان « متى وكيف وماذا نأكل ونشرب ؟ » فى كتابه « الطب الطبيعى » ما يأتى :

« أريد أن أعطى نصائح فيما يخص هذه المسائل وهى : متى وكيف وماذا يأكل الانسان ؟

(١) - « متى نأكل »

العادة أن الناس يأكلون ثلاث مرات فى اليوم حتى تستطيع المعدة أن تستريح فى خلالها ، ولكن مما يجب ملاحظته هنا أن العشاء لا يجوز أن يكون كثيرا ولا متأخرا لأن الأعصاب المعدية والنخية تريد عمل المخ فيتج منها نوم غير هادئ ، ومثل هذا النوم لا يكتفى فى تعويض ما فقدته الانسان . وتنتج عين هذه النتيجة أيضا ان دخلت السرير عقب اتعبك المخ بشئ من الاشتغالات العقلية كالطالعة والتفكير والمجادلة والبحث فى السياسة لأنك بذلك تكون وجهت التيار الدموى نحو المخ ويكون النوم أقل تقوية للجسم لما يتخلله من الأحلام الكثيرة

(٢) - « كيف يجب أن يأكل الانسان ؟ »

الشرط الأولى فى ذلك أن تمضغ اللقمة جيدا وفى مدة أطول ما تستطيع وذلك بالنسبة لجميع الأغذية على السواء ، وهذا لسببين : أولهما لأن إجادة المضغ وإطالة أمداه هما العاملان الوحيدان فى خلط اللعاب بالمواد الغذائية واللعاب ضرورى للهضم بل هو العامل الأول فيه ، وثانيهما لأن عمل الأسنان يهيى عمل المعدة وغير ذلك لا تستطيع المعدة أن تستخرج من الأغذية كيموسا كافيا ولكن لأجل أن يؤدى الانسان هذا الواجب لجسمه يجب أن يكون لديه أسنان كفى للمضغ وهو الأمر النادر فى جيلنا الحاضر ، فإذا أردت أن تحفظ أسنانك صحيحة حافظ على نظيفها وابتعد عن الأشربة وعن الأغذية الساخنة فان فى ذلك ضررا عظيما على الأسنان

وعلى الخلق وعلى المعدة أيضا ، ثم يجب على الانسان أن لا يداول في الأكل أو الشرب بين ساخن وبارد لأن ذلك يضرّ بالطلاء البراق الموجود على الأسنان فيتلته ويكون من وراء تلفه تأكل الأسنان وسقوطها . ولا يجوز الاكثار من الشربة أو المرق . وينبغي أن يكون الخبز جافا رغير مغموس في الماء فقد خلقت الأسنان للضغ فيجب عليك أن تعملها فيما خلقت لأجله فقد ثبت أن الأسنان التي لا تؤدى وظيفتها كما يجب تقع في المرض والانحلال . ويمكننى هنا أن أقول بأن الانسان في ظروف مساعدة يمكنه أن يحفظ أسنانه سليمة حتى يموت . نعم ان الفدى له أسنان ضعيفة بالوراثة لا يستطيع تقويتها وارجاعها سليمة ولا يتم ذلك في نسله إلا بعد أجيال ولكن من المؤكد أن الناس لو نجحوا في تحسين حالة أسنانهم أتى عليهم وقت بطلت فيه شكواهم من مرض الأسنان . الأثرى أننا قلنا أن نصادف في عالم الحيوانات أفرادا منها لها أسنان مريضة

يوجد مثل قديم يقول : « كل على قدر ما تشتهى » هذا المثل صحيح ويستحق الاعتبار نظرا للاحوال الحاضرة المضادة للطبيعة التي يعيش فيها الناس . فهو صحيح من الوجهة الطبيعية لأنى لا تصور أن الطبيعة تعطى للانسان شهية في الوقت الذى فيه معدته لا تستطيع القيام بوظيفتها ، ولكن مما يوجب الأسف أن صاحب الشهية اليوم يتناول من الأشربة والأغذية أكثر مما يلزم لجسمه ولا يتفق مع صحته فيضرّ نفسه ضررا بليغا فيجب أن ينظر الى هذا باعتباره حالة من الأحوال المضادة للطبيعة للموافقة لها ، ألا ننظر للطيور وللحيوانات الأخرى فهل رأيت فيها ما يتبرم عقب الأكل من الإفراط فيه

رغمما عما يقوله الناس اليوم من أنه لا ينبغي لمن أكل وملا معدته أن يضطجع ، أنصح بالاضطجاع عقب الأكل مدة من (٣٠) الى (٤٥) دقيقة فان الأعضاء الأخرى متى ارتاحت انصرفت دورة الدم كلها الى المعدة فتم هضمه على مايرام ، ومما يجب العناية به أن يتنفس الانسان تنفسا طويلا جلة مرات عقب كل أكل في الهواء الطلق ليخلط المقدار الكافى من أوكسوجين الهواء بالدم ليم الهضم على أحسن حال

(٣) - « ماذا ينبغي للانسان أن يشرب ويأكل ؟ »

يجب على الانسان أن لا يتناول إلا الأغذية السهلة الانهضام الخالية من الاصول الضارة ، وهذه الأوصاف تنطبق على جميع الفواكه والحبوب وخصوصا القمح ، فهو فضلا عن وفرة أصوله المغذية يحتوى على جزء عظيم من الفوسفور وهو العنصر الضرورى لحفظ سلامة المخ ، فقد قال مولخوت : « اذا لم يكن فوسفور فلا فكر » ويجب أكل النباتات الخضراء والفواكه ، واذا كان الانسان اليوم لا يكتفى بها وحدها فقد كانت في الأزمان السالفة هي الغذاء الوحيد لكثير من الناس . ولقد كثر اليوم مبدأ الإفراط في العمل وهو أمر مضاد للطبيعة . وانا لثرى أن هذا الإفراط ليس ضروريا بل هوناشئ من سوء النظام . وفي نظرنا أن نصف هذا العمل يكفي لاقامة أمر الحياة كما يجب واذ ذاك لا يحتاج الانسان أن يتناول الأغذية الثقيلة الدسمة كما هو حاله اليوم

فلقد أثبت لنا الدكتور (ناتار) و(سوكسى) بصياهما ورياضتهما أن الانسان يكفيه قليل من الغذاء والذي نراه انه لا يجوز أن تخلو المائدة من الفواكه يوما واحدا لأنها مرطبة ولها دخل عظيم في حفظ الصحة . أما اللحم فيجب أن يعتبر في الأطعمة من توابلها لاغذاء قائما بنفسه فان له تأثيرا مهبجا ضارا بالبدن وليأخذ الانسان دليلا على ضرره وتمهيجه من اجاع الأطباء على تحريم تعاطيه للصاب بالحمى . والأغذية التي تضرّ المرضى تضرّ الأصحاء لاحتالة وان يكن الأصحاء لا يحسون بضررها بسرعة على . أن القيمة الغذائية للحم ليست بالقدر الذى يظنه الناس عادة فان الرطل من الحنطة أو من الحبوب الأخرى أو من النباتات الخضراء الخ يزيد في القيمة الغذائية عن رطل من لحم البقر الجيد . وهنا ننبه على أن أكثر الناس يخطؤون خطأ عظيما في اعتقادهم أن اللحم يزيد أجسادهم قوة ويملأهم حياة وفتوة . بل الأمر بالعكس فان الاكثار من أكل

اللحم ضارّ للدرجة القصوى . وأما النباتات فهي الغذاء الجيد الصالح لحفظ قوّة الانسان الجسدية والعقلية وتوفير سعادته البدنية ، فكما أن الطبيعة تعيد في كل فصل شبابها وتستدعي بذلك اهبابنا ، كذلك تفعل النباتات في أجسادنا فانها تعيد اليها قوتها وتملؤها حياة ونشاطا بخلاف سواها من الأشربة والأطعمة كالقهوة والشاي والبيرة واللحم والتبغ . أما التوابل فانها تهيج المعدة وتنشطها حتى قد تبلغ بها ضعفى قوتها ولكنها تنتهى باضعافها فلا يعود الانسان قادرا على الهضم ، وكلما أنس الانسان بالأشياء المضادة للطبيعة بعد عن الموافقة لها ولا يسترده سيرته المعقولة في موافقة الطبيعة إلا بالتعود ، قد يتبرّم الانسان من اخلاف عاداته حيناً من الزمان ولكن متى زال أثر العادة السيئة حلّ محلها أثر العادة الطيبة بما يستتبعه من راحة وصحة وهناك وعليه فإني أنصح بعدم أكل التوابل والاكتفاء بتعاطي الأشياء مجردة فان كل صنف تابل فيه . أما ما يشربه الانسان فلا ينتظر من مثلي أن ينصح بتعاطي الأشياء الضارة ولو كان في الناس من يمزّ عليه أن يقلع عن عادته فليصر عليها حتى الممات ولكنى أخطب أولاده وأحاول أن أقنعهم بما يجب عليهم أن يتعدوا عنه . أنا لا أستطيع أن آذن لأحد بتعاطي البيرة والالعرقى ولا النبيذ ولا القهوة ولا الشاي . فإذا لم تكن لتستطيع أن تقلع عنها نباتا فقلل منها ما استطعت . أما المشروب الوحيد النافع للانسان الملائم لصحته فهو الماء الصافي العذب فأشرب منه ماشئت . والذين لا يستطيعون إساعة الماء القراح فهم مرضى ولا يزالون مرضى حتى يستطيعوا إساعته دون سواء

أنا لا أريد أن أرجع بالانسان الى دور الوحشية الأولى ولكنى أريد أن يستفيد الناس من مزايا الاخشيشاب في الأكل وهي المزايا التي يجمع بها دوننا المتوحشون . ولأريد كذلك أن أتخذ من حال الهنود المتبربرين مثالا نحتديه في حياتنا فانهم أيضا قد أصابهم عدوى مدنيتنا فأصبحوا عن الصراط ناكبين يظهر من حال طبيعتنا اننا لم نخلق إلا لأكل النباتات دون سواها . فإذا تأملنا في تركيب أجسادنا رأينا أنه ليس فينا ما لا كالة للحيوم من الحيوانات من القابلية لتعاطي اللحم فليس لنا أنياب الوحوش ولا مناسر الكواسر الخ وقد أحكم الله كل ما وضعه فلا يصح أن نغرض انه غلط أو حاد عن جادة الابداع وعليه فلا أدل للانسان في أمور عيشه وسعادته من القانون الطبيعي فهو لا يهديننا إلا لما فيه المصلحة ولا يزعنا إلا عما في تعاطيه المضرة . فإذا خرج الانسان عليه ولم يخضع لارشاداته عاد أمره عليه بالوبال . وذاق من جراء عصيانه أسوأ الأحوال

فإذا كان الله جلّ شأنه خلق لكل كائن استعدادا خاصا لأنواع الغذاء لا يجوز له أن يتعداه ساغ لنا أن نجزم هنا بأنه تعالى خلق الانسان نباتيا صرفا . وإذا كان الأمر كذلك فلا يعقل أن انسانا يستعيد صحته وينال سعادته إلا اذا عاد للأغذية النباتية وترك ما سواها سواء أكان ذلك طفرة أم تدريجا ، ولا يجب اذا كان الانسان وهو أكرم المخلوقات وأشرفها يقتصر من غذائه على أكرم الأطعمة وأطهرها وهي الفواكه الناضجة اليابسة ، وقد دللتنا الطبيعة أيضا أن الانسان اذا اقتصر من الأغذية على ما يناسب استعداده وهو الأطعمة النباتية دون سواها عاش عمرا طويلا مهنا في نفسه معافي في بدنه بخلاف ما لو تعاطى ما يخالف استعداده كالعرقى والبيرة والقهوة والتبغ الخ

ومما يؤسف له أن نحو من (٩٠) في المئة من الناس يعيشون في شروط معيشية تناقض الطبيعة ، وليس بعد ما قمتناه حجة في أن هؤلاء متعرضون بهذا السلوك السيء لأفدح المصائب وأكبر الآلام الانسان يعيش اليوم مقودا لتقليد الجمهور محتملا في هذا السبيل الآلام المختلفة وصنوف الضعف والذبول فما أجدره بقراءة المؤلفات الموضوععة في الطب الطبيعي لينتشل نفسه من وهدة هذا السقوط . نعم إن من يريد أن يتبع نصائحي يجب أن تكون له ارادة من حديد . ومما أسف له أن هذه الارادة صارت اليوم أعز من

أمن أنواع الجواهر

إن الطبيعة لترينا ، وحال آدم في الجنة شاهد علينا ، بأن ليس الحيوان وحده هو الذي خصّ بوجود غذائه حاضرا أينما سار ، بل أنعم الله على الانسان أيضا بهذه المزية وكفاه مؤنة هذه المشاق التي يجعلها نفسه في تحضير الغذاء ، فضلا عن أن الانسان قضى على نفسه بنفسه أن يكون غذاؤه بعيد المنال كثير التكاليف أوجب على جسده أيضا حاجات مصطنعة وهمية تمد جيش آلامه وتزيد في ويلاتة على غير جدوى . انتهت النصيحة الخامسة

﴿ النصيحة السادسة ﴾

(لإراحة المعدة واعطاؤها زمنا كافيا للهضم)

(مترجم عن كتاب سرّ الصحة تأليف الاستاذ دو فورست)

« أولاً » يجب اعطاء المعدة زمنا قليلا ترتاح فيه بين ساعات عملها فان مضى خمس أو ست ساعات من بعد انتهاء الأكلة الى ابتداء مايليها فليس بالوقت الطويل فان الهضم المعدي يتطلب من (٤) الى (٥) ساعات في أغلب الأحوال

« ثانيا » كل الأغذية يجب أن تكون خارج المعدة قبل ساعة النوم لأن النوم يضرم الهضم ضررا بليغا « ثالثا » اذا كانت الأكلات مستوفاة وتعوطيت في الأوقات التي تكون قوى الجسم فيها على أتمّ ما يكون (أى في الساعة ٨ صباحا و٢ نصف بعد الظهر مثلا) فان أكلتين في اليوم تكفيان أكثر الناس وخصوصا من كانت حياتهم جلوسية فاذا كانت الساعات التي عيناها لاتوافقهم فالأولى أخذ ثلاث أكلات في اليوم بشرط أن تكون الأخيرة خفيفة وتؤخذ بين الساعة (٦) و(٧) للمصابين بالحمى أو بأمراض أخرى ممن يخضعون لنظام الأغذية السائلة وكذلك الأفراد الطاعنون في السن والضعاف والأطفال ممن دون السنة يستثنون من هذه القاعدة

﴿ الضلالات الغذائية ﴾

(عن الاستاذ دو فورست أيضا)

« أولاً » الأكل بين الأكلات : اذا استسلم الانسان لهذه العادة أفسد عليه نظام معدته فان الجهاز الهضمي معدّ للعمل بطريقة منتظمة ولايستطيع أن يعمل في كل وقت ، مثله في ذلك كمثل كل عضلة من العضلات الجسدية فيجب أن لايدخل شئ الى الفم بين أكلة وأكلة ولوكان تفاحة « ثانيا » الأكل بسرعة : اجتنب هذه الضلالة بأخذ الأغذية الجامدة فان حفظ الحياة لا يكون بقدر الأغذية المزرددة بل بقدر الأغذية التي يمثلها الجسم ، ولأجل الحصول على تمثيل تام يجب أن تكون الأغذية التي تؤخذ جافة تستحيل الى عجينة بواسطة الأسنان واللحاه

« ثالثا » الأغذية الحارّة جدا تضعف المعدة وكذلك السوائل الحارّة جدا

« رابعا » الأغذية التي تدخل المعدة باردة تقتضى من جهة الجسم صرف قوة حيوية لا يصلها الى درجة الحرارة الجسمية قبل أن يتبدى هضمها

« خامسا » الأغذية السامة (المقاوة على الخصوص) المركبة تهيج الشهوة ولكنها تصعب الانهضام جدا ولا تعطي دما جيدا

« سادسا » الفلفل والخردل والقرنفل والقرقة وجميع التوابل ليست من الأغذية لأنها تهيج المعدة والمجموع العصبي وتحدث زلات وأمراضا عصبية معدية (بكسر العين) وعلاا أخرى وتفسد الشهوة بتجويع الطعم الطبيعي للأغذية

«سابعاً» الجبن والمحفوظات في الحلّ من الأغذية أي المخلات واللحم وما يستعمل تقلا من الأجسام الدسمة المركبة وخصوصا إذا أدخل اليه من بيكربونات الصودا وقشدة الناور (وهي تتخذ مما يرسب في براميل الثدي الح) لا يجوز بأى وجه من الوجوه أن تدخل الى المعدة الانسانية ولا يجوز أن تكون جزءا من غذاء انسان يريد أن يستعيد صحته أو يحفظها في حالة جيدة ، والمنبهات من السوائل والمشهيات والخمر والشاي والتهوية والشكولاتا هي أكثر ضررا أيضا ، أما التبغ فلا يجوز أن يدنس جسم الانسان الذي يحب حياته وصحته . انتهى الكلام على النصائح الست والحمد لله رب العالمين

﴿ المقام الثاني ﴾

فيما ذكره أحد الأطباء في بعض المجالات العلمية تحت العنوان الآتي وهذا نصه :

﴿ الفيتامينات ﴾

(موارد الحياة)

تعددت أبحاث العلماء في الفيتامينات وأنواعها فنشرت الصحف والمجلات في أوروبا عنها صفحات عدة فارتت تلخيص أهم ما عرف عنها لقراء « مجلة النهضة » القراء وفي نشرها فائدة لا تخفى على حضراتهم إذ طبقوا هذه المعلومات على غذائهم

إن العلماء عرفوا الفيتامين كما يستدل من اسمها بمورد الحياة وقسموها لأقسام : (أ) و (ب) و (ج) و (د) وقد كشفوها في موادّ الغذاء الطازج النقي وهو على حاله الطبيعية ، ومصدر الفيتامين في هذه الأطعمة هي أشعة الشمس التي لا حياة ولا غذاء بدونها وهذه الفيتامينات تفقد وتزول في الغذاء متى قدم بتأثير النار والتعفن الخ

إن هذا الاكتشاف يدلنا على منافع الغذاء الطبيعي بدون تحضير كالحضر النيئة والفواكه الطازجة التي لا تدخل النار واليك البيان : إن أنواع الفيتامينات لا توجد في صنف واحد من الغذاء بل هي في أنواع عديدة من المأكول فيجب على الانسان أن يعدد أمداف ما كاه حتى يستفيد من موارد الحياة هذه لأنها ضرورية ولا يستغنى عنها وتقصاتها من الجسم أوفقدانها منه تسبب أمراضا عديدة خطيرة على الحياة كما ثبت ذلك من التجارب الآتية

حبس بعض العلماء بعضا من الحيوانات في مكان مظلم ومنعوا عنها الغذاء الطازج المحتوي على الفيتامين وهي بعيدة عن نور الشمس فأصبحت هذه الحيوانات بالكساح كما أن صفارها أصيبت بوقوف النقر تماما وضعت قوة بصرها وهزلت وهذا تماما ما يحصل للانسان ويعرف بداء (أفيتمينوس)

ولما أعادوا هذه الحيوانات الى نور الشمس وأطعموها غذاء طازجا يحتوي على الفيتامين خلاف الغذاء الأول الذي أعطى لها مدة وجودها بالظلمة استعادت قوتها وشفي صفارها من الكساح ، ثم عاد العلماء الى التجربة في الانسان فعمدوا الى ركاب البحار الذين يأكلون الأطعمة المحفوظة في العلب والتي فقدت الفيتامين فوجدوا أن هؤلاء جميعا معرضين لمرض الاسقربوط ولفساد الدم وللين العظام عند الاحداث فعالجوهم جميعا بإعادة الأغذية المشبعة بالفيتامين وبأشعة الشمس الطبيعية اذا وجدت أو الصناعية (فوق البنفسجية) فشفوا تماما في مدة وجيزة ، وقد كانوا قبلا يعالجون السنين الطوال دون أقل أمل في الشفاء ، مثال ذلك الاسقربوط الذي يشفي بعصير الليمون المسال والبرتقال والحضر النيئة ولا يشفي بملح الليمون أو شراب البرتقال أو الحضر المغلي على النار ، فثبت علميا أن في المأكولات الطازجة النيئة فيتامين أو موارد حيوية لاغنى للانسان عنها في غذائه كما ثبت أن لبعض الزيوت النيئة فائدة كبيرة في شفاء الكساح ولين العظام عند

الأطفال جربوا استعمال هذه الزيوت بعد غليها على النار أو وهي قديمة فلم تأت بفائدة مطلقا ثبت لديهم أن فيها مواد حيوية وهي الفيتامين ، ووجدوا أن الحبوب كالقمح والبقول والذرة إذا استعملت نيئة وطازجة (كالفرريك) تعطى قوة عضلية عظيمة كما هي الحال في آكلها من الحيوانات كقوة الثور على جرّ الأثقال الخ ومتى طبخت أرخبزت تفقد قوتها الحيوية بنسبة انلاف النار للفيتامين فيها ، ولقد دلت التجارب في الانسان والحيوان معا حتى استعملوا أعضاء الحيوانات السليمة لشفاء الأمراض التي تعيب مثل هذه الأعضاء في الانسان فاستعملوها نيئة وأنت بفوائد جمة ، منها استعمال خلاصة المبيض والغدد الكلووية والهرقية والحصبية والتئدين الخ

وأخيرا ظهر دليل قاطع حديث وهو : عالجوا فقر الدم الشديد الذي يصيب الاحداث من الناس عند بلوغهم وعلى الأخص البنات بجميع أنواع العقاقير والعلاجات فلم يجد نفعاً حتى وفق العلم الحديث الى اكتشاف خطير وبسيط جدا ، فقد عالجوا هذا الداء المسمى الكوروزا وفقر الدم الشديد بالكبد النبي الطازج المأخوذ من حيوان سليم وعلى الأخص كبد الجبل يأتي بفائدة مذهشة عدوها في العلم مجزة ، ولكن اذا عولج الكبد بالنار ففائدة فيه لأن النار تفقد الفيتامين

وبعد كل هذه التجارب أذاع العلماء قرارهم هذا النهائي القاضى بتعديل طرق الغذاء عليها انتهى من

مجلة « النهضة النسائية »

ولقد جاء تلفراف في الصحف أن حكيم روسيا قضى (٢٠) سنة في التجارب أثبتت له أن الانسان

يمكنه أن يعيش (١٦٠) سنة اذا اقتصر على أكل النبات الذي لم يطبخ

فلما سمع صاحبي ذلك قال : إنك أثناء إلقاءك هذا الموضوع تبينت لي في وجهك آثار آراء تختلج في قلبك ؟ فقلت نعم . فقال فماذا رأيت في هذا ؟ فقلت : الفيتامين في العلم والدين كالفيتامين في الغذاء ، إن الذي جاش بخاطري في أثناء إلقاء هذا المقال هو أن الأمم الاسلامية التي ظهرت بعد القرون الثلاثة الأولى . فعلت في الدين مافعله الناس في الطعام من التجاني عن الحقائق والتباعد عن الاصول والاستغراق في مباحث القشور وظواهر الامور اللهم إنك أنت العليم بما جناه الناس على أنفسهم في طعامهم إذ أماتوا مواد الحياة بطبخه ونبد قشوره وما يسمونه السن في القمح ، وما يسمونه النخالة (وبعبارة أخرى) ان ما يستلذه الناس من ما كلفهم التي اصطالحوا عليها هو المفسدة العظمى لصحتهم ، هكذا فعلوا في الدين ، ذلك انهم لما تبوؤوا العلم والابحاث أخذوا يفعلون في الدين مافعله في الطعام واللباس ، فكما أن حجب الجسم عن ضوء الشمس ولفه لفا وثيقا يحجب عنه الهواء والشمس وهكذا زج الطعام في النار كل ذلك مضعف لصحته هكذا تهافت الناس على كتب المتأخرين وتركهم نفس كتاب الله تعالى وابعادهم عقولهم عن المباحث الشريفة أضعف أهمهم وأنزلهم في الخفيض ، وما الاتسكال على الكتب الموروثة التي كانت نتائج انصهار العقول الكبيرة في الأمم الاسلامية الفائرة وعدم تعرض عقولنا نحن الى نفس كتاب الله تعالى وكتاب رسوله ﷺ ومناظر المشاهد الطبيعية إلا كالاتسكال على ما أوقدنا عليه النار وطبخناه من الطعام (كالعلوم المطبوخة بنار العقول الكبيرة الاسلامية بعد القرون الأولى) وكالاتسكال باللباس التي حجبت أجسامنا عن نور الشمس وهي لاتفنى عنه فتبلا ، فليكن عمدة المسلمين من بعد الآن كتاب الله تعالى وكتاب الطبيعة ودراسة علوم الآفاق والأنفس وهذه الطائفة هي التي تتولى قيادة الأمم الاسلامية بعدنا وهم هم الذين يفهمون كلام الله ، وكيف يفهم كلام الله إلا بدراسة فعله . القرآن كلام الله والعالم فعله فلندرسه دراسة تامة وبها نفهم كلامه وغير هذا لا يفيد فقال : لقد فطقت بحكمة وأفدت بعلم ولكن لازلت أحب أن تفيض في هذا الموضوع بعض الافاضة لتبيان الموازنة ما بين آراء المذاهب والفرق المتشاكسة وما بين الطعام المطبوخ . فقلت : لاجرم أن النار التي بها نطبخ طعامنا ما هي الاثر من آثار الشمس . ألا ترى رعاك الله أن الفهم الحجري المذكور المشروح في أول (سورة

سبأ) وهكذا الخشب وغيره كلها قد خزن فيها ضوء الشمس تصلح لانتقاد النار فيه . والشمس هي المنضجة للحبوب وللنفوس . فلما رأى الناس ذلك قديما ظنوا أن للنار في الطعام آثارا كآثار الشمس من حيث الاصلاح فأوقدوا النار على طعامهم والنار ما هي إلا ابنة الشمس والفرع ينوب عن الأصل كما عبدوا الأصنام النابتة عندهم عن الكواكب كما هو موضح في أول (سورة البقرة) عند آية - يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم - الخ هكذا فعلوا في الديانات ، ففي كل أمة متدينة علماء لهم مذاهب مختلفة صهرتها عقولهم وأوقدوا عليها نيران ذكائهم كما أوقد الناس النار على طعامهم ، وهؤلاء العلماء إنما استمدوا آراءهم من دينهم مع اضافة تفكيرهم بعقولهم كما ان الخشب والفحم استمدتا الحرارة من الشمس وقد دخلت صناعة الناس فيهما وأوقدوهما نارا بطبخ طعامهم ، وهل تريد لهذا بياناً أكثرهما في كتاب « الفرق بين الفرق » وكيف ظهر أن هناك نحو (٧٣) فرقة كل فرقة ترى الحق معها وتدعى جهل جميع المسلمين ، أولاترى مذاهب الباطنية الموضحة في (سورة الكهف) عند آية - وما كنت متخذ المضلين عضداً - وهكذا مذهب البهائية في الفرس والأحدية في الهند وغيرهم ، فهؤلاء جميعا أشبه بمن يأكلون الطعام الذي أذهبت النار قوته الحيوية إذن فليرجع الناس الى كتاب ربهم والى فعله في العوالم ، وهذا هو الأمر الواجب اليوم على المسلمين جميعا في أقطار الأرض

أيها المسلمون : لاجية لكم بعد الآن لإبأن يكون القائمون بأمركم من علماء وحكماء وأمرء وملوك أحرص الناس على العلوم الرياضية والطبيعية والتمكن منها ومن دراسة القرآن وأصح الأحاديث مع المحافظة على أركان الاسلام المعروفة ، فهناك حقا تتجلى لهم هذه المذاهب الاسلامية في الفروع وفي الاصول وهناك يظهر للاسلام رونق فوق ما نحن عليه الآن

وكما أن مادة الحياة ضعيفة في المطبوخ من الطعام كما قدمنا بسبب إيقاد النار عليه وان كانت النار رية الشمس وابنتها ، هكذا الحياة العلمية والدينية في بلاد الاسلام تبقى خامدة جامدة مادامت قاصرة على دراسة الآراء المستنبطة في المذاهب المختلفة والفرق المتشاكسة والاقطار على ذلك ، بل هذه المذاهب كلها يجب أن يضم اليها دراسة نفس القرآن وما صح من الحديث وجميع العلوم الطبيعية

إن المسموع اذا خلا من المنظور كان قاصرا على التقليد المحض وهو ناقص المعلومات ، هذا ولتجيب أيها الذكي من أن هذا المقال كله يدخل في حقوى قوله تعالى - وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء - الآية - وقال - إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا - فانظر الى الترتيب على وتيرة واحدة في الآيتين . فالسمع يسمع القرآن والتاريخ المنتشر بين الأمم والعلوم الكثيرة . فاذا سمعها ووقف عند سماعها فهو غيبي - فلذلك أعقبه بذكر البصر الذي يشاهد به العلوم الطبيعية وهي تجرّه الى العلوم الرياضية ليدرس نظام الفلك وغيره . ولن يتم ذلك كله إلا بالعقل فلذلك أعقبه بذكر الأفئدة . فانظر لترتيب محكم في الآيتين . ثم انظر لأمة الاسلام الحالية والسابقة كيف ناموا على ماسمعوا وانسكوا على الشيوخ السابقين وعلمهم مسموع من المسموعات فالقرآن مسموع وكلام العلماء مسموع فلماذا لا يفكر المسلم في المحسوسات التي حوله لتوضيح ماسمعه ؟ ويجمع هذا كله من وجه آخر (آيتان : الأولى) - أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفاطها - ومثلها آية - ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر - (الآية الثانية) - قل انظروا ماذا في السموات والأرض - . فالأولى لتدبر المسموع والثانية لتدبر المنظور والتدبر لا يكون إلا بالعقل

إذن المسلمون بعدنا سيتجلى الله عليهم بقراءة علوم السمع وعلوم البصر وعلوم العقل وهذه تجمع التسمين وهم هم الذين يعقلون كلام الله تعالى وينهمونه أكثر من الأمم السابقة بعد الصدر الأول - والله

فلما سمع صاحبي ذلك قال : لقد شفيت صدري وشرحت بهذا البيان . فقلت الحمد لله رب العالمين

﴿ بهجة العلم والحكمة ﴾

(في قوله تعالى أيضا - قال فبعرّتك لأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين * قال فالحق والحق أقول لأملأنّ جهنم منك وعن تبعك منهم أجمعين * قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين - الى آخر الآيات وتمم السورة)

هذه القصة الآدمية الإبلية جاء في أوها كبر إبليس وعظمته وتكبره على السجود لآدم وامتناعه عن التواضع كما امتنعت الآساد والتمور والسباع عن الخضوع للإنسان وتناست في البراري والقفار والأودية وتعالى بما أحسن في نفسه من القوة النارية التي خلق منها ، فاستوجب اللعنة وأخذ يقوى كثيرا من بني آدم ليطيعوه في أخلاقه فيتكبرون ويفعلون المعاصي كالقتل والحرب والحسد والعداوات ، فكل هذه من آثار النيران المتأججة في القلوب التي تمت بصلة الى طبائع الشيطان ، ثم إن بني آدم زادوا معاصي أخرى على إبليس وهي المعاصي التي جاءت لهم من جبلتهم وظهرت على أيديهم بسبب أصل خلقهم وهي الحرص والبخس والشح والطمع والاسراف في الماء وكل المشارب وما أشبه ذلك ، فهذا النوع من المعاصي سببه ناجم من أصل خلقته وهي المادّة الطينية ، إذن المعاصي كلها « وقسمان » قسم جاء من طريق الغواية وهي آثار القوى الغضبية مشاكلة لأخلاق الشياطين ، وقسم يرجع منشؤه الى جبلّة الانسان وهي القوى الشهوية ، وهاتان القوتان مركزتان في أنواع الحيوان ، فما كان منه من أنواع البهائم مثلا وبعض الطيور اللاتي لاتأكل اللحم وانما تفتدى بالثمار والحشائش وما أشبهها ، فهذه تغلب فيها القوة الشهوية ، وما كان منه من أنواع السباع والنسور وكل حيوان كاسر فقد غلبت عليها القوة الغضبية ، والانسان جمع القوتين وزاد عليهما قوة الحكمة والعلم والعقل وكان فيه الحكماء والعلماء ، والانسان الأول سارمع الفطرة قبل أن تفسد غريزته وقتله بطنته وتذله شهونه ونستهويه هاروته ويذوق العذاب الأليم ، وقصة آدم كررت في القرآن لتذكيرنا بما كان عليه أسلافنا القدماء من الهناء وراحة البال والسعادة الدنيوية قبل أن تنزل بنا الرزايا والبلايا والمصائب وحلول الداء وذهاب الهناء ومن سار في كرتنا الأرضية يجد هذه القصة الآدمية بعض الآثار من بعض الوجوه ، ألم ترى أن بعض العوائد التي لاتزال عند بعض أهل السودان ، فقد جاء في بعض المجلات التي تصدر في دار الهلال بمصر في زماننا مانسه :

﴿ ماذا في السودان من غرائب العادات ؟ ﴾

للسودانيين الأصليين عادات غريبة ولا سيما القاطنين منهم في أعالي النيل وماجاور خط الاستواء فانهم أقرب الى زنوج أفريقيا منهم الى أهالي الخرطوم والساكين في شهاها الذين يشبهون في كثير من عاداتهم وأخلاقهم أبناء الوجه القبلي من المصريين ويحبون أن ينسبوا اليهم ويكرموا النازلين منهم في ديارهم . ولكن مما يمتاز به السودانيون القاطنون في الجنوب عن اخوانهم أهل الشمال الجرأة والشجاعة الكبيرة التي يكافون بها الطبيعة والوحوش الكاسرة القاطنة في بلادهم كالا سود واليهود والقردة الوحشية والتمور العادية والثعابين القاتلة ذات الحجم الهائل والشكل الخيف وهذه الشجاعة تكاد تكون هي السلاح الوحيد الذي يستطيعون به مغالبة هذه الحيوانات الشديدة البأس حتى ينتصروا عليها ويدفعوا شرّها عنهم وعن أطفالهم على أن كثيرا منهم يخرج للصيد في الصحراء فلذا مالاقي فيلا أو نعابا عظيما أخذ يطارده حتى يتغلب عليه

ويستطاده ثم يقوده الى داره ليكون طعاما له ولبن عنده من زوجته وأولاده . وقد أخبرني أحد الضباط انه كان سائرا ذات مرة مع ضابط من السودانيين الأصليين وكان الليل قد نشر أجنحته والظلام غمما على الطريق وهما في وسط غابة مزدهجة بالأشجار والادغال ، وبينما هما كذلك اذا بهما بحسان تحت أقدامهما بلحم طيرى فالتفت الضابط المصرى الى زميله السودانى وسأله : ماهذا يا فلان ؟ فنظر الضابط السودانى الى الأرض وبعد أن تحقق منه قال له : هذا ديب ، والسودانيون يسمون الحية عندهم ديبا ثم أمره بالابتعاد وسل سيفه وضرب الحية ضربة قوية جعلتها تنزّ من مكانها فزأ فاتحة فمها تريد قتله والقضاء عليه ولكنه أسرع فصرها ثانية وثالثة وهوثابت في مكانه لا يتزحج حتى قضى عليها وصارت جثة هامدة . وبعد أن تحقق من موتها قطع رأسها ثم حملها معه . ولما وصل خيمته قطعها قطعاً وشواها كلها وأخذ يلتهمها التهاما

ومن عادة السودانيين أن يأكلوا القليل أيضا فيصطادونه ويجعلونه طعاما لذيذا لهم . وليس ذلك لقله ما عندهم من الحيوانات المستأنسة كالخراف والبقر والجاموس والابل بل إن عندهم من هذه الأنواع كثيرا ولا سيما أن هناك قبائل ليس لهم من عمل غير رعاية الإبل والبقر وتربية الخراف . وقد سمعنا من بعض الذين زاروا تلك القبائل أن الخروف الواحد يمكن شراؤه هناك بتسعة قروش أو عشرة . ولبعضهم طريقة خاصة في شئ الخروف أو غيره من الحيوان فانهم بعد أن يقطعوه قطعاً يدهنون تلك القطع قبل دخولها النار بالقليل . وبعد تمام شهيها يأخذون في أكلها حارة ويضيفون فوقها أثناء الطعام بعض التوابل مما يزيد في حرارتها وحرافتها . ولا تطيب لهم لذّة الطعام إلا اذا كانت مضافا اليه جانب من الفلفل والتوابل ويستقدون أن في ذلك صحة وعافية وقوة

وإذا تزوج شخص عملت له عملية « البخور » وهذه العملية خاصة بضعف البنية . ولكن بعض الأقوياء يعملونها عند ابتداء زواجهم بل وبعده . وطريقتها أن ينام الرجل على سرير من ليف مصنوع على هيئة شبكة وهو عارى الجسم تماما ثم يوقد تحت السرير موقد تضع فيه المرأة بخورا خاصا يتصاعد دخانه حتى يشمل جسم الرجل مدة من الزمن ثم يقوم فيلبس ثيابه ويتناول بعض الأطعمة المغذية كالفراخ أو الحمام ويكث على ذلك بضعة أيام يكتسب بعدها قوة ونشاطا

وبمناسبة الزواج تقول إن بعض القبائل يجرون الزواج عند شيخ القبيلة ويسمونه في عرفهم (سلطان القبيلة) وتجري صيغة العقد بين الزوج والوالدة الزوجة بواسطة سؤال السلطان عن رغبة كل منهما في المصاهرة ثم يدفع الزوج قسرا من المال الى والد الزوجة فيأخذها ويشترى به حديدا يحفظه عنده حتى اذا حصل بين الزوج والزوجة ما يوجب الانفصال دفع والد الزوجة هذا الحديد الى الزوج وأخذ ابنته

وتعدّد الزوجات منتشر في قبائل السودان . ولكن لا يجد الرجل في ذلك ما ينقص عيشه بكثره منازعات الزوجات فانهم كثيرا ما يكنّ على وفاق ووثام . والرجل السودانى يحب أهل زوجته حبا يقرب من العبادة ولعلّ هذا في الأكثر هو السبب الذى ينتظم به شأنه وتزداد راحته خصوصا ان من طبائع السودانيين التعاون في الشدائد والقناعة التى تجعلهم يرضون بالكسرة اذا رأوا أن في غيرها ما يوجب التزاع . ومعظم أكلهم النرة العويجة أو الدخن يصنعون منه (المريسة) وهى طعام محبوب عندهم . وهناك يتعففون عن سرقة بعضهم بعضا وقليل ما تقع حوادث سرقة كبيرة بل إن الرجل منهم قد يترك متاعه في الطريق ويذهب لقضاء حاجته من مكان بعيد ثم يعود فيجد حاجته كماهى لم ينقص منها شئ . وفي المواسم الشهيرة كعاشوراء ونصف شعبان يمتون طعامهم أمام منازلهم ويسمونه عشاء الميتين والغرض منه اطعام الفقراء وغيرهم بمناسبة هذه المواسم رجاء الرحمة من الله على موتاهم السابقين . انتهى ما جاء في المجلة المذكورة والحمد لله رب العالمين اذا عرفت هذه القصة عجبت كيف كانت هناك القناعة والأخلاق الفاضلة المفقود أكثرها في الأمصار

العامة والمدن العظيمة في بعض بلاد الاسلام ومنها بعض بلادنا المصرية وهناك تفهم ماستمعه من اخوان الصفاء في المحاورات بين الانسان وأنواع الحيوان وبه تفهم أن علماء الاسلام منذ ألف سنة كانوا قد بلغوا شأوا عظيما في العلم والحكمة وأدركوا بعض أسرار هذه القصة وأخذوا يذكرون النوع الانساني بما وقع فيه من الانهماك في الشهوات الذي كان هو السبب في ذلهم ذللا لا يختص بالحياة الأخرى في جهنم بل إن العذاب أخذ يحيط بالناس في هذه الحياة الدنيا وان كان أكثرهم لا يفهمون اليوم انهم قد عجل لهم العذاب الآن ، إذن هنا ذنوب لحقها العذاب في نفس هذه الحياة الدنيا وسيستمر الى آمام وآمام بعد الموت وهذا نصه :

« قال الملك : يا معشر الانس قد علمتم وسمعتم ما قال وفهمتم ما أجب ، فهل عندكم شيء آخر ؟ فقام انسى آخر أعراي وقال نعم أيها الملك لنا خصال ومناقب تدل على أننا أرباب وهم عبيد لنا . قال الملك هات واذا كر منها شيئا . قال نعم . قال وما هي ؟ قال طيب حياتنا ولذيذ عيشنا وطيبات مأكولاتنا من ألوان الطعام والشراب والملذذ مما لا يحصى عددها إلا الله تعالى وما طولاها معنا شركة فيها بل هم بعزل عنها وذلك ان طعامنا لب الثمار ولها قشورها ونواها وحطبها ، ولنا لباب الحبوب ولها بننها وورقها ولنا شيرجها ودبسها ولها كنفها وخشبها ولنا بعد ذلك ألوان الخبز والرغفان والأقراص والجرادق من السميد والمتلون والكعك وغيرها ولنا ألوان الطيب من الكباج والاسفيداج والمضائر والطرانس والجواذيت وألوان الكواميخ وغيرها من الرواوين وألوان الأشربة وألوان الشوى والحلوى والحبيص والقطايف واللوز ييج ، ولنا ألوان الأشربة من الحجر والنيذ الخالص الجيد والقارص والسكنجيين والجلاب والفقاع ، وألوان الألبان من الحليب والرائب والماسق والبروغ والسمن والزبد والخبز والكشك والمصل وما يعمل منها من ألوان الطيب والملذذ والطيبات والمشتبات ولا يحصى كثرة ذلك إلا الله تعالى وكل ذلك هم بعزل عنه وخشونه طعامهم وغلظها وجفافها وقلة الرائحة الطيبة منها وقلة دسومتها وحلاوتها دليل على قلة لغتهم منها وهذه الخصال للعبيد وتلك حال أرباب النعم الأحرار الكرام ، وكل هذا دليل على أننا أرباب لهم وهم عبيد وخول لنا أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

فنتطق عند ذلك زعيم الطيور وهو الهزارداستان وكان قاعدا على غصن شجرة يترنم فقام وقال الحمد لله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، القديم الأبد ، الدائم السرمد بلا شريك ولا ولد ، بل هو مبدع المبدعات وخالق المخلوقات وعلو الموجودات ومسبب الكائنات من الجمادات والنباتات وبارئ المبرآت مركب السموات ومولد المولودات كيف شاء وأراد

واعلم أيها الملك الكريم أن هذا الانسى افتخر بطيب مأكولاتهم ولذيذ مشروبهم ولا يدري أن ذلك كله عقوبات لهم وأسباب للشقاوة وعذاب أليم إذ في حرامها عذاب وفي حلالها حساب وهم فيما بينهما من الخوف والرجاء . قال الملك وكيف ذلك ؟ بين لنا ؟ قال نعم وذلك انهم يجمعون ذلك ويحصلونه بكثرة أبدانهم وتعب نفوسهم وجهد أرواحهم وعرق جبينهم وما يلقون في ذلك من الشقاوة والهوان مما لا يعد ولا يحصى من كد الحرت والزرع واثارة الأرض وحفر الأنهار وسد الشق وعمل البريدات ونصب الدواليب وجذب الغروب والسقي والحفظ والنظافة والحصاد والحمل والجمع والهباس والتفريفة والكيل والقسممة والوزن والطحن والخبز والخبز وبناء التنوير ونصب القصور وجمع الحطب والشوك والسرقين ووقود النيران ومقاساة الدخان وبناء الهيكيدان ومحاكاة القصب ومحاسبة البقال والجهد والعناء في اكتساب الأموال والبراهم وتعلم الصنائع والمكاسب المتعبة للأبدان والأعمال الشاقة على النفوس والمحاسبات والتجارات والتهاب والمجيء في الأسفار البعيدة في طلب الأمتعة والحوائج والجمع والادخار والاحتكار والاتفاق بالتقدير مع مقاساة البخل والشح فان كان جمعها من حلال وأنفقها في وجه الله فلا بد من الحساب وان كان من غير حل وانفاقه في غير وجه

الله فالويل والحساب والعذاب اذ لا بد من القوت والقيام مثل ما لا بد من الموت والحساب ونحن بمعزل من هذه كلها وذلك ان طعامنا وغذاءنا هو مما يخرج لنا من الارض من امطار سماها من ألوان البقول الرطبة والخضرة النضرة اللينة والحشائش والعشب ومثل ألوان الحبوب اللطيفة المكنونة في غلفها وسنبها وقشرها ومن ألوان الثمار المختلفة الاشكال وأنواع الطعوم والروائح الذكية والاوراق الخضرة النضرة والأزهار والرياحين في الرياض تخرجها لنا الارض حالا بعد حال وسنة بعد سنة بلا كد ولا تعب من أبداننا ولا عناء من نفوسنا ولا نصب من أرواحنا ولا محتاج الى كدحواث ولا عناء ولا سقي متعب لأرواحنا ولا محتاج الى بذر ولا حصاد ولا دياس ولا طحن ولا خبز ولا طبخ ولا شواء وهذه كلها علامات الكرام الأحرار وأيضا اذا أكلنا قوتنا يوما بيوم تركنا ما يفضل عننا مكانها لا محتاج الى حفظه ولا محتاج الى خازن ولا ناطور ولا حارس ولا احتكار الى وقت آخر بلا خوف لص ولا قاطع طريق تنام في أماننا وأوطاننا وأوكلنا بلا باب ولا غلق ولا حصن آمين مطمئنين مودعين مستريحين وهذه علامات الأحرار وأنتم عنها بمعزل وأيضا فان لكم بكل لذة ذكركم من فنون ما كولاتكم وألوان مشروبكم فنونا من العقوبات وألوانا من العذاب مما نحن بمعزل عنها من الأمراض المختلفة والاعلال الزمنية والاسقام المهلكة والحيات المحرقة من القب والربع والثانية والثالثة والرابعة والتخيم والجشأ الخامض والهيضة والقولنج والقرص والبرسام والسرمام والطاعون واليرقان والديلان والسل والجذام وذات الجنب والبرص والسكتة والصداع والسكره والرمل وعسر البول والجرب والجدري والثآليل والدمامل والخنازير والحصبة والخراجات وأصناف الاورام مما تحتاجون فيها الى أنواع عذاب المعالجات من السكى والبط والحقنة والسعوط والحمامة والنفث وشرب الأدوية المسهلة الكريمة الرائحة ومقاساة الحية وترك الشهوات المركوزة في الجيلة وماشا كل هذه من ألوان العذاب والعقوبات المؤلمة للانفس والأرواح والاجساد كل ذلك أصابكم لما عصيتم ربكم وتركتم طاعته ونسيتم وصيته فان أول الناس أول ناس - وعصى آدم ربه فغوى - ان الانسان كان ظلوما جهولا - ونحن بمعزل عن هذه كلها فن ابن زعمتم أنكم أرباب ونحن عبيد لولا الوقاحة والمكابرة وقلة الحياء وأنتم مادتم في الحياة مبيحي البدن ففي تعب وكد لتحصيل الانعمات والشهيات وما دتم مرضى ففي عقوبة وحسرة وبعالموت في العتاب والعذاب والمخاطب ووقوف الحساب ونحن فارغون من هذه الجيلة فن الموالى ومن العبيد منا ومنكم قال الانسى قد يصيبكم يامعشر الحيوان من الامراض مثل ما يصيبنا ليس هو شئ يحصنا دونكم . قال زعيم الطيور انما يصيب ذلك من يخاطبكم منا من الحمام والديك والسهام والبهائم والأنعام أو من هو أسير في أيديكم ممنوع عن التصرف برأيه في أمر مصالحه فاما من كان منا مخلى برأيه وتديره لمصالحه وسياسته ورياضته لنفسه فقل ماتعرض له الامراض والاوراجع وذلك انها لا تأكل ولا تشرب الا وقت الحاجة بقدر ما ينبت من أجل ما ينبت من لون واحد قدر ما يسكن ألم الجوع ثم تستريح وتنام وتروض وتمتع من الافراط في الحركة والسكون في الشمس الحارة أو في الظلال الباردة أو السكون في البلدان الغير الموافقة لطباعها أو أكل المأكولات غير الملائمة لمزاجها فاما الذي يخاطبكم من الكلاب والسنابير ومن هو أسير في أيديكم من البهائم والأنعام فهي ممنوعة من التصرف برأيه في مصالحها في أوقات ما تدعوها لطباعها المركوزة في جبلتها وتطمع وتسقى في غير وقته أو تغير ما انتهى أو من شدة الجوع والعطش تأكل أكثر من مقدار الحاجة ولا تترك أن تروض نفسها كما يجب بل تستخدم وتتعب أبدانها فتعرض لها بعض الامراض من نحو ما يعرض لكم وهكذا حكم أمراض أطفالكم وأوجاعهم وذلك ان الحوامل من نساءكم وجواربكم المرضعات يأكلن ويشربن بشهوهن وحزمهن أكثر ما ينبت من ألوان الطعام والشراب التي ذكرت وافتخرت بها فتولد في أبدانهم من ذلك اخلاط غليظة متضادة للطباع فيؤثر ذلك في أبدان الاجنة التي في بطونهم وفي أبدان أطفالهم من ذلك اللبن الرديء ويصير سببا لأمراض والاعلال والاوراجع من الفالج والقوة والزمانة واضطراب

البنية وتشويه الخلق وسماجة الصورة وما ذكرت من اختلاف الالوجاع والامراض مما أتم مرتتهون بهامعرضون
 طوا ما يعقبا من موت الفجأة وشدة الزرع وما يعرض لكم من ذلك من النغم والحزن والنوح والبكاء والصراخ
 والمصائب وكل ذلك عقوبة لكم وعذاب لأنفسكم من سوء أعمالكم ورادة اختياراتكم ونحن بمعزل من
 هذه كلها وشئ آخر ذهب عليكم أيها الانسى تأمله وانظرفيه قال ماهو قال ان أطيب ماتا كلون وألتماتشرون
 وأنفع ماتتداورون به هو العسل وهو لعاب النحل وليس منكم بل من الحشرات فباي شئ تفتخرون علينا
 وأما اللبوسات الجيدة التي لكم أيضا فهي من لعاب أضعف حيوان وأما كل لب الثمار ولب الحبوب فنحن
 مشاركون لكم فيها عند ادراكها رطبة وباسة فباي شئ تفتخرون به علينا وقد كان آباؤنا مشاركين فيها لآبائكم
 بالسوية أيضا أيام كانوا في ذلك البستان الذي بالمشرق على رأس ذلك الجبل كانا يا كلان من تلك الثمار
 والحب بلا كد ولا تعب ولا عناء ولا عداوة بينهم ولا حسد ولا استتار ولا جنى ولا ادخار ولا حرص ولا بخل ولا خوف
 ولا هم ولا غم ولا حزن حتى تركا رصية ربهما واغترا بقول عدوهما وعصيا ربهما واخرجا من هنالك عريانيين
 مطرودين ورميا من رأس ذلك الجبل الى أسفله فوقعا في بركة قفر لاماها فيها ولا شجر ولا كثر فيها جبانعين
 عريانيين يبكيان على ما فاتهما من النعم التي كانا فيها هناك ثم ان رحمة الله تداركتهما فتاب عليهما وأرسل اليهما
 من هناك ملكا يعلمهما الحرث والزرع والحصاد والدياس والطحن والحبز واتخاذ اللباس من حبش الارض
 والقطن والكتان والقصب بعناء وتعب وجهد وشقاء لا يعصى عددها الا الله بما قد ذكرنا طرفا منها قبل
 فلما توالبت وكثرت اولادهما وانتشروا في الارض برًا وبحرا وسهلا وجبلا وضيقوا على سكان الارض من
 أصناف هذه الحيوانات أما كنها وغلبوها على أوطانها وأخذوا منها ما أخذوا وأسروا منها ما أسروا وهرب منها ما هرب
 وطلبوها أشد الطلب وبغيتهم وطغيتم عليها حتى بلغ الأمر الى هذه الغاية التي أتم عليها الآن من الافتخار والمناظرة
 والمنازعة والمخاصمة وأما الذي ذكرت بأن لكم مجالس اللهو واللعب والفرح والسرور وما ليس لتامن الأعراس
 والولائم والرقص والحكايات والمضحكات والتعجيبات والمدح والثناء والحلى والتيجان والاسورة
 والخلاخل وماشا كلها مما نحن بمعزل عنها فان لكم أيضا بكل خصلة منها ضروباً من العقوبات وفنوناً من
 المصائب وعذاباً أليماً مما نحن بمعزل عنها فمن ذلك ان لكم بزاء الأعراس الماتم وبدل التهنئة التعزية وبدل
 الاغانى والغناء النوح والصراخ وبدل الضحك البكاء وبدل الفرح والسرور النغم والحزن وبدل المجالس
 والايوانات العالية القبور المظلمة والتوابيت الضيقة المظلمة وبدل الحصون الواسعة الجوس والمطامير
 الضيقة المظلمة وبدل الرقص الدسندان والسياط والغذاب والضرب والعقاب وبدل الحلى والتيجان والخلاخل
 والاسورة القيود والاعلال والسوامير والمطامير والنكال وماشا كل ذلك وبدل المدح والثناء الهجو والشتيم وسوء
 الثناء وبدل كل حسنة سيئة وبدل كل لذة ألم وبدل كل نعمة يؤس وبدل كل فرح غم وهم وحزن ومصيبة
 مما نحن بمعزل عنه وهذه كلها من علامات الاشقيا وان لنا بدلا من مجالسكم ومخوناتكم وايواناتكم ومنادمتكم
 هذا القضاء القسيح وهذا الجو الواسع والرياض الخضرة على شطوط الانهار وسواحل البحار والطيران على
 رؤس البساتين والاشجار والتعلق على رؤس الجبال نسرح ونروح حيث نشأ من بلاد الله الواسعة وتناكل
 من رزق الله الحلال من غير تعب وكد وألوان الحبوب والثمار نجدها من غير أذية أحد ونشرب من مياه
 الغدران والانهار بلا مانع ولا دافع ولا محتاج الى حبل ولا الى دلو ولا الى كوز ولا قربة بما أتم مبتلون بها من
 جهلها واصلاحها وبيعها وشراؤها وجمع آتماتها بكدون صب وتعب ومشقة من الابدان وعناء النفوس وعموم
 القلوب وهموم الأرواح وكل ذلك من علامات العبيد الاشقياء فمن أين نبت لكم انكم أرباب ونحن عبيد لكم
 انتهى من اخوان الصفا

﴿ تذكرة ﴾

مما يناسب هذا المقام أن أذكر ما اتفق لي في أول شهر سبتمبر سنة ١٩٣٠ م عند طبع هذه السورة ذلك أني أصابني زكام وامسك وسعال في آن واحد ، وقد قرأت في الكتب الطبية القديمة أن الزكام ينفعه أن يترك الانسان الطعام والشراب يوما وليلة ويصب الماء الحار الذي يطيقه على رأسه ويسرع بلفها في كساء حالا ، فتركت الطعام والشراب يوما وليلة ولكني سمعت قبيل القيام من النوم قائلا يقول : « ليكن ذلك ٣١ ساعة ، فأخزت الطعام والشراب كما سمعت ، ثم شربت ماء دافئا مع عصير الليمون ، ثم تعاطيت الطعام وأخذت أستحم بالماء المسخن كل يوم ثم أتبعه بالماء البارد فذهبت الأمراض الثلاثة متتابعة ولم يظهر لها أثر ولا أعراض ، وقد كنت لأجل السعال أشرب كل يوم فنجالا واحدا يملأ بالزيت الحار الذي صابحا قبيل الأكل ، فلا أجد الله على صحة هذه التجربة ، وهأنذا أعيش على الخضرة والفاكهة مدة سنتين قد أحسست فيهما بصحة جيدة والحمد لله رب العالمين ٧

﴿ حكاية عصرية تناسب هذا المقام ﴾

جاء في مجلة « الدنيا المصورة » ما نصه

﴿ رجل وامرأة في جزيرة مقفرة ﴾

من أبناء برلين ان الدكتور بول ريتز كان يمضي نفسه مثل الكثيرين من أرباب الخيال الواسع بأن يطرح مظاهر المدنية ويتجرد من أسبابها ويعيش عيشة الفطرة الاولى في مكان قفر لم تطأه أقدام بني الانسان . ولكن ما لبث أن حقق هذه الأمنية وراح يعيش في جزيرة مقفرة وهي جزيرة شارلز داروين إحدى جزر أرخبيل جالاباجوس على بعد سبع مائة كيلومتر من سواحل اكوادور في أميركا الجنوبية ولم يصطحب معه في منفاه الاختياري الامرأة واحدة من صديقاته . ومرت الأيام بآدم وحواء الحديدين وهما بعيدان عن العالم لا يعرفان عنه شيئا ولا يعرف العالم عنهما خبرا حتى « اكتشفهما » المستر اوجين ماكدونالد رئيس إحدى البعثات الاميركية في جزائر المحيط الباسفيكي . وكان الدكتور ريتز ورفيقته الفراهلدا كروين قد غادرا هامبورج في شهر يونيو الماضي ووصلا الى ميناء جواياكيل في جمهورية اكوادور في اكتوبر الماضي ومن هناك اشترى زورقا شراعيا وأقلعا فيه الى تلك الجزيرة النائية حتى وصلها فعاشا فيها كما كان يعيش آدم وحواء في جنة الفردوس . وقد نذا مشروعهما بدقة . وكان الدكتور ريتز قد عود نفسه على الحياة البسيطة من قبل . فكان في أيامه السابقة عند اقامته في برلين يعيش في منزله عاريا مجردا من ثيابه واذا خرج من منزله خرج في ثوب خشن مكون من قطع من القماش أوصلها بنفسه في بعضها البعض . وراض نفسه على أن يعيش على الفاكهة وغلل القمح والخضروات . وكانت زوجته لا تستطيع هذه الحياة فلم يستطع أن يقنعها بأن تترك نعيم المدنية وأطايها بل هجرته وراحت تعيش في فيلا منعزلة في بادن حيث أقامت مع أهل زوجها . وإذذاك اتصل الدكتور ريتز بامرأة أخرى وهي الفراهلدا كروين وكانت تشكو من اضطرابات عصبية وقدمت الى الدكتور ليعالجها فتعارف بها وشفاها من مرضها بأن جعلها تعيش عيشة الطبيعة والفطرة الاولى . وكانت هذه السيدة متزوجة وسعيدة في زواجها . ولكن الدكتور ما لبث أن فتها بآرائه ومذهبه واستولى على لها بحديثه الخلاب وأغراها على أن تطالع كتب نيتشه الفيلسوف الالماني ولقنها تعليلات البوذية وما لبثت أن أصبحت مريده له مشتغلة بمحبته تطيعه طاعة عمياء . ولما أخبر زوجته بأنه راحل عن أوروبا وعن العالم المتمدن في صحبة

امرأة أخرى لم تعارضه في ذلك بل طلبت له التوفيق في رحلته . وكان قد قرأ في بعض قصص الاسفار شيئا عن جزيرة شارلز داروين فقرر أن يعيش فيها وقضى بضعة أسابيع فيها يجمع الجهازات والادوات العلمية التي تلازمه في رحلته حتى صرف كل ما يمكنه في شراء هذه الاشياء واقترض مبلغا من المال على حساب الميراث الذي بناه بعد وفاة آبيه . ولم يكن يخشى الاشياء واحدا وهو مرض الاسنان ولذلك اقتلع كل أسنانه ووضع بدلها طقما صناعيا . وسافر الاثنان بعد أن أخبرا أصدقاءهما أنهما سيعيشان عرايا مثل آدم وحواء في هذه الجزيرة التي ستصبح لهما جنة عدن . ثم اختفت أخبارهما الى أن اكتشفهما أخيرا رئيس البعثة الاميركية عائشين في سعادة وغبطة وهناك . انتهى ماجاء في المجلة المذكورة

اللهم إني أجدك جدا كثيرا على نعمة العلم والحكمة ، وعلى انك علمتنا ما لم نكن نعلم وشرحت صدورنا الى تفاسيق آي القرآن على الحوادث الانسانية والحيوانية ، وكررت قصة آدم وابليل في سور كثيرة لتذكركنا بما اتاب هذا الانسان من الضعف والوهن والأمراض بسبب مجاوزته لظفرته التي فطرته أنت عليها

فيا عجباً : كيف ترى هذا الانسان يفرح ويختخر بما هو مهلك له ، وكيف أصبحت لذته منبوذة بذلته . اللهم إن هذه الحال لها بعض الشبه بحال المسيح السجال الذي من دخل جنته فهو في النار ومن دخل نارها فهو في الجنة ، الناس جميعا مغرمون بكل ما لذ وطاب ، وهم جميعهم لإقليلا منهم يرون ذلك هو عين السعادة مع انهم يرون بأعينهم العقاب العاجل لكل بطنة ولكل شهوة . اللهم إن هذه الحياة كلها على سائر واحد لا اختلال فيه . الناس جميعا مستلذون بما العذاب نتيجه ، فإذا استلذ الشراهون بكثرة الماء كل فالعذاب واقع ماله من دافع في هذه الحياة ، وإذا كثرت الاسراف في الملابس وحفلات الزواج أعقبه الخراب العاجل أو الآجل ، وإذا جاءت الأمم المستعمرة وقالت للناس : « هانحن أولاء جئنا لتزقيكم ونسعدكم » كانت نتيجة ذلك إكثار الجهل واذاعة القسوق والعصيان وشرب الخمر ، لافرق في ذلك بين أهل الهند ومصر وغيرها من البلدان . ألم تر الى ما حدث في زماننا أيام كتابة هذا الموضوع من أن المتطوعين المتبعين لغندي زعيمهم يقفون على أبواب الحانات ومعهم زوجة ذلك الزعيم لمنع الشاربين من الشرب وعلى أبواب حوانيت البرازين ليمنعوا الناس من شراء الملابس الأجنبية ، فيرى هؤلاء المتطوعون الجند أمامهم شاكي السلاح ليمنعوهم ويأخذوهم الى السجون . إذن المستعمرون يظهرون لهم انهم نافعون لهم ولكنهم يريدون لهم الشر والعذاب فما دخل المستعمر قربة إلا عمها سائر المعاصي والمعاصي محبوبة للنفس ، إذن هي في ظاهرها جنة وفي باطنها نار ، فالمسيح السجال وان لم يظهر لنا بهيئته فقد ظهرت لنا آثاره بل آثاره ملازمات لهذا الانسان ، فالانغماس في اللذات سواء أكانت ما كل أو مشارب أو ملابس أو عودا برفقة بالرقى من الأمم المستعمرة ، كل ذلك نتيجه الهلاك والدمار والعذاب

اللهم أنت حبستنا في هذه الأرض لنقص نفوسنا ، وأنزلت في القرآن قصة آدم وابليل لتذكركنا بفطرتنا وهانحن أولاء نظن أننا أرقى من المتوحشين في نظرنا مع انهم هم على الفطرة ونحن عاصون بعواندنا وأحوالنا وجهلنا . اللهم ألهم المسلمين أن يفكروا في نظام أرقى من هذا النظام الحالي فيكون الناس ألفة واحدة نظيفة من الغش والخداع والبطنة والسرقة وما أشبه ذلك فتحسن العقول والمدنيات ويقل المرض والطب والقضايا والقضاة - إنك سميع عليم - انتهى صباح يوم الأحد ٢٢ يونيو سنة ١٩٣٠

﴿ نور النبوة في هذا الزمان ﴾

(في الفيتامين والطيارات)

وفي قوله تعالى أيضا - قال فبعضتك لأغوينهم أجمعين -

جاء في الحديث الشريف : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » أخرجه الشيخان . وقال ﷺ « والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ، افشوا السلام بينكم » أخرجه مسلم وأبوداود والترمذى ، وهذا الحديث والذي قبله من كتاب « تيسير الوصول » المتقدم ذكره وجاء في الجزء الثالث من ذلك الكتاب ما نصه : « أمتي مثل المطر لا يدرى آخره خير أم أوله » أخرجه الترمذى وصححه . وإنما ذكرت هذه الأحاديث في هذا المقام ليتفكر فيها المسلم

أبها المسلمون : إن انتشار الطيارات في الأمم يوجب على المسلمين تعلمها والارتقاء فيها حتى ينتظم البريد الجوى بين مسلمي مصر وبلاد شمال إفريقيا ومسلمي الهند والصين والعرب وهذا آت قريباً ، ومتى توصلوا ظهرت عجائب النبوة . ألا ترى أنهم في الأزمان المتأخرة لم يكن هناك ذلك التوادد بينهم ولذلك التألم . ألم ترى أن المسيحيين لما هجموا على بلاد الاسلام أيام الحروب الصليبية كانوا متحدين ، أما المسلمون فإن الذين جاهدوا وصبروا هم أهل الشام ومصر ومن حولهم من بلاد الاسلام ، أما المسلمون في شمال إفريقيا فانهم أبوا أن يعينوا اخوانهم ، ألم ترى أن المسيحيين في اسبانيا اجتاحتها بلاد الأندلس ولم يحرك المسلمون الآخرون ساكناً ، أين الاسلام إذ ذاك ؟ أفلم ترى أن هذا الزمان أي زمان الطيارات التي ستم بلاد الاسلام هو المراد بالحديث الشريف وأن المراد بالمؤمنين هم الكاملون ، أما المؤمنون الذين ليس عندهم هذا الشعور فهم ناقصون . ولا جرم أن المسلمين في المستقبل أولئك الذين يعرف بعضهم أخبار بعض ويعينهم على ذلك الطيارات بالرحلات والجولات في الأقطار وأنواع البرق والتلغراف ذى السلك والذي لاسلك له ، فهؤلاء هم المرادون بهذا الحديث إذ يتأثر المسلم في الصين بما يصيب أناه في السودان عند سماع أخباره ، وهذه الطيارات كما تكون هي وغيرها سبب معرفة الأخبار الاسلامية في الأقطار النائية تكون أيضاً سبباً لتبادل المنافع بين الأمم الاسلامية خاصة والأمم كلها عامة ويصبح أهل الأرض كلهم كأنهم أمة واحدة ويعمرون الأرض ويستخرجون كنوزها ويكون الناس إذن أشبه بالطير من وجوه ﴿ أولاً ﴾ أن كل طير يأخذ رزقه الخاص به مما تتج من الأرض بغير طبخ ولا خبز لا كما يفعل الانسان ﴿ ثانياً ﴾ ان الانسان صار يطير كما يطير الطير ﴿ ثالثاً ﴾ اذا استخرجت منافع الأرض سهل على كل امرئ أن يأخذ منها رزقه فهو ليس في حاجة الى مد يده لغيره ، فكثرة المعاونة جعلت الرزق موفراً للجميع ، وأوليس هذا هو معنى قوله ﷺ « لو تولاكم على الله حق تولاكم لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خالصاً وتروح بطاناً »

ولا جرم أن هذا هو الذي يظهر من أسرار الفيتامين ، فالطيور تقتات بالحب الذي لا ضرر فيه والانسان بكثرة الصناعة فيه قتل مادة الحياة فابتلى بالأمراض فاحتاج زيدي الى عمره فسرعت الصدقات ، فأما هذه الحال العالية للآدم الاسلامية فهي التي أشار لها حديث الصدقة إذ قال ﷺ كما في الجزء الثاني من كتاب « تيسير الوصول » ، لجامع الاصول » في الفصل الثاني في الحث على الصدقة إذ قال ﷺ « تصدقوا فيوشك الرجل أن يمضى بصدقة فيقول الذي يعطاها لوجئتنا بها بالأمس قبلتها أما الآن فلا حاجة لي فيها فلا يجرد من قبلها منه » أخرجه الشيخان والنسائي

وعن أبي موسى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لياتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه

بالصدقة من الذهب فلا يجد أحدا يأخذها منه» أخرجه الشيخان
فيآلت شعري . أيتها الأمم الاسلامية : لم نزلت هذه الأحاديث ؟ انها نزلت لتشير في المسلمين الحية حية
الاسلام فنجعل هذه الحوادث نصب أعيننا ونسب ونجدد لبلوغ هذه المنزلة الرفيعة . نحن المسلمين قد تفرقتنا
في بقاع الأرض ، فنحن في كل قطر من أقطارها . فنحن في أمريكا وآسيا وأفريقيا وأوروبا وأستراليا .
فلنعمم الطيارات بيننا مصداقا لحديث التواد والتراحم . ولنعمر أرض الله مع الأمم حتى تتم البركات والسلام
ومتى عم ذلك لم يكن للصدقة معنى وهناك يظهر سر التوكل وتصح الأجسام بالمحافظة على الفيتامين . وبالجملة
فأعلم أم الاسلام ما يأتي :

- (١) تعميم الطيران كالطير والبرق اسلكى والذى لاسلك له
- (٢) وهذا يترتب عليه أن يكونوا كأعضاء الجسد الواحد من حيث سرعة وصول الأخبار في الجسد
بالأعصاب وفي الأمم الاسلامية بطرق المواصلات
- (٣) فاذا عمروا أرض الله مع الأمم بذلك السبب كثر الرزق فأخذ كل امرئ قوته من غير ادخار كالطير
- (٤) هنالك ترد الصدقة ولا تقبل
- (٥) ولما كان الطير لا يمس الطعام بنا ركان الفيتامين فيه موفرا فهكذا ستكون الأمم المستقبلية . أيتها
الأمم الاسلامية : هذا هو الذى فهمته في حديث التوكل ومن حديث الصدقة
- (٦) اذا فهمنا هذا عرفنا سر حديث الترمذى المتقدم الذى شبهت الأمة فيه بالمطر لا يدري آخره خبر
أم أوله ، فهناك فهم سر هذا الحديث لأن الأمم الاسلامية التى ستظهر بعد انتشار هذا التفسير
وأمثاله ستعرف نعم الله وتفهم هذه الدنيا ، ومتى اتصفوا بالصفات الحسن المتقدمة كانوا خير أمة
أخرجت للناس . فهم يكونون كالصدر الأول من الصحابة والتابعين الذين ملؤوا الأرض نورا وعلما
وهؤلاء سيكونون رسل السلام بين الأمم . فهناك منجزات نبوية أقيمت عليها الأمم الاسلامية
وهذا التفسير جعل مقدمة لهذه الحال الشريفة
- (٧) وهناك معجزة سابعة وهى ان المسلمين متى شاركوا الأمم في بحث الفيتامين وصاروا موقنين بسبب
البحث العلمى أن الماء كل الذى تؤكل على فطرتها كما يأكلها الطير أصح من الذى دخلتها الصنعة
وأكثر تقوية لأجسامهم وإطالة لأعمارهم فانهم حينئذ تحصل عندهم القناعة فلا يحتاجون الى
التغالى في طهي الطعام الموجب الادخار . واذن يتكون أخذ الصدقة لاسما اذا صارت الكرة
الأرضية كلها على وتيرة واحدة في استخراج الخيرات وكان لكل امرئ عمله الخاص به كالطير
- (٨) ولست فى حاجة أن أذكرك أيها الذكى بما تقدم كثيرا فى هذا التفسير من أن هذه الحال هى
التي ستأتى فى قوله تعالى - حتى تضع الحرب أوزارها - وهى الحال العيسوية التى فيها تكون الأمم
كلها فى حال سلام كما قاله المفسرون
- (٩) فهذا هو التوكل الذى أشارت له النبوة . وهذه هى الانسانية الصادقة فى هذه الأرض .
ولما كان الصحابة رضى الله عنهم قد أمروا أن ينتسروا الدين وكانت الأمم الأرضية إذ ذاك غير
صالحة للسلام العام أنزل الله آيات الجهاد وأباح الغنائم للجهاديين . ولاجرم أن الغنائم قد أعانتهم
على اصلاح الأمم على مقدار الطاقة فى زمانهم ثم خلف من بعدهم خلف أضعوا الصلاة واتبعوا
الشهوات وجعلوا تلك الغنائم موقوفة على الشهوات فانحطت تلك الأمم وظهر سر حديث « إن
أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زينة الدنيا الخ » وتراه فى تفسير ﴿ سورة الأنفال ﴾
وغيرها . إذن الأمم الاسلامية التى جعلت الغنائم مقصدها والشهوات رائدها وأخذوا يتقاتلون

بالسيوف بعد العصور الثلاثة الأولى على الامارة والملك ليسوا متوكلين على الله حق توكله وسكون
 الأمم التي تفهم ما ذكرنا هنا من بعدنا خيرا منهم وأحسن أملا وأشرف مقاما وأعلى كهبا في
 الاسلام ومن يهش بره

(١٠) إن الأمم التي ستصف بهذه الأوصاف التسعة تكون سببا فيما يشبه حنث إبليس في حلفه في هذه
 الآية إذ يقول - قال فبعضتك لأغو بينهم أجمعين - إذ يكثر فيها عدد المستثنى ويقل عدد المستثنى
 منه . إن الجهالة المحيطة بكرتنا الأرضية كلها (أ) يعبر عنها باغواء إبليس - الشيطان يعدكم
 الفقر ويأمركم بالفحشاء - وعدته الناس بالفقر تحملهم على الحرص والطمع والجمع والادخار والحسد
 وهذا يفتح باب العداوات والشور والحروب (ب) ويعبر عنها بتزيين الشيطان - وزين لهم
 الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل - (ج) وبالازلال - فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما
 مما كانا فيه - وههنا خرج الناس في مطاعمهم ومشاربهم وملابسهم عن السنن الطبيعي فاتتابتهم
 الأمراض والفقر والحيوانات قد برئت من هذه الأوصاف . أما هؤلاء فأنهم أرغموا أن يعيشوا
 عيشة كلبهاضك وضيق بسبب العادات الموروثة في طعامهم الذي يتأقون فيه ومساكنهم وملابسهم
 وعاداتهم وهم جميعا يريدون أن يخرجوا من نار هذه الأحوال وماهم بخارجين منها ولهم عذاب
 النل المقيم بها في الحياة وبتأنجها بعد الموت ولكنهم سيخرجون فرحين بعد انتشار هذا التفسير
 وأمثاله والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم . انتهى تفسير سورة ص والحمد لله رب العالمين



تفسير سورة الزمر

(هي مكية)

(إلا قوله تعالى - قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله بغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم - الى قوله تعالى - من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون - مخدنة)

(آياتها ٧٥ - نزلت بعد سبأ)

(هذه السورة ثلاثة أقسام)

« القسم الأول » في تفسير البسملة

« القسم الثاني » من أول السورة الى قوله - لقوم يؤمنون - وفيه التوحيد والاستدلال بمجائب السموات وخلق الأنعام والانسان والنبات والينابيع الأرضية ونزول المطر واختلاف الزروع ومجائبها وهكذا
« القسم الثالث » من قوله تعالى - قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم - الى آخر السورة . فيه هيئة النفخ والحساب ووصف الفريقين : أهل الجنة . وأهل النار وما أشبه ذلك

« القسم الأول في تفسير البسملة »

بالرحمة قامت السموات والأرض وانتظم العالم وبهر الوجود ، فهي كضوء الشمس ، وكما أن ضوء الشمس يأخذ منه كل حيوان ونبات ما يليق له ويوافق طبعه ويوافق هيكله وهو من الرحمة العاتمة أيضا ، هكذا جميع درجات تنال المخلوقات منها على حسب استعدادها . وكما أن علماء الطب في زماننا كما تقدم مرارا في هذا التفسير ، يقولون انهم قدموا للفيران طعام الارز وأبقوها في الظلمات أياما فضعت أجسامها وأخذت تقترب من الموت سراعا ، ولما قدموا لنفس الفيران البرتقال فأكلته وهي في الظلام لا تقابل ضوء الشمس قويت واتعشت وصارت تترقع وتلعب . فاستنتجوا من ذلك أن الأرز لم يأخذ من ضوء الشمس إلا قليلا . فأما البرتقال فإنه أخذ منها كثيرا واستخرجوا هذه القاعدة الغذائية فقالوا : « إن الارز أكله غير صحي . أما كل البرتقال فهو مقو جدا » والأول لم يستفد من ضوء الشمس إلا قليلا والثاني استفاد كثيرا . ففيه خزن الله قوة حيوية عظيمة منه تنتقل الى الانسان . وقد قالوا إن ذلك في الارز المشور . أما الذي بقرشه الملائق للخبث فهو مفيد كما يفيد القمح اذا لم ينخل وأكل بحاله . وعلى هذه القاعدة كانت جميع قشور القواكه التي يمكن أكلها مع الفاكهة نافعة صحية للانسان

كل ذلك لاستفادتها من ضوء الشمس . إذن مادة الحياة جعلها الله في ضوء الشمس وضوء الشمس يخزن في الأغذية وعلى قدر ماخزن فيه من ضوءها تكون نتائجها في حياتنا ولذلك يقولون : « إن الأجسام المكشوفة للشمس الممرضة لضوئها أصح وأقوى من المغطاة المحبوبة عن الشمس لأن سر الحياة يتمتصه الجسم من ذلك الضوء . ولاريب أن استمداد القوة من نفس الضوء مباشرة بمسام الجلد أبلغ قوة وأنفذ وأتم من أخذها من الطعام

أقول : كما ان علماء الطب قالوا ذلك ووضح في غير هذا المكان وهذا في رحمة خاصة . فهكذا تقول في الرحمة العاتمة فهي تتفاوت مقاديرها بتفاوت القوابل لها من المخلوقات

فالعجب (ألمك الله الرشد وأنم عليك بنعمة العلم وهداك الصراط المستقيم) من طفل لا يشعر إلا بما حواه جلده من عواطف ومطالب ويرى أن جميع من حوله له مسخرون . فلا يرى في أمه إلا أن ترضعه

ولاقى أبيه إلا أن بداعبه وبلاعبه ولاقى اخوته وأخوانه إلا أن يضاحكوه . فهو لايهتم بغير شؤون نفسه .
 فاذا ترعرع وكبر وصارت له زوجة وولد اتسعت رحمته ، فبعد أن كانت لاتتعدى محيط دائرة جسمه أخذت
 نسع أسنرته وبنيه ، وقد يسبح النعمة على الأهل والجيران بل البلدة بل الأمة ان كان ملكا بل الأمم كلها
 إن كان عالما عام النفع . إذن كما أننا رأينا البرتقال امتص من الشمس (القيتامين) قوة الحياة أكثر من
 حب الأرز وكانت تتأججهما على مقدارما استفدنا منهما ، هكذا استمدت نفس الصبي واستمدت نفس الرجل
 من الرحمة العاتمة (التي أحاطت بظواهر العوالم وبواطنها كما أحاطت النور بظواهرها) رحمة خاصة فكانت عند
 الصبي لاتعدو دائرة جسمه وعند الرجل أعظم فتسع الدائرة شيئا شيا حتى ربما بلغت المشرقين وماهى إلا استمداد
 من تلك الرحمة العاتمة كاستمداد الغذاء مادة الحياة سواء بسواء

وكما ان من الناس من يعيشون ويموتون ولا يعقلون من الحياة إلا ما يعقله الصبي فى مثالنا ولا يهتمون
 إلا بدائرة أجسامهم ، حكوماتهم وممالكهم وتعليمهم . كل ذلك يدور على محور واحد وهو المنفعة الخاصة ولا
 يباليون بالمنفعة العامة وإنما تأنى عفوا من حيث لا يقصدون ، هكذا فى نوع الانسان قوم آخرون هم فى التزرة
 العليا ، علموا من العلم ما حرك همهم الى المنافع العامة ، فنفسهم أشبه بالشموس وعالمهم وأعمالهم أشبه
 بأضوائها وتأنجهم أشبه بنتائج ضوء الشمس ، وهؤلاء هم عماد أهل هذه الأرض ، انظر فى الشرق والغرب
 لاتجد إلا هذه القاعدة ، نعم إن الأمم اليوم أقرب الى المادة ولكن لم يرفع رأس الانسان إلا أناس وجدوا
 فى أنفسهم ميلا الى العلم والكشف فهاموا به هياما واقطعوا له انقطاعا وحبسوا نفوسهم وصبروا على البلاء
 إيقانا بما هم قاعون به ، ومنهم من قتل ، ومنهم من سجن . ذلك كله فى العصور المتأخرة وذلك فى الامور
 الجزئية من كشف أمر طبيعى أو كياوى أو فلسفى . وفوق هؤلاء وهؤلاء الحكماء المحققون . وفوقهم جميعا
 الأنبياء والمرسلون

فالرحمة عندهم بلغت منتهاها واتمته الى التزرة فصاروا هم الشموس المشرقة على الناس أجمعين . لا يريدون
 بالتعليم والتبليغ جزءا من القوم الذين أرسلوا اليهم ولا شكورا . كلا . ولقد ضرب الله لمثلا فيما نشاهده
 فى منازلنا . فأننا نرى الأم ترضع ولدها وإذا سئلت عن ذلك قلت لا أريد إلا حيايته ولا مطلب لى وراء ذلك
 فهذا منها إخلاص وهذا الاخلاص جعل فيها غريزة لا تقدر على دفعها . هكذا الأنبياء ويليهم المصلحون من
 المؤمنين . ففش فى نفسك أيها النكى فإن رأيت نفسك فيها هذا المعنى فاعلم انها قد اقتبست هذه الرحمة من
 الرحمة العاتمة واعلم انك نافذ الكلمة وان رأيت قصانا فيكون تفعلك وأتارك على مقدر ما وصلت اليه
 من الاخلاص

إذا فهمت هذا فافهم بعض سر البسملة فى أول سورة الزمر . انها مسبوقة بذكر الاخلاص وما أشبهه
 مرتين فى (سورة ص)

(١) - إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وهم عندنا لمن المصطفين الأخيار -

(٢) - إلا عبادك منهم المخلصين -

(٣) - وقد ذكر بعدها فى سورة الزمر - فاعبد الله مخلصا له الدين -

(٤) - ألا لله الدين الخالص -

(٥) - قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين -

(٦) - قل الله أعبد مخلصا له ديني -

ومن هذه الست انه أمر أن يعبد مخلصا الدين لله . وأن يعلن انه أمر بذلك وأن يعلن نفس هذه العبادة
 مع الاخلاص . فهذه الثلاثة من الست المتقدمة

إذا علمت هذا فما أسهل أن تفهم الآية المذكورة قبيل هذه البسملة في آخر (سورة ص) - قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلمين - وإذا كنا نرى المرأة لا تتكلم في إرضاع طفلها ونعرف الفرق بين إخلاصها في إرضاعه وبين تكلفها في إرضاع زوجها الذي تكرهه مثلا ، فهكذا نحن نعرف الفرق بين الأنبياء في إخلاصهم في تعليمهم الأمم وبين أولئك الذين يبشون في جلودهم ويحملون الناس كأنهم خلقوا لغايتهم . المخلصون لا يتغنون أجرا على عملهم . فنفس العمل مسرتهم ولذتهم وسعادتهم وإن كانوا في السجن أوفى النبي كما ترعى المرأة بالسجن والنفي ولا ترضى بالامتناع عن إرضاع ولدها ، فهذا مثل تقربي لآية - قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلمين -

هذه الآية نزلت لتعبر نحن بها ، فليداوم المرء على الطاعة والبحث والجد في العلم حتى يحسن في نفسه بهذه العاطفة والحب العام ، ولن يكون في القلب الحب العام إلا بمعاودة النظر في هذه العوالم مرة بعد أخرى فهناك تربي عاطفة الحب ، فالحب لا يكون إلا بعد العلم ولا إخلاص إلا مع الحب ، فليكن تعليم المسلمين هكذا

(١) إعداد العقل للفكر

(٢) وإعداد العواطف للحب

(٣) وإعداد اليدين للعمل

إذا علمت ذلك فانظري آيات هذه السورة تجدنا قد أحاطت بما عمله المخلصون من المسلمين (أولا) لهم لوحان يقرؤنهما وهما لوح السموات ولوح الأرضين وتكوير ليلهما ونهارهما وهذا في آية - خلق السموات والأرض بالحق - إلى - ألا هو العزيز الغفار -

فماذا يقرؤن فيهما ؟ يجردون في هذين اللوحين محو واثباتا ، ضوء بمحو الظلام ثم ظلام بعقب الضوء إذن هنا لوحان فيهما محو واثبات كألواح الصبيان في المكاتب ويرون فوق الأرض هذا العمل نفسه فيجب الإنسان مالا وولدا وفتاة جميلة فيجد المال فنى والثرية يعثرها المرض أو الموت والمعشوقة تحل جسمها أو سوء سلوكها أو كبرت سنها ويس جلدتها ، أو يجد نفسه أصيب بأمراض منعه هذه اللذات كلها مع وجودها إذن لا فرق بين الظلمات والأضواء وبين الصور المتتاليات فيما تحجب على الأرض ، فلا جيل إلا قبح ولا شاب إلا كبير ولا صحيح إلا مريض ولا غنى إلا افتقر ولا سحر إلا مات ولا حبيب إلا أعرض ، وكل غدر الأحياء وأسوأ الأبناء وأدبر المقبولين وأذى المحسنون

هنالك يقولون : إن هذه الألواح قد استفادت هذه الصور الجميلة من عوالم وراءها كما استفادت البرتقال قوة الحياة الأرضية من ضوء الشمس فيما تقدم وكما استفادت نفوسنا رجائها من رجة عاتمة . فلننظر إذن ولنفس ما لم نفعل بما فعل . نحن علمنا أن ضوء الشمس فيه قوة الحياة وعلى مقدار إمداده للغذاء تكون قوتنا إذن الغذاء لم تكن فيه هذه القوة من نفسه بل من ضوء الشمس . إذن هذه القوة لم تكن كاملة فيه بل هي اكتسبت من الشمس . إذن فلتكن هكذا نفسى . فإذا كانت طبيعة الأرض عجزت عن أن تعطي البرتقال مثلا وبقية الثمار الفيتامين واحتاجت تلك الثمار إلى عالم فوق أرضنا وهي الشمس فاستمدت منها قوتها هكذا نفوسنا المخلوقات في أجسامنا لم تكن فيها الرجة من نفس المادة الأرضية هذه التي عجزت أن تمدنا الفاكهة بالفيتامين بل رحتها استفادت من رجة تم ظواهر المادة وبواطنها ونسبتها إلى نفوسنا كنسبة ضوء الشمس إلى أغذيتنا وفواكهنا . فإذا احتاجت مادة الأرض إلى ضوء الشمس لتمتد البرتقال بمادة الحياة فلتكون رجة الأم لولدها مستمدة من رجة عاتمة عجزت عنها المادة الأرضية وذلك من باب أولى لأن عواطف الأرواح أرق وأعز من قوى الأغذية

وإذا صح هذا القياس وإن كان اقناعيا فليصح القياس الآتى وهو أن هذين اللوحين الأرضي والسموي

وما صور بينهما من مخلوقات ترى لمن جالا بديعا في الأنوار وفي الصور الجميلة والوجوه الحسنة والأزهار والزرور
فتفرح بعضها ونعشقها ونهم بها غراما ، ثم نرى ذلك كله أصبح كأس الدابر فيقولون إذن لا لا إن هذه العوالم
وراءها من يرسمها وينقشها ويرقشها ويجندرها ويحسن صورها ويملؤها بالروعة والجمال يعطينا دروس
الجمال ويلهمنا العواطف ويملنا الحب ، ثم لا يبقى جيلا أمامنا بل هو يهدم الأرض والسموات وما فيها .
إذن لماذا هذا ؟ ليقول لنا : « أتم عرفتم أن مادة الفيتامين في الغذاء لم تكن من المادة بل من ضوء
الشمس وعرفتم أن الرجة فيكم لم تكن من عندكم بالبرهان فما أسهل أن تعلموا أن المادة لم ترسم هذه
الرسوم والأشكال ولم تبعد هذا الجمال ، إذن الجمال عندي أنا فليكن حيك لي حبا راجعا الى جمال فوق
ما رأيتم ، لقد رأيتم آثار الرجة وأغرمتهم بآثار الجمال والنقوش والعلوم والأزهار والصور الحسان . هذه كلها
آثار الجمال لانفس الجمال ، فارتقوا في الأسباب وافرحوا بما سترون من جمالي ، هنالك ترون جالا لا حد
له وتعجبون حبا لانهاية له « رب الدار أحب الى الزائر من نفس الدار » وهذه العوالم المنقوشة المرصوفة
المجنردة المزوقة المرقشة البهجة المحكمة الصنع رسل أرسلت اليكم لتفريكم بأن تروا من نقشها وصورها
فأحسن صورها ، فإذا سمعتم قولي - الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون - فاعلموا أني
أنا الذي أصبتكم بهذه المصائب لأنني أربأ بكم أن تعيشوا في هذه العوالم التي ليس لها عندي منزلة أكثر
من منزلة الأنواع للصبان فأنا أرسلتكم الى الأرض لتدرسوها وأرسلت عليكم النكبات لتتركوها ، وبعد أن
أربتكم الجمال حرمتكم منه وسومتكم من كل ما تحبون لأن وظيفة المادة تعليمكم ولا بد من نقلكم الى عالم
آخر يكون أجدر بنفوسكم وأحق بها وفوق كل جيل أجل منه - وفوق كل ذي علم عليم -

ليس على الأرض محبوب إلا لخصلة من خصال خمس : أن يكون جيلا أو عليا أو شجاعا أو محسنا أو بينه
وبين المحب له سر مجهول غير ظاهر ، ولا جرم أن الجمال والعلم والشجاعة الخ لابقاء لها في الأرض فمن
أين أقبلت والى أين ذهبت ؟ ان كل هذه إلا آثار أنا خالقها والى ترجع . فكل الجمال والعلم والقدرة والحكمة
منى ظهرت والى ترجع لتوجهوا حيك الى منبع الجمال والعلم والحكمة والقوة - وان الى ربك المنتهى -
« من ذا الذي يرى عنايقنا التامة بالحشرات فأعطينا النملة (٤٠٠) عين كل واحدة مستقلة عن أختها
وهكذا الذبابة أربعة آلاف عين وألمنناهن كل ما يحتجن اليه في الحياة ! من ذا الذي يرى هذا ولا يزيداد
لنا حبا وبقدرتنا وعلمنا إعجابا ويمنى لقاءنا » والى هنا تم الكلام على اللوحين : لوح الأرض ، ولوح
السماء في آية خلق السموات والأرض (ثانيا) هذه الطائفة درسان : درس خلق الحيوان والانسان .
ودرس خلق النبات وازال الماء في قوله تعالى - خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها - وههنا
ذكر الأنعام ومحائب الخلق والاحكام . الرجة الخ وفي قوله - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء - الى قوله
- إن في ذلك لذكرى لأولى الألباب - فههنا أظهر المحاسن الباطنة والأنوار الروحانية في ابداع الخلق الذي
لا يعرف إلا بالعلم والحكمة وما تقدم أكثره في الجمال الظاهر (ثالثا) هذه الطائفة ليها قيام وصلاة وفكر
وعلم حبا لله وشوقا اليه - أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما - الخ (رابعا) هم صابرون ولهم مسرات
في الدنيا كما لهم في الآخرة - قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا - الخ (خامسا) من
أخلاقهم التعقل والحكمة فلا يقبلون قولاً إلا بعد تفقده واستخلاص الحقيقة منه - الذين يستمعون القول -
الآية (سادسا) هم خلفاء الله قوامون على عبادته يبشرونهم بالرجة ويخوفونهم بالنقمة - قل يا عبادي
الذين أسرفوا - الى قوله - م لا تنصرون - (سابعا) هذه الطائفة تنال الرضا والعلم وانسراح الصدر
والهدى وأن الله يكفيهم وذلك في آية - قل هل يستوى الذين يعلمون - الخ وآية - وان تشكروا يرضه
لكم - وآية - أفن شرح الله صدره للإسلام - الخ وآية - الله نزل أحسن الحديث - الى قوله - ذلك

هدى الله بهدى به من يشاء - وآية - أليس الله بكاف عبده - الخ (ثامنا) يكون جزاؤهم أن يكونوا في غرف من فوقها غرف مبنية الخ وأن تشرق لهم الأرض بنور ربهم ، وأن تسلم عليهم الملائكة وتحييهم وهناك يرون ما هو أعلى وأجلّ وهو نهاية النهايات إذ يرون الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم فتكون لهم أعلى اللذات ويقولون الحمد لله رب العالمين ، وهذه اللذة العقلية تقدّمها اللذة الحسية في الغرف التي فوقها غرف مبنية ، وهل هذه اللذة إلا بالعلوم والمعارف ، وهل التسبيح والتحميد اللفظيان إلا مقدّمتان للتسبيح والتحميد العقليين ، وما ذلك إلا ادراك نظام هذه العوالم ، ولن تكون هذه اللذة في الآخرة إلا بمقدّمات في الدنيا بل من لم يدرك بعضها في الحياة فكيف يستكملها بعد الموت . إن الذكر اللفظي يراد به أن يكون وسيلة للتعلّل . ألم تركيب يقول الله تعالى - الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض - الخ فالذكر اللفظي مقدّم للتفكير والتفكير هو المقصود ومقصوده هو مجال النظام العام ، والعامة يتكفنون بالحد والتسبيح المنظمين وينتظرون الثواب في الآخرة بالجنة ، وهذه المرتبة هي التي يدخل فيها أكثر الناس فتكون العبادة لها مقابل وهو ثواب الآخرة وهؤلاء يقلّ حظهم العقلي ، أما أولئك المتفكرون العارِفون الواقفون على الحقائق فينالون فوق الجنة الحسية سعادة اللقاء والنظر لوجه ربهم ومقدّمات هذا دراسة هذه الدنيا ، واعلم أن ما في هذا التفسير أو أكثره من العجائب كاف لايجاد هذه الطبقة الشريفة ، فهم هم الذين يسعدون في نفس هذه الحياة بجمال العلم ويكون مبدأ الجزاء حاصلًا في الدنيا وهو الابتهاج بنفس هذه الحقائق ويكونون نورا للأُمم وهم خلفاء الله في أرضه عليهم يقول الناس في دنياهم وفي طريق آخرتهم والانسانية المستقبلية مدارها على أمثال هذه الطائفة

وإذا شئت زيادة البيان فاقرا ما تقدّم عن « اخوان الصفا » في جزاء المحسنين إذ جعل ثواب المحسنين في هذه الحياة الدنيا انهم يفرحون بالوقوف على الحقائق في معجائب المعادن والنبات والحيوان والسماء والأرض وهكذا نقلت جملة عن الامام الغزالي هناك في نحو هذا وهكذا تنظر ماجاء في (سورة السجدة) من الكلام على جسم الانسان وموازيته بالعوالم وما جاء في (سورة فاطر) عند آية - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء - من أن معرفة العجائب هي نهاية اللذات لهذا النوع الانساني ، وما هذه العجائب إلا آثار الرحمة المذكورة في البسملة في أول السورة ، وتلك الآثار بمعرفتها يكون الحب والحمد المذكور في آخرها . فلرحمة أولا والحمد والحب والحمد آخرها وهذا من عجائب القرآن

أست بهذا أيها الذكي تفهم سرّ النبوة إذ روى الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « لقيت ليلة أسرى بي ابراهيم عليه السلام فقال لي : يا محمد أقرئ أمّتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وانها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » ولاجوم أن العلوم والمعارف المنطوية في التسبيح والتحميد هي أعلى الجنة وهنّ من عجائب النبوة . اذا عرفت هذا فاسمع ماجاء في كتاب « تيسر الوصول لجامع الاصول » تحت العنوان الآتي مانصه :

(فصل في الاستغفار والتسبيح والتهليل والتكبير والتحميد والحولقة)

عن ابن عمر بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « خصلتان أوخلتان لا يحصيهما رجل إلا دخل الجنة وهما يسير ومن يعمل بهما قليل : يسبح الله في كل صلاة عشرة ، ويحمده عشرة ، ويكبره عشرة فلقد رأيت رسول الله ﷺ يعقدها بيده . قال : فتلك خمسون ومائة باللسان وألف وخمسةائة في الميزان واذا أخذت مضجعتك تسبحه وتكبره وتحمده مائة مرة فتلك مائة باللسان وألف في الميزان فأيكم يعمل في اليوم والليلة ألفين وخمسةائة سيئة قالوا كيف لا تحصيهما يا رسول الله ؟ قال يأتي أحدكم الشيطان وهو في صلاته فيقول : اذ كر كذا وكذا حتى يقتل فعله أن لا يفعل ويأتيه في مضجعه فلا يزال ينومه حتى ينام »

وعن ابن أبي أوفى رضى الله عنهما قال : « جاء رجل فقال يا رسول الله لأستطيع أن آخذ من القرآن شيأ فعلنى مايجزئنى ؟ قال : قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله . قال يا رسول الله هذا لله فماذا لى ؟ قال : قل اللهم ارحمنى وعافنى واهدنى وارزقنى . فقال : هكذا يديه قبضهما فقال صلى الله عليه وسلم أما هذا فقد ملأ يديه من الخير » أخرجه أبو داود بنامه والنسائى الى قوله « ولا قوة إلا بالله » وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول قبل موته سبحان الله وبحمده أستغفر الله وآتوب اليه . فقلت له فى ذلك ؟ فقال أخبرنى ربى انى سارى علامة فى أمنى فاذا رأيتها أكرت من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وآتوب اليه فقد رأيتها - اذا جاء نصر الله والفتح - السورة » أخرجه الشيخان

وعن أنى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب الى مما طلعت عليه الشمس » أخرجه مسلم والترمذى وعن بسيرة مولاة لأبى بكر الصديق رضى الله عنهما وكانت من المهاجرات الاول . قلت : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالتسبيح والتهليل والتكبير واعقدن بالأنامل فانهن مسؤلات مستنطقات ولا تغفلن فتسبين الرحمة » أخرجه أبو داود والترمذى واللفظ له وعن أنى بكر الصديق رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أصر من استغفر ولوعاد فى اليوم سبعين مرة » أخرجه أبو داود والترمذى

وعن أغر مزينة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنه ليغان على قلبى حتى أستغفر الله فى اليوم مائة مرة » أخرجه مسلم وأبو داود ، وفى رواية لمسلم « توبوا الى ربكم فوالله إنى لأتوب الى ربى تبارك وتعالى فى اليوم مائة مرة » وللبخارى والترمذى عن أنى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « والله انى لأستغفر الله وآتوب اليه فى اليوم سبعين مرة » قوله (ليغان) أى يغطى ويغشى والمراد به السهو

وعن أسماء بن الحكم الفزارى قال سمعت عليا رضى الله عنه يقول : « كنت اذا سمعت حديثا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فنعنى الله تعالى بما شاء أن يتفنى منه ، واذا حدثنى رجل عنه استحلقتة فاذا حلف لى صدقته ، واه حدثنى أبو بكر الصديق رضى الله عنه وصدق أبو بكر . قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل بذنب ذنبا ثم يقوم فيتطهر ويصلى ركعتين ثم يستغفر الله تعالى إلا غفر له ثم قرأ - والذين اذا فعلوا فحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم - الآية » أخرجه أبو داود والترمذى وعن أنى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير فى يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه ، ومن قال سبحان الله وبحمده فى يوم مائة حطت خطاياها وان كانت مثل زبد البحر » أخرجه الثلاثة والترمذى

وعن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحاه عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة » وفى رواية عوض الثالثة « وبني له بيتا فى الجنة » أخرجه الترمذى

وعن جويرية زوج النبي ﷺ رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال : ما زلت على الحال التي فارقتك عليها قالت نعم ، قال : لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن سبحان الله وبحمده ، عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته ، أخرجه النسائي إلا البخاري ، وقوله زنة عرشه أى بوزن عرشه فى عظم قدره ، ومداد كلماته أى مثلها وعددها ، وقيل المداد مصدر كالمذ

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « كلنان خفيفتان على اللسان ، قيلتان فى الميزان ، حبيبتان الى الرحمن : سبحان الله وبحمده . سبحان الله العظيم » أخرجه الشيخان والترمذى وعنه أيضا رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « أكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله فانها كنز من كنوز الجنة » قال مكحول : فمن قالها ثم قال « لا منجى من الله إلا إليه » كشف الله عنه سبعين بابا من الضرر أذناها التفر . أخرجه الترمذى . وبهذا تم الكلام على القسم الأول فى تفسير البسملة والحمد لله رب العالمين

﴿ القسم الثانى ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ • إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ • أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَخْتَصُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ • إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدَىٰ مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَذَّابٌ • لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَا أَصْطَلِقُ بِمَاءٍ يُخْلَقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ • خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْفَعَّالُ • خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا ذَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنْ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَدَنٍ خَافٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ • إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ • وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَقَّ رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَدَىٰ مَا سَكَانَ يَدْعُوا إِلَىٰ مَن قَبْلُ وَجَعَلَ اللَّهُ أُنْدَادًا لِّلْبَيْتِ عَنِ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ • أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَانِمًا تَحْدُرُ الْأَعْيُنَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ • قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا
 سَنَةً وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ • قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أُعْبُدَ
 اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ • وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ • قُلْ إِنِّي أَخْلَفْتُ إِنْ هَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ
 عَظِيمٍ • قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْهُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي • فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ • قُلْ إِنْ أَخْلَسْتُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا
 أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ الَّذِينَ • لَهُمْ مَنْ قَوْمِهِمْ ظُلْمٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ
 قَوْمِهِمْ ظُلْمٌ ذَلِكَ بِحُوفِ اللَّهِ بِعِبَادِهِ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ • وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا
 وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ • الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ
 هَدَاهُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ وَالْتِكُ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ • أَقْنِ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابِ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُ تَنَقَّذُ مِنَ النَّارِ •
 لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ
 لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْوَعْدَ • أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ
 زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُغْفَرًا ثُمَّ يُجْعَلُ حَطَّاءًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ •
 أَقْنِ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ
 فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ • اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا يَتَقَرَّبُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ
 رَبَّهُمْ • ثُمَّ نَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَفُلُوبَهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ
 فَالَهُ مِنْ هَادٍ • أَقْنِ يَتَّقِي بَوَاجِهِمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ دُوقُوا مَا كُنتُمْ
 تَكْسِبُونَ • كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاتَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ • فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ أَلْحَزَنَ
 فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ • وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ
 كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ • قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ • ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا
 رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ • وَرَجُلًا سَلَمًا رَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ
 لَا يَعْلَمُونَ • إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ • ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ • فَمَنْ
 أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصَّدَقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ • وَالَّذِي جَاءَ
 بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ • لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جِزَاءُ الْمُحْسِنِينَ •
 لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ • أَلَيْسَ اللَّهُ
 بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَالَهُ مِنْ هَادٍ • وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَالَهُ مِنْ
 مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ • وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ

أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ * قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُثِيمٌ * إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ بِوَكِيلٍ * اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ كُتِبَ فِيهَا مَنَاقِبٌ فَلِنَفْسِكِ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * أَمْ أَخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ أَوْ لَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَقْتُلُونَ * قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْتَمَزَتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالنَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَّ اللَّهُ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ * وَبَدَّ اللَّهُ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا لَهُمْ بِمُعْجِزِينَ * أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(تنزيل الكتاب) وهو القرآن كائن (من الله العزيز الحكيم) أي لاس غير (إنا أنزلنا إليك الكتاب) ملتبساً (بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين) من الشرك والرياء (ألا لله الدين الخالص) أي هو الذي وجب اختصاصه بأن تخلص له الطاعة من كل شائبة (والذين اتخذوا من دونه) أي من دون الله (أولياء) أي الأصنام قالوا (مانعدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) أي قربته فانهم كانوا إذا قيل لهم من خلقكم وخلق السموات والأرض فيقولون الله فيقال لهم فما معنى عبادتكم الأوثان فكانوا يجيبون بما تقدم (إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون) من أمر الدين (إن الله لا يهدي) أي يرشد لدينه (من هو كاذب) فيقول ان الأصنام تشفع (كفار) باتخاذ الآلهة (لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى) اختار (عما يخلق ما يشاء) يعني الملائكة ثم نزّه نفسه فقال (سبحانه هو الله الواحد القهار) في ملكه الذي لا شريك له فيه ، فقهره مطلق

في المخلوقات فكيف يجوز عليه أن يقهره غيره فيموت فيحتاج الى الولد . كلا . فقهره عام في العالم العلوي والسفلي ، أما في العالم العلوي فهو قوله (خلق السموات والأرض بالحق يكفور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) والتكوير الف والحق يقال كالعمامة على رأسه وكورها ، ولا جرم أن كل واحد من الليل والنهار في متابعتها أشبه بتتابع أكوار العمامة بعضها على بعض . الأثرى الى الأرض وقد دارت حول نفسها وهي مكورة فأخذ النهار الناشئ من مقابلتها للشمس يسير من الشرق الى الغرب يلف حولها طابوا الليل ، والليل من الجهة الأخرى يلف حولها طابوا النهار ، فالأرض كل رأس والظلام والضياء يتابعان تتابع أكوار العمامة ويلتفنان متتابعين حولها ، وهذا التعبير من أعجب ما يعلم به أن القرآن يرشدنا الى كروية الأرض أولا ويرمز الى دورانها حول نفسها ثانيا ، ذلك لأن الليل والنهار ليسا من خواص الشمس فلليل والنهار هناك وإنما هما في الأرض فتكوير الأرض ظاهر الآية ودورانها أتى تابعا بالرمز والاشارة وقوله (وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى) أى الى منتهى دوره أو منقطع حركته (ألا هو العزيز) الغالب على كل شئ ومنه الشمس والقمر (الغفار) حيث لم يعاجل بالعقوبة . وأما العالم السفلي فقوله تعالى (خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها) أى خلق الله نفس آدم وجعل منها حواء وجعل منهما ساكنات الناس ولم يخلقهم بلاعناية بل أنزل الماء من السماء وأنبت الزرع والشجر وخلق الابل والبقر والغنم والمعز من كل نوع منها زوجين اثنين ذكرًا وأنثى فتكون كلها ثمانية أزواج وتلك الأزواج الثمانية تتغذى بالنبات والشجر النابتة بالماء النازل من السماء فكأنها كلها نزلت من السماء . وقيل ان هذه الأزواج الثمانية نزلت من السماء وهذا يوافق قول بعض علماء العصر الحاضر على سبيل الحدس والتخمين أن أصول المخلوقات نزلت من عالم آخر غير الأرضي والأمر في هذا غير معلوم فنكله الى الله تعالى . فالقول البشرية لا تطبق هذه الحقائق العالية وهذا قوله تعالى (وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج) ثم أخذ يصف عجائب خلق الانسان والأنعام في الأرحام ويظهر الجوانب في ابداعهما فقال (يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق) نطفة ثم علقة ثم مضغة وهكذا الى تمام الخلق (في ظلمات ثلاث) ظلمة البطن والرحم والمشيمة (ذلكم) الذى هذه أعماله (الله ربكم) هو المستحق لعبادتكم (فأتى تصرفون) فكيف يعدل بكم عن عبادته الى عبادة غيره على أن الله لم يكلف الناس بالعبادة إلا لرفق نفوسهم فأما هو فغنى عن عبادتهم وهذا قوله (إن تكفروا فإن الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر) لأنه خلق النفوس الانسانية والعالم كله لارتقائه ونشوئه فلذلك قال - ولا يرضى لعباده الكفر - الذى هو مانع من ارتقاء النفوس وان كان بارادته لمانع قام بنفس حقائق تلك النفوس تعلقت الارادة به على ما هو عليه (وان تشكروا يرضه لكم) لأنه على مقتضى سفته القويم العادل وصراطه المستقيم (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أى لا يؤخذ أحد بذنب الآخر (ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون) بالمحاسبة والمجازاة (إنه عليم بذات الصدور) فلا يخفى عليه خافية من أعمالكم (واذا من الانسان ضرا دعاه به منيا اليه) راجع اليه بالدعاء لا يدعوه غيره (ثم اذا حو له) أى أعطاه (نعمتمنه) من الله (نسي ما كان يدعوا اليه) أى نسي الضر الذى كان يدعو الله الى كشفه (من قبل وجعل لله أندادا) وهى الأضنام (ليضل عن سبيله) أى ليرد عن دين الله تعالى (قل) هذا الكافر (تمتع بكفره قليلا) فى الدنيا الى انتضاء أجله (انك من أصحاب النار) وهى عمرة فى الكفار (آمن هو قانت آتاء الليل ساجدا وقائما) أى بل آمن هو مطيع كمن هو عاص ، وقوله - آتاء - أى ساعاته ، وقوله - ساجدا وقائما - حالان من ضمير قانتا ، وقوله (يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) حالان أيضا ، والقنوت القيام على الطاعة كقراءة القرآن وطول القيام ، وبالجملة كل من قام بعمل يثاب عليه (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) بعد أن ذكر الله تفضيل المطيع على العاصى وذلك فى القوة العملية أخذ يوازن بينهما من حيث القوة العلمية فنفى المساواة بين العالم وغير العالم ولم يبين نوع

العلم اشارة الى أن وجه الموازنة بين الناس ليس مختصا بعلم واحد بل جميع العلوم ، ولاجرم أن العلوم ثلاثة أقسام علوم لا تتوقف على عمل كالعلم بالله وملائكته الخ وكالعلوم الحكيمية وعلوم يستتبعها عمل كعلم النطق وعلم قوامه العمل بجميع الصناعات ، وهذه الأقسام الثلاثة كلها فيها علم ولوقل . فالنجار والخائض والناسج كل هؤلاء صناع والعمل في صناعتهم أكثر من العلم بل لانسبة بين علومهم وأعمالهم والمهندس وعالم الفلك علمهم أغلب من أعمالهم . فكل طائفة من هؤلاء أفضل من الجاهل من حيث ما عرف . وعليه تكون الأمم العالة بهذه العلوم أفضل من الجاهلة بها . فالفضل تابع للعلم . وعلى مقدار معارف الانسان يكون فضله . ولاجرم أن المسلمين اليوم اكتفوا بلفظة تداولت على ألسنتهم وهي انهم مؤمنون . ومتى قال الانسان آمنت وأسلمت فانه اذا ترك نفسه مهملا عاطلا حق له الفضل وهذا خطأ فاضح فان الله فاضل بين النفوس بالعلوم . فالنفس العالة بما هو من طباعها وما قدر عليه بحسب استعدادها أفضل من النفس الأخرى التي قدرت على علم وتركته جهالة بقدرها واتكالا على صفة الايمان . فمن كان أهلا لعلم الهندسة أو النطق وتركه ندالة وجهالة وكسلا وكان هناك آخر مستعد بطبعه وبحاله المنزلية الى حرفة الحدادة أو البرادة فقام الثاني وأتقن حرفته وقام بها خير قيام فان هذا الثاني أفضل من الأول لأنه قام بما يقدر عليه ولو كان أقل فضلا عما يقدر عليه الآخر الذي لم يقم بما هو في امكانه تحصيله كما ان الانسان اذا ترك التعقل والتفكير ودخل في عدد الجهامات بذلك الاهمال صار ادنى منها منزلة لأنها قامت بما في طاقتها وهو قصر ولتلك قال تعالى - أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون - أي عما أودع فيهم . وعلى هذا التفسير يكون المسلمون اليوم قد تركوا مواهبهم وعطلوها وأناموها وهذا نزول من المتصدين منهم عن بعض خصائص الانسانية لأن الحيوان لا قدرة له على الصناعات ولا العلوم وقد سهل الله له الرزق ولم يجشمه المشاق فوق طاقته . أما الانسان فانه جعل رزقه غير مبسور مركز في الحيوان وبسط له المواهب ليستعملها فاذا قصر فيها فقد تنزل الى الحيوانية . وقد اعتاد المسلم أن يقصر ذلك على الايمان وحده . ولكن هذه الآية تعم وتدعو الى درس سائر العلوم والصناعات بحيث يخص كل فيما خلق له - لا يكف الله نسا لإلوسها - فليقم كل فرد من الأمة بما يواتى طبعه . فخرام على رجال الحل والعقد في مصر والشام وجزيرة العرب وبلاد الترك والروس والفرس وبلاد المغرب أن يبقوا مكتوفي الأيدي بل عليهم أن يعمموا التعليم ثم ليختاروا على حسب درجات الامتحان لكل علم ولكل حرفة من هم أهل لها ويراعي في ذلك القوة البدنية والاستعداد والأحوال العارضة . وحينئذ يتخرج في كل قطر من أقطار الاسلام طوائف للعلوم والصناعات جميعها ويتم النظام كما هم النظام في تزاوج الذكور والاناث إذ جاء العدد متساويا في الزوجين تقريبا في كل زمان ومكان . هكذا خلقت الفرائز - ولكن أكثر الناس لا يعلمون - . إن الفرائز خلقت في الناس على قدر الحاجة فقل الأذكىاء للحكمة مثلا وكثر أصحاب الأعمال الجسمية ليم نظام المدن (إنما يتذكروا الأبواب) فيقومون بأمر العلم ويرقون نفوسهم وغيرهم وسيأتي في اللطائف مزيد لهذا (قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم) بلزوم طاعته (للمؤمن أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) أي للذين أحسنوا حسنة في الدنيا كالصحة والعافية ، فجعل الله الحسنه في مقابلة الاحسان ، فاذا سار على طريق علم الصحة فذلك احسان ، واذا استقام وترك الذنوب واذا فعل البر والمعروف واذا قام بالطاعات ، كل ذلك إحسان ، ونتيجة هذا الاحسان من الانسان الحسنات في الدنيا من العافية والصحة وحب الناس وفي الآخرة الجنة (وأرض الله واسعة) فمن تصرع عليه الاستقامة في بلد فليرحل الى غيرها ، فليهاجر الانسان من البلد التي فيها معصية الى بلد لا معصية فيها (إنما يوفى الصابرون) على مشاق الطاعات واحتمال البلاء ومهاجرة الأوطان (أجرهم بغير حساب) أجر الايهتدى اليه حساب الحاسب . وعن علي رضي الله عنه : « كل مطيع يكال له كيلا ويوزن له وزنا إلا الصابرون فانه يحسب لهم حثيا » و يروى « ان أهل العافية في الدنيا يتمنون لو أن أجسادهم تقرض بالمقاريض لما يذهب

به أهل البلاء من الفضل ، وقوله (قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين) أي أمرت باخلاص الدين
(وأمرت لأن أكون أول المسلمين) أي وأمرت بذلك لأجل أن أكون أول المسلمين أي مقدمهم وسابقتهم
في الدنيا والآخرة . فقد أمر أولا بالاخلاص في الدين وثانيا بأن يكون سابقا ليقتدى به غيره (قل إني أخاف
إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم) لما دعاه قومه الى اتباع ملة آباءه وأجداده أمر أن يقول ذلك وليكون
ذلك إخافة لأتمته اذا حادوا عن الصراط لأى داع (قل الله أعبد مخلصا له ديني) أي لا أعبد سواه وهذا
الحصر لا يستفاد من قوله - قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين - وأيضا ذكر هذا ليرتب عليه قوله
(فاعبدوا ما شئتم من دونه) وهذا تهديد وخذلان لهم (قل إن الخاسرين) الكاملين في الخسران (الذين
خسروا أنفسهم) بالفضلال (وأهلهم) بالاضلال (يوم القيامة) حين يدخلون النار (الأذلك هو الخسران
المبين) مبالغة في خسراتهم (لهم من فوقهم ظلل من النار) شرح لخسراتهم (ومن تحتهم ظلل) أي لهم
أطباق وسرادقات من فوقهم وفراش ومهاد من تحتهم وهي من جهة أخرى ظلل لمن هم تحتهم في النار فهي
ظلل بالنسبة لمن تحتهم فراش ومهاد بالنسبة لهم (ذلك) العذاب (بمخوف الله به عباده) ليجتنبوا ما يوقعهم
فيه (ياعباد فاتقون) ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي (والذين اجتنبوا الطاغوت) الأوثان (أن يعبدوها)
بدل اشتغال (وأنا بوا الى الله) ورجعوا الى عبادته بالكلية وتركوا ما سواه (لهم البشرى) في الدنيا بالثناء
عليهم بصالح الأعمال . وعند نزول القبر . وعند الخروج من القبر . وعند الوقوف للحساب . وعند جواز
الصراط . وعند دخول الجنة . وفي الجنة . ففي هذه المواطن السبعة يشرون بالسعادة والرضوان ويسعدون
سعادة بالروح والريحان (فبشر عباد) وهم الذين اجتنبوا الطاغوت وأنبأوا يريد أن يكونوا مع الاجتناب
والانابة على هذه الصفة وهي أنهم (يستمعون القول) في الدين وغيره (فيقبعون أحسنه) بحيث يكونون
تقادين فيميزون بين الحسن والأحسن والفاضل والأفضل فيقدمون الواجب على المنسوب في الدين والمنسوب
على المباح . واذا جنى عليهم وقدروا على العفو قدموه على القصاص . واذا رأوا طريقين في أمور الحياة قدموا
ما هو أنفع للأمة كاستعمال الآلات الحديثة في الزراعة والصناعة كاستعمال الطائرات في النقل في الحرب
والغواصات البحرية وكاختراق باطن الأرض لاستخراج المعادن وهكذا من كل ما به يرتقى نوع الانسان .
فهؤلاء يبشرهم النبي ﷺ بأمر ربه أن يسودوا في الدنيا وتثنى عليهم الأمم والأجيال المقبلة . واذا ماتوا
بشرتهم الملائكة في المواكب كلها فتصل البشارة لهم في سائر المواطن (أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم
أولوا الألباب) أي المنتفعون بعقولهم ، فانظر في هذا التعبير وكيف يقول إن الذين يستمعون القول فيقبعون
أحسنه هم الذين هداهم الله وهم أولوا الألباب . مدحهم بالهداية وبالقول الكاملة . لماذا ؟ لأنهم يمتثلون
خيرا للأميرين في دينهم ودنياهم . أقول : ولولم يكن في القرآن إلا هذه الآية لسكنت في ارتقاء المسلمين في هذه
الحياة الدنيا . ألايت شعري كيف نام الناس وتركوا عقولهم كأنها لم تخلق فيهم . يرى المسلمون الأمم قد
ارتقت صناعاتها وتجاراتها وأعمالها وعلومها وهم نائمون . أليس هذا كلام الله ! وسيقوم قريبا في هذا العصر
من يرقون هذه الأمة من أبنائها - ولتعلمن نبأه بعد حين - . ولما كان الاستعداد الانساني هو الذي اليه
المرجع في رقى الانسان وانحطاطه وهوتايع للقضاء والقدر ، فاذا سبق بعذاب على امرئ لم يكن للهداة قدرة
على اصلاحه أعقبه بقوله (أفمن حقّ عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار) أي أنت مالك أمرهم فمن
حقّ عليه كلمة العذاب لعدم أهليته للكمال فأنت تنقذه . كلا . فليس لك أمرهم . قد كررت الهزيمة في الجزاء
لنا كيد الانكار ووضع - من في النار - موضع الضمير لعماء الى أن دعاهم الى الايمان سعى في اتقادهم
من النار المحققة (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية) يقول الله : للكفار ظلل من النار
واللذين عللوا بعضها فوق بعض (تجري من تحتها الأنهار) من تحت تلك الغرف وعدمهم الله ذلك (وعند

﴿ الكلام على أعظم أسباب دخول الجنات ﴾

(والارتقاء الى أعلى الدرجات)

اعلم أن الله تعالى لما ذكر الجنة وغرفها وأنهارها وأن وعده فيها لاشك فيه أردفه بذكر انزال الماء من السماء وادخاله ينابيع في الأرض وسقى الزرع به ، ثم أعقبه بالكلام على شرح الله لسدر المؤمن للاسلام ودم الذين قست قلوبهم ، ومدح القرآن وأنه أحسن الحديث يشبه بعضه بعضا في الحسن ولاعمل تلاوته ، تضطرب منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله بالرحمة وعموم المغفرة . ذكر أنهار الجنة وغرفها فناسب أن يذكر نعم الأرض ، كأن الله يقول لنا : « هل شاقكم نعيم الجنان ، هل أحببتم الغرف التي فوقها غرف مبنية ، هل تفرحون بأنهار الجنة وأشجارها ؟ إذا كان كذلك وهو حقا ما فطرتم عليه فانظروا أنهارى في أرضكم وتجبوا من المطر النازل من السماء والمسالك والمجارى والعروق التي تخلت أرضكم وقد تنوعت تلك الينابيع وتنوعت خواصها وأنبتت الزرع والكلا والخصب ونفعت نفعا كثيرا ، إذا فكرتم في ذلك فان قلوبكم تنشرح للحكمة والعلم وتستنير بصائرهم بالأنوار البانية ، فاقروا القرآن فهو أحسن الحديث لفظا ومعنى ، ذلك هو السبيل المستقيم لدخول الجنة والتمتع بغرفها وأنهارها وأشجارها ، فالأنهار والزروع كما تبقى بها الأجسام ترقى بها العقول ، فالعقل بالتفكير والجسم بالغذاء والدواء . فانظروا كيف جعل الله جنات الدنيا وحدائقها أسبابا لجنات الآخرة وغرفها . انظروا كيف كان التفكير في جنات الأرض سعادة نفسية كما أن الانتفاع بها سعادة جسمية ونتيجة ذلك دخول الجنة . فبالت شعري كيف أعرض المسلمون وغفلوا . جنات في الدنيا أمروا بالتفكير فيها ولاتفكر فيها إلا بوجودها . اللهم أزل الجهالة من بلاد الاسلام وأذقهم نعمك كما ذاقوا مرارة النعمة والاذلال - إنك أنت السميع العليم -

ذلك قوله تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) أى المطر (فسلكه) فأدخله (ينابيع في الأرض) عيون ومسالك ومجارى كما يرى للانسان عروق ومسالك في جسده أى حال كونه ينابيع (ثم يخرج به) بالماء (زرعاً مختلفاً ألوانه) هيئاته من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وكونه برا وشعبرا وسمما ودواء وغذاء الى ما لاحصر له (ثم يهيج) يهيج (فقراه مصفرا) بعد نضارته وحسنه (ثم يجعله حطاما) فتانا متكسرا فالحطام كل ما نقتت من نبت وغيره (إن في ذلك لذكرى) لتذكيرا بحكمة الصانع (لأولى الألباب) الذين تقدم القول فيهم انهم يستمعون القول فينبعون أحسنه وأن الله هداهم ومن هدايته لهم انهم يتفكرون في هذه العجائب

﴿ لطيفة في المياه والينابيع ﴾

(الماء الصالح للشرب)

اعلم أن الله عز وجل جعل الماء الصالح للشرب محتويا على ما ينفع الجسم من المواد الغريبة عنه مثال ذلك :

(١) أملاح قليلة مركبة من الكربون والكالسيوم

(٢) وأخرى مركبة من الكربون أيضا والمغنسيوم

(٣) وقليل من الفلور

(٤) والكلور كل منهما مركب مع مادة أخرى

(٥) والسليس

وعما يلزم في الماء الصالح للشرب :

(١) أن يكون باردا

(٢) وطعمه خفيف

(٣) ومذيب لمقدار من الهواء

(٤) ومذيب للصابون

(٥) ومنضج للبقول

ويجب أن لا تزيد الأملاح في الماء عن (٥٠) سنتي جراما في اللتر الواحد . وهذه المواد الداخلة في الماء قد جعلها الله فيه لأن البنية تحتاج اليها والأغذية لا تحتوي على مقدار كاف منها . فانظر كيف جعل الله الكالسيوم المركب مع الكربون والمغنسيوم المركب أيضا ومركبات من الكالسيوم ومن الفلورومن السليس انظر كيف جعلها في الماء الذي نشربه ونحن لاعلم لنا بها . وجعل احتواء الماء على هذه شرطا لانتفاعنا بالماء . فاذا نقصت هذه المواد قل انتفاعنا بالماء . واذا زادت كانت المياه ضارة بنا ولم تصلح لشربنا

﴿ المياه المعدنية ﴾

انظر الى الينابيع في الأرض كيف جعلها الله لتتوزع المياه . فبينما الماء ينزل من السماء مطرا اذا هو في الأنهر جاريا ساقيا للزراع اذا هو في مجار تحت الأرض يجرى والناس من فوقها لا يعلمون وانما يحفرون الآبار فتخرج مياه من تلك المجارى فيجدونها مختلفة الصفات وبها يتداولون ومنها يشربون . وكثيرا ما يستخرجون من تلك المياه أملاحا نافعة في الصنائع

(١) - ﴿ المياه الحارة : مثل ماء فيشى ﴾

ومن المياه ما تكون حرارتها مرتفعة عن درجة الحرارة الاعتيادية لكونها آتية من أغوار الأرض أو لكونها بالقرب من البراكين . فهذه المياه تسمى بالمياه المعدنية الحارة وذلك كماء فيشى التي درجة حرارتها (٤٥) واعلم أن الأسماء المعدنية تختلف تسميتها بحسب المعادن التي فيها

(٢) - ﴿ المياه الغازية والمياه الحمضية التي تفور بتعرضها للهواء ﴾

تلك مياه فيها حمض الكاربونيك ذائبا ومركبات كربونية قلوية أيضا وملح الطعام والحديد المركب مع الكربون ومثل هذه تفور متى تعرضت للهواء . وذلك مثل ماء سلس

(٣) - ﴿ المياه القلوية : ماء فيشى ﴾

يكون فيها مركبات الصوديوم وبعض مركبات الكربون

(٤) - ﴿ المياه الكالوريه ﴾

يكون فيها ملح الطعام ومركب الكالور مع البوتاسيوم والكالسيوم والمغنسيوم وهكذا

(٥) - ﴿ المياه الكبريتية ﴾

مثل مياه مدينة حلوان . ففيها مركبات الكبريت المختلفة

(٦) - ﴿ المياه الحديدية ﴾

كماء (أورتزا) فيها حديد متحد بالكربون

فتجب من هذه المياه المختلفة الآتية من الينابيع وانظر قوله تعالى - فسلكه ينابيع في الأرض - وتجب كيف كان في تلك الينابيع حديد أو كبريت أو كالور والكالور قد علمت فيما مضى انه أحد العنصرين المركب منهما ملح الطعام . أو كربون وهو المادة الفحمية أو غيرهما من المعادن

انظر كيف تسمع الناس في مصر وغير مصر يقولون : تعال لنستشفى بماء فيشى أو بماء حلوان أو بالمياه الكالوريه وهم غافلون . لقد صرف الله الماء للناس ليتذكروا . انظر كيف نوع الماء لنستشفى به ! ينظر

الانسان فيرى الماء قد تخلل باطن الأرض وجرى في عروقها ومجارها ومرّ على مركبات حديدية وكبريتية وأخرى مغنيسية وأخرى كلوربه . فيظن لأوّل وهلة أن ذلك رمية من غير رام حتى اذا نظرتأتجها من أنواع الأدوية عرف أن ذلك كان لحكمة مقصودة . هذا معنى قوله تعالى - فسلكه ينابيع في الأرض - أى ان تلك المنافع التي ترونها في ماء حلوان وفي ماء فيشى وفي ماء كرلسباد المحتوى على مركب من الكبريت والصدويوم وأمثاله لم تكن مصادفة بل أنا الذي أدخلتها في الأرض وأمرتها على تلك العناصر وجعلت ذلك للدواة من الأمراض المختلفة . وانما فعلت ذلك لتتفكروا لتأهلوا لعالم أرقى من عالمكم الأرضى فهذا هو معنى قوله تعالى - إن في ذلك لذكرى لأولى الألباب - فأولوا الألباب هم الذين يقولون ذلك من وجهين : من وجه المنفعة المادّية . ومن وجه المنفعة العقلية . فالسالمون اليوم عالة على أوروبا في هذه المياه وغيرها . فلاحم درسوها وعقلوها . ولاحم استخرجوها وانتفعوا بها . والأمران متلازمان وانما يفتقدون الفريجة فيها وهم غافلون وحسبنا الله ونعم الوكيل

لقد غفل أكثر العلماء فنسج المسلمون على منوالهم وناموا . فليبين قارى هذا التفسير للناس بحجائب الدنيا حتى يدرسوها وينتفعوا بها ويرتقوا الى الله بالتأمل في محاسنها . أما الاتكال على الفريجة فانه عار وأى عار . فأين أولوا الألباب إذن في الاسلام وأين تذكروهم ؟

لا بد انك أيها الحكيم انشرح صدرك لما رأيت في الماء من العجائب ولما أدركت من الحكم العجيبة ، لذلك أردفه سبحانه وتعالى بقوله (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه) أى بيان وبصيرة أى أفمن دخل النور قلبه فانشرح وانفسح للإسلام لما يرى من تلك البدائع والعجائب المهيبة للحكمة فاهتدى بها كمن طبع على قلبه لفتلته وجهاته * وورد أن علامة ذلك الانسراح الانابة الى دار الخلود والتجاني عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت ، وقوله (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) دليل على المنحرف الذى قدرته في الجملة السابقة . وقوله - من ذكر الله - أى من ترك ذكر الله (أولئك في ضلال مبين) ضواية ظاهرة (الله نزل أحسن الحديث) حال كونه (ككتابا متشابها) يشبه بعضه بعضا في الصدق والبيان والوعظ والحكمة والاحجاز وما أشبه ذلك كما تشابه أجزاء الماء والهواء وأجزاء النبات والزهر وأبنية الحيوان (مثنى) تثنى وتردد قصصه وأنبأؤه وأحكامه وأوامره ونواهيته ووعده ووعيدته ومواعظه وهذا إيضاح لكونه متشابها ، فكما انك تجد في جميع أجزاء الهواء والماء والنبات والحيوان المواد التي تركب منها بلاخطأ ولاخلل فلاهواء ولاماء ولانبات إلا وأنت واجد في كل جزء منه الأجزاء التي تركب منها وذلك دليل على الاتقان وعدم الخلل والخطأ ، هكذا الكلام الصادق المسوق لغرض واحد تراه أيها حالته يرجع الى الامور التي اذا ركبت وأدرجت فيه تنتج الغرض الذى سبق له الكلام

﴿ حكمة ألمانية ﴾

قال لى أحد الأصدقاء يوما وقد كان في بلاد ألمانيا : أنا قرأت حكمة باللغة الألمانية وهي : « يجب على المؤلف أن يظهر في كتابه كما ظهر الله في مصنوعاته » ، فما معنى هذا ؟ قلت معناه أن يكون المؤلف له غرض يرى اليه وقد خرج الفكرة بنفسه بحيث يتصرف في القول والمعنى تصرف الله في المادة حتى انك لترى مقدماتها ترمى لغايات معلومة ، هكذا الكتاب يجب أن يكون مؤلفه أشبه بناسج الثوب ينسج على منواله وأن يفعل فيه فعل الجسم الانسانى في التصرف في الطعام وفعل النحلة حوّلت رحيق الأزهار الى عسل بهيئة منظمة بحيث يحول ما يقرؤه ويفكر فيه الى صورة ترسمها نفسه كما يحول النبات صور العناصر الأرضية الى الهيئة البنائية فتضيق سائر صفات العناصر وتحدث صفات جديدة . فهذا معنى التشابه المذكور في الآية ولذلك قال

تعالى - ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا - وقد عرفت الاختلاف فانك اذا ألقت كتابا ووضعت فيه أنواعا من السير والأحكام ولكنك لم تصقل ذلك بصقالك أنت كانت تلك القصص والأحكام غير منسقة ولا منظمة وفضرت منها النفوس ولم تؤدّ الى الفرض المطلوب كما اذا بقيت المواد الأرضية والهوائية مفترقة غير متحدة في الصورة النباتية فانها لا تؤدّي المقصود من النبات بل هي تراب وطين مثلا تستعمل لما له التراب والطين ، وقوله (تقشع منه جلود الذين يخشون ربهم) أى تضطرب وتشمز وتأخذهم قشعريرة وهي تغير يحدث في جلد الانسان عند ذكر الوعيد والوجل والخوف وكذلك القلوب ، وقوله (ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) أى بالرحمة وعموم المغفرة ، فاذا ذكرت آيات العذاب اقشعرت الجلود ووجلت القلوب ، واذا ذكرت آيات الرحمة والوعد لانت الجلود وسكنت القلوب ، ومن أين يكون هذا لو لم يكن القرآن متشابها بالمعنى الذى عرفته ولو لم يكن متشابها مثنائى على وتيرة واحدة لم يحدث تلك الآثار فى القلوب كما يحدث النبات آثاره المغذية مثلا إلا بذلك التشابه ، وعلى المؤلفين فى أمة الاسلام أن ينحوا نحو القرآن بحيث تكون نفوسهم متأثرة بما يكتبون عاقلة لها فانها لا محالة تحدث أثرا فى نفس السامعين وهذا هو قوله تعالى - وما أنا من المتكفين - فان المتكف فى القول لا يؤثر فى سامعه ولا يحدث فى النفوس خوفا ولا رجاء لأن القول مصحوب بآثار نفس القائل ، وليس معنى هذا أن تكون بليغا كالقرآن بل أن تتخلق بأخلاق الله ورسوله ويكون تأليفك بناء على شوق ووجدان فى نفسك والا فلا يفيد (ذلك) الكتاب أو الكائن من الخشبة والرجاء (هدى الله يهدى به من يشاء) هدايته (ومن يضل الله) ومن يخذله (فخاله من هاد) يخرج من الضلالة الى الحق

﴿ ذكر عذاب الظالمين فى الدنيا والآخرة ﴾

قال تعالى (أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة) كمن هو آمن أى ان الانسان يتقى المخاوف بيديه سيانة لوجهه ، فاذا كان هؤلاء الظالمون فى النار وغلت أيديهم الى أعناقهم فانهم لا يتقون النار إلا بوجوههم (وقيل للظالمين) أى قيل لهم فوضع الظاهر موضع المضمرة (ذوقوا ما كنتم تكسبون) أى وبالله (كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) أى من الجهة التى لا يخطر ببالهم أن الشتر يأتى من جهتها (فاذا قمهم الله الخزي) الذل والصغار كالسبخ والخسف والقتل فى الحياة الدنيا (ولعذاب الآخرة أكبر) من عذاب الدنيا (لو كانوا يعلمون) لآمنوا ، أو لو كانوا من أهل العلم والنظر لعلموا ذلك واعتبروا (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل) بينا للناس فيه من كل وجه (لعلهم يتذكرون) أى لكي يتعظوا (قرآنا عربيا) منصوب على الملح مستقبيا (غير ذى عوج) بريثا من التناقض (لعلهم يتقون) الكفر والمعاصى

﴿ ضرب مثل لحال المشركين والمؤمنين ﴾

قال تعالى (ضرب الله مثلا رجلا) بدل و (فيه شركاء متشاكسون) متنازعون مختلفون (ورجلا سلما لرجل) أى ذا خلوص له من الشركة سالما (هل يستويان مثلا) أى صفة أى هل تستوى صفتاهما وحالهما (الجدلثة) الذى لا إله إلا هو (بل أكثرهم لا يعلمون) فيشركون به غيره ، هذا مثل ضربه الله للعابد والمعبودين له بعبد اشترك فيه شركاء فتنازعوه واختلفوا وكل واحد يدعى انه عبده ويستخدمونه فى مهن شتى وهو متعجب لا يدري أيهم برضى بخدمته ، وعلى أيهم يعتمد فى حاجاته ، ومن منهم يرزقه ، ومن منهم يدار به ، فهو أبدا فى حيرة ، وشبه المؤمن بعبد له سيد واحد فهمه واحد وقلبه مجتمع لا مفرق

﴿ لطيفة ﴾

اعلم أن هذا المثل وان ورد فى الكفر والايمن يعلمنا كيف يكون الانسان سعيدا فى الدنيا ، وذلك انه

لإسعاد لإلجماع المهم على أمر واحد ، ذلك ان حاجات الانسان لاتكاد تحصر وخطيئته وسببائه وما يعتوره من مصائب الدهر كل صباح وكل مساء ، فاذا تفرقت همه على تلك الوجوه كلها تقطع وعاش في غاية الشقاء وانما يسعد الانسان اذا عمل كل مافي طاقته ثم هو بكل نتائج الأعمال الى الله وما نابه من مصيبة يحتملها ويصبر عليها ويجزم بأنها أجنحة يطير بها الى العلا ، وما نال من نعمة يحمد الله عليها ويتخذها ذريعة لارتقاء نفسه بالعمل الصالح فيكون شكره على النعمة وصبره على التقمة موجهين لغرض واحد ، فحق نال الانسان هذه المرتبة أصبح سعيدا ، بل متى أدرك أن هذه الدنيا والآخرة وهذه العوالم كلها كأنها جسم واحد بنظام واحد وهو واثق أن ذلك النظام في غاية الكمال وأن كل دابة أو انسان اذا لم يكن على ما هو عليه كان النظام خطأ ، فاذا أيقن الانسان بذلك لكثرة الدراسة العلمية والتفكير أصبح لا يحزن على فائت ولا ينتظر غائبا ولا يبالي بمستقبل ولا ماض ويصبح وهو راض بكل ما يكون سعيد بهذا الرضا ، واعلم أن هذه المرتبة قلما ينالها الانسان في هذه الحياة ، بل تمر غالبا كبرق خاطف أو كفواق ناقة أو جلسة خطيب ، ثم يغلب الطبع على الانسان فيحزن ويفرح ويألم ويرجو ويخاف كسائر الناس ، ويندر من تصير هذه له ملكة راسخة ، ويقول من تلازمه في أغلب الأوقات ، ثم قال تعالى (إنك ميت وانهم ميتون) أي بصدد الموت أوفى عداد الموتى (ثم إنكم) أي إنك واياهم (يوم القيامة عند ربكم تختصمون) فتحتمج أنت عليهم بأنك بلغت فكذبوا ويعتدرون هم بما لا طائل نحتهم ، ويقول التابعون للرؤساء أظعننا كم فأضلتموننا ، وتقول السادة أغوانا الشياطين وآباؤنا الأوثان ، ويحتج بعض الأصحاب بأنهم مع ابن عم رسول الله ﷺ وقتلوا أعداءهم على هذا التأويل ، ويحتج أصحاب معاوية بأنهم يأخذون بدم عثمان ، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يرون أن هذه الآية نزلت في المسلمين وأهل الكتاب فلما كان يوم صفين ويوم عثمان عرفوا انها في المسلمين أيضا . وفي حديث البخارى أن النبي ﷺ قال : « من كان عنده مظلمة لأخيه من عرض أو مال فليتحلله اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحملت عليه » وفي مسلم انه ﷺ قال : « أتدرون من المفلس ؟ قالوا المفلس فينا من لادرهم له ولا متاع . قال إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فبت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار »

﴿ ذكر الصادقين والكاذبين ﴾

قال تعالى (فن أظلم من كذب على الله) باضافة الولد والشريك اليه (وكذب بالصدق) وهو ما جاء به محمد ﷺ (إذ جاءه) من غير توقف وتنكر في أمره (أليس في جهنم مثوى للكافرين) المثوى المنزلة والمقام أي يكفهم ذلك مجازاة لأعمالهم (والذي جاء بالصدق وصدق به) الذي جاء بالصدق الأنبياء والذي صدق به المؤمنون وكذلك ملائكة الوحي والأنبياء (أولئك هم المتقون) الذين اتقوا الشرك (لم ما يشاؤون عند ربهم) من الجزاء والكرامة (ذلك جزاء المحسنين) في أهوالهم وأفعالهم (ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا) أي يستره عليهم بالمغفرة (ويجزئهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون) أي يجزيهم بمحاسن أعمالهم ولا يجزيهم بمساوئها ، أو يجعل لهم محاسن أعمالهم مثل أحسنها في زيادة الأجر وعظمه لفرط اخلاصهم فيها (أليس الله بكاف عبده) استفهام انكاري للتقرير أي جنس العبد فيشمله ﷺ والأنبياء والمؤمنين وهذا كقولته تعالى - إنا كفيناك المستهزئين - وقوله (ويخوفونك بالذين من دونه) يعني قريشا فانهم قالوا له إنا نخاف أن نخيلك آلهتنا بعينك إياها . وأيضا بعث ﷺ خالدا ليكسر العزمي فقال له سادنها أحذر كما

إن لها شدة فعمد إليها خالد فهشم أنفها . فكأنهم لما خوفوا خالدًا خوفوا من أرسله وهو النبي ﷺ (ومن يضل الله) حتى غفل عن كفاية الله له وخوفه مما لا ينفع ولا يضر (فإله من هاد) يهديه إلى الرشاد (ومن يهد الله فإنه من مضل) إذ لإرادته لفعله كما قال تعالى (أليس الله بعزيز) غالب منيع (ذو انتقام) ينتقم من أعدائه

﴿ تقرير الآية السابقة باللاحقة ﴾

وهي قوله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) لوضوح ذلك بالبرهان (قل) أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضرٍ هل هن كاشفات ضره) أي أرايتم بعد ما تبين لكم أن الله هو خالق العوالم كلها . إن آلهتكم إن أراد الله أن يصيبني بضرٍ هل هن يكشفنه (أو أرادني رحمة) بعافية (هل هن مسكات رحمة) مانعاتها عني حتى تأمروني بعبادتها (قل) يا محمد (حسي الله) أي هو قتي وعليه اعتادي (عليه يتوكل المتوكلون) لعلمهم بأن الكل منه تعالى (قل) يا قوم اعملوا على مكاتبتكم حالكم أي اجتهدوا في أنواع مكرم وكبدكم وهذا تهديد لهم (إني عامل) فإما أمرت به من إقامة الدين (فسوف تعلمون) من يأتيه عذاب يخزيه) أنا أم أتم (ويجلى عليه عذاب مقبم) دائم وهذا تهديد وتخويف (إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس) لأجلهم ملتبسا (بالحق فن اهتدي) فلنفسه) إذ نفع به نفسه (ومن ضل فإنا يضل عليها) أي فإن وبالله لا يتخطاها (وما أنت عليهم بوكيل) أي وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى وإنما أمرت بالبلاغ وقد بلغت

﴿ ذكر النوم والموت ﴾

قال تعالى (الله يتوفى الأنفس) الأرواح (حين موتها) أي يقبضها عند انقضاء أجلها وهو موت الأجساد (والتي لم تمت في منامها) ومعنى ذلك أنه يقبضها عن الأبدان ويقطع صلتها بها ظاهرا وباطنا عند الموت ، وظاهرا فقط عند النوم (فيمسك التي قضى عليها الموت) فلا يردها إلى البدن (ويرسل الأخرى) وهي النائمة إلى البدن عند اليقظة (إلى أجل مسمى) هو وقت الموت * روى عن ابن عباس أنه قال : « إن في ابن آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس ، فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والحياة فتتوفيان عند الموت وتوفى النفس وحدها عند النوم (إن في ذلك) التوفى والامساك والارسال (آيات) على كمال الحكمة والاتقان وشمول الرحمة وعمومها (لقوم يتفكرون) في كيفية تعلقها بالأبدان وتوفيقها عنها بالكلية حين الموت وامساكها باقية لا تنفى بفناء الأجساد وما يعثر بها من السعادة والشقاوة ، وكيف تتوفى ظاهرا حيناً بعد حين إلى انقضاء الآجال * وعن عليّ كرم الله وجهه قال : « تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعها في الجسد فبذلك يرى الرؤيا فإذا انقضى من النوم عاد الروح إلى جسده بأسرع من لحظة ، * وعن سعيد بن جبير : « إن أرواح الأحياء وأرواح الأموات تلتقي في المنام فيتعارف منها ما شاء الله أن يتعارف فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجسادها إلى انقضاء مدة حياتها ،

﴿ لطيفة في مجازات القرآن في هذا الزمان بمناسبة هذه الآية ﴾

أذكر لك بمناسبة هذه الأحاديث والآية ما قيل عن الأرواح في هذا الزمان لتعجب كل العجب من قول سعيد بن جبير : « إن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في حال النوم » ومن موافقته للعلم الحديث ، فهناك مقالة لروح مستحضرة في الجامع النفسية . قالت ماملخصه : « إذا نام الإنسان انطلقت روحه من البدن وازدادت قواها عما في اليقظة فتتذكر شيئا من ماضيها وتكسب بعض المستقبل وتناجي الأرواح الأخرى في هذا العالم وفي سواء ، ألا ترى إلى الأحلام البعيدة التصديق أنها ذكرى أماكن وأشياء كان رآها الإنسان

أوسوف يراها في عالم البرزخ بعد هذه الأرض ، والروح غالباً وقت النوم يبحث عن ماضيه ومستقبله . ثم قالت : ما أشد جهلكم يا بني آدم ، تجهلون أسهل الأمور ، يسألكم بنوكم : ماذا نستفيد من النوم ؟ وماهي أعلامنا ؟ فترتبكون مع انكم تدعون انكم تعرفون كل شئ ، إن النوم يحلّ النفس قليلاً من البدن فيكون الانسان وقت النوم أشبه به بعدالموت من بعض الوجوه وكل من كان أكثر استحضاراً واستذكاراً لما رأى في المنام يكون أسهل انحلالاً عند الموت والعكس ، فأمثال هؤلاء ينضمون وقت النوم الى جماعة الأرواح العالوية ويتنفعون بأحاديثهم وتعاليمهم ، وهذا ينزع عنكم خوف الموت لأنكم تموتون كل ليلة على حسب قول أحد الأبرار (يريد سيدنا محمداً ﷺ في القرآن) . قال : وكلامي هذا عن الأرواح العالوية ، وأما عمّة الناس الذين تبتى أرواحهم بعد الموت ساعات وأياماً على حالة الاضطراب المعلومة لكم في الاستحضار لليتين حديثاً فهؤلاء قلما يفتبهون لما يعملون وقت الرقاد . وكم من امرئ يقابل امرأ في النهار فيرى في قلبه اقتباضاً . لماذا ؟ لأنه قد يكون اطلع على أحاديثه وقت النوم فوجده يبغضه . ويرى آخر فيقابل به بلهف وشوق نهاراً . لماذا ؟ لأنه قضى معه وقت الرقاد ساعات في صفاء وسرور . ثم قال : وبالاختصار إن النوم أثر في حياتكم اليومية وأتم لاتشعرون . ثم قال : فالنوم للأرواح العالوية التي في الأجساد باب للناموس والمنهاج المؤدى الى السماء حتى يوافقها الأجل وتعود الى مقرّها السعيد . ثم قال الروح : والحلم تذكر الانسان ما رآه وقت الرقاد . فلستم تحملون دائماً لأنكم لاتتذكرون دائماً ما رأيتموه . وانما تذكرون ما يعرض لكم في حال الاضطراب الملازمة لمبارحة الروح وعودتها الى الجسد . ويضاف الى ذلك أمور أخرى مما تصنعونه وقت اليقظة ومشغل الأفكار وذلك هو الباعث لتلك الأحلام التي يراها الجاهل والعالم على حدّ سواء بلا فائدة . وربما كانت تلك الأحلام كرواية حذف منها جل متعدّدة فإبقى منه أصبح لاسياق له . وتستخدم الأرواح الشريرة أحياناً الأحلام لتكيد الأتفس الضعيفة ، انتهى ملخصاً

فعلى هذا تكون الأحلام إما أفكاراً أو مشاغل أزدحت واما مسائل منتظمة ولكن حذف منها كثير فصارت لامعنى لها واما مغامز شيطانية لإخافة النفوس الضعيفة . فأما الأرواح الشريفة فانها تنفع وان لم تعلم شيئاً عن ذلك بالنهار . إن رواية سعيد بن جبير من مقابلة أرواح الأحياء للاموات هي عينها ما قرأته عن نفس الأرواح . أليس هذا من العجب . أليس ظهور هذا منسوباً للأرواح مجزة للنبي ﷺ . إن عقولنا لا يمكنها أن تفهم أن ارواحنا تحدث أرواح الأموات . عقولنا لا دليل عندها على ذلك وقرأنا الأحاديث فوجدناها تقول ذلك . وهاتحن أولاء ترى مطابقة العلم الحديث ومحادثة الأرواح لهذا المنقول . إن هذا هو المجزة وهذا معنى قوله تعالى - ولتعلمن نبأه بعد حين -

ثم قال تعالى (أم اتخذوا من دون الله شفعاء) هي الأصنام (قل) يا محمد لهم أتدخلونهم شفعاء (أولو كانوا) أى الآلهة (لا يملكون شيئاً) من الشفاعة (ولا يعقلون) انكم تعبديونهم (قل لله الشفاعة جميعاً) أى لا يشفع أحد إلا بأذنه فلتكن العبادة له لأنه هو الشفيح في الحقيقة لأنه هو الآذن في الشفاعة لمن يشاء من عباده (له ملك السموات والأرض) لملك لسواه (ثم اليه ترجعون) في الآخرة (واذا ذكر الله وحده اشمازت) فترت واهبضت عن التوحيد أو استكبرت (قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) واذا ذكر الذين من دونه) يعنى الأصنام (اذا هم يستبشرون) يفرحون والاستبشار أن يمتلئ القلب سروراً حتى يظهر على الوجه فيتهلل (قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة) فهو موصوف بكمال العلم والقدره (أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) من أمر الدين * عن ابن المسيب : « لا أعرف آية قرئت فدعى عندها إلا أوجب سواها » وعن الربيع بن خيثم وكان قليل الكلام انه أخبر بقتل الحسين رضى الله عنه وقالوا الآن يتكلم فما زاد أن قال : آه أوقد فعلوا وقرأ هذه الآية . وفي حديث مسلم انه ﷺ يفتح صلواته

إذا قام من الليل فيقول : اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم اه

ثم قال تعالى (ولو أن للذين ظلموا مني الأرض جيوعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة) هذا إقناط لهم من الخلاص (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) وهذا في مقابلة - فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين - (وبدا لهم سيئات ما كسبوا) أي سيئات أعمالهم (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) أي وأحاط بهم جزاؤه ، ثم اعلم أن قوله تعالى - وإذا ذكر الله وحده اشمازت - الخ جاءت الآيات بعدها اعتراضية وعطف عليها بالفاء قوله (فإذا مس الإنسان ضرر دعانا ثم إذا حوّلناه نعمة منا) أي أعطيناه إياها فضلا فان التحويل مختص به (قال إنما أوتيته على علم) أي على علم مني بوجوده كسبه أولاً حتى أستحقه ، فمثل هؤلاء القوم إذا ذكر الله وحده اشمازوا وإذا ذكر سواه استبشروا مع أنهم إذا مسهم الضرر ذكروا من اشمازوا من ذكره ، وإذا آتاهم نعمة ادّعوا أنها باستحقاقهم ومن كسبهم (بل هي فتنة) أي امتحان له أينكرهم يكفر فكيف يدعى أنه أوتيتها على علم (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ذلك (قد قالها الذين من قبلهم) أي قال إنما أوتيته على علم كقارون ومن معه فانه قالها ورضى بقوله من حوله فكأنهم قالوه وهكذا يدور هذا المعنى في ذهن كل متكبر جبار من الماضين (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من متاع الدنيا وما يجمعون منها (فأصابهم سيئات ما كسبوا) أي جزاء سيئات كسبهم (والذين ظلموا) كفروا (من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا) أي سيصيبهم مثل ما أصاب أولئك فقتل صناديدهم ببدر وحبس عنهم الرزق ففجعوا سبع سنين (وما هم بمعجزين) بفاتنين من عذاب الله ، ثم بسط لهم الرزق سبعا فقيل لهم (أولم يعلموا أن الله يسطر الرزق لمن يشاء ويقدر) حيث حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسط لهم سبعا (إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) بأن الحوادث كلها من الله وانه القابض الباسط . انتهى التفسير اللفظي

﴿ لطائف القسم الثاني من السورة ﴾

- (١) في قوله تعالى - يكثر الليل على النهار ويكثر النهار على الليل - الخ
- (٢) وفي قوله - خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها - الخ قوله - في ظلمات ثلاث -
- (٣) وفي قوله - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الالباب - مع قوله - فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه - ومع قوله - للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب -
- (٤) وفي قوله - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع - الخ
- (٥) وفي قوله تعالى - ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون -

﴿ اللطيفة الأولى ﴾

(في قوله تعالى - يكثر الليل على النهار ويكثر النهار على الليل -)

إن هذا المقام قد سبق شرحه في هذا التفسير في ﴿ سورة البقرة ﴾ وفي سور كثيرة بعدها فالرجع اليه

تره سهلا مبسوطا على قدر ما يحتمله هذا الكتاب

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

(في قوله تعالى - خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها -)

هذا المقام مشروح مبسوط في أول ﴿ سورة النساء ﴾ فارجع اليه وفي سور بعد ذلك ، ولكن لا بد من ذكر ما يناسب المقام في مسألة خلق الجنين في بطن أمه الذي هو في ظلمات ثلاث فأقول : لأذ كرك في خلق الانسان حين حكمة :

- (١) جعل أعضائه قطعاً لقطعاً واحدة ليسهل له الاعمال بها لجعلها على مقدار الحاجة من قصير وطويل ومستدير ومجوف ومصمت وعريض ودقيق
- (٢) جعل بينها مفاصل فقتر شكل كل واحد منها على قدر وفق الحركة المطلوبة بها ثم وصل مفاصلها وربط بعضها ببعض بأوتاد أنبتها بأحد طرفي العظم وألصق الطرف الآخر بها كالرباط
- (٣) ثم خلق في أحد طرفي العظم زوائد خارجة منها ومن الآخر تقراً غائصة فيها أشكال الزوائد لتدخل فيها وتنطبق
- (٤) فهذا صار الانسان يقدر على تحريك شئ من جسده دون غيره فلولا حكمة تلك المفاصل لتعذر عليه ذلك
- (٥) الرأس مركب من عظام مختلفة الأشكال والصور وقد ألف بعضها الى بعض بحيث استوت كرة الرأس فيها ستة تختص بالتحف والباقي في الأسنان وهي ٣٣ وفي اللحي الأسفل والأعلى
- (٦) وجعل الرقبة مركبة من سبع خوزات مجوفات مستديرات منطبقات على بعضها متصلة بالظهر وعظم العجز والعصعص ، ووصل عظام الظهر بعظام الصدر وعظام الكتف واليدين وعظام العانة وعظام العجز وعظام الفخذين والساقين وأصابع الرجلين ، هذه كلها اتصلت ببعضها وهي ٢٤٨ عظماً سوى العظام الصغيرة التي جعلت ليحشى بها خلل المفاصل
- (٧) وخلق العين لها أشعار بمنزلة باب يفتح وقت الحاجة ويغلق في غير وقتها
- (٨) الأشعار جمال للعين
- (٩) شعرها لا يزيد ولا ينقص ، فلوزاد لأضر بالعين وكذلك لو نقص
- (١٠) في مائها ملاحظة لتقطع ما يقع فيها
- (١١) الحاجبان جمال للوجه أيضاً
- (١٢) وستر للعين
- (١٣) شعرهما كسحر الأهداب لا يزيد لئلا يكون تشويهاً وان نقص ذهب الجمال وقلت الفائدة للعين لأنه يحجب الضوء ويقلله
- (١٤) ولما كانت اللحية وشعر الرأس زيادتهما وقصهما يوكلان للانسان حتى اذا كان الجمال في طولها أوفى قصرهما فعل الانسان ما يراه مناسباً للوسط الذي عاش فيه . لما كان كذلك جعلنا قائلين للزيادة وللنقص . فاذن جمال الأهداب والحواجب ثابت عند جميع نوع الانسان . وجمال الرأس واللحية يوكل للانسان أمره فيتركه ليطول أو يقصره
- (١٥) الشفتان ستر للفم وهما كباب يغلق وقت ارتفاع الحاجة الى فتحه
- (١٦) وهذا الباب ستر على اللثة والأسنان
- (١٧) هما تفيضان الجمال ولولا ذلك لشوه الخلق

- (١٨) هما تعينان على الكلام
 (١٩) اللسان للنطق والتعبير عما في الضمير
 (٢٠) ولتقليب الطعام ولانفاثه تحت الأضراس حتى يستحکم مضغه ويسهل ابتلاعه
 (٢١) الأسنان مفرقة وليست عظما واحدا فان تلف بعضها صلح الباقي
 (٢٢) جمع فيها بين النفع والجمال
 (٢٣) جعلت صلبة
 (٢٤) جعل في الأضراس كبر وفيها ما يشبه الزوائد لأجل درس الغذاء فان المضغ هو الهضم الأول
 (٢٥) الثنايا والأنياب لتقطيع الطعام مع الجمال
 (٢٦) بيض لونها مع حجرة ماحوها
 (٢٧) تساوت رموسها كأنها الدر المنظوم
 (٢٨) في الفم نداوة محسوسة لا تظهر إلا في وقت الحاجة فلوانها ظهرت وسالت لكان تشويها للإنسان
 فجعلت ليبل بها الطعام حتى يسهل تسويفه من غير عنق ولا ألم
 (٢٩) فاذا لم يكن أكل ذهب من الريق ما كان زائدا وبقى ماهول للترطيب
 (٣٠) الذي بقي للترطيب يبيل للهوات والخلق لأجل الكلام ولتلايخف ولوجف تلك الانسان
 (٣١) الفوق جعل في اللسان ليعرف ما يوافقه ويلأئمه فما وافقه قبله واجتنب ما لا يوافق ، ولولا ذلك لم
 يفرق الانسان بين الملائم وغير الملائم فيموت ، فالنوق كخفير النحل الذي يجعل عند باب الخلية
 ليجنب الأجنبي عن السخول
 (٣٢) يعرف مقدار الحرارة والبرودة
 (٣٣) شق السمع وجعل فيه رطوبة مرة لتحفظه من السود ، ويقتل أكثر الهوام التي تريد أن
 تلج الى السمع
 (٣٤) حفظ الأذن بصدقة تجمع الصوت فترده الى صماخها
 (٣٥) وفيه زيادة حسن لتحصن بما يصل اليها بما يؤذيها من هوام وغيرها
 (٣٦) وجعل فيها تعاريج لترديد الصوت ولتكثر حركة ما يدب فيها ويطول طريقه فينتبه صاحبها من
 النوم . وهناك معان عجيبة في الأذن تقرؤها في ﴿سورة آل عمران﴾ فارجع اليها نجد هناك
 شرح العين وشرح الأذن شرحا وافيا . أما هنا فأنما هي ظواهر
 (٣٧) جعل الحنجرة مهياة لخروج الأصوات ودور اللسان في الحركات والتقطيعات فيقطع الصوت في
 بحار مختلفة تختلف بها الحروف لتسع طرق النطق
 (٣٨) جعل الحنجرة مختلفة الأشكال في الضيق والسعة والخشونة والملاسة وصلابة الجوهر ورخاوة
 والطول والقصر حتى اختلفت بسبب ذلك الأصوات فلم يشابه صوتان
 (٣٩) هكذا خلق بين كل صوتين اختلاف فلم تشبه صوتان بل يظهر بين كل صوتين فرقان :
 فبالأول يميز السامع بين كل صوتين . وبالثاني يميز بين كل صوتين
 (٤٠) خلق اليدين لأمرين : جلب المقاصد . ودفع المضار . وجعل الكف عريضا . وقسم الأصابع
 الخمس . وقسم الأصابع بأنامل . وجعل الأربعة في جانب والابهام في جانب فيدور الابهام على
 الجميع . فالابهام يدور على الأربعة والأربعة مختلفات طولا وقصرا فصلحت للقبض والاعطاء
 (٤١) إن بسطها كانت طبقا يضع فيه ما يريد

- (٤٢) إن جمعها كانت آلة يضرب بها
 (٤٣) إن ضمها ضمها غير تام كانت معرفة له
 (٤٤) وإن بسطها وضم أصابعه كانت مجرفة
 (٤٥) خلق الأظفار على رؤسها زينة للأنامل وعمادا لها من ورائها حتى لا تضعف
 (٤٦) يلتقط بها الأشياء الدقيقة التي لا تتناولها الأنامل لولاها
 (٤٧) يحك بها جسمه عند الحاجة إلى ذلك فلوعدمها وظهرت به حكة ليجز عن دفع ما يؤلمه ولا يقوم
 غير الظفر مقامه في حك جسده ، إنه لاصلب كصلابة العظام ، ولا رخو كرخاوة الجلد ، فلذلك
 صلح للحك
 (٤٨) والإنسان يهتدى بظفره إلى موضع الحاجة في الحك ، أما غيره فلا يهتدى لذلك إلا بشق الأنفس
 (٤٩) يطول الظفر ويقتصر كما تقدم في شعر الرأس واللحية ليقبض منه ما يحتاج إليه حاجته ويقص الباقي
 وهذه يقدرها الإنسان باختياره وهو الذي يراعى الحاجة في ذلك
 (٥٠) كل ذلك قدره الله للإنسان وأبتدأ خلقه في بطن أمه ويولد فاقد التمييز ولو ولد عاقلا فيها لحر
 من هذا الوجود الذي لم يعرفه ولم يعهد مثله وهو مع ذلك يجد غضاضة أن يرى نفسه محمولا
 وموضوعا معصبا بالحرق ومسجى في المهد وهو في أشد الحاجة إلى ذلك لضعفه فلاتهنأ له حياة
 ولا تحسن تربيته ، فلما خلق غير يميز سهل الأمر وأعطي التمييز شيئا فشيئا حتى يكون رجلا كبيرا
 فهذه نعمة من آلاف من الحكم التي أودعها الله في خلق الإنسان ذكرناها لتكون تذكرا لك في هذا
 المقام لينشرح صدرك بالعلم وليعطيك صورة من الملاحظات الدقيقة وتري أننا مغمورون في حكم وعلم
 وعجائب وطول الأنايس بها واعطاؤها لنا دفعة واحدة هو الذي أذهلنا عن تفعلها ، فما أجل العلم وما أبعج
 الحكمة - يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الأبواب -

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

(في قوله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - الخ وقوله - فبشر عباد
 الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه - وقوله - للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة -)
 تبين من هذه الآيات أن العالم أفضل من غير العالم ولم يخص العلم بل ذكره مجردا من المفعول وجعل
 البشرى للذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وجعل للمحسنين حسنة في هذه الدنيا والمحسنون هم الذين
 يستمعون القول فيتبعون أحسنه
 تبين من هذه الآيات أن العلم بجميع العلوم والصناعات مطلوب وأن المتصفين بذلك أفضل من غيرهم
 والعلم لا يكون مفيدا إلا إذا تولاه النقاد وبحثوا فيه ، والافسكيت يتبعون أحسنه أي كيف يتبعون أحسن
 القول الذي سمعوه إلا ببصيرة نقادة . إذا تم ذلك فإن هؤلاء محسنون أحسنوا الاختيار . والمحسنون لهم
 في هذه الدنيا حسنة

يا أمة الاسلام : هذا كلام الله وهو الذي أنزله على نبيه ﷺ :

(١) فعلى المسالين أن يكون لهم لحاظ تبحر في الفنون والعلوم والصناعات بحيث يكون هؤلاء
 أخصائيين في العلوم المختلفة

(٢) وهذه اللجان تستعرض جميع العلوم والفنون والصناعات التي عرفتها الأمم وجميع ما يكشفه المسلمون
 في المستقبل ثم يميزون بمقوهم النيرة و بصائرهم النقادة ما هو أكثر نفعاً للامة فيأمرهم باتقائه

واستعماله وما ليس كذلك فيتركوه

(٣) يعرض على هذه اللجان علوم ما فوق هذه الغبراء وما تحت الترى من علوم الطبقات الأرضية وما فوق السموات العلى من أوضاع فلكية وكواكب درية وما بين ذلك مما كان وما يكون
(٤) متى حصل ذلك كان للمسلمين في هذه الدنيا حسنة وهذه الحسنة ليست عند المسلمين الآن ولكنهم في زمن قريب سيكون عندهم ذلك المجد الباذخ إذ ينظرون ويقرؤون ، ونعمة ربهم يتقبلون فيشكرون ، انظر تفسير قوله تعالى - لا يكلف الله نفسا إلا ريسها - في سورة البقرة ، فهناك بسط للقام أوفى ، ولأكتف بهذه الجوهرة :

﴿ جوهرة في قوله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - ﴾

إن هذه الآية تتفتح باب الموازنات بين الأمم ، فالأمة التي ارتقت بالعلم والحكمة والصناعات أقوى من الأمة الكثيرة العدد القليلة العلم والصناعة ، خذ ذلك مثلا : هذه دولة اليابان منذسنيين غلبت روسيا وكانت الأولى لا تبلغ في العدد مقدار ثلث الثانية ، وهذه الأمم الآسيوية التي تعدّ بمئات الملايين أقلّ علما وصناعة من أوروبا والكثرة العددية لا تغني عنها شيئا ، هذه بلاد جاره وسومطره وماحوطا من جزائر الهند الشرقية قد احتلتها هولنده التي تعدّ على أصابع اليدين أعداد الملايين وتلك الأمم تعدّ بعشرات الملايين ولكن القليل غلب الكثير وهذا مصداق الآية هنا ومصداق قوله تعالى - قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث - وليس معنى هذا أن هؤلاء خبيثا وهؤلاء صالحون وانما ضربنا الآية هنا مثلا لانصافنا الاختلاف بالقوة والضعف وهما ناشآن من العلم والجهل وهذا قوله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - . إذن ليست الكثرة بمعنى قتيلا أمام العلم ، فهاهذا الانسان قليل العدد أخضع الحيوان مع كثرته ، ومن عجب أن نسل الحيوانات المفترسة قليل والحيوانات التي خلقت لغذائها كثيرة الذرية . فإذن قول الشاعر :

ولست بالأكثر منهم حصي * إنما العزة للساثر

لا يصح إلا اذا اتفق الحصان سلاحا وعلما ، أما اذا فاق أحدهما في علمه وصناعته فهناك يختل الميزان ويصدق عليهما قول الله تعالى هنا - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون -

اللهم أنت المعلم ولوأردت تعليم المسلمين لقيضت لهم عقولا فاهمة تقول لهم إن الفعل هنا لم يذكر معمولا فأشعر بالعموم ، ونحن المسلمين أقرب الى أهل أوروبا (الذين أرسلهم الله لايقاظنا بالحرب والاحتلال) من أمة اليابان الذين قلدوهم وارتقوا مثلهم ، فهلا كان فينا رجل رشيد يعلمنا أن نعمل بهذه الآية ؟ أفليس من المنجبل المعب أن الجهل اليوم لا ينطبق إلا على أمة أنزل الله في كتابها هذه الآية ، يسمعونها وكأنهم لا يسمعون ، ويقرؤونها وكأنهم لا يقرؤون ، هذه الآية ثلثت علينا في كتابنا المقدس فلم نعمل بها ولكن اليابان استخرجت معناها من عقول علمائها وعملت به فأرقت ، أما المسلمون فهم الذين ضرب المثل بجهلهم بين الأمم وقد آن أوان مجددهم ورقبهم والحمد لله رب العالمين

ثم اعلم أيديك الله أن الأمم الاسلامية أمرها عجب ، قد نامت نوما عميقا ، فان لم يقم كاتب بنصحهم لم يجاروا الأمم في رقيها . أولايعلم المسلمون أن أمة اليابان استيقظت في عشرات السنين ولحقت بأوروبا وكانت نهضتها مصاحبة لنهضة مصر فقد دخلت العلل في تعاليمها فوقف أمدا وهامى ذه تريد ارجاع سنة الرقى ككرة أخرى . وقد جاء في جريدة الاهرام هذه السنة مانصه :

﴿ المحصول الأدبي في ألمانيا ﴾

دلة الاحصاء في ألمانيا على أنه يوجد في كل ٢٥٠٠ نفس شخص يستطيع أن يؤلف كتابا . وقد كان

عدد الكتب الجديدة في ألمانيا (٢٤٨٦٠) كتابا في سنة ١٩٢٧ فزّل هذا المقدار في سنة ١٩٢٨ الى (٢٢٩٥١) كتابا ومع ذلك فإن ألمانيا لاتزال أكثر الأمم اتجاها للكتب . ويوجد من ذلك (٤٥٠٠) مؤلف جديد في الأدب و ٢٣٠٠ في الفنون و ٢١٠٠ في الدين و ٢١٠٠ في كل من السياسة والعلوم والاقتصاد الخ اه

وإذا أردت أن أكتب في معنى هذه الآية وجب أن استحضر كل ما تقدم في التفسير . إذن كل ما تقدم وما سيأتي تفسير لها ، ففضية العلم والجهل قضية الحياة والموت بعينها ولكن لابد من ذكر نبذة في الطب ، وأخرى في الاقتصاد ، وأخرى في التعليم العام لإيفاء لبعض الحقوق التي تقتضيها الآية ، فهنا ثلاثة فصول :

﴿ الفصل الأول في نبذة في الطب ﴾

جاء في جريدة الاهرام في يوم (٩) ابريل سنة ١٩٢٩ تحت العنوان التالي مانعه :

﴿ خطر يهدد الصحة ﴾

(٣٩ مصابا من طعام واحد)

كثيرا ماقرأ في الكتب والصحف ونسمع من أفواه رجال الصحة وغيرهم أن الوقاية خير من العلاج ؛ إذن كيف تكون الوقاية في موضوعنا هذا والفقراء عديدون والجهلاء أكثر ؟ مساكين الناس وخصوصا الفقراء منهم ولاسيما الجهلاء والأطفال الذين يضطرونهم الجوع والحالة الى تناول المأكولات المعروضة للبيع في الطرقات والحوانيت المعروضة للأثرية والميكروبات وهي التي جهزت وطهيت وعرضت للبيع بدون مراعاة للنظافة فتكون غالبا سببا زعافا يودي بحياة الكثير أحيانا أو على الأقل يجعلهم تحت العلاج أياما

نعم مساكين هؤلاء الناس فانهم يكونون ضحية هذا الإهمال ، نعم مساكين هؤلاء الباعة أيضا لانهم لم يعرفوا للنظافة معنى ولم يقتروا لإهمالهم نتيجة لجهلهم وغباوتهم وخصوصا اذا تزكوا وشأنهم فهم أحرار فيما يعملون كأن أرواح الناس وسلامتهم ليست بشئ في نظرهم ماداموا يربحون حتى ولو كانوا يعرفون الحقيقة فاذا طفت في شوارع المدينة ومنها الشوارع الهامة العظيمة أوسرت في حاراتها فانك لاتعدم رؤية هذا بيع البقلاوة أو البسبوسة قد سترها الذباب ، وذلك يعرض الكسكى أو الكسكى قد غطى بطبقة من الأتربة والأوساخ . ولست في حاجة الى التعرض لنظافة هذا البائع الشخصية وكذا الأدوات التي يستعملها وكيف جهزت وحفظت هذه المأكولات . وحسبي في ذلك أن يستعيد القارى صورة من هذه الصور التي يراها أحيانا ولاسيما في الأحياء الوطنية النقيرة

بجوارنا رجل يبيع مثل هذه المأكولات وغيره كثير ، ولولا شدة حرصنا على سلامة التلاميذ والمحافظة على صحتهم ومنعهم ابقياح وتناول تلك المأكولات المضرة لاحوا نحية هذه السموم إذ أن معظم التلاميذ يخرجون من منازلهم في الصباح ويتناولون طعام الافطار في الخارج ، ولكن هذا البائع لم يعدم أناسا كثيرين يعرض لهم ما كولاته . وكان يوم أمس يوما تجلت فيه صورة صحبحة من هذا الضرر الذي يهدد صحة الناس ويجعلها في خطر إذ كان يبيع كشريا كما هي عادته فلم يلبث من تناول قليلا من الطعام حتى ظهرت عليه أعراض التسمم فكنت ترى هذا يقع مفضيا عليه وآخرا يملك نفسه من القى . وثالثا يتلوى من المغص وهكذا فدعوت رجال الاسعاف الذين كانوا يمشون على المصابين في مختلف الشوارع المجاورة غملاوا بعضهم الى الجمعية والأخرى الى مستشفى قصر العينى . ولقد كانت عربات اليد تستعمل في نقل المصابين الى الجمعية بواسطة الأهالي وبعضهم استدعى الطبيب الى منزله . وقد بلغ عددهم جميعا تسعة وثلاثين رجلا وأطفالا وأكثرهم تحت العلاج الآن في مستشفى قصر العينى وجمعية الاسعاف

ومن الغريب أن الناس لما حضروا الى هذا البائع ليسألوه عن معروضاته عقب الحادث قال لهم : إن حاجتي نظيفة وهما وانظروا الى وأنا آكل منها ، وهنا تناول هذا البائع من طهيه فلم يكذب يستقر في جوفه حتى ظهرت عليه أعراض التسمم ولحق باخوانه ، والبوليس ينتظر شفاؤه لاتمام التحقيق معه ، ولعله لو سئل بعد ذلك لقرّر أن حاجته نظيفة جدا

ولقد ذكرني هذا الحادث بحادث يضارعه في الاسكندرية إلا ان البائع كان مغربيا اختفى قبل القبض عليه ولم يظهر له أثر ، فهل هناك علاج لهذه الحالة ؟ وهل لحضرات أصحاب الصحف الذين كرسوا حياتهم لخدمة الأمة أن يعالجوا هذا الموضوع شأنهم في كل موضوع هام إذ الصحة أغلى شئ في الحياة اه
فياليت شعري : أليس الأمر راجعا للعلم ، فالعلم بالضرر يمنع من تناوله . ثم انظر ماجاء أيضا في مجلة طيب العائلة ، تحت العنوان التالي مانصه :

﴿ مضارّ الحلوى على الأطفال ﴾

من الأسف أن أحدنا اذا مرّ بمدرسة في الصباح قبل موعد الدخول أو عصرا عند انصراف التلاميذ الصغار بصريهم مجتمعين حول بائع الحلوى يتنافسون في الشراء منه غافلين عن ملايين الميكروبات التي تحط مع القباب على الحلوى المعرّضة لانبار ولما هو أشد فتكا من الفبار . وليس الأمر قاصرا على هذه الجرائم وحدها وإنما هذه الحلوى في ذاتها تضرّ بالأطفال أبلغ الضرر ولو كانت من أجود الأصناف ومن أكبر المحال ويرجع ذلك الى أن المادّة السكرية المصنوعة منها الحلوى تهدم صحة الطفل وتسيء الى نموه الطبيعي وتفسد عمل الأجهزة التكوينية (وبعبارة أخرى) انه يجب أن نمنع السكر بأنواعه عن الأطفال . وعلينا أن نحثهم على تناول الفواكه فهي تحتوى المادّة السكرية الصحية فضلا عما فيها من عناصر مفيدة للجسم كالفيتامين والحديد والكالسيوم وكذلك لا بأس من تناول العسل بنوعيه الأبيض والأسوديين فترة وأخرى دون الاكثار منهما ومن الملاحظ أن الأطفال يحبون الفاكهة بفرانهم ويفضلونها على الحلوى عادة فخرى بنا أن نشجع فيهم هذا الميل لمنفعتهم الصحية فضلا عن ملامته لأمرجنتهم

وهناك اعتقاد سائد بين الناس يقول إن الشاي يضرّ بالأطفال وهذا صحيح من جهة واحدة وذلك اذا كان الشاي من صنف رديء لأنه يحتوي في هذه الحالة على حامض التيفيك الذي يفسد الأنسجة . أما اذا كان الشاي جيد النوع فلا بأس من شرب الأطفال منه مع مراعاة عدم الاسراف فيه يقول المؤلف . كلا . بل الأصح تركه كله
﴿ قائمة الأكل في المستقبل ﴾

يعرف الناس ما تشتمل عليه قائمة الأكل التي تقدّم في الفنادق . ويقول العلماء : « إن رجل المستقبل سيرى قائمة أخرى تختلف عن هذه كل الاختلاف في ألوان الطعام . وقد ذهب الدكتور برنار الكيماوى الانكليزى الشهير الى أن ظوره سيكون شعاع الشمس وغداه كمية من الهواء وعشاءه قدما من ماء البحر . وعلى ذلك لن يخشى أهل المستقبل أن يعوزهم مافى الأرض من غذاء مهما كثر عددهم بل سيصبحون في غير حاجة اليه . وسيبنون مذاق الخبز واللحم . وسيكون للإنسان ثلاث معدات لهضم الغذاء الذي تقدّم ذكره وان يكن يرى لأوّل وهلة أنه بسيط وليس يحتوي على مادّة جافة أوصلبة ولكن الانسان لن يلجأ الى التغذية بالتصليل الكيماوى إلا بعد عهد مديد فإن البراز يل وحدها إذا أصلحت أراضيها الزراعية أمكن أن تكفى حاصلاتها ننتج سكان الكرة الأرضية . ويوجد في أفريقيا من الأراضي ما يكفي لأكثر من سكان الأرض الحاليين بعدة ملايين . فإذا ازداد السكان في الكرة الأرضية بحيث لم تف بجاياتهم الحاصلات الزراعية أمكن الاتجاه الى التغذية الكيماوية . ويوجد في الأرض المواد التي تصلح للتغذية بهذه الطريقة . انتهى ماجاء في المجلة للذكورة والحدثة رب العالمين . تم الفصل الأوّل

ومن أراد قراءة الطب لحفظ صحته فليرجع الى ما تقدم في ﴿سورة البقرة﴾ عند آية - أنستبدلون الذي هو أدنى - الخ وآية ﴿الأعراف﴾ - وكلوا واشربوا - الخ وفي ﴿سورة الحجر﴾ عند التلويح بقصة آدم وفي ﴿سورة طه﴾ عند قصة آدم أيضا وفي ﴿سورة الشعراء﴾ عند آية - وإذا مرضت فهو يشفين - ولم أذكر هذه النبذة الصغيرة إلا لأذكرك بما يكفيك في تلك المواضع فارجع اليها إن شئت

﴿ الفصل الثاني في الاقتصاد وفي جمع الثروة ﴾

ولاسبيل لتلك إلا بالعلم ، ولقد مضى في هذا التفسير كثير من هذا الموضوع فأقرأ في ﴿سورة ابراهيم﴾ فانك تجد تقصير المسلمين في أرضهم وجبالهم وأنهارهم للجهل ، وتجد هناك مسألة البحر الميت الذي فيه ثروة تزيد على ما عند المسلمين في الكرة الأرضية ، والجاهل ينظر اليه نظره الى بركة ماء منقنة حقيرة ولكن العلم هو الذي أفهمنا ذلك ، فالعالم يرى البحر الميت سعادة والجاهل لا يعقل ذلك . إذن لا يستوى الرجلان والمسلمون اليوم هم الأمة التي بقيت وحدها في الجهل ولكنها اليوم استيقظت فلا بد من تعميم التعليم وذلك هو النصل الثالث الآتي قريبا

فلاذكرك أولا التعليم في جامعات أوروبا حتى نعرف كيف ترقى المعاهد الدينية فتشمل العلوم كلها ، ثم أتبعه بما كتبه الكتاب في فوائد التعليم الاجباري ، ثم ما كتبه في توزيع العلوم على أفراد المتعلمين :

﴿ الفصل الثالث في التعليم ﴾

﴿ في الجامعات الأوروبية ﴾

(حديث مع مدير جامعة لوزان)

جاء في جريدة الاهرام في ١٠ ديسمبر سنة ١٩٢٩ - ٩ رجب سنة ١٣٤٨ مانسه رأيت أثناء رحلتي الصيفية أن أعرف شيئا عن أحوال الطلبة المصريين في أوروبا فلقد زاد عددهم ، وهو ماض في الزيادة عاما بعد عام ، بما ترسله الحكومة من البعثات العلمية سنويا وأحيانا شهريا من خريجي المدارس العليا والخصوصية ومن موظفيها وعمل ورشها ، وبالرغبة المتزايدة التي بدت من الطلبة ومن ولاية أمورهم لاشباع استعدادهم من علوم أوروبا وآدابها ولغاتهما ومستديباتها ، ومن الاتصال برجالها والوقوف على عاداتها ونظامها . وقد زرت فيما زرت جامعة لوزان والسربون وكلية الحقوق بباريس وقابلت بعض الطلبة وبعض المشرفين على أحوالهم في أوروبا من تعليم ومسكن ومعبشة وأخلاق وارسال التقارير لوزارة المعارف أولولاة أمورهم . يزيد عدد الطلبة المصريين في أوروبا الآن عن الالف طالب . وأكثرهم يتعلمون الطب والصيدلة ، ويتلوه من يتعلمون القانون ، ثم يجيء بعدهم من يتعلمون الهندسة والعلوم الطبيعية والآداب والكيمياء . ويلاحظ ان عددا قليلا من الطلبة يذهبون الى أوروبا أو يطردهم أولياء أمورهم من مصر اليها للعلم . ولكن لامضاء الوقت في اللهو والتنقل . ويهمل هؤلاء التعلم اهمالا يبلغ من بعضهم انه يعيش في باريس سنوات دون أن يحسن النطق والتخاطب والفاهم باللغة الفرنسية . ولا يعرف الا بعض ألفاظ يتعلمها أي شخص في شهر أو شهرين ! ومن الأسف ان هذا النفر القليل ، على قلته . يضر سمعة مصر . لأنه النفر الذي يفتنى الاندية والمجتمعات والملاهي . أما الأكتربة المكتبة على التعليم فهي لا تختلط عادة بغير كتبها ومحاضرات أسانذتها . فلا يعرف الجمهور الاوروبي الناضج عنهم شيئا . ولذلك لا تستفيد مصر من اجتهاد هؤلاء من حيث تشريف سمعة مصر واكبار نبوغ أبنائها . ويلاحظ ان بعض الطلبة ، مع شديد رغبتهم في التعليم لا يكون معهم المال الكافي للدخول في الجامعات والاستمرار . أولا يكون معهم التحصيل العلمي اللازم

للدخول في الجامعات . فيضطر هؤلاء وأولئك الى البقاء مدة غير استفادة ، مع اتعاب ادارات البعثات المصرية والمفوضيات والتوصليات في اعانتهم ونصيحتهم وكتابة الخطابات عنهم الى وزارة المعارف لتتصرف في شأنهم . كما أن الطلبة الفقراء يشغلون أنفسهم بارسال خطابات للامراء ووزارة الاوقاف وكبار الاغنياء يستجدون معوتهم ونادر جدا جدا أن يجاب ملتسمهم . ويلاحظ أيضا ان طلبة مرضى بعزل بلنسية أو وقتية يأتون الى أوروبا فيزدادون ضعفا و بعضهم يموت أو يعود ضعيفا هز يلا . لهذا نلفت نظر الطلبة وأولياء أمورهم الى عدم الذهاب الى الخارج من غير مال كاف وصحة وافية والا كان الذهاب مضيعا لاخلاقهم ومستقبلهم . لأنه ليس للاجنبي في أوروبا كرامة أو فائدة الا اذا كان معه المال وليس الحال هناك كالحالة في مصر اذ يستطيع الاجنبي المعدم أن يشتغل ويعيش بسهولة لا يجدها المصري نفسه . وذلك لأسباب معروفة ليس هنا محل لبيانها

زرت جامعة لوزان وهي في قلب مدينة لوزان نفسها بسويسرة . وقد فتحت هذه الجامعة سنة ١٥٣٧ وكانت تدرس علم اللاهوت فقط . ويلاحظ ان جامعات أوروبا قديمة في انشائها وانها كانت معاهد دينية ثم تطورت الى أن صارت جامعات مدنية . ولوأن الازهر دارج النهضة الفكرية في مصر لكان هو اليوم الجامعة المصرية نفسها ولما احتجنا الآن لانشاء جامعة للعلوم المدنية ولما احتجنا مشروعات اصلاحية للازهر تارة تعتبر متطرفة وطورا تعتبر مجحفة بالدين . حتى صار الازهر في حالة تذبذب فلا يعرف أهو صاعد أم هابط بينما كل شئ يتطور الى الخير أو الى الشر . في سنة ١٥٤٩ عرفت جامعة لوزان باسم «الأكاديمية» الى سنة ١٥٨٧ وكانت في البناء المخصص الآن لكليتي الآداب والحقوق . واستمرت الأكاديمية الى عام ١٧٣٨ وفي المدة التي سبقت ذلك جرت تعديلات كبيرة في نظامها ليس المقام منسعا لبيانها . بعد ذلك قسمت الاكاديمية الى ثلاث كليات : كلية اللاهوت . وثانية للحقوق . وثالثة للآداب والعلوم . ووسعت دراسة التاريخ وأضيف أسانذة جدد لتعليم الجغرافيا والآداب الالمانية والنبات والفسولوجيا والهندسة الوصفية . وفتحت فصول حرة للخارجين أما جامعة لوزان كما هي اليوم فقد أنشئت بأمر عال في ١٠ مايو سنة ١٨٩٠ عدل بقانون في ١٥ مايو سنة ١٩١٦ . وقد ترك هذا القانون للجامعة تحديد عدد كراسي الأسانذة وأنواع الدراسات . على أن الجامعة تشمل ١ - كلية اللاهوت البروستانتى ٢ - كلية الحقوق ٣ - كلية الطب ٤ كلية الآداب ٥ - كلية العلوم . وقد أضيف الى كلية الحقوق مدرسة العلوم الاجتماعية والسياسية . ومدرسة الدراسات التجارية العليا . ومعهد البوليس العلمى .

وتنقسم كلية العلوم الى قسم العلوم الحساية والطبيعية ومدرسة الصيدلة ومدرسة المهندسين و يبلغ عدد أسانذة الجامعة الآن ١٢٩

وقد أنشئت كلية الآداب في سنة ١٨٩٥ وقد جعل بها فصول صيفية للطلبة الأجانب وهي على الأخص لاتقان اللغة الفرنسية وتستر الفصول ستة أسابيع في يوليو وأغسطس . وتعطى شهادة للطلبة المستمعين المواطنين

وللجامعة جمعية عمومية من جميع الأسانذة . وهي تعين رئيسها الذى يكون مديرا للجامعة مدة سنتين ويختار عادة المدير بالدور بين عميدى الكليات . ولكل كلية مجلس مؤلف من الأسانذة الذين يختارون العميد لمدة سنتين . وللمدارس الملحقة بالكليات رئيس يسمى مدير كبير مدرسة الهندسة ومدرسة العلوم السياسية والجامعة شخص معنوى ومديرها يمثلها أمام جميع الهيئات والمحاكم

زرت مدير جامعة لوزان مسيو موريس باشو . وهو عالم رياضى كبير متواضع فى مستهل العقد الخامس من حياته قابلنى فى الجامعة خصيصا مع أنه كان فى أجازة . وسألته أسئلة كثيرة . منها سؤال عن شروط دخول الطلبة الأجانب

فأجاب : أن شروط الدخول في جامعة لوزان بالنسبة للطلبة الأجانب هي نفس الشروط اللازم توفرها في الطلبة السويسريين . أما الطلبة الأجانب الذين لم تلقوا تعليماً جامعياً منظماً مثل تعليم جامعتنا يجب أن يخضعوا امتحان دخول خاص

س : كيف يختار المدرسون لمنصب الاستاذية ؟

ج : إذا خلا كرسي استاذ بالجامعة فإن مجلس الدولة (هنا مجلس المقاطعة) يختار أستاذاً خلفاً له من الأشخاص المعروفين بمؤلفات ممتازة . أو تلقوا تعليماً فائقاً في المادة التي كان يدرسها الاستاذ السابق

س : من الذي يتولى الاتفاق على الجامعة ؟

ج : تقوم الحكومة بالاتفاق على الجامعة . على أن للجامعة إرادتها الذي يبلغ حوالي مائة ألف فرنك في السنة

س : ما درجة اقبال اقبال المصريين على جامعتكم وما هي المواد التي يفضونها وما أحوالهم ؟

ج : مندسرين مضت والطلبة المصريون يدخلون جامعتنا . وهم على الخصوص يدرسون الطب والقانون أو يدخلون مدرسة الهندسة . وقد كونوا من بينهم جمعية منهم . وهم على العموم من خيار الطلبة . ويميل عددهم الى الازدياد عاماً بعد عام . ويبلغون الآن نحو الثلاثين طالبا انتهى

﴿ فوائد التعليم الاجباري ﴾

جاء بجزيرة الاهرام في يوم الأحد ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢٩ مانعه

(١) كان توماس جفرسون ، من أشهر رؤساء جمهورية ولايات أميركا المتحدة السابقين ولعا بالتعليم العالي حتى انه كتب على قبره بعد وفاته انه أبو جامعة فرجينيا . وقد أراد أن يتحداه يوماً كبار رجال التعليم فسألوه عن التعليم الأولى ، فأجاب :

لوجبرنا على أن نختار أهون الشرين ، الغاء التعليم الأولى . أو ابطال التعليم العالي في الكليات والجامعات لتخبرنا الثاني بغير تردد . نغير لنا أن يكون مجموع افراد الامنة . رجالها ونساؤها ملين بالقراءة والكتابة . مستعبرين قليلاً . من أن نحصر العلوم العالية في فئة قليلة . ونخلق من خريجي الجامعات أقلية من افراد أرسقراطيين . ومن أشد الأحوال خطورة أن نترك سواد الأمة جاهلاً كالسواب وتثقف طبقة غنية تقيفاً عالياً ، كما هي الحال في بعض بلدان أوروبا (في ذلك الحين) ان كل أمة تفشد الديموقراطية والنجاح قبل الغاء الامية . تعرض ذانها للممات عظيمة وتجعل بلادها مهزلة بين الدول

(٢) ولما وضع التعليم الأولى على بساط البحث والمناقشة . في مؤتمر التعليم الدولي الذي عقد في فندق كارلتون ببارك في جنيف هذا العام (عقب مغادرة جلالة الملك فؤاد للفندق ببضعة أيام) ، نهض رئيس المؤتمر دكتور مزو . من فطاحل رجال التعليم . ومنظم مدارس الصين واليابان وجزائر القليلين . وقال ان بلدان الشرق جميعها أشد اهتماماً بالتعليمين الثانوي والعالي منها بالأولى . وقد أدى هذا الخطأ البين الى نشوء طبقة من المتعلمين الذين تولوا الزعامة في تلك البلاد . بين شعب أغلبيته الساحقة تفرغ في حجة الجهالة وأكثريته ثقلة الامية . ولا يشك أحد في أن استقلال هذه الفئة الصغيرة للأكثرية . واتخاذها اياها طمعه . من أكبر الاسباب في تأخر الشرق وانحطاطه . والآن لنسمع الانسة النابغة كلمة آمنة فاضلة . ولعل أقوال النساء أشد وقفاً في نفسها من أقوال الرجال . في مؤتمر الاتحاد العالمي للتربية الذي عقد أيضاً في جنيف عقب المؤتمر . سابق الذكر . ألفت الدكتورة مرغريتا كامبس الاسبانيولية . خطاباً ضافياً عن الامية والحفاظة على القوانين ادلت فيه بأرقام ناطقة عن البلدان التي يزداد فيها ارتكاب الجرائم بنسبة الامية . وأشارت الى هولندا

والدائميرك والسويد والزويج التي انعدمت فيها الامية منذ عهد بعيد . وما تبع ذلك من القضاء على الجرائم لدرجة أن في كثير من ولاياتها لم تنعقد محاكم الجنايات فيها منذ خمس وعشرين سنة فضلا عن استتباب السلام والهدوء والسكينة . مما يحدو بالزائر أن يعتقد أن سكان تلك الممالك أقرب الى الملائكة منهم الى بني الانسان

(٣) وخطب في الاجتماع عينه دكتور هرمن ليو المنسوب الصبني عن الامية والتفاهم بين الأمم . وتلاه دكتور ريان الاميركي فبحث في موضوع الامية وتأثيرها في الكساد الاقتصادي واثبت أن تعليم الجمهور القراءة والكتابة أنجع الوسائل لتحسين الحالة الاقتصادية . وبرهن على أن كثرة الاميين في الامة تؤثر في المتعلمين من افرادها . لأن وجود طائفة صغيرة من أهل الثقافة بين طغمة من الجهال يحط من قيمتهم ويقتل معلوماتهم ولا يقوى فيهم الدفاع للنشاط والعمل

(٤) وقال خطيب آخر ان المدرسة القروية ينبغي أن تكون مركز الحياة الاجتماعية والادبية في القرية . كما ينبغي أن يكون معلوها زعماء القرية يرشدون الاهالي الى تحسين معيشتهم من جميع الوجوه . كرفع مستوى الصحة والاخلاق . والزراعة والصناعة . وجعل المدرسة في غير اوقات الدراسة قاعة كبيرة لاجتماع اهالي القرية للبحث في شؤونهم الاجتماعية والصحية وسماع النصائح والارشادات . والمحاضرات أحيانا

(٥) وقد شاهدت بين مندوبي المؤتمر الذي أقيمت فيه هذه الكلمات دكتور منصور فهمي . وكان بين الحضور أيضا الأنسة سنية عزمي ناطرة مدرسة المعلمات الراقية ببولاق . والاستاذ مرسي قنديل ناظر مدرسة سوهاج الثانوية . مندوبين عن مصر . وياحبذا لو ذكرنا للقراء شيئا عما فاتني تدوينه من هذه الاقوال وقد فاتني أن أذكر أن مندوبا هنديا أراد أن يدافع عن بني جنسه الذين تغلب فيهم الامية . فأغرق في الدفاع واسترسل فيما لي حد أنه خيل الى الاذهان انه يجذب الامية ولا يرحب بالتعليم الاجباري فأحتد عليه الرئيس وحنق السامعون . وقد مثل الدور عينه في مؤتمر ثالث واسع النطاق لم يكن لي حظ حضوره في الدانبارك . كما علمت من أحد الاساتذة المتدوين عن وزارة المعارف بمصر . تقول الأنسة منى انني أريد نشر التعليم بلا قيد ولا شرط (تقصد التعليم الاجباري طبعا) فذكرني قولها بكلام وزير معارف روسيا الذي أصدر سنة ١٨٢٤ منشورا يقول فيه . والعلم نافع فقط اذا كان كملح الطعام . يؤخذ منه كميات قليلة جدا . فاذا زاد التعليم وكثر التثور انقلب الى ضده . لأن تعليم القراءة والكتابة للجميع خطر على الدولة

(٦) وقد فلت الوزير المحترم أن الاستعارة تعوزها الدقة والضبط . لأن الملح في الطعام ينبغي أن يؤخذ حقيقة بمقادير صغيرة . ولكن هذا لا يفهم منه أن عشرة في المائة من الناس يستعملون الملح وتسعين في المائة لا يتذوقونه أبدا . فيفسد طعامهم . ولكن المرحوم الوزير كان يعيش في أوائل القرن التاسع عشر فهو معذور . اما نحن فقد أوشكنا أن نبدأ الثالث الثاني من القرن العشرين . فما عفرنا ؟ (اقرأ التعليم في روسيا قديما لمؤلفه دار لنجتون)

(٧) كان غليوم الثاني امبراطور المانيا السابق يكره التعليم الاولي رغم انتشاره في بلاده . وكان من أقواله المأثورة « ان الديمقراطية في التعليم مخالفة لأوامر الله ومناقضة لمبادئ الدين والمسيحية » واليوم أصبحت ألمانيا بعده ديموقراطية في السياسة والاجتماع . في التعليم والعمل والحياة بجميع مناحيها انتهى

وهنا لابد من إتمام هذا المقام ببيان أن كل امرئ يوضع فيما استعد له فأقول : « لا ريب أن الله عز وجل ما خلق أمة إلا وطها نظام خاص سواء أجهلوه أم علموه وهذا النظام لأشك انه يكفل سعادتهم في الدارين ، الأثرى أن عدد النساء والرجال يكاد يكون متساويا فقس عليه جميع ما يحتاجه الناس في حكمتهم وصناعاتهم فان بحثوا وجدوا في ذريتهم كل ما ينفعهم كما وجد كل رجل امرأة . وقد سهل الله الذكورة والانوثة

فعرها الناس ولكنه ستر الفرائز والأخلاق الكامنة لتبحث عنها بأنفسنا . وليعلم الناس قاطبة مسلمين وغير مسلمين ان نظام أهل الأرض الآن ناقص تقصا فاحشا فان جميع الأمم لم تستكمل استخراج المواهب العقلية والمانافع المادية فيجب البحث في استعداد التلاميذ مع تعميم التعليم ولتبحث كل تلميذ امتحانا خاصا وليوضع فيما خلق له حتى ينفع أمته . ويجب أن لا يراعى إلا الاستعداد فابن النجار والحجار ربما صلح لإدارة المجموع أو للفلسفة أو للطب . وابن الغني والأمير ربما لا يصلح إلا للامور الصناعية . فليوضع كل في مركزه ثم لتخصص كل أمة فيما استعنت له . وهذا المقام قد استوفاه كتابي ﴿ ابن الانسان ﴾ الذي ألفته ونشرته منذ عشرين سنة . انتهى الكلام على اللطيفة الثالثة والحمد لله رب العالمين

﴿ اللطيفة الرابعة ﴾

(في قوله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض -)

قد تقدم في التفسير اللفظي بعض عجائب الينابيع :

- (١) اعلم أن في جوف الأرض مياهها دلت عليها الينابيع العذبة التي تخرج من قوار البحر في كثير من محال مشهورة بذلك
- (٢) وأيضا تنقذ مياه من جبال النيران عند ثورانها
- (٣) كذلك الحفر المعدنية تفيض المياه من داخلها
- (٤) إن بعض الأنهار تفيض ولا ترجع بعد ذلك أصلا فأين ذهب ماؤها؟ لاشك أنه حبس في باطن الأرض
- (٥) الأرض قد تبتلع جبلا وتظهر بحيرة عظيمة في محل ذلك الجبل فأين كان الماء إذن؟ إنه كان في باطن الأرض
- (٦) الآبار الارتوازية التي حول (مودينه) وغيرها من البلاد

﴿ الماء معلق فوق رموسنا أيضا ﴾

فنه السحب والضباب ويكون تلجا لا يتحرك فينقح رموس الجبال الشائعة ويفشى جوانبها وأكنافها المنحدرة ويشكلها بأشكال لازوردية شفافة . هذه جعلت مخازن لاتنفذ فتكون دائما مددا للينابيع والعيون والنهيرات والأنهار

﴿ أسباب الينابيع ﴾

- (١) الآثار الجوفية المائية
 - (٢) ذوبان الجليد والتلج
 - (٣) رشح المياه
 - (٤) فعل القنوات الشعرية الأرضية
 - (٥) جري المياه جهة الأجزاء المنخفضة من الأرض
- ويوجد في معظم المحال أسواض صغيرة متفرقة منعزلة عن بعضها تأتي إليها من جوانبها مياه الأراضي القريبة لها في قنوات صغيرة تحت الأرض . فاذا فاضت عليها تلك المياه أرسلتها في قناة واحدة متصلة بحافة من حوافها تذهب بها الى ماشاء الله . وربما لا يكون هناك حوض وإنما يخرج من الصخرة تيار مختلف حجمه بدون أن يعرف أصله . وهذان التياران يسميان بالينابيع والعيون . وهذه الينابيع اختلافها عظيم

جدا ولذلك تسمى بحسب ما يحدث فيها فيقال ينابيع حارة أو باردة وطبيعية ومعدينية ومحلاة وماصة ومحبجة ومقطعة ودورية ومقطعة وقابضة وغير ذلك . وقد اشتغل الكيماويون والطبيعيون والأطباء بدراستها ومشاهدتها وتحليلها واستنبطوا منها وسائل نقيسة لشفاء الأمراض المختلفة والمسلمون تأمّنون . انتهت اللطيفة الرابعة

﴿ اللطيفة الخامسة ﴾

(في قوله تعالى - ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون -)

قال ابن عمر رضی الله عنهما عشنا برهة من الدهر وكنا نرى أن هذه الآية نزلت فينا وفي أهل الكتابين - ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون - قلنا كيف تختصم وديننا واحد وكتابنا واحد حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت بأنها فينا نزلت . وروى مثله عن أبي سعيد الخدري ولكنه ذكر يوم حنين . وقال ابراهيم مثل ذلك في مقتل عثمان

هذا ماورد عن الصحابة . ومعنى هذا أن الصحابة رضوان الله عليهم ما كانوا يظنون أن المسلمين تنطبق عليهم هذه الخصومة فلما رأوا ما نزل بهم عرفوا أنهم يختصمون أي كما يختصم أهل البيانات المختلفة . فكما يختصم المسلمون وأهل الكتاب يختصم الحزبان المشاكران من المسلمين . هذا هو الذي قالوه . وانظر كيف حالنا اليوم

حكم الصحابة الذين هم أعلم بكتاب الله منا بأن المسلمين يختصمون عند ربهم يوم القيامة . لماذا يختصمون ؟ لأنهم اقتتلوا . واعمرى إن هذا شيء يسير بالنسبة لما وقعنا فيه . اقتتل المسلمون ومات بعضهم وتولى الحكم بنو أمية فإذا حصل ؟ ارتقى الاسلام ولم يسلط على المسلمين غيرهم وملكوا الأمم شرقاً وغرباً وإنما هو نزاع قام باجتهاد فيما بينهم وكل له حجة والله هو الذي يفصل بينهم . أما نحن فواحسرتاه غلبنا القرنيحة فياليت الأمر كان أصراً على عداوة بعضنا لبعض بل الأمر أعظم من ذلك جدا . اتنا اقتتلنا حتى خضعنا جميعاً لغربنا ، فإذا اختصم الصدر الأول عند الله فكيف تكون حالنا نحن والقرنيحة يجوسون خلالنا ويمنعون العلم عنا ويعثون في بلادنا الفساد والضلال والخلاعة والنسوق ويهلكون الحرث والنسل ، أندري لم ذلك ؟ ومن المسؤول ؟ المسؤول هم العلماء والملوك والأذكيا ، سيقف العلماء بين يدي الجبار والعاقة والملوك وسائر الرؤساء فيقول لهم : « أعطيتكم أرض مصر واليمن والشام وبلاد الأناضول وبعض بلاد الهند والصين وبعض الجزائر وبعض أفريقية وقت لكم إن أرضي واسعة فأياي فاعبدون . أيها المسلمون : فإذا صنعتم تركتم جبالى فلم تدرسوا مافيها ، وبحارى فلم تعرفوا عجائبها ، وأرضي فلم تستوعبوا منافعها . فيقول العاقة : ياربنا ان علماءنا قالوا لنا هذه علوم الدنيا لا علوم الدين وقالوا لنا كفاكم أن تعرفوا ما بنى عليه الاسلام واكتفوا بعلم الفقه ، فيسأل العلماء فيقولون هكذا قال من قبلنا ، ويسأل الملوك فيقولون هكذا علمنا العلماء فيقول الله لهم : لقد أهنتكم في الدنيا بدخول الأجانب في بلادكم وسأعاقبكم على تفریطكم . أنتخبون بعلم الفقه وقد نص فقهاؤكم أن العلوم كلها فروض كفايات والعقاب على تركها شامل للأفراد والجماعات . ألم يكن لكم عقول تفتشون بها ؟ ألم يكن لكم أعين وأسماع وأبصار ؟ أظنتم اني أقول - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض - لا كتفى منكم في ذلك برؤية النظر . وإذا كان النظر البصرى كافياً فأى فرق بين الانسان والحيوان وبين العالم والجاهل . إذن يكون نظر الخليل في ملكوت السموات والأرض كمنظر العاقة وهذا غير معقول »

« أيها المسلمون : أعطيتكم أرضي وأزت لكم سمائى فلم تنفروا ولم تفكروا وقتتم بل نفع ما وجدنا عليه آباءنا . ألم أقل - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم

من د نه من وال -

هذا ما يقال لمن مضى من بعض الملوك والعلماء . فأما في المستقبل القريب فللام شأن غريب وأمر عجيب وسعادة وأى سعادة - ولتعلمن نبأه بعد حين - وبهذا تم الكلام على القسم الثاني من السورة

﴿ تذكرة ﴾

اعلم أن هذه اللطائف الخمس كنت كتبها أيام الكتابة العامة لهذا التفسير . ولكن أثناء طبع هذه السورة قد فتح الله عز وجل بجانب وبدائع وحكم جيلة في هذه الآيات وما بعدها . ولما كنت معتادا أن أكتب ما يستجد من الفتح رأيت أن أكتب لطائف أخرى أجل وأبعد لهذه الآيات السابقة وما بعدها بعد تمام تفسير السورة قريبا فتدبره اه

﴿ القسم الثالث ﴾

قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ • وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ • وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْضَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ • أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ • أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ • أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةٌ فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ • بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ • وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ • وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ • اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ • لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَالِسُونَ • قُلْ أَقْبِرُوا اللَّهُ تَأْتِرُونِ أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ • وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَالِسِينَ • بَلَىٰ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ السَّاكِرِينَ • وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ • وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ • وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِزِيَ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ • وَوُضِعَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ • وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتِحَتْ

أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا نَحْنُ نَحْنُ وَلَكِن حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ • قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ • وَسَيَقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ • وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ • وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ لِيَنَّهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ •

﴿ التفسير اللفظي ﴾

دعا رسول الله ﷺ الناس الى دين الاسلام فقال بعض المشركين قد زيننا وقتلنا واتمكنا الحرمات فاذا اسلمنا فكيف يفر الله لنا ومن هؤلاء وحشى فانه قال إن من قتل أوزنى أو أشرك يلقى أثاما يضاعف له العذاب وأنا قد فعلت ذلك كله . وأيضاً عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد وقرمن المشركين أسلموا ثم فتنوا وعذبوا فافتنوا . وأيضاً قال ابن عمر كنا نقول : « ليس شئ من حسناتنا إلا وهي مقبولة » فلما نزل ولا تبطلوا أعمالكم وقد فسرت المبطل بالكبائر والقواش فمن أصاب شيئاً من ذلك كنا نقول هلك فلما نزلت هذه الآية استبشر بها الجميع فأسلم وحشى وعياش بن أبي ربيعة ومن معه وكف الصحابة رضي الله عنهم عن اليأس من صاحب الكبيرة بل استبدلوا اليأس بالخوف عليه . والآية هي (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم) أي تجاوزوا الحد بارتكاب الكبائر (لا تقنطوا من رحمة الله) لا تيأسوا من مغفرته أولاً وتفضلنا ثانياً (إن الله يفر الذنوب جميعاً) بالتوبة فان لم تكن فبالتعذيب في الآخرة وذلك للأسلم ويفررها بمجرد الاسلام لمن أسلم من الكفار (إنه هو الغفور الرحيم) ولما كان خيراً للأميرين : وهما التوبة والتعذيب في الآخرة : أولهما أردفه بقوله (وأنبئوا الى ربكم) أي توبوا اليه (وأسلموا له) أخلصوا له العمل (من قبل أن يأتكم العذاب ثم لا تنصرون) إن لم تتوبوا ، ولما كان ظاهر الآية المتقدم ربما يجعل بعض النفوس تفر بظاهاها أردفه بما يوجب الاحتراس في مثل هذا المقام وعدم الاتكال ، فالدين وإن كان واسعاً قد حدد الله فيه لكل امرئ درجة ، فاذا أبلغ لنا أن نأكل ما نشتهي من أنواع اللذات فليس معنى هذا أن يتساوى المنعمس في الحلال المرتطم في لذاته المباحة ومن هو منفق للمال متصدق به خادم للجميع بل الأول أشبه بالحيوان وأقرب للأنعام وكونه مسلماً لا يمنع من تقص درجته ، ان الأول لا يذكر بجانب الثاني ومع ذلك فهو في رحمة الله الذي وسع في ملكه الكبائر والخزير والتمل والنحل وما أشبهها مع الانسان في الأرض بل ذلك يعد كمالاً في ملكه لأن الملك الذي خلا من الناقص ناقص ، فممثل المسلمين يوم القيامة إلا اكتمل تلاميذ المدرسة فيهم السابق واللاحق والضعيف . وليس انتساب الضعيف البليد الى المدرسة بممانع من رسوبه في الامتحان واعتباره متأخراً . كلا . بل قال الله تعالى - وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً - فأى نسبة بين درجات التلاميذ بالمدرسة ودرجات المؤمنين يوم القيامة . وكفكاف هذا المثال أيضاً حال الرجل المتصر في المسلمين ولذلك حض الله على الأخذ بالأحسن فقال : لا تتكلموا على المفرة وتعدوا كاسلين بل اجتهدوا

وسابقوا الى الخيرات (واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم) فاذا سمعتم المغفرة فلا يحملك ذلك على الاتكال لأن هذا يقعد بهممكم وينزلكم أسفل الدرجات وغيركم يطير الى المعالي . فقد يكون المسلم في أسفل الجنة وبعض عبيده أو خدمه أو المساكين من قريته قد طاروا الى العلالى أو نظروا وجه ربهم . فلا تنهونوا في عمل الصالحات فضلا عن التوبة والاخلاص (من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأتم لاتشعرون) بمجيئه فتتداركون بادروا الى العمل واحذروا (أن تقول نفس) أى بعض الأنفس وهى نفس الكافر (يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله) أى قصرت فى جانبه أى فى حقه وطاعته فالجنب كناية فيه مبالغة * قال الشاعر

أما تتقين الله فى جنب وامق * له كبد حرمى عليك تقطع

(وان كنت لمن الساخرين) المستهزئين بدين الله وبكتابه ورسوله وبالمؤمنين فلم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى سخر بأهلها (أوتقول لو أن الله هدانى) أرشدنى الى دينه وطاعته (لكنت من المتقين) الشرك والمعاصى (أوتقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة فأكون من المحسنين) فى العقيدة والعمل فرد الله عليه قائلا (بلى قد جاءك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين) أى قلت لست من الله وتكبرت عن الايمان بها الخ (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) زعموا أن له ولدا أو شريكا أو قالوا الأشياء لنا إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل (وجوههم مسودة أليس فى جهنم مثوى) منزل (للتكبرين * وينجى الله الذين اتقوا) الشرك والمعاصى (بمخازنهم) بصلاحهم وبالطرق التى تؤديهم الى الفوز والنجاة . ثم بين المفازة فقال (لا يمسمهم سوء ولا هم يحزنون * الله خالق كل شئ) من خير وشر وإيمان وكفر (وهو على كل شئ وكيل) يتولى التصرف فيه (له مقاليد السموات والأرض) أى مفاتيح خزائنها واحدها مقلاد أو مقلد ومن ملك مقاليد الخزائن تصرف فيها كما يشاء فهو كناية (والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون) مقابل قوله - وينجى الله الذين اتقوا - (قل) لمن دعاك الى دين آباءك (أفغير الله تأمرونى أعبد) أى أجهلت فغير الله أعبد بأمركم بعد هذا البيان . فتأمرونى جلة اعتراضية (أيها الجاهلون) بالتوحيد ثم هدد الله المشركين موجها الخطاب لرسوله ﷺ فقال (ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك) الذى عملته قبل الشرك أى أوحينا اليك لئن أشركت ليحبطن عملك والى الذين من قبلك لئن أشركوا ليحبطن عملهم . وقوله (ولتكونن من الخاسرين) معطوف على جواب القسم الساذ مسد جواب الشرط (بل الله فأعبد) رد لما أمره به (وكن من الشاكرين) إنعامه عليك (وما قدروا الله حق قدره) وقرى بالتشديد أى ما قدروا عظمته فى أنفسهم حق تعظيمه حيث جعلوا له شريكا ووصفوه بما لا يليق به (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) أى والأرضون حال كونهن مجتمعات مع عظمتهن لا يبلغن إلا قبضة واحدة من قبضاته يوم القيامة كأنها قبضتها بكف واحد والسموات مطويات بقدرته ، والتصد التنيه على عظمته وكال قدرته وحقارة كل فعل عظيم بالنسبة الى قدرته والدلالة على أن تخريب العالم أهون شئ عليه (سبحانه وتعالى عما يشركون) ما أبعد وما أعلى من هذه قدرته وعظمته عن اشراكهم (وتفخ فى الصور) المرة الأولى (فصعق من فى السموات ومن فى الأرض) خروا مغشيا عليهم (إلا من شاء الله) كجبريل ، وميكائيل ، واسرافيل ، وملك الموت ، وجملة العرش أو نحوهم (ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام) قائمون من قبورهم (ينظرون) يقبلون أبصارهم كالمهوتين (وأشرق الأرض بنور ربها) بما أقام فيها من العدل وذلك حين يتجلى الرب لفصل القضاء بين خلقه فما يشارون فى نوره كما لا يشارون فى الشمس فى اليوم الصحو (ووضع الكتاب) أى كتاب الأعمال أو اللوح المحفوظ الذى فيه جميع أعمال الخلق (وجيء بالنبیین والشهداء) الذين يشهدون للأئم وعليهم من الملائكة والمؤمنين (وقضى بينهم) بين العباد (بالحق وهم لا يظلمون) بنقص ثواب أو زيادة عقاب على ما وعدوا به (ووفيت كل نفس ما عملت)

ما علمت) جزاءه (وهو أعلم بما يفعلون) فلا يفوته شيء من أفعالهم . ثم أخذ يفصل ذلك فقال (وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا) أفواجا متفرقة بعضها في أثر بعض (حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها) ليدخلوها (وقال لهم خزنتها) توبيخا (ألم يأتيكم رسل منكم) من نوعكم (يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا) أي وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار (قلوا بلى ولكن كلمة العذاب على الكافرين) أي كلمة الله بالعذاب علينا وهي الحكم عليهم بالشقاوة (قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) والمخصوص بالقم جهنم (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا) أي سيقت مرابكهم كالوفود إلى الملوك (حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم) فزتم ونجوتهم وطهرتم وصلحتهم (فادخلوها خالدين) وجواب إذا تقديره دخلوها (وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده) بالبعث والثواب (وأورثنا الأرض) مكنتنا مما استقررنا عليه نتصرف فيه تصرف الوارثين فيما ورثوه (ثقبوا من الجنة حيث نشاء) أي ينزل كل منا في أي مقام أرادته من جنته الواسعة (فتح أجر العاملين) الجنة (وترى الملائكة حافين) محديقين (من حول العرش) أي حوله (يسبحون) حال من الضمير في حافين (بمحمد ربهم) ملتبسين بحمده أي ذاكرين له بوصفي الجلال والاكرام تلذذا به ، ذلك للدلالة على أن أقصى درجات السعادات الاستغراق في صفات الحق (وقضى بينهم بالحق) أي بين الخلق بعضهم يدخل النار وبعضهم الجنة وبين الملائكة باقامتهم في منازلهم (وقيل الحمد لله رب العالمين) على ما قضى بيننا بالحق والقائلون هم المؤمنون والملائكة . انتهى التفسير اللفظي

﴿ لطائف القسم الثالث من السورة ﴾

- (١) في قوله تعالى - إن الله يغفر الذنوب جميعا - الخ
- (٢) في قوله تعالى - وما قدروا الله حق قدره - الخ
- (٣) في قوله تعالى - وأشرق الأرض بنور ربها - الخ
- (٤) في قوله تعالى - وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمدهم وقضى بينهم بالحق -

﴿ اللطيفة الأولى ﴾

(في قوله تعالى - إن الله يغفر الذنوب جميعا -)

هذه الآية للتنبيه على أنه لا يجوز للعاصي أن يظن أنه لا مخلص له من العذاب فإن ذلك قنوط من رجة الله وهو من الكبائر ، وكذلك من أمن بمرالله ، فكل من تاب غفر الله له ومن لم يقب فأمره لله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

(في قوله تعالى - وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه -)
 في حديث رواه البخاري ومسلم عن ابن مسعود قال : جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال يا محمد إن الله يصنع السماء على أصبع والأرض على أصبع والجبال على أصبع والشجر والأنهار على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يقول أنا الملك فضحك وقال - وما قدروا الله حق قدره - الآية . انتهت اللطيفة الثانية

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

(في قوله تعالى - وأشرق الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون -)

فيه ذكر النور والكتاب والقضاء بالقسط والشهداء ، وجاء في الحديث أنه يتجلى الرب على خلقه فما يشارون في نوره كما لا يشارون في الشمس في اليوم الصحو

كل ذلك راجع الى ظهور الحقائق وتبيان كل شئ والعدل التام بلبازان العدل ، ولعمري إن ما ذكر من ذلك في عالم الآخرة هو الذي يشاهده العقلاء والحكماء في الدنيا ، وهل هناك فرق بين عالم أو بين الدنيا والآخرة من حيث النظام والاشراق ، الأرض تشرق بنور ربها يوم القيامة وأرضنا اليوم وسموانا مشرقة بنور الرب ولكن ذلك النور وذلك العدل اليوم محجوب بحجاب غليظ عن أعين أكثر الناس ، إن أكثر الناس اليوم ممنوعون عن الوقوف على الحقائق لأن هذا هو نظام هذه الدنيا ونظامها أن من فيها يكونون ضعاف البصائر فإذا تجلى الله لهم في عالم بعد هذا أدركوا أن كل أفعاله موزونة ، وهل لك أيها التوكل أن أذكر لك قلا من كل من ذلك الاشراف الذي تجلى به الله في هذه الدنيا على المفكرين وحجبه عن أكثر الغافلين لما يرون من موت وحياة ، ومرض وصحة ، وغنى وفقير وظلم وعدل ، وتفاوت في الأرزاق والأعمال والآجال والأخلاق والأجسام ، والرفعة والضعفة ، والعز والذل ، وما أشبه ذلك ، فإذا أشرق البصائر أدركت الحقائق فظهرت للبصيرين ، وفي هذا المقام جواهر :

(١) - ﴿ الجوهرة الأولى : عدل الله في عالم النبات والحيوان من حيث التغذية ﴾

انظر الى عالم الحيوان والنبات ، قد تقدم أن النبات يحتاج الى مقدار كبير من الكربون لغذائه وتقوية أعضائه فلذلك يأخذ من الهواء حامض الكربونيك وهو مركب من الكربون والاكسوجين فيحمله في بنيتة تحليلا تاما ويأخذ الكربون أى المادة الفحمية لنفسه ويخرج الاكسوجين الى الهواء ، ثم ان الهواء يأخذ ذلك الاكسوجين فيوصله الى الحيوان فيستنشقه ويدور في الدورة الدموية فيصلحها ويخرج الحامض الكربونيك الى الهواء ، فالحيوان يركب في جسمه الحامض الكربونيك ويدفعه الى الهواء والنبات يتقبله فيحمله ويرجع الى الهواء الاكسوجين ، ويطلق العالم (بروفيار) أن مقدار ما يخرج من النبات من الاكسوجين يستد ما يحتاج اليه الحيوان تماما ، فانظر للعدل ، وانظر للنظام ، ألا ترى أن نظام النبات والحيوان قد قام بالعدل وأليس هذا هو نور الله المشرق ؟ براه المفكرون ويحجب عنه الغافلون

يقرأ الناس - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - وإذا امتحنوا طلبا أعطوه مسائل من العلوم ففى أجاب فيها عرفوا انه عالم بتلك العلوم ، ويجالس الرجل عالما فيعرف من حديثه مقدار علمه ونحن وان كنا لم نطلع من العلوم إلا على مقدار صغير مما تحتمله عقولنا في الأرض ندرك من هذا المثال ومن أمثاله مقدار العدل والنظام التام الذى نعيش فيه ، نعيش في الدنيا فترى اننا لانحيا لإلمع النبات والحيوان وننظر فنجد اننا لو كنا نحن والحيوان فى الأرض وليس معنا نبات وكان لنا رزق آخر غير النبات لم يستقم العيش على الأرض ، لماذا ؟ لأنه لانبات يحلل الكربون الذى يخرج من تنفسنا ويتركه كم جيلا بعد جيلا فيفسد الهواء ويموت الأحياء ، فبالعدل والنظام وجود النبات وتحليله لتلك الكربون وارساله ما كان مركبا معه من الاكسوجين الى الهواء أمكن أن نعيش فوق الأرض

أيها التوكل : كم من متعلم علم الطبيعة وهو يجرى على هذا من النسيم على الحساب أو الصرصر على الفضاء . يقرأ كثير من الناس العلوم ولا ينظرون نظرة عامة . فالعلوم فى عقولهم أشبه بالأدوات المستحضرة لبناء البيت

من لبن وطين وخشب وحجر ثم لا يجمع بينها ولا يرى لها صورة جيلة في نفسه منقوشة على صفحات قلبه
يزدان بها فؤاده . ذلك مثل أكثر المتعلمين

(٢) - ﴿ الجوهرة الثانية : العدل بين البرّ والبحر في النبات والحيوان ﴾

يرى الناس فوق الأرض حدائق وأعشابا وبساتين وأعشابا وجنات ألفافا وزهرا باهرا وجبالا ظاهرا
ومعجا عجبا . ينظرون البحر فلا يرون إلا ماء أجاجا وأمواجا تقالا لانبات فيه ولاشجر ولاحدائق ذات ثمر .
لكن بعد التأمل والبحث يرى في البحر كما في البرّ حقول ومزارع فضرات وأشجار باسقات عجيبات .
ولأذكر لك منها الجزائر المرجانية لترى العدل قائما بين الماء والتراب والبحر والبرّ

لوانك ذهبت الى المحيط الهندي الى المحيط الهادى (الباسفيكى) رأيت هناك شجيرات المرجان الحية
ذات الأغصان والفروع مغمرة أو مصفرة تسرى الناظرين أو حراء كالقرنفل أو زرقاء كالزمرد تتلاعب بها الأمواج
وهي لطيفة المزاج لينة الأعطاف مم لا تلبث بعد حين أن تبرز من اجتماعها جزائر مستديرة الشكل كأنها
شكل الخمام أو شكل الحلقة وهي مكوّنة من تلك الأشجار اللينة الأعطاف التي تراكت وصلت وصارت
صخورا مرجانية يبلغ محيطها فراسخ كثيرة . وترى ماء المحيط ينكسر على جوانبها البيضاء البهجة المناظر
السارة للناظرين . منظرها عجيب وأمرها غريب تجذب قلوب الشعراء وتخلّب لبّ الحكماء . وترى هناك
أميرين بديعين : أمر ماء البحر المتلاطم الأمواج المتكسرة على شواطئ جزيرة المرجان وهي زرقاء سوداء لقرط
عمقها وأمر الحوض الذي هو وسط الجزيرة الذي يضرب ماؤه الصافي الى السفرة والخضرة معاً . ماء المحيط
متقلب يرتفع وينخفض . وماء تلك الجزيرة راكد في وسطها ساكن . وهذه الجزيرة يقل ارتفاعها عن الماء
وسواحلها مكسوة بنخيل الكوكو (الشكولاته) والمرجان الذي تبنى منه الشواطئ المرجانية لا يعيش على أعماق
من (٢٥) قامه . وما أكثر هذه الجزائر . فمنها مجموع جزائر تبلغ (١٠٠٠٠٠) مائة ألف جزيرة مرجانية
ومنها مجموعة تبلغ (١٠٠٠) ألف جزيرة . وهي جزائر متناسبة الارتفاع . فالأولى هي المسماة (بلكاديف)
والثانية هي المسماة (ملاديف)

فانظر كيف اعتدل الأمر بين البرّ والبحر فكان نبات في البرّ ونبات في البحر ولكن لا تطلق من قولنا
نبات اتنا قول ان المرجان نبات . كلا . انه حيوانات كثيرة صغيرة منتظمة في حال واحدة معا تكون على
هيئة الأغصان والأوراق والأزهار وهي حيوانات باجتماعها أشبهت هيئة النبات

(٣) - ﴿ الجوهرة الثالثة : العدل في خلقه العيون وعدمها وهومن نورالله في أرضنا ﴾

معلوم أن العين خلقت لمنفعة الحيوان ، ولاحيوان إلا وهو محتاج الى العيون ، ولكن ظهرت من
الحيوان ما تكون العين بالنسبة له حلا ثقيلًا ولائمة لها عنده ، ذلك أنواع من السمك تعيش على عمق
(٢٧٥٠) قامه والقائمة بقياس مقداره ستة أقدام . وتسمى هذه بالحيوانات القرارية . ضوء الشمس معدوم
عندها لأنه لا يصل إلا الى عمق (٢٠٠) مائتي قامه وما تحت ذلك فهو ظلام حالك . ولذلك لا يرى أثر للعيون
في كثير من فصائلها . ومن السرطان نوع يكون له عيون وهو عائش قرب سطح الماء . فاذا عمق مسكنه
وصار ما بين (١٠٠) قامه و(٤٠٠) قامه من السطح فقد عينيه وقد يبقى له منهما موضع الأثر . وما يعيش
منه على بعد (٥٠٠) قامه الى سبعمائة قامه يعدم الآلة البصرية

فانظر الى العيون كيف عدمت عند عدم الحاجة اليها إذ لا ضوء تبصره وكيف ظهرت في الحيوان عند
اقتربه من ضوء الشمس وعدمت عند عدم الضوء - إن ربك حكيم عليم -

(٤) - ﴿ الجوهرة الرابعة : السمك ذو المصباح ﴾

وهل أتاك أيها التكيّ نبا السمك الذي يعيش في قرار البحار في الظلام الحالك الذي لا تصله الشمس

وهو مع ذلك ذوعينين كاملتين عجيبتين تاتين . فانظر كيف يصيرهما ولاضوء هناك . وقد قلنا ان الضوء لا يعدو مائتي قامة فكيف وهو في أبعاد الأغوار ولاضياء هناك . فانظر كيف أبدع الله لتلك الحيوان ما أبدعه لنا على هذه الأرض . ألم تر أننا في ظلمة الليل نوقد المصابيح الكهربية والزيقية والشمعية وما أشبه ذلك أعطانا الله ذلك لنستضيء اذا احتجنا الى الضياء ونكف عن الاستضاءة اذا أردنا النوم والسكون فيكون الضوء تحت ارادتنا بأفعالنا . أما في النهار فالضوء عام بغير ارادتنا . فانظر ماذا فعل الله مع ذلك الحيوان ! أعطاه عضوا يشع سراجا وهاجا بحيث يكون أمام عينيه ليكشف به القرية . ويظهر ذلك النور أمام عدوه المفاجئ له ليبهره بالنور ثم يطفئه أسرع من البرق . فهذا السمك يستعمل النور بحكمة يكشف به القرية ويطفئه اذا هاجه العدو وقد جعل له أمام عينيه ما يعكس الضوء بمقياس خاص . فانظر كيف أعطى الله السمك المقتصد العيون والضوء الذي تحت ارادته ليكشف القنينة ولولا ذلك لم يقدر أن يعيش إذ حياته بالصيد ولاصيد مع العمى والظلام . وكيف منع العيون عن غير هذا النوع لأنه ليس في حاجة لتلك لأن رزقه متوافر لديه حاضر عنده والا أعطى العيون والضياء . والضوء هناك والعيون يشهان بما أعطى السج من البرائن والأنياب المحددة والقوة العظيمة حتى يقدر على الصيد . وقد علمت في هذا التفسير أن الحيوانات المفترسة في البر والبحر رحمة لحفظ البر والبحر من التعفن بالرغم فيكون الوباء العام كما أوتخناه مرارا في هذا التفسير

بهذا فلنفهم قوله تعالى - وأشرق الأرض بنور ربها - فهذا نوع من اشراق الأرض بنور الله ولا يدرك هذا النور وهو العدل والنظام في هذه الدنيا إلا قليل وأكثر الناس عن هذا الجمل معرضون فيألت شعري كيف يكون كتابنا هذا مقتضاء ونرى المسلم لا يقرأ علم التوحيد إلا على نطمهم غامض . ألا ترى كيف يجعل بحثه قاصرا على نحو « ان العالم حادث وكل حادث لا بد له من محدث » وهكذا وهو مغمض العين عن هذا الجمل بعيد عن هذا المنال . يقول الله - وأشرق الأرض بنور ربها - ويقول - إنا زينا السماء الدنيا بمصابيح - والمسلمون وحدهم أكثرهم يغمضون العيون عن هذا المنظر الجليل البهيج فهذا هو الاشراق النورى في الأرض وهو نظير الاشراق يوم القيامة في عالم الأرواح . واذا أشرقَت الدنيا على هذا النمط وقد أدرك هذا الاشراق حكماء الانسان . ومعلوم أن عالم الأرواح أصنى وأبهج وأعدل فهناك فيمكن العدل والعلم . وكلما كانت الأرواح أصنى وأبقى بالعلم والتهديب والأخلاق كانت الى الوقوف على الحقائق أقرب وبالعلم تخرج الى العلاك والمعارض . ولا معنى للعروج إلا زيادة انكشاف الحقائق . وكل من كان في الدنيا أكثر علما وشوقا له كان في الآخرة أسرع وصولا وتحقيقا وعروبا . وهذا هو :

﴿ اللطيفة الرابعة ﴾

(في قوله تعالى - وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم

بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين -)

في هذه الآية ذكر الملائكة وانهم حافون حول العرش وانهم يسبحون وأن التسبيح ما تنسب بحمد الله وانهم في مراتبهم التي يستحقونها هم والمؤمنون وغيرهم ، وأن المؤمنين والملائكة يقولون الحمد لله رب العالمين وسيأتى في سورة حم المؤمن وهي ﴿ سورة غافر ﴾ أى في أولها أن الذين يحملون العرش والحافين حوله وهم الكروبيون يسبحون مع حمد ربهم وأن أرجلهم في الأرض السفلى وروسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وجميع الملائكة يقدون ويروحون بالسلام عليهم الى آخر ما سيأتى ، فدكر في هذا المقام هؤلاء الذين هم سادات الملائكة وهم المدبرون لهذا العالم من عرشه لفرشه ، ذلك لأن معنى اختراقهم

للعرش ووصول أرجلهم للعرش الاحاطة بالعالم كلها علما وتدبيراً بأمر ربهم ، ومعنى كون الملائكة تسلم عليهم انهم يتلقون الأوامر عنهم فرجع الأمر كله الى العلم والعمل . وهذا هو الذى أوجب ذكركم هنا للناسبة ، ألا ترى أن ما قبلها فيه أن الأرض أشرفت بنور ربها وأن القضاء عدل وأن أهل الجنة سيقيموا اليها وفتحت أبوابها لهم وسلم الملائكة عليهم وجدوا الله إذ أورشهم أرض الجنة ، فهنا جردان : جرد المؤمنين لما دخلوا الجنة فقالوا - الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض - الخ فهذا حمد على شيتين : صدق الوعد . وميراث أرض الجنة . وحمد الملائكة بحمدون الله حمداً ليس خاصاً بأمر يرجع الى أنفسهم أو صدق الوعد معهم . كلا . بل هو حمد على تربية العالم كله علوه وسفليه . وهذا الحمد أعلى . ولذلك ترى أهل الجنة الذين جدهم مقيد ينظرون الى الملائكة الحافين حول العرش وقد أنزلوا مراتبهم وجدوا محامداً عالية شريفة يجلس أهل الجنة فى الجنة ويرون الملائكة حافين من حول العرش الخ . حال الملائكة أرقى من حال أهل الجنة لأنهم مدبرون للعالم وأهل الجنة فى ركن منه وهى الجنة ، والعالم الروحى أرقى من العالم الجثمانى وأجل لذلك عبر بلفظ ترى إشارة الى رفعة شأنهم وكأن الناس ينظرون اليهم نظراً الاحترام إن درجة الملائكة قبل درجة أولى العلم فى قوله تعالى - شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط - . فأهل الجنة من العائمة والعلماء بعد الملائكة فلذلك كان جدهم راجعاً للنظام العام . وكلما كان الانسان فى الدنيا أغزر علماً بجمال هذا العالم كان أسرع رقياً فى درجات الآخرة وأقرب الى الملائكة . فلأقرب لله إلامن حيث ازدياد العلم والانكشاف والحمد لله رب العالمين . انتهت الطائفة الرابعة

﴿ انكشاف الحقائق من أسرار القرآن ﴾

(فى آخر سورة ص وأول سورة الزمر)

من قوله تعالى - ما كان لى من علم بالملأ الأعلى - الى قوله - فأنى تصرفون -

سبحانك اللهم وبحمدك . تبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك . أنت الذى أنعمت بنعمة العلم والعرافان وشرحت صدورنا ويسرت لنا ظهور بعض الحقائق العلمية التى أغفلت عنها أمم وأمم تبين لى أن أم الاسلام المستقبلية قد أذن لها أن تعرف من العلم ما لا يعرفه كثير من سبقها بعد العصور الثلاثة الأولى . إن حقائق الدوالم والأسرار الكامنة فى القرآن كانت تكشف لأفراد فيكتمونها وجوبا ويموتون وإذا كتبوا عنها فإن ذلك كان تحت ستار . أما اليوم فأنى أرى أن الحقائق ستنبجلى للأمم المستقبلية الاسلامية الذين سيكونون خير أمة أخرجت للناس كما كان الصحابة والتابعون وتابعوهم - خير أمة أخرجت للناس - وفضرة فى المحاوراة الآتية تبين مغزى ما قلته الآن

فى يوم السبت (٦) أغسطس سنة ١٩٣٠ حضر لى صديقى الذى يباحثنى فى هذا التفسير فقال : إن آخر سورة ص وأول سورة الزمر فىهما مشكلات حيرت عقلى وأدهشت لى ! إن هذا التفسير قد تجلّت فيه حقائق كثيرة ولكن أكثر الحيرة والشك ترجع الى ما يأتى :

- (١) الله عظم الانسان إذ أمر الملائكة الأرضية بالسجود له - فقعدوا له ساجدين -
 - (٢) وإذ خلق السموات والأرض ، وكوّر الليل والنهار ، وسخر الشمس والقمر
 - (٣) أنزل له من الأنعام ثمانية أزواج الخ
- ولكنه أذله بما يأتى :

- (١) أباح لإبليس أن يغوى أكثر ذريته
- (٢) وحكم على ذرية آدم أن يكونوا مع إبليس وذريته فى جهنم ويلبثوا من الفريقين

(٣) ثم إنه في الرحم يكون في ظلمات ثلاث

فهو في الرحم في ظلمات ، وإذا خرج إلى الأرض يكون تحت سلطة الشياطين ، وإذا مات دخل أكثر
 بنى آدم جهنم . إذن هذه ظلمات متواليات : في الرحم ، وفي الحياة ، وبعد الموت . فالظلمات متتابعات على
 هذا الإنسان . ظلمات جسمية في الرحم ، وظلمات عقلية بالوسوسة فوق الأرض ، وظلمات جهنمية بعد الموت
 فهذه أمور مشكلات وإذا قرأنا ما تخلل هذه الظلمات وجدنا راحة واسعة إذ جاء فيما بين السورين « بسم
 الله الرحمن الرحيم » وهي آية من السورة ، فذكر الرحمة هنا مشكاة . وكيف تذكر الرحمة هنا والمقام فيه
 الرحمة والغضب فهل تسليط إبليس على ذرية آدم وادخالهم جهنم يناسب الرحمة المذكورة في أول السورة ؟
 هذه مشا كل علمية لم تحلها العقول قديما إلا رمزا وما السبيل لحلها ؟ فقلت الحمد لله . إن بيانك الذي
 أردت به إيضاح الاشكال أفادني حقيقة الجواب . فقال وكيف ذلك ؟ فقلت لأوضح لك المقام إيضاحا تاما .
 أنت ذكرت أن هذه الآيات فيها أن بنى آدم في ظلمات الرحم . وانهم تحت سلطان الشياطين في الدنيا وهم
 معهم في جهنم وأن هذا كله ينافي الرحمة . هذا ملخص إشكالك . فقال نعم . فقلت : وماذا تقول إذا علمت
 أن الله لو لم يفعل ذلك لم يكن رحيمًا بنا وأن تسليط إبليس وظلمات الرحم الثلاث كلها نعمة لا تقمة وما نظنه
 في بادئ الرأي تقمة هو في حقيقته نعمة لكن بعد البرس والعلم والله جل أن يعطي النعمة لمن لا يستحقها
 وهل يستحق إدراك الحقائق إلا الهامسون . أنا سأسمعك الحقيقة اليوم ناصعة واضحة وهل يفهمها إلا العارفون
 أو يدركها إلا المفكرون الذين درسوا من كل فن طرفا . فقال : لقد شوقني إلى الجواب وإدراك حقيقة
 هذه الأسرار . فقلت : انظر رعاك الله إلى الطفل في بطن أمه كما ذكرته أنت . انه وضع في الحجب الثلاث :
 في الرحم محافظة عليه كما هو معلوم للناس قاطبة فلواحه تعرض للشمس لم يعش بل لو ظهر للهواء مجردا من ضوئها
 لم يعش . فأنه عز وجل لم يمنعه من نعيم الهواء وضوء الشمس ضنا بالنعمة واذلالا وإنما منعه ذلك رحمة
 ورأفة ونحننا فلاحه هذه الرحمة ولولا هذا لم يترب في بطن أمه . وأنا موقن أنك ما ذكرت هذا في الاعتراض
 إلا لأنك جعلته ضرب مثل للظلمات العقلية التي سببها إغواء الشياطين للإنسان والافأنت تعلم وجميع العقلاء
 يعلمون أن هذه الظلمات في الرحم نعمة . فالذي دعاك لذكرها إنما هو التنبيه على أن هذه الحجب تذكرنا
 بالحجب العقلية التي تعتربه بعد خروجه إلى الأرض وهو يعيش مع الناس . قال حقا هو كذلك . فقلت : وماذا
 تقول إذا قلت لك ان ما جعلته أنت ضرب مثل للاذلال رأيت أنه أنا ضرب مثل للأتعام . فقال : أنا لم أفهم
 ما قصد فأرجو إيضاحه . فقلت : إن الله سبحانه الجين في الرحم في ظلمات ثلاث وقد اتفق العقلاء أن هذا
 رحمة لا تقمة ، ذلك لأن الجين لا يقدر أن يقابل ضوء الشمس ولا الهواء طبعالضعفه فأنت انتهزت هذه الفرصة
 وجعلتها أشبه بضرب مثل لما سيلحقه من الظلمات ، وأنا أوضح لك الآن أن هذه ضرب مثل لما سيلحقه
 من النعم . إن هذا الجين المحجوب بالظلمات الثلاث رحمة به إذا خرج إلى الأرض حجب بنحو (١٦)
 ظلمة جسمية محافظة على حياته ورحمة به ، وما يقرب من مائة ظلمة عقلية محافظة على عقله والا لاختل نظام
 تفكيره ، فإذا رأينا الجين حفظ بهذه الظلمات الثلاث في الرحم فالرجل يحفظ من الهلاك الجسمي بظلمات
 تبلغ (١٦) ومن الهلاك العقلي بظلمات تبلغ نحو المائة ، وكما أن الجين لو تعرض للجو لمات ، هكذا الطفل
 والمراهق والبالغ والشيخ إن كان جو الأرض ليس فيه طبقات من الغبار والنترات التي تحجب ضوء الشمس
 وتلطفه وتخففه ثم تكون سبب انتشاره لكافة الحياة لا تطلق ، فأشوع الغبار والدخان الخارجات من الأرض
 المعتامت لهذا الجو ما هي إلا حجب لأبصارنا وهذه الحجب لولاها لم نطق الحياة على الأرض ولم ينتظم ضوء
 الشمس حين وقوعه على الأرض ولم يكن عندنا فجر ولاصبح ولاوقت فيه شفق بل تطلع الشمس وتغرب
 فجأة ويكون ضوءها شديدا دائما فلا تطيق العيون رؤيته قرص الشمس صباحا ولا مساء ويكون الضوء جفانيا

والظلام بجائيا . فهذه الحجب والظلمات في الجوّ نسبها الى حياتنا على الأرض كنسبة الظلمات الثلاث للجنين ومثل ما قلنا في ظلمات الجوّ النافعات في انتشار الضوء الموزعات له على الكرة الأرضية المصلحات لحال أهل الأرض تقول في وساوس الشيطان . وما وساوس الشيطان إلا أمثال ما نراه من نهافت الذباب على طعامنا وشرابنا مع اننا نأكل العسل الذي نشأ من خلايا النحل . فنسبة وسوسة الشياطين الى عقولنا من حيث انها تصدنا عن الاطلاع على الحقائق جأة ونحن لانطبقها كنسبة ظلمات الجوّ البالغة (١٦) ظلمة من حيث انها تخفف ضوء الشمس الواصل الى عيوننا بحيث يقل في أكثر النهار عما يمكن أن يصل اليها فوق ألف مرة . إذن ضوء الشمس لا بد أن يخفّ بحجب حين يصل لنا والعلوم والمعارف التي يتجلى الله بها على عقولنا اذا لم تحجبها الوساوس الشيطانية التي استعدت لها نفوسنا بشهواتنا وأخلاقنا الأرضية فانها تكون سببا في إهلاك أرواحنا لأنها لاتقدر أن تتحمل جميع الحقائق دفعة واحدة كما لاتحتمل عيوننا ضوء الشمس من غير أن يطفئ بظلمات الجوّ وكما لاتحتمل الجنين أن يعيش إلا في ظلمات تقيه

أنا أقول هذا وأنا أصبحت موقنا به إيقانا تاما . وهذا هو اليقين الذي أعلنه لأهل الأرض قاطبة ولك أنت أولا . فقل لهم جييا إن الله أذن بظهور الحقائق

إن مافي الأرض من الأخلاق الفاسدة واغواء الشياطين الأرضية . كل ذلك رجة لأنه لولاه لم تتحمل العقول شمس المعارف العلمية التي تستعد لها النفوس الأرضية بظلماتها . وكما أن الطعام الذي كثرت مادة الغذاء فيه كاللبن واللحم والبيض اذا دام امرؤ عليه فان عاقبه تكون هلاكه غالبا لأن هذه المواد الممتلئة أغذية اذا وردت على الجسم أخذت تهجم على الحوى يصلات هجوما شديدا فتظهر القوة وحسن الشكل وجمرة الخلد وروفق الجسم ثم لا يلبث الجسم أن يصل لاحدى نتيجتين : إما أن يكون قويا فتخرج له بشور وتظهر أمراض بها تخرج تلك العطل . وإما أن يكون ضعيفا فلا يقدر على ذلك التصريف بالأمراض فيفاجئه الموت بكرة أو عشيا

هذا ما تقدم في هذا التفسير مرارا وتكرارا عن علماء الطب في العصر الحاضر . أقول : كما ان الطعام هذا شأنه هكذا العلوم والمعارف فهي أغذية للروح وللروح استعداد خاص كاللحم . فكما أن الأغذية البنية واللحمية والبيضية قد يكون فيها خطر على الأجسام كما تقدم هكذا العلوم التي تصل للعقل جأة تهلك الروح . وكما أن الأغذية النباتية ونحوها (وفيهما أغذية غير مركزة بل هي داخلية في ضمن مواد أخرى) تدخل على الحوى يصلات الجسمية بلطف فلا تزججها هكذا المعارف والعلوم اذا وصلت الى الأرواح والعقول شيئا فشيئا تدريجا تكون مقبولة ولا تخطر فيها ، وكما أن الشمس يظهر نورها على جميع الأرض وقد خفت بالغبار في الجوّ هكذا الأنوار الإلهية التي يرسلها الى عقولنا لا بد من تخفيفها حتى تتحملها عقولنا ، وأول حجبنا أجسامنا فهي ظلمانية ثم شهواتنا وأنواع شرورنا التي تحيط بنا احاطة الغبار والدخان في جؤنا بعيوننا ، وكما أن الغبار والدخان ظاهرهما عذاب وباطنهما رجة ، هكذا وسوسة الشياطين التي لاتكون إلا تبعاً لشهواتنا هي نعمة باطنا نعمة ظاهرا ، وأضرب لك مثلا : لقد ظهر في أمريكا غلام منذ نحو (٢٠) سنة فأكثر دخل المدرسة وأخذ يتعلم الحساب فما مضت نصف سنة وهو لم يبلغ سبع سنين حتى فاق أباه في العلوم الرياضية كلها وأتى بحساب مجهولونه فانهم كلما قالوا له : اجمع الطرح الضرب القسمة اللوغارتم المعادلات الجبرية يقول لهم أنا أعرفه وكان أبوه رئيس الكلية فطلبوا علماء الطب من أقطار الأرض فيبحثوه وقالوا جميعا إن هذا الغلام قصير الأجل لأن عقله أكبر من جسمه وهذا الجسم لاتحتمل هذا العقل وقد مات وسنه (١٣) سنة ، وقد ظهر كثير أمثاله على هذا النمط ، فهؤلاء جاؤا الى الأرض ليوقظونا الى أمثال هذه الحكم ولنعرف أن حياتنا كما أن فيها ذببا وحيات وعقارب لا يبداننا فيها نحمل ودود قز وأنعام لاسعادنا ، وأن النقيضين لا بد منهما ، وأن النعم التي

لاقم معها مجهولة مكفور بها والصد يكون سببا في ظهور ضده . وأنا أيها الصديق أرى أني قد استوفيت هذا المقام وأنا أجد الله جدا كثيرا ولعلك قد اكتفيت بما سمعت . فقال : أما هذا البيان فلم أسمعه في حياتي منك ولا من سواك ولكني لا أترك القول يمر بلا فهم بعض ما تقدم . ماهي الظلمات التي في جوتا ؟ وكيف تقول إن الغبار والدخان تصنعان حجبا في الجو تبلغ (١٦) حجبا ؟ وكيف تقول إن ضوء الشمس يكون أقلّ فوق ألف مرّة ، كل هذه ألفاظ لا تحمل إلا بالابضاح . فقلت بإصاح وهل يوضح هذا إلا العلوم . فقال أي علوم ؟ فقلت علوم الطبيعة والفلك . فقال أحب أن تشرح المقام شرحا وافيا لتفرح بالعلم وتسد بالحكمة فقلت : اعلم أن الجاهل يعيش ويموت ولا يحظه من هذا الوجود ، أما الحكيم وأما العالم فانه هو يرى أن هذه الدمار أشبه بالقصور المسحورة فان مشاهدته أشد غرابة من مشاهد دور الصور المتحركة التي تمثل فيها الوقائع الحربية والطبيعية وغيرها فمشاهد الدنيا مملوءة بالأحوال الغريبة

(١) فانظر الى الكواكب ليلا والشمس في وسط السماء فانك تراها قريبة منا ، ثم انظر الى الشمس عند الشروق وعند الغروب فانك تجدها بعيدة عنا وهذا عجب كيف تبعد الشمس في الشروق والغروب وتقرب وقت الزوال ؟ أليست الأرض تدور حول الشمس في دائرة منتظمة وبعدها من جميع الجهات متحد في اليوم الواحد فهل تبعد عند الصباح وتقرب وقت الظهر ؟ إذن ليست تجرى في دائرة بل في خطوط منكسرة ولا قائل به

(٢) ثم انظر الى الشمس صباحا فاننا نقدر أن ننظرها بأبصارنا مع بعدها ، وانظر اليها وقت الظهر فاننا لانستطيع النظر اليها مع قربها منا في رأى العين وكثرة الضوء

(٣) ثم إن النجوم الثوابت تراها قريبة منا والشمس تراها بعيدة صباحا ومساء كما تقدم مع ان الشمس بيننا وبينها بسير النور (٨) دقائق و (١٨) ثانية ، وبيننا وبين الكواكب آلاف وملايين السنين بسير الضوء ، فكيف كانت هذه المشاهد ساحرة لعقولنا غريبة الأطوار محيية الأحوال

هذه هي الغرائب الساحرة المحيطة بنا وهذا لا يفهم إلا بالنظر في علم انكسار الضوء من علم الطبيعة أولا وبالنظر في علم الفلك من حيث ضوء الشمس وانشاره على الأرض ثانيا ، وقبل ذلك نشرح علم الهواء . إذن هنا « ثلاثة فصول : الفصل الأول » في شرح الهواء « الفصل الثاني » في انكسار الضوء في علم الطبيعة « الفصل الثالث » في آثار ذلك الانكسار في علم الفلك . فقد جاء في كتاب الاصول الوافية في علم القسوموغرافيا لأستاذنا المرحوم حسنى بك

﴿ الفصل الأول في علم الهواء ﴾

تحاط الأرض من جميع الجهات بغاز ضرورى لوجودنا وعلى أى ارتفاع يرتقى اليه يوجد الهواء دائما لكن من المحقق أن هذا الهواء لا يمتد الى غير نهاية في الفراغ بل يكون حولنا طبقة تسمى جوا . ويتكون من الجوى والكرة الأرضية جسم واحد لأنها تجذبها اليها ويشترك معها في جميع حركاتها

ويظهر ان تركيب الجوى ثابت في جميع الأقطار وفي جميع الارتفاعات وهو مخلوط من الاكسيجين والازوت بنسبة ٨٠ و ٢٠ حجم من الاكسيجين الى ٢٠ و ٧٩ من الازوت وبنسبة تثل قدره ٢٣ جزأ من الاكسيجين الى ٧٧ من الازوت . ويحتوى خلاف ذلك على بخار الماء وأثر من حمض الكربونيك

وللجوى جميع خواص الغازات . ومردوته وكثافته يتناقصان كلما ارتفع الانسان وذلك لأن الهواء جسم ثقيل كباقي الغازات وعليه يجب أن تكون الطبقات السفلى أكثف وأكثر انضغاطا من الطبقات العليا التي تحمل ثقلها وبالاقتراب من نهاية الجوى يجب مقابلة طبقات خفيفة للغاية وقليلة المردونة جدا

وحارة الطبقات الجوية تنقص بقدر ١° في كل ١٥٠ مترا أو ٢٠٠ مترا من الارتفاع لغاية ٧٠٠٠ مترا

- (١) فالارتفاع يَرب من (٤٨) كيلومترا
 (٢) والتركيب من الاوزوت والاكسوجين : الأول (٧٧) جزأ والثاني (٢٣) وثقله (٥٨٥) ألف مكعب من النحاس كل مكعب ضلعه كيلومتر
 (٣) وحرارته تنقص درجة في كل (١٥٠) مترا أو (٢٠٠) وهذا يستمر الى (٧٠٠٠) مترا بعدها تصبح الحرارة (٦٠) درجة
 (٤) وطبقة الهواء فوق الأرض أكثر من الطبقة البعيدة عنها (١٦) مرة
 (٥) وضوء الشمس في الأفق أقل منه في السم (١٣٥) مرة
 (٦) والضوء الآتي من الكواكب القريبة من الأفق أضعف جدا من الضوء الآتي من الكواكب التي تقرب من سمت الرأس فتكون الأولى أبعد عنا من الثانية
 (٧) وعليه تظهر قبة السماء منحنية
 (٨) والهواء الجوى هو السبب في انتشار الأضواء صباحا ومساء
 (٩) ولولا الهواء لم تكن السماء إلا سوداء نهارا وترى النجوم ظهرا
 (١٠) ولولاها لاتقل الناس جفاة من الظلام الى النور وبالعكس
 فلخص هذا الفصل عشر مسائل ، ولكن الكلام على انتشار الضوء هو الذي نحتاج الى الكلام عليه في الفصل الثاني

➤ الفصل الثاني في الكلام على انتشار الضوء من علم الطبيعة ➤

هنا قال صاحبي أريد شرح انكسار الضوء شرحا سهلا بسيطا يفهمه الجاهل والعالم . فقلت : اعلم أن الامور البسيطة هي أصول الامور العظيمة ، ضع عصا في إناء فيه ماء وانظر ألت تراه أشبه بالمنكسر . فقال أي ور بي . فقلت : هذا هو الانكسار ، فهذه المسألة البسيطة هي أصل الانكسار المذكور في علم الفلك وأصل للصبح والمساء وانتشار النور على الأرض . فقال هذه أمور لاتزال تحتاج الى البيان . فقلت : إذن أريك ذلك عملا فأسمعك ما جاء في كتاب « العلوم الطبيعية » للعلامة (بول برت) الاستاذ في السربون ووزير المعارف العاتمة بفرنسا الذي ترجمته الى الانجليزية زوجته ، وقد ترجمت هذا الفصل من ذلك الكتاب فقد جاء تحت هذا العنوان « انتشار الضوء » ما يأتي :

« انظر . أنا الآن ممي زجاجة مملوءة ماء وقد وضعت في الماء عودا من القش (انظر شكل ٦)



(شكل ٦)

- | | |
|---|---|
| تجربة (أ) | تجربة (ب) |
| (عود صغير من القش يظهر للعين انه مكسور في الماء وهذا هو انكسار الضوء) | (إن الشعاع الضوئي في الماء انكسر وصار سببا في أن قطعة النقد أخذت تظهر عند النقطة (أ) |

إن العود يظهر في تجربة (أ) كأنه مكسور وهو يقرب في نظر العين من الأفق عند دخوله في الماء . ولا جرم أنك عالمنا

ليس بالظن أن العود لم ينكسر ولكنك قلما تقدر أن تحافظ على إحساسك من انخداعه بهذا الانكسار وهذه هي التجربة الأولى (التجربة الثانية) (ب) وهو صندوق من القصدير وقد وضعت في أسفله قطعة من النقود وهي (البن) . تعال يا جيمس وقف حتى تنظر أبعاد طرف من قطعة من النقود أمامك . وهأنذا الآن أخذت في صب الماء في الصندوق قليلا قليلا بلطف خيفة أن تنتقل قطعة النقد من مكانها . أخبرني ما الذي شاهدته ؟ فأجاب أنا أشاهد قطعة النقد بحسب الظاهر ترتفع وتتحرك إلى جهة (ا) وإنما حصل ذلك لأن أشعة الضوء من قطعة النقد تعطف وتنثني كما اثنت وانعطفت قطعة العود من القش قليلا فيما سبق هذا معنى انكسار الضوء . وبهذا تم الكلام على الفصل الثاني الذي أثبت به من علم الطبيعة مع إيضاحه والحمد لله رب العالمين

الفصل الثالث في آثار ذلك الانكسار في علم الفلك

أنت أيها الذكي لاحظت العود وهو في الماء وشاهدت أنه في رأي العين قد انكسر والحقيقة أن الانكسار إنما هو في الضوء لأنه متى دخل من جسم أظف إلى جسم أكثر حصل له هذا الانكسار وهذه الظاهرة أصبحت مفهومة ، ولكن هل يدور بخلد الأطفال إذ يضعون الأعواد في الماء ويرونها قد انكسرت ويضحكون من ذلك ويحجبون ، إن هذه المسألة هي أعظم رجة أنزلها الله إلى الأرض كما سأوضح لك وما هذا العود في الماء المتقدم وانكسار الضوء فيه بالنسبة لانكسار ضوء الشمس في الجو عند ملاقاته الطبقات المعتمة إلا كنسبة الهواء المنطلق في المنزل بهيئة رياح عند إيقاد النار فيه فيرتفع الهواء فيحل محله هواء آخر من خارج الباب ، فهذه الظاهرة الصغيرة الهوائية في المنزل هي بعينها التي تحصل في خط الاستواء وغاية الأمر أن الشمس تسبيل بالنار هنا ، فالشمس تلح بحرارتها على الهواء فيخف فيرتفع فتأتي الرياح من الشمال والجنوب فتحل محل الهواء الذي ارتفع فهكذا نقول هنا ، فاذا رأينا العود لما وضعناه في الماء انعكس في الاناء وظهر لنا أنه مكسور فهذا عينه هو المسمى انكسار الضوء

فاذا رأيت الأرض قد زانها ضوء الصباح قبل طلوع الشمس وزانها الضوء بعد غروب الشمس . وإذا رأيت البلاد الشمالية بعد درجة (٦٦) حين يكون الليل أسبوعا أو شهرا أو شهرين فانك ترى البلاد هناك مستقيمة ضوياً بديعاً جيلاً يفوق في سناه كل جبال وهذا الضوء يبقى بعض أيلم أو أسابيع لأن الشمس اذا غربت هناك فانها لاتزال تحت الأفق قريبا من سطح الأرض وهي بدور دورة رحوية . فأسعد هؤلاء بذلك الضوء الجليل الذي يريهم الطرق الثلجية الجليته وتكون إذ ذاك حركة البيع والشراء متسعة وتكون بحارهم جامدة يمدون على ماثما بأنفسهم ودوابهم

فيا ليت شعري من أين جاءت لهم هذه النعم كلها ! جاءت بسبب انكسار الضوء اذا جاء من الجو اللطيف إلى الجو الكثيف على وجه الأرض . فالكثافة في الجو كانت أعظم نعمة على الانسان والحيوان و بسببها كان انكسار الضوء فانتشر في الآفاق ، وهالك إيضاح هذا المقام مما جاء في كتاب « الاصول الوافية » في علم القسوموغرافيا المتقدم ، تحت العنوان الآتي وهذا نصه :

(انكسار الضوء)

يمتد الضوء على خط مستقيم في وسط متجانس لكن عند ما يقابل شعاع ضوئي السطح الفاصل بين وسطين في اتجاه مائل فانه يزوغ ويسمى هذا الزوغان انكسارا ، واذا مَدَّ عمود على السطح الفاصل بين وسطين من النقطة التي ينكسر فيها الشعاع الساقط فان هذا العمود والشعاع يعينان مستويا يسمى مستوى السقوط ، وعوضا عن أن يستمر الضوء في طريقه على خط مستقيم يزوغ ويقرب الشعاع الضوئي المكسر أو يبعد عن العمود بدون أن يخرج عن مستوى السقوط فيقرب من العمود اذا حصل المرور من طبقة هوائية إلى أخرى

أكتف منها ويبعد في الحالة العكسية
إذا تقرر هذا يمكن قبول أن الجو مركب من طبقات متعددة المركز كثافتها تأخذ في النقص كلما بعدت
عن سطح الأرض ولتكن (س دس دس) السطوح الفاصلة بين هذه الطبقات المختلفة (انظر شكل ٧)



(شكل ٧)

فالشعاع الضوئي الآتي في الاتجاه (ل م) يقرب من العمود بدخوله في الطبقة (س دس) وينبع الاتجاه من
مثلا وفي (ن) يعتبره زوجان جديد وينبع الاتجاه (ن ق) في الطبقة (س دس) وأخيرا يزوغ في (ق)
وينبع الاتجاه (ق و) داخل الطبقة (س دس) بحيث إن الراصد الموجود في (و) يرى الشيء في الاتجاه
(و ل) وفي الحقيقة لا يقع الضوء خطا منكسرا بل خطا منحنيا لأن كثافة طبقات الهواء تأخذ في الازدياد
بدرجة غير محسوسة ، والراصد يرى الشيء المضيء (ل) في اتجاه المماس في (و) لخط السير المنحني وصورة
الكوكب أو وضعه الظاهري لا يبدل حينئذ على وضعه الحقيقي وبالنسبة للراصد يكون الارتفاع الظاهري
للكوكب فوق الأفق أكبر من الارتفاع الحقيقي وتلك هي الظاهرة المسماة بانكسار الضوء وجميع الكواكب
توجد بهذه المثابة في غير مواضعها . وحيث أن الخطأ يكون أعظم كلما كانت الطبقات المقطوعة أكثر كثافة
وأكثر ميلا بالنسبة للأشعة الضوئية فلا يكون الانكسار واحدا للارتفاعات المختلفة . انتهى الكلام على
الفصل الثالث والحمد لله رب العالمين

﴿ نتيجة هذه الفصول الثلاثة ﴾

إن الانسان في الظلمات الثلاث وهو جنين : في بطن الأم وفي الرحم وفي المشيمة قد جعلت هذه رحمة
وصيانة له كما أنعم عليه وصين بما ملي به جوتا من الغبار والدخان اللذين كانا سببا في انكسار الضوء فأمكننا
أن ننظر نور الشمس وقمرها بأعيننا صباحا ومساء وانشرنور الصباح والمساء وأشرق الضوء نهارا على أقطار
المسكونة . كل ذلك بسبب ذلك الغبار المتخلل طبقات الهواء التي أصبحت أشبه بزجاجة نضعها على أعيننا
فنتحمل رؤية الضوء وبها نرى الشمس وقت الصبح أكبر منها وقت الظهر لأن الغبار فوق سطح الأرض
أكتف منه في أعلى الجو ، وكل ذلك بسبب انكسار الضوء ، وما هذا الانكسار الضوئي إلا نتيجة الطبقات
المعتمة التي ظاهرها انها تامة وباطنها نعمة إذ بدون ذلك لانتهأ لنا الحياة إذ لا انتشار للضوء فلانتمتع في الحياة
ومثل هذا يقال في وساوس الشيطان التي لا تصكون إلا في قلوب أشربت حب الشهوات وأنواع الشرور
فتكون مأوى للنفوس الشريرة التي فارقت الدنيا أو التي من الجن ، فهذه الوساوس إنما تجول في قلوب
استعنت لها كما استعنت عين الأرمم القدرولوج التباب بها سواء بسواء

فإذا ساعدت الملائكة الانسان بانماء الزرع وحفظ العوالم ، فهذا من نتائج سجودها لآدم المذكور في
آخر ﴿ سورة ص ﴾ كما نرى دود القز والنحل والحيل والبغال والحمير والطيور آكلات السمود كلها مساعدات

لنا على هذه الحياة ، واذا رأينا الشياطين يوسوسون للناس فانهم لم يفعلوا شيئاً أكثر مما فعلت فينا الأسود والنمور والحيوانات الفرية المحدثات للطواعين في الأرض . فكما نحارب حيوانات الطاعون بعلومنا وأعمالنا هكذا نحارب وساوس الشيطان بما عرفنا من العلوم وبالحدّ

إن حياتنا على الأرض نفسها نعمة كبرى لولاها لم نعقل هذه العوالم المحيطة بنا ولقد عرفناها بحواسنا الخمس التي اقسمت المعارف المحسوسة قسمة عادلة كما في فن المقولات المشروح في هذا التفسير مراراً وأما هذه المعارف تنبعث الى النفس فتكون صورها علوماً ولن يكون ذلك إلا بهذه الصور الانسانية المحسوسة في ظلمات ثلاث في الجنين وفي (١٦) ظلمة في الجوّ اذا صار رجلاً وظلمات كثيرة في النفس من حيث الأخلاق فهذه الظلمات طبقات يترشح منها ويتخللها بعض المعلومات فتفرغ النفس شيئاً فشيئاً في أثناء الحياة حتى اذا مات الانسان وجد انه أصبح أرقى مما كان عليه في الحياة وهذا هو الذي غاب عن ملائكة الأرض إذ قالوا - أتجعل فيها من يفسد فيها ويفسد السماء ونحن نسبح بحمدك وتقديس لك - قال لهم إني أعلم ذلك ولكني ربيتهم في تلك الشرور وأعطيتهم تجارب وعلوماً في أثناء ذلك فأنا أعلم ما لا تعلمون . الأترون انهم يعرفون أسماء الأشياء الجزئية في الأرض وأبتم لا تعلمونها . إذن هذا العمل لحكمة عظيمة . فأنا وان غمستهم وغمرتهم في الظلمات لم أفعل ذلك احتقاراً لشأنهم بل جعلته أشبه بالمنظار يوضع على العين لأنهم لا يطيقون جميع العلوم مرة واحدة . فأنا ما خلقت هذا باطلاً . وهذا قوله تعالى - قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون -

اللهم إني أجدك قد كشفت لنا حجاب هذه المسائل العويصة وسهلت السبل بطبعها ونشرها . وهذا آخر القول في هذا المقام والحمد لله رب العالمين . كتب في نصف ليلة الاثنين (٨) من شهر سبتمبر سنة ١٩٣٠

وهنا سألتني ذلك العالم صديقي قاتلا : أنا الى الآن لم أفهم الحجب الستة عشر ولا الحجب التي تبلغ نحو مائة وإنما فهمتها فيما إجابيا . ثم عرفت الظلمات الثلاث وهي البطن والرحم والمشيمة ، ولكن تلك الست عشرة ظلمة وما بعدها لم تتضح لي . فقلت : إن ما تقدمت واضح ولكنك أنت تريد ما هو أوضح . فقال : هو ذلك . فقلت : ألم أذكر لك فيما تقدم هنا عن علماء الفلك أن الجوّ الذي هو أقرب إلى الأرض تكون كثافة غبارها أكثر من كثافة ما هو أعلى (١٦) مرة . قال بلى . قلت : فهذه هي (١٦) حجاباً أو ظلمة وأزيد عليه فأقول اقرأ ما تقدم في (سورة فاطر) ألم تر إلى (شكل ١٦) من الأشكال التي رسمت هناك لإيضاح آية - والله خلقكم من تراب ثم من نطفة - الخ وكيف ترى فيه النسيج الهدبي البطن للقصبة الهوائية قد جعل أشبه بالكناسين والزبالين لأن تلك الأهداب تتحرك ليلاً ونهاراً من الداخل الى الخارج لتخرج الغبار الداخل مع النفس لتلاصق المملكة الرئوية الخادمة للمملكة الدموية . قال نعم أتذكر ذلك وقرأته وماذا يفيدنا ؟ قلت : ثم انظر الى (سورة ص) وقد جاء في آخرها - فبعضتك لأغوينهم أجمعين - وتأمل ما كتبتك هناك عن (هيج) الانجليزي و(كاتاني التلياني) و(كوهن الألماني) وطبيب فطاسي فرنسي . ألم أذكر لك في الكلام المنقول عن أحد هؤلاء أن الغبار والدخان الداخلين في الرئة يكونان سبباً في فساد صحة البدن وبذلك تحدث الأمراض ، وهذا الغبار والدخان الداخلان في الرئة يفعلان ما تفعله جميع المائت كل القوية التغذية كاللحم والبيض وتفعلان فعل المواد الأخرى المركبة من أنواع الحلوى والتوابل ، فهذه كلها هي التي تجعل في العروق سدوداً وحواجز وتلك السدود والحواجز تفعل في الجسم ما تفعله السدود في المساق فيحصل الهلاك للزرع تارة بالفرق وتارة بقلّة الماء وتكون هناك الأمراض المختلفة المفضية من الدمايل والقروح والسرطان والجذام والبرص والصداع وما أشبهها مما لا حصر له . فقال نعم تقدم هذا . قلت : حينئذ غبار الجوّ ودخانه ضارّان بنا

ولأجل هذا الضرر جعل الله في باطن القسبة الهوائية أهدابا لتطرد ذلك الضار وخلق أطباء يوقظوننا لأجل هذه المهلكات ويقولون : « تباعدوا عن غبار الطرقات وعن السخان وعن كل ما فيه روائح ضارة » . قال نعم . قلت : إذن هذه المواد القريبة في اطواء ضارة . إذن هي حجب بيننا وبين الصحة وبيننا وبين السعادة وظلمات تغشى على ضوء الشمس فيكون ضوءها صباحا أقل منه وقت الظهيرة لأن الغبار والسخان وأمثالهما يكونان أقرب الى وجه الأرض ويفصلان بين عيوننا وبين الشمس فتصغر عيوننا الضوء ويحصل هنا منافع لاحد لها . فهنا ضرر محقق ومنافع محققة . فلنا نافع هي أن الشمس يظهر نورها رويدا بالتدريج كما تقدم ويكون صبح وشفق الى آخر ما تقدم ، ولولا هذا الضار وهي الحجب لم نهنا لنا الحياة على الأرض لأن الضوء لا ينظم توزيعه على الأرض . فأرواحنا في أجسامنا لا تقدر على مواجهة ضوء الشمس بدون تدريج وهذا وضع وضوحا تماما كما تقدم ، إذن لا فرق بين الظلمات الثلاث للجنيين وبين الظلمات السبع عشرة للرجال والنساء ، فهذه وتلك جنة بها لأن المصلحة قضت بذلك

بقيت مسألة الظلمات والحجب الآتية من الوسوسة الشيطانية وهي كالتقدمة سواء بسواء . إن الانسان مخلوق غريب جدا فهو من جهة ملك ومن جهة بهيمة ومن جهة شيطان . وهذه الاصول الثلاثة تفرعت عنها أخلاق فاضلة وأخرى ناقصة قد تقدم أكثرها في ﴿ سورة البقرة ﴾ عند قصة آدم فارجع اليها هناك وهذه مشروحة في الربع الثالث والرابع من الأحياء فالثالث للاخلاق الناقصة والشروط والرابع للاخلاق الفاضلة . والأخلاق الفاضلة تكون لغلبة القوة الملكية على القوتين الأخرين والانسان من حيث انه ملكي إلهي يكون حكما ذكيا جبيل الخلق . ومن حيث انه بهيم يكون بخيلا طماعا جبانا حاتنا كاذبا . ومن حيث انه شيطان يكون معاندا حقودا حسودا ظلوما متهورا . فهذه أخلاق الشياطين . وما قبلها أخلاق البهائم . والأولى أخلاق الملائكة . وقد فصل الأخلاق الشريرة في العدة الى نحو المائة واليها الاشارة في بعض الآثار الى التين الذي له (٩٩) رأسا بها ينهش ابن آدم . فهذا التين الآن موجود وينتدى نهنه للانسان في هذه الحياة من حقد ودغل وطمع وغش وكذب وزور وبهتان وغيبة ونميمة ، فهذه كلها طباع شريرة تؤذي صاحبها في الحياة وتظهر نتائجها بعد الموت ، فهذه كلها حجب تحجب الانسان عن معرفة الحقائق ، ولولا هذه الموانع لاطلعت أرواحنا الملكية العالية في أصلها على المعارف صرة واحدة فهلكت كما يموت من اطلع على كثر صرة واحدة وكان ضعيف النفس وهكذا ، فهذه حجب خلقت فينا لمصلحتنا فإله كما خلق الظلمات في الرحم لنا في الجنين وخلق الغبار والسخان في الجوف القريب من الأرض وهو ضار بنا ليحول بين أعيننا وبين الشمس لئلا تستفرج بها ولنا نافع أخرى تقدمت ، هكذا نراه خلق فينا شهوات البهائم وذنابل الشياطين لتكون بمثابة مانع وحاجب يحجب عنا الحقائق حتى لانهلك

فلما سمع صاحبي ذلك قال : اللهم إني أجدك جدا يوافق نعمك وضرب كفا على كفا وقال والله لقد انحلت بهذا مشكلات الدين والدنيا ، أكثر الناس يعيشون ويموتون وهم جاهلون ، ويظهران هذا التفسير قد فتح ما كان مقفلا على أكثر الناس ، ههنا عرفنا الدين والدنيا وعرفنا الحقائق وبامتزاج العلوم الطبيعية بالعلوم الدينية أدركنا حقائق جهلنا أم وأم ، إذن أصبحت الوسوسة والذنوب كلها لحكمة ، وإذا قبست بالظلمات الثلاث في الرحم والظلمات الست عشرة في الجوف فقد انحلت المشكاة ، إذن الناس يوم القيامة وفي البرزخ يوضعون في أماكن استحقاقها بحسب استعدادهم ، وما جهنم إذن إلا مكان تعيش فيه نفوس ناقصة لا تقدر أن تعيش في غيرها كما يعيش السمك في البحر . وهذا سر عظيم لم يتضح إلا في هذا التفسير بل هذا الذي به تفهم « بسم الله الرحمن الرحيم » وتفهم - ورحمتي وسعت كل شيء - ومن عجب أن الظلمات الثلاث يضر بها في (٥) نصير (١٥) وهي تقرب من (١٦) و (١٦) يضر بها في (٥) نصير (٨٠)

و (٨٠) تغرب من الأخلاق الرديئة التي قلتم انها تغرب من مائة وبهذا تجلت الحقائق . فقلت : الحمد لله رب العالمين . انتهت اللطائف التي جعل كل طائفة منها خاصا بقسم من أقسام السورة

﴿ اللطائف العامة لأقسام السورة كلها ﴾

﴿ اللطيفة الأولى ﴾

(في قوله تعالى - خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار - الخ مع قوله - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع - والكلام على السنة الشمسية والبروج والمنازل وسبر القمر)
جاء في كتاب « صبح الأعشى » مانصه :

اعلم أن للشمس حركتين : سريعة و بطيئة . أما السريعة فحركة فلك الكوكب بها في اليوم واللييلة من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق ، وتسمى الحركة اليومية . وأما الحركة البطيئة فقطعها فلك البروج في سنة شمسية من الجنوب إلى الشمال ومن الشمال إلى الجنوب . وتعلم أن جهة المشرق وجهة المغرب لا تتغيران في أنفسهما بل جهة المشرق واحدة وكذلك جهة المغرب . وإن اختلفت مطالعتهما . قال تعالى - رب المشرق والمغرب - أي جهة الشروق وجهة الغروب في الجملة . إلا أن الشمس لها غاية ترتفع إليها في الشمال وتلك الغاية مشرق ومغرب وهو مشرق الصيف ومغربه . ومطلعها حيثئذ بالقرب من مطلع السماك الراجح . ولها غاية تنحط إليها في الجنوب . وتلك الغاية أيضا مشرق ومغرب . وهو مشرق الشتاء ومغربه . ومطلعها حيثئذ بالقرب من مطلع بطن العقرب . وهذان المشرقان والمغربان هما المراد بقوله تعالى - رب المشرقين ورب المغربين - وبين هاتين الغابتين مائة وثمانون مشرقا ويقابلها مائة وثمانون مغربا . ففي كل يوم تطلع في مطلع من المشرق غير الذي تطلع فيه بالأمس . وتغرب في مغرب غير الذي تغرب فيه بالأمس . وذلك قوله تعالى - رب المشارق والمغرب - ونقطة الوسط بين هاتين الغابتين . وهي التي يعتدل فيها الليل والنهار يسمى مطلع الشمس فيها مشرق الاستواء . ومغرب الاستواء . ومطلعها حيثئذ بالقرب من مطلع السماك الأعزل . وقد قسم علماء الهيئة ما بين غاية الارتفاع وغاية الهبوط اثني عشر قسما . قالوا والمعنى في ذلك أن الشمس في المبدأ الأول لما سارت مسيرها الذي جعله الله خاصا بها قطعت دور الفلك التاسع في ثلثمائة وستين يوما . وسميت جملة هذه الأيام سنة شمسية وسميت بحركتها هذه في هذا الفلك دائرة عظيمة على ما توهمه أصحاب الهيئة . وقسمت هذه الدائرة إلى ثلثمائة وستين جزءا وسموا كل جزء درجة . ثم قسمت هذه الدرجة إلى اثني عشر قسما على عدد شهور السنة . وسموا كل قسم منها برجاً . وجعلوا ابتداء الأقسام من نقطة الاعتدال الربيعي . لاعتدال الليل والنهار عند مرور الشمس بهذه النقطة . ووجدوا في كل قسم من هذه الأقسام نجوما تشكل منها صورة من الصور فسموا كل قسم باسم الصورة التي وجدوها عليه . وكان القسم الأول الذي ابتدأوا به نجوما إذا جمع متفرقا تشكلت صورة حمل . فسموها بالحمل وكذلك البواقي . قال صاحب مناهج الفسك : وذلك في أول ما رصدوا . وقد انتقلت الصور عن أمكتتها على ما زعموا فصار مكان الحمل الثور . وهي تنتقل على رأي بطليموس في ثلاثة آلاف سنة وعلى رأي المتأخرين في ألفي سنة . إذا علمت ذلك فاعلم أن السورة الفلكية في العروض الشمالية تنقسم إلى ثلثمائة وستين درجة . كما تقدمت الإشارة إليه . والسنة ثلثمائة وستون يوما منقسمة على اثني عشر برجاً المتقدم ذكرها . لكل برج منها ثلاثون يوما . وتوزع عليها الخمسة أيام والربع يوم . والليل والنهار يتعاقبان بالزيادة والنقصان بحسب سير الشمس في تلك البروج فتنقص من أحدهما زيد في الآخر . وذلك أنها إذا حلت في رأس الحمل وهي آخذة في الارتفاع إلى جهة الشمال . وذلك في السابع عشر من

برمها من شهور القبط . ويوافق الحادى والعشرون من آذار من شهور السريان . وهو مارس من شهور
الروم . والرابع والعشرون من حردادماه من شهور الفرس . اعتدل الليل والنهار . فكان كل واحد منهما
مائة وثمانين درجة . وهو أحد الاعتدالين في السنة . ويسمى الاعتدال الربيعى . لوقوعه أول زمن الربيع
فيزيد النهار فيه في كل يوم نصف درجة . وينقص الليل كذلك . فتكون زيادة النهار فيه لمدة ثلاثين يوما
خمس عشرة درجة . ونقص الليل كذلك . ويصير النهار بآخره على مائة وخمس وتسعين درجة . والليل
على مائة وخمس وستين درجة . ثم تنقل إلى الثور فيزيد النهار فيه كل يوم ثلث درجة وينقص الليل كذلك
فتكون زيادة النهار فيه لمدة ثلاثين يوما عشر درجات ونقص الليل كذلك . ويصير النهار بآخره على مائتين
وخمسة درجات . والليل على مائة وخمس وخمسين درجة . ثم تنقل إلى الجوزاء فيزيد النهار فيها كل يوم
سدس درجة وينقص الليل كذلك . فتكون زيادة النهار فيها لمدة ثلاثين يوما خمس درجات . ونقص الليل
كذلك . ويصير النهار بآخرها على مائتين وعشر درجات والليل على مائة وخمسين درجة . وذلك غاية ارتفاعها
في جهة الشمال . وهذا أطول يوم في السنة وأقصر ليلة في السنة . ويسمى سير الشمس في هذه البروج الثلاثة
شماليا صاعدا : لصعودها في جهة الشمال ثم تنقل الشمس إلى السرطان وتكرّر راجعة إلى جهة الجنوب .
ويسمى ذلك المنقلب الصيفي . وذلك في العشرين من بؤنة من شهور القبط . ويبقى من خريزان من شهور
السريان . ويونيه من شهور الروم خمسة أيام . وحينئذ يأخذ الليل في الزيادة والنهار في النقصان . فينقص النهار
فيه كل يوم سدس درجة . ويزيد الليل كذلك . فيكون نقص النهار فيه لمدة ثلاثين يوما خمس درجات ،
وزيادة الليل كذلك . ويصير النهار بآخره على مائتين وخمس درجات . والليل على مائة وخمس وخمسين
درجة . ثم تنقل إلى الأسد فينقص النهار فيه كل يوم ثلث درجة . فيكون نقص النهار فيه لمدة ثلاثين يوما
عشر درجات . وزيادة الليل كذلك . ويصير النهار بآخره على مائة وخمس وتسعين درجة . والليل على
مائة وخمس وستين درجة . ثم تنقل إلى السنبلة فينقص النهار فيها كل يوم نصف درجة . ويزيد الليل كذلك
فيكون نقص النهار فيها لمدة ثلاثين يوما خمس عشرة درجة . وزيادة الليل كذلك . ويصير النهار بآخرها
على مائة وثمانين درجة والليل كذلك . فيستوى الليل والنهار . ويسمى الاعتدال الخريفي . : لوقوعه في أول
الخريف . ويسمى سير الشمس في هذه البروج الثلاثة شماليا هابطا . لهبوطها في الجهة الشمالية . ثم تنقل إلى
الميزان في الثامن عشر من ثوت من شهور القبط . وهي آخذة في الهبوط والنهار في النقص والليل في الزيادة
فينقص النهار فيه كل يوم نصف درجة . ويزيد الليل كذلك . فيكون نقص النهار فيه لمدة ثلاثين يوما خمس
عشرة درجة . وزيادة الليل كذلك . ويصير النهار بآخره على مائة وخمس وستين درجة والليل على مائة
وخمسة وتسعين درجة ، ثم تنقل إلى العقرب . فينقص النهار في كل يوم ثلث درجة . ويزيد الليل كذلك
فيكون نقص النهار فيه لمدة ثلاثين يوما عشر درجات . وزيادة الليل كذلك . ويصير النهار بآخره على مائة
وخمسة وخمسين درجة ، والليل على مائتين وخمس درجات . ثم تنقل إلى القوس . فينقص النهار فيه كل يوم
سدس درجة . ويزيد الليل كذلك . فيكون نقص النهار فيه لمدة ثلاثين يوما خمس درجات ، وزيادة الليل
كذلك . ويصير النهار بآخره على مائة وخمسين درجة . والليل على مائتين وعشر درجات . وهو أقصر يوم
في السنة وأطول ليلة في السنة . وذلك غاية هبوطها في الجهة الجنوبية . ويسمى سير الشمس في هذه البروج
جنوبيا هابطا . لهبوطها في الجهة الجنوبية . ثم تنقل إلى الجدى في السابع عشر من كيهك وتكرّر راجعة فتأخذ
في الارتفاع وتأخذ النهار في الزيادة والليل في النقصان . فيزيد النهار فيه كل يوم سدس درجة . وينقص
الليل كذلك فتكون زيادة النهار فيه لمدة ثلاثين يوما خمس درجات ونقص الليل كذلك . ويصير النهار
بآخره على مائة وخمس وخمسين درجة . والليل على مائتين وخمس درجات . ثم تنقل إلى السلو . فيزيد

النهار فيه كل يوم ثلث درجة . وينقص الليل كذلك . فتكون زيادة النهار فيه لمدة ثلاثين يوماً عشر درجات ونقص الليل كذلك . ويصير النهار بآخره على مائة وخمس وستين درجة والليل على مائة وخمس وتسعين درجة . ثم تنقل إلى الحوت فيزيد النهار فيه كل يوم نصف درجة وينقص الليل كذلك . فتكون زيادة النهار فيه لمدة ثلاثين يوماً خمس عشرة درجة ونقص الليل كذلك . ويصير النهار بآخره على مائة وثمانين درجة والليل كذلك . فيستوى الليل والنهار وهو رأس الحمل وقد تقدم . ويسمى سير الشمس في هذه البروج الثلاثة جنوبياً صاعداً : لصعودها في الجهة الجنوبية . وهذا شأنها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين . وهذا العمل إنما هو في مصر وأعمالها . فإذا اختلفت العروض كان الأمر في الزيادة والنقصان بخلاف ذلك والله أعلم

وقد تقدم بعض هذا ولكن ما ذكرناه هنا أخص وأوضح وهو من صبح الأعشى . ما أعجب هذا النظام والاتقان . فانظر كيف انتظم الحساب لانتظام السبر وعلى مقتضاه رتب الناس شهورهم . فلقب شهورهم بالشهور والسريران شهور تخالفهم وهكذا الروم وهاك بيانها (انظر هذا الجدول)

شهور الروم	شهور السريان	شهور القبط
منسوبة لأغسطس ملك الروم	منسوبة للإسكندر	منسوبة لقسطنطينوس الملك
أغسطس	بوافق أوله ٢٠ آب الموافق لشهر	توت
سبتمبر	» ٢٧ أيلول »	بابه
أكتوبر	» ٢٧ تشرين الأول »	هانور
نوفمبر	» ٢٦ تشرين الثاني »	كبهك
ديسمبر	» ٢٦ كانون الأول »	طوبه
يناير	» ٢٥ كانون الثاني »	أمشير
فبراير	» ٢٤ شباط »	برمهات
مارس	» ٢٦ آذار »	برموده
أبريل	» ٢٥ نيسان »	بشنس
مايو	» ٢٥ أيار »	بؤنه
يونيو	» ٢٤ حزيران »	أبيب
يوليو	» ٢٤ تموز »	مسرى

وقد نظم الشيخ ابراهيم الدهشوري شهور السريان فقال :

وَأَبْدَأُ بِأَيْلُولٍ مِنَ السَّرِيَانِي • تَشْرِينُ الْأَوَّلُ يَتَّبِعُهُ الثَّانِي
كَانُونُ كَانُونُ شَبَاطُ يَطْلَعُ • آذَارُ نَيْسَانُ أَيْارُ يَنْبَعُ
ثُمَّ حَزْرِيَانُ وَتَمُوزُ وَأَب • تَبَارَكَ الرَّحْمَنُ يَهْدِي مِنَ احْتَبِ

وقد نظم أيضاً الشيخ المذكور شهور الروم فقال :

يَنْسِيرُ فَبَرِيرُ مَارَسُ لِلرُّومِ • إِبْرَيْلُ مَايُهُ خَامِسُ لِلْمَعْلُومِ

يُنْبِيَهُ وَيُذِيئُهُ ثُمَّ أَغْشَتْ شَتْمَبَرُ * أَكْتُوبِرُ نَوْفَبِرُ دَجَنْبَرُ

وقد نظم الشيخ أبو عبد الله الكبيزاني أياتاً ذكر فيها الأشهر التي تكون ثلاثين يوماً والناقصة عنها ولم يترض للزائدة عنها فقال :

شهور الروم ألوان * زيادات وقصان
فتشرينهم الثاني * وأيلول وَنَيْسَانَ
ثَلَاثُونَ ثَلَاثُونَ * سَوَاءَ وَخَزِيرَانَ
شِبَاطُ خُصْنَ النَّقْصِ * وقدر النقص بومان

قد سماها شهور الروم لموافقتها لها والافهى للسريان اهـ

﴿ الكلام على المنازل ﴾

جاء في كتاب صبح الأعشى مانسه

ان النهار الطبيعي أوله طلوع الشمس وآخره غروبها . والنهار الشرعي أوله طلوع الفجر الثاني وآخره غروب الشمس . فيخالفه في الابتداء وبواقفه في الانتهاء . وطلوع الشمس وغروبها ظاهر يعرفه الخاص والعام ، أما الفجر فان أمره خفي لا يعرفه كل أحد . وقد تقدم انقسامه الى كاذب . وهو الأول ، وصادق . وهو الثاني . وعليه التعويل في الشرعيات . فيحتاج الى توضيح يوضحه ويظهره للعيان وقد جعل المنجمون وعلماء الميقاته نجوما تدل عليه بالطلوع والغروب والتوسط . وهي منازل القمر ، وعدتها ثمان وعشرون منزلة . وهي الشرطان^(١) والبطين^(٢) والتريا ، والهربان^(٣) والمهقة^(٤) والمهنة^(٥) والفرع ، والنثرة^(٦) والطرف . والجهة والحمرتان^(٧) والصرقة^(٨) والعواء^(٩) والسماك^(١٠) والغفر^(١١) والزابان^(١٢) والاكيل . والقلب . والشولة^(١٣) والتعائم . والبلدة^(١٤) وسعد الذابح . وسعد بلع^(١٥) وسعد السعود . وسعد الاخبية . والفرغ المقدم . والفرغ المؤخر . ويطن الحوت . والمعنى في ذلك ان الشمس اذا قربت من كوكب من الكواكب الثابتة اولت تحركه واسترته وأخفته عن العيون . فصار يظهر^(١٦) نهارا ويختفي ليلا ويكون خفاؤه غيبته . ولا يزال كذلك خافيا الى أن تبعد عنه الشمس بعدا يمكن أن يظهر معه للأبصار وهو عند أول طلوع الفجر فان ضوء الشمس يكون ضعيفا حينئذ فلا يظلم نور الكوكب فيرى الكوكب في الأفق الشرقي ظاهرا . وحصه كل منزلة من هذه المنازل من السنة ثلاثة عشر يوما وربع سبع يوم ونصف ثمن سبع يوم على التقريب كما سيأتي^(١٧) على المنازل الثمانية والعشرين خص كل منزلة ماذ ذكر من العدد والكسور ولما كان الأمر كذلك جعل لكل منزلة ثلاثة عشر يوما : وهي ثلاث عشرة درجة من درج الفلك وجع مفضل من الكسور على كل ثلاثة عشر يوما بعد انقضاء أيام المنازل الثمانية والعشرين فكان يوما وربع جعل يوما في المنزلة التي توافق آخر السنة وهي الجهة فكان حصتها أربعة عشر يوما . وبقى ربع يوم ونسيء أربع سنين حتى صار يوما فزيد على الجهة أيضا . فكانت كواكب المنازل^(١٨) للذكورة تطلع مع الفجر منها أربعة عشر يوما ثلاث سنين وفي السنة الرابعة تطلع بالفجر خمسة عشر يوما وهالك ملخص ما ذكره في حسابها

(١) ٣ و ٧) بفتحين (٢) مصغر (٤) ٥ و ٦ و ٨ و ١١ و ١٣ و ١٤) بفتح فسكون (١٢) بضم أوله (١٥)

بضم ففتح (٩) بفتح فتده (١٠) مثل كتاب

(١٦) لعله يختفي نهارا ويظهر ليلا . ومع ذلك بقية العبارة غير واضحة .

(١٧) كذا في الأصل ولعله فان أيام السنة اذا قسمت على الخ .

(١٨) كذا في الأصل ولعله (المنزلة) انتهى مؤلفه

شهور الردم	شهور السريان	شهور القبط	المنازل
ابريل	١٨ نيسان	٢٣ برمودة	النسرطان أول طلوعها بالفجر
مايه	أول ايار	٦ بشنس	البطين أول طلوعها بالفجر
»	١٤ ايار	١٩ بشنس	الثريا أول طلوعها بالفجر
»	٢٦ ايار	٢ بؤنه	الدبران أول طلوعها بالفجر
يونيه	٩ حزيران	١٥ بؤنه	الطقه أول طلوعها بالفجر
»	٢٢ »	٢٨ بؤنه	الهنعه أول طلوعها بالفجر
يوليه	٥ تموز	١١ أيب	النراع أول طلوعها بالفجر
»	١٨ »	٢٤ أيب	النثرة أول طلوعها بالفجر
»	آخر تموز	٧ مسرى	الطرف أول طلوعها بالفجر
أغسطس	١٣ آب	٢٠ مسرى	الجبهة أول طلوعها بالفجر
»	٢٧ آب	٤ من أيام الفسيه وفي السنة الكبيسة في ٥ منه	الخمرتان أول طلوعها بالفجر
سبتمبر	٩ ايلول	١٢ توت	الصرغه أول طلوعها بالفجر
»	٢٢ ايلول	٢٥ توت	العقواء أول طلوعها بالفجر
اكتوبر	٥ تشرين الأول	٨ بابه	السماك أول طلوعها بالفجر
»	١٨ تشرين الأول	٢١ بابه	الفجر أول طلوعها بالفجر
»	آخر يوم من تشرين الأول	٤ هاتور	الزبانان أول طلوعها بالفجر
نوفمبر	١٣ من تشرين الثاني	١٧ هاتور	الاسكيل أول طلوعها بالفجر
»	٢٦ تشرين الثاني	آخر يوم من هاتور	القلب أول طلوعها بالفجر
ديسمبر	٩ كانون الأول	١٣ كيهك	الشوله أول طلوعها بالفجر
»	٢٢ كانون الأول	٢٦ كيهك	التعام أول طلوعها بالفجر
يناير	٤ كانون الثاني	٩ طوبه	البلده أول طلوعها بالفجر
»	١٧ كانون الثاني	٢٢ طوبه	سعد الذابح أول طلوعها بالفجر
»	٣٠ كانون الثاني	٥ أمشير	سعد بلع أول طلوعها بالفجر
فبراير	١٢ شباط	١٨ أمشير	سعد السعود أول طلوعها بالفجر
»	٢٥ شباط	أول برمها	سعد الأخيه أول طلوعها بالفجر
مارس	٧ آذار	١٤ برمها	الفرغ المقدم أول طلوعها بالفجر
»	٢٢ آذار	٢٧ برمها	الفرغ المؤخر أول طلوعها بالفجر
ابريل	٥ نيسان	١٠ برمودة	بطن الحوت أول طلوعها بالفجر

هذه هي المنازل من حيث نزول الشمس فيها . فما أجل حسابها السهل ونظامها الجيب . فإذا أردنا أن نعرف أين تكون الشمس في أي منزلة فالأمر ظاهر واضح فنعرف الشهر واليوم يحصل المطلوب

﴿ الكلام على القمر والمنازل بالنسبة له ﴾

جاء في كتاب صبح الأعشى ما نصه

وأما حركته البيضة . فحركته من جهة الشمال إلى جهة الجنوب ، ومن جهة الجنوب إلى جهة الشمال وتنقله في المنازل الثمانية وعشرين في ثمانية وعشرين يوماً بلياليها كالشمس في البروج قال تعالى - والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم - فما تقطعه الشمس من الشمال إلى الجنوب وبالعكس في جميع السنة يقطعه القمر في ثمانية وعشرين يوماً . والمنازل للقمر كالبروج للشمس . وذلك أنه لما اتصل إلى العرب ما حققه القدماء برصدتهم من الكواكب الثابتة . وكان لاغنى لهم عن معرفة كواكب ترشدهم إلى العلم بفصول السنة وأزمنتها رصدوا كواكب وامتحنوها . ولم يستعملوا صور البروج على حقيقتها : لأنهم قسموا فلك الكواكب على مقدار الأيام التي يقطعه القمر فيها ، وهي ثمانية وعشرون يوماً ، وطلبوا في كل قسم منها علامة تكون أبعاد ما بينها وبين العلامة الأخرى مقدار مسير القمر في يوم وليلة . وسموها منزلة إلى أن تحقق لهم ثمانية وعشرون على ما تقدم ذكره في الكلام على طلوعها بالفجر : لأن القمر إذا سار سيره الوسط انتهى في اليوم التاسع والعشرين إلى الحاق الذي بدأ منه . فخذت المتكرر . فيثني ثمانية وعشرين ويزاد بالشرطين : لأن كواكب من جهة كواكب الحمل : الذي هو أول البروج . ثم هذه المنازل على قسمين . شمالي وجنوبي كافي البروج ، وكل قسم منها أربع عشرة منزلة . فالشمالي منها ما كان طلوعه من ناحية الشام . وتسمى الشامية ، وهو ما كان منها من نقطة الاعتدال . التي هي رأس الحمل والميزان صاعداً إلى جهة الشمال ، وهي الشرطان ، والبطين والثريا . والبربان . والحقعة . والمنعة . والنراع . والثرة . والطرف . والجيبة . والحمرتان . والصرقة . والعواء . والسيك . وبتلوعها بطول الليل ويقصر النهار . والجنوبي منها ما كان طلوعه من ناحية اليمن وتسمى اليمنية . وهو ما كان منها من نقطة الاعتدال المذكور هابطاً إلى جهة الجنوب . وهي الغفر . والزبانان . والاكليل . والقلب . والشولة . والنعام . والبلدة . وسعد الناجح . وسعد البلع . وسعد السعود . وسعد الأخبية . والفرغ المقدم . والفرغ المؤخر . وبتن الحوت . وبتلوعها يقصر الليل ويطول النهار .

ثم المنزلة عند المحققين قطعة من الفلك مقدارها ربع سبع الدور . وهو جزء من ثمانية وعشرين جزءاً من الفلك عبارة عن ^(١) لآعن الكواكب . وإنما الكواكب حدود تفرق بين كل منزلة وأخرى . فعدل بالتسمية إليها وغلبت عليها .

وتزول القمر في هذه المنازل على ثلاثة أحوال إما في المنزلة نفسها وإما فيما بينها وبين التي تليها وإما محاذياً لها خارجاً عن سمت شمالاً أو جنوباً . وقد تقدم الكلام على عدول القمر عن بعض المنازل وتزوله في غيرها . وتعلم أن المنازل مقسومة على البروج الاثني عشر موزعة عليها : فالشرطان والبطين وثلاث الثريا للحمل . وثلاث الثريا والبربان وثلاث الحقعة للثور وثلاث الحقعة والمنعة والنراع للجوزاء . والثرة والطرف وثلاث الجبهة للشرطان . وثلاث الجبهة والحمرتان وثلاث الصرقة للأسد . وثلاث الصرقة والعواء والسيك للسنبلة . والغفر والزبانان وثلاث الاكليل للميزان وثلاث الاكليل والقلب وثلاث الشولة للعقرب . وثلاث الشولة والنعام والبلدة للقوس . وسعد الناجح وسعد بلع وثلاث سعد السعود للجدي ^(٢) وثلاث الفرغ المقدم والفرغ المؤخر وبتن الحوت للحوت . إذا حصلت ذلك فإذا أردت أن تعرف القمر في أي منزلة هو أو كم مضى له فيها من الأيام . فخطب ما مضى من سنة

(١) بياض بالأصل .

(٢) يظهر أن فيه سقطاً هو . وثلاث سعد السعود وسعد الأخبية وثلاث الفرغ المقدم للدلو .

القبط شهورا كانت أو أياما أو شهورا وأياما وأبسطها أياما . وأضف الى ما حصل من ذلك يومين . ثم اطرح المجموع ثلاثة عشر ثلاثة عشر . وهو عدد لبث القمر في كل منزلة من الأيام . واجعل أول كل منزلة من العدد الخرتان . فباقي من الأيام دون الثلاثة عشر فهو عدد ماضى من المنزلة التي انتهى العدد إليها .

مثال ذلك أن يمضى من سنة القبط شهر توت وأربعة أيام من بابه فتبسطها أياما تكون أربعة وثلاثين يوما فتضيف إليها يومين تصير ستة وثلاثين يوما فاطرح منها ثلاثة عشر مرتين بستة وعشرين للخرتان منها ثلاثة عشر وللصرفة ثلاثة عشر تبقى عشرة . وهي ماضى من المنزلة الثالثة وهي العواء .

وإن أردت أن تعرف في أى برج هو فاحسب كم مضى من الشهر العربى يوما وزد عليه مثله ثم زد على الجلة خمسة وأعط لكل برج خمسة وأبدأ من البرج الذى فيه الشمس فأعط لكل برج خمسة فأبجما فقد حسابك فالقمر في ذلك البرج . والاعتدال في ذلك على كم مضى من الشهر العربى بالحساب دون الرؤية والله أعلم

﴿ الكلام على أحوال الأهلّة التي عليها مدار الشهور في ابتدائها وانتهائها ﴾

واعلم أن مسير القمر مقدر بمعرفة الشهور والسنين قال تعالى - فحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب - والشمس تعطيه في كل ليلة ما يستضيء به نصف سبع قرصه حتى يكمل ثم تسلبه من الليلة الخامسة عشرة كل ليلة نصف سبع قرصه حتى لا يبقى فيه نور فيستر . ويروى عن جعفر الصادق رضى الله عنه أنه سئل عن القمر فقال : يمحى كل ليلة ويولد جديدا ، ويبعد مثل هذا عن جعفر الصادق . إذا علمت ذلك فللقمر حركتان : سريعة و بطيئة كما تقدم في الشمس . أما الحركة السريعة فحركة فلك الكوكب به من المشرق الى المغرب . ومن المغرب الى المشرق في اليوم واللييلة . واعلم أن الاطلال إذا طلع مع غروب الشمس كان مضيئة على مضي ستة أسابيع ساعة من الليل . ولا يزال مغيبه يتأخر عن مغيبه في كل ليلة ماضية هذا المقدار حتى يكون مغيبه في الليلة السابعة نصف الليل . وفي الليلة الرابعة عشرة طلوع الشمس ثم يكون طلوعه في الليلة الخامسة عشرة على مضي ستة أسابيع ساعة منها . ولا يزال طلوعه يتأخر عن طلوعه في كل ليلة ماضية بعد الابدار هذا المقدار حتى يكون طلوعه ليلة إحدى وعشرين نصف الليل . وطلوعه ليلة ثمان وعشرين مع الفداة . وإذا أردت أن تعلم على مضي كم من الساعات بغيب أو يطلع من الليل . فان أردت المغيب وكان قدمضى من الشهر خمس ليال تقديرا فاضربها في ستة تكون ثلاثين فأسقطها سبعة سبعة يبقى اثنان فيكون مغيبه على مضي أربع ساعات (١) أسابيع ساعة وكذلك العمل في أى ليلة شئت . وان أردت الطلوع وكان قد مضى من الابدار ست ليال مثلا فاضرب ستة في ستة يكون ستة وثلاثين فأسقطها سبعة سبعة يبقى واحد . فيكون طلوعه على خمس ساعات وسبع . وكذلك العمل في أى ليلة شئت

ثم قال « لتاس في إخراج أول الشهر العربى طرق أسهلها أن تعرف أول يوم من المحرم ثم تعدّ كم مضى من السنة من الشهور بالشهر الذى تريد أن تعرف أوله وتقسّمها نصفين . فان كان النصف صحيحا أضفت على الجلة مثل نصفه . وان كان مكسورا ككته وأضفته على الجلة . ثم تبتدىء من أول يوم من السنة وتعدّ منه أياما على توالى أسماء الأيام بعدد ما حصل معك من الأصل والمضاف حيث انتهى عندك فذلك اليوم هو أول لشهر مثال ذلك في الصحيح النصف . إن أردت أن تعرف أول يوم من شعبان وكان أول المحرم يوم الأحد مثلا فتعدّ من أول المحرم الى شعبان وتدخل شعبان في العدد فيكون ثمانية أشهر فتقسّمها نصفين يكون نصفها أربعة فتضيف الأربعة إلى الثمانية تكون اثني عشر . ثم تبتدىء من يوم الأحد الذى هو أول المحرم فتعدّ الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة والسبت . ثم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس فيكون انتهاء الاثني عشر في يوم الخميس فيكون أول شعبان يوم الخميس . ومثاله في المكسور النصف إذا أردت

(١) لعل العوَاب وسبعان كما هو واضح

أن تعرف أول رمضان أيضا وكان أول المحرم الأحد كما تقدم فتعد ماضى من شهور السنة وتعد منها رمضان يكون تسعة أشهر فتقسمها نصفين يكون نصفها أربعة ونصفا فتكملها بنصف تصير خمسة فتضيفها الى الأصل المحفوظ وهو تسعة يكون المجموع أربعة عشر . ثم يتبدى عدد الأيام من أول المحرم . وهو الأحد كما تقدم فيكون انتهاء الرابع عشر في يوم السبت فيكون أول رمضان يوم السبت

ومن الطرق المعتبرة في ذلك أن تنظر في الثالث من أيام النسيء من شهور القبط كم يوما مضى من الشهر العربى فما كان جعلته أصلا لتلك السنة . فاذا أردت أن تعرف أول شهر من الشهور العربية أو كم مضى من الشهر الهنئ أنت فيه . فخذ الأصل المحفوظ معك لتلك السنة . وانظر كم مضى من السنة القبطية شهرا نفذ لكل شهرين يوما . فان انكسرت الأشهر وجاءت فردا فاجبرها بيوم زيادة حتى تصير زوجا . وزد على ذلك يومين أصلا أبدا . ثم انظر كم يوما من الشهر القبطى الذى أنت فيه فأضفه على ما اجتمع معك . وأسقط ذلك ثلاثين ثلاثين فباقى فهو عدد ماضى من الشهر العربى . ومنه يعرف أوله

ومثال ذلك نظرت في الثالث من أيام النسيء فوجدت الماضى من الشهر العربى ثلاثة أيام فكانت أصلا لتلك السنة ثم نظرت في الشهور القبطية فوجدت الشهر الذى أنت فيه أشهر مثلا فتعد من أول شهور السنة القبطية (وهو توت) إلى أشهر يكون سنة أشهر فتأخذ لكل شهرين يوما تكون ثلاثة أيام فتضيفها على الأصل الهنئ معك من أيام النسيء . وهو ثلاثة تصير ستة فرد عليها اثنين يصير المجموع ثمانية . ثم تنظر في الشهر القبطى الذى أنت فيه (وهو أمشير) تجده قد مضى منه يومان فتضيفهما على المجموع يكون عشرة . وهو الماضى من الشهر العربى الذى أنت فيه ومنه يعرف أوله « انتهى من كتاب صبح الأعشى

هذا هو نهاية الكلام على المنازل والبروج وسير القمر والشمس فيهما وعلى الشهور القمرية والشمسية كل ذلك تفسير للآية التى نحن بصدد الكلام عليها - يكثور الليل على النهار ويكثور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى - انتهى

أيها الذكى هاهي ذه الدنيا أمامك ظاهرة واضحة فتعرفت يومك في شهرك استخرجت منه منزلة الشمس وبرجها وسير القمر فيهما ، والسنة التالية تتبع السابقة ، فالنظام تام والحساب بديع ، أفلاتحجب لهذا الحساب الذى لاخلل فيه وعلى مقتضاه كانت أحوالنا المعاشية

يا سبحان الله : شمس وفر منظم سيرهما ومنازل وبروج منظمات وعلى مقتضاهما كانت حياة الانسان والحيوان ، فلولا النظام هناك لاختل النظام هنا ، فهاهوذا شهر توت أول يوم منه يسمى النيروز وهو رأس سنة القبط ، وفي (٧) منه يتبدى لقط الزيتون ، وفي (١٧) منه تفتح أكثر الترع بمصر ، وفي ١٨ منه أول فصل الخريف ، وفي ١٩ منه بهيج السوداء في البدن ، وفي ٢١ منه يتبدى بيض النعام ، وفي ٢٨ منه يذهب الحر ، وفي ٢٩ منه أول رعى الكراكي ، وفي ٣٠ منه يزرع الهليون

(شهر بابيه) فيه يبذر كل ما لا تنشق له الأرض كالبرسيم ونحوه وفي آخره تنشق الأرض بالصعيد ويحصد الارز ويطيب الرمان وتضع الضأن والمعز والبقر الخبيسية ويستخرج دهن الآس واللينوفر ويدرك الثمر والزبيب وبعض الحمضات ، وفي ثالثة رأس سنة السريان ، وفي رابعة أول تشرين الأول من شهورهم ، وفي خامسة عرس النيل ، وفي سادسة يطيب شرب الدواء ، وفي سابعة نهاية زيادة النيل ، وفي ثامنة يكره خروج الدم ، وفي حادى عشره يتبدى النيل فى النقص . وفي ثالث عشره بداية الوخم ، وفي رابع عشره يكثر الناموس وفي خامس عشره يتبدى زرع القرط . وفي سادس عشره يتبدى كثرة السعال . وفي تاسع عشره يتبدى زرع السلجم . وفي الثاني والعشرين منه يتبدى صلاح المواشى . وفي الثالث والعشرين منه يتبدى كثرة الغيوم . وفي الرابع والعشرين منه يتبدى أهل مصر الزرع . وفي السابع والعشرين منه يتبدى سمن الحيتان

وفي الثامن والعشرين منه أول المد . وفي التاسع والعشرين منه أول الليالي البلق
 (شهر هاتور) فيه بزوع القمح و بطلع البنفسج (١) والمشور . وأكثر البقول . ويجمع ما تبقى من
 الباذنجان وما يجرى مجراه . ويحمل العنب من قوص . وفي ثمانية يبتدى حصاد الأرز . وفي خامسة أول تشرين
 الثاني من شهور السريان وفيه يبتدى برد المياه . وفي سادسة أول المطر الوسمى ، وفي سابعة يبتدى أهل الشام
 الزرع . وفي ثمانية يبتدى هبوب الريح الجنوبية . وفي تاسعة يبتدى زرع الخشخاش (٢) وفي حادى عشره يبتدى
 اختفاء الطوام وفي ثالث عشره يبتدى غليان البحر ، وفي رابع عشره تعمي الحيات . وفي سادس عشره يجمع
 الزعفران ، وفي ثامن عشره تكثر الوحوش . وفي الثامن والعشرين منه يفلق البحر الملح وتمتغ السفن من
 السفر فيه لشدة الريح . وفي الثالث والعشرين منه تبتدى سخونة بطن الأرض . وفي الرابع والعشرين منه
 أول اسفيدار ماه من شهور الفرس

(شهر كيهك) فيه تدرك الباقلاء وتزرع الحلبة وأكثر الحبوب . ويدرك الفرجس والبنفسج . وتلاحق
 الحمضات . وفي أوله ابتداء أربعيات مصر . وفي ثالثه يبتدى موت التباب . وفي خامسة أول كانون الأول من
 شهور السريان . وفي سابعة آخر الليالي البلق وأول الليالي السود . وفي حادى عشره يبتدى الشجر فى رمى
 أوراقه . وفي ثانى عشره تظهر البراغيث . وفي سابع عشره أول فصل الشتاء ، وهو أول أربعيات الشام . وفي
 ثامن عشره يتففس النهار . وفي الحادى والعشرين منه يكثر الطير الغريب بمصر . وفي الثالث والعشرين منه أول
 مردوماه (٣) من شهور الفرس . وهو نوروزهم وأول سنتهم . وفي الخامس والعشرين منه يهيج البلغم . وفي
 السادس والعشرين منه تلقح الابل . وفي السابع والعشرين منه يكثر شرب الماء فى الليل . وفي الثلاثين منه
 يبتدى قلم الكروم

(شهر طوبه) فى بزوع القمح فيه تفرير . وفيه نشق الأرض للتصب والقلقاس . ويتكامل الفرجس
 وفى أوله تبيت الرياح الشديدة . وفى ثمانية يدرك القرط . وفى سادسة أول كانون الثاني من شهور السريان .
 وفى عاشره آخر أربعيات مصر . وفى حادى عشره أول نصب الكروم . وفى ثانى عشره يشتد البرد . وفى ثالث عشره
 يبتدى زرع المقات . وفى سابع عشره يبتدى غرس الأشجار . وفى ثامن عشره تبتدى كثرة الندى . وهو
 آخر الليالي السود . وفى ناسع عشره يبتدى وقوع الثلج بالشام وغيره . وفى الرابع والعشرين منه يبتدى صفو
 ماء النيل . وفى التاسع والعشرين منه يبتدى اختلاف الرياح

(شهر أمشير) فيه تفرس الأشجار . وقلم الكروم . ويدرك النبق واللوز الأخضر . ويكثر البنفسج
 والمشور . وفى رابعه يبتدى إفراخ النحل وفى سادسة أول شباط من شهور السريان . وفى حادى عشره يبتدى
 إنتاج الطيور وزرع بقول الصيف . وفى ثانى عشره يبتدى تحرك دواب البحر . وفى الثالث والعشرين منه ثانى
 جرة فائز . ويبتدى مرض الأطفال . ويبتدى خروج ورق الشجر . وفى الثالث والعشرين منه يبتدى خروج
 الصواب للرمى . وفى الرابع والعشرين منه أول حودادماه من شهور الفرس . وفى الخامس والعشرين منه يبتدى
 هيجان الريح . وفى السابع والعشرين منه تبتدى ثالث جرة حامية . وفى الثامن والعشرين منه أول المفرطات .
 وفى التاسع والعشرين منه آخر نهى ابقراط

(شهر برمها) فيه تزهو الأشجار ويعقد أكثر الفمار . ويزرع أوائل السمسم . ويقطع الكتان .
 ويدرك القبول والعدس . وفى ثمانية يمدخروج السم . وهو أول الأعجاز . وفى ثالث عشره تفتح الحيات أعينها .
 وفى خامس عشره تطيب الألبان . وفى سادس عشره يبتدى خروج دود القز . وفى ثامن عشره يهيج الدم .

(١) بسكون الفاء وفتح بقية الحروف (٢) بفتح أوله

(٣) سياتى قريبا أن يروز الفرس وأول سنتهم أفرودين ماء ونظنه الصواب لأنه الذى ورد فى مردج
 الذهب وغيره ومع ذلك لم يذكر هذا الشهر فى أسماء الشهور الآتية

وفي ناسع عشره ظهور الطوام . وفي العشرين منه بزوع السمسم . وفي الرابع والعشرين منه أول تبرماه من شهر الفرس . وفي السادس والعشرين منه يبتدىء شرب المسهل . وفي السابع والعشرين منه خروج الثباب الأزرق (شهر برمودة) فيه تقطف أوائل عسل النحل . وفيه تكثر الباقلاء . وينفض جوز الكتان ، ويكثر الورد الأحمر ، والبطن الأول من الجيز ، ويقلع بعض الشعير ، ويدرك الخيار شبر . وفي أوله يؤكل الفريك . وفي رابعه يعصردهن اللسان . وفي خامسه تبتدىء كثرة الزهور . وفي سادسه أول نيسان من شهر السريان . وفي ثاني عشره يخاف على بعض الزرع . وفي ثامن عشره آخر قلع الكتان . وفي العشرين منه ينهي عن أكل البقول . وفي الثاني والعشرين منه ظهور الكمأة ، وفي الثالث والعشرين منه الختام الكبير للزرع . وفي الرابع والعشرين منه أول تردماه من شهر الفرس . وفي الخامس والعشرين منه نهاية مد القرات . وفي الثامن والعشرين منه يبض النعام (شهر شنس) فيه يكثر التفاح القاسي . ويبتدىء التفاح المسكي . والبطيخ العبدلي والحرفي ، والمشمش والخوخ الزهري . والورد الأبيض . وفي نصفه ينفذ الأرز . ويحصد (١) القمح . وفي سادسه أول ايار من شهر السريان . وفي رابع عشره يجمع الخشخاش . وفي ثامن عشره يجمع العصفور . وفي الحادي والعشرين منه تبتدىء برودة الأرض . وفي الرابع والعشرين منه أول شهر برماده من شهر الفرس

(شهر بونه) فيه يكثر الحصرم ويطيب بعض العنب والتين البوني وهو الديفور . والخوخ الزهري والمشر . والكمثرى البوهي . والقراصيا . والتوت . ويطلع البلح . ويقطف جمهور العسل . وفي ثالثه يبتدىء نوحم النيل . وفي سادسه يكمل السرايق . وفي سابعه أول حزيران من شهر السريان . وفي تاسعه يبتدىء مهب الريح الشمالية . وفي عاشره يبتدىء تنفس النيل . وفي خامس عشره تتحرك شهوة الجاع . وفي ثاني عشره عيد ميكايل . في ليلته يوزن من الطين زنة ستة عشر درهما عند غروب الشمس ويرفع في مكان يوزن عند طلوع الشمس فزاد كان بكل خروبة زادت على الستة عشر ذراع . وفي ثالث عشره يبتدىء قص القرات . وفي رابع عشره تهب الرياح السائم . وفي ناسع عشره تذهب البراغيث . وفي العشرين منه تهبج الصفراء . وفي الثاني والعشرين منه يعقد الجوز . ويقوى اندفاع النيل وفي الرابع والعشرين منه يشور وجع العين وهو أول مهرماه من شهر الفرس . وفي السابع والعشرين منه يؤخذ فاع النيل . وفي الثامن والعشرين منه ينادى عليه . وفي التاسع والعشرين منه يدرك البطيخ

(شهر أيب) فيه يكثر العنب والتين ويقل البطيخ العبدلي ويطيب البلح وتقطف بقايا العسل وقوى زيادة النيل . وفي رابعه أول نهى أبراط وفيه يموت الجراد . وفي سابعه أول تموز من شهر السريان . وفي عاشره يبتدىء وقع الطاعون . وفي ثاني عشره تبتدىء قوة السائم . وفي ثالث عشره تدرك الفاكهة . وفي سابع عشره تغور العيون . وفي ثامن عشره يجمع السباق (٢) وفي الثاني والعشرين منه يدرك الفستق (٣) وفي الرابع والعشرين منه أول ابلان ماه من شهر الفرس . وفي السادس والعشرين منه طلوع الشعري الجمانية . وفي التاسع والعشرين منه يدرك نخل الحجاز

(شهر مسرى) فيه يعمل الخلل ويدرك البسر (٤) والموز وتغير طعموم الفاكهة لعلبة الماء على الأرض . ويدرك الليمون التفاحي . ويبتدىء إدراك الزمان . وفي رابعه قصان الهجلة . وفي خامسه أول العصير . وفي ثامنه أول آب من شهر السريان . وفي ثاني عشره فصال المواشي . وفي رابع عشره قتل الألبان . وفي خامس عشره تسخن المياه . وفي سابع عشره تختلف الرياح . وفي ثامن عشره يحذر لسع الطوام . وفي الثامن والعشرين منه آخر العصير . وفي الرابع والعشرين منه يهبج النعام . وفي الخامس والعشرين منه تكثر الغيوم . وفي الثامن

(١) بكون الميم (٢) بضم السين وفتح الميم المشددين (٣) بكون السين وضم بقية الحروف
(٤) بضم أوله وسكون ثانيه

والعشرين منه آخر السهائم . وفي التاسع والعشرين منه أول آخزماه من شهور الفرس .
 ﴿ أيام النسيء ﴾ ودخولها في الثامن والعشرين من آب من شهور السريان ويختلف آخرها باختلاف
 السنة الكيكية وغيرها . انتهى الكلام على المنازل والبروج وسير القمر والشمس فيهما وعلى الشهور القمرية
 والشمسية وذلك من كتاب ﴿ صبح الأعشى ﴾ والحمد لله رب العالمين
 هذا ما أردت نقله هنا من كتاب « صبح الأعشى » لتفهم أيها الذكي لماذا ذكر الله الأرض مع الشمس
 والقمر إذ ذكر أحيائها وأخرج منها حبا وجعل فيها جنات وعيوناً ونهاراً ناكها . ثم أعقب هذا بالشمس والقمر
 فبدأ بالسبب ثم أتبعه بسببه . فالسبب هي هذه الزروع والحبوب والقوا كه التي تضمنها ذكر الأرض اجالا وقد
 فصلت بعد آيات . وأسبابها الأضواء السماوية فلما انتظم حساب الأسباب وأوقاتها انتظمت أوقات المسببات وحسابها
 فبدأ بها للمسلمون على هذا النمط فلتكن علوم الاسلام ودين الاسلام . فلما أن المسلمين يعرفون هذه
 العلوم والافهم مقصرون في معرفة كتاب الله والله هو الولي الحميد والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي
 لولا أن هدانا الله . انتهت من كتابة هذا المقام الساعة الثانية بعد نصف ليلة الجمعة ٢٧ يونيو سنة ١٩٣٠
 وبهذا تمت اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

(في قوله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون -)
 إن العلم من خواص القرآن . فكم حض على العلم وأمر بالتعقل والتفكير والتدبر . إن أول سورة
 نزلت بنيت على العلم - اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الانسان من علق * اقرأ وربك الأكرم الذي
 علم بالقلم * علم الانسان ما لم يعلم -
 فإذا كانت أول سورة نزلت قد أسست على هذا الاسلوب فهذا الدين سيظهر له أثره التام في أمم عرفت
 قيمة العلم وإذا لم يجعل الله نسبة بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون فقد فصل بينهما فصلا تاما وجعل الجهال
 كأنهم من طينة غير طينة أهل العلم مبالغة في التفرقة وتفاوت المنازل . وإذا كان العلم هذه صفته فن حقا أن
 نسهب في شرحه على ما يقتضيه المقام . فلنجعل الكلام عليه في مقامين : المقام الأول في شرف العلم وطرق
 التعليم وجدد الأمم في تحصيله . المقام الثاني في شذرات من العلوم العالمة تذكرة للأمم الاسلامية
 ﴿ المقام الأول في شرف العلم وطرق التعليم وجدد الأمم في تحصيله . وفي هذا المقام ثلاثة فصول
 « الفصل الأول » في تمثيل العلم بمعدن الراديوم « الفصل الثاني » فيما قاله الفيلسوف كنت الألماني
 في كتاب التريية « الفصل الثالث » فيمن ترك الملك من الملوك والوزراء حبا في علم الحكمة وفيمن
 خلع لباس الحكمة واشتغل بالملك

﴿ الفصل الأول في المقام الأول في تمثيل العلم بمعدن الراديوم ﴾

يقول ﷺ « الناس معادن كعادن الذهب والفضة فخيرهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام » إن
 المعادن جاءت في الوجود مرتبة على مقتضى الحاجة . فكلما كان المعدن كثير التناول وكانت الحاجة الى
 عمومها داعية كثر وجوده كالقصدير والنحاس والحديد . وكلما كان الاحتياج اليه أقل كأن كانت له مزية بها
 يحكم الناس في مباحاتهم كالذهب والفضة كان وجوده أقل على مقتضى الحاجة فلو كثيرا لذهبت تلك المزية
 لأن كثرتها يتلوها رخصتها ويستدعى نصب الناس ونسبهم في حمل الكثير منها لأجل البيع والشراء
 إذن الحكمة تامة في وضع هذا الوجود . عم الهواء ويليه الماء ثم الأقوات للحيوان والانسان لأن الحاجة
 تدعو لذلك ولكن السواء أقل لأن الحاجة اليه في وقت دون وقت . وكما أن الحكام والملوك أفراد في النوع

الانسانى هكذا الذهب والفضة أشبه بأوائك الأفراد فى المعادن . وههنا ظهر معدن آخر أندرم من الذهب والفضة بل أندرجدا وهو الراديوم ذلك المعدن الذى خلق ليكون له السلطان الأعظم فى عوالمنا الأرضية . ذلك المعدن الذى يهلك من اقترابوا منه من غير احتراس ويشع فى الظلام . ذلك المعدن الضار النافع فهو شديد الضرر كثيرا نافع ولا سبيل لاستعماله إلا مع العلم ومعرفة خواصه . لذلك حبسه الله ولم يظهره للناس إلا عند ما صارت عندهم بعض المعرفة بخواص المادة لينفعوا به ويحترسوا من ضرره ، فهذا المعدن العجيب أشبه بالحكام فى الأرض فكما أن هذا المعدن قل وجوده وكثير نفعه هكذا أولوا الألباب الذين خلقوا لرقى النوع الانسانى العاشقون الغرمون بمنافسه يفلون ويندرون كندرة ذلك المعدن وآثارهم يتناول أبحاث كثيرة كما أن الراديوم يتناول أعمالا كثيرة مع قلته فى المعادن ، ولعل هذا الوصف شاقك أيها الذكى أن تعرف خواص الراديوم الذى ضربه الله مثلا لحكام الأمم الذين يخلقون فى الأرض لينفعوا الأمم مع قلة عددهم فيها ، فهناك ما جاء فى « البلاغ الأسبوعى » يوم الأربعاء ٢٠ يونيه سنة ١٩٣٠ وهذا نصه :

(الراديوم وخواصه العجيبة)

الراديوم مسحوق أبيض يشبه فى شكله ملح الطعام والرطل منه يساوى فى ثمنه ألف رطل من الذهب وذلك لندرته واذا تبسّر لشخص أن يحوز القليل منه فقل انه قد حاز مالا وفيرا وثورات طائلة ومع ذلك هو شديد الخطورة على الانسان فلو وضعنا رطلا أو رطلين فى مكان معين واقرب منه أى عدد من الاشخاص لما اتوا كلهم ولما بقي منهم أحد ، والغريب أن الانسان يمكنه أن يضع فى يده القليل من مسحوقه بدون أن يشعر بألم ما ولكنه براها تتقشر وتتفتت طبقات بعد مضي أسبوع ولربما عمى من أمسك بذلك المسحوق واتباه الموت السريع بعد ذلك ، والقليل من الراديوم الذى يملكه العالم اليوم طالما أودى بحياة من أرادوا إجراء التجارب عليه . ولقد حدث أن عالما أراد أن يلقى محاضرة علمية على الراديوم فأخذ القليل منه ووضع فى أنبوبة أحكم غطاءها ثم وضع تلك الأنبوبة فى جيب صدره ولكنه لشد ما كانت دهشة الجميع عند ما رأوا أن الجلد الواقع تحت جيب الصدرى يحمر وأخذ يتساقط وسرعان ما تكون خراج مؤلم يشع المنظر لم يندمل إلا بعد أسابيع طويلة . والراديوم يلمع فى الظلام كوهج النيران تماما . والعجيب فى أمره انه يشع باستمرار ضوئا وحرارة ومع ذلك لا يفقد شيئا من وزنه وهكذا فهو كشمعة من الفحم تنقد على عمر الأيام ولا تنفد ولا تزول ويمكننا اذا حصلنا على رطل من الراديوم أن نذيبه بواسطة فى كل ساعة رطلا من الثلج بدون توقف أبدا وهو بذلك القوة المستمرة التى كدت علماء الماضى فى البحث عنها . واذا وضعنا كمية كافية من الراديوم فى فرن قاطرة أمكننا أن نسير القاطرة بلا توقف وبدون بذل أى مجهود فى تنظيف القاطرة أو اعطائها كمية أخرى من الوقود . وقد حدث أن عالما وضع كمية من الراديوم فى صندوق من الورق القوي لمدة من الزمن وعند ما انكسر الصندوق وزرع منه أنابيب الراديوم ورعى الصندوق فى ناحية من نواحي منزله شاهد أن ضوئا ينبعث من الصندوق بعد إطفاء أنوار المنزل وذلك لأن الصندوق قد امتص بعضا من شعاع الراديوم وبالفعل كل مادة تلامس الراديوم لابد أن تتأثر بالراديوم وتأخذ منه بعض خواصه وأهمها الاشعاع . وهنالك نوع من أصباغ الراديوم تدهن به مفاتيح الخطوط الكهربية وذلك لأن المفتاح يولد كهربائية لا بأس بها كلما أدرناه كذلك تستعمل تلك الصبغة المنيرة فى تغطية مينات الساعات أو بندول الساعات الكبيرة أو توضع فوق أوراق تلمص بزجاجات السم تنيها للمقرب حتى يتعد عن الخطر

لاشك انك تعجب كيف ان الراديوم ذلك المعدن النفيس يوضع فوق ميناء ساعة رخيصة الثمن لا تساوى فى قيمتها أكثر من خمسين قرشا . والحقيقة أن ميناء الساعات تغطى بطبقة من سلفات الزنك مضافا إليها

قليل جدا من الراديوم . إن قطعة بسيطة من الراديوم لا تزيد في حجمها عن رأس الدبوس . اذا خلطت بكمية كبيرة من سلفات الزنك تكفي لتغطية أوجه مئات الآلاف من الساعات . واذا فحص الانسان ميناء الساعة من خلال مجهر وجد جلة فرقات صغيرة تحدث بالاستمرار بين الفترات وهذه الفترات تحدث بسرعة (٢٠٠٠٠٠) مرة في الثانية . فوظيفة الراديوم هي توليد حركة فرقات متوالية تشعل الزنك وتجعله ينبعث ويبقى الراديوم الذي في وجه الساعة باقيا بينما الزنك يبلى بعد سنوات ، وللراديوم منافع جليلة لبني البشر . ففيه الشفاء من أمراض شتى كالسرطان وكذلك ينقى الأورام والحراجات ، وفي كل بلد كبير من بلدان العالم مستشفى به القليل جدا من (الراديوم) ، وربما لا يستعمل الطبيب في عمله قطعة تزيد في حجمها عن رأس الدبوس ومع ذلك ثمنها مئات من الجنيهات

أما تاريخ اكتشاف الراديوم فكله سلسلة طويلة من القصص المتتالية : ففي سنة ١٨٩٦ م بينما كان العالم الفرنسي باكوريل يجرى بعض تجاربه في بعض المعادن التي تضيء دون ارتفاع درجات حرارتها عرض لضوء الشمس معدنا يقال له بتشبلند وهو أحد أكاسيد الاورنيام غير النقية حتى اشتعلت من تلقاء نفسها وبعد ذلك درس أثر ذلك المعدن في الأنواع الفوتوغرافية ، ولما كان اليوم الذي يجرى فيه تجاربه مطبرا لذلك وضع اللوح الفوتوغرافي ووراءه الورق الحساس وعليه المعدن في مكان خفي حتى تصحو الشمس ولكنه دهش عند مارتع اللوح وشاهد تكوّن صورة أحسن من صورة الشمس وهكذا تمكن من اكتشاف مادة لها خواص الراديوم وبينما كان الاستاذ كوري وزوجته يجريان التجارب العلمية شاهدا أن معدن البتشلند الذي كانا يستعملانه أقوى في تأثيره من الاورنيام ، وعند ذلك أيضا شاهدا هناك مادة أقوى أخرى غير الاورنيام هي التي يجريان عليها تجاربهما ، وعندئذ أخذت مدام كوري تجرّد حتى تمكنت من فصل المادة الأخرى الغريبة التي يجريان عليها تجاربهما ، وذلك انهما كانا يشتريان فضلات مناجم الاورنيام وبقاياها حتى رأيا المعدن الجديد الذي سمته كوري بالبولونيوم نسبة الى بولندا بلادها وموطنها

وبعد إجراء عمليات أخرى أخذت تزيد في غلي الفضلات حتى تمكنت من استخلاص معدن الراديوم ، ولاستخلاص الراديوم لا بد لنا من الحصول على معدن البتشلند القليل الوجود وهو لا يوجد إلا في النمديج ومصر وكارولينا الشمالية وكالورادو ومنطقة يوتا ، ويمكن استخلائه من عروق الذهب ، واذا أردنا الحصول على رطلين من الراديوم فلا بد لنا من تكرير خمسة آلاف طن من البتشلند ، واذا أردنا الحصول على قليل من الراديوم يعادل مل' قع من أمقاع الحياطة (كسبان) فلا بد لنا من تكرير ما يعادل جل قاطرة من البتشلند وأن نعمل خمسة آلاف عملية مختلفة تستغرق ستة أشهر . ولقد عرض العلماء أنواعا من الحيوانات لشعاع الراديوم فنفضت شعرها وبصرها ثم ماتت بعد ذلك . واذا زاد العلماء جزأ من الراديوم على ثروة العلم الحاضرة فهم يزيدون بذلك ثروة جديدة على ثروات العالم لأن الراديوم يستمر في إشعاع حرارته وضوئه مدة ستائة سنة ثم تصبح قوته نصف ما كانت وبعد ستائة سنة أخرى تصبح الحرارة والنور ربع ما كانت وهكذا حتى بعد مضي عشرين ألف سنة يتحول كله الى رصاص

وبالراديوم يمكننا تحويل بعض المعادن الى الأخرى كما يؤمل بعض العلماء ذلك وكما يرجونه في القريب العاجل . ولو أمكنهم الحصول على كل القوة الكامنة في الفترات لأمكنهم تحويل ما يريدون ولاقلب العلم رأسا على عقب

وقد أدى اكتشاف الراديوم ودراسته الى نظرية غريبة هي أن كل الفترات الموجودة الآن كانت أجراما صغيرة جدا تسبح في المجموعة الشمسية حول القطب ولن يمكن فناؤها فقط تنغير من حالة لأخرى وبخاصة التنغير هذه من حالة لأخرى يوالى العلماء أبحاثهم حتى يفهموا ما بالأرض ويكشفوا أسرار الكون . انتهى

مأجاء في مجلة « البلاغ الاسبوعي » والحمد لله رب العالمين

هاهوذا الراديوم وهذه خواصه ومعجائبه : ياسبحان الله وياسعدانه . ألبس من العجب أن أرواحنا جاءت الى هذه الأرض وهي أشبه بالغريسة عنها . أرواح أرسلت الى الأرض وهي لازال تتخبط مدى الدهور والأعوام فيها لانتهدى فيها سبيلا ولا تجد لها طريقا إلا بما أعطيت من موهبة العقل . جاءت أرواحنا الى الأرض ولبست هذه الأجسام ، نظرت فرأت في الأرض نباتا وحيوانا ونظما جيلا ، ورأت أن للحيوان غرائز قد كفته السبي فهو يعيش بقوانين لاعوج فيها ولاخلل بل هو يسير منتظما محفوظا سعيدا موفر الرزق ، أما نحن معاشر بني آدم فإنا أخذنا تتخبط في هذه الدنيا وطفقنا نشعر بالحاجة الى التعلم والاهتداء بنور بصائرنا فرجعنا الى الكتاب الذي أماننا فرأينا كتابا جيلا مكتوبا بخط مجسم واضح فأخذنا نقرؤه ، وما هذا الكتاب إلا هذا الوجود ، فقرأنا سطورا وسطورا تعلمنا منها لإقادة النار والغزل والنسج والسفر في البحار في السفن وهكذا من كل ما تقدم يعد بالعثرات في ﴿ سورة طه ﴾ عند آية - قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى - فهناك نجد أن علوم بني آدم أولا أخذوها عن الحيوانات ولكن نحن أشرف منها وأعظم والاهتداء بالحيوان وحده نقص لنا

هناك قبض الله من الناس قوما منزلتهم فيهم منزلة للماس والياقوت والاسرب من المعادن . فهذه المعادن الثلاثة مسلطة على المعادن بل هذه الثلاثة بعضها مسلط على بعض فان الأسرب الحقيق هو ذو السلطان على أخويه المسطرين على البقية . أفلاترى إذن أن أقص عليك ديانا الانسان لتعلم منزلة دين الاسلام من ديانا الأمم . انظر تر أن دين البوذية الذي له السلطان على نحو تلك أهل الأرض اليوم المنتشر في الهند الذي هو أقدم الديانات لم ينتشر إلا في البقعة التي جاء فيها وليس له سلطان على أفريقيا ولا على أوروبا ولا على غربي آسيا . وتجد دين كونفسيوس الذي أنتشر في الصين قبل المسيح بمئات السنين لم يتعد دائرة الصين واليابان وهو معزل عن الأقطار الأخرى . وتجد دين اليهودية قد حصره اليهود بين ظهرانيهم

أفلاترى أن هذه الديانات كلها أشبه بالمعادن المذكورة المسلطة على بقية المعادن بالقطع . فياسبحان الله وياسعدانه . انظر الى دين الاسلام الذي نزل في جزيرة العرب التي اختارها الله لنزوله لأنه يعلم أن أم العرب أقرب للإخلاص لله . فهم مخلصون صادقون متى عرفوا الحقائق واقتنعوا بها . فهم لما نزل دين الاسلام وعلموا انه رحمة للعالمين كلها طاروا في الأرض شرقا وغربا فدخل هذا الدين على البوذية في ديارهم وعلى أتباع كونفسيوس في عقردارهم وعلى أمة اليهود فأسلم بعضهم وعلى أم النصراني أولئك الذين اتبعوا المسيح عليه السلام وسارعوا الى دين بوذا والى دين خريستا قبله في الهند فألصقوه بهذا الدين وجاءوا بالأب وبالأبن وبالروح القدس وجعلوا للتثليث المنقول عن دين الهند قيمة دينية وجعلوا لهم مبشرين متبعين البوذية التي ظهرت قبل المسيح بنحو خمسمائة سنة ودين خريستا المنتشر قبل المسيح بما يقرب من خمسة آلاف سنة . انظر هذا المقام في آخر ﴿ سورة المائدة ﴾ فانك ترى ما في الأناجيل منقولاً عن دين بوذا وعن الدين الذي قبله بالحرف بلانصرف ولا تعقل

انتشر الاسلام في الأقطار ولا يزال ينتشر الى الآن كما تقدم في ﴿ سورة العنكبوت ﴾ منقولاً عن علماء أوروبا وهناك للسلميين ملوك عند خط الاستواء ولهم سياسات ونظم وجيوش وحفاظ للقرآن وعلماء وقضاة . لم يفعل فعل العرب أحد من الأمم في الأرض لذلك اختارهم لنشر العلم في الأرض . هؤلاء نظروا . فإذا يجدون ؟ يجدون الأمم ساكنة خاملة . بحثوا عن العلم لأنهم وجدوا الله يقول لنبيه ﷺ أمره - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - ثم أكد ذلك بقوله - إنما يتذكر أولوا الألباب - هنالك قالوا لنبحث عن العلم أما الدين فقد نشرناه ولم يبق إلا العلوم والمعارف . والعلوم والمعارف إنما تكون

بالعقول والعقول كلها متضامنة . وإذا كنا نجد الله يقول لنا إن الفراب جاء معلما لأبناء آدم كيف يوارون
الأموات في قبورهم وسمعناه يقول - فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يوارى سواة أخيه قال
ياويلني أمجرت أن أكون مثل هذا الفراب فأوارى سواة أخى فأصبح من النادمين -

سمعنا الله يقول : إن ابن آدم نادى بالويل والبثور على نفسه لأنه لم يتفطن لعلم عرفه هذا الفراب .
هذا الفراب الذي هو أقل منه درجات ، هذا الفراب الذي هو حيوان خلق مقتمة وذخيرة لهذا الانسان ،
فكيف يعرف المنقول ويجهل الفاضل ؟ هذا عار ، لذلك فعل ابن آدم فعل الفراب ووارى سواة أخيه ،
عرف ذلك كله أبائنا العرب منذ ١٣ قرنا فقالوا : لتبعث علوم الاول وأى أمة أقرب لنا من اليونان ، هذه
الأمة التي حفظت علومها في خزائن ملوك النصرانية وحرموا قراءتها ، فلنبعث تلك العلوم من خزائنها ،
هنالك أرسل أبو جعفر المنصور ملك الروم فأرسل له بعض الكتب الرياضية وغيرها ، وهنالك أرسل المأمون
ملك الروم أن يبعث له الكتب فأبى فخاربه وبهذا انتشرت العلوم في الاسلام

ثم ذهبت دولة العرب وحلت محلها أم وأم وتضيرت الأحوال وجاء قوم جهلاء فإذا صنعوا ؟ حاربوا
العلوم وقالوا كففنا الوضوء والصلاة والاجارة والسلم والبيع وعقود الأنسكة والقضايا والدعاوى والطلاق
وهكذا مما دونه الفقهاء في كتب الفقه وناموا نوما عميقا ، فإذا تم بعد ذلك ؟ أذن الله للعلم الذي نشره
أولئك العرب أن ينتقل بمخافيره من بلاد الاسلام الى أوروبا على أيدي تلاميذ ابن رشد في الأندلس وقال
الله : أيها العرب الأندلسيون . أبأؤكم كانوا صالحين لجل أماتى ، أما أتم فانكم شعراء غزليون شهوانيون
فهاأنذا أخرجكم من الأندلس بعد أن أديتم وظيفتكم وهي نشر العلوم في أوروبا لأن النبي العربي رحمة
للعالمين ، فرجحتي لكم بمحمد انكم مؤمنون به ورجحتي لأوروبا أن العلم الذي تسلمه أبأؤكم من اليونان
ينتشر على أيديكم في أوروبا وكفى فأخرجوا من أوروبا فقد انتهى عملكم . كل ذلك تم في القرن السادس
الهجرى وبعد ذلك الانتقال تمزقت وحدة المسلمين في الأندلس وصاروا عشرين دولة فالتهمتهم الأمم المسيحية
ورجعوا بخفي حنين ومات كثير منهم ورجع الى بلاد الغرب منهم ألوف وألوف . هذا هو تاريخ العلم والدين
انتشر العلم في ربوع أوروبا وقد قلنا ان الذي أوصله لهم أبأؤنا أولئك الذين صاروا في آخر أمرهم شعراء
بدل أن يكونوا علماء وكان الله قال لهم :

أيها الأمم العربية : أنا أرسلت لكم رسولا منكم لم يكن شاعرا بل كان نبيا وأزلت عليه - قل هل
يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - وأتم تركتم العلم واكتفتم بالشعر ونبذتم الحكمة التي رقاها
أسلافكم فانهم هذبوا علم اليونان ونشروه ، فهاأنذا سأرفع هذا العلم منكم وأعطيه لقوم آخرين ، فأما أتم
فان ضياع أوقاتكم في مدح الملوك والفوز والمناظرة بين الورد والمطر وما أشبه ذلك من كل ما هو خيال فليس
بعلم بل هو شعر - والشعراء يتبعهم الغاؤون * ألم ترأنهم في كل واد يهيمون * وأنهم يقولون ما لا يفعلون -
وأنا أرسلت النبي العربي للعلم لا للشعر ، ولم أسويين العالم والجاهل ، هنا هو تاريخ أسلافنا وتاريخ ديانات
الأمم اجبالا مع العلوم

يقول مؤلف هذا التفسير : فهاأنذا أحد أبناء حلة هذا الدين وهم العرب وقد جئت في زمن بين زمانين
زمن الخمول وزمن النهوض ، هاهي ذه روجي قد جاءت في هذه الأرض غريبة عنها كبقية الأرواح الأرضية
وانما قلت غريبة لأنى أرى لها مطامح عالية وأرى هذه المطامح كلها يدل عليها العلم ويؤيدها الدين لأنى أراها
لا تنفق عند حد فهي روح أرقى من أرواح هذه الحيوانات ولكنى أراها روحا مسكينة تتلمس العلم والمعرفة
هنا وهناك وقد جاءت بين زمانين كما قلنا زمان النهوض وزمان الخمول . لقد نظرت فرأت علوما تشر وعلماء
في مصر وفي الشرق وفي الغرب . هنالك أخذت تقرأ تاريخ الأسلاف وتاريخ الاسلام ونظرت فهداها الله الى

هذا التفسير ، فعلى إذن أن أنظر في علوم الأمم التي جاءت بعد ذهاب مجد آباءنا العرب . هل زادوا في العلم شيئاً بعد ما تسلموه من آباءنا ؟ فإذا رأيتم زادوا شيئاً وجب على أن أقول لقومي من العرب وغير العرب لأن النسب ليس له دخل في الاسلام بل الاسلام دين عام . فإذا أنا أخطب كل عاقل لأن ديني هكذا شأنه فليس كدين اليهود الذي جعلوه خاصهم ولا كالدانات الأخرى بل هو دين عام لجميع الأمم ، وعلى ذلك أخطب كل الأمم فأقول : هاهوذا العلم وقف حيث تسلمه الاوروبيون من تلاميذ ابن رشد ونام المسلمون نحو (٧) قرون فهل زاد شيئاً ؟ نظرنا فرأيناه زاد كثيراً ، فوجب على إذن أن أدل الأمم الاسلامية على هذه الزيادة وأقول لهم : أيها المسلمون : - هذه بضاعتنا ردت إلينا - بل إن الذين تسلموها من آباءنا قد زادوها والله يقول - قل هل يستوى الذين يعلمون - الخ فهاهوذا سبحانه عبر بالفعل المضارع والفعل المضارع يقتضي التجدد بالقرآن كقوله تعالى - يحي ويميت - فالاحياء والامامة تتجدد كل وقت هكذا العلم يتجدد كتجدد طلوع الشمس وغروبها في كل يوم ، إذن علينا أن نجد في العلوم دائماً لأن تقف عند حد إطاعة لاشارة القرآن والله الذي له الملك وله السموات والأرض لما نقل العلم عن آباءنا الى أوروبا سخرهم له فزادوا فيه وجددوا إذن فلنقرأ علومهم والا كان غيرنا أحسن منا في تلك العلوم لأنهم علماء ونحن جهلاء بها وهذه العلوم يأمر بها ديننا ويفهم من يجملها ، وفي هذا التفسير زهرات وثمرات من بساتين العلوم وحض على استكمالها

أوليس من العجب العجيب أن نرى القوم داوموا البحث في الراديوم حتى استخلصوه من البشبلند وأن مقدار ملقعة من أقماع الخياطة (كستبان) يحتاج في تخليصه الى قاطرة من البشبلند والى خمسة آلاف عملية ، فانظر الى هذا الاجتهاد من أهل الغرب الذين أخذوا العلم عن آباءنا وزادوه وتعاونوا جميعاً على النهوض والارتقاء . وههنا أقول : أليس من العجب أن المقدار من الراديوم الذي لا يزيد عن مقدار ما يغطي رأس الدبوس يخلط بمقدار من سلفات الزنك فيغطي أوجه مئات آلاف من الساعات ، وترى في أوجه هذه الساعات فرقات صغيرات بين الفترات مسرعات في جزيها (٢٠٠٠٠٠) مرة في الثانية فتجعل الزنك كأنه ينير ، إذن هذا الراديوم أشبه بدين الاسلام لأنه جاء فلا الكزة الأرضية ، فإذا كانت الديانات الأخرى قد دخلها التحريف من جهة ومن جهة أخرى أكثرها محصورة في أماكن خاصة ، فههنا هذا الدين انتشر في الكرة الأرضية وأصبح كل راديوم ينير الأمم أينما حل ويحمل معه العلم فالاسلام دين العلم وان كان الخاملون له الآن أكثرهم جهلاء ، الاسلام كل راديوم مجهول نوره وسبب استخراج العلوم التي أمر بها أناس من قراء هذا التفسير وأمثاله كما استخراج (باكورييل) خواص الراديوم ، وإذا كان دين الاسلام كل راديوم من حيث انه انتشر في القارات كلها وليس ديننا منقولاً عن غيره ومن أكبر خواصه نشر العلم . والديانات الأخرى القديمة المبذلة منزلتها كمنزلة المعادن الأخرى التي صار الراديوم أرق منها وله السلطان الأعظم عليها وعلى غيرها ، فهكذا منزلة علماء الأمم في سائر العلوم كمنزلة المعادن ومنزلة العلماء الذين لهم السلطان على العلوم كلها بحيث يفكرون في النظام العام ويقرؤون العلوم الرياضية والطبيعية والإلهية وينظرون في هذا الوجود نظرة عامة منزلتهم من علماء العلوم الخاصة منزلة الراديوم من المعادن كلها ، إذن العلماء الناظرون في هذا الوجود كله نظراً تفصيلياً هم القوامون على الشعوب في الأرض وهم الذين يجددون البحث والتنقيب في هذه الأرض والله يقول - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - بالفعل المقتضى للتجدد وقتاً بعد وقت كما يقوله علماء علم المعاني

ثبت إذن أن العلماء الباحثين في هذا الوجود قليل ونادر ، وإذا حكم الله عز وجل بأن لانبئ بعد خاتم النبيين ، فهاهوذا سبحانه يأمرنا بالبحث وأشرف الباحثين هم الناظرون في هذا الوجود كله نظرة عامة ، فهنا إذا الآن أيها المسلمون في الفصل الثاني الآتي بعد هذا سأقل ما ذكره أكبر عالم في ألمانيا وهو (كنت) في علم التريية قيلمًا بحق أمانة العلم التي سلمها الله لآبائنا بالوحى أولاً وبالتقل عن العلماء ثانياً . فإذا قلنا علم الأمم

الاوربية ثانيا الى لغتنا العربية فعنى هذا اننا أخذنا نعلم العلم من القوم كما تسلموه من آباءنا
هاأناذا أيها المسلمون فظرت بعد مئات من السنين في العلوم التي نقلها الفرنجة عن آباءنا وهاأناذا نقلت
وأقل بعضها وهاهوذا القرآن يحضكم على العلم والتعليم ، فهاأناذا أقول لكم انكم ستقروُن علوم القوم ولا بد
من أن تستوعبوها قلا وفهما . ثم لتقوموا برقى الأمم كركة أخرى . أتم يا أمة الاسلام عليكم النهضة الحديثة
التي ستكون بعد مغادرتنا هذه الدار ستكونون أتم - خير أمة أخرجت للناس - . ذلك أنكم بعد أن
تستوعبوا علوم أم أوروبا وأمريكا ستقولون إن القوم لم يفعلوا شيأ ، ثم حصل بعض الارتقاء المادى الضعيف
ولكننا لا تزال نرى الانسانية في حال طفوليتها ، فواسواتها : نينا رجة للعالمين ، فلنكن نحن رجة للعالمين
والا فكيف نكون أتباعه ، نحن رأينا الأمم اليوم أشبه بالنساء الناديات ، يموت الميت فيشققن الجيوب
ويطمئن الحدود ، هكذا هذه الانسانية الجاهلة لم نجد لها رقيا ، وهل هذه العلوم هي الرقى ؟ كلا . هانحن
أولاء نرى الحشرات تقتك بلزراع فيقل المحصول ويهلك من الأمة المصرية وحدها في السنة نحو (٧) مليون
جنيه بسبب الحشرات فبالنا بالأمم الأخرى ، وهكذا نرى الغابات في خط الاستواء لو استولى عليها النوع
الانسانى وأخضعها له لأصبح الانسان غير الانسان اليوم والأرض لاتزال مستعبدة على الناس فترك الناس
هذا كله ورجعوا يتجارون ويتقاتلون جهالة ونذالة وخسة ، فهم لا يبعدون في القشيبه عن النساء الناديات فان
الناس أشبه بجسم واحد تضرب الانسانية بعضها ببعضها ، ولو كان فيهم حكماء وعلماء ، أحسن من هؤلاء لعلوهم
أن الانسانية كلها اذا ولت وجهها وجهة الطبيعة لحازت قصب السبق في السعادة وكان الانسان أرقى من
الحيوان الذى جعل مقدمة له وخادما ، فهو الآن لم يرتقى عن النمل الذى يحارب بعضه بعضا لقله علومه ومعارفه
ثم يقول المسلمون بعدنا : نحن أتباع نينا ﷺ وهو رجة للعالمين ، فلنقرأ علوم أوروبا وأمريكا ثم
يأتى جيل آخر ويكون قد قرأ أمثال هذا التفسير فيقولون : أيتها الانسانية تعالى انظرى معنا - تعالوا الى
كلمة سواء بيننا وبينكم - لننظر في الطبيعة ، أليست مشتركة بين الأمم ، قوموا فلنحاربها معا ولنخضعها ،
وهناك تكون لنا سعادة لم يحلم بها آباؤنا ، هنالك يأتى اليوم الذى أخبر به القرآن وهو اليوم الذى تم فيه
العلوم والمعارف سائر الأمم وبذهب الحرب ويحصل السلم وبذهب من الأرض ذلك الوصف القبيح وهو
الدجل وادعاء المسيحية وليس في الأرض الآن مسيحية لأن المسيحية الحققة هي التي تمنع الحرب والذين قالوا
إنا نصارى اليوم يحاربون ، إذن هم ليسوا أتباع المسيح . إذن هؤلاء الذين وردوا في الحديث انهم أتباع
المسيح الدجال الكاذب . والاسلام في المستقبل هو الذى يعلم الأمم هيئة السلام العام بالعلم والحكمة وانتشار
الفضيلة . فالمسيحية الآن دجل وكذب لأنها مصحوبة بالحرب والاحرب في المسيحية فأين هي اليوم إذن ؟
والاسلام سيعلمن الحقيقة ويقول : أيها المسيحيون . ارموا السلاح واقروا العلم معنا فلتخضع الطبيعة لنا لأن
الله جعل لنا السلطان عليها فدتوا أيديكم للتعاون على السلام العام وستتحد الأمم بعدنا على ذلك
وليس يهم ذلك إلا رجال مصلحون هم خيرة الأمم ونسبتهم الى العلماء بالعلوم الخاصة كنسبة الراديو
الى بقية المعادن

اذا عرفت ذلك أيها النكى فلا سمعك ما وعدت بنشره من آراء (كانت) الألمانية فأقول :

﴿ الفصل الثانى من المقام الأول ﴾

(فيما قاله الفيلسوف « كانت » الألمانية في كتاب التربية)

اعلم أن هذا الكتاب المسمى « كانت في التعليم » قد ترجم من الألمانية الى الانجليزية بواسطة
(انيت تشرتون) وقد وضعت له المقدمة السيدة (رايزدافيدس) والكتاب مشتمل على مقدمة وخسة فصول
المقدمة في النظام العام في التعليم وموازنة تعليم الانسان بفرائض الحيوان وكيف كان للحيوان غريزة استغنى

بها عن التعليم والانسان محتاج اليه وكيف يربي الأطفال والتلاميذ وهكذا (الفصل الأول) في التعليم الجسمي الطبيعي ونظام الاطفال في الرضاعة والنظافة والملابس وما أشبه ذلك (الفصل الثاني) في تعليم العلوم (الفصل الثالث) في اخصاب هذه العقول الانسانية بالعلوم وتحليلتها بالبحث والتنقيب واعطاء الشبان حرية البحث واستخراج المجهولات بماعرفوه في الفصل الأول بالتلقين (الفصل الرابع) في الاخلاق العامة لنوع الانسان والتهديب (الفصل الخامس) في مزاولة الانسان أعماله ومعاملته للناس في الحياة وذلك يشمل رجة للانسانية العامة وأعماله الخاصة في نفسه واستنتاجه هو نفسه ببصيرته ، وبالجملة كل ما يدخل في دائرة أخلاقه في نفسه ومع غيره ، فلنقتصر في هذا المقام على ترجمة المقدمة لأنها جامعة لمقاصد المؤلف إلقاء بعض معنى قوله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - وقوله تعالى - اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم * علم الانسان ما لم يعلم - . ابتداء المؤلف مقدمته قائلاً :

(١) الانسان هو الذي يحتاج للتربية دون غيره ، إن التربية تشمل :

(أ) تربية الأطفال في المهود بالعناية الخاصة والتغذية

(ب) والتهديب بمنع الطفل مما يضره

(ج) وتلقية العلوم

فهو طفلاً يحتاج الى الحضانه ، وغلاماً يحتاج الى مراقبة أخلاقه وتهديبه ، وتلميذاً يحتاج الى التعليم (٢) إن الحيوان قد أعطى غريزة أغنته عن التعليم فقد ست سنن لاجوج فيها . أفليس من العجب العجيب مثلاً أن أفراخ الخيطاطيف عند خروجها من البيضة وهي لاتزال مغمضة العين لم تر النور تراهن يمترسن غاية الاحتراس من أن يدنسن أعشاشهن . إذن الحيوان ليس في حاجة الى حضانه تقوم بأمره وغاية الأمر أنه يعطى الغذاء والدفء وبعض العناية بالمحافظة عليه . إن أكثر الحيوان في حاجة الى الغذاء أما الحضانه فلا . إن الحضانه تشمل شدة العناية بلطف والحيطه الشديده التي يقوم بها الوالدان بمحافظه على الأبناء كأن يحميهم من مزاولة أعمال تضر بهم فهذا كله لاحاجة لمصغار الحيوان به . الأترى أن صفار الحيوانات المولودة حديثاً لو أنها رفعت أصواتها بالبكاء كما يفعل صفار الانسان لارعت اليها الحيوانات المفترسة المحيطة بها واقتربت ساعتها ولادتها

(٣ و ٤ و ٥) إن التهديب يقبل مافينا من أخلاق حيوانية الى أخلاق انسانية . والحيوان بممنح من الفرائز لا يعوزه التمييز والاختيار . فهناك قوة أخرى دبرت له ما يحتاجه . أما الانسان فهو الذي لاتقوم له قائمه إلا بتدبيره هو وعنايته . ولما كانت العناية لم تمنحه غريزة وجب عليه أن يبحث في كل ما يزاوله ويفكر فيه بعقله . ولما كان الانسان في أول نشأته لاعلم له بما يحتاج اليه هناك قبض له أمثاله من الناس فعلموه ما يحتاجه . وليست خصائص الانسان تأتي له فجأة بلاترتيب ولاتعقيب بل تظهر فيه تدريجاً شيئاً فشيئاً ولكن ذلك أولاً بإدراك بصيرته وثانياً بجته واجتهاده هو لا بالفرائز كالحيوان . وبعدها التهديب وتحمين الخلق يكون تعليم العلم . ولو أننا عكسنا القضية فبادرنا بالتعليم ثم أخرنا التهديب لرجع الانسان في آخر أمره الى الحال الوحشية التي منها نفر كل حين . إلا ان التهديب هو الذي يمنع المرء من رجوعه من حالة الانسانية التي هي نهايته الى الأخلاق البهيمية التي فر منها . بالتهديب يحفظ المرء من الاندفاع في سبل الشر ومواقف الخطر والوحشية والتهديب أمر سلبي لا إيجابي لأنه يهدي الانسان الى أن تكون أعماله نظامية قانونية فأما القسم الإيجابي في التربية فهو تلقين العلوم ودرسها وفهمها . إذن التهديب منع فهو سلبي

والتعليم تلقين فهو إيجابي لاسباب . أولهما نهى وثانيهما أمر . وأولها تخلية وثانيها تحلية .
 بالتهذيب يكون ضبط العواطف وسمو الأخلاق . وذلك يجب أن يكون من مبدأ الحياة . برسل
 الصبي للمدرسة فليكن أول ما يفاجأ به من الأعمال تنظيم جلوسه ومشيه . يؤمر فيأتمر لاغير
 ولاتبين له الأسباب لأنه لايفهمها بل يكون ذلك أمرا عمليا . ههنا قيدنا حرية وأخطأ بقوانين
 فإذا لم نعمل معه ذلك وشب وشاب وهو لم يعتد تقييد تلك الحرية بقوانين فإنه بعد فوات زمن
 الصبا لايعدل بها شيئا ولايمثل لما ينصح به وترسخ في الناس عوائدها فلا تهذيب ولا تأديب ،
 وهل يهذب الدب ! لذلك نجب المارعة الى التهذيب من أول الحياة حتى لا يستعصى أمرها
 إذا كبر الانسان ، فتنصل تلك المشونة التي في الطباع بصقال التهذيب والتأديب ، الأطفال يعوزهم
 حالان : حال التربية الجسمية ، وحال التربية العقلية . فحال التربية الجسمية بالحضانة في حال
 الطفولة ، وحال التربية العقلية بسيلين اثنين : تهذيب النفوس وهذا سلبى ، واصلاح العقول
 وتكميلها بالعلوم والمعارف وهذا ايجابي

(٦) إن صغار الحيوان لا تعلم شيئا كما يتعلم صغار الانسان ، اللهم إلا ان الطيور تعلم صفارها كيف
 تقلد أمهاتها في أصواتها الخاصة بها إذ تقف الصغار حول أمهت مصطفات اصطفاف التلاميذ في
 المدرسة وتسمعن نعماتها الخاصة بأبناء نوعها وهن يقلدنها بحناجرهن الصغيرة حذو القذة بالقذة
 فالتعليم لم يكن عند حيوان غير الانسان إلا الطيور فأنها هي التي تعلم صفارها أصواتها بل لو اتنا
 رفعا نصف بيض عصفور الكنارى المعروف ووضعنا بدل مارفعناه منه بيضا لعصفور دورى ثم
 قفس البيض كله وأخذ الكنارى يفتى بصوته الخاص فأننا نسمع مما خرج من بيض العصفور
 الدورى صوت الكنارى المغنى لاصوت العصفور الدورى فدل ذلك على أن الطيور تتلقى الصوت
 بالتعليم فهى كالانسان يكمله التعليم ، ومن المعروف أن الانسان إنما يعلمه انسان مثله والذى
 يعلمه قد استكمل التعليم من قبل فلذلك استحق أن يعلمه ، وكم من المعلمين من هم في حاجة
 الى تهذيب نفوسهم واكمال تعليمهم حتى يصلحوا أن يعلموا تلاميذهم ، لو أن عالما آخر أظلى
 من هذا الانسان علمه لرفنا اليوم من هذا الانسان ، ونحن الآن لايسعنا تقدير هذه الانسانية
 ولا معرفة قواها ، وكيف يتسنى لنا معرفة ذلك ونحن لانزال نرى صفات كانت بارزة فيه واضحة
 أزالتها التهذيب وصفات أخرى مخفية أبرزتها التربية والتعليم

(٧) لو أن ذوى المنازل الرفيعة من الأمراء والملوك ومن نخا نحوهم تعارنوا مع ذوى المواهب العالية
 من الشعوب وأخذوا في ترقية الانسانية معا لأمكننا بهذه الطريقة القويمة أن نخبر عن مواهب
 هذا الانسان والى أى حد يصل في ارتقاء مواهبه ، ولكن مما لايسع العاقل العادى أن يحمله
 ويجدر بالحكيم المقرم برقى الانسانية أن يعرفه أن أقول : إن ذوى المقامات الرفيعة من الملوك
 والأمراء لا يهتمون بأمر الشعوب ولا الانسانية العامة إلا بمقدار ما يسمو به سلطانهم وترتفع به في
 الناس أقدارهم ، فأما سعيهم لارتقاء الانسانية درجة أودرجات لتقرب من الكمال فذلك ليس
 بعينهم ولا يهتمون به

(٨) ليس من الناس أحد بلغ درجة العقل والتبصر والتمييز بعد أن أهمل ذووه تعليمه في الصغر إلا
 وأخذ يسأل نفسه قائلا : « أهذا الخلل جاء من نقص التهذيب أم من قصص التعليم ؟ » (وهذان
 تشملهما التربية العامة) . إن الرجل الذى لم يعلم يعد رجلا غير ناضج فهو نبي وغير متقن ، وأما
 الرجل الذى لا تهذيب عنده فهو رجل غير منظم الحياة ولا موزون

(٩) إن النقص الحاصل من إهمال التهذيب أشد وطأة وأضرّ بالإنسان من قص التعليم فإن العلم يمكن تداركه في الكبر . أما التهذيب وتحسين الخلق فهيات هيات أن يصلح شأنه بعد فوات فرصته في الصغر . إن الخطأ في تهذيب الطفل لن يصلح أمد الحياة

(١٠) وعلى كل جيل أن يخطو في التهذيب والتعليم خطوة إلى الأمام ويسلمها للجيل الذي بعده وهناك ترقى الإنسانية شيئاً فشيئاً جيلاً جليلاً وتقرب من كمالها خطوة خطوة إذ لا سبيل لبوغ الإنسانية غايتها إلا بوسائل التربية والتعليم ، ولا جرم أن هنا أمراً جديراً بالذكر وهو هذا السؤال : ما الذي تستفيد الإنسانية من دوام التعليم وارتقاء الإنسانية فيه جيلاً جليلاً ؟ وجوابه بين واضح وهو أن ارتقاء التعليم يوجب ظهور المواهب الكامنة في الإنسان واستكمالها وهذا يجعل الإنسان أسعد حالاً وأنعم بالاً مما هو الآن ، إن ما ننتظره من رقى القوى الإنسانية بكمال التعليم أمر جليل القدر عظيم المنزلة

(١١) لنجعل نصب أعيننا هذه الفكرة ونقدر في أنفسنا أن الإنسانية لا بد من ارتقاؤها ، فإذا فعلنا ذلك أمكننا السير في هذه السبيل ، أما إذا ينسنا من هذه الفكرة مدعيين أننا لن نتألم لأننا لم نزاوها فذلك يعدنا عنها مراحل ، كما إذا فكرنا في أمر الحكومة وبحثنا عن هيئة الحكومة العادلة التي لا خطأ في أحكامها فقلنا لا سبيل إليها لأننا لم نزاوها

(١٢) فلنجعل نصب أعيننا فكرة رقى الإنسانية ونحققها في أنفسنا ضار بين صفحا عما أمامنا من العقبات الصادة عن إتمام غاياتنا في ذلك ، واذن يكون تحقيقها ممكناً ولا تحقيق لعمل إلا بعد افضاح الفكرة فيه والافتتاح بها

إن التعليم في أيامنا الحاضرة لا يؤدي إلى رقى الإنسانية ، وكيف يؤدي إليها والأمم مختلفون في الطرق التي يسلكونها . فما الذي يجمعهم إذن ؟ فليكن اتحاد عام للتعليم . فهذا الاتحاد هو الذي يحدث في الإنسانية طبيعة جديدة فلنعمل لتحقيق تلك الفكرة بالتعليم ويسلمها الجيل المتعلم إلى الجيل الذي بعده ليقرب كل جيل من الغاية العالية شيئاً فشيئاً حتى تتحقق الآمال بالتدرج وهناك تكون سعادة الإنسانية . ولأضرب لك مثلاً نباتاً يسمى (أريكيولا) إذا نبت بطريق بذره وحوته وسقيه خرجت أزهاره ذات ألوان بديعات جيلات فأما إذا بقيت جذوره للعام المقبل ونبتت شجيرات عليه فإن أزهارها لا تكون إلا ذات لون واحد وتذهب منها تلك المحاسن والبهجة والزخرف والنضارة والرقص والتزويق التي كانت في زهرات العام الماضي . لماذا هذا ؟ لأن النضارة والبهجة الكامنتين في النبات خبئت في البذرة فبرزت . أما الجذور الباقية فيما بعد فقد خلت من أكثر المحاسن . هكذا الإنسان فإن لم يكن التعليم مستمر الرقى والابتداع فيه فإن ثمراته تكون ضئيلة ضعيفة لا تشفى من علة ولا تروى من غلة ولا تدفع عارا ولا تنفي ناراً

كم في الإنسان من مزايا محبوبة في جبلته لم تبرز للوجود . فعلياً نحن أن نجعل هذه الأصول الصالحة تظهر وتموت حتى تصل بالإنسان إلى غايته المنتظرة . أما الحيوان فقد وصل إلى غايته واستكمل قوته التي لا قوة وراءها بلا روية ولا فكر . والإنسان عليه أن يجتهد ليصل لغايته ولن يصل إلى ذلك إذا لم يضع الفكرة نصب عينيه لأن أول الفكر آخر العمل . وبدون الجهد الفردي لن تتم للإنسان غايته . فلنتصور والدين كملت أخلاقهما واستكملت مواهبهما وجعلتا أنفسهما مثلاً لأبنائهما . فاتبع الأبناء الوالدين اتباعاً تقليدياً بلا روية ولا تعقل ولا بصيرة فإن هذه التربية تظهر بعض مواهبها لاجتماعها وذلك بمجرد التقليد . إن الناس في الأزمنة الخالية والقرون الماضية لم تكن لهم فكرة ثابتة لترقية الإنسانية العامة . بل حتى الآن في أيامنا هذه لا نجد رأياً ثابتاً لهذا الغرض العام . إن الحق الصراح يقضي أن الجهد الفردي لبوغ الغاية الإنسانية هو السبيل

الموصل لها وبدون الجهاد الفردي لاجتياح في الوصول اليها بل لانكفي أفراد قليلة . فليعمل كل فرد في الناس لهذه الغاية . إن الإنسانية العاتمة لاسعادة لها لإبسى جميع أفرادها في استكمال مواهبها هذه هي الحقيقة التي لامراء فيها . إن التعليم صناعة ولا يتم كالمها إلا بجهاد أم كثيرة فيها . وكل جيل يهب تجاربه ومعارفه للجيل الذي بعده ليقرب من الكمال واستنابت بذوره الكامنة حتى يقرب من الغاية المنشودة . بهذه الوسيلة يتقدم النوع الانساني نحو نصيبه من الكمال

إن العناية المدبرة للانسان قد أرادت منه أن يستخرج بنفسه من نفسه المزايا الشريفة التي كنت في جبلته وخطبته تلك العناية قائلة له : « أيها الانسان : أنت على نفسك بصيرة ولو ألقيت الينا معاذيرك ، نحن منحناك كل موهبة وأعطيناك أصول الرقي الموصلة الى غاية السعادة ، فأما استكمال تلك المواهب واستخراج تلك الفضائل واستنابت تلك البذور فذلك عليك أنت ، هكذا عليك قضينا أن سعادتك وشقاءك متوقفان عليك أنت وحدك »

إن العناية بذلت للانسان بذور السعادة لانفس السعادة وعلى الانسان أن ينمي تلك البذور الكامنة فيه فهي لم تضع فيه نفس السعادة بل مقدماتها ولم تحفظها بفرصة تستكمل نموها بخواص الفريزة ، فالواجب على الانسان أن ينمي تلك البذور وينمي صفاته العقلية ، وإذا أحس بالضلال في سيره فليبتدئ الى طريق الصواب بقوانين الآداب العاتمة ، وههنا تشورمشكاة يصعب حلها ويشكل فهمها ، ذلك أننا قلنا ان الانسان لا يصل الى الكمال إلا بالتعليم ولكن التعليم انما يكون بالفتنة والبصيرة . والنظنة والبصيرة يتوقفان على التعليم . إذن صارت المسألة فيها الدور والدور محال فالتعلم متوقف على البصيرة والبصيرة متوقفة على التعليم . فالتشيء متوقف على نفسه وهو محال . ولكن هذا الاشكال يزول متى عرفنا أن كل جيل من الأجيال يحمل علم الجيل الذي قبله ويزيده شيئاً يسيراً من جهاده الخاص ويوصله للجيل الذي بعده وبهذا زال الاشكال لأن ارتقاء الدرجات ارتقاء بطيء تدريجي لا فجائي حتى يرد هذا الاشكال . فكل جيل يزيد على ماورثه مما قبله قليلا قبل أن يسلمه لمن بعده . فلعمري ما أوسع التعليم وما أكثر التجارب التي تضمنتها هذه السبل التي شرحناها والطريق التي أبنائها . وهل هي شئ غير تبيان الامكان فقط أما الوصول اليها وتحقيقها فانا لم نصل اليه بعد وههنا تثارمشكلة أخرى فيسأل هذا السؤال : هل نحن في جهادنا الفردي نسلك السبل التي يسلكها النوع الانساني جميعه في أجياله المتتابعة ولا جواب على هذا الاشكال إلا بالحيرة بأن قول نعم هنا مشككتان كل منهما أصعب من الأخرى حلا وهما : صناعة الحكومة . وصناعة التعليم . والناس متنازعون في تحقيق معانها . ولكن المدنية الحالية التي وصل اليها الانسان هي التي تمكنه من أن يتصورامكان الوصول الى الغاية المنشودة التي نحث عليها وليس في الامكان أن تخطر هذه الفكرة العالية في عقول الأمم أثناء وحشيتها وعلى ذلك يصسرعلينا أن نفهم كيف كان الانسان الأول . إن السجلات القديمة والكتب الموروثة تدلنا على أن أرقى الأمم المتعدية الآن كان أبأؤهم ذوي صفات وحشية بربرية . فكم من أنواع الجهاد ابتدعوا . وكم من سبل سنوها حتى وصلوا بجدتهم الى مجرد القراءة . فهكذا نقول مع هذه الأمم الراقية بالنسبة للكمال المنشود الذي كلامنا فيه

إن الانسان حينما ابتدع صناعة الكتابة قديما استحق أن يقال له انه « ابتدأ يعيش في الدنيا » إن الانسان وهو يجاهد لاستخراج مواهبه المنجوبة فيه بالعناية المطلوبة وجدته واجتهاده بنفسه يكون التعليم صناعة فاذا استكمل الانسان مواهبه في المستقبل فان التعليم يكون أشبه بطبيعة ثانية لاصناعة والعناية القدسية لم تضع فيه غريزة لهذا الغرض المطلوب

ليس يمكن الانسان أن ينال غاية ماآربه واستكمال قواه بالتعليم التقليدي بلا بصيرة ولافكرة ولا تعقل

وتمييز. فيذور الكمال الخبوءة في الانسان ومحاولة استخراجها بصناعة التعليم يكونان إذن امرين متشابهين متحدتين في أنهما لا بصيرة فيهما ولا كتاب منبر. إن كل تعليم تقليدي بلا بصيرة ولا فكرة تستقر في ثنائه أنواع من الخطأ لأنها تعاليم لأساس لها ولا قانون تسير على مقتضاه. فلا رقى لنوع الانسان إلا بالتعليم المبني على البصيرة والتعقل لأن يكون الاستاذ كالألة المتحركة على مثال غيره. بهذا وحده يمكن ارتقاء نوع الانسان واستخراج جيع مواهبه، تعليم الآباء للأبناء يكون بالقدوة والتقليد فيما يفعلون، فإذا نجح الأطفال في تقليد الآباء فإنه لا بد من المراسمة والتعليم ليميزوا الخبيث من الطيب بالتعقل والبصيرة. والذي يتعلم بلا بصيرة تعليماً آلياً ليس يفعل شيئاً إلا أنه يعطى الخطأ الذي استحوذ عليه وأنواع الغلط لتلاميذه ويكررها لهم كما وعابها إن الأصول التي يجب أن يكون عليها التعليم في المستقبل هي أن يضع المعلمون أمام أعينهم هذه الغاية وهي ان التعليم لا يقصد منه الوقت الحاضر فقط بل يقصد منه أيضاً ارتقاء الانسانية العامة في المستقبل واستخراج قوى كل فرد. تلك هي الطريقة التي تتخذ في فكرة الانسانية العامة ووصولها الى نهاية مستواها الرفيع وهذه القاعدة تستحق العناية والاهتمام. إن الآباء يحثون في تعليم أبنائهم المثل الذي يخطونه هم لانفسهم ولا يبالون بالخير في المستقبل للعالم أيكون صالحاً أم يكون فاسداً ولكنهم أجدراً أن يذكروا الأبناء بالخير العام لنوع الانسان في المستقبل ولكن ههنا تقابل مسألتين عويصتين: الآباء يريدون الأبناء على ما يريدان من الحياة المعتادة. والأمراء والملوك يريدونهم لأجل ممالكهم وبقاء سلطانهم. فههنا عاملان يتعاونان على حصر عقول الأبناء في خطة محدودة. أما الرقي الانساني فلا نظر فيه لا للآباء ولا للأمراء. فالآباء غايتهم منازلهم والملوك غايتهم ممالكهم. فلا هؤلاء ولا هؤلاء موجهو مهمهم الى غاية الانسانية العامة النافعة ولإلى استكمال قوى الفرد الكامنة فيه التي يسعى اليها ويستعد لها بظفرته. فليكن التعليم مؤسسا على فكرة استكمال قوى الانسان. وهنا يرد سؤال فيقال: إن التعليم بقصد ارتقاء الانسانية ضار بالأفراد لأن العناية بالعموم تلهي عن العناية بأمر الانسان ومنزله وهذا القول مردود على صاحبه فإنه (وان ظهر في بادئ الرأي أن قصد الفرد المنفعة العامة ضار بمصلحه الخاصة فهو يضحى بعضها لأجل المصلحة العامة بسبب هذه الفكرة) فان الرقي النفسى إذ ذاك حسن في ذاته ونافع أيضاً في أعماله الحالية الفردية فضلاً عن العامة. وكما من الفوائد العوائد على المرء بهذه السبيل. إنه بالتعليم العام تظهر المواهب الفاضلة الكامنة في الانسان. وبذور الرقي يعوزها أن تظهر شيئاً فشيئاً لأن الشرور وأخلاق السوء لم تخلق في طبيعة الانسان، وهل الشر نتيجة لإهمال الطبائع الانسانية وعدم قيادتها وحكمها حكماً لاهوادة فيه. ليس في الانسان إلا قوى الخير. من هو الذي يعلم نوع الانسان أحسن سبل هذه الحياة لاتمام سعادته. أهم الملوك أم هم الشعوب؟ إن الذي يعلمهم نفس الشعوب. هم الذين يتقدمون الى الكمال عن رغبة منهم واجتهاد فيصلون الى نصف طريق الكمال والملوك يبنون بعد ذلك تعليمهم على ذلك وينبتونه ويوطدونه. أما الأمراء فليس يحسن الاعتماد عليهم في تعليم الأمم. ذلك لأنهم يعوزهم التقيف والتهذيب في تعليمهم الأول. فكيف يقاسون من مصاعب ومشاق في أعمالهم وذلك نتيجة ما كان من خطأ في إبان تعليمهم إذ هم لا يجردون في صباحهم من بنهاتهم عن شر أو يبعدهم عن ذنب فكبروا وهم مغرورون فلذلك يقاسون شداًد وحناً لا يستطيعون الصبر عليها فكيف يوكل لهم أمر تعليم الأمم. إن الشجرة التي تكون في حقل منفردة تموت وهي معوجة ناشرة أعضائها بانساع ذات الخمين وذات الشمال بينما الشجرة التي في وسط أشجار أخرى في غابة تنمو بضغط ماحولها عليها طولاً لا عرضاً مستقيمة لا معوجة تبحث عن الهواء وضوء الشمس من أعلى. هكذا تكون حال هؤلاء الأمراء. وعلى كل حال يجدر هؤلاء أن يتعلموا مع أبناء شعوبهم فذلك خير لهم من أن يتعلموا وحدهم ذلك ليلبوا حلوا العيش ومره. نعم نحن ننظر الخير في التعليم العام من هؤلاء الأمراء فقط اذا كان تعليمهم أعلى من تعليم شعوبهم. إذن التعليم

العام سياجه نفس الشعوب في جهادهم الخاص . فلا يصلح الأمراء أن يتكلم الناس على مساعدتهم كثيرا كما يزعمه (باسيدو) وآخرون غيره لأننا وجدنا بالتجربة أن هؤلاء لا ينظرون للإصلاح العام في التعليم كما ينظرون إلى إصلاح ممالكهم وهم لا يريدون إلا الغاية التي يقصدونها في تلك الممالك . نعم هؤلاء ينفقون إذا كانت غاية اتفاقهم جزئية المنفعة إلى خزائن حكوماتهم بل للمجامع العلمية العالية (رجال الأكاديمية) لا يعبرون خيرا الإنسانية العام لإتقانة وربما يفعلون ذلك في المستقبل ، أما الآن فإنه قليل

إن إدارة المدارس يجب أن يكون اعتمادها إذن على حكم ذوي الاختبار البارعين الماهرين من الحكماء إذ يقولون : « التعليم يجب أن يقوم بالجهاد الفردي أولا وكامل التعليم يفيض على غيره بالتدرج »
وبعبارة أصرح : « ليقم التعليم على جهاد أبطال العالم في العلم الذين لهم نظر ثاقب واسع ويجدون لذة في التثقيف العام للأمم وهم متصفون بمسرة ولذة لا حد لها بالرأي المؤدى إلى أحسن الأمور في المستقبل وهو أن النجاح المستمر للطبيعة الإنسانية نحو غرضها السامى أمر يمكن حصوله »

فهل بعد هذا نعتد على الأمراء الذين ينظرون إلى رجال أمهم كأنهم قطعان من الأنعام في ضمن ممالكهم . وجل صدقهم إذا فعلوا خيرا عاما أن يعلنوا الدعابة لأنفسهم أنهم يريدون خيرا للإنسانية وهم إذا أرادوا تثقيف شعوبهم فلن يكون ذلك إلا الحاجة في نفس يعقوب قضاها ، فهم لا يعلمون الشعوب إلا على نموذج ما يقصدونه هم أنفسهم لغاية يريدونها . إذن فليكن التعليم أولا بجهاد أفراد الأمم أنفسهم وليجتوا فيه على مقدار استعدادهم هم لا لإمدادات ملوكهم ، ولكن عليهم مع هذا أن يجعلوا نصب أعينهم الخبير العام ولارتقاء الأمم فلا تجتزئ . بأن تجعل الأمم ذات نشاط في أعمالها بل يجب أن نحمل الناس على الكمال الأدبي وليجتوا حتى يكون النسل المقبل خيرا من الجيل الحاضر في علومه ومعارفه وآدبه . وههنا أخذ بين في الفصل الثامن عشر ملخص ما تقدم . أولا إن التربية تشمل :

- (١) تهذيب النفوس بمنعها من الشرور
- (٢) وثقيف العقول بالمعارف
- (٣) وازدياد البصيرة والتفكير بما اكتسبه الناس من العلوم ومعاملة كل امرئ بما يناسب عوائده
- (٤) وأعمال البصيرة في الغاية المطلوبة لكل امرئ بحسبه

وأخذ في الفصل التاسع عشر بين أن القسم الرابع وهو التعليم الأدبي العام متروك لا ينظر إليه الناس كثيرا ، فعلى الأساتذة أن يبينوا للأطفال في إبان صباهم أن الرذيلة في نفسها ممتوتة مكروهة منبوذة ولا يكتفون بقولهم إن الله حرمها . كلا . بل هي في نفسها ممتوتة لذلك حرمها الله وأخذ في الفصل العشرين بين أن التمرين العملي في المدارس لا بد منه لأن ذلك مقدمة للتمرين في أمور الحياة العامة في المنزل وفي السياسة

وأخذ في الفصل الحادى والعشرين بين أن التربية تشمل كما تقدمت على عناية الوالدين أولا وعناية المدرسين ثانيا وعلى الهداية في أعمال الحياة ثالثا في تهذيب الناس ونظام الأسرة ونظام السياسة العامة وفي الفصل الثانى والعشرين يقول : « إن التعليم إما عام وإما خاص » وأطال في ذلك وفي الفصل الثالث والعشرين يقول : « إن التعليم العام مكمل للتعليم الخاص في المنازل » وفي الفصل الرابع والعشرين أبان صعوبة التعليم المنزلى ، ثم حكم أن التعليم يستمر إلى السنة السادسة عشرة من الحياة وبعد ذلك يعلم كيف يتفكر هو بنفسه ، وعلى المدرس أن يهده السبيل في تعلمه حتى يكتمل بنفسه تحت إرشاده ، وأبان أنه في أول أمره يكون تاديبه مجليا ، فإذا عقل وكبر أعطى الحرية في الاختيار بنفسه مع تعليمه احترام غيره بحيث لا تضر حرمة غيره ، ويعلم كيف يضبط عواطفه بنفسه لا بالخوف

حتى يكون ذلك نبراسا له في مستقبل حياته

م أبان أن التربية من نتائجها ما يأتي : تهذيب النفس وصلاحياتها لرعاية المنزل وتدبير الأمة وموافقة الحياة العامة والنظر لخير الانسان العام ، فالأول شخصي والثاني منزلي ومدني والثالث للانسانية العامة اه هذا ما أردت نقله من الكتاب المسمى « كنت في التعليم » إذ ترجمت أكثر المقدمه وعسى أن أترجم بقية الكتاب في مقام آخر

هذه أيها المسلمون آراء الاستاذ (كنت الألماني) الذي تحترمه الأمم حولنا . ولم أقتل هذا إلا لأرىكم أيها المسلمون الآراء الشائعة في أوروبا الآن . وأفضل ما ذكرته الآن فيه النفع العام فهو يحصر على أن يكون الانسان الواحد مريدا للخير للأمم الانسانية جميعا وهذا محب جدا وكيف يقول (كنت) « إن الانسانية كانت وحشية ولما تعلموا الكتابة ابتدأت حياتهم الدنيوية . وهاهي ذه المدينة ارتقت ولم تبلغ النهاية . فاذا كان أولئك المتوحشون قد حاولوا الكتابة حتى نالوها أفلا نحاول نحن الرقي حتى يستخرج الانسان كل قواه الكامنة بجمته كما استخرجت قوى الحيوان بفرزته وهناك يصل الانسان الى مقام عال وسعادة شريفة

فيا عجبا : أليس هذا تفصيلا لقوله تعالى - وقل رب زدني علما - . ألم ينزل في أول ﴿ سورة العلق ﴾ - اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم - فذكر أولا القلم وثانيا تعليم الانسان ما لم يعلم . وهل هاتان الجملتان إلا ملخص ما ذكره (كنت) . أليس القرآن - آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم - . إذن كل ما وجدناه قولنا حقا في صدور العلماء فهو تفسير للقرآن . وهاهي ذه آية - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - قد فصل بعض معناها في كتاب العلامة (كنت) فهذه الآية لانهاية لمعانيها وهذه بعضها . ها هو ذا كنت الألماني يقول هنا ما كتبه في سور كثيرة : ان المسلمين يجب عليهم أن يرتقوا أولا هم الذين يقومون بالخير العام للأمم لأننا جعلنا - خير أمة أخرجت للناس - (انظر في سورة ابراهيم في آية - وذكركم بأيام الله - وفي آية - وقل رب زدني علما - في ﴿ سورة طه ﴾) فهناك تجد تفصيلا لهذا المقام) ولعلم المسلمون أن (كنت) وأمثال (كنت) يكتبون ذلك بعقولهم وفطرتهم الانسانية ونحن نكتب بعقولنا وفطرتنا مع ديننا . فاذا كان هؤلاء بعقولهم أدركوا أن الانسانية كلها اخوان وانهم يجب عليهم أن يرتقوا فكيف بنا نحن ؟ فلنا عقول كما لهم . ولكننا نزيد بأن ديننا يأمر بجد الانسانية جمعاء . فهذه ميزتنا وهذه هي التي تحصل قرآنا هذا التفسير وغيره أن يكونوا - خير أمة أخرجت للناس - لأن المدينة الاوروبية ناقصة فليكن الكمال في مدينتنا المستقبلية . أليس ما يقوله العلامة (كنت) بعض تفسير قوله تعالى - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا - . ألم يؤذن بلال الحبشي في الكعبة بمحضر من أهل مكة الذين لا يرون في الأرض من يساويهم . إن الاسلام سوى بين الأمم ونحن أتباعه فلنكن نحن حراسا على كل أمة متى ارتقتنا ونحن الآن في مبدأ الحياة

هنا اطلع صديقي العالم الذي اعتاد أن يتحدثني في هذا التفسير فقال لي : حسن ما كتبت عن الاستاذ (كنت) الألماني وجدير بك أن تذكره هنا لأن مشربه مشرب الاسلام . الاسلام جاء لرقى الانسانية كلها والتعارف مع الأمم كلها والمسلمون كانوا - خير أمة أخرجت للناس - كما قدمت ذلك . فقلت نعم فقال ولكني رأيت في كلامه ما يدل على الطعن في الأمراء فما الداعي لذلك ؟ وهل أمراء المسلمين على هذا النمط الذي ذكره . انا اذا لم نطبق العلم على أحوالنا فلا فائدة منه ومتى عرفنا ذلك فهمنا أيكون العلم تابعا لأمرنا أم ندرس نحن فلاننا نعلمهم كما يقول هو . وقصدي من هذا السؤال أن يكون عندنا ذكر من التاريخ حتى نستتبعه . فقلت : ليكن الكلام في ﴿ زبرجدتين : الزبرجدة الأولى ﴾ في ملخص أمراء ألمانيا الذين ذكركم (كنت) ﴿ الزبرجدة الثانية ﴾ في إجمال أحوال أمم العرب قديما وحديثا وكيف سطا الترك

عليهم وسلبواهم ملكهم وكيف كان الحكم في مصر لهم وكيف ترفت البلاد المصرية في أيام المغفور له (محمد علي باشا) وكيف كان رقيها تبعاً للحكومة وكيف دخل الانجليز بلادنا وكيف كان ذلك تابعاً لنقص التعليم وكيف تعلم المصريون بعد الاحتلال تعليماً شعبياً لا تعليماً حكومياً وكيف ظهرت ثمرة هذا ولم تظهر ثمرة التعليم الأول وكيف كان ذلك كله موافقاً للكلام (الاستاذ كانت) الألماني . ثم كيف كان القرآن والحديث ينصان على هذه الطريقة وهي ان التعليم لا بد أن يكون علماً والشعب هو الذي يقوم به ويبان ما جاء في الأحاديث من الحث على العلم وفضله ثم أتبع ذلك كله بما جاء في الفصل الثالث من المقام الأول وهو أن بعض الملوك أحبوا العلم وتركوا زينة الحياة الدنيا والذي علمهم علماء تعلموا بطريق الشعب لا بطريق الحكومات لأن تعليمها ناقص فلا يبدأ بالكلام على الزبجدة الأولى فأقول :

﴿ الزبجدة الأولى في فذلكة . الكلام على أمراء ألمانيا بمناسبة كلام « كنت » عنهم ﴾
 إن أهل ألمانيا فرع من العائلة (الآرية) وكانوا قديماً ليس لهم منازل بل يسكنون قرى كلها أخصاص (جمع خصص) وهذه الأمة لم تتوطن أوروبا إلا عند سقوط المملكة الرومانية ولم تكن هذه البلاد الألمانية إذ ذاك إلا مواطن للحيوانات المفترسة ولا تصلح إلا للصيد والقنص ومناخها رطب كثير الضباب وأرضها كثيرة السبخ ولكن هم أصلحوها فيما بعد ، وهؤلاء القوم كانوا قبائل لم تجتمع إلا في الزمن الذي ذكرناه فهناك اتحدوا وكان لكل قبيلة ملك يعتقدون فيه انه من نسل الإله (أودين) ماعدا الصكسونيين ، وكان جل اعتمادهم على الصيد والحرب ، ثم أخذت ترتقي رويداً رويداً إلى أن حصل لها النقل من فرنسا نحو سنة ١٨١٠ فظهر الحماس في البلاد وارتقى التعليم ثم انتصرت وفازت ، والفضل في رقيها إذ ذاك إنما هو ملكة بروسيا فان القوم أدركوا أن (بونابارتو) وضع الأمة الألمانية في أدنى السرجات وأذلها ذلاً شديداً فبمساعدة الوزير (سطين) لملك إذ ذاك حصل إصلاح عظيم ، فالرق أبطل والحقوق الوطنية أعطيت للجميع فانتعش الشعب انتعاشاً لم يمهده من قبل . ولما شاع ذلك أدرك نابليون بونابارتو أن ذلك الإصلاح موجه للاستعداد لمحاربة فرنسا فضغط على الملك (فريدريك) فعزل وزيره الأعظم المذكور وهو (سطين) لأنه عدو لفرنسا فنجأ بنفسه إلى روسيا ومع ذلك لم يقف الإصلاح بعد ذلك وصار للتعليم قواعد وقوانين لم تكن من قبل وحصل هناك اتحاد يسمى « اتحاد الحقيقة » ودخل فيه ألوف وألوف وأخصهم المدرسون والطلبة وكلها موجهة لتحرير الوطن من نابليون وفرنسا التي حددت الجيش بما مقداره (٤٢) ألفاً . فسارت بروسيا على هذا التحديد ولكنها كانت تعلم قوماً وتأني بآخريين بدلهم حتى عمّ التعليم الحربي روسيا وانتصرت وفازت ألمانيا . وهي وإن انتصرت كان التجاسد لا يزال كثيراً بين الأمراء والولاة إذ هي (٣٩) إياها وأمراء الایالات كانوا ظلمة وقد وعدوا رعياهم بأنهم اذا قهروا نابليون أعطوهم الحرية والاستقلال . فلما قهره وانكسر الفرنسيون وحبس نابليون في جزيرة القديسة (هيلانه) فسئ أمراء ألمانيا عهدهم ووعودهم واستمروا في الاستبداد والظلم ولكن الأمير الذي مال لتحرير رعيته من الظلم وحده موفياً بعهده هو (فردريك غليوم) صاحب بروسيا التي هي أكبر إياها في ألمانيا ولكنه لم يفعل شيئاً إلا انه اكتفى بترتيب المجالس في كل مديرية

هنالك قامت قيادة الأسانذة في المدارس والطلبة ونادوا بطلب الحرية وقاموا على الحكومة فنكلت بهم الحكومات ومنعواهم من الخطب والكلام فزاد الطين بلة وقاموا يهدمون صروح أمراءهم حتى ان أمير إياها (برونسويك) وهو اللروق المغضوب عليه من الشعب فرّ هارباً لينجو بنفسه وهكذا في سنة ١٨٤٨ انفجرت الثورة الفرنسية الثالثة في باريس وانتشرت بسرعة في داخل ألمانيا فطلب الناس تشكيل حكومات حرة وأن يتم الاتحاد الجرمانى وقام أهل برلين بثورة بالسلاح . وفي ١٣ مارس سنة ١٨٤٨ وقعت حرب بين الأهالى

والعسكر في برلين فتردد الملك في أمره طويلا . وفي ١٧ منه وعد بالحكومة المنظمة فطلب الأهالي اخراج العساكر من برلين . وفي ١٨ منه ازدحم الناس أمام السراي فما أطلقت رصاصتان من جهة مجهولة حتى قامت الحرب على ساق وقدم بين الجنود والأمة واستمرت أكثر مدة الليل فهلك فيها كثير من الأتفس . هنالك في اليوم الثاني سلم الملك بمطالب الأمة وأخرجت الجنود من برلين . فسلم الملك الأمر لأتمته وبعد أخذ وردة التأم مجلس عام من ٥٠٠ جرمانى في مدينة فرنكفوت في ٢١ مارس من تلك السنة بصفة برلمان وقضى وهكذا استمرت ترتقى الى الآن

هذا أيها الذكى القول المجمل في أمراء ألمانيا ذكرته لتعلم لماذا نرى (كنت الألماني) يظهر نقص الأمراء في تعليمهم شعوبهم وعدم اخلاصهم وانهم قوم مراؤن ، وأنا موقن أن هذه النظرة السطحية في أمراء الألمان تعرفنا (أمرين : الأول) لماذا تحامل عليهم العلامة (كنت) (الثاني) أن سيرتهم تعرفنا لماذا تأخر المسلمون وكيف كان تقصير أمراءهم في تعليمهم هو أصل العيب والنقص في تعليمنا وتأخرنا وذلك هو الذى أذكره في الزبرجدة الثانية

(الزبرجدة الثانية في أحوال أمم العرب قديما وحديثا الى آخر ما تقدم)

اعلم أيديك الله أن الأمم الاسلامية جعلها الله في الأرض لتسكون نبراسا للأمم وقد تم ذلك في العصور الأولى وبلغوا المشرقين والمغربين ، ولكنهم لما جهلوا مركزهم في الأمم وانهم لم يجعلوا كذلك لأجل قضاء شهواتهم بل هم نافعون للأمم وجعلوا الأموال لمجرد الزينة والتفاخر وظلموا عباد الله غارالله عز وجل على عباده وطرده أبناء الفاتحين من بلادهم وسلط الترك على أكثر بلاد العرب التي هي منبع العلم في العالم قديما فكسروا شوكة العراق والشام ومصر وشمال افريقيا وهكذا توغل الترك في ظلم الأمم العربية وحكموهم باسم الدين جزاء . وفاقا لما فعل أسلاف آبائنا العرب المتأخرين بعد القرون الثلاثة الأولى (كما تراه موضعها في آية - إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة - الخ في (سورة النمل) إذ ترى هناك انهم ظلموا الأمم بعد القرون الثلاثة الأولى فأزال الله ملكهم لأنه رحيم وعدل وحكيم ، فهؤلاء الترك لما سلطهم الله على بلادنا نحو ثلاثة قرون حكمها بعد ذلك المغفور له (محمد على باشا) وأخذ يرقبها هو ونسله نحو (٥٠) سنة ، ففتح المدارس وقاد الجيوش وفتح الممالك ، ولكن ماذا حصل بعد ذلك ؟ ظهر فيهم كلام العلامة (كنت) المتقنم بالتلميذ يتعلم لتمتد الحاكم لا لمقصد العلم نفسه ولا لترقية نفس الشعب بل الشعب كان يتعلم باسم الأمير ولغايات مقاصده (وبعبارة أخرى) تعليم خال من الحرية والتعليم اذا خلا من الحرية كان ضئيلا ولذلك لم يكن في البلاد مدارس حرة مطلقا . فلما كانت سنة ١٨٨١ قام رجل جندي وهو (أحد) عراقى باشا . وهل تعلم هذا في المدارس ؟ كلا . بل هو جندي فلاح تعلم قليلا من الدين وارتقى بنشاطه وخضع له الضباط المتعلمون في المدارس الحربية في مصر وألمانيا وفرنسا والأمة مقهورة والمتعلمون فيها أذلاء لحرية لهم . فلو كان لهم حرية لقام بالثورة الضباط المتعلمون في المدارس الحربية ولكن الثائر جندي فلاح رأى الظلم فقام للحرية . قام يطالب بحرية أمته ولكن أمته لاتزال جاهلة والجاهل جبان ذليل ، فإذا حصل ؟ قام أكثر المتعلمين واتبعوا الخديوى الذى اتحد مع الانجليز ، وهناك انقسمت الأمة وحصلت الخيانة ودخل الانجليز ، فإذا يصنعون ضيقوا دائرة العلم ، فإذا تفعل الأمة ؟ هنا افتتحت بصائرهم فأخذت تعلم أولادها لأنه أيقظها (أمران) التعليم الحكومى السابق . والثورة العراية فأخذت ترسل أبناءها للخارج وفتحت المدارس الأهلية وانتشرت الجرائد فيها فاستيقظت في (٤٠) سنة فقامت بثورة ضد الانجليز فأعطوها الاستقلال الداخلى . فهذا انما جاء بسبب تعليم الشعب نفسه بنفسه والمتعلمون أنفسهم هم الذين قاموا بالثورة . فأما تعليم الحكومة الذى سبق الاحتلال فان الثائر جندي لم يدرس في المدارس فصادق على الأمة الألمانية

صدق على الأمة المصرية من حيث أن تعليم الحكومة تبع أهواء الملوك والأمراء لا يكفي لرقى الأمة . إذن يجب أن الشعب هو نفسه الذى يضطلع بأمر التعليم وهذا هو الدين الاسلامى

أيها المسلمون : ها هي ذمة ألمانيا منذ قرن كانت مهضومة الحقوق أذلتها ملوكها ومنعوها الحرية بجاهدوا وارتقوا . والذى أسرع في رقبهم لإذلال فرنسا لهم فكان ذلك من أسباب تحريرهم والأمة الاسلامية لم تكن العقبة في سبيل حريتهم واحدة بل ثلاث عقبات : عقبة الملوك ، وعقبة أكثر شيوخ الطرق وقد أوضحت هذا المقام في ﴿سورة الكهف﴾ عند آية - وما كنت متخذ المضلين عضدا - وفي ﴿سورة سبأ﴾ عند آية - ولوترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم - الخ وفي ﴿سورة الشعراء﴾ عند الكلام على السحر . وعقبة الدول المستعمرة ، هاهم أولاء الباطنية الذين علمهم (حسن بن الصباح) في أواخر القرن الخامس الهجرى كانوا يجرمون على أتباعهم النظر في العلم وعتوه ذنبا ، وهاهم أولاء شيوخ الصوفية في كل زمان ومكان يحضون على ترك العلم ولا يرون طريقا للناس إلا انصاعهم وهذه أكبر العقبات في نهوض المسلمين ، وهاهم أولاء ملوك بني عثمان كانوا هم أهم السبب في قمع التعليم في ديار الاسلام ، وها هي ذمة أمم أوروبا ما دخلت بلادا إلا جعلت أهلها جهلاء خيفة أن يطالبوا بحقوقهم

اللهم إن هذه العقبات الثلاث هي المانع من رقى المسلمين ، وأنا أقول بانتشار مثل هذه الآراء في هذا التفسير وغيره في بلاد الاسلام تزول هذه العقبات ، وسيكون استعمار الأوربيين من أهم أسباب ظهور الجاسة في قلوب الشعوب الاسلامية

وها أنذا أوضحت الأمر للأمة الاسلامية ، وأنا موقن أن هذا سيتم فيها ، وهذا هو الذى حثت عليه الأحاديث النبوية الشريفة والحمد لله رب العالمين

﴿ نعمات الحكمة ﴾

لما ترجمت هذا الموضوع وكتبته هو وما بعده انشرح صدرى انشراحاتما وأحسست بمسرة عظيمة ، وبينما أنا سائر بعد ذلك في شارع السيدة زينب الذى أمام الباب الغربى للمسجد الزينبي بمصر في يوم من أيام شهر سبتمبر سنة ١٩٣٠ أثناء طبع هذه السورة وكان ذلك نحي إذ سمعت نعمات موسيقى تصدح في دكان جلب المشترين غليل لى في أقل من ملح البصر أن هذه حفلة أنس في أمم اسلامية بعد عشرات السنين قد انتظم التعليم عندهم وقرؤا أمثال هذا التفسير وأصبحوا أرقى من الأمم الاسلامية الحالية فهم لذلك مبتهجون بنعمة العلم والحرية لا انهم مستعدون للفرجة مثل كثير من المسلمين الحاليين لجهلهم ، وهذا الخيال المفاجئ لى أوقفنى نوائى وأنا بهج طرب فرح وأغرورقت عيناي بالسموع ، ومن عادنى أن لا أظهر ما يبش بخطر مثل هذا لأن هذه خواطر لاتعدى صاحبها ، ولما أفتت من غشيتى السارة أتمت المسير

هذا ومن عجب أن الأمم الاسلامية الحاضرين لوعلموا أن هولندا والدانمارك والسويد والنرويج قد قطعوا أشواطا بعيدة في التعليم وعمموا لأفراد الشعب وبعض ولايتهم قد أقتلت محاكم جنائنها كإمارة قريبا فهم إذن أرقى من المسلمين الحاليين أخلاقا وآدابا ، أقول لوعلموا ذلك لدعشوا أشد الدعش وقالوا كيف يكون ديننا أول مانادى بالتعليم العام وأجابت دعوته أمم أخرى والمسلمون نيام ، اللهم إني أبرأ اليك من الكتان وأسألك أن توفق المسلمين للتعليم العام اه

﴿ زبرجدة فيما جاء من الحث على العلم في الأحاديث الشريفة ﴾

نذكر هذا الفصل حتى يعلم المسلمون أن ما يسمعون من الأحاديث في الحث على العلم الموجه للناس عامة

(لا انهم يتكلمون على ملوكهم) هو آخر ما وصل اليه نوع الانسان الآن بعد حروب دامت سنين وسنين وأن ألمانيا التي يضرب بها المثل في العلم لم تهتم الى النتائج التي جاءت بها الآيات وهذه الأحاديث التي سأذكرها إلا بعد قرون وحروب طاحنة سالت فيها الدماء ، وهذه الأحاديث بين أيدي المسلمين ولكنهم يقرؤونها مجرد التبرك وبجهد العلم ، أما العمل فلا خلق على المسلمين قول أبي السرداء لزياد بن ليدي الأنصاري فيما سألني لما سألت الثاني الأول قائلا : كيف يختلس العلم منا وقد قرأنا القرآن فوالله لنقرأه ولنقرته أولادنا ونساءنا . فقال شككتك أمك يزياد ان كنت لأعدتك من فقهاء المدينة . هذه التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى فما تفتي عنهم الخ فهناك الأحاديث التي وعدتك بها من كتاب « تيسير الوصول لجامع الاصول » تحت العنوان التالي وهذا نصه :

﴿ كتاب العلم وفيه سبعة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول في فضل العلماء ﴾

عن أبي أمامة رضي الله عنه . قال : ذكر رسول الله ﷺ رجلان عابد وعالم . فقال : فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم . أخرجه الترمذي وصححه * وفي رواية له ثم قال : ان الله تعالى وملائكته عليهم السلام وأهل السموات وأهل الأرض حتى النملة في جحرها والحيتان في البحر يصلون على معلم الناس الخير وعن ابن عباس رضي الله عنهما . قال قال رسول الله ﷺ : فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد . أخرجه الترمذي

وعن أبي هريرة رضي الله عنه . قال : سئل النبي ﷺ أيّ الناس أكرم عند الله تعالى ؟ قال : أكرمهم عند الله أتقاهم . قالوا ليس عن هذا نسألك ، قال فيوسف بنى الله بن خليل الله . قالوا ليس عن هذا نسألك ، قال : فمن معادن العرب تسألوني قالوا نعم . قال نفيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا قهوا . أخرجه الشيخان

وعن علي رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : نعم الرجل الفقيه في الدين ان احتجج اليه فقع وان استغنى عنه أغنى نفسه . أخرجه رزين
وعنه رضي الله عنه ، قال قال رسول الله ﷺ من أحيا سنة من سنتي أميتت بعدي فقد أحبني ! ومن أحبني كان معي ، أخرجه رزين

وعن أبي السرداء رضي الله عنه . قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : من سلك طريقا يطلب به علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة . وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضابها يصنع وان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء . وان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وان العلماء ورثة الأنبياء وان الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ولكن ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر . أخرجه أبو داود وهذا لفظه والترمذي

﴿ الفصل الثاني في الحث عليه ﴾

عن حميد . قال سمعت معاوية رضي الله عنه يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من ورد الله به خيرا يفتقه في الدين . أخرجه الشيخان وأخرجه الترمذي عن ابن عباس
وعن أنس رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع . أخرجه الترمذي * وفي أخرى له عن سخيرة مرفوعا . من طلب العلم كان كفارة لما مضى
وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : تعلموا قبل الظانين يعني قبل الذين

يتكلمون بالظن ، أخرجه رزين وعلقه البخارى

وعن أبى هريرة رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ تعلموا الفرائض والقرآن وعلّموا الناس فانى مقبوض ، أخرجه الترمذى وعن ابن مسعود بمعناه . وزاد رزين . وان مثل العالم الذى لا يعلم الفرائض كمثل البرنس الذى لا رأس له

وعن أبى سعيد رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ لن يشبع مؤمن من خير يسمعه حتى يكون منتهاه الجنة . أخرجه الترمذى

وعن أبى هريرة رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها . أخرجه الترمذى

وعن ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما . قال قال رسول الله ﷺ العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة . أخرجه أبوداود « الآية المحكمة » هى التى لا اشتباه فيها ولا اختلاف وماليس يمسوخ « والسنة القائمة » هى الدائمة المستمرة التى العمل بها متصل لا يترك « والفريضة العادلة » هى التى لا جور فيها ولا حيف فى قضائها

وعن أبى واقد الليثى . قال بينا رسول الله ﷺ جالس فى المسجد إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان الى رسول الله ﷺ فوقفا على رسول الله ﷺ فرأى أحدهما فرجة فى الحلقة جلس وجلس الآخر خلفهم وأما الثالث فذهب مدبرا فلما فرغ رسول الله ﷺ قال ألا أخبركم عن النفر الثلاثة . أما أحدهم فأوى الى الله فأواه الله . وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله تعالى منه . وأما الآخر فأعرض فأعرض الله تعالى عنه . أخرجه الثلاثة والترمذى

﴿ الفصل الثالث فى آداب العلم ﴾

عن أبى هريرة رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار . أخرجه أبوداود والترمذى وهذا لفظه ، والمراد بذلك العلم الذى يلزم تعليمه ويتعين فرضه ككافر يسأل عن الاسلام والدين وكحديث عهد بالاسلام يسأل عن الصلاة وكمن جاء مستفتيا فى حلال وحرام فيلزمه تعليمه وجوابه ومن منعه استحق الوعيد وليس الأمر كذلك فى نوافل العلم التى لا يلزم تعليمها

وعن سهل بن سعد رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ والله لأن يهدى بهداك رجل واحد خير لك من حمر النعم . أخرجه أبو داود

وعن أبى هريرة العبدى . قال . كنا نأتى أباسعيد الخدرى رضى الله عنه فيقول مرحبا بوصية رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لنا ان الناس لكم نبع وان رجلا يأتونكم من أقطار الأرض يتفتهون فى الدين . فاذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا . أخرجه الترمذى وضعفه

وعن يزيد بن سلمة . قال قلت لرسول الله ﷺ انى سمعت منك حديثا كثيرا أخاف أن ينسبني أوله آخره فحدثني بكلمة تكون جاعا . فقال اتق الله فيما تعلم . أخرجه الترمذى . وزاد رزين واملح به « يقال كلمة جاع اذا جمعت كلمات

وعن عمر رضى الله عنه . قال لا ينبغي لمن عنده شئ من العلم أن يضيع نفسه . أخرجه البخارى تعليقا

﴿ الفصل الرابع فى آداب العلم والتعلم ﴾

عن عكرمة . ان ابن عباس رضى الله عنهما . قال حدث الناس مرة فى الجمعة فان أبيت فرتين وان كثرت فتلاثا . ولاتمل الناس هذا القرآن . ولا ألفينك تأتى القوم وهم فى الحديث من حديثهم فتقص عليهم فتقطع عليهم حديثهم فتملهم ، ولكن أنصت فاذا أمروك فحدثهم وهم يشتهونه . وانظر السجع من الدعاء

فاجتنبه فاني عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون ذلك . أخرجه البخاري
وعن علي رضي الله عنه . قال حدثوا الناس بما يعرفون أمحبون أن يكذب الله ورسوله . أخرجه
البخاري . وعن ابن مسعود رضي الله عنه . قال ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم
فتنة . أخرجه مسلم

﴿ الفصل الخامس في رواية الحديث وقوله ﴾

عن ابن مسعود رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ نصر الله امرأ سمع مناقبها فبلغه كما سمعه .
فرب مبلغ أوعى من سامع . أخرجه الترمذي وصححه « نصر الله امرأ » بتخفيف الصاد وتشديدها معناه
حسنه وجهه

وعن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما . قال قال رسول الله ﷺ بلغوا عني ولو آية . وحدثوا عن
بني اسرائيل ولا حرج . ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار . أخرجه البخاري والترمذي قوله
« حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج » ليس فيه اباحة الكذب في الاخبار عنهم ورفع الامم عن نقل عنهم كذبا
ولكن معناه الرخصة في الحديث عنهم على معنى البلاغ وان لم يتحقق ذلك بنقل الاسناد لأنه أمر تعذر لبعده
المسافة وطول المدة

وعن محمود بن الربيع رضي الله عنه . قال عقلت من رسول الله ﷺ بحجة مجها في وجهي من دلو من
بركانت في دارنا وأنا ابن خمس سنين . أخرجه الشيخان . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال حفظت من
رسول الله ﷺ وعاءين . فلما أحدهما فبنته فيكم وأما الآخر فلو حدثتكم به لقطعتم هذا البلعوم . أخرجه
البخاري وقال « البلعوم » مجرى الطعام

وعن أبي ذر رضي الله عنه . انه قال لو وضعت المصمامة على هذه وأشار الى قفاه ثم ظننت اني أفضد
كلمة سمعتها من رسول الله ﷺ قبل أن يجيزوا علي لأنقضتها . أخرجه البخاري تعليقا « المصمامة »
والمصمام السيف

﴿ الفصل السادس في كتابة الحديث ﴾

عن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما . قال : كنت اكتب كل شيء سمعته من رسول الله ﷺ
فهنئي قريش . وقالوا : تكتب كل شيء ورسول الله ﷺ بشر بئسكم في الرضا والغضب . فأمسكت عن
الكتابة حتى ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ . فأرأى بأصبعه الى فيه وقال اكتب : فوالذي نفسي بيده
ما يخرج منه الا حق . أخرجه أبو داود

وعن أبي هريرة رضي الله عنه . قال : شكا رجل من الأنصار الى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول
الله اني لأسمع منك الحديث فيجبني ولا أحفظه . فقال رسول الله ﷺ استعن جيبك وأوما بيده الى
الخط . أخرجه الترمذي . وعن أبي هريرة رضي الله عنه . قال خطب رسول الله ﷺ فذكر قصة في
الحديث فقال أبو شاة . أكتبوا لي يا رسول الله ؟ فقال : اكتبوا لأني شاة . أخرجه الترمذي وصححه

وعنه رضي الله عنه . قال ما كان في أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثا مني الا ما كان من ابن
عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب . أخرجه البخاري والترمذي . وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه . قال
أمرني رسول الله ﷺ فتعلمته كتاب يهود بالسرانية . وقال اني والله ما آمن يهود على كتابي قال فوالله
ما مررتي نصف شهر حتى تعلمته وجدت فيه فكنت أكتب له اليهم وأقرأه كتبهم اليه . أخرجه البخاري وأبو
داود والترمذي

وعن المطلب بن عبد الله بن حنطب رضي الله عنه . قال دخل زيد بن ثابت الى معاوية رضي الله عنهما .

فسأله معاوية عن حديث فأخبره به فأمر معاوية إنسانا يكتبه . فقال زيد . أمرنا رسول الله ﷺ أن لانكتب شيئا من حديثه فحماه . أخرجه أبو داود . وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ لانكتبوا عني شيئا غير القرآن . ومن كتب شيئا غير القرآن فليمحه ، أخرجه مسلم والاذن في الكتابة ناسخ لمنع منه باجماع الأمة على جوازها ولا يجتمعون الا على أمر صحيح وقد قيل انما نهى أن يكتب الحديث مع القرآن في صفحة واحدة فيختلط به فيشبهه

(الفصل السابع في رفع العلم)

عن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما . قال قال رسول الله ﷺ ان الله لا يقبض العلم انتزاعا فينتزعه من الناس . ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا . أخرجه الشيخان والترمذي

وعن أبي الورداء رضي الله عنه . قال: كنا مع رسول الله ﷺ فشخص ببصره الى السماء . ثم قال هذا أو ان يختلس العلم من الناس حتى لا يقربوا منه على شيء . فقال زيد بن لبيد الانصاري : كيف يختلس العلم منا وقد قرأنا القرآن . فوالله لقرأته ولتقرئته أولادنا ونساءنا . فقال شككتك أمك يا زيد ان كنت لاعدك من فقهاء المدينة . هذه التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى فإذا تغنى عنهم . قال جبير فلكيت عبادة بن الصامت رضي الله عنه فقلت : ألا تسمع ما يقول أخوك أبو الورداء رضي الله عنه . فأخبرته الذي قال : فقال صدق فان شئت أخبرتك ما أول علم يرفع . أول علم يرفع من الناس الخشوع بوشك أن تدخل المسجد الجامع فلا ترى فيه رجلا شاعرا أخرجه الترمذي « شخص ببصره » اذا نظر الى شيء دائما فلم يرد عنه نظره كنظر المبهوت والمغمى عليه « والاختلاس » الاستلاب وأخذ الشيء بسرعة « والشكل » فقد الأم ولدها

وعن عمر بن عبد العزيز . انه كتب الى أبي بكر بن حزم : انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه فأتى خفت دروس العلم وذهاب العلماء ، ولاتقبل الاحديث رسول الله ﷺ وليفشوا العلم وليجلسوا له حتى يعلم من لا يعلم فان العلم لايهلك حتى يكون سرا . أخرجه البخاري ترجمة « يفسوا » يظهروا . انتهى من كتاب تيسير الوصول لجامع الأصول وبهذا تم الكلام على الفصل الثاني من المقام الأول والحمد لله رب العالمين

(الفصل الثالث من المقام الأول)

(في الكلام على الملك والوزير اللذين أحبا العلم والحكمة وزهدا في الملك)

جاء في كتاب اخوان الصفاء مانصه :

حكى ان ملكا من ملوك الفرس كانت له نعمة ظاهرة وهيبة قاهرة وساطان عظيم وملك كبير وكان له وزير له رأى وعزيمة قد رأى السعادة في تدبيره والكفاية في توزيعه قد كفاه أمر التدبير مما يحتاج اليه فهو مشغول بلذته وتناول نهمته في لذة من عيشه وأمان من مصائب الزمان وحوادث الأيام والوزير يورد ويصدر بحميد رأيه وجليل نيته وحسن طوبته فأقام الملك على ذلك مدة من دهره وبرهة من عمره فلما كان في بعض الأوقات عرض للملك علة كدرت عليه عيشه ونفست حياته فتغير لونه وهزل جسمه وضعفت قوته واشتغل من تلك العلة واستدعى وزيره وقال له قد ترى ما نزل بي من هذه العلة التي قد حالت بيني وبين اللذات حتى قد تمت الموت ومللت الحياة فرق له الوزير وبكى عليه ثم خرج فجمع الاطباء والتمس الدواء ولم يدرع مستطبا ولا معزما ولا صاحب نجامة وكهانة الا أحضره واعلمهم علة الملك وما يجده من الألم والوجع وانه يشكو ضربان جسده والنهاب حوارة في قلبه وكبدته فكل قال وما أصاب وعمل وما أفلح وعالج فما أنجح واشتدت تلك العلة بالملك واشتغل الوزير بذلك عن تدبير المملكة وسياسة الخاصة والعامة من خدم المملكة ورعيته واضطربت الأعمال وعصت العمال وكثرت الحوارج في اطراف المملكة وأقامى الدولة فعظم ذلك على الوزير وتجب وخاف على الملك الهلاك

فصادق الى جمع الحكماء واحضار العلماء ومن قدر عليهم من الشيوخ القدماء وأعاد عليهم القول واستدعى منهم الجواب وكان فيهم شيخ كبير قد عرف وجرب فقال أيها الوزير ان العلة التي بالملك معروفة بظاها خفية بباطنها ومثل هذه العلة لا تكون الا عن حالين احدهما في النفس والأخرى في الجسد فالذي في النفس ينقسم قسمين فاحدهما يختص بالنفس الناطقة والقوة العاقلة والآخر يختص بالنفس الحيوانية والقوة الشهوانية والذي يختص بالجسم أيضا ينقسم قسمين بالحر واليبس والآخر بصدده وهو البرد والرطوبة . وأما ما يختص بالنفس الناطقة فهو الفكر في المبدع جل جلاله وما أبدع والحيرة فيما خلق وبرأ وانشأ وإعمال الروية واجالة الفكر في كيفية الابتداء والانتهاه وماشا كل ذلك من الأمور الالهية فان النفس اذا غرقت في هذا الأمر وانفلقت عليها أبوابه وتغيرت أسبابه ضاقت وحرجت فأحرقت طبيعة الجسد فضعفت القوى الطبيعية عن تناول الغذاء وحدث بالجسم ما ترى من الضعف والتغير والهزال والفتن ولا يزال كذلك كذلك يتزايد مادامت تلك العلة مستدامة والخطا مشغولا بها والأبواب عليه منغلقة والأسباب متعذرة ولا يجد من يفتح عليه ما انفلقت من أبوابه ويسهل ما صعب من أسبابه وأما القسم المختص بالنفس الحيوانية والقوة الشهوانية فكالمعشوق للصورة البهيمة من النساء والصبيان والاحداث والمرد ان مثل ما يعرض للعاشق اذا غاب عنه معشوقه وحيل بينه وبين محبوه فيظهر به من الضعف والتغير ما يكون به تلف الجسد وانحراف المزاج وفساد البنية وربما دخل عليه زيادة أدته الى المالىخوليا واحترق ووصل المرض الى شفاف قلبه فهلك وبادواما يكون في الجسد من العليل العارضة من جهة الطبائع الأربع فان لكل علة تحدث من فساد المزاج وغلبة الطبائع بعضها على بعض فله علامات يستدل بها على تلك العلة ومواضع يقصد بالأدوية اليها ولا يجب للطبيب الحاذق أن يبدأ بدواء العليل الا بعد السؤال له عن السبب في تلك العلة ماهو وكيف كان وعمما كان وما أصله أهوشى من المأكولات أسرف في أكله أم مشروب اترف في شربه أو غم عرض له أو هم دخل عليه أو حال اشتغل به قلبه وفكره أو صورة حسنة رآها فوقعت في قلبه ثم حيل بينه وبينها ومنع من تناول لذاته منها وأي موضع يجرد الوجع من جسمه وبماذا يختص من أعضائه وأي شئ يشتهي وأي حديث يلهمه ويرضيه وأي سماع يطر به فاذا أخبر العليل طبيبه بشئ مما ذكرناه اذا سأله . وكان العليل صحيح العقل ازداد الطبيب الماهر علمه واستشهد على ما أخبره لفظا بما يدل من البرهان عليه بالحس وماتين له من صحة النبض مما يستدل به على صحة ما أورده المريض ويسترشد الطبيب على قول المريض وشهادة النبض بشاهد آخر وهو الماء فاذا اتفق النبض والماء مع شكوى المريض فقد عرف حينئذ الطبيب العلة وما يختص بها من الأعضاء فان يغلبه إحدى الطبائع وضعفت الأخرى أرسل الى ذلك العضو ما يوافق طبيعته ويلائم قوته لينقمع به ضده الذي يضايقه في مكانه بالملاطفة والتدريج ولا يحمل عليه بالدواء الحاد في أول دفعة فانه ربما أحدث له ذلك فسادا لا يرجى صلاحه والمثال في ذلك النار المشتعلة في الحطب أول ما وصلت اليه فانها اذا قويت وألقت عليها الماء ازدادت حرارتها وقويت بخاراتها فالتفت ما وصلت اليه واحتوت عليه فاستل أيها الوزير عن بدء هذه العلة كيف كانت وما السبب فيها والحال الموجب لها فقلنا اذا عرفنا ذلك تداركنا بالملاطفة وحسن التدبير ان شاء الله . قال الوزير أيها الحكيم ان في أدب وزراء الملوك ومن الواجب على من صحب الملوك أن لا يبدوهم بالسؤال لهم مما لا يجب له السؤال عنه ولا يهجم عليهم بذلك الا أن يبدوه به ولا يطلب الدليل على ما يقولونه بل يستمع ويصدق ويسلم اليهم في جمع أمورهم ولا يعترض عليهم في أفعالهم وأعمالهم وأنا أهاب الملك وأخاف منه أن أسأله عن شئ لم يبدعه وحال يخفيها ولم يطلعني عليها لاسيما في أمر نفسه وجسمه . قال الحكيم أيها الوزير انه لاسبيل الى شفائه ومعرفة دوائه الا بعد الابانة عما ذكرته لك وأنا أرى ان سؤالك له عن أمره وما أخفاه من سره يكون سببا لحياته ونجاته ان شاء الله فاذا أعلمك ذلك فاعلمني به واحفظه عنه لئلا تنسى مما يحكيه شيئا ثم انصرف ذلك الشيخ ومن حضر المجلس من الأطباء ونهض

الوزير فدخل على الملك فلما رآه انس به وأدناه بقربه وسأله هل وجد له دواء وانجبه له عنده شفاء فأكثر
الوزير من الدعاء له ثم أقبل عليه فسأله عن بدء العلة كيف كان وما الذي كان السبب في حدوثها به فلما سمع
الملك من وزيره هذه المسئلة التي لم يكن سأله عنها قبل ذلك أمر من كان بين يديه من خدمه أن يقعدوه
ويسندوه ففعلوا ذلك ثم أمرهم بالبعد عنه فلما رأى الوزير ذلك خاف على نفسه وفرغ واستوى الملك جالسا
على فراشه وقال له ادن مني وأعد هذه المسئلة على وأصدقني فاني أرجو الشفاء بصدقك إياي وانك قدرت على
الدواء في إزالة الداء ان شاء الله فاني لم أسمع منك هذا السؤال قبل هذا والواجب على الملوك في أدب المملكة
أن لا يبدؤا من يلزمهم من عبيدهم وخواصهم بكشف أسرارهم وبما يحدث منهم في خلواتهم وما يجالونه في
أفكارهم لاسيما اذا لم يجدوا له أهلا يكشفونه لهم ويودعونهم عندهم ويرجون بهم فتح ما انفلت عليهم بابه وتعذرت
أسبابه وقد كنت في طول هذه المدة التي حدثتني فيها هذه العلة أريد من يسألني عن ذلك فأبديه له فلم أجد
سائلا يسألني عن ذلك وكما عدت من أث اليه الشكوى وأخرج اليه بما أجد من البلاوى صعبت العلة على
وتزايدت المحنة لئدي فلما سمع الوزير ذلك من الملك تحققت قول الشيخ الحكيم الجرب وعلم انه صدق وأصاب
قال له الوزير أرجو أن أكون موضعا لهذا الأمر وكشف هذا السر فقال الملك ان شاء الله ثم ابتداء الملك فقال
اني كنت في بعض الأيام قد أظهرت نعمته الله تعالى على وأحضرت أجلها لئدي وأمرت باخراج ماني خزائني
من الجواهر النفيسة والآلات الثمينة مما جمعت أنا في أبيي وما ورثته عن آبائي فاحضر بين يدي في خلوة من
حشمي وعبيدي وخزاني الذين كانوا تقلوه الي بين يدي فرأيت منظرا أطر بني غاية الطرب وفرحت بها
وطربت لها وأخذت منها بالنصيب الأوفر والحظ الأجل من الغبطة والسرور والجلد والخبور فكبرت نفسي
وعظم قدرى وظننت أني قد وصلت الى ما لم يصل اليه أحد غيري واني من أسعد السعداء ثم اني نمت فرأيت
في منامي كأنني في تلك الحال على أحسن ما يكون وأتمه وأكمله وكان رجال دولتي وعبيد مملكتي كلهم قيام بين
يدي خاضعون لي ساجدون سامعون لقولي مطيعون لأمرى وأنا على سرير مملكتي في محل كرامتي فيبين أنا
كذلك اذ رأيت رجلا شابا مليح الصورة حسن الأثواب لم أراه قبل ذلك الوقت ولا عرفته وكأنه بالقرب مني ينظر
الي نظر المستهزئ غير هائب لي ولا خاضع بين يدي ولا مسلم على مستقل بجميع ما أنا فيه وكأنه يملك مالا مملكا
ويقدر على مالا أقدر عليه ويصل الي مالا أصل اليه فغاضني ذلك منه وكأني قد هممت بالابقاع به وأمرت به من
كان بين يدي من خدمي وأصحابي من جميع أهل مملكتي ورجال دولتي أن يقعدوا به وهو قائم في مكانه يضحك بي
وكانهم لم يصلوا اليه ولا قدروا عليه وكأنه قد زاد استهزأه وبني واستزأه ولم يبهل شي مزاراه فلما رأيت منه هالتي
ذلك وأفرغني فقلت من مكاني وتنخيت عن سريري ودنوت منه وقلت له من أنت ومن ابن أنت وكيف وصلت
الي ومن ابن دخلت على فقال لي يامسكين يامغرور بسلطان الأرض والملك الجزئي أي ملك أنت انما أنت مملوك
ولست بمالك فلم تدعي الحال وترضى لنفسك بالكذب وجميع ما أنت فيه زائل مضمحل فان وعما قليل يظاركك
وتفارقه وانما الملك الملك السماوي والسلطان الالهى فان بادرت وعملت ما يقرب الي ربك وصلت اليه وكنت
ملكا بالحقيقة وتلت ملكا لا يبلى ولذة لا تنفني فتكون ملكا بالحقيقة تفعل نفسك اذا زكت وروحك اذا صفت
ما أنا فاعل وتصل الي مثل ما أنا اليه واصل مما انه ارتفع من الأرض وأقبل يمشي في الهواء ويجول في الفضاء الي أن
رأيت وصل الي السماء وغاب عني فلم ير وسمعت هاتفا يقول لمثل هذا فليعمل العاملون فلما رأيت ذلك منه أيقنت
أنني لست بمالك وأنني مملوك كما قال واني لست بعالم واني جاهل واني لست بانسان واني حيوان ثم انتهت وأجلت
الفكر وأعملت الروية وكثير تخيل لذلك الشخص وما قال لي ورأيت من مملكته وسعة قدرته والمكان
الذي رقي اليه واشتهت المعرفة بالعمل الذي هو وصلة اليه فاشتغلت بهذا الشأن عن جميع ما كنت بسبيله عن
نلك اللذات وانقطعت عن جميع الشهوات وزهدت في المأكول والمشروب وأقبلت أجبل فكري وأقلب نظري

في أهل المملكة ورجال الدولة فلم أرفيهم من يصلح أن أكشفه هذا السر ورأيتهم كلهم مشاغل بالحال التي أزرى بها على ذلك الشخص واني وإياهم مما ليك وأن الأسماء التي استعرتها لاتصلح لنا ولا تليق بنا وانها ذاهبة زائلة عنا وخشيت أن أبدي أمرى الى من ليس هو من أهله فأنسب الى الجنون وقلة العقل فصمت عن الكلام وزادنى الفكر والنم والهلم والأسف فحدثني من ذلك ما ترى من التحول والتغير في الصفات فهذا هو سبب وجي ومبدأ علتي وأظن انى خارج من هذه الدنيا بهذه الحسرة ان لم أصل الى العمل الذى يوصلنى الى ما وصل اليه ذلك الشخص الذى رأيته وقد خرجت اليك بأمرى وكشفت لك ما أخفيت من سرى فان كان لى عندك فرج فتح به على وان عدمت ذلك فاكم سرى ولا تخرج الى أحد بشئ منه كما خرجت به اليك من أمرى لئلا أنسب الى الجنون وزوال العقل فيذهب الملك منى ومنك ويطمع فينا الأعداء لأن علة زوال العقل أصعب العلة متعذر دواؤها معدوم شفاؤها ولكن قد طمعت أن لى عندك فرجا لما رأيتك قد سألتنى عن هذا السؤال ولم يكن هذا من عادتك معى ولمعرفة أن فيك من الأدب الذى يصلح للولك ما لا يحملك على مثل ما أقدمت به على من ابتدائك لى بالسؤال عن سرى الذى لم أبده فأصدقنى كما صدقتك . قال الوزير فأعدت عليه ما كان وما جرى من الشيخ الذى أشار على بذلك وأمرنى به فقال على بالشيخ فقد وضع يده على الداء وأرجو أن يكون عنده الدواء وعرفنا دواءها وأحضرت ذلك الشيخ وقصصت عليه الحال من أولها الى آخرها فسكى وقال قد انكشفت العلة وعرفنا دواءها وقد راعى شفاؤها ان شاء الله ثم نهض معى حتى دخلنا على الملك فلما رأى الشيخ فرح به ورفع وأقبل عليه وأنس به وأقبل يعيد الحديث عليه من أوله الى آخره فأقبل الشيخ على الملك وقال له ان العمل الذى يوصل الى مثل ما رأيت لا يكون الا بعد العلم بتوحيد الخالق جل جلاله ومعرفة حق معرفته فاذا صح لك ذلك وعلمت ابتدأت تشرع فى تعليم العلم المؤدى بك الى عبادته الموصلة لك الى جنته ودار كرامته فاذا أحكمت العمل بتلك العبادة وصلت الى مرادك ونلت غرضك ولا يكون ذلك الا بعد ترك جميع مملكته وقدرت عليه من أمور الدنيا . قال الملك قد رضيت بذلك وطابت نفسى به وقد تجملت بترك جميع ما كنت فيه وتمت الموت والراحة من هذا العالم فقال الشيخ ان هذا العلم غير موجود عند أحد فى بلدنا هذا وانما هو موجود بحقيقته عند رجل من الحكماء مقامه فى اقليم الهند بجبال سرنديب تحت خط الاستواء فان عنده مفاتيح ما انفلق من هذا الأمر وصعب من هذا السر . قال الملك فأقنى لى بالوصول اليه والقدوم عليه وانا على ما ترى من تحول الجسم وضعف القوة وكثرة الأعداء وماتراه من اضطراب الحال وفساد الأعمال والعمال وكثرة الخوارج علينا والأعداء لنا وتمنيهم الوصول بالأذبة الى وانزاع ما فى يدي من هذه المملكة الفانية والقنية المضمحلة وان كنت غير متأسف على فقدها ولا حزين على زوالها بعد ما سمعت ورأيت وانما أخشى ان أدرك اذا خرجت منها وبعدت عنها فاقتل وأموت فى الطريق ولا أصل الى ما يكون به السعادة بعد الموت وأكون قد تجملت الذل والهوان فى الدنيا وسرعة القدوم عليه فى الآخرة . قال الشيخ صدق الملك فيما ذكر ولنا فى ذلك تذيير آخر قال ما هو قال أنا أكتب الى الحكيم أعلمه بالحال وننظر ما يكون من جوابه فنعمل به ان شاء الله . قال الملك افضل ذلك وخف على الملك ما كان يجده وسكنت نفسه الى قول الشيخ . وقال للوزير اعلم انى قد وجدت العافية وقد سكنت تلك الحركة الفكرية وبردت الحرارة التي كنت أجدها فى قلبي واستدعى من الطعام والشراب ما أمسك به القوة ودعت اليه الحاجة وفنا فى أهل المملكة من أعمال الدولة أن الملك قد أفاق من علته وزال عنه ما كان يجده ففرح الناس بذلك وسكنت الفتنة فسارعت الخوارج الى الطاعة وعمت البركة وشملت النعمة وعاد الأمر الى أحسن ما كان فى مدة بسيرة وقويت نفس الملك ووثق بما وعده الشيخ الموفق الرشيد فكتب الشيخ الى رب بيت الحكمة فى ذلك الزمان يعلمه بما جرى ويسأله أن ينفذ اليه من يراه ليفتح عليه من العلم ما يصلح له ويعلمه ما ينبنى له فى جسده فلما وصل الكتاب الى الحكيم ووقف عليه استدعى تلامذته وكان له اثنا عشر تلميذا

حاضرين معه فاعلمهم بما وصل اليه وقرأ عليهم الكتاب فقالوا مرنا بما تريد لئلا نختله ونأني فيه ما تؤمله فأفرد
رجلين منهم وقال لهما اذهبا الى الملك فاذا دخلتا عليه فليبدأ به أحدكما فيلزمه حتى يبلغ في العلم الرياضى الى حد
يجب له اذا وصل اليه ووقف عليه الارتقاء الى العلم الالهى ثم ينفصل عنه ويلزمه الآخر حتى يوقفه منه عند الحد
الذى ينبغي له فاذا رأيتما قد حسنت أفعاله وزكت أعماله فانصرفا عنه ولا تطلبا عليه جزاء ولا شكورا . ثم
ابتدا بوصيتهما وبتحذيرهما من الوقوع في حبال الدنيا وشبكة ابليس وقال لهما انكما في مكان بعيد عن
محاسن الدنيا وزخارفها وفضارتها وبهجتها وما يجده أهلها من فتنها وسردان على الملك وعلى مملكة واسعة ونعمة
ظاهرة ولذات متواترة وإياكما الميل الى شئ منها والمحبة لها فانكما ان فعلتما ذلك وملتما الى شئ مما ترىانه انفسدتما
وأفسدتما وخرجتما من الصورة الانسانية الى الصورة الحيوانية والرتبة الشيطانية بالفعل وخرجتما من فسحة الجنان
وروضة الروح والريحان وجاورتما الشيطان في دار الهوان وخرجتما من سعة السكلى الى سجن الجزء قالا سمعنا
وأطعنا وتوجهنا من حيث هما الى أقليم الملك وكتب الحكيم الى الشيخ يعلمه بذلك وجعله عينا عليهما ينقل
اليه أخبارهما وما يعملانه ويعاملان به الملك ثم قدما على الشيخ بالذى هما عليه من الشعث وقلة الجلال وما يليق
بالنساءك من الفقر وسوء الحال فأخبر الملك بقدم الرجلين من عند الحكيم ففرح بهما الملك واستبشر ثم أمر
بايصالهما اليه فدخل عليهما فقام لهما قائما على قدميه وأمرهما بالجلوس جلسا بمجالس العلماء المفيدين وجلس
الملك والوزير بمجالس المتعلمين المستفيدين ثم تقدم المتبدي بالعلم الرياضى فعلم الملك والوزير حتى أحكما وتعلماه
الملك ووزيره وقاما بموجباته وأحكامه ثم انفصل الأول وتقدم الثاني فتلا عليهما الحكمة الالهية الى أن بلغا من
ذلك غاية ما كان عنده واستقادا ما كان في وسعه فلما فرغا ما أمر به وأرادا الانصراف أقبل الملك عليهما وقال
انى لا أجد لكما مكافأة على ما فعلتما في وتوليتما من أمرى الآن أسلم اليكما ملكي فتدبرانه وتحكما في
بما أردتما وقد أبحث كما جعبه وهو عندى قليل لكما فلما سمعا ذلك منه ردا عليه ردا جيلا وانصرفا الى مكان
كان الملك قد أعد لهما فقتشاورا فيما عرضه الملك عليهما وأهداه اليهما من ملكه وقد مالت أنفسهما الى
ما رأياه من حسن الدنيا وبهجتها وما عايناه من حسن قنيتها وطيب لذتها فقالا لا بأس أن يجتمع لنا المنزلان
وننال السعادتين الملك في الدنيا والآخرة وعزما على قبول ما أهدى الملك اليهما من ملكه والجلوس فيه والقيام
به ثم خلا الملك بوزيره فقال له اعلم يا أخى أن هذه الدنيا فانية ولسنا فيها مخلصين وقد نلنا من لذاتها ونعيمها
ما قد نلناه ووصلنا منها الى ما وصلنا اليه وقد ناعا عليه فهم بنا تتخلى عنها وتلزم مداومة النظر في هذا العلم الشريف
والعمل اللطيف الذى نصل به الى الفوز والنجاة من بعد الموت فاننا لانشك في وصول الموت لينا ونزوله علينا
فلعلى وإياك نجتمع في الملك السماوى كاجتماعى وإياك في الملك الأرضى فقال افعلى وقويت نيتهما وطابت أنفسهما
بذلك فلما دخل الرجلان في وقت دخولهما على الملك أعاد القول عليهما وما يريد من تسليم الملك اليهما ورجا
بذلك سعادة المملكة وأهلها بتدبيرهما وحكمتها ورجا لأهل بلده ومن يكرم عليه من أهله ان يصلوا الى مثل
ما وصل اليه من ملك العلم والعمل فتم البركة وتشمل النعمة وتكمل السعادة فقبلا ما أهداه اليهما وتقلدا ما اعتمد
فيه عليهما وجعل أحدهما وهو المعلم له العلم الالهى في مقام المملكة وصاحبه في مقام الوزارة واشتغل هو ووزيره
في مداومة النظر في العلم والقيام بالعمل والاجتهاد في العبادة والزهادة في الدنيا والتهاون بها واطراح شهواتها وترك
لذاتها فكتب الشيخ الى الحكيم بذلك فأيس من عودتهما اليه وعلم انهما قد افقتنا بما رأياه ومالت أنفسهما
اليه وتمنيا الخلود فيه وأقاما على ذلك في تدبير الملك وسياسة المملكة الى أن مات الملك ولحق به وزيره بعد مدة
يسيرة وصارا الى رحمة الله سبحانه ودار كرامته ونالا الملك السماوى ووصلا اليه وافتتن الرجلان بالدنيا وتخليا عن
العلم والعمل وانهمكا في اللذات الدنيوية واسترجع الحكيم ما كان أودعهما إياه من حكيمته ففسيا ما كانه
ذا كر بن وغاب عنهما ما كانه حاضرين وفارقا ملك السماء وأخلدا الى ملك الأرض فاهبطا من الجنة وبعدا

من الرحمة وانقلبوا على عقبيهما خاسرين فاهارا وامارا من حضرهما بما فضلا واقتن الناس بهما وتعلموا منهما ما يضرهم ولا ينفعهم وبدت سوءاتهما وقالوا هذان العالمان اللذان كانا يأمران بترك الدنيا والزهد فيها قد عادا الى ما كانا ينهيان عنه ويحذران منه ولولم يعلما ان العاجلة هي النعمة الحاصلة لما اختاراهما ولا رجعا اليها بعد ما علموا وزاد بهما جوح الطغيان واستحوذ عليهما الشيطان فأنساهما ذكر الرحمن فصارا أعداء للحكماء وازدادوا للعلماء وكتب الحكيم الى الشيخ يأمره بالتنحي عنهما والبعد منهما خوفا عليه من شرهما ففعل ذلك واقبل على تناول أمور الدنيا وشهواتها وفارقا السحر الحلال الذي أنزل عليهما وأمرأ بفعله وعمله وكان به نجاة من نجا ورجعا الى السحر الحرام فضلا وأضلا . وهذا حديث يدل على حالة المسلمين هاروت وماروت وما كان من أمرهما وهبوطهما من السماء الى الأرض ومفارقتهما جوار رحبهما والملائكة الذين كانوا معهما كنفارقة ابليس للملائكة باستكباره وعصيانه ومفارقة آدم للجنة التي كان فيها بما كان من خطئه ونسيانه فهذا بيان معرفة ماهية السحر والسحرة والعمل به وكيفية أقسامه وما الحلق منه وما الباطل بحسب ما احتمله البيان واتسع له الامكان انتهى ما أردته من اخوان الصفاء . وبهذا تم الكلام على المقام الأول وفصوله الثلاثة والحمد لله رب العالمين

﴿ للمقام الثاني في شذرات ﴾

(في هذا المقام خمس شذرات)

- (١) في إصلاح التعليم
- (٢) وفي الهجائب السماوية وما يوصل اليها
- (٣) وفي غرائب الحيوان
- (٤) وفي الفوائد الطيبة
- (٥) وفي الفوائد الأدبية العامة

﴿ الشذرة الأولى في اصلاح التعليم ﴾

اعلم أيها الذكي أن الأمم الاسلامية الآن أشبه بالقيم الذي ترك وشأنه فلا مربي له وانما هو متروك للمصادفات ولما كانت الأمم الاسلامية قد سارت في طريقة عتيقة مثل أن تحفظ المتون بلا عقل ويحفظ القرآن بلا فكر وجب أن آيين هنا ماساقه الله الينا من نعمة العلم والحكمة إذ حضر أثناء طبع هذا الكتاب عالم سويسري ليعت في نظام التعليم عندنا بمصر فأظهره ناقصا تقصا محزنا . ولما كان تقريره مطولا جدا بل هو كتاب كبير . وقد وجدت ملخص هذا الكتاب منشورا في جريدة الاهرام يوم ٨ نوفمبر سنة ١٩٢٩ رأيت أن أنبت هذا الملخص هنا ليطنح المسلمون على نظام التعليم في الأمم الراقية الذي بينه وبين عصر الصحابة شب من جهة الحرية الفكرية وعدم الوقوف عند الحفظ والتمتع بالحلوات وتقواة الهواه والاجتهاد الفردي وما أشبه ذلك فهناك ما جاء في الجريدة المذكورة تحت العنوان التالي وهذا نصه :

﴿ مشكلة التعليم ﴾

نواجه اليوم مشكلة لا تقل خطورة عن مشكلتنا السياسية . هي مشكلة التعليم التي لا بد أن تتضافر الجهود على إيجاد حل لها حرصا على مستقبل الشباب أو بالحري البلاد . فصيحات الشكوى التي تملأ أعمدة الجرائد وشعور الخوف والخيرة الذي يتملك الآلوف من الطلبة والوالدين ماهو في الواقع الا خوف مصر على مستقبلها ممثلا في شعور أبنائها . ولهذا أرى لزاما على كل متخصص وخبير بشؤون التعليم أن يدلي برأيه

مينا خبر مبراه كفيلا بحل مشكلة التعليم كما يتحتم على كل وطنى يفار على مصلحة بلاده أن يعاون على تنفيذ ما يقترحه الخبيرون بعد السرس والتمحيص . فالمسألة أهم من أن تهمل . وأعتقد من أن تحل بزياة الفصول وإيجاد أما كن لطالبي الالتحاق وأعظم من أن تقوم بعينها الحكومة وحدها ثلاثة أمور لامندوحة عنها حل مشكلة التعليم وازالة أسباب الشكوى فهى (أولا) - تتطلب تغييرا فى جو المدارس وأساليب التدريس يتمشى مع روح العصر وتقدم علوم التربية الحديثة

(ثانيا) - تستلزم تعديلا فى مناهج التعليم يتفق مع حاجات البلاد وتنوعا بلائم الاستعدادات المختلفة (ثالثا) - اهتماما من الأهالى وتعاوننا على رفع مستوى المدارس الاهلية وزياة عددها لتساعد على حل الازمة ونشر الثقافة فى البلاد . فلما الأمر الأول فقد كفانا مؤونة البحث فيه التقرير الوافى الذى رفضه لوزارة المعارف الاستاذ الفاضل اد . كالا بارية الخبير المنتدب فقد استوفى فيه الموضوع بحثا من جهة الأساليب وجو المدارس وأظهر مواطن الضعف فى نظامها ثم أشار بما رآه علاجا لتلك العلل ويتلخص ذلك فى عشرين اقتراحا وأذ كرها ليطلع عليها من القراء من لم يقرأ التقرير ويستفيد منها أصحاب المدارس الأهلية فالذاء يكاد يكون عاما شاملا وليس قاصرا على مدارس الوزارة أما الاقتراحات فهى :

- (١) اتقاص عدد التلاميذ فى الفرق التى يتجاوز عددهم فيها الحد المناسب
- (٢) الزيادة فى تجنيس الفرق من حيث سن التلاميذ ومستواهم العقلى
- (٣) اختبار كل طفل على حدته اختبارا فرديا
- (٤) تعيين معلمى فرق بالمدارس الأولية والابتدائية والفرق الأخيرة من المدارس الثانوية وجعل تعليم صفار الأطفال الى سن التاسعة على أيدى معلمات فرق ان أمكن
- (٥) تضيق نطاق المناهج
- (٦) تعديل نظام الامتحانات الحالى تعديلا شاملا لأنه السبب فى اعتماد التلاميذ على الاستظهار لاعلى التفكير والتروى
- (٧) زياة مالا لامتحان من قيمة وأثر فى اختبار التلاميذ . ولا ينبغي أن تكون الحافظة فى الأطفال الذين يمتحنون الغرض الذى يقرطس الامتحان بل القدرة على أداء عمل شخصى مبنى على التفكير والتأمل
- (٨) حذف دروس الاملاء والاستظهار ومنع استظهار المتون ومنع التلاميذ من نسخ مالا يفهمونه من النصوص واستظهارها
- (٩) توسيع نطاق العمل الفردى وإنشاء مكتبة فى ككل مدرسة وقاعات بممارس التلاميذ فيها الأعمال بمفردهم
- (١٠) الاستفادة بالالعب التى تعزز التربية فى جميع درجات التعليم وتأليف جماعات من التلاميذ للعمل معا فى أشغال معينة استفزازا لغيرتهم وتمية لروح التعاون والتضامن فى نفوسهم
- (١١) جعل التعليم أكثر مطابقة على العمل ولاسيما فى المدارس الابتدائية والأولية والاستفادة بالأعمال اليدوية فى أغراض التعليم وصراميه
- (١٢) الترخيص للمعلمين بالقاء دروسهم على الفرق فى الهواء الطلق وبالتنزه والترريض مع التلاميذ
- (١٣) إنشاء عدد أكثر من المدارس الابتدائية والثانوية للبنات
- (١٤) الاتئاد فيما يتعلق بنشر التعليم (مشروع التعليم الازامى) فى إنشاء المدارس ريثما يتخرج المعلمون

القادرون على القيام باعباء هذا التعليم

(١٥) إنشاء فرق متنقلة وأجولة لنشر الثقافة العقلية في الأرياف وإنشاء مكاتب في القرى وإقامة سبنا للتربية والتعليم

(١٦) تعديل اسلوب اعداد المعلمين تعديلا شاملا

(١٧) إقامة محاضرات أسبوعية بيداغوجية ودروس اتقان وتجويد للمعلمين

(١٨) تعيين مفتشين ببيكولوجيين لمواصلة البحث والتحقيق في المدارس ولارشاد المعلمين بنصائحهم وبخاصة منهم معلمى الأرياف على أن يكون تفقدهم إياهم في مواعيد دورية منظمة

(١٩) تضيق دائرة التركيز المدرسى وإرخاء العنان لحرية المعلمين ونظار المدارس والإلانة من شدة البرامج وصرامتها وتقديم الجانب التثقيفى من العمل المدرسى على الجانب الادارى

(٢٠) الاستمرار فى البحوث والتحقيقات البيكولوجية والبيداغوجية التى بدى بها فى سنة ١٩٢٨ م ١٩٢٩ م هـ

أما الأمر الثانى أى تعديل المناهج فلم يتناولها التقرير بأكثر من اقتراحه تضيق نطاقها وتحسين نوعها واليك ماقاله :

« انصح لنا أن المناهج فى جميع المدارس على اختلاف درجاتها غاصة بمواد التدريس فمن الواجب المبادرة بالاستعاضة عن وفرة الكمية بجودة الصنف ، وعن التوسع بالتعمق ، وعن الحافظة بالتفكير » ثم قال : « وليس فى طاقتنا أن نشرح بالتفصيل ما يبنى ادخاله على المناهج من التعديلات والتحويلات فان هذا الشرح يتطلب بحثا لم تنهأ لنا الفرصة للقيام به ، كما يبنى أن يبنى هذا البحث على عادية التلاميذ وخص مفكراتهم ومطالعة منشاتهم فى الامتحان الخ لتعرف الأجزاء التى يفهمها الأطفال وتمثلها أذهانهم من منهج كل فرع والأجزاء التى تستظهرها الحافظة دون أن يدركها العقل ،

وظاهر من هذا القول أن الاستاذ كلابار به نظر لتعديل المناهج من جهة الأساليب وملاءمتها لقوى الطالب ، أما من الجهة الاجتماعية العامة وماتطلبه حاجة البلاد من التعديل فلم يعالجها وعذره كما قال ان هذا الشرح يتطلب بحثا لم تنهأ له الفرصة للقيام به ، أضف الى ذلك انه غريب عن البلاد لا يعرف كل ما يحتاجه وتشكومنه ، لهذا قلت يجب على كل وطنى خبير بشؤون التعليم أن يدلى برأيه ، ولهذا رأيت أن أعالج الموضوع بقدر امكاني فان أصبت فقدت بواجب على لبلادى وان أخطأت شفع لى إخلاصى وسرئى معرفة خطئى واصلاحه من ردّ ناقد خبير . انتهى ما جاء فى الجريدة المذكورة

انما نقلت هذا المقال برمته لأنه استوفى التقرير الذى كنت أودّ تلخيصه وقد كتبه العالم السويسرى المتقدم ذكره ، فهو الآن أشبه بتطبيق على أحوال المسلمين العملية بعد الشرح العلمى ، فهنا أشبه بالعمل وفيما تقدم أشبه بالعلم ، وهذا هو التوفيق أن يجتمع كلام ألمائى وسويسرى ويوجهان لرقى المسلمين ، وأنا الآن أريد أن أبين للأمم الاسلامية فوائد التعليم الثانوى مما اطلعت عليه وقرأته فى كتب مختلفة وفى كلام الكاتب المتقدم أيضا اعلم أيها القارئ كما تقدم فيما نقلته عن (كنت) الألماني أن الانسان هو المخلوق الوحيد الذى يعوزه التعليم والتربية ، واذا نحن نظرنا الى الأمة كلها وجدناها كالفرد الواحد والانسان الواحد ، نجد له مطالب كثيرة :

(١) من طعام وشراب وهكذا نجد له أعضاء كثيرة لتناول هذه المطالب

(٢) وهذه الأعضاء تختلف باختلاف تلك المطالب

(٣) وهذا الاختلاف يشتدّ تباينه كلما اشتدّ تباين المطالب ، فالاختلاف بين حاسة الذوق واللحم أقلّ

من الاختلاف بين حاسة البصر لأن الأولين خصا بما هو قريب للامس والآخر لاملاسة له
ففي المدارس الثانوية :

- (١) أولاتى القوى فى التلاميذ بحيث تصلح للسير فى المجتمع أولا وتستفيد من الأحوال الطارئة فى الحياة فلا تنقف على حال واحدة بحال وجود
- (٢) ثم يجب أن يفرق بين المواهب المختلفة فتوزع على مطالب الحياة كما وزعت الأعضاء والحواس على مطالب الانسان
- (٣) وكما اتانجد حاسة اللمس بتعدد عن حاسة البصر من حيث متعلقها وتقرب من حاسة البصر إذ هانان متعلقتان بما هو ملاصق ، وحاسة البصر لا تقدر على مشاهدة الملاصق هكذا أفراد الأمة فانها كلما ارتقت اشتد تباين الأفراد فيكون أحدهم كالعين والآخر كاللس أو كالذوق ولكن لابد من نظرة هنا ، ذلك ان الأعضاء المتنافرة فى بدن واحد لا يجتمع بل تنفرق ، ألا ترى أن الحيوان اذا مات فترقت أجزاءه ، إن الذى جمعها الحال العامة فى الجسم من التغذية والشراب والأعصاب والعروق والسم والشحم واللحم وما أشبه ذلك ، فهذه الأعضاء وان اشتد الخلاف بينها فبها اتفاق واتحاد ، وعلى مقدار التباين بينها اشتد اتحادها ، فبواعث الاتحاد كثرت على مقدار بواعث الاختلاف هكذا فى الأمة ، فاذا رأينا الأمة ارتقت وظهرت فيها أفراد نابغون كل وصل الى منتهى الكمال بحسب زمانه بحيث صار القاضى والمهندس وعالم الزراعة كل واحد من هؤلاء قد برع فى فنه ، فهذه البراعة تقطعه عن أمته ويصبح كأنه ليس منها لأنه لاصلة بينه وبين المتعلمين إلا صلة ضعيفة فهناك يجدر أن يكون التعليم الثانوى كثير المواد غزيرها حتى يجعل بين النابغين اتحادا أتم على مقدار الاختلاف الشديد فى المهن المختلفة
- (٤) ومن جملة المطالب التى تقتضيها المدارس الثانوية الاستعداد للمدارس العالية والخاصة ، وقد كان هذا هو المطلب الذى لا يطلب سواء قديما بالمدارس الثانوية ، أما الآن فان الأمر أعظم كما قررناه بل لها وظائف أخرى تقدمت وياتى باقيا
- (٥) الانتخاب المدرسى ، ومعنى هذا أن فى الناس من ليس لهم استعداد ولا ميل للتعليم العالى فهؤلاء يجب أن يتعلموا ما يلىق لهم ، ومن لا يستعد للتعليم الثانوى يجب أن يتعلم صناعة تليق له
- (٦) وكما أن كل ما احتاج اليه الفرد فى حياته من مطعم ومشرب وملبس موجود فى هذه الأرض يراه ويعس به فيطلبه . هكذا يجب أن يجعل للتعليم فى المدارس نماذج لكل ما يحتاج اليه الأمة فتكون فى المدارس أنواع الصناعات وأنواع الفنون ليتخذ كل ما يلىق له . وكما أن الانسان لولم ير القمر أو الموز أو التفاح فانه لا يطلبه هكذا لا يقنى لامرئ أن يطلب علم الجبر أو صناعة الحدادة أو صناعة السكر باه إلا بالاطلاع عليها ومعرفة شئ يختص بها

﴿ فائدة ﴾

لقد كان قدماء اليونان يضعون فى هياكلهم صوراً مختلفة للصناعات المختلفة ويرسم عليها الصبيان فاذا رآها الصبي وأحب إحداها عرفوا أن هذا هو استعدادة ، وهذا المقام قد بينته فى كتابى « أين الانسان » تبيننا أتم وكشفا أظهر فاقرأ إن شئت

وهنا يجدر أن أثبت هنا مقالا كتب فى جريدة الاهرام فى يوم الخميس ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٢٩ فى الرد على من ذم التعليم الاجبارى العام وهذا نصه :

(معنى التعليم الاجبارى)

(حول مقال كاتبة)

جالت الكاتبة النابغة الأنسة في عدد الاهرام الصادر في ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٢٩ مجلة شعواء على التعليم الاجبارى بحجة انه مؤدّ لبطالة واقفار الريف وازدحام المدن وغيرها ، وبحجة أن كل أمى في مصر يشتغل وأما طاقة العاطلين فهى من المتعلمين . وبحجة انه لو كانت الغاية من التعليم جعل كل متعلم أفنديا معسكرا العام في القهاوى والبارات في انتظار وظيفة نهبط عليه من السماء على أجنحة ملائكة الرحمن . إذن لكان الجهل خيرا . وبحجة انه لو كانت الغاية من التعليم قذف المتعلمين الى العواصم ... لكان الجهل خيرا وبحجة أنه لو كانت الغاية ايجاد الشبان ذوى المناديل المشربة من الجيوب وذوى ربطة الرقبة المرصعة بالدبوس إذن فالجهل خير من العلم

ثم ختمت الأنسة مقالها بقولها انها واققة من أن الشبان المصريين لا يحقون عند قراءة ماتكتب الخ كلا . ثم كلا (على رأى زكى باشا) لقد أخطأت الكاتبة النابغة في الخاتمة كما أخطأت في المقدمة . كما أخطأت في جوهر موضوعها . والويل ثم الويل لمن يخطئ ثلاثا

إن الشبان المصريين يحقون ثم يحقون لمنصرتها الأمية . اللهم إلا اذا كانت تعنى بالشبان الشيوخ المتصبين أو الشبان المتكهلين من أنصار القديم

بيد اننى أجل الكاتبة عن هذا الخطأ الثلث وأتمس لها العذر ثلاثا لأننى لا أعلمها إلا جاهلة معنى التعليم الاجبارى فظنته تعليما راقيا يخرج شبانا مثقفين وفتيات مثقفات ملهين وملعات باللغات الحديثة وآدابها ومبادئ العلوم السياسية والاقتصادية والمواد الطبيعية والاجتماعية والرياضية

هذا ما فهمته الكاتبة النابغة بنتيجة التعليم الاجبارى . فاذا كان هذا ما تريد وتعنى فانتى أوافقها وأشدّ ازرها فيما زعمت لأن انتشار الثقافة في طول البلاد وعرضها فوق الحاجة مما يدعوى كثرة الياقات البيضاء كما يعبر عن ذلك علماء التربية اليوم . ومعنى الياقات البيضاء هو عين ما قصدت السيدة بالمناديل المشربة من الجيوب الخ فان الأمم المتقدمة جميعها خصوصا التى يكثر بينها العاطلون كإنجلترا وألمانيا على الأخص قد فطنت الى ازدياد عدد الشبان للتأقنين ذوى الياقات البيضاء والأردبة الثمينة الذين لا ينزلون الى حلبة الأعمال اليدوية فى المصانع والمناجم مهما ارتفعت أجورها بل يفضلون الانتظار شهورا بلا عمل رينا يجدون لهم عملا كاتيا فى مكتب أو مصرف أو مصلحة حفظا على ما يزعمونه فى تلك الوظائف من الكرامة والمعزة وحبا فى جعل أقمصتهم وياقتهم ناصعة البياض

وهذه الحال بعكس ما هى عليه فى ولايات أميركا المتحدة تماما فهناك يباهون بالأعمال اليدوية فينزلون الى ميادينها بثغور باسمه مهما بلغوا من الثقافة لأن مدارسهم على اختلاف درجاتها تعودهم احترام العمل لأن الحصص الدراسية هناك تنخلها الصناعات والأعمال اليدوية ، ولا يجد الشاب من خريجي السكليات عارا فى غسل الأطباق وحمل الأقال والعمل فى المناجم لأن الأقدار التى تعلق بالشاب من جراء هذه الأعمال يطلق عليها اسم الأقدار الشريفة أو النظيفة كذلك الفتاة المثقفة وان كان والدها من أصحاب الملايين قد تجدها عاملة فى مطعم أو متجرا أو منزلا حبا بعظمة العمل وشغفا بما تسميه الفتاة الأميركية الاستقلال الاقتصادى

وليسمح لى القارىء أن أضرب مثلين واقعيين حدثا معى فعلا ، كنت يوما أتناول العشاء مع فريقي من الطلبة فى دار أحد أساتذتنا فى ضاحية من ضواحي نيويورك وفى نهاية العشاء أخذنا نطل من الشرفة الكبيرة على حديقة المنزل ، فلاحظ أحدنا أن سيارة ففمة مقفلة أوقفت أمام المنزل وخرجت فتاة أنيقة من باب المنزل

ودخلت السيارة وغابت عن الأنظار ، فسأل أحدنا الاستاذ ، أليست هذه الفتاة التي كانت تخدمنا على المائدة أجباب نعم هي بعينها وهذه سيارتها كما رأيتم نغمة ، وهذه سيارتي في الحديقة من طراز فورد المتواضع ، ثم أردف ذلك بقوله : انها من طالبات الكلية وتقوم بخدمتنا فقط عند الحاجة القصوى بأجرة ريال عن كل ساعة . وأذكر مرة اني دخلت مطعما ذات ليلة في منعطفات نيويورك وما كدت أجلس الى مائدة من الموائد حتى أقبل عليّ أحد طلبة الجامعة التي كنت بها وكان من طلبة الدكتوراه يقدم اليّ قائمّة الطعام ، وقد تأثرت كثيرا من هذا المنظر وزاد تأثري أن شاهدت زوجه تقوم بالخدمة معه في ذات المطعم في أوقات فراغهما ، وقد قام رجال التعليم في إنجلترا والنمسا وروسيا وهنغاريا وشيكوسلوفاكيا وألمانيا وخصوصا في الأخيرة بحملات شعواء ضد التعليم الثانوي الذي يكثر من العاطلين ذوي الياقات البيضاء ويقتل من الأيدي العاملة وكانت النتيجة أن التعليم الثانوي هناك قد انقلبت نظمه رأسا على عقب وأدخل فيه التعليم العملي الذي يتفق مع حاجة البلاد وتقضى على البطالة والتخلف عن الأعمال اليدوية ويقتل من الثقافة الأدبية التي لا توافق روح العصر الحديث ، روح العلم والعمل . وقد احتسكت رجال التعليم في ألمانيا صيف هذا العام في مؤتمر التعليم في جنيف وقد شافني مارايت فيهم من التغيير وما سمعت من خطبهم من الانقلاب وقد زادني دهشة زيارتي لألمانيا وما شاهدته في حياتها الاجتماعية والاقتصادية من التغيير وقد كنت زرتها قبل هذا العام منذ أربع سنوات فقط ولايسع الزائر إلا الاعتراف بأن ألمانيا اليوم تفتني أثر أمريكا أولا في نظم التعليم وثانيا في الديمقراطية واحترام الأعمال اليدوية

فيهم مما سبق أن الأخطار الاجتماعية والقتال الاقتصادي تنجم عن تعميم الثقافة الأدبية والاكثر من المواد العلمية البحتة . لذلك أشترك مع النابغة الآنسة سمي في الاقتراح على وزارة المعارف أن تقلب نظام التعليم الثانوي في بلادنا لأنه من النوعين المشار إليهما والبلاد في حاجة الى قليل من هذين النوعين من الثقافة (الأدبية والعلمية البحتة) وكثير جدا من التعليم العلمي العملي من صناعي وزراعي وتجاري بتي عليّ الآن أن أقول للآنسة الكاتبة ان معنى التعليم الاجباري بسيط جدا وهو انه يرمي الى تعليم الأمة بأسرها ، بنها وبناتها ، معرفة المبادئ الأولية من قراءة وكتابة وحساب أو كما كانوا يسمونه في أمريكا وأوروبا ، أو ما يسميه العامة في بلادنا « فك الخط »

فهل تخشين أيها النابغة عاقبة هذا النوع من التعليم الساذج البسيط ؟ إذن فكيف يستطيع أبناء الأمة في الأرياف والمدن أيضا أن يقرؤا منشورات مصلحة الصحة عن الأمراض المعدية والحجيات وعزل المريض والتدريّن والبلهارسيا والانكلستوما والماء الراكد وماء القنوات والمجاري

وكيف يتفهمون منشورات وزارة الداخلية عن الأمن العام ومطاردة الجراد واستئصال دودة القطن وعدم قتل الطيور النافعة ؟ هل تربدين العمدة أن يبعث برجاله ينادون في الشوارع كما يفعلون الآن وكما كانوا يفعلون منذ القرون الخالية ؟

وكيف يقرؤن التعليمات المكتوبة على محطات السكك الحديدية بخصوص مواعيد القطارات وصرف التذاكر ، وعلى لوحات الاعلانات في المحاكم ونقط ومراكز البوليس ، وعلى واجهات دور الحكومة ودور الحوانيت التجارية والمدارس وأماكن العبادة والمستشفيات والمصانع والملاهي الخ وكيف تربدينهم يحترسون من النشالين اذا كانوا لا يستطيعون قراءة اليفطة البسيطة المكتوب عليها « احترس من النشالين » في الأماكن المزدهرة من أسواق ومحكم والعبة الخضراء والموسكى وشارع فؤاد الأول وعماد الدين وتيارات وأماكن عبادة ؟

وكيف تربدينهم يمتنعون عن مخاطبة السواق في عربات الترام وعدم البصق في الأماكن العمومية الخ

إذا كانوا لا يستطيعون قراءة الاعلانات الدالة على ذلك ؟

وكيف يستطيع العامل البسيط أن يدون في مذكرة جيبه ماله وما عليه ، وكيف يكتب خطاباته الخصوصية لزوجه وأولاده ولم تردينه أن ينشر أسراره على الملا ، ويلجأ لكتاب (بشديد التاه) العرائض فيسلبون ماله ويضنون أسراره ؟

لم تردينه أن يحرم من هذه النعمة الأولية البسيطة ، نعمة القراءة والكتابة ؟ لم تردينه أن يبقى كل حياته بهما وأن يظل حيوانا أحمم ؟

كان معلم الانشاء في السنوات القليلة الماضية يعلم تلاميذه هذه الجملة المحبوبة التي اذا أغفلها تلميذ كان جزاؤه صفرا ، وهذه الجملة هي « خلق الله الانسان وميزه عن سائر الحيوان بالنطق والعقل والبيان ، وترجمته هذه الجملة بلغة القرن العشرين : « الحيوان بالنطق والعقل والبيان والقراءة والكتابة على الأقل » إن التعليم الاجباري إذن ليس من الكماليات بل من الضروريات لأن القراءة والكتابة كالكلام واسطة التعارف . وقد كان الانسان في عصور الفطرة يكتفي بالكلام ولا يحتاج للقراءة والكتابة حاجتنا اليها اليوم لأسباب لا تخفى . أما اليوم وقد سهلت المواصلات وكثرت حاجات الانسان وتعددت وسائل الحياة ومرافقتها فقد أصبحت القراءة والكتابة لازمة لبني الانسان لزوم النطق والكلام

واسمحي لي أيتها الأنسة النابغة أن أذكر أن التعليم الاجباري المقصود في بلادنا هو هذا التعليم البسيط الذي لا يتجاوز علاوة على القراءة والكتابة ومبادئ الحساب شيئا من علم تخطيط البلدان والقوانين الصحية وهذه لا تدفع صاحبها الى ارتداء الملابس الأنيقة أو الطرود الى المدن . واذا فرض أن تناول المعلمين الابتدائي والثانوي كما يحدث في معظم ولايات أمريكا اليوم فانه لا يأتي بقليل اجتماعية ولا يكثر من الياقات البيضاء اذا كان للمحتاج منوعا شاملا للأعمال والصناعات اليدوية كما هي عليه مدارس أمريكا وألمانيا والنمسا وروسيا اليوم واسمحي لي أن أقول أيضا : إن التعليم الاجباري علاوة على ما ذكرت لازم لكل أمة لأنه يظهر الذكاء الكامن في عقول صبياتها وبناتها . ومتى استكشف هذا الذكاء في فرد من أبناء الأمة أشار القائمون بتربيته على الحكومة حتى تساعده على مواصلة الدرس على نفقتها لأن النبوغ والعبقرية جذبران بالاهتمام والعناية . ومن المتفق عليه الآن أن الحكومة مسؤولة عن تعليم أبناء الأمة ليس جبا في سواد عيونهم بل تخليدا لكيان الأمة ومحافظة على حياتها . كما ان الحكومة مكلفة بالبحث عن النبوغ والعبقرية والانتفاع بهما . والعقول الراجحة الذكية كالرر واللاي لا يظهر لعنايتها وقيمتها حتى تعمل فيها يد الصانع الماهر الذي يخرجها من أصدافها ويسقلها بعد تنظيفها من الأقدار اللاصقة بها

وأخيرا اطمنئك أيتها الأنسة النابغة أن مشروع التعليم الاجباري يتطلب عشرات السنوات قبل اكتماله لأنه يحتاج الى المال والمعلمين والأماكن والوسائل لتنفيذه . والبلاد التي عم فيها التعليم الاجباري منذ مئة عام لم تصل فيه الى درجة الكمال لأنه ليس من السهل القبض على جميع من يمنعون عن إرسال بنينهم وبناتهم الى المدارس ومحاكمتهم ، وليس من السهل عد الأسابيع التي يمكنها التلميذ سنويا في المدرسة وتحديد نهاية صفه هذه الأسابيع بشرط أن يزج في أحماق السجون والدو التلاميذ الذين لا يمتك أولادهم في المدارس هذه النهاية الصفري على الأقل ، وستخبط البلاد المصرية خبط عشواء في خلال ثلث قرن على أقل تقدير حتى يتاح لها تنفيذ هذا المشروع الخطير على الوجه الذي يوجب الارتياح

ولتأكد الأنسة أن تحرير المرأة لن تقوم له في مصر قائمة مالم يعمم التعليم الاجباري ، وسيكون شأن المرأة منه أكبر مما للرجل لأن الأتمية بين النساء أكثر انتشارا بكثير منها بين الرجال ، ولعل هذه العبارة الأخيرة (إن لم يكن غيرها) تحمل الأنسة على تغيير رأيها اه

أمير بقطر

وبهذا تم الكلام على الشفرة الأولى في اصلاح التعليم العام والحمد لله رب العالمين

﴿ الشذرة الثانية ﴾

(في المجانب السماوية ومايوصل إليها)

جاء في جريدة الاهرام تحت العنوان التالى مانصه :

(عجائب فلكية)

يقال إن أقرب نجم من الأرض هو (الالفا) من نجوم برج العيوق ويبعد عنا نحو (٤٠) ترليون كيلومترا ويقضى نوره أربع سنين وسبعة أشهر وستة أيام حتى يصل إلينا ، وهناك نجم معروف باسم (غمامة مجلان الصغيرة) وهي بعيدة عنا بعدا شاسعا حتى ان نورها لا يصل لنا فى مدّة أقل من ألف قرن ، فنحن نبصر نجم (الالفا) كما كان عليه منذ أربع سنين و٧ أشهر و٦ أيام وغمامة مجلان الصغيرة فى المكان الذى كانت فيه منذ ألف قرن ، وإذا فرضنا انها انطلقت منذ ٩٩٩ قرنا فان النور الذى صدر منها فى ذلك العهد يظل على سبيله إلينا فى الفضاء ويبقى منظورا فى أثناء مائة سنة أخرى اه

وعما يلحق بالمجانب السماوية مايوصل إليها من الصناعات ، فانظر ماجاء فى جريدة الاهرام أيضا فى يوم ٥ أكتوبر سنة ١٩٢٩ تحت العنوان التالى وهذا نصه :

﴿ رصد الجوّ بالسهام النارية ﴾

منذ أكثر من اثني عشر عاما أخذ الاستاذ جودارو العالم الأمريكى يهتم بأمر استعمال المواد المنفجرة لارسال سهام نارية (صواريخ) الى طبقات الجو العليا وهو الذى خطر له أن يصنع صاروخا كبيرا جدا ليطلقه من أرضنا الى القمر على أن هذه الفكرة أخذت تتطور فى أثناء التجارب الكثيرة التى قام بها من اطلاق سهام صغيرة على سبيل الاختبار وقد توصل أخيرا الى فكرة استطلاع طبقات الجو العليا بهذه السهام فضع « صاروخا » كبيرا سلكه نحو ١٢٠٠٠ ريال وحشاه بمادة قوية الانفجار من ابتكاره وأطلقه من فوق برج مرتفع من الحديد فى مدينة ورسستر وقد دهش أهل المدينة إذ رأوا ذلك السهم النارى العظيم يشق عنان الجوّ فى ليلة ظلماء وخيل إليهم انه نيزك هائل مرّ بجو مدينتهم وزعم البعض بأنه طائرة ملتصقة انفجر حوض وقودها

و يعتقد الاستاذ جودارو أنه يستطيع بهذه المادة المنفجرة الجديدة أن يرسل مثل هذه المقذوفات الى ارتفاع عظيم فى الجوّ وأنه إذا تمكن من توصيلها الى علو متى ميل تسنى له الحصول على معلومات عن أحوال الجوّ فى ذلك العلو تكون ذات أهمية كبيرة لدى أهل العلم . وسيجهز الاستاذ هذه المقذوفات بعدة أجهزة لتسجيل الارصاد الجوّية متى بلغت آخر حد وعند ما تنقلب هابطة الى الأرض تنفتح فيها المظلة المعروفة « بالبراشوت » فتنزل الى الأرض سالمة بما فيها من المعلومات وقد كانت التجربة الأخيرة باعثة على التشجيع فان الاسطوانة الفولاذية التى أطلقها فى الجوّ بعد ما فرغت منها المادة المنفجرة هبطت بالمظلة هبوطا طبيعيا ووصلت الى الأرض سالمة من العطب

أما الصاروخ التالى الذى سيكون أكبر من هذا كثيرا فستوضع فيه أربعة أجهزة أحدها للحصول على نموذج من الهواء لتحليله كيميائيا وآلة تصوير شمسي لاختبار أشعة الشمس فى ذلك العلو إذ يظن أن الأشعة فوق البنفسجية قوية جدا وجهاز لقياس الحرارة وتسجيلها وجهاز لقياس الضغط الجوّي . انتهت الشذرة الثانية

﴿ الشذرة الثالثة في غرائز الحيوان ﴾

جاء في مجلة « السياسة الأسبوعية » ما يأتي :

﴿ غريزة النظم عند الحيوان ﴾

قد تصوران الحيوانات المتوحشة التي لا تدخل في دائرة الارادة البشرية فوضوية أي لا قانون لها ولكن جميع المخلوقات الحية ليست إلا نتيجة قوانين كيميائية وأخرى طبيعية . فالمواد الكيميائية التي تتكون فيها خاضعة لقوانين ونظريات الكيمياء وليست نتيجة فعل إجباري للانسان بل هي عمليات فيسولوجية محضة مما يجعلنا نحزم بأن أفعال وطباع الكائنات الحية مقيدة بقوانين ثابتة لا يمكن الاستغناء عنها ، ولا شك أن عالما بدون قوانين طوعا لم « فوضى » بقطنه مجانين

إن حجرا تقذف به من أعلى في الهواء يسقط دائما تجاه الأرض ودائما يسقط بحالة منتظمة ثابتة . وإذا أكل الانسان شيئا كثير العصارة فإن هناك غندا تفرز مادة بالقم تعرف باللعب . وهذه المادة دائما تفرز تبعا لقوانين فيسولوجية وكيميائية ولها دائما تركيب مخصوص حيث تفرز من خلايا معينة وبنسب ثابتة تحت شروط معينة ولا يمكن ذلك إلا اذا كان هناك قانون تخضع له كل هذه الأشياء . فمثلا الانسان لديه قوة يعبر عنها بالتفكير والارادة ، وأما الحيوان فلديه قوة يعبر عنها بالغريرة ، والاميبا والبكتريا التي هي حيوانات طفيلية تمشي نموها وحياتها تبعا لقانون ، وليست حركاتها تأتي جزافا أو هي متغيرة الأطوار وإنما هي على السوام تأتي بنتائج مؤذية على الأقل لما فيه راحتها ، ومن ذلك نعرف أن الحيوان مهما صغر فانه خاضع لقوانين لا يمكن له البقاء بدونها ، ولناخذ الآن مثلا العنكبوت فانه ينسج بيته بغاية الدقة المقرونة بكل صبر حيث يعمل عقده وحشيه من الخيوط ويكون عمله هذا كأعظم مهندس فني يعمل تبعا لنظريات وقوانين هندسية محضة ، فينتدى بوضع خيوط دائرية ثم يحدد بها المساحة التي يريد النسيج عليها ثم يصنع خيوطا مشطرية تتقاطع في الوسط وتعمل خيوطا حلزونية أخرى هي عماد ما ينسجه

ولنتقل الى شمع العسل الذي يصنع بواسطة النحل العادي نجد انه لا يصنع جزافا بل تبعا لقانون إذ أن كل نحلة تعمل ما يحصها من العمل القليل ليس إلا ، وكل هذه التحليلات تعمل وتنتج قوانين الهندسة بعملها خلايا سداسية هي غاية في الدقة والجمال بل وتعمل قاع الخلية من ثلاث مستويات تتقابل في زاوية أثبت الرياضيون انها زاوية اقتصادية أي غاية ما يمكن عمله لتوفير المادة والوقت

زد على ذلك أن العمل يوزع بينها توزيعا منتظما ينفذ بكل دقة كأنه صادر بمنشور ، فبينما يوجد عدد كبير يقوم بملاحظة النحل الصغير نجد عددا نبط به تغيير أهوية الخلايا وتبخير الماء من العسل بمروحة الأجنحة وعددا آخر عمله معماري محض يتصر على عمل قرص العسل ، كما أنه يوجد رعاة بينها لاحتضار الحبوب والملح والماء ، هذا خلاف عدد كبير عمله كيميائي يتلخص في تجهيز حامض الفورميك ، هذا ولم يفك النحل أمر حراسة الخلية حيث يوكل أمر الحراسة الى فريق آخر يحافظ عليها من أي خطر عدائي كأن هناك الملكة التي تلد ، فاذا نظرنا الى ما يحدث بين طائفة النحل نجد انه لا يمكن حدوث ذلك إلا بقانون ينفذ بكل دقة دون أي خلل كعمل الساعة حتى ولو كان في ذلك ضرر بالأفراد

هذا ويوجد خلايا رئيسية هي بمثابة الادارة الحكومية حيث يستمد منها الأوامر ، وهذه بعيدة عن مقر الملكة ، ولقد تتكون الخلية من عشرة آلاف غرفة صغيرة لوضع البيض

والآن اذا نظرنا الى الطيور نجد انها تهاجر من مكان الى آخر تبعا لقانون في أوقات وفصول معينة الى جهات مقصودة ، فأبوجديح يطير من ألمانيا الى جنوب افريقيا ويقطع آلاف الأميال ولا يمكن ذلك إلا اذا

كانت هجرته هذه طبقا لقانون . والحيوانات التي تعيش قطعانا نجد أن لها قانونا وقواعد تعيش بواسطتها ، فالصغار تحت محافظة الأمهات ولا حرب بين أعضاء القطيع الواحد إلا في أوقات الجدل كاجتياز رياسة أوقياة (انتخاب)

هذا وحركات هذه القطعان دائما متمشية مع قوانين غير مكتوبة يعاقب كل مخالف لها . مما تقدم نفرف أن القانون في عالم الحيوان أساسه ليس العقل وإنما أساسه الغريزة وكلها تعمل من أجل الصحة والدرام والمحافظة على الأفراد وإطاعة هذه القوانين حياتها ومخالفتها دمارها

هذا ما يختص بالحيوان ، ولنلق نظرة الى الانسان الذي كان في عصره الأول خاضعا لقوانين الحيوان أى القوانين الغريزية كئيله الى الغذاء والانتقام من العدو والقص واللعب . ثم وجد نفسه بمضى الزمن محتاجا الى التعديل والتبديل فأدخل ما ارتآه يناسب حالته وعصره فوضع قوانين مدنية وأصبحت هي القوانين الخاضع لها مزيجاً من الغريزية والوضعية التي استمدتها من الكتب السماوية ومن أفكاره مما جعله حاملا القيادة الفكرية لجميع الحيوانات . انتهى ما أردته من مجلة « السياسة الأسبوعية » والحمد لله رب العالمين

﴿ نظرات في بلدة المرج ﴾

منذ ليال في هذا الشهر وهو أكتوبر سنة ١٩٣٠ كررت راجعا من حقلنا وكان ذلك بعد غروب الشمس في نفس المكان الذي كنت أراقب فيه القمر وكتبت تلك المراقبة في ﴿ سورة فاطر ﴾ عند آية - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء - وفيه أيضا نظرت مزرعة القطن وأزهارها وقطنها وكتبت ذلك في أول ﴿ سورة الصافات ﴾

أقول : في نفس هذا المكان نظرت أمرا عجبا ! نظرت مئات من الغربان أتت أفواجا متلاحقة لتبيت في شجر النخل وقد قدرتها فوق الألف لأن النخل هناك كثير جدا ، فلم أكد أراها حتى أخذت النفس تفكر في هذا الانسان ، هذا الانسان ذوالعقل وذوالعلم وذوالأنبياء كيف عاش أجيالا ولم يرتق عن الغربان ! غربان قرية من القرى لا تعيش مع غربان قرية أخرى إذ لا سبيل للاتصال والغريزة لم تعطها ذلك ، ولكن الانسان له عقل ، فإذا فعل بعقله ؟ عقله الخجوة ، عقله الجوهر المكنون . الانسان لا يكون انسانا حتى تكون أمه كلها متحدة . فهذه الغربان التي أشاهدها الآن راجعة الى هذا النخل لتبيت فيه . والانسانية بدون هذا غيبة جاهلة . ولما استنمت فكرتي انطلقت راجعا الى القاهرة وعرفت اني أتعمت درس الموضوع بقدر الامكان . انتهى الكلام على الشذرة الثالثة

﴿ الشذرة الرابعة في الفوائد الطيبة ﴾

(الكلاب وأخطارها)

قليل من الناس عدد الذين يعرفون الأخطار التي تتعرض لها حياة الانسان من مساكنة الحيوانات الأليفة التي اعتادت عليه فأمن لها وأمنت له . والواقع الذي لاشك فيه هو أن ثلاثة أرباع الأمراض الخبيثة التي يصاب بها الانسان تنشأ في جسمه من المكروبات القتالة التي تنس فيه من كلب أو حصان أو غيرها من الحيوانات التي يقرب منها وتقرب منه

وقد أدركت الحكومات الراقية أخطار هذه الحيوانات فخذرت الانسان منها وعلمته كيف يتقى أخطارها بقدر الامكان ان لم يستطع الاستغناء عنها تماما . ورأينا مرّات كثيرة على جدران السواثر العمومية في أوروبا وأمريكا صور الحيوانات الأليفة وقد كتبت فوقها بخط عريض عبارات التحذير منها والابتعاد عنها ووصفها

بكونها أعداء الانسان

و بلغ جهل أخطار هذه الحيوانات في الناس أنهم يسمحون لها (لاسيما للكلاب والقطط) بالنوم في أسرتهن وبجانب أولادهم جاهلين انهم بهذا العمل يضعون الموت بجانب أولادهم بما تنفثه هذه الحيوانات في وجوههم من المكروبات القتالة وبما يسرى الى جسوم الاولاد من جسوم الحيوانات من الأوبئة الجلدية كالجرب وغيره بواسطة الاحتكاك وانتقال جراثيم الأمراض السريعة العدوى . وأشد الحيوانات الأليفة خطرا على الانسان هي الكلاب والقطط . وبحثنا اليوم بنوع خاص في الكلاب وأخطارها . وقد أخذنا هذه المعلومات الصحية عن اختبارات كبار رجال علم الطب في العالم الراقى الاميركي . واذا استعصب الانسان الحياة بدون كلب في بيته مثلا فليعلم أن حياته آمن وأنفع له ولغيره من حياة كلب . ومن الجهل القاضح أن يعرض الانسان حياته وحياة عائلته لخطر الموت من أجل سلاوة بمعاشرة كلب أو أى حيوان آخر . ومثل الكلب خطرا الطيور البيتية التي يدخلها الانسان الى بيته كالحمام والبيغوات والتموس والصفير وغيرها . لكن أشد الحيوانات خطرا آكلات الأوساخ والهوم والهدبان التي تحمل جراثيم أوبئة خبيثة

للكلاب مرض خاص خبيث اسمه مرض السود فان السود الصغير سريع النمو وكثير العدد في الكلاب . وينشأ فيها من أكل الهوام والحشرات كالبراغيث والبعث والعنكب والنباب . وهذه الهوام كلها سموم وجراثيم أو بئة خبيثة محمولة من الأقدار والجيف المنتنة التي تتغذى بها أحيانا كثيرة وبرغوث واحديا ككله كلب كاف لاملأ جسمه كله بمكروبات هذا المرض الخبيث وجعل أعضائه الداخلية تعج بالسود الصغير الذي قلما يزول ابموت الكلب ودفنه في مكان لا تصل اليه بقية الحيوانات . والكلب المصاب بمرض الجراثيم السوداء يعدى سواء حتى بأنفاسه والناس عادة يقبلون الكلب في وجهه وفهو يسمحون له بتقبيلهم ولحس وجوههم ووجوه صغارهم ومنهم من يطعمه بيده ويدخل اصابعه الى فمه ويسمح له بالنوم في فراشه غير عالم بأنه يعرض نفسه للموت السريع بهذا العمل الفظيع والتذر

ولو أن الحكومات تأمر الناس بالابتعاد عن الكلاب وتمنع تربيتهما وتقتلها كما تفعل في أحيان اشتباها بمرض الكلب (بفتح اللام) فيها لأحسن صنعا وتوفر عليها وعلى شعبها أهم أسباب الموت الذي يجهل الناس أسبابه وزادت في رفاهيته وسعادته لأن السعادة تنتج أو ينتج أهم أسبابها من حسن الصحة العمومية وبعد الناس عن الأمراض (١)

﴿ أعراض المرض في الكلاب ﴾

ان للأمراض الخبيثة في الكلاب اعراضا لا تخفى على الناظر ولكن من الأمراض الخبيثة مالا أعراض لها في بدايتها ولا يشبه بها أحد فتعدى أسيادها بدون أن يشعروا وقبل ظهور الاعراض عليها ، ولهذا سواء ظهرت اعراض المرض في الكلب أولم تظهر فخير لنا إبعاده عنا إذلا فائدة لنا منه والرجل الذي لا يستطيع أن يحرس مواشيه أو بيته بنفسه فاذا تفيد الكلاب . والصيدون يفتي عنها أيضا واذا استغنى الانسان عن الكلب يتحول قسم كبير من عناية الكلب وانتباهه اليه بدلا من أن يتكفل في كل شأن وعمل على كلبه . واعراض المرض في الكلب انه يصاب باسهال دائم وضعف عزيمته وخواز وفقد شهية الأكل وسوء هضم وفقد النمو في الشعر ، وأجربة الكلاب التي تصاب بهذه الأمراض تصاب باضطرابات وضيق نفس وحك جلدها وتركض من مكان الى آخر باضطراب وتصرخ بدون داع من الألم

(١) يقول المؤلف : وهذه مجزة اسلامية فقد ورد « لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها »
وورد وجوب غسل الاناء الذي ولغ فيه الكلب سبعا إحداهن بالتراب

وأهم أسباب قتل هذه الأمراض الى الانسان أكل اللحوم غير الناضجة على النار لاسيما لحوم الخنازير التي تبيض على الأقدار والأوساخ والحشرات . وجراثيم السود تنتقل من الكلب الى الخنزير والانسان بسهولة وسرعة فربما يتبين وتدخل الى الانسان من فمه ومن عينيه بواسطة انفاس الكلب ومتى تكاثرت تتجمع في الامعاء . وقد صورت هذه الجراثيم في إمعاء كلب فوجدوها تبيض بيوضا صغيرة لا تكاد ترى بالعين المجردة ويبلغ مجموعها أكثر من ٤ مايون بيضة كلها تنفق وتتوالد وتكبر وتمحو حتى تقتل الجسم كله وللكلاب أيضا مرض اسمه مرض الجرب وهو مشهور ينتج عن وفرة الأقدار والمكروبات على جسمه وتغلغل البراغيث والبق الجر في فيه . وهذا ما يشاهد كثيرا في الكلاب . فاذا أصيب الكلب بمرض الجرب تقتله بقى العائلة كلها من عدوى هذا المرض وجراثيمه المنقولة عنه بواسطة البراغيث والبق والبرغش والقمل . وللجرب جراثيم تتولد على سطح الجسم فتأكله وتسقط عنه الشعر وتفسده وتدخل الى داخله فتقتله أما الأدوية المستعملة لشفاء الكلاب من أمراض السود فكثيرة منها المسهلات القاتلة لجراثيم السود . وعندنا أن أفضل دواء لشفاء الكلب من أمراضه ومنع سريان المرض الى سائر أفراد العائلة هو قتله أو إبعاده عن البيت الى حيث يموت وحده وتموت معه كل جراثيم مرضه . واننا ندهش من الانسان الذي يعرف شدة أخطار الكلاب والتقطط والخنازير وسائر المواشى عليه وعلى عائلته كيف يسمح لها أو لنفسه بعد أن يعرف ذلك أن تقترب منه أو يقترب منها وهو المعروف بأنه الحيوان الراقى الذي يمتاز عن أخيه الحيوان المنحط بسعة العقل والادراك والانتباه والحذر وان لم يكن كذلك يفقد كل حق يدعيه للتفوق على الحيوان الذي يدب على أربع . انتهى من مجلة الشمس

﴿ فائدة طيبة في الخرشوف ﴾

جاء في جريدة الاهرام مانسه

﴿ فائدة الخرشوف الطيبة ﴾

نبحث في هذه المقالة عن الخرشوف من جهة فائدته في مداواة أمراض الكبد . وقد كان الأقدمون يعرفون هذا الامر ولكن أهمل استعماله حيناً من الزمان والآن عادوا اليه في معالجة اليرقان وحصاة الكبد وغير ذلك من الأمراض التي تصاب بها الكبد وطريقة ذلك أن يغلى ورق الخرشوف ويحلى بالسكر ويشرب وقد لاحظوا أن منفعة لاتلبث أن تظهر وفي الخرشوف مادة تقوى الكبد على التخلص من السموم المسربة اليها وتساعد خلاياها على القيام بمهمتها وهذا الأمر مهم معرفته الكثيرين لأن المصابين بأمراض الكبد كثير عددهم والناس يعودون شيئاً فشيئاً الى التداوى بالعقاقير الطيبة التي كان الأقدمون يعولون عليها في معالجة المرضى وكان الاطباء قد انصرفوا عنها وآثروا عليها الأدوية الكيماوية ومن النظريات الأولية أن الطبيعة أوجدت الدواء بآراء الداء فهي « صيدلية واسعة » ولكن يجب البحث فيها وتعرف ما تحتوي عليه لوجود أدوية فيها تفضل كثيرا الأدوية التي يلقونها في دور التحليل والصيدليات وتكون معقدة التركيب وقد فهم الناس من عهد بعيد أن الطبيعة بنجوة من التعقيد ولذلك رأوا أن التداوى بالأدوية البسيطة أفضل من التداوى بالأدوية المركبة المعقدة وفي لبنان أسرتان فيهما أطباء لآيزالون يعالجون مرضاهم بعقاقير يجمعونها بأنفسهم من البرية ولهم منزلة عند أبناء وطنهم وطولاء ثقة عظيمة بهم . انتهت الشذرة الرابعة

﴿ الشذرة الخامسة في فوائد أدبية ﴾ (مقالات في كلمات)

جاء في مجلة « كل شيء » مانصه :

- (١) - « المواهب المعتدلة تكسب صاحبها الحمد وكثيرا ما تفوق شهرته شهرة صاحب الذكاء العالى »
 (٢) - « اذا كنا أصحاب كفاية احترمنا الرجال الحقيقيون . واذا كنا أصحاب سعد وبخت احترمنا جمهور الشعب »
 (٣) - « إن حلاوة اللقاء هي ثمن مرارة الفراق . والا ما احتمل هذه المرارة انسان »
 (٤) - « الفراق يطفى الشهوات الصغرى ويزيد العظمى كالريح تطفى الشمعة وتزيد النار التهابا »
 (٥) - « كثيرا ما تصادفنا في هذه الحياة مفاجآت لاترول إلا باستعمال شيء من الحق »
 (٦) - « ليس بين المصائب مصيبة لا يستطيع اللبيب أن يجنى منها فائدة له ولا الفبي أن يجنى منها شرا عليه »
 (٧) - « اذا كان المرء لا يصطنع لنفسه أصدقاء جددا كل يوم الى نهاية عمره فسيجد نفسه وحيدا . فالواجب عليه أن يرم صداقته على الدوام »

﴿ الماء والصحة ﴾

الماء أهم مواد الطعام طرا والرجل البالغ الصحيح الجسم يحتاج كل يوم الى (٧٠) أوقية ماء حتى (١٠٠) أوقية . وثالث هذا القدر من الماء في الطعام الذى نأكله فان الأعمار والبقول تحتوى على مقدار عال من الماء بالنسبة الى قيمتها الغذائية . أما الثلثان الباقيان ففشر بهما ماء أو سوائل أخرى (وعبارة أخرى) ان جسم الصحيح البالغ يحتاج الى نحو ستة أرطال ماء يوميا ووظيفة الماء بناء أنسجة الجسم وتحليل الطعام وبذلك يساعد على حمله الى الدم وتنظيف الامعاء ومنع تجمع الفضول فيها مما يفضى تجمعها الى تسمم الجسم كذلك ينبه غدد اللعاب فى الفم على الافراز واللعب يساعد على هضم المواد النشوية فى الطعام ويحل المواد الملحية والسكرية . انتهى من مجلة « كل شيء »

﴿ لطيفة ﴾

(فى قوله تعالى - فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله

وأولئك هم أولوا الالباب -)

هذه الآية أصل عظيم فى الاسلام توجب أن تنقب الأمم الاسلامية عن العلوم والصناعات والاختراعات ونصطفى أحسن ما أنتجته عقول الأمم وأبداع ما أبرزته مباحث العلماء وخير ما أظهره الجند وأبرزه الاجتهاد وأدى اليه القياس وأوضحه الدليل واضرب لهذا مثلا واحدا من آلاف . ذلك اختزال الكتابة فاسمع ماجاء فى جريدة الاهرام يوم الجمعة ٤ يولية سنة ١٩٣٠ وهذا نصه :

﴿ طريقة الاختزال فى الكتابة ﴾

(اختراع شرقى لا غربى)

حضرة صاحب العزة المفضل رئيس تحرير الاهرام الفراء . يظن الناس أن طريقة الاختزال فى الكتابة هي حديثة العهد وان الذين اخترعوها هم الغربيون أسوة بغيرها من المخترعات التى اخترعوها

ولكن الحقيقة ان هذه الطريقة هي قديمة العهد جدا والذين اخترعوها هم الصينيون منذ نيف وألف سنة .
والدليل على ذلك ما جاء بكتاب الفهرست لابن النديم المتوفى في أواخر القرن الرابع الهجرى صفحة ٢٥٢٤
طبع مصر قال : وللصين كتابة يقال لها كتابة المجموع وهو ان لكل كلمة تكتب بثلاثة أحرف وأكثر صورة
واحدة ولكل كلام يطول شكل من الحروف يأتي على المعاني الكثيرة فاذا أرادوا أن يكتبوا ما يكتب في مائة
ورقة كتبوه في صفحة واحد بهذا القلم . قال محمد بن زكريا الرازي فصدني رجل من الصين فقام بحضرتي نحو
سنة تعلم فيها العربية كلاما وخطا في مدة خسة أشهر حتى صار فصيحاً حاذقاً سريع اليد فلما أراد الانصراف
الى بلده قال لي قبل ذلك بشهر اني عزمت على الخروج فأحب أن تلي علي كتب جالينوس الستة عشر لأكتبها فقلت
لقد ضاق عليك الوقت ولا ينبغي زمان مقامك لنسخ قليل منها فقال القتي أسألك أن تهبلني نفسك مدة مقامي وتلي
علي بأسرع ما يمكنك فاني أسبقك بالكتابة فتقدمت الي بعض تلاميذي بالاجتماع معا على ذلك فكنا تلي عليه
بأسرع ما يمكننا فكان يسبقنا فلم نصدق الا في وقت المعارضة فانه عارض بجميع ما كتبه وسأته عن ذلك فقال
ان لنا كتابة تعرف بالمجموع وهو الذي رأيتم اذا أردنا أن نكتب الشيء الكثير في المدة البسيرة كتبناه بهذا
الخط ثم ان شقنا نقلناه الى القلم المتعارف والمبسوط . انتهى

واذا كان هذا الكتاب قد طبع لأول مرة في أوروبا سنة ١٨٧٢ ميلادية فلا يبعد أن يكون الغربيون لما
اطلعوا على هذه الطريقة أخذوا في الأسباب التي توصلهم اليها كما توصلوا الي غيرها من المخترعات الأخرى
وفق الله الشريين الى اقتفاء أثر الغربيين الى ما فيه نفع المجتمع الانساني

وهذا تم الكلام على سورة الزمر والحمد لله رب العالمين

(تم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء الثامن عشر من كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم
ويليه الجزء التاسع عشر وأوله سورة غافر)

فهرست

(الجزء الثامن عشر)

من كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم

صحيفة

- ٤ ﴿ سورة الصافات أربعة فصول : الفصل الأول ﴾ في تفسير البسملة
فكرت قبيل فجر ٢٤ ما يوسنة ١٩٣٠ في تفسير البسملة في سورة الصافات
- ٥ لما تجلت لي أنواع الجمال في هذه الدنيا حين هبت النسمات وتميلت الأغصان رأيت أن الدنيا عجوز شوهاء عند الجهلاء وهي عروس لبست الخلى وازيبت عند الحكماء . فهنا زيفتان : زينة براها البصر بالأنوار والجمال وزينة تدركها البصيرة بسبب الرجة ، ذلك كله في البسملة التي يقرؤها الجهلاء ولا يعرفونها إن الرجة في هذه السورة نذرتنا بحمال السموات والأرض والمشرق والمغرب وزينة الدنيا المذكورات في أولها ، ومن الرجة محاورات القرناء إذ يلوم كل منهم الآخر نذرتنا للفكرين وتقريرا للغافلين ، ومنها تساؤل أهل الجنة وقول بعضهم انه لم يعبأ باغواء قرينه له في الحياة الدنيا ، إذن الانسان له ﴿ ثلاث حالات : أولا ﴾ تكون له حياة ومن أسبابها هذه الأنوار ﴿ ثانيا ﴾ تعرض له الشبهات ﴿ ثالثا ﴾ اذا خلص منها فقد كملت حاله ، وهذا كله في الآيات بالترتيب ، وبلى هذا تطبيق وهو نجاة نوح ومن معه وابراهيم والياس ولوط ويونس . ومن عجب أن ﴿ سورة الصافات ﴾ خلصت في آخرها كما خلصت ﴿ سورة يس ﴾ كذلك في نفس الآيات
- ٧ ﴿ الفصل الثاني ﴾ كتابة الآيات من أول السورة الى قوله تعالى - إلا عباد الله المخلصين - مشكلا بالحرف الكبير
- ٩ التفسير اللفظي لهذا الفصل من أول السورة الى قوله تعالى - فأتبعه شهاب ثاقب -
- ١٠ إيضاح قوله تعالى - إلامن خطف الخطفة - الخ وبيان أن هذه العوالم مملكة بديعة ولن يكون أهل المملكة سعداء إلا اذا حفظت من الأشرار والأشرارها هي النفوس الضعيفة من الآدميين ومن الجن وكلاهما مطرود عن المحكمة ، فأكثر أهل الأرض اليوم يعيشون وهم لا يدرون ما هذا الوجود بل حياتهم كلها وقف على الشهوات والأحوال الجزئية فهم يقدفون من كل جانب دحورا بشهواتهم والشياطين يقدفون بالشهب والطاققان لم ينالا المحكمة المحيطة بهم
- ١١ مثال يوضح أن الخطفة تكون حسرة لقوم وهدى لآخرين كأن يسمع رجلا ن آية - المال والبنون زينة الحياة الدنيا - فأحدهما يتحسر على ذلك والآخر يهتدى
- ﴿ لطيفة ﴾ في أن مسألة الشهب كانت عند القدماء في الاسلام مشكلة في الفلسفة القديمة ولكنها في الحديث موافقة للقرآن . أسرار القرآن في علم الأرواح والنصوف وأن الأرواح العالية لا تخاطب إلا نفوسا نقية والأرواح الناقصة تسر بمحادثة الجهلاء
- ١٢ بيان أن كشف حجاب الحسن ليس مقصودا للأكابر وما هو إلا لئلا من لذات النفوس يقصدها قوم في الحياة وهذا جهل والصوفي المغمم بمعرفة ما وراء الحسن مخدوع وذلك استدراج له ، ولا فرق بين الصوفي الذي قصد بالعبادة معرفة زمن موت زيد وحياة عمرو وبين محضر الأرواح الذي يقصد أمثال ذلك

- والفريقان اذا قصدا رقى الانسانية بالعلوم العاتة فهما ممدوحان
تفسير الآيات من قوله تعالى - فاستفتحهم أهم أشد خلقا - الى قوله - إلا عباد الله المخلصين -
- ١٤ ﴿ وصف أهل الجنة ﴾ ما كلهم ومجالسهم وشراهم ونساؤهم ، وحديث أهل الجنة
- ١٥ جوهرية في قوله تعالى - إنا زينا السماء الدنيا - الخ والكلام على الهجرة ومركز الكائنات ، وبيان رأى الدكتور (شابلي) الأمريكى وهو أن الكون لا فراغ فيه وأن الشمس لانهاية لعددها وأن بعض المجرات يصل ما بين طرفيها الى ما يزيد على ألوف الملايين من السنين التوربية ، وأن نظامنا الشمسى مع مجرتنا كرة واحدة تدور بسرعة (٢٠٠) ميل فى الثانية كما تدور الأرض حول نفسها ولا يتم دورته فى أقل من (٣٠٠) مليون سنة والمسافة التى تجتازها الهجرة تبلغ نحو ١٦٠ مليون مليون ميل و٨٩٢ ألف ميل ، وكرتنا الأرضية كطفل حديث الولادة فى الأجرام الفلكية ، ومركز الكائنات نقطة بين العقرب والحية والراى ، وهذه النقطة تبعد عن أرضنا بنحو (٥٠) ألف سنة نورية وعدد نجوم مجرتنا يبلغ عشرة آلاف مليون نجم والمركز المنتقم حوله (١٠٠) مليون نجم من هذه الملايين وتخانه الهجرة تبلغ نحو (٥٥) ألف سنة نورية
- ١٧ ولكل كوكب حد لا يتعداه والنجم السمى (منكب الجوزاء) شمس تسارى (٢٥) مليون شمس كشمسنا ، وقد عرف الناس مجرات كثيرة بواسطة التلسكوب ، ومتى أنشئ تلسكوب مرصد (مونت ويلسون) الجديد الذى يبلغ قطر عدسته (٢٠٠) بوصة فسيرى الناس عجائب كثيرة ولو أصيبت مجرتنا بكواكبها البالغة (١٠) آلاف مليون كوكب أصبح أقرب المجرات اليها لا يعرف هذه الاصابة إلا بعد مئات الألوف من السنين لأن الضوء يظل متصلا تلك المدة لشدة البعد ، واذا كانت الهجرة يومها (٣٠٠) مليون سنة ، فمسألة خلق العوالم فى ستة أيام أصبحت سهلة جدا ، واذن اليوم عند ربك يكون ألف سنة و٥٠٠٠ سنة و٣٠٠ مليون سنة وأكثر من ذلك وأقل إذن أسرار القرآن ظهرت فى هذا الزمان
- ١٩ ﴿ الفصل الثالث ﴾ فى قصص الأنبياء من قوله تعالى - ولقد نادانا نوح - الى قوله - ففتحناهم الى حين - كتب مشكلا
- ٢٠ التفسير اللفظى لقصة نوح وابراهيم وموسى وهرون والياس ولوط ويونس
- ٢٣ أقوال التواراة فى مسألة يونس ، وبيان الكلام على يونس وابراهيم وأن الأول نجل والثانى صبر
- ﴿ الفصل الرابع ﴾ من قوله تعالى - فاستفتحهم - الى آخر السورة
- التفسير اللفظى لهذا الفصل
- ٢٥ ﴿ لطيفة ﴾ فى آية - إنا زينا السماء الدنيا - الخ وخواطر المؤلف فى ذلك . وبيان أن الانسان حين يرى الكواكب تكون له حال من أربع (١) إما أن يرى يبصره فقط (٢) أو يحس مع ذلك بالجمال (٣) أو يفكر فى بدائع الحساب والنظام (٤) أو يفكر فى صفات الذى أبدعها ويستغرق فى حبه ، وكل مرتبة تتوقف على ما قبلها ، فالأولون جميع ، والآخرون هم الأعلون ، والثالث والرابع متوسطون
- ٢٧ وكما أن الناس اذا نظروا الكواكب لهم هذه السرجات الأربع هكذا الذين يقرؤن القرآن لهم هذه السرجات (١) فمنهم من يكتبنى بالألفاظ (٢) ومنهم من يكتبنى بالبلاغة (٣) ومنهم من يزيد فيعرف العلوم الكونية (٤) ومنهم من يفكر فى صفات خالق العالم ، ونظرات الفلاسفة على هذا النمط ، فطالبس المالى وديموقراطيس (١) كالفرقى الأول وقفوا عند المادة وقالوا : « أصل العالم الهواء أو الماء الخ » ثم

جاء السوفسطائية (٢) فتجبروا (٣) ثم جاء فيثاغورس وأنبذ قلس . فقال الأول : « أصل العالم الحساب » وقال الثاني : « أصل العالم المحبة والنفور » (٤) وجاء آخرون وهم أنكساغورس وسقراط وأفلاطون فقالوا : « للحساب حاسب ، فالعالم له إله أبدعه » وهذه الدرجات الأربع لا يشذ عنها عالم في عصرنا الحاضر . فكل المتعلمين في المدارس المتجبرين هم من الفريق الثاني ، وكل من يقولون « إن الإله موجود ولكنه رك العالم » فهذا مثل أنكساغورس لأنه أثبت الإله ولكنه يقول إنه ترك المادة أما سقراط ومن بعده فاتهم يقولون : « إن الله يعلم كل جزئي وكلّي »

٢٨ وهذه النظرات الأربع لها نظائر في نظرات الخليل الأربعة : للكوكب والقمر والشمس ثم وجهه وجهه لله . فهذه أربع مراتب ماقبلها . وههنا بيان أن هذه النظرات الأربع عند كل الأمم تتأبجها أن تكون جزاء للمحسنين ، وهل جزاء المحسنين إلا الفرح بمعرفة الحقائق الكلية وعجائب المصنوعات تفصيلا فلا يقف الانسان عند الاجال ، ولا يجعل عقله موقوفا على الامور الجزئية فهي باب الضلال والحيرة كأن يرى الذكي فقيرا والغبى غنيا وهكذا ، وكأن يدهش إذ يرى القيل وهو كبير له أربع قوائم ، والبقي وهو صغير له ستة أرجل وجناحان فتكون هناك الحيرة ، فهذه الامور من لم يكن مرتاضا بالعلوم حيرته فأصلته ، ولكن السعيد من يزداد بصيرة بمعرفة العجائب تفصيلا

٣٠ وهنا حكايات قصص للعامة فتنتفعهم إذ يحجزوا عن ادراك الحقائق الحكمية ، فيذكر لهم قصة ذلك الفارس الذي شرب من ماء العين ونسى صرته فيها دراهم وجاء بعده راعى غنم فأخذ الصرّة وجاء بعده رجل حطاب مقوس الظهر يحمل حزمة حطب غطها واستلقى بجاء الفارس فسأله عن الكيس وهو لا يعلم له به فقال لا أعلمه فقتله ، ثم ظهر بعد ذلك أن أبا الشيخ الحطاب قتل أبا الفارس وكان على أبي الفارس دين لأبي الراعي بمقدار ماني الكيس ، وهكذا حكاية النبي الذي رأى غلاما مكفوفا والصبيان يفوّصونه في الماء فدعا الله فردّه بصره فلما أبصر أفرق حالا أحد الصبيان وطلب غيره فهرب الباقون فعرف الحكمة وطلب من الله أن يرجعه كما كان ، ومن ذلك حديث الخضر وموسى في القرآن وبالاختصار :

(١) إن النظر في العوالم يقرّبنا من الله

(٢) وأن النظر في الامور الجزئية يجعلنا في شكوك

(٣) وأن العلماء المفكرين يحصل لهم يقين وهو نفس السعادة أما العامة فكفاهم حكايات كما تقدم

٣١ (اللطيفة الثانية) في آية - إنا زينا السماء الدنيا - الخ . اذا كنا نسمع سقراط وأفلاطون ومن نحا نحوهما يقولون : « إن المادة لاتصلح مناطا للعلم لسرعة تغيرها ولا يصح أن تسمى موجودة إذ لا معنى لما هو متغير ، ونرى أرسطاطاليس يقول لهما : « نعم المادة لاتصلح مناطا للعلم » ولكن المشل الأفلاطونية التي جعلها أفلاطون مناط العلم لاتصلح لذلك لأنها لا دليل على وجودها ، فهكذا هنا نحن نقول : إن ما هو متغير لا يصلح مناطا للسرور والفرح ، وجميع الزينة على الأرض قسمان : طبيعية كالأزهار والأشجار ، وصناعية كالزينات المنصوبات في الولايم وما أشبهها ، والعامة أكثر فرحا بالصناعية منهم بالطبيعية لأن الصناعية فعل مخلوق مثلهم والطبيعية فعل الله ، أما زينة السماء فأكثر الناس عنها غافلون ذلك لأن أكثر الناس مغمورون في الشهوات من النساء والبنين الخ فليس عندهم وقت للتفكير في مثل هذه العوالم العجيبة ، وأما زينة بعض الملوك والأمراء ونحوهم فهي على قدر عقولهم فتبهرهم . فهؤلاء كالشياطين الذين جاء فيهم - وحفظناها من كل شيطان رجيم - الخ وانما حرموا لضعف بصائرهم . فالجهال كالسفهاء في آية - ولاتؤتوا السفهاء أموالكم -

٣٤ بهجة العلم في آية - إنا زينا السماء الدنيا - الخ . في ليلة ١٩ يوليو سنة ١٩٣٠ بت مع الفلاحين في القرية وقد شاهدت المجرمة . ولما طلع الفجر خيل لي أن هنا ستارا أسدل على النجوم وعلى الزرقة السماوية . وهذا الستار لاهومن قطن ولاصوف الخ بل هونسيج أدبجت فيه الصفرة والخضرة والمجرة الى آخر الألوان السبعة . وما هذا النسيج في مادة بل هو حركات في الأثير . فهذه الحركات بانتظامها صارت ستارا مكوثنا من سبعة ألوان فصار أبيض وحجب تلك الجوانب الليلية . وههنا فصول متعاقبة من الليل والنهار تشابه الفصول المتعاقبة في النفوس الانسانية التي تنام فترى صوراً في الأحلام عجيبة . فإذا أغمص الانسان عينيه رأى صوراً عجيبة في الأحلام هكذا اذا جنّ الظلام رأى في السماء صوراً عجيبة . واذا استيقظ ذهبت تلك الصور الخلفية . هكذا اذا طلع الفجر غابت تلك الصور السماوية . ولقد قلد الناس في دور التمثيل صنع ربههم . فهم اذا أرادوا اظهار صور عجيبة تسرّ الناس أطفؤا المصابيح وأظهروا تلك الصور التمثيلية . فاذا أتموا عملهم أضأوا المصابيح فرأى الناس بعضهم بعضاً كما يحصل نظيره اذا طلع النهار . هذا تقليد الناس لفعل ربههم في صنعه الليل والنهار . ولقد قلدوا حيوانات كثيرة . قلدوا الجرذان في الحياة تحت الأرض والظباء في الحياة في الأدواح واتخذوا يوناناً كما اتخذت النمل وهكذا . ولقد كان نسيج الصباح جبلاً مصنوعاً من الحركات البدئية لأنه نسيج اللطيف الخبير الذي جعل نسيجه فيها هولاً لطيف . فأما الانسان فنسيجه في المادة وهي غليظة

٣٦ نظر المؤلف في المزرعة إذ تبدت الزهراء المختلفة وهن ذوات ألوان بهجات وقال كأنهن ينظرن الى كما كنت أتخيل النجوم تفعل ذلك ليلاً وآنت القطن قد بدا من أكامه وخيلت لي الدنيا كأنها عروس بهجة جميلة قد ازيفت لناظرين والزهرات وامامها يسلمن عليّ وهن باسمات محليات بأقراط من الماس من الندى فلم أتمالك نفسي أن قلت : « يا الله . أفجع هذا الجمال كله يكون خوفاً منك ؟ فمن جهل هذا فهو أحق بالخوف منك . أما الحكيم فمن حقه أن يفرح بك ،

الجاهل زين الله له شهواته والحكيم زين له السماء والطبيعة . إحساس المؤلف بأن قرء هذا التفسير لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة بالمسرات بجمال هذه الدنيا وأكثر الناس يموتون ولا يفهمون هذا الجمال . إذن الدنيا ازيفت لهذه الطيقة وأمثالها وسواهم جميع الهمج

٣٧ ما حقيقة السموات ؟ وهل للنور وزن ؟ واذا كان النور يبقى طويلاً ؟ أفليست الأرواح أولى بذلك اللوام . أدلة التعماء والمحدثين على أن للسماء وجوداً . فالأولون استعملوا بالنور والظلمة فهما عرضان كما بجوهر أوجوهان . إذن هما موجودان . والمحدثون قالوا انها موجودة لأن الأثير الذي تخيلناه بحمل انتقال هذه الكواكب التي لاحد لها بل ان كثافة المليمتر الواحد من هذا الأثير الذي تخيلناه لانتقص عن (٢٢) ألف قنطار وهذه لانظير لثقلها في المادة . إذن ظهر سر آية - وبيننا فوقكم سبعة شدادا - وههنا بيان الأوصاف التسعة للأثير من كونه شفافاً كثيفاً مرناً لاحتارة له ولاصوت وفيه الجاذبية بقسميها وههنا ذكر آراء (نيوتن) فيه انه أشبه بالحبل وهو يحسن القائل انه ذرات الخ وفرنل الفرنسي وكوتنفي وجورج توكس وماكسول واماوين واينشتين . وبيان أن النور الخارج من الشمس في الثانية ٤ ملايين طونولاته . ذلك انهم وجدوا أن الأشعة الكاشفة المنبعثة من جهاز قوته (٥٠) حصاناً في مدة (١٠٠) سنة لا تبلغ أكثر من جزء من عشرين من الأوقية . ولو كان هذا المقدار من تراب الأرض لأقيم به عمود قاعدته (١٠) بردات مربعة وارتفاعه ربع ميل . وهذا المقدار أيضاً يحتاج في حمله الى ١٠٠٠٠٠ قطار في كل ثانية وكل واحد منها يحمل (٤٠٠) طونولاته . هذا ولاجزم أن الضوء نراه بعد مئات

الملايين من ابتداء خروجه من كوكبه . فاذا كانت هذه حال الضوء فالأرواح بقاؤها من باب أولى فهو دليل على الحياة الأخرى بطريق قياس التمثيل

٤١ و ذكر أن المؤلف نام ليلا في الحقل في أواخر يوليو سنة ١٩٣٠ واستيقظ قبل الفجر ورأى الكواكب بهيئة لم يعدها في المدن ولا في القرية التي ولد فيها لأن هيئة النجوم في جهات الجبال والصحارى غيرها في المدن وبلاد الريف وهبت النسائم واضطربت بحسب منظر العين تلك المصايح وهن راقصات مستبشرات ، ورأى الدرمان والثريا والمطعة والمنعة ونجوم الجبار

٤٣ امتحان عقول الناظرين من الأمم في الأرض :

(١) فالبدوي تخيل القمر رجلا والثريا امرأة وقد طلبها للزواج فأبت فأرسل اليها الدرمان ليقتحم لها مهرا وهو الكواكب السبعة اللاتي تشبه شكل الدال فهو أبدا يسوق الغنم لها وهي أبدا لاتقف ولا ترضى

(٢) والعاشق العربي تخيل الليل خيمة جعلته ومعشوقته سلمى

(٣) والعاشق الاسلامي يخاطب الليل متخيلا انه كافر وانه هو يجاهد ذلك الكافر ويوازن بين محبوبته وبين البدر ويفضل محبوبته على البدر

(٤) والشاعر الذي وقف يباب الأمير يستجديه لتأخر الأمم الاسلامية في القرون المتأخرة بتخيل

الجوزاء المتقدمة واقفة أمام الملك أو الأمير وهي ذات نطق ، وبيان ما قاله (سدبو الفرنسي) من أن شعراء الاسلام يساؤون في العدد شعراء الأمم والأندلسيون لما أغرموا بالشعر نسوا عقولهم ودينهم ووطنهم فطردوا من البلاد وهذا قوله تعالى - والشعراء يتبعهم الغاؤون - الخ وبيان أن الشاعر العربي كان يتغزل في محبوبته فلا يذكر اسمها غالبا وشعراء الجاهلية يعدون على الأصابع وفي العصر الأموي كانوا أضعافهم ، وهناك كثير الغزل والتشبيب لاسيا في المدينة التي غمر معاوية أبناء الصحابة القاطنين بها بالمال فكثرت القصف والغناء لوفرة المال وكثرة السبايا والمحظيات من الجوارى المسييات في الحروب فهؤلاء أصبحوا مغرمين بزينة الشهوات لا بزينة السماء المذكورة في هذه الآيات فقد زينا الله للناظرين وأكثر هؤلاء ينظرون الشهوات ، وقد منع الخلفاء الراشدون التشبيب وانغمس المسلمون بعدهم في الشهوات ، وكتاب الأغاني أكبر مفسدة اسلامية

٤٥ نداء المؤلف لامم الاسلام يذكرهم بأن أبناءهم أمانة في أيديهم فليرفعوا عنهم الشعر المهيج للشهوات في شباهم وليقتصروا على شعر الحماسة والأدب والنخوة والشرف كقول عمرو بن كلثوم :

إذا ما الملك سام الناس خسفا * أينما أن تقرر الدال فينا

وليعرفوهم الزينة السماوية والأرضية وهما يشملان جميع العلوم فإن الله ابتلى أهل الأرض بالزينة . فالغافلون من المسلمين وغيرهم زينت لهم الشهوات كالبهايم والشعراء ونحوهم والخواص زينت لهم الطبيعة من سموات وأرضين والقرنجة عرفوا قيمة هذه الزينة فأذلوا المسلمين لأنهم لم يفهموا في هذه القرون - وزيناها للناظرين -

٤٦ بيان أن العلم جنة العارفين وأن الاقتصار على الجنة الحسية انما يكون عند الجاهلين . ولا جرم أن لذات العقول أرقى من لذات الأجسام . وبيان مراتب الناس في اللذات . وبيان أن الشجاعة والحب صفتان بهما سعادة الانسان في هذه الحياة ومن لم يعرف العجائب لا يدخل الحب قلبه . ولئمة معرفة العجائب فوق اللذة الضمنية والشهوية بمالاحد له وكلما ازداد العارف علما ازداد لذة . و ذكر كلام الامام الغزالي

في سبب تفاوت الناس في الحب . وبيان أن الجمال في هذه الجباب السماوية والأرضية لاحد له والانسان يدركه وهو صغير فيعناده فلا يفهم له معنى وهكذا يدوم على ذلك حتى يموت وهو لا يعقله ، فأما المفكر فإنه يقول في نفسه : وإن أعضاء جسمي مدهشة بديعة التركيب وهكذا روحي وكل موجود في الأرض وفي السماء ولكن هذه الدلائل لاحد لها فصارت كالشمس والشمس تبهر العيون فهكذا هذه الجباب بهرت بصيرتي فنجرت عن الادراك ولولا أن الثور يخشى بغميب الشمس ما أدركنا أن ههنا نورا ولكن السر الإلهي لم يغب عن الوجود لحظة . فالنور عرف بضده وهذه الشواهد لم تفقدها لحظة فكيف نعرفها كما عرفنا النور بالظلام أي بضده

٥٠ (زيرجدة) في قوله تعالى - فأتبعه شهاب ثاقب - والكلام على حوادث كرة الأثر من الشهب السافطة واقتضاض الكواكب وذوات الأذنان . وبيان آراء القدماء الذين وصفوا هذه الشهب بأنها أعمدة مخروطة قاعدتها نلى كرة النار (التي كانوا يعتقدونها تابعين علماء اليونان) ومخروطها يلي وجه الأرض وهي في زعمهم دخان يابس خارج من الأرض اشتمل هناك ثم انطلقا كالسراج المشتعل بالنفط مستديان على انه دخان بأنه يظهر أيام الجنب أكثر ومثلوا لها بالكرة التي يلعب بها أصحاب الخيالات المجهونة من سندروس وعقاقير أخرى ويضعونها في أفواههم ويرقصون بها . ويقول علماء العصر الحاضر . كلا . ثم كلا . إنما الشهب أجسام صغيرة لاتزيد الواحدة منها عن حجم البلاطة وهي تدور مع كثرتها حول الشمس في كل (٣٣) سنة مرة واحدة ولا حصر بعددها وقطر المسيات منها بالأسديات (١٠٠٠٠٠) ميل أو أكثر والذي يخرق جونا ونعرفه منها في كل سنة (١٥٠) مليوناً وآلاف آلاف منها تصيب أرضنا وتبقى فيها . هذه هي الشهب . أما الكرات النارية فهي تظهر وتختفي بسرعة ولكنها أبطأ من الشهب وهي تتمزق بالقرب من الأرض وفي تركيبها الحديد والسليس والميزيا والنيكل وغيرها وأعلى ارتفاعها (٢٠٠) كيلو وهي قطع صغيرة اذا قربت من الأرض جذبتها وهي المسماة بالحجارة الجوية . وههنا أوضح المؤلف الفرق بين ما زعمه القدماء وبين ما حققه المحدثون . هذا ما جاء من جهة العلم . أما من جهة الدين فإن الأرواح الشيطانية تعيش في هذا الجو ونحوه وهذه الكرات والنيازك تنفص عليها حياتها فلا تفكر في الحقائق والمعارف . وتصرف عنها وتحفظ السماء منها كما تصرف العلوم عن النفوس الانسانية المجسمة الشيطانية سواء بسواء وهذا بعض عذاب البرزخ وناره

٥٤ (اللطيفة الثانية) في قوله تعالى - احشروا الذين ظلموا وأزواجهم - وبيان أن الناس قسمان : عالم وجاهل . فالجهال كالنود والحكام على نقيضهم . وكل فريق لا يعيش إلا مع مثله . والمسيح مسيحيان مسيح صادق وهو معروف . ومسيح كاذب . ويرمز بهذا الشكل الأمم والأفراد المضلين الذين يظهرون الصلاح ويضمرون الفس كمن يعمل دولة أوروية ببلاد المغرب وكما قاله هفري الفرنسى . إن الحجر جلبتها أوروبا للجزائر تلك المسلمين بها فنعهم الدين . فأمثال هذه الأمم المقصودون على طريق الرمز بالمسيح الدجال وهم الذين سهلوا دخول المخدرات بلادنا . والذي كشف هذا رجل انجليزى وهو الحكمدار بمصر فكتشف أن الكوكابين والهرورين يسممان الأجسام . وقد جمع الشرطة (٢٥٠) رجلا من هؤلاء المدمنين . وههنا قصص النجار الذي ابتلى بهذه المخدرات وطلب من امرأته أن تبيع عرضها وأجر ابنته في المنازل للخدمة

٥٧ صور هؤلاء المدمنين (شكل ١) وههنا أظهر الحكمدار (رسل باشا) أن هذا الداء انتشر بين الفلاحين وعاب أوروبا على انها أهلكت مصر بهذا ومن تلك الدول المهلكة لمصر سويسرا وألمانيا وفرنسا

وايطاليا واليونان ونحوها . هذا كله من تفسير قوله تعالى - احشروا الذين ظلموا وأزواجهم - فهؤلاء احشروا معا في السجون وصوّروا بالتصوير الشمسي ، فكل طائفة لا تحشر أفرادها إلا مع أمثالهم والذي حشرهم هم الدجالون الاوروبيون المستعمرون أولا والصانعون لهذه المخترات

٥٩ بيان السبب في انتشار المخترات بمصر وهو الجهل الذي فشا بين أهل الأندلس المسلمين قديما فشتت شملهم حين اتفق الصليبيون على محاربة العرب بالخر واحتقار الدين وبث حب الشهوات والاستدانة بالربا وفرح الملوك بها وخالفهم رجل منهم فلم يعبوا به ، فانشرت الموبقات وطرد المسلمون من هناك ، وهاهم أولا يطاردون المسلمون في الشرق ، فهم أتباع المسيح الدجال فعلا ، ألم يقم راهب اسباني فيسقى أبناء المسلمين تلاميذه الخمر بعد أن عصر عنب قرطبة كلها فجعله خرا

٦١ ذكر اعتراض على المؤلف بأن هذا خارج عن الآية لأنها في الآخرة وجوابه بأن الآية تشمل هذا كما كان يفهم الصحابة ، ألم يستشهد عمر للربيع بن زياد لما قال له : أريد لك طعاما ألين من هذا بآية - أذهبتم طبيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها - فلم يقصرها على الكفار وان كانت واردة فيهم

٦٢ الكلام على آية - وقفوهم انهم مسؤولون - الخ وخطاب من المؤلف للأئمة الاسلامية ومنها بلاده المصرية يقول لهم : وكفوا عن الجلوس في محال الفرنجة المعدت للشراب حتى القهوة ورقوا تجارة الأوطان واستغنوا بها عن تجارة الأجانب ، ثم ذكرهم بما فعله البابا برومه وبارونات أوروبا من إشاعة الفسوق وإذاعة الخمر في المسلمين ليدلوهم وانهم بغير هذا لا يذلون ، فلما أخضعوا الأندلس أخذوا يخضعون شمال افريقيا كصرتونس والجزائر ومراكش ، ويان أن أجسام الشريكين قوية وهكذا عقولهم ولكنها متروكة ، الأطباء في أوروبا درسوا الماء والهواء والنبات وكل شئ ولا أطباء في الاسلام إلا قليلا . سواس أوروبا بأخذوا يفرقون بين أمراء الجزيرة ، فهؤلاء أتباع المسيح الدجال لأنهم يظهرون الخمر ويبطنون الغدر ، يطلب المؤلف استخراج كل قوة من قوى الشعب وكل قوة من قوى المادة في بلاد الاسلام

٦٥ (اللطيفة الرابعة) في قوله تعالى - إني كان لي قرين - وذكر مسألة من المسائل التي جددت عليها العقول ثم ظهر خطؤها بالخروج عن التقاليد ، فهذه الصخور المعدنية لما قال بعض العلماء انها أجرام سماوية ردت عليه كثير منهم (لافوازيه) المشهور مدعيا أن هذا ينافي الجاذبية ولكن كروا الأعوام كذبتة هكذا كتاب أصل الأنواع لداروين قاومه العلماء ثم جددت عزائمهم ، وباستور كاشف المكروبات لما طعن عليه العلماء أولا ثم خضعوا له أخرا . ونظرة دوران الأرض حول الشمس أزالا النظرية العكسية التي شاعت قبلها

٦٨ (تفسير سورة ص) وهي (ثلاثة فصول في الفصل الأول) في تفسير البسملة والكلام على أن لفظ الجلالة تلحظ فيه الذات الواجب الوجود . فأما الرحمن والرحيم فالملحوظ فيهما الكثرة في المخلوقات ونحن نرى الوحدة في جسم الانسان وروحه . والكثرة قد تجلت في الأعضاء والحواس . فالأعضاء منها ماهو للبطن وما هو للحص . وما للحص قد قسمت العوالم عليه من المعوسات والمشمومات والمذوقات والأنوان والأصوات . والذي للحركة مقسم على الأعمال لأنها إما أعمال اتقالية وأما أعمال صناعية فالرجلان للانتقال واليدان للصناعات . ثم ان الحواس ابتدعت لاجتلاب صور الموجودات التي في الخارج الى الذهن فلا يزال يستحضرها وقتا بعد وقت حتى يعرف العوالم اجالا ويصل في العلم الى أقصاه ثم يستعين بالمنظير المعظمة والمقرّبة لترية بقية العلم وهكذا يستعمل البراهين العقلية . إذن العقل استخدم الحواس واستخدم الآلات لأجل المعرفة والعلم . وكما استخدم الآلات البصرية لمساعدة البصر وعلم المنطق لمساعدة البصيرة

استخدم القطرات والسفن البرية والبحرية لمساعدة الرجلين في الانتقال من مكان الى مكان واستخدم
 أيضا الآلات المختلفة في الصناعات لمساعدة اليدين ، ثم انه رأى له رأسا وعينين وثلاث مفاصل في اليد
 الواحدة وأربعة أعضاء باطشة وخمس حواس ، وأصابع اليدين خمس أيضا ، فهناك استعمل الأعداد
 لضبط العلوم لأن المادة لا يضبطها إلا العدد والعدد قد استنتجه من أعضاء جسمه ، فاليدان لها عشرة
 أصابع واستمر في الزيادة (٢٠) و (٣٠) الى الآلاف وآلاف الآلاف ، ذلك كله لكبح جماح المادة
 ٧٠ وما الهندسة إلا نظام للقادير المتصلة كما ان الحساب نظام المقادير المنفصلة . الانسان ابتدع نوعين من الصور
 نوع له صور في الخارج وهي العلوم الطبيعية . ونوع لا وجود له في الخارج وهي العلوم الرياضية . الانسان
 عالم بديع . فهو باليدين والرجلين تنقل في الأرض وصورها مادبة وأثر فيها بأنواع الحرف والحواس
 أصدر صوراً معنوية للمادة . فألات البطش خدمت الجسم بصور المادة نفسها وآلات الحس خدمت
 العقل بصور مخترعة على مثال صور المادة المجسمة وهو من جهة واحد ومن جهة كثير . هنالك بحث فيما
 وراء المادة هذا الانسان الذي تصرف في المادة بالصناعة العملية وتصرف فيها بعد ذلك بالعدد
 والهندسة فضبطها بصور ذهنية قال أنا واحد وقد حكمت على المادة ظاهرها وباطنها وروحى هي التي حافظت
 على كثرتي فجعلت لها وحدة ، إذن هذا العالم كثرة لا بد لها من وحدة تجمعها حكيم الأكبر حكيم
 الأصغر على قياس التمثيل ولكنه لم يقل ذلك إلا بعد أن تصور للاله صوراً شتى اخترعها بلا قانون يضبط
 تصوره من فيل وحية وبقرة وهكذا والعوام يصدقون والحواص يرمزون

٧٢ سياسة الأمم تتبع عقائدها ، فكما ضبط الانسان المادة بالعلوم الرياضية حفظت كثرتها هكذا يضبط كثرة
 أمته بوحدة العقيدة كاحصل أيام النبوة إذ جعلت العقيدة أشد العرب المفترقين عقيدة ولبست وحدة
 الدين بمجديدة اذا بقيت في القلب ولم تكن لها آثار في الخارج باجتماع الصلوات والأعياد وعبادة المرضى
 والاتحاد في الصيام والحج وإغاثة الفقراء بالزكاة . فالعرب اجتمعوا بالدين لما فعلوا ذلك وتفرقوا لما
 أصبحت العقيدة خالية من العمل . واجتماع الأمة يتوقف على هذه الأحوال وجامعة العصبية النسبية
 والوطنية واللغة والمالك الجامع والاستعداد والمعاهدة كلها تؤدى المقصود اذا قويت بالأعمال فاذا أهملت
 الأعمال تفرقت الأمم . واليابان عابدة الأصنام اجتمعت باللغة والوطن وهكذا . والعرب في مصر والعراق
 والحجاز وشمال افريقيا لم يفتدوا الدين بالاجتماعات ولا اللغة ولا النسب ولا المجاورة فهم متفرقون حتى يفعلوا
 ذلك . الأمم عمياء اذا لم تجتمع لايدين ولا بنسب الخ . عوراء اذا اجتمعت بوحدة من هذه الخصال
 وكرهت بقية الأمم . مبصرة اذا اجتمع الناس كلهم . فأتم الأرض أكثرهم عور وكثير من أم الشرق
 عمى لأنهم لم يصلوا للعور

٧٥ سورة ص فيها وحدة باعتبار أن أمثال مصائب أيوب ونم داود وسليمان ترجع كلها الى الابتلاء فالناس
 يتلون بالتم والنقم فهنا وحدة في نفس السورة

٧٦ (سورة ص) مكتوبة مشكلة كلها

٧٨ تفسيرها اللفظي

٨١ تفسير قصة سليمان . فتنة سليمان عليه السلام

٨٢ تفسير قصة أيوب . وصف الجنة

٨٣ تفسير وصف جهنم وقصة آدم عليه السلام

٨٤ (الفصل الثالث) في مقصود السورة . السورة مبدوءة بحرف ص وملخص ما فيها يرجع للبصر الذي

أول حروف ص :

- (١) صبر الكفار على آلهتهم
 (٢) فليصبر النبي ﷺ على ما يصيبه - واصبر على ما يقولون -
 (٣) - إنا وجدناه صابرا -
 (٤) لم يصبر داود في مسألة الخصم حتى يسمع كلام الخصم الآخر
 (٥) وهكذا سليمان نجمل ولم يقل إن شاء الله
 (٦) يظن الكافران السموات والأرض خلقت باطلا وذلك لعدم صبره على البحث في هذا الوجود
 (٧) والصبر حتم على من منح النعماء كما انه حتم على من أصابه البلاء كسليمان وأيوب
- ٨٦ - ولتعلق نبأه بعد حين - . من أنباء القرآن اليوم أن أتباعه (٣٥٠) مليون ، ومنها أن العالم الحديثة طابقت مثل كون الأرواح أحياء بعد الموت ، فمن كانت أرضية الأخلاق كانت أقرب الى الأرض ، ومن كانت أغزر علما وأصفي أخلاقا كانت في عوالم أعلى ، ومن يجب أن المؤلف رأى رؤيا كانت هي سبب قراءته علوم الفلسفة ، ذلك انه رأى وهو في شبابه في المنام أن قائلا يقول له وهو في مقبرة قريبته في الفلاحين : « انظر هذه هي الروح ، فرأها أشبه بكرة بيضاء ، قليلا ، ولما أصبح وقع في يده كتاب ابن مسكويه فرأى أول عبارة فيه الاستدلال على بقاء النفس » ثم وجد أن آراء الفلاسفة كلها على نطم ما رآه ، فتنفس التي تميل للذات تنجذب للأرض وضدها تميل للعالم الأعلى ، عواطف المحبة والبغضاء لها سوائل روحانية تميزها الأرواح ، الأخلاق النامية تأذى بها الروح عقابا لها ، المغرمون بالمال يألمون لفراقه ، السفاكون والقتلى تطاردهم أشباح من قتلهم في البرزخ ، هناك للأرواح ألحان وأناشيد ، فهذه كلها أشبه بتفصيل لرؤيا المؤلف وموافقة للقرآن لأن القبر إما روضة أو حفرة الخ
- ٨٨ لا عمل يتم خيرا أو شرا إلا بالصبر ، فالكفار صبروا على الكفر والمؤمنون صبروا على الإيمان ، الألم روحى وجسمى فالأول لموسى وداود وسليمان والثانى لإبراهيم واسحق وأسماعيل ، التدم مظهر من مظاهر ارتقاء النفس
- ٨٩ تطبيق ذلك على نبينا ﷺ . معنى - وليتذكر أولوا الأبواب - وأن هناك رابطة وثيقة بين أنواع الصبر المتقدمة وبين صبر القضاة العشرة الآتى ذكرهم ، الأترى الى محمد بن عمران كيف صبر على أن يستعدى على أمير المؤمنين المنصور ويقضى عليه للجمالين ، وهكذا عاقبة بن يزيد القاضى الذى قدم استقالته للمهدى قائلا : « إن أحد الخصمين أحضر لي رطبا فلم أقبله فمال قلبي له وقت الحكم فعلت أتى لا أصلح للقضاء » وشريك بن عبد الله قاضى الكوفة إذ ظلم الأمير موسى ابن عيسى ابن عم أمير المؤمنين المهدي امرأة إذ خلط نخل بستانها بنخل بستانه فاستغاث بالقاضى فأمر بحضوره فأبى وأرسل العظماء للقاضى واحدا بعد الآخر يفهمه أن حضوره لا يلبق فحبسهم واحدا بعد الآخر ، وأخيرا حضر الأمير وأطلقهم من السجن فهم شريك أن يرحل الى بغداد ويقابل المهدي ففزع الأمير موسى وسلم للمرأة ماطلبت وانتهى الأمر
- ٩١ ولقد أرسلت الخيزران نصرانيا من أتباعها الى الكوفة فأخذ رجلا وكنتفه وأهانته فاستغاث بالقاضى فافتص شريك من النصراني ولم يبال بأن الخيزران هي التي أرسلته
- ٩٢ وعبيد بن ظبيان قاضى الرشيد بالرقعة جاءه رجل فاستعدى على الأمير عيسى بن جعفر وكان له عليه (٥٠٠) ألف درهم فأرسل اليه ثلاث مرات فلم يحضر فأبلغ القاضى الخبر الى أمير المؤمنين هرون الرشيد

فأرسل الجند وحاصروا دار ابن عمه فسلم الأمر للقاضي وأعطى الرجل حقه . وعمر بن حبيب القاضي إذ حضر في مجلس الرشيد ومال الخليفة الى أن أبا هريرة منهم في الحديث فردّ عليه القاضي ، فلما انصرف القوم بعث في طلبه مأمورا أن يحضر الكفن معه لأنه لا محالة ميت ، فلما أبان للخليفة أن اتهام أبي هريرة بجرم الى ضياع الشريعة أنتم عليه . وحض القاضي الذي حضر لديه رجل من أهل خراسان قد كان باع جالا لمرزبان وكيل أم جعفر بثلاثين ألف درهم فحضر عند حفص وأقرّ بالمبلغ فقال الرجل يعطيني مالي والا الحبس فقال الرجل الدين على السيدة أم جعفر فقال له القاضي يا مجوسى قرّ ثم تدعى انه لأم جعفر فحبسه فبعثت أم جعفر فأطلقته فتوجه المجوسى الى أم جعفر ورجاها أن ترجعه الى السجن وتكلم الخليفة الرشيد ففعلت فأرسل الرشيد خطابا فلم يقرأه حتى أخذ الحكم فعلم الرشيد فأعطاه (٣٠) ألف درهم

٩٤ القاضي أبو حازم أرسل له المعتضد يطلب منه أن يعطيه نصيبا من مال رجل أفلس فطلب منه البيضة فذكر رجلا فقال ابحث عنهم نخاف الشهود أن يردّ شهادتهم . أبو حازم عبد الحميد القاضي كان متوليا وقت الحسن بن سهل وقد كان المعتضد أخذ من هذا الوقت شيئا أدخله في قصره ، فلما أراد قسمته على مستحقيه قال له القاضي خذ ما على أمير المؤمنين وأرسله اليه ليأخذ المال منه ففكر ساعة ثم أعطاه ومدحه . واسماعيل القاضي أرسل المعتضد له أن يرفع الحجر عن يتيم وهذا اليتيم أمه كانت في دار الخليفة ، فلما سأل عنه وجده لا يصلح للتصرف فأرسل الى الأمير كتابا فيه مانعه : « - ياد اود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق - »

٩٥ فهؤلاء عشرة قضاة وهذه أوصافهم فأخذت أفكر في مناسبة آية - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما باطلا - آية - ياد اود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق - فرأيت مما في الأرض عالم النبات ويدخل في أغذيته هذه الثمانية الكبرى والحديد وهكذا ، وإذا نقص البوتاسيوم من غذاء النبات كان قصيرا جدا كالقدي في (شكل ٢) وهكذا كل عنصر نقص من غذاء النبات تجرد النبات نقص نموه بمقداره بحيث لا نجد هناك اختلالا ، إذن أبو حازم واسماعيل وعبيد بن طبيان وشريك ونحوهم لم يفعلوا إلا تقليد ما فعله الله في النبات من العدل إذ ينقص نمو النبات على مقدار ما نقص من الغذاء بالعدل . هذا هو سرّ ذكر آيات خلق السموات والأرض بعد ذكر خلافة داود وأمره أن يحكم بين الناس بالحق

٩٧ ومن هذا القبيل ما تراه في (شكل ٣ و ٤) من جذور النباتات المختلفة في البقعة الواحدة فإنها تمتد الى الطبقات التي تناسبها لأجل أن لا تتزاحم غيرها ، فهذا عدل في داخل الأرض إذ قسمت المناطق الأرضية على الجذور المختلفة ، وهكذا أعطيت الجذور التي وجدت في غير طبقتها بصلات تجذبها الى أسفل وإلى أعلى . أليس هذا هو قوله تعالى - اهدنا الصراط المستقيم - أليس هذا هو صراط الله -

٩٨ ﴿ تذكرة ﴾ ازدياد هذه العلوم يعطى ملكة التفكير وبها حصلت للأمم العظيمة ملكات التفكير ، وذ كرمما كتبه المؤلف لوزارة المعارف بين لها أن التعليم في زمن الاحتلال ضعيف لم يدخل فيه الفلك ولا العلوم الطبيعية وهو خائف أن يكون الوزير والمهندس غافلا في المستقبل ، وقد دخلت تلك العلوم وحصل التأليف وبعض التأليف أثمرت ، وبيان أن المسلمين لهم عدوان : عدو خارجي هم المستعمرون وعدو داخلي هم الكذابون من شيوخ الصوفية وجهلة رجال الدين ، والمؤلف يوصي أذكيا القراء أن يذيعوا هذه الآراء في الأمم الاسلامية

٩٩ (اللطيفة لثانية) كيف تربي قضاة الأمم الاسلامية وحكامها وخلفاءها
 ١٠٠ أذكر هنا ما جاء في « جمهورية أفلاطون » مم أفتى على آثاره بما جاء في الكتاب والسنة . لقد ذمّ
 أفلاطون الأمة التي يكثر فيها القضاة والأطباء . انما يقضى القضاة بين الأشرار من الناس الذين كثر
 بينهم الخلاعة والفسوق ، ومن أسباب ذلك شيوع التفنن في الموسيقى ، أما الموسيقى المعتدلة فانها تهذب
 الأخلاق ، والطبيب لا يداوى إلا أولئك الذين يكثر أنواع الطعام ، فعلى الأمم أن يكون طعامها
 بسيطاً وموسيقاها كذلك والا كانت جاهلة . ومن عجب أن الامام الغزالي كان يعيب على أم الاسلام
 كثرة فقهاءها الذين يتولون القضاء إذ جعلهم جيشاً عاطلاً والأمة أحوج الى نظام كامل بكل علم وصناعة
 لا بالقضاء وحده ، ولما نظرت أمتنا بمصر الآن وجدت (ثلاثة جيوش) : أطباء وقضاة ومحامين ،
 وذمّ القاضي الذي ألف الرذيلة في صباه مدعياً انه بهذا قد أحرز نصب السبق في الدهاء فيعرف أسرار
 التضايح انه هو قد أصبح هزواً وسخرية لافضيلة له في نفسه . ومدح الطبيب الذي جرب الأمراض
 وأدويتها في نفسه لأن القاضي يقضى بعقله وعقله قد ناله ما أضلّ بفضائله بخلاف القاضي فطبه بعقله لا
 بجسمه وليس يمنعه مرض الجسم . ثم ذكر أن مصر اليوم ترقى في القضاء وفي الطب واتسع نطاقهما
 وذكرا ما تقدم في (سورة يس) من أن الرياضة البدنية والعفة في المأكل والمشرب والتضلع في العلوم
 الرياضية وفي منظم الكون من الواجبات في تعليم الملوك والأمراء ورجال الجيش والقرآن فصل ذلك
 قال تعالى - إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم - وذكر مسألة النهي وأن الذين لم
 يشربوا منه قليل وهم الذين غلبوا . أما الشاربون كثيراً فأنهم لم يحاربوا وهذه هي العفة بعينها .
 وأمر الله بعدم الاسراف في الماء كل والمشارب . وجاء السبق والرمي في الاسلام لتقوية العضلات .
 وجاءت الصلاة بدل الموسيقى وتأنبجها عظيمة بل كثرة الصلاة لا تؤدى الى رذيلة . أما كثرة الموسيقى
 فانها تؤدى الى الضلال ولذلك كانت تتأبج مدينة الاسلام أعلى من مدينة هؤلاء الفلاسفة بل نحن لم
 نر لهم دولة اللهم إلا في الخيال

١٠٤ ومن قرأ الأحاديث الشريفة وجد تقليل الطعام في حديث عائشة أن آل محمد ﷺ ما أكلوا من
 خبز شعير يومين ولا من البرّ ثلاث ليال وتمضى ثلاثة أهلة فلا يوقدون ناراً ولا ياكلون التمور بشر بون
 الماء لا غير . ولم يأكل النبي ﷺ على خوان ولا مرقاً ولا رأى شاة سميطاً بعينه ولم يبل بطنه من
 ردى التمور ولا رأى منخلاً وكانوا يأكلون الشعير بلانخل ولم يأكل النقيّ ولما أكلوا من شاة عند
 الأنصاري قال لصاحبه لتسألن عن هذا النعم

١٠٥ وفي خطبة عتبة بن غزوان انه كان سابع سبعة أكلوا الورق . وكان لرسول الله ﷺ إزار غليظ
 وكساء وكانوا يأكلون ورق السمرة وكان أبوهريرة يعتمد على الأرض من الجوع . وهنا قصة قدح
 اللبن الذي شرب منه القوم وآخروهم أبوهريرة . وقد يضع الرجل قدمه على عنق أبي هريرة طائناً انه
 مجنون وما هو كذلك ولكنه به جوع . وفرأشه ﷺ من ادم حشوه ليف

١٠٦ (نساخ عامة) مثل أن نبذل الفضل من المال ونمسك الفضل من القول . ومثل أن المدا على أن
 يسبح الانسان أمتاً في نفسه عنده قوت يومه . فهذه تكني . وههنا مدح لمن آمن وعنده كفاف .
 وههنا مدح للصبر على الفاقة ومدح للاقتصار في الأكل على ثلث البطن وللهداثة وقصة أبي عبيدة إذ
 أخذ معه جراباً من تمر وكان يعطى الرجل تمره فيمصها بالماء ثم يأكلون ورق الشجر

١٠٧ وهم كانوا ثلاثاً فرأوا دابة العنبر فأكلوا منها وحلوا معهم الى رسول الله ﷺ وهي كبيرة وعينها

كانت نسع (١٣) رجلا منهم والبعبير برحله يمر من تحت ضلع من أضلاعها . وهنا قصة يوم الخندق إذ جاء جابر الى امرأته فذبحت عناقا وعندها صاع شعير فأكل منهما ألف وهذا من باب المجهزات ، وهكذا أبوطلحة وعند امرأته أقراص من شعير فأكل منها سبعون أو ثمانون وبقى منه سور . هذا هو خلاصة الأحاديث . ومقتضى هذا أنهم كانوا لا يشبعون ولا ينخلون الخ وهذا كله صحة للبدن وهذا موافق لما كشفه الأطباء حديثا ، فهم أمروا بقله الطعام وعدم نخل الدقيق كما سيأتي ، وبقى الكلام على السبق والرمى

١٠٩ في الحديث أن السبق يكون بالإبل والخيول والسهم ، وفي حديث « من تعلم الرمي فتركه فليس منا »

وحض النبي ﷺ الرماة على الرمي

١١٠ يجب على الأمم الإسلامية أن تذيب الصناعات اليدوية والسبق والرمى وتعليم الجندية ، وأن يكون القضاء والأمراء أعلمهم

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾ في قوله تعالى - قال رب اغفر لي وهب لي ملكا - الخ وأن الملك هنا لا يقصد به نفس المملكة السلطانية من حيث ظواهرها كالعظمة على الناس ولامن حيث انها منفعة للناس لحسب كلا . بل من حيث انها صادرة من الله تعالى فالمحوظ هنا مصدر النعمة لانفس النعمة ، أما نبينا ﷺ فقد أعطى الكوثر وهي النعم الكثيرة والمقام المحمود وهكذا

١١١ ﴿ اللطيفة الرابعة ﴾ في قوله تعالى - قال فيعزتك لأعوينهم أجمعين - وبيان أن بني آدم مثلوا قصة

أيهم ، فهام أولاء الذين يكسون ورق الموز في بلاد السودان في الرسم المتقدم في آخر ﴿سورة يس﴾ وأولئك المرأة هناك ، ويشابه الأولون آدم بعد الأكل من الشجرة والآخرون يشبهونه قبل الأكل منها ، وهام أولاء أهل المدينة الحاضرة كلهم يشابهونه لما طرد من الجنة ، وسر تكرار هذه القصة في القرآن أن نحترس مما دفعنا اليه جهلنا بفوائد الخبز الذي لم ينخل دقيقه والحضر التي لم تطبخ وفوائد ضوء الشمس وبضرر الاكثار من الطعام والتوابل وهكذا ، وبيان أن الطب الحديث وكشف الفيتامين قد أضافا الى معجزات الاسلام معجزات جديدة ، فها هو ذا الخبز الذي لا ينخل دقيقه وعدم طبخ الطعام هذان وردا في الأحاديث السابقة ، والعلم الحديث يقول : « إن الفيتامين أى قوة الحياة في النخالة وفي الباعام الذي لم يطبخ » إذن دين الاسلام ابتدأت تظهر أسرارها الآن ، وإذا كان الأمر كذلك فلنذكر ما جاء في كتاب « دستور التغذية » المترجم عن علماء أوروبا وكيف يقولون « إن الانسان يمكنه أن يعيش مائتي سنة بحسب ظنهم ، وأن التداوى بالعقاقير مهلك . وخير التداوى ما كان بالشمس . والحية وتدير الأغذية والمركبات الطبية مهلكة للناس . والطبيب قد يكون شرًا من المرض ا »

١١٧ وهناك أسلوب الدكتور هيچ وكاتاني وسوبر وسكي وكوهن إذ يقول الأول « حض البوليك هو

أصل الشقاء . وهذا الحض سببه ما يتخلف من الأغذية فهو يسد المسام . وأمر باقلال اللحم والقول والعسل والبازلة والفاصوليا واللوبياء الجافة والسكرن والقنيط والشاي والقهوة والكاكول . ومتى ترك الانسان هذه الأشياء وأكل الخبازى والاسفاناج والسكرن والفواكه والبن والجبن والقنيط صح جسمه » وكاتاني يمنع الدهنيات والسكر والنشا والخل والمخللات والبن والجبن مخالف هيچ في هذين والأمراة والمجبنات والارز والبطاطس والحلاوى والتوابل ويكتفى بالبيض والنباتات الخضراء والفواكه مع الحركة في الهواء الطلق

١١٨ وسور ويسكي أمر بالفواكه أيضا والليمون والنباتات كالشكوريا والكمثرى والحماض والهندبا
والخس والكرفس والجرجير والفجل

١١٩ ومثل هؤلاء كوهن فإنه يمنع التوابل واللحم والأشربة المنخدة كالبنيد والعرق والقهوة والشاي والنشوق
والتبغ وهكذا الأبخرة الصاعدة من أما كنها والغبار ، وهو يقول باستعمال الحمامات الجلوسية مع
ذلك الجسم بفضة خشنة مبتلة والحمامات البخارية ، ثم ذكر ملخص لذلك

﴿ الفصل الثاني ﴾ في ضرب مثل لأجسامنا ودمها وغذائها وأمراضها بالأرض المصرية ونيلها والغرين
الذي فيها . فالجسم كالأرض والدم كالماء . والغرين في الماء كالمواد الغذائية في الدم . والسدود في
النيل كسدود العروق وإزالتها بالحمامات أو باليقول والفواكه الخ كإزالة السدود من النيل وكثرة
الأورام والأمراض بسبب انسداد العروق كهلاك الزرع بقلة الماء أو كثرته في بلاد المصرية . والانسان
بعد حفظ صحته أشبه بالأمة المصرية التي بلغت الآن (١٤) مليوناً والانسان إذا لم يحافظ على صحته يكون
أشبه بالأمة المصرية قبل أيام (محمد علي باشا) إذ لم يكن للنيل قناطر تحفظ الماء فكان السكان نحو
مليونين أو ثلاثة . فأنت أيها الذكي إما أن تكون كآدم قبل الأكل من الشجرة فتنبع نصائح الأطباء
وأما أن تكون كآدم بعد الأكل من الشجرة فتنبع العادة ، إن سرّ هذه القصة ظهر الآن

١٢٢ ﴿ نصائح عامة ﴾ نصيحة الاستاذ (هندهيد) انه قال : « إن الناس يدفعون الأثمان غالية ولا يشتركون
إلا الموت باللحم والبيض . وقال : يكفي من المادة الغذائية من (٢٠) الى (٢٥) غراما بدل (٨١)
في الرأي القديم وهذه تحصل من ثلاثة أرطال من البطاطس وقد أعطى هذا المقدار لرجلين مع أشياء
أخرى فقلبا في الجري من أكلوا اللحم ، إن الوفيات في المدن أربعة أضعافها في القرى لكثرة
اللحوم في المدن ، والخبز والتمر يجعلان في البدن صلابة وقوة تدهش الاوروبيين »

﴿ نصيحة دورفيل ﴾ يقول : « إن دولة قوة المصارعين الذين يأكلون اللحم قصيرة الأمد ، والذين
يتلون شحما بالأغذية الغنية إما أن يمرضوا بالبور ونحوها ، ولما انهم تظهر عليهم علامات الصحة
والجمال . فالمرضى هو القوى لأن جسمه صرف مافيه من الفضلات والذي لا يمرض هو الضعيف لأن
جسمه محجوز عن استخراج الفضلات وهذا يموت جفاة في عشية أو صباحا »

١٢٥ ﴿ ضرر الأغذية المركزة ﴾ لدورفيل أيضا . يقول : « إن مستخرجات اللحم والأنبذة والبرشامات
وما أشبه ذلك أشبه بضرية سوط للحصان يجري ثم يقع »

١٣٦ ﴿ ضرر السكر الصناعي وفوائد الطبيعي ﴾ السكر المعالوم مهلك فيجب الإقلال منه . نعم الصفار تظهر عليهم
ملاحح الصحة ولكن ذلك لا يدوم فيجب أن يستغنى الناس بالفواكه عن السكر ولا فرق في الضرر بين
السكر والتمر واللحم وهذه هي الأغذية الثلاث المميته

١٣٧ نصائح الاستاذ باز : متى نأكل وكيف نأكل ؟ يجب إطالة المضغ ونظافة الأسنان وعدم شرب ما هو
حار . والأحسن أن يضطجع بعد الأكل من نصف ساعة الى ثلاثة أرباع ساعة . الفواكه والحبوب
هي أجود الأغذية وأفضل الحبوب التمر ومثل الحبوب النباتات

١٤٠ نصائح دوفورست :

(١) لاتأكل بين أكلتين ولو تفاحة

(٢) لاتأكل بسرعة بل امضغ جيدا كل الطعام وأجد المضغ

(٤ و٣) لاتأكل غدا حارا ولا باردا بردا مفرطا

(٥) الأغذية الدسمة المقلوبة مضرّة

(٦) احذر الفلفل والخردل والقرقف والقرنفل وجميع التوابل لأنها تحدث التزلات والأمراض
(٧) الجبن وكل مخلل واللحم وما يستعمل تقلا من الأجسام الدسمة المركبة ، كل هذا يجب منعه
١٣١ الكلام على الفيتامين أي سرّ الحياة ، الفيتامين هو (ا . ب . ج . د) وهذه قد كشفوها في الغذاء
الطازج النيء على حاله الطبيعية ، وقد حبسوا بعض الحيوانات في مكان مظلم وأعطوها أغذية مطبوخة
فصارت ضعيفة جدا ، فلما رأَت نور الشمس وأُكلت الماء كل النيئة صحت أجسامها ، ووجدوا ركاب
البحار الذين يأكلون طعاما محفوظا في العلب مرضى لأن الطعام لا حياة فيه فأطعموهم أغذية نيئة
وعرّضوهم للشمس فشفوا ، ووجدوا أن مرض الأسقربوط شفى بالليمون المالح والبرتقال والخضر
النيئة ولم يشف بشرات البرتقال ولا بالخضر المغلي على النار ، وثبت نبونا لاشك فيه أن الأغذية النيئة
هي المشبعة بالحياة والزيوت النيئة كذلك ، أما التي مرّت عليها زمن أو التي غليت بالنار فانها لم تفد

١٣٣ الحبوب كالقمح والبقول والبقرة اذا استعملت نيئة كما تأكل الحيوانات أعطت قوة جيدة جدا .
طبيب روسي جرب في مكتبه (٢٠) سنة تجارب فأعلن أن الانسان يعيش (١٦٠) سنة اذا أكل
النبات الذي لم يطبخ ، وههنا ذكر أن العلوم التي نقلها الناس عن قبلهم وقلدوهم فيها أشبه بالمطبوخ
من الطعام أو المحفوظ في العلب فإن هذا فقد قوته ، فلا بد من التفكير في تلك العلوم ليستجدّ البحث
وكم أن نار الفحم من آثار حرارة الشمس ولكنها لا تقوم مقامها في إعطاء الطعام قوة الحياة ، هكذا
آراء كبار العلماء في الاجتهاد لا تقوم مقام الرجوع للعقل والسير بلا تفكير عليه يؤخر الأمم فليرجع الناس
للكتاب والسنة حتى يفهموا كيف استنبط الأوائل علومهم . السموغ اذا خلا من المنظور كان قاصرا
على التقليد

١٣٤ بهجة العلم في قوله تعالى - قال فعزّتك لأغوينهم أجمعين - أيضا مع قوله - فالحق والحق أقول -
الانسان له شهوات آكلات النبات وله غضب آكلات اللحوم وقصة ابليس وآدم جمعتهما ، فاذا سمعنا
أن ابليس تكبر وأغوى الانسان فإن ذلك ظاهر في كبرياء الناس وحسد هم وحقد هم وهكذا فهم
كالساع والآساد ، واذا سمعنا أن آدم أكل من الشجرة فهذا هو الذي نشاهده في الشره والطمع والبخل
والحرص والادّخار ، ومن هذا القبيل العادات الفطرية التي نسمعها عن أهل السودان فكأكلها تدلنا
على حياة الناس قديما مشبهين بعض الشبه آدم وحواء في الزمان الأول حين خرجا من الجنة ،
يكرمون الضيف وطعم شجاعة عظيمة بها يقاتلون النهور والاسود ويأكلون الحيات العظيمة والقبيلة
وطعم في الزواج عادات خاصة ونحور معروف ، ويمتدون الزوجات ولكن لا غير هناك ولا حسد وهم
لا يسرق بعضهم بعضا . ولا جرم أن هذه الأخلاق أكثرها شريفة قد حرّمها المتعالمون في الأمم لمخضرة
وهذا المعنى فهمه المتقدمون قبل ألف سنة . فقد جاء في كتاب « احوان الصفاء » في المفارقة بين
الحيوان والانسان أن زعيم الطيور سخر من الانسان وحقر شأنه من جمعه وكذبه وادّخاره وجمعه
الخطب وإيقاد النار وأن الطيور والحيوانات البرية تأكل من نعم الله بلا طبخ ولا عجن ولا تعب ولكن
الانسان مكين متعب شقي يجاهد هلا كه فهو في همّ بالليل والنهار في جلب قوته ولا نتيجة له إلا
التخمة والجشاء وعسر البول والجرب والجدرى الخ . فالانسان في الصحراء يقل مرضه لقلة إفراطه
في اللذات وهكذا حيوانات البر والطيور وكل حيوان عاش مع الناس حرموه غريزته فأكل وشرب
بلا نظام فمرض كما يمرض هذا الانسان الجاهل . يقول المؤلف : وبالجملة هذه الحكاية بها عرفنا أن

القدماء أدركوا سرّ الطعام والشراب والكشف الحديث أيد ذلك . وجميع هذا وذاك تشير له قصة آدم
إذن الانسان في المستقبل سيقصر على النبات الذي لا يطبخ ويكون أسعد صحة وأخلاقاً وجالاً وعلماً
وتهذيباً ويقلّ طمعه . ومن عجب أن الانسان له بدل الفرح البكاء وبدل الأعراس المآتم وبدل
الأسورة والمخلائل الأغلال والقيود والطيور وغيرها سعيدات بالرياض والأنهار والأشجار والأزهار
والحرية والصحة والسعادة

١٣٩ اعترت المؤلف ثلاثة أمراض مرّة واحدة في شهر سبتمبر سنة ١٩٣٠ عند طبع هذه السورة فلم
يستعمل دواء كما في الطب بهذا التفسير واكتفى بالجوع وشرب الماء الدافئ مع الليمون والاستحمام
بالماء الحار ثم البارد عقبه مع مقابلة الهواء والشمس في الخلاء ، فهذه المداواة الطبيعية قتلت لأمراض
الثلاثة حالاً بل لم يحصل لها أثر ما . ومصداق قصة آدم أن طبيياً يحب امرأة وعاش اليوم معها في
جزيرة (شاولز داروين) بالقرب من أمريكا الجنوبية وقد تجرد من الملابس كما قدم ولا يتعاطى إلا
الأطعمة النبتة على مقتضى الفطرة الأولى . وهنا نجب المؤلف من هذا الانسان الذي أصبحت جميع
حياته خاطئة كاذبة ، والأمم المستعمرة اليوم أشبه بوصف المسيح الدجال بظهورون الفيرة على الأمم وهم
يعلمونهم البطنة والاسراف وكل شهواتنا وملذنا نقطعنا عن السعادة فهي أشبه بالمسيح الدجال أيضاً
تفرحنا ظاهراً وتقتلنا باطناً ، اللهم إن الانسانية اليوم جاهلة خاطئة في كل شيء ولا يصلحها إلا حكماء
تخلقهم أنت من مواطن الأنبياء بالشرق فيصلحون الشرق مع القرب

١٤١ ﴿ نور النبوة في هذا الزمان ﴾ ورد في الحديث أن المؤمنين كالجسد الواحد ، وورد اننا لن ندخل الجنة
حتى نتحاب . إن انتشار الطيارات سيجعل بين المسلمين مودة و غير المواصلات لا يمكن التفاهم بل
هناك انقطاع وهذا الحديث ستظهر ثمرته التامة في المسلمين في مستقبل الزمان إذ تصل الطيارات بين
بلادهم ويعرف بعضهم بعضاً . وسيكون الناس أشبه بالطيور الواردة في حديث « لولا نوحتم على الله حق
نوحه لرزقكم كما رزق الطير » من حيث أكل الطعام بلا طبخ ومن حيث الطيران في الجو ومن حيث
أن كل امرئ له عمل كالطائر فأينما حلّ وجد رزقه ميسوراً سهلاً وهذا سرّ الفيتامين وسرّ إيقاف
الحرب في المستقبل الوارد في آية - حتى تضع الحرب أوزارها - وسرّ أن الناس سيأتى عليهم يوم
لا يأخذون المال عن يعطيهم إياه وهذا يوجب على المسلمين أولاً :

١٤٢ (١) تعميم الطيران

(٢) وأن يكونوا كأعضاء الجسد الواحد

(٣) وأن يعمرروا أرض الله

هذا سرّ حديث التوكل المتقدم . ومتى ارتقى الناس بهذه الأعمال قلّ إغواء إبليس فيحنت في يمينه
- فعزّتك لأغوينهم - الخ

١٤٤ تفسير سورة الزمر . هي ثلاثة أقسام : القسم الأول في تفسير البسملة . بالرحمة قامت السموات والأرض
إذا ثبت ثبوتاً طبيياً أن الارزائس كالبرققال من حيث أن الأول يقلّ فيه القوة الحيوية التي استمدتها
من الشمس والثاني تكثر فيه تلك القوة التي استمدتها منها . إذن معنى هذا أن المواد على الأرض
ونفس الأرض قد مجزأت عن استكمال قوة الحياة من طبيعتهما . إذن الأرض وما عليها لا حياة فيها .
إلا بما يستفيدن من ضوء الشمس . فإذا ثبت هذا في الامور المادية فبالأحرى تكون الرجات التي
اقصف بها الطير وسائر الحيوان والانسان ليست من المادة لأنها مجزأت عما هو أسفل وهي قوة الحياة

فاستمدتها من الشمس . إذن الرحمة المنجوبة في الرجال والنساء وغيرهما من عالم أعلى كله رحمة ونعمه عنه بعالم الملائكة أو الأرواح ، فلننظر في الطفل : إن رحمة خاصة بجسمه هو ، فكل ما حوله يعتبره مسخر له ، وكلما كبر ازداد رحمة حتى يصير أباً وزوجاً وأماً وملكاً وحكماً ، ونعم إذ ذاك رأفته ، فمن أين أنت ؟ من عالم غير هذه الأرض ، فكل ذي رحمة اقتبس رحمة من الرحمة العامة كما اقتبس الارز والبرتقال قوتها الحيوية من ضوء الشمس وهذا برهان قاطع . وغير الرحمت وأعلها ما كان أشبه برحمة الأم ترضع ولها بلا طلب جزاء في الآخرة ولا في الدنيا . ومتى ظهر في الأمم أفراد على هذا المنوال فبشرها بالسيادة وهذا يؤخذ من قوله تعالى - إما أخلصناهم - الخ وآية - إلا عبادك منهم المخلصين - فاعبد الله مخلصاً - الخ - ألا لله الدين الخالص - قل الله أعبد مخلصاً له ديني - وأخيراً قوله تعالى - قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكفين - . فزن نفسك أيها الذكي بهذا القانون تعرف مقدارك في الحياة ، فليكن تعليم المسلمين لهذه الأحوال : إعداد العقل للفكر . والعواطف للحب . واليدين للعمل :

(١) عندكم أيها الخواص من المسلمين لوحان : السماء والأرض فيهما محو واثبات . إذت هما كألواح الصبيان . إن كل محبوب على الأرض لم يكن إلا لواحد من خمسة أسباب : الجمال العلم . الشجاعة . الاحسان . المناسبة المجهولة . ولاجرم أن هذه كلها مستمدة من عالم أعلى كما انه ثبت أن مادة الحياة من ضوء الشمس لا من نفس المادة الأرضية . إذن فليكن الحب لمسدى هذه النعم لأنه أكل في هذه الأوصاف

- (٢) لكم درسان : خلق الحيوان وخلق الانسان
 (٣) ليكن ليلكم قياماً وصلاة وعلماً مع حب الله - أتمن هو قانت - الخ
 (٤) لتكونوا صابرين وستكون لكم حسنات - قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم - الخ
 (٥) ليكن من أوصافكم التعقل والحكمة - الذين يستمعون القول - الخ
 (٦) لتكونوا خلفاء الله بشارون عباده - قل يا عبادي الذين أسرفوا - الخ
 (٧) سقائون العلم - قل هل يستوي الذين يعلمون - الخ
 (٨) ستكونون في غرف وتشرق لكم الأرض بنور ربكم وتسلم عليكم الملائكة وترون ربكم والملائكة حافين من حول العرش

١٤٨ الكلام على الاستغفار والتسبيح والتهليل والتكبير والتحميد والحوقة ، جاء في الحديث « التسبيح والتحميد والتكبير عند النوم مجموعها مائة مرة ثوابها عظيم والشیطان قد يلهي عنها ، وكان ﷺ يكثر من التسبيح والتحميد والاستغفار قبل موته لقوله تعالى - إذا جاء نصر الله والفتح - الخ ، التسبيح وأخواه خير مما طلعت عليه الشمس

١٥٠ ﴿ القسم الثاني ﴾ السورة مكتوبة بالخط المشكل من أولها الى قوله - تقوم يؤمنون -

١٥٢ التفسير اللفظي لهذا القسم

١٥٦ الكلام على أعظم أسباب دخول الجنات ، ذلك هو النظر في نبات الأرض ومائها وحدائقها ، ذلك لأنه ذكر بعد ذكر الجنات . الكلام على المواد الفرية التي لا بد منها لصلاحية الماء للشرب وهي خمسة ويجب أن تكون له خمس صفات كالبرودة وأن يكون خفيفاً الخ

١٥٨ الكلام على المياه المعدنية والمياه الحارة مثل ماء فيشى والمياه الغازية والمياه الحضية التي تفور بتعرضها

- لشمس والمياه الحديدية وهكذا
- ١٥٩ حكمة ألمانيا جاء فيها أن المؤلف يجب أن يصنع في تأليفه ما صنعه الله في خلقه ، ومعنى هذا أن يكون كل ما في كتابه هو الذي صنعه وتصرف فيه . ذكر عذاب الظالمين في الدنيا والآخرة
ضرب مثل لحال المشركين
- ١٦٠ ذكر الصادقين والكاذبين
- ١٦١ ذكر النوم والموت . لطيفة في معجزات القرآن في هذا الزمان بمناسبة هذه الآية
- ١٦٣ ههنا خمس لطائف : اللطيفة الأولى في قوله تعالى - يكور الليل على النهار - الخ
- ١٦٤ ﴿ اللطيفة الثانية ﴾ في قوله تعالى - خلقكم من نفس واحدة - الخ وههنا (٥٠) حكمة في جسم الانسان مثل ان أعضائه قطع يسهل العمل بها ، ومثل المفاصل ، ومثل ان الرأس مركب من عظام ستة في القحف وهناك (٣٢) سنا ، ومثل الأشجار والشفتين اللتين هما كالباب يفتح ويفتح حسب الأحوال وهما ستر لثة يفيد الجمال وهكذا وآخرها ان هذا الانسان لو وكل عقله عند الولادة لمالك خزنا لأنه يرى نفسه مجحولا قدرنا الخ
- ١٦٦ ﴿ اللطيفة الثالثة ﴾ في قوله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون - الخ وقد طلب المؤلف من المسلمين تكوين جنان للعلوم والفنون الخ وذكر عدد المؤلفين في ألمانيا وأن هناك في كل (٢٥٠٠) نفسا رجلا واحدا مؤلفا ، أما المسلمون فانهم نائمون
- ١٦٨ ﴿ نبذة في الطب ﴾ وذكر ٣٩ مصابا بأكل الكسكسي وعليه التراب والأوساخ وهكذا البسبوسه
- ١٦٩ ومن الجهل الفاضح في البلاد الذي تدمه الآية أيضا الحلوى التي تضر الأطفال فكلمها مضرّة للصحة فلا يجوز إعطاؤها للأطفال فضلا عن غيرهم
- ١٦٩ ﴿ قائمة الأكل في المستقبل ﴾ يقول الدكتور برنار الانكليزي : « سيكون الفطور محضرا من شعاع الشمس ، والغداء من الهواء ، والعشاء من ماء البحر ، وهذا كله بصنع الكيمياء ، ولكن هذا بعد أجيال كثيرة لأن افريقيا فيها أراض تكفي لملايين كثيرة غير سكان الأرض »
- ١٧٠ الاقتصاد وجمع الثروة وذكر مسألة البحرايمت وأن الجاهل يحقره والعالم يراه ذهبا كما تقدم في التفسير ﴿ الفصل الثالث ﴾ في الجامعات الاوروبية ، ويان أن أكثر طلبة مصر محبتون وقليل يلعبون بل يفتقون لاعمالهم . والمهم اننا نعرف أن جامعات سويسرا كانت جامعات دينية فاقبلت علمية مع المحافظة على الدين . فهذه جامعة لوزان في مدينة لوزان بسويسرا نشأت سنة ١٥٣٧ م وفيها علوم الحساب والطب والصيدلة ومدرسة المهندسين والأساتذة فيها (١٢٩) وذكر هذا السبر في هذا الطريق لأن الدين الاسلامي أولى بهذا من دين المسيح
- ١٧٢ ﴿ فوائد التعليم الاجباري ﴾ يفضل توماس جفرسون رئيس جمهورية الممالك المتحدة بقاء التعليم الأولى وتعميمه على بقاء التعليم العالي لوخبر بينهما . إن وجود طبقة متعلمة وبقية الأمة جاهلة معناه أن هؤلاء يستعبدون البقية . ومن جهة أخرى العالم وسط الجهال لا قيمة له . إن هولندا والدانمارك والسويد وللترويج لما عدت الأتمية منهم أصبحت بعض الولايات لاجنابيات فيها فأولى بهذا المسلمون
- ١٧٣ المدرسة القرؤية هي محل استشارة القرية كلها
- ﴿ اللطيفة الرابعة ﴾ في آية - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء - والكلام على جوف الأرض وجبال البراكين والجبال التي تبتلعها الأرض والآبار الارنوازية . الماء معلق فوق رؤسنا . الآثار الجوفية المائية

- ذوبان الجليد . رشح المياه . فعل القنوت الشعرية الأرضية . جرى المياه الى الجهة المنحطة
- ١٧٥ ﴿ اللطيفة الخامسة ﴾ في قوله تعالى - مم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون - وأن الآية ليست قاصرة على اختصام الكفار والمسلمين بل تشمل المنحارين بعد زمن النبوة
- ١٧٦ ﴿ القسم الثالث ﴾ كتب مشکلا من آية - قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم - الى آخر السورة
- ١٧٧ التفسير اللفظي لهذا القسم
- ١٧٨ هذا القسم أربع لطائف الثالثة منها - وأشرق الأرض بنور ربها - وذلك في الآخرة . والحكما . يشاهدون مبادئه في الدنيا . ألا ترى كيف رأينا العدل في عالم النبات والحيوان من حيث التغذية ورأيناه في البر والبحر . ففي كليهما حدائق مثل ماني المحيط الهادي من شجر المرجان وهناك جزائر مرجانية يثبت فيها الشكولاته . وهناك ١٠٠.٠٠٠ جزيرة وألف جزيرة مرجانية . ومن ذلك عدل الله في خلق العيون وعدمها . فالسمك الذي يعيش على بعد (٢٧٥٠) قامة لا عيون له لأنه لا ضوء للشمس هناك . وهناك سمك له مصباح يضيء في قرار البحار
- ١٨٢ ﴿ اللطيفة الرابعة ﴾ - وترى الملائكة حافين من حول العرش - وقد ذكر العرش في السورة بعدها الخ
- ١٨٣ انكشاف الحقائق من أسرار القرآن في آخر سورة ص وأول سورة الزمر من قوله تعالى - ما كان لي من علم بالملا الأعلى - الى قوله - فأني تصرفون - . وههنا ورد سؤال على المؤلف وهو أن الله عظم الانسان إذ أسجد له الملائكة الأرضيين وخلق له السموات والأرض وأنزل له الأنعام ولكنه أذله أيضا بتسليط إبليس عليه وعلى ذريته وجعلهم في ظلمات ثلاث . فأجاب المؤلف بأن الاجابة على هذا السؤال لا تتم إلا بعلم الهواء والضوء وانكساره وانتشاره ولا يتم ذلك إلا بعلم الطبيعة والفلك . إن الهواء مركب من الاكسوجين والاوزوت وتنقص حرارته كلما ارتفع فلا زاد عن (٧٠٠) متر صارت الحرارة (٦٠) لانقص وهذا ظن القوم وله ثقل يعادل (٥٨٥) مكعبا من النحاس وكل مكعب ضلعه كيلومتر وارتفاعه (٤٨) كيلومترا أي جزء من $\frac{1}{33}$ من نصف قطر الأرض وهذا الهواء أمره عجب ايرينا الشمس صباحا بضوء أقل من الضوء وقت الهجرة بمقدار (١٣٥٠) مرة . وسبب هذا النقص أمر وهو أن الغبار الذي يتخلل جونا فوق رؤسنا أقل من الغبار الذي يتخلل الجو بالقرب من الأرض (١٦) مرة . فهذه (١٦) طبقة من الغبار تحجب عنا كثرة ضوء الشمس صباحا فترجعها الى واحد من (١٣٥٠) وبهذا الحجاب يسهل لنا أن نرى شعاع الشمس . أما في وقت الظهر فلا . وبهذه يأتي ضوء الشمس للأرض بالتدريج . وهذا الغبار يظهر لنا أن الشمس صباحا أبعد منها ظهرا والكواكب القريبة من الأفق أبعد في الظاهر من الكواكب التي في وسط السماء وتظهر قبة السماء كأنها منحطة . فقرب الشمس وقت السموت وقرب الكواكب هناك وقرب القبة السماوية لسبب واحد وهو قبة الحجب القبابية في الهواء وبعد الكواكب الأفقية للحجب الستة عشر
- ١٨٧ لولا الهواء لم يضيء نور الشمس إلا ما قابله وتكون الدنيا كلها ظلاما ماعدا المقابل للشمس ويكون الجوق حالك السواد وتظهر النجوم نهارا وقت الظهر ولا يكون هناك ضوء صبيح ولا ضوء بعد الغروب لأن ذلك لم يحصل إلا بانتشار النور بواسطة الهواء وبانكساره والانكسار يتضح لمن يضع عودا في الماء فانه يرى كالمكسور وما هو بمكسور وإنما ضوءه انكسر . وهذا ظاهر في (شكل ٦) في صحيفة ١٨٨ والبيان في حرف (ا) وحرف (ب) وهذه التجربة السهلة من علم الطبيعة هي الواضحة في علم الفلك (شكل ٧)

١٨٩ إن الضوء بانتقاله من الجوّ الخالي من الهواء الى الجوّ الذي فيه الهواء ينكسر بحيث خاصة لأنه انتقل من لطيف الى كثيف ، وهذا الانكسار يوجب الانتشار ، ومن هذا الانتشار يكون الفجر والصبح والشفق ، ولولا ذلك لطلعت الشمس بفتة فأهلكت كثيرا . إذن هنا غبار في الهواء لطف الضوء . إذن هذا نظير الظلمات الثلاث المحيطات بالجنين . فإذا كان الجنين لا يحتمل انكشاف جسمه للشمس مع انها نعمة هكذا الانسان والحيوان جعل الغبار الضار بأجسامهم نعمة عليهم لأنه يطفئ الضوء ويجعل سير النور ووصوله لهم تدريجيا . فتقليل الغبار الجوّي والحجب نعمة لانقمة كما ان ظلمات الجنين نعمة عليه . وهكذا إغواء الشياطين لبنى آدم لامتني لها لإتأخير رقيهم . ذلك لأنهم لو أعطوا العلم دفعة واحدة هلكت أرواحهم . فلا بد من معوقات جسمية بالأمراض والحروب ومعوقات روحية تحبسهم عن العلم فيقبلونه بالتدريج والشوق كما يتقبلون ضوء الشمس بالتدريج . والفضل في الثاني للغبار الذي هو مكره ضار والفضل في الأول لاغواء الشياطين . هذا هو الجواب على هذه الأسئلة

١٩٣ اللطائف العامة لأقسام السورة كلها : اللطيفة الأولى في قوله تعالى - خلق السموات والأرض بالحقّ - يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل - مع آية - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء - وههنا ذكر حركتي الشمس السريعة والبطيئة والهرجات (٣٦٠) والبروج (١٢) وكيف اخترعها العقل الانسان قديما . ذلك انه رأى نجوما تحيلوا انها كالحل فسميت (حلا) وهكذا البقية . ولكل برج (٣٠) درجة وبضربها في (١٢) يكون ذلك (٣٦٠) ولكل برج (٣٠) يوما . وهناك (٥) أيام وربع يوم توزع عليها . وبيان أول فصل الربيع اذا حلت في رأس الحل وقد أخذت في الارتفاع الى الشمال في يوم ١٧ من برمهات . فاذا قطعت الشمس الحل والنور والجوزاء وحلت بالسرطان في أول الصيف كرت راجعة الى جهة الجنوب ويأخذ النهار في النقص والليل في الزيادة . وهذا على عكس حالها حين فصل الى آخر القوس في الجنوب . إذن يكون ذلك أقصر يوم وأطول ليلة في السنة . وهناك تنتقل الى الجدى في ١٧ من كيهك وتكرّر راجعة فتأخذ في الارتفاع فهذان هما الانقلابان الانقلاب الصيفي والانقلاب الشتوي . وهذان غير الاعتدالين إذ فيهما يكون النهار والليل متساويين أما في الانقلابين فالنهار يكون أطوله ١٤ ساعة ويكون الليل ١٠ ساعات . واذا بلغ الليل ١٤ ساعة كان النهار ١٠ ساعات وذلك في مصر وما مثلها وبقيّة الأقطار الأخرى منتظمة بحسب ما فيها

أقل أو أكثر

١٩٥ بيان شهور القبط وموازتها بشهور السريان وشهور الروم وهذان الأخيران متوافقان . وبيان الأشهر التي هي (٣٠) يوما وهي (٤) وواحد ينقص يومين والباقي (٣١) وذكر نظم القدماء شهور السريان وشهور الروم

١٩٦ الكلام على المنازل وانها (٢٨) منزلة أولها الشرطان وآخرها بطن الحوت وأن لكل منزلة (١٣) يوما ويبقى يوم وربع فيضاف ذلك لمنزلة الجبهة آخر السنة . وفي كل (٤) سنين يكون للجبهة (١٥) يوما وههنا بيان طلوع المنازل وقت الفجر مثل ان الشرطين في ٢٣ برمودة وفي ١٨ نيسان الذي هو شهر ابريل وهكذا فتعرف المنزلة بمعرفة الشهر القبطي أو السرياني أو الرومي

١٩٨ الكلام على القمر والمنازل بالنسبة له وانها قسمان : جنوبية وشمالية . والمنزلة مقدار ربع سبع الدور . وما كواكب المنزلة إلا حدود فوارق بينها . وههنا تطبيق لمعرفة القمر في أي منزلة

١٩٩ الكلام على أحوال الأهلّة التي عليها مدار الشهور . ذلك ان القمر يتأخر كل ليلة ستة أساع ساعة

- ولا يزال يتأخر حتى يكون في الليلة السابعة مغيبه نصف الليل وفي الرابعة عشرة طلوع الشمس وطلوعه ليلة ٢١ نصف الليل وليلة ٢٨ مع الغداة . وههنا طرق حساية لاستخراج أول الشهر العربي ٢٠٠ ههنا أن نذكر نتائج انتظام الأجرام السماوية في الأعمال الزراعية في الأرض . فكما انتظم سير الكواكب انتظم الزرع في الأرض . فالزراع ونحوها مقسمات على الشهور . مثال ذلك :
- « شهرتوت » فيه البروز ويلقط الزيتون وتفتح أكثر الترع « بابه » فيه يطيب الرمان الخ « هاتور » فيه يزرع القمح وأكثر البقول الخ « كيهك » فيه تزرع الحلبة الخ « طوبه » فيه يكمل الترجس والقرط الخ « أمشير » فيه تفرس الأشجار الخ « برمها » فيه تزهرا الأشجار الخ « برمودة » فيه تقطف أوراق عسل النحل الخ « بنس » فيه يكثر النفاخ الخ « بونه » فيه يكثر الحصرم الخ « أيب » فيه يكثر العنب الخ « مسرى » فيه يصنع الخلل
- ٢٠٢ (الطبقة الثالثة) في قوله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - وبيان أن العلم أشرف شئ والعلماء قليل فهو كالراديوم
- ٢٠٤ (الراديوم وخواصه) هودأما يلمع كوهج النار يتقدد ولا ينطفئ الخ . هذا المعدن له نظير في الناس وهم الحكما الذين يؤثرون في عقول الأمم . لما ظهر الاسلام استخرج أهله الحكمة من بلاد اليونان أيام العباسيين ثم ذهب تلك الدول وانتقل العلم الى بلاد الأندلس ثم الى أوروبا لأن أبناء العرب اكتفوا بالشعر
- ٢٠٨ إن قول الله سبحانه وتعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - جاء العلم فيه بالفعل المضارع إشارة للتجدد وقتا بعد وقت الخ
- ٢٠٩ يخاطب المؤلف المسلمين قائلاً لهم : « أتم خيرامة أخرجت للناس قديما فكيف لاستوعبون علوم الأمم لسكونوا خيرامة أخرجت للناس في المستقبل »
- ٢١٠ (الفصل الثاني) فيما قاله الفيلسوف « كنت » الألماني في كتاب التربية . للكتاب مقدمة وأربعة فصول ، وفي المقدمة اختصاص الانسان بالتربية ، ثم تربية الطفل في المهد ، ثم تهذيبه بطريق سليم . ثم تلقيه العلوم الخ والتهذيب يمنع عنا الأخلاق الحيوانية إذ لم تمنح غريزة لذلك . وتجب المبادرة له في الصغر والا تعسر في الكبر . ومن فاته التهذيب صغيرا تسرع عليه كبيرا بخلاف العلم فهو لا يفوت بالكبر
- ٢١١ إن صغار الحيوان لا تحتاج الى تعليم اللهم إلا الطيور فهي تعلم صغارها هيتة أصواتها . والجب أن كل طائر في الأرض شرقا وغربا له صوت واحد يحافظ عليه (هذه العبارة في الأصل الانجليزية وسقطت من الترجمة سهوا) . لوتعاون الأمراء مع ذوى المواهب على تعليم الانسان أو علم الانسان عالم أعلى منه لأصبح الناس اليوم في حال أشرف من هذه . ومتى بلغ الانسان درجة التبصر وأحسن بالخلل أخذ يفكر : أهذا من قصص التهذيب أم التعليم ؟
- ٢١٢ ضرر نقص التهذيب أشد من ضرر نقص التعليم . على كل جيل أن يخطو خطوة الى الأمام . نهاية ذلك السعادة الانسانية . ليكون لنا يقين بذلك . التعليم التقليدي ينتهى بالنقص الانساني كالنبات الذى نبت من الجذر في العام الثانى فزهرة يكون أقل بهجة
- ٢١٣ السكالك مخيو . في الانسان . التعليم اليوم صناعة فاذا ارتقى الانسان صار أشبه بالقرية . ليس في الأرض حكومة صالحة ولا تعليم حقيقى . لابد من تضافر الأفراد على النفع العام وذلك لا يضر بمصلحة الفرد لأن المواهب تظهر بمك القصد . الشرر يأتي من اعمال الطبائع

٢١٦ آراء الاستاذ « كنت » كلها ترجع لما في القرآن - اقرأ باسم ربك - الخ - قل هل يستوى - الخ
وهنا (زبرجدتان : الأولى) في أصل أهل ألمانيا بمناسبة ذم العلامة « كنت » للأمرء من
حيث انهم لا يصلحون لتعليم الشعوب ، أصل أهل ألمانيا من العائلة الآرية وبلادهم كانت مواطن
للحيوانات المفترسة الخ

٢١٧ (الزبرجدة الثانية) إن الأمة المصرية علمها المغفور محمد علي باشا وذريته عشرات السنين ، ولكن
الحرية ليست نائمة ولم يقم بالثورة إلا أحمد عرابي وهو لم يتعلم في مدارس الحكومة ، والأمة المصرية
انقسمت قسمين فدخل الانجليز مصر ، ولكن لما قتلوا التعليم فيها لعلم الشعب بنفسه ، فطالب نفس
المتعلمين بالحرية

٢١٩ (نعمات الحكمة) وهي أن المؤلف سمع موسيقى تصدح بعد كتابة هذا الموضوع فقبل له أن هناك
مسرات لاحد لها عند الأمم الآتية بعدنا في الشرق بسبب هذه التعليم وأمثاها

٢٢٠ الأحاديث النبوية من الكتب الستة الصحاح في آداب العلم والتعليم . وبيان أن يكون التعليم لمن
يطلبون العلم برغبة

٢٢٣ (الفصل الثالث) من المقام الأول في الكلام على الملك والوزير الذين أحبا العلم والحكمة وزهدا في الملك

٢٢٨ (المقام الثاني في شذرات) وهي خمس : الأولى في إصلاح التعليم . وذلك أن عالما سو يسريا جاء
الى مصر أثناء طبع هذا التفسير وقال ان تعليمها ناقص وترك للحكومة كتابا ملخصه نحو ٢٠ مسألة الخ

٢٣٢ معنى التعليم الاجباري وانه ليس التصد منه تعليم العلوم العالية بل القراءة والكتابة والحساب الخ

٢٣٥ (الشذرة الثانية . في الجباب السماوية) وذكر اقرب منهم من الأرض وهو الالقا . وأن هناك كوكبا
يعد عن الأرض الف قرن بسير النور

الكلام على رصد الجوّ بالسهم النارية . وأن (جادارو) صنع صاروخا متى وصل الى (٢٠٠) ميل
أعطانا معرفة باطواء هناك وبأشعة الشمس كذلك وبالحرارة والمنفط الجوى فهذه الأربع مجهولة الآن

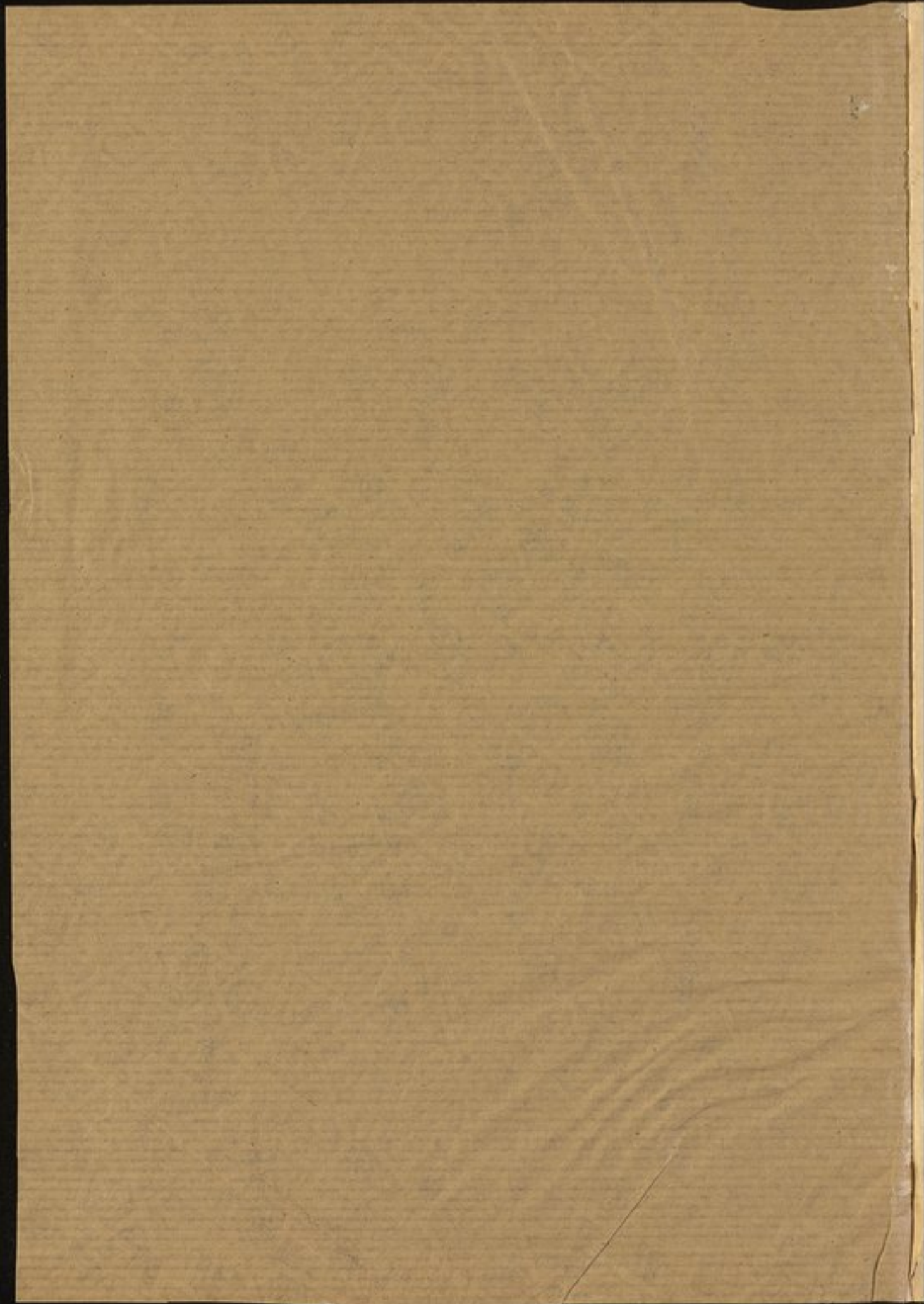
٢٣٦ (الشذرة الثالثة) في غرائب الحيوان . غريزة الحيوان منظمة كانتظام حركات الاحجار ونحوها في
سقوطها الخ

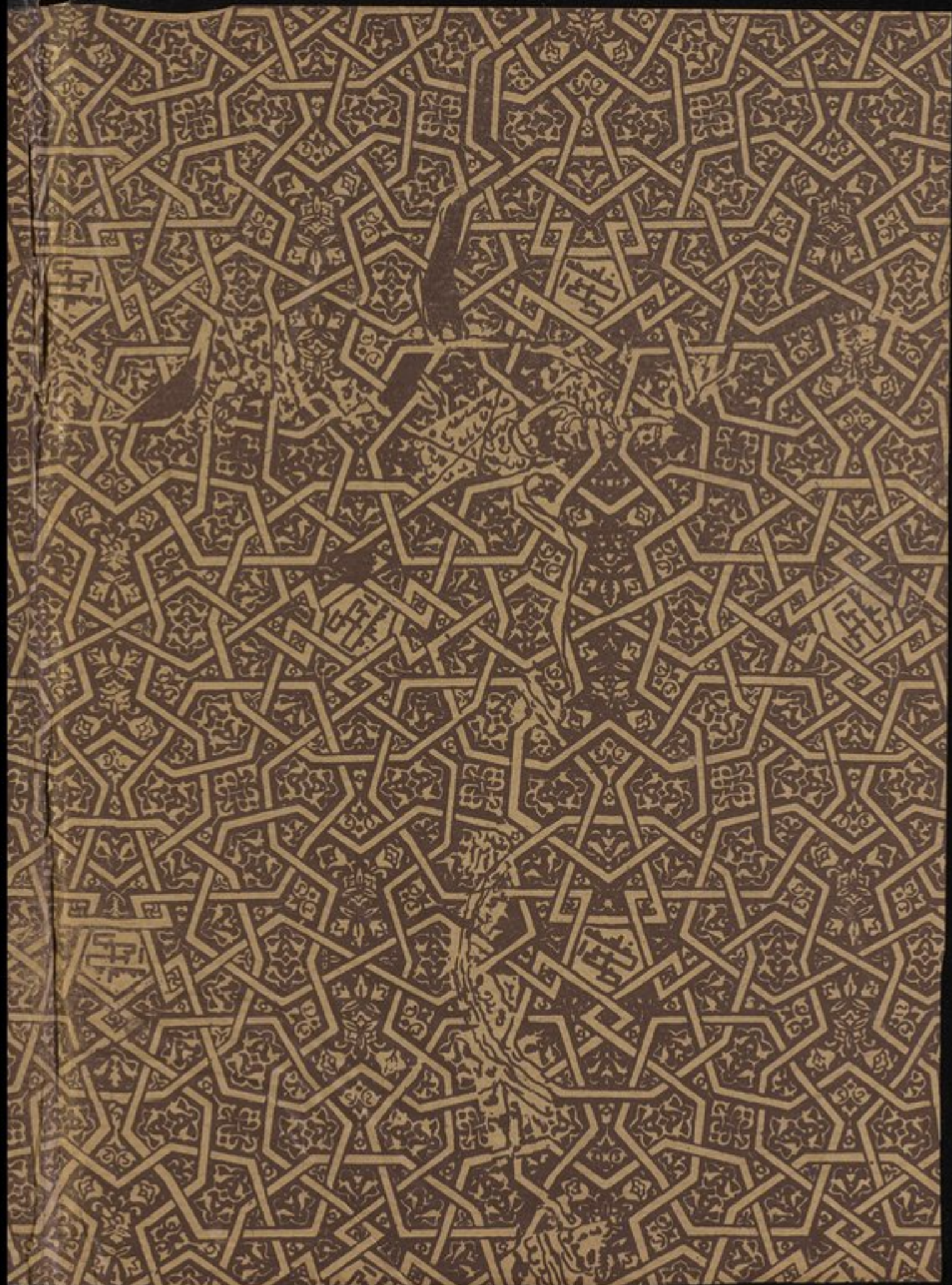
٢٣٨ (الشذرة الرابعة) في الفوائد الطبية . السلاب وأخطارها

٢٤٠ مقالات في كلمات مثل : ان حلاوة اللقاء ثمن مرارة الفراق . ومثل : المصائب تعطي اللبيب حكمة
والجاهل شرا

الكلام على الماء والصحة

الكلام على الاختزال بمناسبة آية - فبشر عباد الذين يستمعون القول فينبعون أحسنه أولئك الذين
هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب -





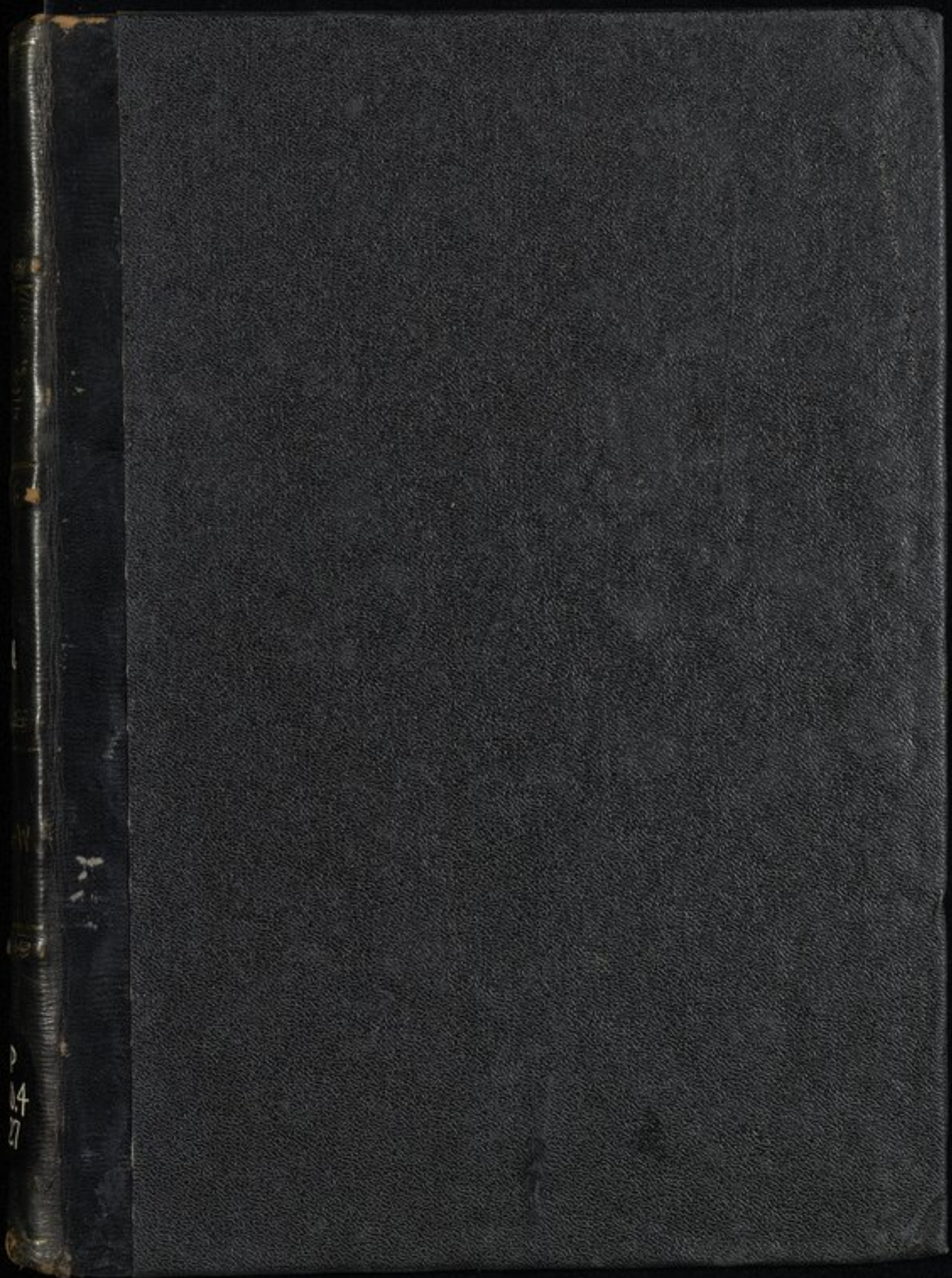
COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0036758450

BP
130.4
.J27
v. 17-18

NOV 21 1973



274